محاضرات الأدباء

ومحاورات الشعراء والبلغاء

لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني

الجزء الأول

منشورات دار مكتبة الحياة

بيروت

كانون الثاني ١٩٦١ م

كلمة الناشر

« محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » كتاب ألفه ابو القاسم حسين بن محمد الراغب الاصبهاني ، فجمع فيه شتى الاقوال في الادب والعلم والاخلاق مما يحتاج اليه كل اديب ، ولا يستغني عنه أي مثقف ، فكان كما قال مؤلفه :

الجد والهزل في توشيح لحمتها   والنبل والسخف والاشجان والطرب

وقد قسمه حدوداً وفصولاً وأبواباً ، ليسهل طلب كل معنى في مكانه .

. . .

إن « دار مكتبة الحياة » وقد اخذت على عاتقها ، تعميماً للثقافة وحفظاً للتراث العربي ، نشر هذا الكتاب بحلة جديدة تسهل معها الافادة منه ، ترجو أن تكون قد أسهمت في إحياء آثارنا الفكرية التي كانت لها اليد الطولى في رقي الحضارة وتقدم الانسانية .

دار مكتبة الحياة



قال الشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد المفضل الراغب رحمه الله تعالى :

الحمد لله الذي تقصر الأقطار أن تحويه، وتعجز الأستار أن تخفيه، حمداً يقتضي تضاعف نعمائه، ويمتري ترادف آلائه، وصلى الله على من أوضح به الأعلام، وشرع بلسانه الإسلام، منار الهدى وخيار الورى .

وبعد فان سيدنا، عمّر الله بمكانه مرابع الكرم ومجامع النعم، أحب أن أختار له مما صنفت من نكت الأخبار، ومن عيون الأشعار، ومن غيرهما من الكتب فصولاً في محاضرات الأُدباء، ومحاورات الشعراء والبلغاء، يجعله صيقل الفهم، ومادة العلم، ففعلت ذلك إيجاباً له، إذ قد جعل مراعاة الأدب شعاره ودثاره، ومحاماة الفضل إيثاره واختياره، وجعل زمام حسبه بكف أدبه، وسلك في زماننا طريقاً قلّ سالكوه .

طرق العلاء قليلة الإيناس .

وقد ضمنت ذلك طرفاً من الأبيات الرائقة، والأخبار الشائقة، وأوردت فيه ما اذا قيس بمعناه .

يكون منه مكان الروح من جسد   والبدر من فلك، والنجم من قطب

فانه ظرف مليء طرفاً، ووعاء حشي جداً وسخفاً، من شاء وجد منه ناسكاً يعظه ويبكيه، ومن شاء صادف منه فاتكاً يضحكه ويلهيه .

فالجد والهزل في توشيح لحمتها   والنبل والسخف والأشجان والطرب

وأعوذ بالله أن أكون ممن مدح نفسه وزكاها، فعابها بذلك وهجاها، وممن أزرى بعقله، لإعجابه بفعله؛ فقد قيل لا يزال المرء في فسحة من عقله، ما لم يقل شعراً أو يصنف كتاباً، وأول من يصرف همته الى مراعاة مثل هذا الكتاب، من تحلى بطرف من الآداب، فيصير به

طليق اللسان ، ذليق البيان . فكم من أديب تتقاعد به بداهة المقال ، في كثير من الاحوال ، فلا يجد من فهمه مساعفه ، ولا من علمه مكانفه ، فيرى في العي مثل باقـل ، وان كان من الغزارة سحبان وائل . وقد قيل : خير الفقه ما حاضرت به .

ومن لا يتحلى في مجلس اللهو ، إلا بمعرفة اللغة والنحو ، كان من الحضر صورة ممثلة ، أو بهيمة مهملة . ومن لا يتتبع طرفاً من الفضائل ، المخلدة عن ألسنة الاوائل ، كان ناقص العقل . فالعقل نوعان : مطبوع ومسموع ، ولا يصلح أحدهما الا بالآخر . وقد تحريت فيما أخرجته من كل باب غاية الاختصار والاقتصار ، وأعفيته من الإكثار والإهذار ، لئلا تعاف ممارسته ومدارسته ، لكن عظم هذا الكتاب بعض العظم لكثرة فصوله وتحقيق تفاصيله . وقد جعلت ذلك حدوداً وفصولاً وأبواباً ، وذكرت جملة الحدود والفصول في أول الكتاب ، ليسهل طلب كل معنى في مكانـه ، ووضعت كل نكتة في الباب الذي هو أليق بها ، وان كان كثير من ذلك يصلح استعماله في أمكنة سهل الله علينا ما يحمد عقباه ، ووفقنا في جميع أمورنا لما يرضاه ، وجعل خير أعمالنا ما قرب من آجالنا ، إنه عليم قدير ، نعم المولى ونعم النصير .

الحد الاول في العقل والعلم والجهل وما يتعلق بها :

الاول العقل والحمق وذم اتباع الهوى . الثاني الحزم والعزم وما يضادهمـا ، والظن والشك والتثبت والعجلة . الثالث المشاورة والاستبداد بالرأي . الرابع العلم والعلماء مدحاً وذماً ، والحفظ والنسيان . الخامس التعليم والتعلم وما يتعلق بهما . السادس البلاغة وما يضادها . السابع النطق والسماع ، والمقال والسكوت . الثامن المذاكرة والمجادلة . التاسع الشعر والشعراء . العاشر الكتابة والكتاب . الحادي عشر التصحيفات . الثاني عشر آلات الكتابة . الثالث عشر الصدق والكذب . الرابع عشر السر . الخامس عشر النصح . السادس عشر الموعظة والمتعظون ، والآمرون بالمعروف والقصاص ، والمفتون . السابع عشر الخطباء وقراء القرآن . الثامن عشر الفراسة والقيافة . التاسع عشر تأويل الرؤيا . العشرون حمل علوم الامم ورموز العرب .

الحد الثاني في السيادة وذويها واتباعها :

الاول السيادة والولاية . الثاني أحوال اتباع السلاطين . الثالث القضاء والشهادة . الرابع الحجاب والحجاب والغلمان .

الحد الثالث في الانصاف والظلم والحلم والعفو والعقاب والعداوة والحسد والتواضع والتكبر :

الاول الانصاف والظلم . الثاني مدح الحلم وكظم الغيظ والرحمة والعفو والاستغفار والاعتذار . الثالث ذم الحلم ومدح العقاب . الرابع العداوات . الخامس الحسد . السادس التواضع والتكبر .

الحد الرابع في النصرة والاخلاق والمزح والحياء والامانة والخيانة والرفعة والنذالة :

الاول الجوار والنصرة . الثاني الاخلاق الحسنة والقبيحة . الثالث المزح والضحك حمداً وذماً . الرابع الحياء والوقاحة . الخامس الأمانة والخيانة . السادس المسابقة الى المعالي والرفعة والمجد . السابع النذالة والتأخر عن المكارم والمثالب ، وصيانة النفس والفتوة والمروءة .

الحد الخامس في ذكر الابوة والبنوة ومدحها وذمها والأقارب :

الاول البنون والبنات . الثاني ممادح الأُبوة ومذامها ووصف القبـــائل . الثالث الدعوة . الرابع الأقارب .

الحد السادس في الشكر والمدح والذم والاغتياب والأدعية والتهنئة والهدية :

الاول في الشكر . الثاني المدح ومستحقوه والهجو وذووه . الثالث الغيبة والنميمة . الرابع التحية والأدعيـــة والتهنئة . الخامس الدعاء على الانسان . السادس الهدايا . السابع الطب والمرض والعيادة .

الحد السابع في الهمم والجد والآمال :

الاول الهمم الرفيعة والوضيعة . الثاني الجد . الثالث الاماني والآمال .

الحد الثامن في الصناعات والمكاسب والتقلب والغنى والفقر :

الاول الحرفة . الثاني المبايعة . الثالث الدين ومتعلقاته . الرابع الايمان . الخامس الاكتساب والإنفاق . السادس مدح الغنى وذم الفقر . السابع الزهد ومدح الفقر وذم الغنى .

الحد التاسع في العطاء والاستعطاء :

الاول قصد أولي الأفضال . الثاني السؤال . الثالث الوعد والإنجاز والمطل . الرابع الشفاعات . الخامس الجود والأجواد . السادس البخل بالأموال .

الحد العاشر في الاطعمة والاكلة والقرى وأوصاف الاطعمة :

الاول أحوال الاكل والاكلة والتطفل . الثاني الدعاء الى الدعوات . الثالث الأجواد بالقرى . الرابع البخلاء بالقرى .

الحد الحادي عشر في الشرب والشراب وأحوالها وآلاتها :

الاول الشرب والشراب . الثاني الندام والندماء . الثالث وصف المجالس وأمكنة الشرب . الرابع آلات الشرب والمجالس . الخامس الغناء والمغنون والملاهي .

الحد الثاني عشر في الاخوانيات :

الاول الإخوان وأحوالهم . الثاني محبة المعاشرين . الثالث الزيارة والمزور .

الحد الثالث عشر الغزل ومتعلقاته :

الاول أوصاف الهوى وأحوال العشاق . الثاني التدكر . الثالث التوديع والفراق . الرابع الهجران . الخامس البكاء ووصف الدموع . السادس الشوق والحنين . السابع السهر وطول الازمنة . الثامن الوشاية والعذل . التاسع ستر الهوى وكشفه . العاشر معاشرة الحبيب ومكاتبته . الحادي عشر مزاورة المحبوب وملاقاته والنظر اليه والأمنية فيه . الثاني عشر الطيف . الثالث عشر السلو . الرابع عشر فنون مختلفة من الغزل .

الحد الرابع عشر الشجاعة وما يتعلق بها :

الاول الشجعان وأحوالهم . الثاني التهدد . الثالث الأسلحة والمتسلحة . الرابع طلب الثار والدية . الخامس التحذير من الحرب وطلب الصلح . السادس الهزيمة . السابع التلصص . الثامن الحبس والقيد والضرب ونحوها .

الحد الخامس عشر في التزوج والأزواج والطلاق والعفة والتديث :

الاول النكاح والطلاق وأحوال الازواج وسياستهن . الثاني العفة . الثالث الغيرة والتديث .

الحد السادس عشر في المجونات والسخف :

الاول الاجارة واللواطة . الثاني الأبنة والتخنث . والدبيب والقيادة . البالث دكر السوءتين والجماع . الرابع السحق والدلك . الخامس الضراط والفسو .

الحد السابع عشر خلق الناس وأسماؤهم :

الاول خلقة الانسان مستحسنها ومستقبحها . الثاني محاسن المحبوب . الثالث مقابح خلق النسوة . الرابع الشيب والشباب وذكر المعمرين . الخامس الاسامي والكنى والألقاب .

الحد الثامن عشر في الملابس والفرش :

الاول الملابس وذووها . الثاني البسط والفرش وآلات المنزل .

الحد التاسع عشر في ذم الدنيا وانكشاف النوب :

الاول دم الدنيا ونوبها . الثاني انكشاف الشدائد .

الحد العشرون في الديانات والعبادات :

الاول الوحدانية والتقوى والايمان والتوبة والورع والتصوف ومتعلقاتها . الثاني المذاهب المختلفة . الثالث الأنبياء والمتنبئون . الرابع أحوال القرآن ونزوله وفضيلته . الخامس العبادات من الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج . السادس الأدعية .

الحد الحادي والعشرون في الموت وأحواله :

الاول الموت وأحواله . الثاني الغموم والصبر والتعازي والمراثي .

الحد الثاني والعشرون الأسماء والأزمنة والأمكنة والمياه والأشجار والنيران :

الاول الملوان والسماء والنجوم . الثاني الأزمنة والسحاب والأمطار والمياه وما يتعلق بذلك . الثالث الربيع والخريف والأزهار والأشجار والنبات . الرابع الأمكنة والأبنية . الخامس المفاوز . السادس السفر . السابع الحنين إلى الأوطان . الثامن النيران .

الحد الثالث والعشرون الملائكة والجن :

الأول الملك . الثاني ابليس والجن والشياطين .

الحد الرابع والعشرون في الحيوانات :

الاول الخيل والبغال والحمير . الثاني النعم . الثالث الوحشيات . الرابع الطيور . الخامس الهوام .

الحد الخامس والعشرون في فنون مختلفة وهو آخر الحدود :

وإذ قد اتينا على ذكر الحدود والأنواع فلنبدأ مستعينين بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الحد الاول

في العقل والعلم والجهل وما يتعلق بها

فمما جاء في العقل والحمق وذم اتباع الهوى ما يحمد به العقل وبنوه والحمق وذووه :

قيل : العقل ، الوقوف عند مقادير الاشياء قولاً وفعلاً . وقيل : النظر في العواقب ، وقال المتكلمون : اسم لعلوم إذا حصلت للانسان صح تكليفه . وقيل : العاقل من له رقيب على جميع شهواته . وقيل : من عقل نفسه عن المحارم ، ولذلك لم يصح وصف الله تعالى به . والحمق قلة الاصابة ووضع الكلام في غير موضعه . وقيل : فقدان ما يحمد من العاقل .

مدح العقل وذم الحمق :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما اكتسب ابن آدم افضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى . وقيل : الحمق يسلب السلامة ويورث الندامة ، والعقل وزير رشيد وظهير سعيد ، من أطاعه أنجاه ، ومن عصاه أرداه . وقيل : لو صوّر العقل لأضاء معه الليل ، ولو صوّر الجهل لأظلم معه النهار ؛ وقال المتنبي :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان

حاجة الفضائل الى العقل :

قيل : العقل بلا أدب فقر ، والادب بغير عقل حتف . وقيل : بلوغ شرف المنزلة بغير عقل إشفاء على الهلكة . وقيل : من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه .

ذم من له أدب بلا عقل :

وصف اعرابي رجلاً فقال : هو ذو أدب وافر وعقل نافر .

فهبك أخا الآداب ، اي فضيلة تكون لذي علم ، وليس له عقل ؟

وقيل : ازدياد الادب عند الأحمق كازدياد الماء العذب في أُصول الحنظل ، كلما ازداد رياً ازداد مرارة .

حاجة العقل الى الادب :

عاقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح . العقل والادب كالروح ، والجسد بغير روح صورة ، والروح بغير جسد ريح . وقيل : العقل بغير أدب كأرض طيبة خربة ، وأن العقل يحتاج الى مادة الحكمة كما تحتاج الأبدان الى قوتها من الطعام .

ضياع العقل بفقد التقوى :

قيل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن إنسان عبادة قال كيف عقله ؟ فان قالوا عاقل قال : ما أخلقه أن يبلغ ، وان قالوا ليس بعاقل قال : ما أخلقه أن لا يبلغ . وقال الحسين : ثلاثة تذهب ضياعاً : دين بلا عقل ، ومال بلا بذل ، وعشق بلا وصل . وقيل : لا تعتدّوا بعبادة من ليس له عقدة من عقل .

فضل اجتماعها :

قال معاوية لرجل حكيم مسن : أي شيء أَحسن ؟ فقال : عقل طلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة .

عزّة العقل :

كل شيء اذا كثر رخص إلا العقل ، فإنه كلما كثر كان أغلى ولو بيع لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله ، اول شرف العقل أنه لا يشترى بالمال .

قلة العقل وذويه :

قيل لبهلول : عدّ لنا المجانين : فقال : هذا يطول ولكني أعد العقلاء ! ومثله وإن لم يكن من بابه : أن رجلًا كتب كتاباً وعرضه على آخر فقال فيه خطأ كثير ، فقال الكاتب : علّم على الخطأ لاصلحه . فقال : بل أعلّم على الصواب فهو اسهل . وقيل لرجل : ما جماع العقل ؟ فقال : ما رأيته مجتمعاً في أحد فأصفه ، وما لا يوجد كاملًا لا يحد .

فضل مصاحبة العقلاء :

قال الزهري : اذا أنكرت عقلك فاقدحه بعاقل . وقال : عدوك ذو العقل أبقى عليك وأرعى من الوامق الأحمق .

تبرم العقلاء بصحبة الجهال :

قيل : العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أسر منه بلين العيش مع السفهاء . وقيل : قطيعة الجاهل تعدل صحبة العاقل .

لم يبل ذو الجهل الذي دارت عليه صروف دهره
ببلية أشجى له من جاهل يزري بقدره
يمضي حكومته عليه بجهله وجواز أمره

النهي عن مصاحبة الجاهل :

قال لقمان : لا تعاشر الأحمق وان كان ذا جمال ، وانظر الى السيف ما أحسن منظره . وقال الجاحظ : لا تجالس الحمقى فانه يعلق بك من مجالستهم من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهراً من الصلاح ، فإن الفساد أشد التحاماً بالطباع . وقيل : العاقل يضل عقله بمصاحبة الجاهل .

استعمال العقل والجهل مع ذويهما :

قيل : العاقل يعامل الانسان على خليقته ويجاري الزمان على طريقته .

فكن أكيس الكيسى اذا كنت فيهم وإن كنت في الحمقى فكن مثل أحمق
أحامقه حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل، لكنت أعاقله

ذم عاقل متجاهل :

قيل : عظمت المؤنة في عاقل متجاهل وجاهل متعاقل وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة . قال المتنبي :

ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل يرى الناس ضلالاً وليس بمهتد

صعوبة مداواة الاحمق :

لكل داء دواء يستطبُّ به إلاَّ الحماقة أعيت من يداويها

المتنبي

ومن البلية عذل من لا يرعوي عن جهله وخطاب من لا يفهم

روى أن عيسى عليه الصلاة والسلام أتى بأحمق ليداويه فقال : أعياني مداواة الأحمق ولم يعيني مداواة الأكمه والأبرص . وقال الحجاج : أنا للعاقل المدبر أرجى مني للجاهل المقبل . وقيل : انك تحفظ الأحمق من كل شيء إلاَّ من نفسه ، وتداويه إلاَّ من حمقه .

تعب العاقل واستراحة الجاهل :

قيل لحكيم : من أنعم الناس عيشاً ؟ فقال : من كفى أمر دنياه ولم يهتم لأمر آخرته ،
أبو علي كاتب بكر :

من رزق الحمق فذو نعمة آثارهـا واضحـة ظاهره
يحط ثقل المرء عن نفسه والفكر في الدنيا وفي الآخره

آخر: ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

موصوف بالعقل :

كان ابن المقفع والخليل يحبان أن يجتمعا ، فاتفق التقاؤهما ، فاجتمعا ثلاثة أيام يتحاوران ، فقيل لابن المقفع : كيف رأيته ؟ فقال : وجدت رجلاً عقله زائد على علمه . وسئل الخليل عنه فقال : وجدت رجلاً علمه فوق عقله ؛ قال بعض العلماء : صدقا فان الخليل مات حتف أنفه في خص وهو أزهد خلق الله ، وتعاطى ابن المقفع ما كان مستغنياً عنه حتى قتل أسوأ قتلة .

الصنوبري :

فإن يلتمس يوماً حجاكم فإنكم جبال الحجا لكنكم أبحر الجدوى

وقال آخر :

فإن يك حائلًا لوني فإني لعقل غير ذي سقط وعاء

موصوف بالحماقة والجهل :

٨ سئل أعرابي عن رجل فقال : لو كان في بني اسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبحوا غيره !. وقيل : فلان ليس له من عقله فاه ولا من نفسه واعظ . وقيل : أحمق من دغة ومن رخمة ؛ وفي الرخمة : إنك من طير الله فانطقي ؛ يقال ذلك كناية عن الحمق . خامري أم عامر . وقيل : ليس مع فلان من العقل إلاَّ ما يوجب حجة الله عليه إذا أمرَ به إلى النار . وقيل : فلان مخدوع من عقله فلا تستعن به ،

ليس يدري من الجهالة ماذا دوّر البعر في بطون الجمال

وقال آخر :

ربّ ما أبين التبـاين فيه منزل عامر وعقل خراب !

واذا قيل : فلان سليم الصدر ، أو جامح في المسجد ، أو هو من أهل الجنة ، فهو كناية عن الحمق .

تفضيل الجد على العقل :

قيل : استأذن العقل على الجد فلم يأذن له وقال إنك تحتاج إليّ وأنا لا أحتاج اليك ، وافتخر العقل فقال له الجد : أمسك فالك نفاذ ما لم أصحبك . وقيل لأعرابي : فلان أحمق مرزوق . فقال : هذا هو الرجل الكامل . قال : وهيهات الحظوظ من العقول !

آخر : وما لبّ اللبيب بغير حظ بأغنى في المعيشَة من فتيل

صعوبة اجتماع العقل والجد :

قيل : مَن زِيد في عقله نقص من حظه ، وما جعل الله لأحـد عقلًا وافراً إلاّ احتسب عليه من رزقه . وقال شاعر في المعنى :

وخصلة ليس فيها من يخالفني الرزق والجهل مقرونان في قرن

كون الجد من جملة العقل :

روي في الخبر أن الله تعالى اذا أراد أن يزيل نعمة عبد فأول ما يسلب منه عقـــله . وفي كتاب كليلة : السبب المانع حظ العاقل هو السبب لحظ الجاهل . وسئل بعضهم : العقل أفضل أم الجد ؟ فقال : العقل من جملة الجد .

موصوف بالجنون :

وكأنه من دير هرقل مفلت جرد يجر سلاسل الاقياد

آخر : به مـا شئت من حمق ومن جهـل ومن هوج

آخر : به طائف من جنة غير معقب

آخر : كأنه من شهود الجن محتضر وقد رأى عقله منه على سفر

ويقال : فلان سمين الجهل مهزول العقل .

كون الهوى غالباً للهدى :

قال عامر بن الظرب : الرأي نائم والهوى يقظان ، فإذا هوي العبد شيئاً نسي الله ثم تلا قوله تعالى : أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ العقل صديق مقطوع ، والهوى عدو متبوع ، كم من عقل أسير في يدي هوى أمير ؟ وقيل : الهوى شريك العمى ، واتباع الهوى أوكد اسباب الردى . منصور الفقيه :

إن المرآة لا تريك خدوش وجهك في صداها
وكذاك نفسك لا تريك عيوب نفسك في هواها

النهي عن اتباع الهوى :

قال الله تعالى : ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اعص هواك والنساء ، وأطع من شئت . وقيل : للناس في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام آيات اعظمها قوله تعالى « ان النفس لأمارة بالسوء » . وقال بعض الحكماء : اذا اشتبه عليك أمران فانظر أيهما أقرب من هواك فخالفه ، فالصواب في مخالفة الهوى ؛ قال :

من أجاب الهوى إلى كل ما يد   عو اليه داعيه ضل وتاها

النهي عن اتباع هوى غيرك :

قال الله تعالى : ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل . وقال : ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون . وقال : ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه . وقال بعضهم لرجل : إني أهوى ان تقتل فلاناً ! فقال له : إني لا أدخل النار في هوى غيري وان كنت أدخلها في هواي .

ذم من اتبع هواه :

قال الله تعالى : إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس . وقال النبي ﷺ : ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . وقيل : اتباع الهوى أوكد اسباب الردى . ووقع عبد الله بن طاهر الى عامل له :

نفسك قد أعطيتها مناها   فاغرة نحو مناها فاها

وقيل : إن قدمت هواك على عقلك لم تصب رشداً في حياتك ، ولا أمناً بعد وفاتك ، وأنشد :

إن الهوان هو الهوى جزم اسمه   فاذا لقيت هوى لقيت هوانا

حمد مخالفته :

قال الله تعالى : واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى . وبعث ملك الى عابد : ما لك لا تخدمني وأنت عبدي؟ فقال : لو اعتبرت لعلمت انك عبد عبدي . قال : كيف ؟ لانك تتبع الهوى فانت عبده وانا املكه فهو عبدي ، فقال : صدقت . وقيل : سلطان من ملك الهوى فوق سلطان من ملك الدنيا .

ذم من يجهل نفسه :

قال أبو علي الوراق : آفة الناس قلة معرفتهم بقدر أنفسهم . قيل لبزرجمهر : أي العيوب أعظم ؟ قال : قلة معرفة المرء بنفسه . المتنبي :

وَمَن جهلت نفسه قدره   رأى غيره منه ما لا يرى

وقال سقراط : لا شيء أضر بالانسان من رضاه عن نفسه ، فإنه اذا رضي عنها اكتفى باليسير فعابه كل خطير .

مدح من يعرفها :

قال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه : لن يهلك امرؤ عرف قدره . وقيل : أجمع كلمة قول الحكيم ، أفضل العقل معرفة المرء بنفسه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من أَراد الله به خيراً فقّهه في الدين وعرفه عيوب نفسه . وقيل في قوله تعالى : « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » معناه : عرفناهم عيوب أنفسهم .

وقوف المرء على عيب نفسه :

قيل لحكيم : ما أصعب الأشياء ؟ قال : معرفة الانسان عيب نفسه ، والامساك عن الكلام في ما لا يعنيه . وقيل : قد يعرف نقص غيره من لا يعرف نقص نفسه ، ولا يعرف نقص نفسه من لا يعرف نقص غيره ، فآكل الثوم لا يجد نتن نفسه .

الحث على تدبر معايبك :

قال لقمان عليه السلام : لا تدع النظر في مساويك كل وقت لأن ترك ذلك نقص من محاسنك . وقيل : كن في الحرص على تفقد عيوبك كعدوّك .

الحث على قذع النفس :

قال الحسن رضي الله عنه : اقذعوا هذه النفوس فانها طلعة . وقال حكيم : لا ينبغي لحكيم أن يطلب طاعة غيره ، وطاعة نفسه عليه ممتنعة .

أبو ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغَّبتها   وإذا تردّ إلى قليل تقنع

وقيل : العاجز من يعجز عن قذع نفسه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بأشدكم ؟ مَن ملك نفسه عند الغضب .

النهي عن الركون الى النفس :

قال الجنيدر رحمه الله : لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها ، فإن لها خدائع وإن سكنت اليها كنت مخدوعاً . وقيل : من رضي عن نفسه سخط الناس عليه .

المسرور بأن عرف عيوبه :

قال عمر رضي الله عنه : رحم الله امرأ أهدى الينا عيوبنا . وقالت الحكماء : أنت لا ترى عيب نفسك فسل من ترضى عقله ونصحه يعرّفك . وقال رجل لمسعر : أتحب أن تهدى إليك عيوبك ؟ فقال : أمّا مِن ناصح فنعم ، وأمّا مِن شامت فلا . وقيل : ينبغي للرجل أن يكون مرآة أخيه تريه خيره وشره ؛ قال الشاعر :

أصبحت في هيئة المرآة تخبرنا عيوبنا كل ما فينا من الكدر

• •

ما جاء في الحزم والعزم وما يضادهما والظن والشك والتثبت والعجلة

ماهية الحزم والعزم :

قال عبد الملك لعمر بن عبد العزيز : ما العزيمة في الامر ؟ قال : إصداره اذا ورد بالحزم فقال : وهل بينهما فرق ؟ قال : نعم أما سمعت قول الشاعر :

ليست تكون عزيمة ما لم يكن معها من الرأي المشيد رافع

فقال : لله درك عشت دهراً وما أرى بينهما فرقاً . وقيل لبعضهم : ما الحزم ؟ قال التفكر في العواقب .

النهي عن الدخول فيا يصعب الخروج منه :

قال معاوية لعمرو بن العاص : ما بلغ من دهائك ؟ قال : ما دخلت في أمر إلا عرفت كيف الخروج منه . فقال : لكني ما دخلت في أمر قط وأردت الخروج منه . وقيل في الحكمة : ان اتسع لك المنهج فاحذر أن يضيق بك الخروج ؛ قال الشاعر :

واذا هممت بورد أمر فالتمس من قبل مورده طريق المصدر

حمد تلقى الامر بالحزم :

قيل : من لم يقدمه حزمه أخره عجزه . من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ . خذ الامر بقوابله . إن رمت المحاجزة فقبل المناجزة . قبل الرمي تملأ الكنائن . قبل الاقدام تراش السهام . دمث لنفسك قبل اليوم مضطجعاً . اتق العثار بحسن الاعتبار . البحتري :

فتى لم يضيع وقت حزم ولم يبت   يلاحظ أعجاز الامور تعقبا

آخر : وخير الأمر ما استقبلت منه   وليس بأن تتبعه اتباعا

مدح التفكر في العواقب :

قال ازدشير : ليس للأيام بصاحب من لم يتفكر في العواقب . يا عاقد اذكر حلاً . من لم ينظر في العواقب تعرض لحادثات النوائب . قال الشاعر :

ومن ترك العواقب مهملات   فأيسر سعيه أبداً تبار

وقيل : الفكرة مرآة تريك الحسنات والسيئات .

اقامة العذر باستعمال الحزم :

قيل : من استشار فيما نزل به صديقه واستخار ربه وأجهد رأيه ، فقد قضى ما عليه وأمن رجوع الملامة اليه . وقيل : من أعجب الأشياء ، جاهل يسلم بالتهوّر وعاقل يهلك بالتوقي . كشاجم : وعليّ أن أسعى وليس عليّ ادراك النجاح .

تفضيل الحزم على الجهل :

الحيلة أنفع من الغيلة . قال حكيم لابنه : كن بحيلتك أوثق منك بسدتك ، فالحرب حرب للمتهور وغنيمة للمتحذر . وقيل : الاهتداء لوجه الحيلة ، غنيمة جليلة . الموسوي :

ولست مقارعاً جيشاً ولكن   برأيي يستضئ ذوو القراع

فضل التدبير وذويه :

نظام الامر التدبير ورأس الامر التقدير . وقيل : من فعل بغير تدبير وقال بغير تقدير ، لم يعدم من الناس هازئاً ولا حياً . وقيل : فلان يعرف من أين تؤكل الكتف ، ويعرف منابت القصيص ؛ وهما مثلان يقالان في من يعرف وجه الأمر .

الحث على الاشتغال بما يعنيك عما لا يعنيك :

قيل لبعض الحكماء : ما الحزم ؟ قال : حفظ ما كلفت وترك ما كفيت . وقيل للاحنف : بم سدت قومك ؟ قال : بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك . وقال رجل لأفلاطون : لم تختمت في يمينك ؟ فقال : لأعرف المتكلفين ومن يسأل عما لا يعنيه .

قال الشاعر : ولا تعترض في الامر تكفى شؤنه

ذم تارك ما يعنيه لما لا يعنيه :

ابن هرمة :

كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

آخر : هراق الماء واتبع السرابا .

عتب من يضر نفسه لنفع غيره :

العباس بن الاحنف :

صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

ذم الاقتصار على مجرد التوكل :

جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اني أرسل ناقتي وأتوكل ؛ فقال : بل اعقلها وتوكل . مر الشعبي بإبل قد فشا فيها الجرب فقال لصاحبها : أما تداوي إبلك ؟ فقال : ان لنا عجوزاً نتكل على دعائها . فقال : اجعل مع دعائها شيئاً من القطران ! وفي كتاب كليلة : لا يمنع العاقل يقينه بالقدر من توقي المخوف بل ليجمع تصديقاً بالقدر وأخذاً بالحزم ؛ قال الشاعر :

والمرء تلقاه مضياعاً لفرصته حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنه حين كره طواعين الشأم ورجع الى المدينة : أتفر من قدر الله ؟ قال : نعم الى قدر الله . فقال له : أينفع الحذر من القدر ؟ فقال : لسنا مما هناك في شيء ، ان الله لا يأمر بما لا ينفع ولا ينهى عما لا يضر ، وقد قال تعالى : ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . وقال تعالى : خذوا حذركم .

ذم طلب الامر بعد فوته :

قيل لبعض الحكماء : هل شيء أضر من التوانيء ؟ فقال : الاجتهاد في غير موضعه . وقيل : العجز عجزان عجز التقصير وقد أمكن ، والجد في طلبه وقد فات ؛ أخذه الشاعر فقال :

تتبع الأمر بعد الفوت تغرير   وتركه مقبلاً عجز وتقصير

وقيل : شر الرأي الدبري ؛ قال الشاعر :

أصبحت تنفخ في رمادك بعدما   ضيعت حظك من وقود النار

الامر بترك التلهف على ما فات :

قال الله تعالى : لا تأسوا على ما فاتكم . قيل : أكبر الأدواء للبدن التلهف على ما لا يدرك . إن ليتاً وإن لواً عناء .

إظهار الندامة والتاسف :

قال الشاعر :

عضضت أناملي وقرعت سني

الكسعي وخبره مشهور :

ندمت ندامة لو ان نفسي   تطاوعني إذاً لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني   لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وهذا هو المضروب به المثل في الندامة ، وإياه عنى الفرزدق بقوله :

ندمت ندامة الكسعيِّ لما   غدت مني مطلقة نوار

صخر بن عمرو :

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه   وقد حيل بين العير والنزوان

آخر : وكنت كناشب في الوحل ينوي   نهوضاً ، وهو يزداد ارتطاما

مدح من لا يندم فيما يباشره :

ابو الاصبع :

لا ينهض العجز في أعقاب نهزته   ولا يصاحب عزماً حين يحتزم

المتنبي : فما تكشفك الأعداء عن ملل   من الحروب ولا الآراء عن زلل

الموسوي في مدح بعضهم :

في قرعه سنه لا يطمع الندم

النهي عن الأغترار :

في المثل : عش ولا تغتر .

وقيل : برد غداة غر عبداً من ظما . وقيل : الفرار بقراب اكيس . وقيل : لا تكن كمن اراق الماء واتبع السراب .

الامر بالاقدام بعد الاتضاح والمدح بذلك :

روّ بحزم ، فاذا استوضحت فاعزم . وقيل : احزم الناس من إذا وضح له الامر صدع فيه . وقيل : أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان والتأني بعد الفرصة ؛ قال الشاعر :

وواقف عند الأمر ما لم يضح له   وامضى اذا ما همّ من كان ماضيا

مدح التجارب :

التجارب ليس لها نهاية ، والمرء منها أبداً في زيادة . وقيل : العقل كالسيف والتجربة كالمسن . وقيل : التجارب مرائي الغيوب ونواظر العيوب .

مدح مجرب :

قيل : فلان حلب الدهر أشطره ، وهو شراب بأنقع ، وهو مؤدم مبشر ؛ قال الشاعر :

حلبت الدهر من عسل وصاب   وذريت الزمان بكل ريح

ومدح اعرابي قوماً فقال : أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة .

ذم غير مجرب :

قيل : فلان غفل لم تسمه التجارب ولم تفترعه النوائب ، وغفل لم تسمه النوب ولم يعض غاربه القتب . وصف اعرابي والياً مغتراً فقال : ما اطول سكر كاس شربها فلان ، ولم يخف من عاقبتها الخمار .

المصيب بظنه :

قيل : من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه . وقال النبي ﷺ : إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم . وقال عليه الصلاة والسلام : اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله . وكأن عمر رضي الله عنه يقال له المحدث لصحة ظنه . وقال النبي ﷺ : إن يكن في هذه الامة محدث فهو عمر ،

ويقال : فلان ألمعي . وقيل : ما تزاحمت الظنون على أمر مستور إلاّ كشفته ؛ قال الشاعر :

اذا ما ظن أعرض أو أصابا

وقال : نجيح مليح أخو مارق يكاد يخبر بالغائب

البحتري :

واذا صحت الروية يوماً فسواء ظن امرىء وعيانه

الموسوي :

ولا علم لي بالغيب إلا طليعة من الحزم لا يخفى عليها المغيب

مدح الشك وسوء الظن :

قيل : بوحشة الشك ينال أنس اليقين . وقيل : عليك بسوء الظن فإن أصاب فالحزم ، وان أخطأ فالسلامة ؛ قال :

وحسن الظن عجز في أمور وسوء الظن يأخذ باليقين

وقيل : من أطال الركون قل ركونه . وقول الله تعالى : « ان بعض الظن اثم » دلالة على أن جله صواب . وقال عبد الملك : فرق ما بين عمر وعثمان ، أن عمر أساء ظنه فأحكم أمره ، وعثمان أحسن ظنه فأهمل أمره . وقيل لبعضهم : أسأت الظن ، فقال : ان الدنيا لما امتلأت مكاره وجب على العاقل أن يملأها حذراً . ابو محمد الخازن :

وما شكّي وان أكثرت إلاّ محاماة على الشيء اليقين

ذمها :

قال الله تعالى : اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن اثم . وقال شيخ لرجل : أظنك كاذباً ؛ فقال : أحمق ما يكون الشيخ اذا استعمل ظنه ؛ وقال : وأضعف عصمة عصم الظنون .

المتنبي :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهّم

مدح التغافل :

سئل حكيم : ما اللبيب ؟ فقال : الفطن المتغافل . ولما أمضى معاوية بيعة يزيد قال يزيد : يا أبت ما أدري أنخدع الناس أم يخدعوننا بما يأخذون منا فقال : يا بني من خدعك فانخدعت له

فقد خدعته . وقيل : اذا أردت لباس المحبة فكن عالماً كجاهل . وقيل : من تغافل فعقلوه ومن تكايس فطبطبوه أي العبوا به على الطبطابة ، قال الشاعر :

ليس الغبي بسيد في قومه لكنّ سيد قومه المتغابي

ولأبي فراس وقد أجاد :

تغابيت عن قومي فظنوا غباوتي بمفرق أغبانا حصى وتراب

من لا يخدع لعقله :

قال عمرو بن العاص : ما رأيت أحداً كلم عمر رضي الله عنه إلاّ رحمته ، لأنه كان لا يخدع أحداً لفضله ، ولا يخدعه أحد لفطنته ؛ وقال اياس بن معاوية : لست بخب ولا الخب يخدعني .

وقيل لرجل : فيك فطنة . فقال : ما ذنبي إذ خلقني الله عاقلا

مدح التثبت :

قال الشعبي : أصاب متأمل أو كاد ، واخطأ مستعجل أو كاد . وقال عمرو بن العاص : لا يزال المرء يجني من ثمرة العجلة الندامة . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما دخل الرفق في شيء إلاّ زانه ولا الخرف إلاّ شانه ؛ قال الشاعر :

لا تعجلنّ فربما عجل الفتى في ما يضره

الموسوي :

وشوكة ضغن ما انتقشت شباتها ذهاباً بنفسي ان يقال عجول

مدح العجلة :

لأبي العيناء وقد قيل له : لا تعجل فالعجلة من الشيطان فقال : لو كان كذلك لما قال نبي الله موسى عليه السلام : وعجلت اليك رب لترضى . وقيل : المتأني في علاج الداء بعد أن عرف الدواء كالمتأني في اطفاء النار وقد أخذت بحواشي ثيابه . وسأل ابو علي البصير ابن منارة ، حاجةً فقال : رح إلى وقت العصر ، فجاء وقت الظهر فقال : لم أعدك وقت العصر ؟ فقال : نعم ولكن رأيت الإفراط في الاستظهار أحمد من الاستظهار في التواني .

ما تحمد فيه العجلة :

قال معاوية : ما من شيء يعدل التثبت . فقال الاحنف : إلاّ أن تبادر بالعمل الصالح أجلك : تعجل إخراج ميتك ، وتنكح الكفء ابنتك .

مدح انتهاز الفرصة :

الهيبة خيبة والفرصة تمر مر السحاب . وقيل : انتهز الفرصة قبل أن تعود غصة الافتراص اقتناص وقيل : الفرصة ما إذا أخطأك نفعه لم يصبك ضره .

التفكر في العواقب :

قيل : احمد تغنم ولا تفكر في العواقب فتهزم ؛ قال الشاعر :

إذا حدثته النفس أمضى حديثها وهان عليه ما يرى في العواقب

وقيل : من تفكر في العواقب لم يشجع في النوائب .

طلب الامر بالمداراة :

قال الاحنف : عجبت لمن طلب أمراً بالمغالبة وهو يقدر عليه بالملاينة ، ولمن طلب أمراً بخرق وهو يقدر عليه برفق . وقيل لبعضهم : ما الدهاء ؟ فقال : قتل العدوّ في لطف .

مدافعة العدو بالمداراة :

في كتاب كليلة : لا تسلم من العدو القوى بمثل التذلل والخضوع ، كما أن الحشيش إنما يسلم من الريح العاصف بانثنائه معها أينما مالت به الريح ساعدته ؛ أخذه ابن الرومي فقال :

كالريح والزرع استكان لمرّها وعتت فلم نقدر على تقصيفه

كم قد نجا منه الضعيف وما نجا منه العنيف بلفه ولفيفه

وتهاتن الجذع الابي مهزه فأتت عليه ولم ترع لخفيفه

ولهذا الباب نظائر في العداوات .

الجهل بمستقبل الزمان :

قال الله تعالى مخبراً عن النبي عليه السلام : ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء .

القطامي : وما يعلم الخيرَ امرؤ قبل أن يرى ولا الشر حتى تستبين دوائره

آخر : تبين أعقاب الأمور إذا مضت وتقبل أشباها عليك صدورها

● ● ●

ومما جاء في المشاورة والاستبداد بالرأي

الحث على مراجعة الأوداء ومدح المشاورة :

قال الله تعالى : وشاورهم في الامر . وقيل : من شاور أهل النصيحة سلم من الفضيحة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : المشاورة حصن من الندامة وأمن من الملامة . وقيل : ما هلك امرؤ عن مشورة . وقيل : الرأي الواحد كالسحيل ، والرأيان كالخيطتين ، والثلاثة أمداد لا ينقض . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم المؤازرة المشاورة ، وبئس الاستعداد الاستبداد ، الأحمق من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة . من شاور الأوداء أمن مِن الاعداء . نصف رأيك مع أخيك فاستشره .

الحث على مشاورة الحازم اللبيب :

قال الجاحظ : أَحسن ما قيل في المشورة قول بشار :

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن   بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة   فـإن الخوافي قوّة للقوادم

وقوله : ولا كل ذي رأي بمؤتيك نصحه   ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولـكن إذا ما استجمعا عند واحد   فحق له من طاعـة بنصيب

عبدالله بن معاوية :

وان بابُ أمرٍ عليك التوى   فشاور نبيهـاً ولا تعصِه

وقال عمر رضي الله عنه ، الرجال ثلاثة : رجل ذو عقل ورأي فهو يعمل عليه ، ورجل إذا أحزنه أمرٌ أتى ذا رأي فاستشاره ، ورجل حائر بائر لا يأتي رشداً ولا يطيع مرشداً .

الحث على استشارة الكبار :

قال زياد لابي الاسود : لولا أنك كبرت لاستعملتك واستشرتك . فقال : إن كنت تريدني للصراع فليس في ، وان كنت تريد الرأي فهو وافي . وقيل : زاحم بعود أودع . وقيل : عليك برأي الشيوخ فقد مرت على وجوههم عيون العبر وتصدعت لاسماعهم آثار الغير .

الحث على استشارة الصغار :

قال هرم : عليكم في المشاورة بالحديث السن الحديد الذهن . وقيل : رأي الشيخ كالزند قد انثلم ورأي الشاب كالزند الصحيح الذي يوري بأيسر اقتداح .

الحث على مشاورة العدوّ :

في كتاب كليلة : لا ينبغي للعاقل أن يترك استشارة عدوه ذي الرأي فيما يشركه ذلك العدو في نفعه وضره . وقيل : استشر عدوك تعرف مقدار عداوته .

من يجب أن تجتنب مشاورته :

قال قيس لابنه : لا تشاورن مشغولاً وان كان حازماً ، ولا جائعاً وإن كان فهيماً ، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً ، ولا مهموماً وإن كان فطناً ، فالهم يعقل العقل ، ولا يتولد منه رأي ، ولا تصدق منه روية . وقيل : لا تدخل في مشورتك بخيلاً فيقصر بفعلك ، ولا جباناً فيخوفك ، ولا حريصاً فيعدك ما لا يرتجى ، فالجبن والبخل والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن . وقيل : لا تشاور من ليس في بيته دقيق . وكان كسرى إذا أراد أن يستشير إنساناً بعث إليه بنفقة سنة ثم يستشيره . وقيل : لا تشيرن على معجب ولا متلون ، وخف الله من موافقة هوى المستشير . وقيل : اياك ومشاورة النساء فرأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : شاوروهن وخالفوهن . وقال : لا تستضيئوا بنار المشرك أي لا تستشيروه .

المستدعي المشورة :

قال عمر رضي الله عنه : صاحب الحاجة أبلـه لا يرشد الى الصواب ، فلقنوا أخاكم وسددوا صاحبكم . أعرابي :

دلّا عـلى حيلة فيها لنا فرج اذ الدليل عـلى خير كمن فعلا

آخر : خليليّ ليس الرأي في صدر واحد أشيرا عـليّ اليوم ما تريان

الحث على نصيحة مستشيرك :

قال ابن عباس رضي الله عنه : ان الرجل لا يزال يزاد في صحة رأيه ما نصح مستشيره ، فاذا غش مستشيره سلبه الله صحة رأيه . ولما أصاب زياد الطاعون في يده أحضر له الاطباء فدعا شريحا فقال له : لا صبر لي على شدته وقد رأيت ان أقطعها . فقال شريح : أتستشيرني في ذلك ؟ قال :

نعم . فقال : لا تقطعها فالرزق مقسوم والاجل معلوم ، وأنا أكره أن تقدم على ربك مقطوع اليد ، فإذا قال لك لمَ قطعتها ، قلت بغضاً للقائك ، وفراراً من قضائك ، فات زياد من يومه . فقال الناس لشريح : لم نهيته عن قطعها ? فقال : استشارني والمستشار مؤتمن ، ولولا الامانة لوددت أن أقطع يده يوماً ورجله يوماً . وقال يحيى : لا تشيرن على عدوك وصديقك إلا بالنصيحة ، فالصديق يقضي بذلك حقه ، والعدوّ يهابك إذا رأى صواب رأيك .

من يجب أن يشار عليه اذا استشار :

قيل : لا تشر على مستبد ، ولا على وغد ، ولا على لحوح ، ولا معجب ، ولا على متلون ، وخف الله في موافقة المستشير ، فالتماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة . وقيل : من طلب الرخص من الإخوان عند المشاورة ، ومن الاطباء عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبه ، فقد خدع نفسه .

من ضرب لمستشيره مثلا صمم في مشورته :

شاور المنصور سلم بن قتيبة في قتل أبي مسلم صاحب الدولة فقال : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فقال : عيشك . واستشار فيه آخر فقال : ولن يجمع السيفان ويحك في غمد . واستشار معاوية الأحنف في بيعة يزيد فقال الاحنف : أنت أعلم بليله ونهاره وسره واجهاره ، فان كنت تعلمه له ايضاً وللامة صلاحاً فلا تشاور فيه أحداً ، وان كنت تعلم غير ذلك فلا تزوده الدنيا وانت صائر الى الاخرة ، وإنما علينا أن نقول ، سمعنا وأطعنا .

الممدوح بأنه مستشار :

امرأة من إياد :

المستشار لأمر القوم يحزبهم   اذ الهنات أهم القوم ما فيها

ابو تمام :

يطول استشارات التجارب رأيه   إذا ما ذوو الرأي استشاروا التجاربا

الرغبة في الاستبداد بالرأي :

قال بعض الحكماء : ما استشرت أحداً قط إلا تكبر علي وتصاغرت له ، ودخلته العزة وأدركتني الذلة ، واياك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب . وكانت الفرس والروم مختلفين في الاستشارة فقالت الروم : نحن لا نملك من يحتاج أن يستشير . وقالت الفرس : نحن لا نملك من يستغني عن المشاورة وفضل الفرس لقوله تعالى : وشاورهم في الامر . وما زال المنصور يستشير أهل بيته حتى مدحه ابن هرمة بقوله :

يزرن امرأ لا يصلح القوم أمره ولا ينتحي الأدنين فيما يحاول

فاستوى جالساً وقال : أصبت والله فاستشار بعد ذلك . وقال بعض جلساء هارون : انا قتلت جعفر بن يحيى ، وذلك أني رأيت الرشيد يوماً وقد تنفس تنفساً مفكراً ، فانشدت في أثره :

واستبدّت مرة واحــدة إنّما العاجز من لا يستبدّ

فاصغى اليه واستعاده ، فقتل جعفر ابعد عن لبث . وقال المهلب : لو لم يكن في الاستبداد بالرأي الا صون السر وتوفير العقل ، لوجب التمسك بفضله .

المتفادى من أن يستشار :

استشار عبدالله بن علي عبدالله بن المقفع فيما كان بينه وبين المنصور فقال : لست أقود جيشاً ، ولا أتقلد حرباً ، ولا أشير بسفك دم ، وعثرة الحرب لا تستقال ، وغيري أولى بالمشورة في هذا المكان . واستشار زياد رجلاً فقال : حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختبار متظاهر ، ولا أراني هناك . واجتمع رؤساء بني سعد الى أكثم بن صيفي يستشيرونه فيما دهمهم من يوم الكلاب فقال : إن وهن الكبر قد فشا في بدني وليس معي من حدة الذهن ما ابتدىء به الرأي ، ولكن اجتمعوا وقولوا فاني اذا مر بي الصواب عرفته .

• •

ومما جاء في وصف العلم والعلماء مدحا وذما ووصف الحفظ والنسيان

عز العلم :

قال الله تعالى : إنما يخشى الله من عباده العلماء . وقال : شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم . وقال الامام أبو حنيفة : ان لم يكن العلماء أولياء الله في الارض فليس لله فيها ولي . قال الاحنف : كل عز لم يؤيد بعلم فإلى ذل يصير . وقيل : العلم يوطىء الفقراء بسط الملوك .

الادب كالحسب :

قيل : من نهض به أدبه لم يقعد به حسبه . وقيل : شرف الحسب يحتاج إلى شرف الادب ، وشرف الأدب مستغن عن شرف الحسب . وقال الاحنف : من لم يكن له علم ولا أدب لم يكن له حسب ولا نسب . وقال شاعر :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا　　يغنيك محموده عن النسب

آخر : ما ضر من حاز التأدب والنهى　　أن لا يكون من آل عبد مناف ؟

البالغ بعلمه مبلغ الملوك :

قيل : لما وقعت الفتنة بالبصرة ورضوا بالحسن اجتمعوا عليه وبعثوا اليه ، فلما اقبل قاموا ، فقال يزيد بن المهلب : كاد العلماء يكونون أرباباً ، أما ترون هذا المولى كيف قام له سادات العرب ؟ وقيل : تعلموا العلم فانه يوطىء المساكين بسط الملوك . ونظر عمر رضي الله عنه الى رجل في هيئة نفيسة فقال : ألست ابن قيس بالبصرة ؟ قال : نعم ، ولكني كاتب ، فقال : لله در العلم ما زال يرفع أهله ؛ قال الشاعر :

العلم يرفع بالخسيس الى العلا　　والجهل يقعد بالفتى المنسوب

قيمة المرء علمه :

قال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه : قيمة كل امرىء ما يحسنه ؛ وأخذ ابن طباطبا هذا المعنى فقال :

حسود مريض القلب يخفي أنينه　　ويضحي كئيب البال عندي حزينه

يلوم علي أن رحت في العلم دائباً　　أجمع من عند الرواة فنونه

فيا عاذلي دعني أغالي بقيمتي　　فقيمة كل الناس ما يحسنونه

فضل العلم على المال :

قال عبد الملك : اطلبوا معيشة لا يقدر سلطان جائر على غصبها ، قيل : ما هي ؟ قال : الادب . ولصالح بن عبد القدوس :

قد يجمع المرء مالاً ثم يسلبه　　عما قليل فيلقى الذل والحربا

وجامع العلم مغبوط به ابداً　　فلا يحاذر منه الفوت والطلبا

وقيل : العلم ميراث غير مسلوب ، وقريب غير مغلوب . وقيل : الفضيلة بكثرة الآداب لا بفراهة الدواب . وقال الجنيد : من فضيلة العلم على المال ان الله فهم سليمان مسألة فمنّ عليه وقال : ففهمناها سليمان ، وأعطاه الملك ولم يمن عليه بل قال : هذا عطاؤنا فامنن او أمسك بغير حساب .

من ذمه وفضل المال عليه :

قال الشاعر : ما المرء الا بما يحوي من النشب

آخر : لا تغبطن اديباً ما له نشب لا خير في ادب الا مع النشب

جحظة : ان الزمان لمن تقدم في النباهـة منقلب

البديهي : أكثر المقتفين للعلم والا داب في ذلة وفي مـلاق

وصف العلم بأنه يورث الغنى :

قيل : الادب يجلب الجمال ويفيد المال . وقيل : من لم يفد بالادب مالاً استفاد به جمالاً . وفي كتاب كليلة : العالم اذا افتقر فعلمه الذي معه يقويه كالاسد معه قوّته التي يعيش بها حيث توجه . قال الاصمعي لرجل : ألا أدلك على خليل إن صحبته زانك ، وإن احتجت اليه مانك ، وان استعنت به أعانك ؟ قال : نعم . فقال : عليك بالادب .

وصفه بأنه يورث الزهد :

العلم يزهد في الدنيا الضارة ويرغب في الآخرة السارة .

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : تعلموا العلم فإنه عون للفقير ، أما اني لا أقول يطلب به الدنيا ولكن يدعوه الى القنوع .

قلة الاعتداد بالخالو من العلم :

كان الوليد يلاعب عبد الله بن معاوية بالشطرنج ، فاستأذن عليه ثقفي موصوف بالثروة ، فستر الشطرنج بمنديل ، فلما دخل وجلس استنطقه فقال : أحفظت القرآن وشيئاً من الفقه ؟ قال : لا . قال : أفرويت شيئاً من الآثار والأشعار وأيام العرب ؟ قال : لا . فكشف الشطرنج وقال : شاهك فنحن في خلوة . ودخل حكيم دار رجل خلو من العلم ، فرأى اثاثاً وهيئة فاخرة ، وأراد الرجل الداخل أن يبزق بزقة فبزق في وجه الرجل ، فقيل له : ما تفعل ؟ قال : نظرت فلم اجد في هذه الدار أخس منه لخلوه من المعاني الفاضلة ، وإنما يرمى بالبزاق الى أخس المواضع ، فلذلك رميت به في وجهه .

تلذذ العلماء بعلمهم :

كان أبو حنيفة رحمه الله اذا أخذته هزة المسائل يقول : أين الملوك من لذة ما نحن فيه ؟ لو فطنوا لقاتلونا عليه . وقيل : من خلا بالعلم لم توحشه الخلوة ، ومن تسلى بالكتب لم تفته السلوة . وقيل لابن المبارك : من تجالس ؟ فقال : أصحاب النبي ﷺ ، إني أنظر في كتب آثارهم وأخبارهم .

التناسب في العلم :

قيل لعالم : أي المناسبة أخلد ؟ فقال : مناسبة العلم التي غذتها عواطف الشيم . وقيل للنوفلي : ما بلغ من شهوتك للعلم ؟ قال : اذا نشطت فلذتي ، واذا اغتممت فسلوتي . أبو تمام :

وقرابة الآداب تقصر دونها　　عند الأديب قرابة الأرحام

الصولي : ان الكتابة والآداب قد جمعت　　بيني وبينك يا زين الورى نسبا

وقيل : لا ينبغي للأديب أن يخالط من لا أدب له ، كما لا ينبغي للصاحي أن يناظر السكران .

مدح صيانة العلم :

وجه الرشيد الى مالك بن أنس رحمه الله ليأتيه فيحدثه فقال مالك : إن العلم يؤتى ! فصار الرشيد الى منزله فاستند معه الى الجدار ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من إجلال الله تعالى إجلال العلم ، فقام وجلس بين يديه وبعث الى سفيان بن عيينة فأتاه وقعد بين يديه وحدثه ، فقال الرشيد بعد ذلك : يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به . وفي أمثال العرب : إن الثعلب والغراب تحاكما الى الضب فقالا : اخرج واحكم بيننا ، فقال : في بيته يؤتى الحكم . وقال لقمان لابنه : صن علمك فوق صيانة نفسك . وقيل : لم ير أفضل من الخليل في التلطف عن الكسب بالعلم ، كان الناس يأكلون بعلمه وهو في خص له ، وخرج الى مكة والناس يقولون في الحرمين : قال الخليل وذكر الخليل ، ورجع الى البصرة ولم يعلم بمكانه . قال الشيخ رحمه الله : ومن ملك نفسه هكذا فحقيق أن يقال رجل فضل وصدق . وللقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني :

ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي　　لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
ولو أن اهل العلم صانوه صانهم　　ولو عظّموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ، ودنسوا　　محياه بالأطماع حتى تجهما

نعي العلماء عن التهافت على باب السلطان :

قال بعض العلماء : شرار الأمراء أبعدهم عن العلماء ، وشرار العلماء أقربهم الى الامراء . ودنا سقّاء من فقيه على باب السلطان فسأله عن مسألة فقال : أهـذا موضع المسألة ؟ فقال السقّاء : أو هذا موضع الفقيه ؟

وكتب عبد الله المبارك رحمه الله الى ابن علية حين ولي صدقات البصرة :

يا جاعل العلم له بازيا　　يصطاد اموال المساكين

احتلت للدنيا ولذّاتها بحيلة تذهب بالدين !
فأين ما كنت واعظاً من ترك أبواب السلاطين ؟
إن قلت أكرهت فما هكذا زل حمار المعلم في الطين

من زان علمه بعمله :

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ، فرواية العلم كثيرة ورعايته قليلة . كثرة العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب . وقيل : العلم يهتف بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل .

ذم من شان علمه بتقصير :

قال النبي ﷺ : أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، عالم لا ينتفع بعلمه . وقال عليه السلام : أشد الناس ندامة عند الموت العلماء المفرطون . وقال ﷺ : اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، وعين لا تدمع ، ونفس لا تشبع ، وأعوذ بك من شر هؤلاء الأربع . كتب الشافعي رضي الله عنه الى عالم : قد أوتيت علماً فلا تطفىء نور علمك بظلمة الذنوب ، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنورهم .

تفضيل العلم على العمل :

قال النبي ﷺ : فقيه واحد أشد على الشياطين من ألف عابد . وقال ﷺ : عمل قليل في علم خير من كثير منه في جهل . وقال الحسن رضي الله عنه : أدركت قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : من عمل بغير علم كان ما أفسد أكثر مما أصلح .

ذم شره العالم وطلب الدنيا بالعلم :

قال ﷺ : من ازداد في العلم رشداً ولم يزدد في الدنيا زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً . وروى في الخبر : من آتاه الله علماً فلم يتنزه به عن الدنيا كتب بين عينيه : الفقير الى يوم القيامة . قال مالك : قلت للحسن ، ما عقوبة العالم ؟ قال : موت قلبه . قلت : وما هو ؟ قال : طلب الدنيا بعمل الآخرة . قال بعض الأدباء : لأن تطلب الدنيا بأقبح ما تطلب به أحسن من أن تطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة .

قلة العلم وكثرة الجهل :

الطائي : أبا جعفر إن الجهالة أمها ولود وام العلم جداء حائل
علقمة : الجهل ذو عرض لا يستراد له والحكم آونة في الناس معدوم

مدح الحديث :

قال النبي ﷺ : من حفظ حديثاً واحداً من أمر دينه أعطاه الله أجر سبعين صديقاً . وقال ﷺ : من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعث يوم القيامة فقيهاً . وقال ابن عباس : سمعت النبي ﷺ يقول : اللهم ارحم خلفائي . فقلت : ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يروون الأحاديث بعدي .

ذمه وذم أصحابه :

قال شعبة : إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟ وقال محمد بن مطيع : رأيت الحسن بن زياد أسوأ الناس صلاة ، فعاتبته فقال : ما طلب الحديث أحدٌ إلا ساءت صلاته ! وقال عمرو بن الحارث : ما رأيت علماً أشرف ولا أوضع أهلاً من الحديث ، وهم شر خلف من خير سلف .

مدح الاسناد :

قيل : الاسناد قيد الحديث . وقيل : الحديث من غير اسناد كالجمل بلا زمام وخطام . وصف أعرابي رجلاً فقال : ما أحسن حديثه لو ان له سلاسل يقاد بها ، يعني الاسانيد ؛ قال :

ونص الحديث إلى أهله وإن الامانة في نصه

وقيل في قوله تعالى « أو أثارة من علم » : إنه الاسانيد .

ذمه :

طلب رجل من الحسن اسناد حديث ، فقال : وما تصنع به ، وقد نالتك عظته ، وقامت عليك حجته ؟ وقيل لرجل : كتبت حديثاً بغير اسناده ؛ قال : إني أريده للعمل لا للتسوّق والتجمل . وسأل رجل آخر عن إسناد شعر فقال : والله ماتركت الحديث إلا بغضاً للاسناد ، وأنت تسألنيه في الاشعار !

مدح النحو :

النحو نصاب العلم ونظامه وعموده وقوامه ، ووشي الكلام وحلته وجماله وزينته . وقيل : النحو يرفع الوضيع ويخفض الرفيع ، وكان معلم الرشيد يضرب على الخطأ واحداً وعلى اللحن سبعاً .

ذمه :

نظر بعض الرؤساء الى ابنه وهو ينظر في كتاب سيبويه فقال : أف لك ! علم المؤدبين وهمة المحتاجين . وقيل : مَن كثرت عليه العربية أظلمت عليه الروية . وقيل : اذا كتبت كتاباً فالحن فيه فإن العربيـة مجدودة . ومما يتصل بهذا الباب ان بعض الفصحاء كان يدخل على بعض عمال

البصرة وهو يعرب في كلامه ، فقال له يوماً : إن لم تترك الاعراب ضربتـك . فقـال : اني اذا أشقى الناس به . ضُربت صغيراً لأتعلم وضربت كبيراً لاترك .

ذم الكثير منه :

ذكر النحو عند المأمون فقال : علم يغنيك أدناه عن أقصاه . وقال ابو حنيفة : المكثر من النحو كالمكثر من غرس شجر لا يثمر . وقيل : النحو ملح العلم ، ومتى استكثر من الملح في الطعام فسد . وذكر أهل النحو عند بعض البلغاء فقال : أغزرهم علماً أنزرهم فهماً !

مدح العروض وذمه :

قيل : معرفة العروض تسهل عليك ما تعوّج من الشعر ، فإنه نصابه ونظامه وعموده وقوامه . وعاب النظام الخليل فقال : تعاطى ما لا يحسنه ورام ما لا يناله ، وفتنته دوائره التي لا يحتـاج اليها غيره . ودخل اعرابي مسجد البصرة فانتهى الى حلقة علم يتذاكرون الاشعار والاخبار ، وهو يستطيب كلامهم ، ثم أخذوا في العروض فلما سمع المفاعيل والفعول ورد عليه ما لم يعرفه فظن أنهم يأتمرون به ، فقام مسرعاً وخرج وقال :

قد كان أخذهم في الشعر يعجبني ... حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاماً لست أعرفه ... كأنه زجل الغربان والبوم
ولّيت منفلتاً والله يعصمني ... من التقحم في تلك الجراثيم !

ابن طباطبا :

كل العلوم يزين المرء بهجتها ... إلا العروض فقد شانت ذوي الأدب
بي الدوائر دارت من دوائرها ... ما لامرىء أرب في ذاك من أرب
فاستعمل الذوق في شعر تؤلفه ... وزن به ما بنوا في سالف الحقب

مدح الملح :

قال الأصمعي : نلت بالعلم وصلت بالملح . وقيل : النوادر تفتح الآذان وتفتق الاذهان . قال أبو عبيدة : الملح مروءة تنفق عند الاشراف ، فارتادوا لها وانظروا عند من تضعونها .

مدح الكلام :

قيل : المتكلمون دعائم الدين ، ولولاهم لأضلت الملحدة كثيراً من الناس . وروي أن ملك الصفد كتب الى الرشيد يسأله أن يبعث إليه من يعلمه الدين ، فدعا يحيى بن خالد فعرض عليه

الكتاب ، فقال يحيى : لا يقوم لذاك إلا رجلان ببابك : هشام بن الحكم ، وضرار ، فقال : كلا انهما مبتدعان فيلقنان القوم ما يفسدهم ويغويهم بالمسلمين ، ليس لذلك إلا أصحاب الحديث . فقال يحيى : أصحاب الحديث لا يحسنون وأهل الصفد قد غلب عليهم الثنوية ، فأبى أبو يوسف ووجه بعض أصحاب الحديث ، فلما ورد أكله أهل الصفد بالحجج ، فقال ملك الصفد : ما أضعف دينكم وحججكم ! فضحك صاحب الحديث ، فقال الملك : وما هذا الضحك ؟ فقال : انا لسنا اصحاب الحجج ، فاننا مقلدة ، وعندنا من له الجدل وعنده الحجج ولا يقوى لهم أحد ، وقد أشار بعض المحصلين على صاحبنا أن لا يبعثنا فوقع الغلط عليه .

ذمه :

قال أبو يوسف : من طلب الدين بالكلام تزندق . وقيل : ما تعلم أحد الكلام إلا ساء ظنه بالناس . وقيل : من جعل غرضاً للجدال أكثر التنقل من رأي الى رأي . وحكى بعض الصوفية قال : استشرت أبا عبد الله بن حنيف في تعلم الكلام فقال : لا تفعل فأقل ما فيه أنك تسيء عشرة الرب ، فقلت : كيف ذلك ؟ فقال : لانك أبداً تقول ، لو فعل الله كذا لكان جاهلاً ، ولو كان كذا لكان عاجزاً ، ونحو ذلك مما يجري في كلامهم .

مدح الفقه :

قال النبي ﷺ : اذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه في الدين وعرّفه عيوب نفسه . وقال ﷺ : لكل شيء عماد ، وعماد هذا الدين الفقه . وقال ﷺ : الانبياء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة . وقال ﷺ : فقيه واحد أشد على إبليس من ألف عابد .

مدح الحساب :

قال الله تعالى فالق الاصباح : وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم . وقال الله تعالى : هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . وقيل : الحساب ديباج العلم . وقال علي بن زين : لو رفع الحساب لبطلت العلوم ، ولو رفعت العلوم لم يبطل الحساب .

مدح استخراج المعمى وذمه والحاذق فيه :

قيل : استخراج المعمى يدقق النظر ويصقل الذهن ويفطن القلب . وقيل : ان بعض اليونانيين كتب بلغتهم كتاباً الى الخليل ، فخلا به شهراً حتى فهمه ، فقيل له في ذلك فقال : علمت انه لا بد من أن يفتتح الكتاب باسم الله فبنيت على ذلك ، فقست عليه وجعلت ذلك أصلاً ففتحت ثم وضع كتاب المعمى على ذلك . وقال أبو حاتم : سألت الاصمعي عن المعمى فقال : هو عمى القلب .

وقال الجاحظ : ليس المعمى بشيء قد كان كيسان مستملي أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال ، ويكتب خلاف ما يسمع ، ويقرأ خلاف ما يكتب ، يتعسر عليه استخراج أخف نكتة من المعمى .

معرفة النسب :

سئل بعضهم عن علم النسب فقال : هو علم لا تنفع معرفته ولا يضر جهله . وقال رجل لابي عبيدة : علمني شيئاً من النسب ، فقال : ما تستفيد بذلك الا معرفة المعايب . وقيل : فلان أنسب من دغفل ومن ابن لسان الحمرة . المتنبي في نبطي عارف بالنسب :

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء !
بها نبطي من أهل السواد يدرس أنساب أهل الفلاء

وصف فنون من العلم :

قيل : علم الملوك النسب والخبر والشعر ، وعلم السلطان المغازي والسير ، وعلم التجار الحساب ، وعلم الكتاب معرفة الخط وتصريف اللغات . وقيل : العلوم ثلاثة : علم الدين لمعادكم ، وعلم الطب لابدانكم ، وعلم الهندسة لمعاشكم . وقيل : تعلموا الفقه لأديانكم ، والطب لابدانكم ، والنحو لبيانكم .

متبجح باستيعاب العلم :

قال ابن المنجم : أحب أن ألقي عدى بن الرقاع فأقول له ألست القائل :

وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لكي أزدادها

ثم أريه أنه قد جهل كل علم إلا قوله الشعر الذي يتقدمه عليه غيره ، ثم أحسن أدبه وأعرك أذنه . ولكشاجم في معناه :

ومازلت أبغي الشعر من حيث يبتغي وأفتن في أفنانه أتطرفه
فقد صرت لا ألقي الذي أستزيده ولا يذكر الشيء الذي لست أعرفه

وهذا من الاعجاب المفرط والجهل بفنون العلم ، وكفى دلالة بقلة معلوم الورى قوله تعالى : وما أوتيتم من العلم الا قليلاً .

جودة الحفظ وذكر الحفاظ :

قيل : فلان أحفظ بما يسمعه من الرمل للماء ، وهذا أثبت في صدره من الحمد لله . ولما نزل قوله تعالى « وتعيها أذن واعية » قال النبي ﷺ لعلي : سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي ، فلم يسمع بعد ذلك شيئاً إلا حفظه . وقيل : كان عمرو بن هبيرة يضبط حساب العراق وهو أمي . وقال

الشعبي : ما كتبت سوداء في بيضاء إلا حفظتها . وقال : احفظ كل حديث سمعت ، والموضع الذي سمعت فيه . وقال الاصمعي : أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة ، فقال رجل : منها البيت والبيتان ، فقال : ومنها المائة والمائتان ! وورد أبو مسعود الرازي أصبهان ، ويقال انه أملى عن ظهر قلبه مائة ألف حديث ، فلما وصلت كتبه قوبلت بها فلم يعثر منها على سقطة إلا في متن حديثين . وادعى الخوارزمي أنه حفظ كتاب الامثال لأبي عبيدة في ليلة . وقيل : جرى حديث الحفظ لما كان بأصبهان ، فقرىء عليه أوراق من حساب البقالين ، فأعادها على الترتيب .

النسيان وذكر بنيه :

قيل : فلان لو غابت عنه العافية لنسيها . وحكى جراب الدولة أن رجلاً كان على عاتقه صبي عليه قميص أحمر ، وهو ينادي من وجد صبياً عليه قميص أحمر ، فقيل : أليس هو على عاتقك ؟ فلمسه فقال : أحسنت كنت نسيته ! وقال قتادة يوماً ما نسيت شيئاً قط ، ثم قال في أثره : يا غلام ائتنى بنعلي ، فقال له الغلام : أليس نعلك في رجلك ؟ وكان قد نسيه .

عذر من نسي أمراً :

قال النبي ﷺ : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . وقال تعالى في آدم : فنسي ولم نجد له عزماً . وقال تعالى : وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وسمى الناسي ابن سهوان ، ومنه قيل : ان الموصين بنو سهوان .

البحتري : ان كنت أنسيتها فلا عجب   قد عاهـد الله آدماً فنسي

وقال آخر :   وسميت إنساناً لانك ناسي

تذكر الشيء :

قيل في المثل : ذكرتني الطعن وكنت ناسياً . ابن الرومي في تذكر المتلو بالعود الى ما قبله وهو بديع في بابه :

وتالٍ تـلا يوماً فانسني آية   فأعيت عليه حين رام انتهازها
فكر عـلى ما قبلها متدبراً   فثاب له فكر فأفضى حجازها
فشبهته بابن السبيل تعرضت   له وهدة فاستصعبت حين رازها
فقهقر عنها قيس عشرين خطوة   فجاش إليها جيشة فأجازها

ما يورث النسيان :

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : مما يورث النسيان الحجامة في النقرة ، والبول في الماء الراكد ، وأكل التفاح الحامض ، وأكل الكزبرة ، وأكل سؤر الفأر ، وقراءة ألواح المقابر ، والنظر الى المصلوب ، والمشي بين الجملين المقطرين ، والقاء القملة الى الارض . وقيل : إن الباقلاء تفسد من الحفظ في يوم ما لا يصلحه البلادر في سنة .

تصنيف الكتب :

قال الجاحظ : لا يزال المرء في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً أو يصنف كتاباً وقيل : من ألف فقد استهدف ، فإن أحسن فقد استشرف ، وإن أساء فقد استقذف . وقيل : عرض بنات الصلب على الخطاب أسهل من عرض بنات الصدر على ذوي الالباب .

جاهل يصنف كتاباً أو يقول شعراً :

الفضل بن سلمة :

عجباً منك أبا الهيثم اذ كنت تصنف

أحمد بن أبي طاهر :

أظن دعوته في الشعر جائزة   له علي كما جازت على النسب

وقال آخر :

ويوهمنا أنه شاعر   كأنا قدمنا من البادية

ابن الرومي :

كيف لا يشتد وسواسي   حيث أشعارك تدراسي ؟
ما اقتنى مثلك دهر السوء   إلا حين إفلاس

التعريض بجاهل :

قال حجازي لابن شبرمة : منا خرج العلم ، فقال : نعم ولكن لم يعد إليكم . وأورد رجل على آخر علماً فقال : أتحمل التمر الى هجر ؟ فقال : اذا قل حملها وتزر نخلها .

قال الشاعر :

يتعاطى كل شيء وهو لا يحسن شيئاً

وقال آخر :

موّه في ما ادعاه من حكم　　لكنّ تمويهه على بقر

وقال آخر :

وقال الطائزون فني أديب　　فصعد مقلتيه له وتاها
وأطرق للسائل أي بابه　　ولا يدري وحقك ما طحاها

جاهل غير عارف بجهله :

قيل : من لا يدري وهو لا يعلم انه لا يدري فذاك جاهل فعلموه ، ومن لا يدري وهو يقدر انه يدري فذاك أحمق فاجتنبوه .

قال الشاعر :

جهلت ولم تعلم بأنك جاهل　　ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل

وقال آخر :

أخالد لم تعلم ، ولست بعالم　　بأنك لا تدري ، وذا غاية الجهل

وبضدّ ذلك تمدح من قال : ما فيّ من فضيلة العلم إلا علمي بأني لست بعالم .

العتب على من يذم علماً :

تحدث يوماً شريك بحديث فقال عافية القاضي لا أعلم هذا ، فقال : وهل يضر عالماً جهل جاهل ؟

المتنبي : وكم من عائب قولاً صحيحاً　　وآفته من الفهم السقيم

ابن الرومي :

عابوا قريضي وما عابوا بمعرفة　　ولن ترى الشمس أبصار الخفافيش

ذم مستكثر لعلمه معجب بنفسه :

ذكر النظام الخليل فقال : توحد به العجب فأهلكه ، وصوب له الاستبداد صواب رأيه فتعاطى ما لا يحسنه . وقال ابليس : ثلاث من كنّ فيه أدركت حاجتي منه : من استكثر علمه ، ونسي ذنبه ، وأعجب برأيه ؛ ويدخل في هذا الباب ما ذكر في قول عدي بن الرقاع وقد تقدم .

ذم مدّع العلم :

كشاجم : تشبّه في النحو بالأخفشين فجاء باعجوبة مطرفه
ولم يسمع النحو لكنه قرا منه شيئاً وقد صحفه
فان لم يكن أخفش الناظرين فإن الفتى أخفش المعرفه
وقال آخر :
فما لك بالغريب يد ، ولكن تعاطيك الغريب من الغريب
أبو العتاهية :
أشد الناس للعلم ادعاء أقلهم بما هو فيه علما
الصولي في نفطويه :
يشرع في أكثر العلوم ولا يعرف منها أقلها خطرا

من ادعى ففضحه الامتحان :

ويدعي الحفظ للقرآن ولا يقوم بالحمد وحدها نظرا
قيل : لسان الدعوى اذا نطق فضحه الامتحان .
قال الشاعر :
كل من يدعي بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان

دم من يصيب من غير

٦ ذم اعرابي رجلاً فقال : خطئوه بعد اجتهاد ، وصوابه من غير اعتماد .
قال الشاعر :
يصيب وما يدري ويخطي وما دري وكيف يكون النوك إلا كذلك ؟

الموصوف بالاصابة مرة والخطأ اخرى :

قيل في المثل : يشج مرة ويأسو أخرى . وقيل : شخب في الاناء وشخب في الارض يشوب ويروب . فؤاد خطاء وواد مطر .

من سئل فتبله :

قال الشاعر :

سألته عن علمه فكأنما سألت عن سكانه ربعاً خلا

وقال آخر : كأنهمُ عند السؤال جلامد

من يروي علماً ولا يفهم :

قال الله تعالى : كمثل الحمار يحمل أسفاراً . قال ابن الرومي : فإن تقل إنني رويت فكالدفتر جهلًا بكل ما اعتقده .

محنة العلماء في أيدي الجهال :

قال النبي ﷺ : ارحموا عزيز قوم ذل ، وغنياً افتقر ، وعالماً بين جهال . وقيل : ان أردت أن تعذب عالماً فاقرن به جاهلًا . وقيل : ان ثمامة بن أشرس لما غضب عليه الرشيد سلمه إلى خادم يقال له ياسر ، وكان الخادم يتفقده ويحسن اليه حتى سمعه ثمامة يوماً يقرأ : ويل يومئذ للمكذبين ، بفتح الذال ، فقال ثمامة : ويحك ! المكذبين هم الانبياء اقرأ المكذبين بكسر الذال ، قد قيل لي انك زنديق ولم أصدق ، أتشتم الانبياء؟ ثم هجره وتركه فلم يتفقده . فلما رضي عنه الرشيد وردّه الى مجلسه سأله يوماً : ما أشد الاشياء؟ فقال : عالم يجري عليه حكم جاهل ! فظن الرشيد انه تعريض به حتى عرفه خبر الخادم .

معاداة الجاهل العالم :

قال رجل لعبيد الله بن عبدالله بن طاهر : الناس أعداء ما جهلوا ، فقال : هذا في كتاب الله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله .

معاداة العلماء بعضهم بعضاً :

قيل : هلاك العلماء بحسدهم . وقيل : الحسد والملق مذمومان في كل شيء الا في العلم . قال ابن عباس : لا تقبلوا قول العلماء بعضهم على بعض ، فإنهم يتغايرون تغاير التيس في الزريبة . وقال الاشج : إني لاغار على الحديث كما يغار على الجارية الحسناء .

أبو تمام :

وما أنا بالغيران من دون جارتي إذا أنا لم أصبح غيوراً على العلم

• • •

ومما جاء في التعلم والتعليم وما يتعلق بهما

وجوب التعلم :

قال النبي ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم . سقراط : من لم يصبر على تعلم العلم وتعبه صبر على شقاء الجهل . وقال بعضهم : تعلموا الادب وان لم ينلكم حظ من الدنيا ، فلأن يذم فيكم الزمان أحسن من أن يذم بكم .

تفصيل بث العلم ووجوبه :

قال النبي ﷺ : من علم علماً فكتمه ألجمه الله تعالى بلجام من نار يوم القيامة . وقال الحسن رحمه الله : زكاة العلم تعلمه . أتى رجل الزهري ليحدثه فابى فقال : ان الله تعالى لم يأخذ الميثاق على الجهال أن يتعلموا حتى أخذه على العلماء أن يعلموا ؛ قال الله تعالى : واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه . وقيل : ما يتصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره . وأتى طالب علم باب عالم فقال : اعطني مما أعطاك الله ، فامر له بدراهم ، فقال : أنا طالب هدى لا طالب ندى ، فعلم أوضح لبساً خير من مال أغنى نفساً .

فضل المعلم والمتعلم معاً :

قال النبي ﷺ : لا خير في من كان من أمتي ليس بعالم ولا متعلم . وقيل : الناس عالم ومتعلم وما سواهما همج .

وجوب تعظيم المعلم :

قيل للاسكندر : انك تعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك . فقال : لان أبي سبب حياتي الفانية ، ومؤدبي سبب الحياة الباقية ! وقال النبي ﷺ : لا يقام لأحد إلا لذي علم أو لذي سن أو لذي سلطان . وقيل : لا يستخف أحد بمن تعلم منه علماً الا وضيع خامل أو رفيع جاهل . وعن بعض العلماء : لا يتحركن ثلاثة لاحد : القاضي في يوم مجلسه ، والكاتب في وقت أمره ونهيه ، والمؤدب في مكتبه .

وجوب تعظيم المتعلم :

قال النبي ﷺ : وقروا من تتعلمون منه ووقروا من تعلمونه . قال أبو العالية للناس أي ليكن الفقير والغني عندك سواء في تعلم العلم .

اختيار التلامذة وحث كل الى تعلم ما يليق به :

سأل أفلاطون بعض تلامذته عن مسألة لم تكن تليق بحاله ، فقال : لست من أهلها فلكل تربة غرس ولكل بناء أس . وقيل : تصفح طلاب علمك كما تتصفح خطاب حرمك . وكان يونس يختلف إلى الخليل يتعلم منه العروض فصعب عليه تعلمه ، فقال له الخليل يوماً ، من أي بحر قول الشاعر :

إذا لم تستطع شيئاً فدعــه   وجاوزه إلى مــا تستطيع

ففطن يونس لما عناه الخليل فترك العروض . وقيل : اختر كل انسان للفن الذي يستطيبه ، فبقدر شهوته يكون نفاذه فيه .

منع العلم عن غير أهله :

قال المسيح عليه السلام : لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، وكن كالطبيب الحاذق يضع دواءه حيث يعلم انه ينتفع به . وفي بعض الكتب : يا بني اسرائيل لا تطرحوا الدر بين أيدي الخنازير فتطؤه وهي لا تعرفه . وقال الامام الشافعي رضي الله عنه :

ومن منح الجهال علماً أضاعه   ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقيل : ما كل تربية تحتمل القلائد ، ولا كل ضريبة تستحق الفوائد .

النهي عن تعليم الأوغاد وذمهم اذا تعلموا :

قالت الحكماء : لا تعلمن الدنيء علماً فيستفيده منك ويصير به عدواً لك ، فلأن يتضع ألف من عليين أولى من أن يرتفع دنيء واحد . وقيل لبعضهم : أي علم أضر ؟ فقال : ما يفاد الأوغاد . وقيل لابي سنان : تموت وتدخل علمك معك القبر ! فقال : ذاك أحب الي من أن أجعله في إناء سوء . ورأى حكيم رجلاً يعلم دنيئاً علماً فقال له : أتسقى سهماً ترمى به يوماً ؟

دعبل في أبي تمام :

إن عابني لم يعب إلا مؤدبه   فنفسه عاب لمــا عاب أدابه
وكان كالكلب اضراه مكلبه   كيما يصيد له فاصطاد كلابه

وقال آخر :

أعلمه الرمــاية كل يوم   فلما اشتد ساعده رمــاني
وكم علمتــه نظم القوافي   فلمّا قــال قافية هجــاني

دنيء استفاد علماً فازداد به شراً :

البديهي وقد أجاد :

إذا ما اقتنى العلم ذو شرة　　تضاعف مـا ذم من مخبره
وصادف من علمـه قوّة　　يصول بها الشر في جوهره
وصار عـدوّاً لإخوانه　　وسيفاً حساماً عـلى معشره

فضل تعليم الاولاد :

يروى عن النبي ﷺ : ما منح والد ولداً أفضل من أدب حسن . وكانت اليونانية تورث الابناء الادب والبنات النسب . وقيل : من أدب ولده صغيراً قرّت به عينه كبيراً . وقيل : من أدب ولده أرغم حاسده . حكي أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية يقول لهم : ما أشد ما مرّ بكم في هذا الحبس ؟ فقالوا : ما فقدنا من تأديب أولادنا . وقيل : لا يحب الاب ابنه حتى يبغضه على ترك الادب .

فضل التعلم في الصغر :

قيل : بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الاشغال . وسمع الحسن رجلًا يقول : التعلم في الصغر كالنقش في الحجر ، فقال : الكبير أوفر عقلًا منه لكنه أشغل قلباً . وقيل : من لم يتعلم في الصغر هان في حال الكبر . وقال الشاعر :

هل الحفظ إلا للصبي؟ فذو النهى　　يمارس أشغالاً تشرد بالذكر

فضل التعلم في الكبر :

قيل لانو شروان : أيحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ قال : ان كانت الجهالة تقبح منه فالتعلم يحسن به، فقيل : والى متى يحسن منه ؟ فقال : ما حسنت به الحياة . وقيل لحكيم : ما حد التعلم ؟ فقال : حد الحياة أي يجب له أن يتعلم ما دام حياً . وقال شيخ للمأمون : أقبيح بي أن أستفهم ؟ فقال : بل قبيح بك أن تستبهم !

الاحوال التي تحصل بها العلوم :

قيل : لا يصير الانسان عالماً إلا بخمس : غريزة محتملة للعلم ، وعناية تامة ، وكفاية قائمة ، واستنباط لطيف ، ومعلم فصيح .

وقيل :　لا تستطيع أن تعي العلوم السنيه　　حتى تمحو من ذهنك الامور الدنيه

الاوقات المرتضاة للدرس :

قيل : انظروا في العلم بالليل فالقلب بالنهار طائر وبالليل ساكن أي ساكن . وقيل لبعضهم : لمَ اخترت الغدوة للدرس ؟ فقال : لان العقل أجم لقرب عهده بالصمت ، وبعد جوارحه من المعاصي .

من سهل عليه التعلم :

قيل : اذا كانت الطبيعة نقية اكتفت بالاذكار وغنيت عن التكرار . وقيل : فلان يكتفي باللحظ ويستغني عن اللفظ .

من عسر عليه التعلم :

قال الله تعالى : لا يكادون يفقهون قولاً . وقال بعض الحكماء : صقلك سيفاً ليس له جوهر من سنخه خطأ ، وحملك الصعب المسن على الرياضة عنــاء ، وبثك الحب في أرض سبخة ترجو نباتها جهل .

أبو تمام : السيف ما لم يلف منه صيقل   من سنخه لم ينتفع بصقال

وقال الخليل رحمه الله لبليد : ما أجد لقفل بلادتك مفتاحاً !

تعسر تعلم الكبار :

نظر رجل الى فيلسوف يؤدب شيخاً فقال : ما تصنع ؟ قال : اغسل مسحاً لعله يبيض ؛ قال :

ومن العناء رياضة الهرم

وقال آخر :

أدب الكبير من التعب   كبر الكبير عن الادب

وقال آخر : إن الرياضة لا تجدي لدى الشيب

وأسلم بعض الولاة هرماً الى كتاب ليتعلم شيئاً من القرآن ، وكان اذا تعلم شيئاً نسي ما قبله ، فوجه إليه أن ابعث الي من يتسلم مني ما أحفظه أوّلاً فأوّلاً .

من يعلم من هو أعلم منه :

قيل : كمستبضع التمر الى هجر ، وكمعلمة أُمها البضاع . وقيـل : تعلمني بضب أنا حرّشته . وقيل : فلان يقرأ سورة يوسف على يعقوب عليهما السلام .

المتنبي : فآجرك الاله على عليــل   بعثت الى المسيح به طبيبا

ويقال : أنا منه كحاقن الإهالة اذا كنت عارفاً به .

الحث على الحفظ دون الاعتماد على الكتب :

قيل : اذا فقد العالم الذهن قل على الأضداد احتجاجه ، وكثر الى الكتب احتياجه . وقيل لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي .

محمد بن بشير :

ليس بعلم ما يعي القِمَّطر   ما العلم إلا ما وعاه الصدر

وله ايضاً :

إذا لم تكن حافظاً واعيا   فجمعك للكتب لا ينفع

وقال آخر :

غدوت بتشمير وجد عليهم   فمحبرتي سمعي ودفترها قلبي

ضبط العلم بالكتابة :

قيل : قيدوا العلم بالكتابة . سقراط : ما بنته الاقلام لم تطمع في دروسه الأيام . وقيل : العلم بند فاجعلوا الكتب له حماة ، والاقلام عليها وعاة . العلم عقود فاجعلوا الكتب لها نظاماً . وقيل : اكتبوا ما تسمعونه من الحكم ولو في بياض النواظر بأطراف الخناجر .

وصف المثبت لكل ما يسمع :

قال أعرابي في رجل يكتب كل ما يسمع : أنت حتف الكلمة الشرود .

وقال آخر :

ما أنت إلا الحفظه   تكتب لفظ اللفظه

قال الأصمعي : قال لي أعرابي رآني أكتب ما أسمع واستحسن : لا تدع شيئاً إلا نمصته أي نتفته .

السؤال عما يجهل :

يروى عن النبي ﷺ انه قال : العلم خزانة مفتاحها السؤال . وقال أنس : السؤال يعمر العلم . وقيل : لا تسل رياء ولا تتركه حياء . وقيل : سل سؤال الحمقى واحفظ حفظ الأكياس . وقيل لدغفل : بم أدركت هذا العلم ؟ فقال : بلسان سؤال وقلب عقول .

وقال الشاعر :

شفاء العمى طول السؤال ، وإنما   تمام العمى طول السكوت على الجهل !

الحث على الأخذ من الصغير والكبير :

قال النبي ﷺ : الحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدها قيدها . وقيل : خذ الحكمة ممن تسمعها منه ، فرب رمية من غير رام ، وحكمة من غير حكيم . وقيل : لا يمنعنك ضعة القائل عن الاستماع إليه ، فرب فم كريه مج علماً ذكياً وتبر صاف في صخر جاس . وسمع الكندي كلمة من مخنث فكتبها ، فلاموه على ذلك فقال : رب لسانِ خنث نتج لفظاً فحلًا ، والجوهرة النفيسة لا يشينها سخافة غائصها ولا دناءة بائعها . وقال بزرجمهر : أخذت من كل شيء أحسن ما فيه حتى من الكلب ذبه عن حريه ، ومن الخنزير بكوره في مقاصده . وقال ابن السكيت لرجل : أتراك أحطت بما لم أحط به ؟ فقال : وما أنكرت ، وقد قال الهدهد وهو أخس الطيور لسليمان ، أحطت بما لم تحط به .

مدح من يقول لا ادري :

سئل الشعبي عن مسألة فقال : لا ادري . فقيل : ألا تستحي من قولك هذا وأنت فقيه العراقيين ؟ فقال : ان الملائكة لم تستحي اذ قالت : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ! وقيل لابي عمر ومثله فقال : أقبح من هذا أن أقول فاخطىء وأروي فلا أروى ؛

شاعر : إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده   أطال فأملى أم تناهى فقصرا

وقال الحسين رضي الله عنه : لو أن العالم كل ما قال أحسن وأصاب لأوشك أن يجن من العجب ، وانما العالم من يكثر صوابه . وقال بعض الفقهاء ، العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة قائمة ، ولا أدري فيقتضي اجتهاداً .

ذم من يقول ذلك :

سئل رجل عن شيء فقال : لا أدري ولا أدري نصف العلم . فقيل له : لكنه النصف الأخس ! وقال آخر مثل ذلك فقيل له : فقله مرتين تحز العلم كله . وقال آخر ذلك فقيل له : لكن أبوك بالنصف الآخر تقدم .

صعوبة جانب العلم :

قال الخليل رحمة الله عليه : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، ثم أنت في إعطائه اياك بعضه مع إعطائك اياه كلك على خطر . وقيل : لا يتأدب الرجل حتى يتجنب الفراش الوطىء والدثار الدفىء . وقيل : لا يدرك العلم من لا يطيل درسه ولا يكد نفسه . وقيل لبعض العلماء : ذلت طالباً فعززت مطلوباً . فقال : من ذل طلبه عز أدبه . وقال ارسطاطا : ليس طالب العلم كالغائص في البحر ، لا يصل الى الجواهر الكريمة إلا بالمخاطرة العظيمة .

ترفيه النفس في طلبه :

قال النبي ﷺ : ان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . وقيل : دار القلب ، فاذا نشط فأودعه وإذا فتر فتودعه . وقيل : روحوا الأذهان كما تروحون الأبدان ، فإن العقل المكدود ليس لرؤيته لقاح ولا لرأيه نجاح . وقيل : نفسك مطيتك ، إن رفهتها اضطلعت ، وإن تحاملت عليها انقطعت .

الحرص على الاستكثار منه وعزه اذا كثر :

قال ﷺ : منهومان لا يشبعان : منهوم في العلم ، ومنهوم في المال . وقيل : الشره في المال دناءة ، وفي العلم نباهة . وقيل : كل شيء يعز حين يتزر ، والعلم يعز حين يغزر .

اتساع القلب بازدياد العلم :

قال ابو نواس : ما وأيت شيئاً إلا قليله أخف من كثيره الا العلم فإنه كلما كان اكثر كان أخف محملًا . وقيل : كل إناء يفرغ فيه شيء يضيق الا القلب ، فإنه كلما افرغ فيه علم اتسع . وقال أنوشروان : قلب العالم كبيت فيه مصباح ، لا يضيق عن تظاهر النور فيه بل يتسع للنظر ويزيد في الضياء .

الترغيب في اختيار النكت :

قيل : العلم أكثر من أن يحوى فخذوا من كل شيء أحسنه . وقيل : حلّ طبعك بالعيون والفقر ، فالشجرة لا يشينها قلة الحمل اذا كانت ثمرتها نافعة . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : العلم كثير فارعوا أحسنه ، أما سمعتم قول الله تعالى : فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؟ قال الشاعر :

قالوا : خذ العين من كل فقلت لهم :   في العين فضل ولكن ناظر العين

تناول طرف من كل نوع :

قال يحيي بن خالد : انتق من كل علم طرفاً ، فمن جهل شيئاً عاداه وأكره أن تكون عدوّ الشيء من الآداب . وقيل : اذا أردت أن تكون عالماً فاقصد فناً واحداً ، واذا اردت أن تكون أديباً فخذ طرفاً من كل فن . وقيل : من لا يعلم إلا فناً واحداً من العلم سمي الخصي من العلماء .

تقديم تعلم ما لا يستغنى عنه :

قال المأمون : العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره ، فابدؤا بالأهم فالأهم بالفرض قبل النفل ، ان الأهم المقدم . وقيل : ضيع الناس الأُصول بتركهم الأُصول .

النهي عن الخوض في فنون من العلم :

قيل : ازدحام العلم في السمع مضلة للفهم . وقيل : اذا رأيتم رجلًا يريد تعلم أنواع العلوم فداووه . وقيل : من رام أن ينتحل فنون العلم استخف بنحيزته ووقف النـــاس على غميزته ؛ قال الشاعر :

تعلمت حتى من كلاب عواءها لعمري لقد أسرفت في طلب العلم !

كثرة العلم :

قال الحسن رضي الله عنه : ما ترك قول الله تعالى « وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا عالماً يظن أن علمه كثير » . وقيل لفيلسوف : إلى أين بلغت في العلوم ؟ قال : الى الوقوف على القصور عنها .

زهد من يقرب من العلماء في العلم :

قيل : أزهد الناس في العالم جاره . وقيل : العالم كالجة من البئر يأتيها البعداء ويزهد فيها القرباء . وقيل لرجل : كيف غلبت البرامكة ؟ فقال : بنطراف الغرباء والملالة من القرباء . وقال أنو شروان: رأيت في منامي رجلًا يعدو والماء خلفه يناديه فعبر بأنه رجل يفر من العلم ، وعالم ينـاديه ليفيده وهو يمتنع منه .

حمد التأديب :

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : الناس عالم ومتعلم وما سواهما همج ؛ فدل ذلك على تفضيل التأديب وجميع ما تقدم من عموم فضل التعليم ، فدلالة على فضل المؤدبة . وقال ابن ثابت : ان المؤدبة ولدوا بنجم الملوك حاسبون حسابهم . وسأل الرشيد يوماً : من اكرم الناس خدماً ؟ قيل : أمير المؤمنين . فقال : لا بل أكرمهم خدماً الكسائي ، فقد رايته يخدمه الأمين والمأمون ولبا عهد المسلمين ، وليس لي من الخدم مثلها . وقال خالد بن صفوان لمؤدب : انت انظفنا وصيفاً ، واحضرنا رغيفاً .

ذم التأديب وكونه نقصاً لذوي الفضل :

كلف اسمعيل بن علي عبدالله بن المقفع ان يجلس مع ابنه في كل اسبوع يوماً ، فقال : اتريد ان اثبت في ديوان النوكي ؟ وقال سعيد بن سلم : قصدت الكوفة فرايت ابن المقفع فرحب بي وقال : ما تصنع ههنا ؟ فقلت : ركبني دين فأحوجت إلى الازعاج ، فقال : هل رايت احداً ؟ فقلت: ابن شبرمة ، وعرفته حالي . فقال : انا اكلم الامين ليضمك إلى اولاده ، فيكون لك نفع فقال : اف لذلك ! ايجعلك مؤدباً في آخر عمرك اين منزلك ؟ فعرفته فاتاني في اليوم الثاني وانا مشغول بقوم يقرؤن علي ومعه منديل ، فوضعه بين يدي فاذا فيه اسورة مكسورة ودراهم متفرقة مقدار

اربعة آلاف درهم ، وحينئذ زمان المنصور وفي الدراهم ضيق فأخذت ذلك ورجعت به الى البصرة واستغنت به . قال الشاعر :

كفى المرء نقصاً أن يقال بأنه   معلم صبيان وإن كان فاضلا

وقال آخر :

إن المعلم   ث كان معلم   ولو ابتني فوق السماء سماء

وصايا المؤدبين في الاولاد :

اوصى هشام بن عبدالملك سليمان الكلبي لما اتخذه مؤدباً : ان ابني هذا هو جلدة ما بين عيني وقد وليتك تأديبه ، فعليك بتقوى الله واداء الأمانة فيه بخلال : اوّلها انك مؤتمن عليه ، والثانية انا امام ترجوني وتخافني ، والثالثة كلما ارتقى الغلام في الأمور درجة ارتقيت معه ، وفي هذه الخلال ما يرغبك في ما اوصيك به ، ان اول ما آمرك به ان تأخذه بكتاب الله وتقرئه في كل يوم عشراً يحفظه حفظ رجل يريد التكسب به ، ثم روّه من الشعر احسنه ، ثم تخلل به في احياء العرب فخذ من صالح شعرهم هجاء ومديحاً ، وبصره طرفاً من الحلال والحرام والخطب والمغازي ، ثم اجلسه كل يوم للناس ليتذكر . وقال عتبة بن ابي سفيان لمؤدب ولده : ليكن اوّل إصلاحك لولدي إصلاح نفسك فان عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنته ، والقبيح ما استقبحته . علمهم كتاب الله ، وروّهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ، ولا تكرههم على علم فيملوه ولا تـــدعهم فيهجروه ، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فازدحام العلم في السمع مضلة للفهم . وعلمهم سير الحكماء وهددهم وأدبهم دوني ، ولا تتكل على كفاية منك واستزدني بتأثيرك أزدك ان شاء الله تعالى . وضرب أبو مريم مؤدب الامين والمأمون الأمين بعود فخدش ذراعه . فدعاه الرشيد الى الطعام فتعمد أن حسر عن ذراعه ، فرآه الرشيد ، فسأله فقال : ضربني أبو مريم ، فبعث اليه ودعاه قال فخفت ، فلما حضرت قال : يا غلام وضئه . فسكنت وجلست آكل فقال : ما بال محمد يشكوك ؟ فقلت : قد غلبني خبثاً وعرامة ! قال : اقتله فلأن يموت خير من أن يموق .

الحث على تفقد المؤدب :

قيل : أولى من تبذل له ثراك من أفادك علاك وصقل حجاك ؛

قال الشاعر :

إن المعلم والطبيب كلاهما   لا ينصحان إذا هما لم يكرما

فأصبر لدائك إن جفوت طبيبه   واصبر لجهلك إن جفوت معلما

ووقع الصاحب لبعض المؤدبة إلى من تقاعد بمشاهرته :

الكلب يرفع نفسه ويجلها مع
من ان يفيت مؤدباً مستوجباً من اجرته

وسمع مؤدب يلقن صبياً ، واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً . فقيل له : ما هذا ؟ فقال : إن أباه يدخل مشاهرة شهر في شهر ، وأنا أدخله من سورة الى سورة لئلا يحصل على شيء كما لا احصل أنا على شيء .

نوادر المعلمين فيما يقرأ عليهم الصبيان :

قرأ صبي على معلم ، وإن عليك اللعنة يا شيخ ! وأخذ يكرر ويقف فقال : عليك وعلى والديك . فقال الصبي : ليس فيه وعلى والديك لكنه عليك هل ألحقه به ؟ وقرأ آخر على معلم : اخرج منها فإنك رجيم . فقال : ذلك أبوك الكشحان . وقرأ آخر على معلم : ما لنا في بناتك من حق . وأخذ يكررها كالمستفهم فقال : لا ولا كرامة لك .

نوادرهم فيما يقرأ عليهم من التصحيفات :

قرأ صبي على معلم : إني أريد أن أنكحك ! فقال : هذا اذا قرأت على أمك القحبة . وقرأ آخر : عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون . فقال : هؤلاء أكراد لا ملائكة . وكان معلم يلقن صبياً « عبس وتولى » فكان يقول أبس وتولى ، فضربه المعلم فقال : عاه ! فقال : حول العين من ههنا الى ثم وخلصني . وقرأ آخر : وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصل . فقال : يا ابن الفاعلة ، لعلك تشتهي البصيلة ؟

ما وصف من لواط المعلمين :

وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام وهو صبي وضيء الوجه ، فبعث به هشام الى عبد الصمد مؤدب ولده الوليد ليؤدبه ، فراوده عن نفسه فخرج من عند المؤدب مغضباً ، ودخل على هشام وهو يقول :

انه والله لولا أنت لم ينج مني سالما عبد الصمد

فقال : وما ذاك ؟ فقال :

إنه قد رام مني خطة لم يرمها قبله مني أحد !

قال : وما ذاك ؟ فقال :

رام جهلًا بي وجهلًا بأبي يولج العصفور في خيس الاسد !

فطرد عبد الصمد عن داره . وحدث الاحيمر النحوى ، وكان مؤدب الأمين : اتخذ عليه بعد حماد عجرد ، وكان حماد اتخذ عليه بعد نفي قطرب ، قال : كان سبب نفيه أن حماداً كان يتعشق الأمين ويطمع أن يتخذ عليه مؤدباً ، فلم يتأت له ذلك حتى استوى الامر على قطرب ، فاحتال حماد وكتب هذين البيتين وناولها بعض الخدم على يد مجهول :

قل للأمير : جزاك الله صالحة لا يجمع الدهر بين السخل والذيب!

السخل غر ، وهم الذيب غفلته والذيب يعلم ما في السخل من طيب!

فلما قرأهما الرشيد نفى قطربا واتخذ حماد عجرد ، وجعل عليه ثمانين من الرقباء ، فخاف قطرب لما وسم بهذه السمة فهرب الى الكرج ، والتجأ الى أبي دلف فحسن حاله . ودخل المأمون ديوان أحمد بن يوسف فصادف حوله مرداً حساناً فقال :

أسد رابض حواليه أسد ليس ينجو من الأسود الظباء

وقال خلف الاحمر لمعلمه وهو في الكتاب ، وقد راوده عن نفسه :

أتترك في الحلال مشق صاد وتأتي في الحرام مدا رميم ؟

حماقة المعلمين :

قال يعقوب الدورقي : الله أعان على عرامة الصبيان بحماقة المعلمين . وقال سهل بن هارون : لم أر قاضياً ولا عدلاً معلم كتاب ، لا في تافه حقير ولا في ثمين خطير . وقال الشاعر :

وكيف يرجى العقل والرأي عند من يروح على أنثى ويغدو على طفل ؟

وقال آخر :

أنت أحلى معلم وطويـل حسبنا ربنا ونعم الوكيل !

وقال الجاحظ :

المعلمون على ضربين ، منهم من ارتفعوا عن أولاد العامة إلى تعليم أولاد الملوك والمرشحين للخلافة كالكسائي وقطرب وحماد وعبد الصمد ، فهؤلاء لا تجوز عليهم الحماقــة ، وان لكل قوم حاشية وجهالاً وسفهاء .

ما وصف من ذكاء الصبيان وكيسهم في الكتاب :

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك له : لم لحنت ؟ فقال : الجواد يعثر . فقال المؤدب : إي والله ويضرب حتى يستقيم . فقال يزيد : وربما يرمح سائسه فيكسر أنفه . ويروى عن ابن السكيت قال : أحضرت لاتخذ على المعتز بالله فقلت له : بأي شيء نبدأ اليوم ؟ فقال : بالخروج . فقلت : نعم . فعدا من بين يدي وعثر على المرمر فقال :

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فقلت للمتوكل : جئتم بي لتأديبه وهو آدب مني فأمر لي بعشرة آلاف درهم . قال أبو محمد يحيي وكان مؤدب المأمون في صغره : صليت يوماً قاعداً فأخطأ المأمون فقمت لأضربه . فقال : أيها الشيخ أتطيع الله قاعداً وتعصيه قائماً ؟ فكتبت بهذا الى الرشيد ، فأمر لي بخمسة آلاف درهم . وحكي أنه بدر من أبي عمر الصباغ الى الصاحب جفاء وكان مؤدبه ، فقام من عنده وكتب اليه :

أودعتني العلم فلا تجهل كم مقول يجني على مقتل ؟
وأنت إن علمتني سوقة والسيف لا يبقى على الصيقل !

فاتصل ذلك بأبي الحسين بن سعد فتعجب منه وكتبه ، وقال : ابن ثمانين يكتب شعر ابن عشر ، ثم تلا : وآتيناه الحكم صبيًّا .

أمارة نجابة الصبيان :

١ قيل لاعرابي : ما أمارة النجابة في صبيانكم ؟ قال : اذا كان أعنق أشدق أحمق فأقرب به من السودد ! وقال الزبرقان : أكيس صبياننا العريض الورك ، السبط الغرة ، الطويل الغرلة ، الابله العقول . وقال بزرجمهر لكسرى وعنده أولاده : أي أولادك أحب اليك ؟ قال : أرغبهم في الأدب وأجزعهم من العار ، وأنظرهم إلى الطبقة التي فوقه . وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله اذا كبر . وقال معاوية : طيروا الدم في وجوه الصبيان ، فإن بدا في وجوههم الحياء وإلا فلا تطمعوا فيهم .

صبي استدل بعقله على كبر همته :

قيل : أول ما عرف من سودد خالد القسري أنه مر في بعض طرق دمشق راكباً وله عشر سنين ، فوطىء فرسه صبياً فوقف عليه فرآه لا يتحرك ، فانتهى إلى أول مجلس مر به فقال : ان حدث بهذا الغلام حدث فانا صاحب الجناية ولم أعلم . ومر عمر رضي الله عنه بصبيان يلعبون ، وفيهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، فعدا الصبيان ووقف عبد الله فقال له عمر : ما لك لا تذهب مع

الصبيان ؟ فقال : يا امير المؤمنين لم أجن اليك فأخافك ، ولم يكن في الطريق ضيق فأوسعه لك ! فقال عمر : أي شيطان يكون هذا ؟ وكان عبد الملك صغيراً فأربى عليه صبي فضربه فقيل له : لو شكوته الى عمك لانتقم منه ! فقال : أنا لا أعد انتقام غيري انتقاماً . وقال السري الرفاء يصف غلاماً بعلو الهمة :

لا تعجبن من علو همته وسنه في أوان منشاها
إن النجوم التي تضيء لنا أصغرها في العيون اعلاها

من تكلم عند الخلفاء وهو صغير فارتفع بذلك شانه :

أوفد أبو موسى الاشعري زياداً على عمر رضي الله عنه ، وكان يكتب له وهو حين بلغ ، فلما جاء وجده من الكيس بمحل ، فقال عمر : اعتزل عملك . فقال زياد : أعن خيانة ؟ قال : لا ولكني أكره ان أحمل الناس فضل عقلك ومنطقك قال : اذاً لا أبالي ! دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض على ضياعهم ، وهو صبي أمرد ، فقال : السلام عليك يا امير المؤمنين . قال : من أنت ؟ قال : سليل نعمتك وابن دولتك ، وغصن من أغصان دوحتك ، أتأذن لي بالكلام ؟ قال : نعم . فتكلم بكلام حسن ، فقضى حاجته . نظر المأمون الى الحسن بن رجاء وهو صبي في ديوانه فقال : من أنت ؟ قال : الناشيء في دولتك ، المتقلب في نعمتك وتخريج أدبك الحسن بن رجاء . فقال المأمون : بالاحسان في البديهة تفاضلت العقول ، وأمر برفعه عن محله . وفي بعض كتب الفرس أن كسرى اراد كاتباً لأمر أعجله فلم يوجد غير غلام صغير يصحب الكتاب ، فدعاه فقال : ما اسمك ؟ قال : مهرماه . قال : اكتب ما أملي عليك . فكتب قائماً أحسن من غيره قاعداً ثم قال له : اكتب في هذا الكتاب من تلقاء نفسك ، ففعل وضم الى الكتاب رقعة فيها : ان الحرمة التي اوصلتني الى سيدنا لو وكلت فيها الى نفسي لقصرت ان ابلغ إليها ، فان رأى ان لا يحطني الى ما هو دونها فعل . فقال كسرى : أحب مهرماه ان لا يدع في نفسه لهفة يتلهف عليها بعد إمكان الفرصة ، وقد أمرنا له بما سأل . وذكر ان عمرو بن عتبة اعتق غلاماً له فقام اليه وصيف له فقال : اذكرني ذكرك الله ، فاستصغره فقال : ويلك إنك لم تخرف بعد ! فقال : ان النخلة قد تجتني زهواً قبل ان تصير معواً ! قال : قاتلك الله قد استعتقت قد وهبتك لواهبك لي .

وصف بلادة الصبيان في التعلم :

كان معلم يضرب صبياً فقيل له : لم تضربه ؟ فقال : إنه يترك الصواب الهين ويأتي الخطأ الصعب ، فإذا هو يقرأ « يا أيتها النفس المطمئنة » ويقرأ « فيؤخذ بالنواصي والاقدام » . وحكي ان مؤدباً ادعى أنه علم صبياً النحو والفرائض ، فامتحنه أبوه فقال له : كيف تقول ضرب زيد عمراً ؟

قال : كما تقول . فقال له : فما اعرابها ؟ قال : زيد رفع بفعله وما بقى فللعصبية . وأمر آخر معلماً أن يعلمه الفرائض ، فامتحنه يوماً فقال له : ما تقول في رجل مات وخلف ابنتين وابناً ؟ فقال : أما الابن فيسقط . فقال : نعم اذا كان مثلك . وسلم اشعب في البزازين فقيل له بعد سنة : الى اين بلغت في معرفة البز ؟ قال : أحسنت النشر وأرجو ان اتعلم الطي .

• • •

ومما جاء في البلاغة وما يضادها

ما حد به البلاغة :

قيل : البلاغة ما اجتيازه فساده . وقيل : الايجاز من غير عجز والإطناب من غير خطل . وسئل آخر فقال : ان لا تخطىء ولا تبطىء . وسأل المأمون الحسن بن سهل عن ذلك فقال : ما فهمته العامة ورضيته الخاصة . وسئل عنه بعض اليونانيين فقال : تصحيح الأقسام واختيار الكلام . وسئل حكيم عن البليغ فقال : ما اذا اخذ شبراً كفاه وإن اخذ طومار املاه .

ما حد به الايجاز ووصفه :

سئل بعضهم فقال : اللمحة الدالة . قال جعفر بن يحيي البرمكي : إن استطعتم ان تكون كتبكم توقيعات فافعلوا . ووقع محمد بن طاهر أيام الفتنة الى الكتاب : لتدقق الاقلام ويختصر الكلام ، فالقراطيس لا ترام . وقيل : من اطال الحديث فقد عرض اصحابه للسآمة وسوء الاستماع . وقيل : الكلام اذا طال اختل ، واذا اختل اعتل . منصور الفقيه : ولا تكثرنّ فخير الكلام القليل الحروف الكثير المعاني .

وقيل : خير الكلام ما قل ودل ولم يطل فيمل .

كلمات موجزة :

ذكر ذلك يطول ولكن لا بد من ذكر احرف تكون امثلة . سئل جعفر بن يحيي عن اوجز كلام فقال : قول سليمان عليه السلام ، الى ملكة سبا « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، أن لا تعلوا علي وائتوني مسلمين » فجمع في ثلاثة احرف العنوان والكتاب والحاجة واظهار الدين ، وعرض الرشاد الى المكتوب اليهم . وكتب المعتصم الى ملك الروم جواباً عن كتاب تهدده فيه : الجواب ما ترى لا ما تسمع ، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ، والسلام . وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب كتاب عناية موجزة فكتب : كتابي كتاب واثق بمن كتب اليه ، معتنى بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية موصله .

الايجاز والاطناب في محليهما :

قيل لابي عمرو بن العلاء : لم كانت العرب تطيل ؟ قال : ليسمع منها . قيل : فلم توجز ؟ قال : ليحفظ عنها ؛ وقد قال الشاعر في هذا المعنى :

يرمون بالخطب الطوال ، وتارة　　وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وقال ابن قدامة : البلاغة ثلاثة مذاهب : المساواة وهي مطابقة اللفظ والمعنى لا زائداً ولا ناقصاً ، والاشارة وهي ان يكون اللفظ كاللمحة الدالة ، والتذييل وهو إعادة الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، ليظهر لمن لم يفهمه ويتأكد عند من فهمه .

شاعر : يكفي قليل كلامه وكثيره　　ثبت اذا طال النضال مصيب

وأمر يحيى بن خالد كاتبين ان يكتبا في معنى ، فأوجز أحدهما وأطال الآخر ، فقال الموجز ، لما نظر في كتابه : لم أجد موضع مزيد ، وقال المطيل : لم أجد موضع نقصان . وقال جعفر بن يحيى : اذا كان الايجاز كافياً كان الإكثار هذراً ، واذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً .

استقباح اعادة الحديث :

قيل : الحديث الرجيع ، كالحدث والوجيع . وقيل : اذا أُعيد الحديث ذهب ضوؤه ورونقه . قال ابن السماك لجارية له تصغي الى كلامه : كيف تجدين كلامي ؟ قالت : ما أحسنه إلا أنك تكثر ترداده ! قال : إنما أردده ليفهمه من لم يفهمه ! قالت : الى ان يفهمه من لم يفهمه مله من قد فهمه . وقيل لرجل يعيد كلاماً لغبي : قد ثقل كلامك على الذكي ، قبل حصوله في قلب الغبي .

ذم اطالة الحديث :

قيل : من اطال حديثه فقد عرض اصحابه للسآمة وطول الاستماع . وقال سقراط لرجل : أنساني اول كلامك بعد العهد بآخره ، وفارق آخره فهمي لتفاوته . وخطب رجل خطبة نكاح ، فأخذ يطيل فقام بعض الحاضرين فقال : اذا فرغ الخطيب فبارك الله لكم ، فإني على شغل .

الموصوف بالفصاحة :

سمع اعرابي الحسن يتكلم فقال : هو فصيح اذا لفظ نصيح اذا وعظ . وقال :

ملقن ملهم فيما يحاوله　　جمّ خواطره جوّاب آفاق

وقيل : انتهت الفصاحة الى أربع : علي وابن عباس وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم . قال الشعبي : ما رأيت أحداً يتكلم فيحسن إلا أحببت ان يسكت ، إلا زياد فإنه لم يخرج قط من

حسن إلا الى ما هو أحسن منه . وقال يحيى بن زياد : فلان أخذ بزمام الكلام فقاده أحسن مقاد ، وساقه أحسن مساق ، فاسترجع به القلوب النافرة واستصرف له الأبصار الطامحة . وقيل : كلام كنظم الجمان وروض الجنان ، فكأنه من كل قلب ينظم .

بو تمام : من السحر الحلال لمجتنيه ولم أر قبله سحراً حلالا !

الخنساء : كأن كلام الناس جمّع حوله فأطلق في إحسانه يتخيّر

فضيلة اللسان :

قال العباس رضي الله عنه للنبي ﷺ : فيم الجمال ؟ قال : في اللسان . وقيل : ما الانسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة او صورة ممثلة . وذكره بعضهم فقال : لله دره من عضو ما اصغره واكثر ضره ونفعه ! وقيل : مروءتان ظاهرتان : الفصاحة والرياش .

موصوف لسانه بالصرامة :

قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه : ما بقي من لسانك ؟ فضرب به أرنبته وقال : والله لو وضعته على شعر لحلقه او على صخر لفلقه ! قال الله تعـالى : سلقوكم بألسنة حداد . ووصف اعرابي رجلاً فقال : لسانه أدق من ورقة وألين من سرقة .

الغساني : له بين فكيه لسان كأنه حسام دقيق الشفرتين عتيق

آخر : وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

آخر : وحسبت أن لسانه من عضبه

وصف كلام بالسلاسة :

قيل : لو كان الكلام طعاماً لكان هذا اداماً . كلام يقطر عسله . هذا والله نثر نغم أحسن من نثر نعم. كلام كالوبل في المحل . وتكلم المأمون بكلام حسن في مسألة ثم قال لبعض ندمائه : كيف كان الكلام في هذه المسألة ؟ قال : كان والله كغيث وقع على أرض عطشة . فقال : جوابك هذا أحلى لدي من الأمن بعد الخوف !

المتنبي : اذا ما صافح الاسماع يوماً تبسمت الضمائر والقلوب !

قال ابن المقفع : ما زالت ينابيع حكمه تترقرق في معابر الآذان حتى ملأت القلوب عقولاً ، اللفظ الحسن احدى النفاثات في العقد . وقيل في وصف كلام : إنه يحط الجندل ويثقب الخردل ، وإنه لدون السحر وفوق الشعر .

لفظ ساعد المعنى في الجودة :

مدح اعرابي رجلاً فقال : كأن ألفاظه قوالب لمعانيه . قال الشاعر :

ترين معــانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعاني

وقيل : خير الكلام ما كان لفظه بكراً ومعناه فحلاً .

شاعر : نرى حلل البيان منشرات تخير وسطهـا صور المعاني

مدح كلام وسط :

خير الكلام ما لا يكون عامياً سوقياً ، ولا عربياً وحشياً . وقيل : الإيغال في البلاغة معجزة ، والخروج عن كلام أهل الزمان هجنة . قال أبو الاسود الدؤلي لابنه : يا بني إذا كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من لم يبلغه سنك فيستثقلوك ، ولا بكلام من هو دونك فيستحقروك .

مفاضلة الروية والبديهة :

قال معاوية لعمرو بن العاص : أنا آدب منك ! فقال : أنت للروية وأنا للبديهة ، وبينهما بون .

ابن الرومي :

نار الروية نار غــير منضجة وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضِّلها قوم لعاجلهــا لـكنه عاجل يمضي مع الريح

فضل البديهة وما يحاضر به :

قيل : خير الفقه ما حضرت به ، ولا خير في علم لا يعبر معك الوادي ، ولا يعمر بك النادي .

الحطيئة : فهذا بديه لا كتحبير قائل إذا ما أراد القول روده شهرا

المتنبي : أبلغ ما يطلب النجاح بــه الطبع وعند التعمق الزلل

النهي عن التشادق والتقعر وذمهما :

قال النبي ﷺ : إن أبغضكم الي الثرثارون المتفيهقون المتشدقون . وقال ﷺ : اياك والتشادق . وقال بشر بن المعتمر : اياك والتقعر فانه يسلمك الى التعقيد فيستهلك معانيك ويمنعك من مراميك . وقال : تشقيق البيان من شقاشق الشيطان . وقال النبي ﷺ : شعبتان من النفاق، البذاء والبيان ،

وشعبتان من الايمان ، الحياء والعي ، وهذا انما هو لمن جاوز المقدار أو قصر عنه . وكفاك ما قال النبي ﷺ : ان الله يبغض البليغ يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها ؛ وأنشد العجاج :

أمسى الغواني معرضات صددا

وأعرابي حاضر فقال : تنح عن سننه وإلا تسقط منه كلمة فتشدخك . وما أجود ما قال ابن أبي طاهر :

إن خير الكلام ما ليس فيه عند من يفهم الكلام كلام

ذم عي متقعر :

قيل : أعيا العي بلاغة بعي . محمد بن وهيب :

تشبهت بالأعراب أهل التعجرف فدلّ على مثواك قبح التكلف

لسان عرابي إذا ما صرفته إلى لغة الاعراب لم يتصرف

وقال أبو الاسود لابن صديق له : ما فعلت امرأة فلان التي كانت تساره وتضاره وتماره ؟ فقال : طلقها فتزوج بها فلان فحظيت وبظيت . فقال أبو الاسود : ما معنى بظيت ؟ فقال : كلام لم تدر من أي بيض خرج وفي أي عش درج . فقال : إن ما لا أعرفه فاخبأه كما تخبأ المرة خرءها .

من ارتكب أمراً طلباً للسجع :

خرج عبادة إلى عبادان فقيل : ما الذي جاء بك ؟ فقال : لأجمع بين عبادة وعبادان . وكان علي بن رستم خرج إلى بغداد وأسلم فكتب إلى أهله : كتابي اليكم من مدينة السلام عن سلامة واسلام . فقال : أخوه ما خرج أخي وأسلم إلا طلب أن يكتب هذه المسجعة .

ما حد به العي وذمه :

قال اكثم : العي أن تتكلم بفوق ما تقتضيه حاجتك . وقيل : العي معنى قليل يحويه لفظ كثير . وقيل : العي داء دواؤه الخرس . وقيل : لا عي ولا شلل . وتكلم رجل عند معاوية وكان ذا عي فقال عمر : وسكوت الا لكن نعمة ! فقال معاوية : وكلام الاحمق نقمة ! قال النمر بن تولب :

أعذني رب من حصر وعيّ ومن نفس أعالجها علاجا

الآفات المعترضة للسان من العي :

اللثغة تغيير في القاف والسين واللام والراء ، والتمتمة التتعتع في التاء ، والفأفأة في الفاء ، واللفف ادخال حرف في حرف ؛ واياه عنى الشاعر بقوله :

كأن فيه لففا اذا نطق

والتلجلج يقارب ذلك ، والحبسة ثقل في الكلام ، والعقلة اعتقال اللسان ، والحكلة نقصان آلة النطق حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال ، وأصله في الفحل اذا عجز عن الضراب . وقيل : لا يصفو كلام من يكون منزوع الثنيتين .

ما يعرض في بعض اللغات من العي :

كشكشة تميم وهو قلب كاف المؤنث شيناً نحو :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها

وكسكسة بكر وهي قلبها سيناً ، وعنعنة تميم كقوله : ظننت عنك ذاهب . والعجرفة جفاء في الكلام ، واللخلخانية تعرض في أعراب الشحر وعمان ، والطمطمانية لغة في حمير كقولهم طاب امهواء أي طاب الهواء .

استعمال كل كلام مع الجنس المخصوص به :

قيل : الكلام بذلة ومدخر ، فمن تكلم وقت البذلة بالمدخر أتعب نفسه ، ومن تكلم وقت المدخر بالبذلة هجن نفسه .

من خاطب عامياً بتفاصح وتذلق :

اشترى رجل من أصحاب يعقوب الكندي جارية ، فاغتاظت عليه فشكاها الى يعقوب فقال : جئني بها لاعظها . فجاء بها اليه فقال : يا لعوبة ما هذه الاختيارات الدالات على الجهالات ؟ أما علمت أن فرط الاعتياصات من الموبقات على طالبي المودات ، الباذلين الكرائم المصونات موذنات بعدم المعقولات ؟ فقالت الجارية : أما علمت أن هذه العثنونات المنتشرات على صدور اهـــل الركاكات محتاجات الى المواسي الحالقات ؟ فقال يعقوب : لله درها فلقد قسمت الكلام تقسيماً فلسفياً فاشدد يديك بها ! فلم يستوحش من سفاهتها لما أوردت الكلام مسجعاً موزوناً . وقال نحوي لصاحب بطيخ : بكم تانك البطيختان اللتان بجنبهما السفرجلتان ودونهما الرمانتان ؟ فقال : بضربتان وصفعتان ولكمتان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ وصار أبو علقمة الى كواز فقال : أعندك جرة لا فقداء ولا دناء ، ولا مغربلة الجوانب ، خضرة نضرة قد مستها النار ، إن نقرت عليها طنت ، وإن أصابتها ريح غنت ، ولكن بدرهم . فقـال الكواز : دعني من شتمك يا ماص بظرامة !

الاحوال الدالة على العي :

من العي البهر وفتل الاصابع ومس اللحية . ولذلك قال :

ملي ببهر والتفات وسعلة ومسحة عثنون وفتل الاصابع

وقال ابن المقفع : من علامة العي النكث في الارض والاطراق من غير فكرة .

المحتبس في كلامه :

شاعر : كان في فيه لقمة عقلت لسانه فالتوى على حنق
محرك رأسه توهمه قد قام من عطسة على شرق

وقال آخر :

كأن فيه لففاً إذا نطق من طول تحبيس وهمٍّ وأرق

وقال آخر :

ديافية قلف كأن خطيبهم سراة الضحى في سلحه يتمطق

ويقال : هو عياياء طباقاء .

اعتذار محتبس في كلامه :

قال بعضهم : نحن حي فعال ولسنا بحي مقال ، ونحن بأدنى مقالنا عند احسن فعالهم . وقال بعض وفد خراسان : إنا ببلاد نأت عن العرب شغلتنا الحرب عن الخطب . واعتذر رجل لحبسة فقال : يعزب البيان ويعتقم الصواب ، وانما اللسان مضغة من الانسان ، يفتر بفتوره اذا نكل ويثوب بانبساطه اذا ارتجل . وقيل لاعرابي : أين فصاحتك ؟ فقال : لحقت بمواطنها بنجد . شاعر :

إرفق بعبدك ان فيه بلادة جبلية ، ولك العراق وماؤه

المقام الذي لا يستنكف فيه من العي والحصر :

سئل ابن داود متى يكون البليغ عيياً ؟ فقال : اذا سأل عما يتمناه وشكا حبه الى من يهواه . ثم أنشد :

بليغ اذا يشكو الى غيره الهوى وإن هو لاقاه فغير بليغ

وقال بعضهم : موطنان لا آنف من الحصر فيهما : اذا شكوت الى محبوبي عشقي ، واذا سألت حاجة لنفسي .

المحسن في كلامه ابتداء والمسيء انتهاء :

تكلم ابن ثوابه ثم غلط في آخره . فقال ابو العيناء : ترفعت حتى خفتك ثم تخفضت حتى عفتك . وتكلم رجل فأحسن ثم أعاد فأساء . فقال له اعرابي : إنك تسترجع محاسنك .

وصف كلام غير مفهوم :

قال الله تعالى حكاية عن فرعون : أم انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين .

قال الشاعر :

قات لما بدا يجمجم في القو ل ويهذي كأنه مجنون
أنت حقاً شبيه ما ذكر الله مهين ولا يكاد يبين

محمد بن صالح :

يهوى إلي بأقوال يلفقها فلا أعي منه شيئاً وهو يسمعني
يلقى صداي صفير الطير من فمه مخاطباً وهو انسان يكلمني

المستقبح انشاده :

قال عبد الله بن معاوية :

يزين الشعر أفواه اذا نطقت بالشعر يوماً وقد يذرى بأفواه

أبو خليفة :

كأن الشعر من فيه اذا تمت قوافيه كنيف قد خري فيه

ذم من يطول سكوته عيا :

قال الشاعر :

يا صنماً في الصمت لا في الحسن

ووصف رجل آخر فقال : يصلح لصدور المجالس ونظم المحافل ما لم يكن كلام .

كلمات لأهل العي :

قال الحجاج لأبي الجهمة النخاس : أتعيب الدواب المعيبة من جند السلطان ؟ فقال : شركتنا في هوازها وشركتنا في مدانيها ، وكما يجيء يكون . قال الجاحظ : طلبت بعض اصدقائي في داره فلم أجده ، فقلت لجاريته : اذا حضر صاحبك فقولي له ان الجاحظ كان بالباب . قالت : نعم الجاحد بالباب ! قلت : قولي الحدقي . قالت : نعم الجلقي . فقلت : عليك بالاول !

المتكلم بكلام غير متسق :

دق رجلان على باب نحوي فقيل : من ؟ فقال أحدهما : أنا الذي اشترى عبد الله كلم الآجر ، وقال الآخر : أنا الذي ابو يعقوب الجصاص عقد طاق باب هذه الدار . فقال صاحب الدار :

انصرفا فما أرى لكلاميكما صلة . وقال رقبة بن مصقلة : ما أعجزني شيء كما أعجزني رجل قام إليّ يوماً وقد دخلت المسجد فقال : إني رأيتك فشبهتك بي فأعجبني ذلك لك وانا فيه متفكر بعد ، ولا أدري ما معنى كلامه !

من جارى غيره فلحن فأجابه بمقتضى كلامه :

قال رجل لأعرابي : كيف أهلك ! قال : صلباً ؛ أراد كيف أهلك . وقال الوليد لرجل : من ختنك ؟ قال : الحجام ! فضحك القوم وخجل الوليد ؛ وانما اراد ان يقول من ختنك . ومر رجل بدار ميت فقال : من المتوفي ؟ فقال له رجل : الله . فقال له : يا كافر ، الله يموت ؟ فقال : لعلك تريد المتوفّى ؟

من سئل عن نحو فأجاب بمقتضى اللغة :

قيل لرجل : هل ينصرف اسماعيل ؟ قال : نعم اذا صلى العشاء فما قعوده ؟ وتعرض بعضهم للطائي حين أنشد :

وهن عوادي يوسف وصواحبه

فقال : ان يوسف لا ينصرف . فقال : اصفعه حتى ينصرف ! وقال نحوي لأعرابي قال : أعجبني القصر ، بمَ يرفع القصر ؟ فقال : بالآجر والجص . وقيل لأعرابي : أتجر فلسطين ؟ فقال : إني إذاً لقوي ! فقيل : أتهمز اسرائيل ؟ فقال : إني إذاً رجل سوء ! وقيل : أتهمز الفأرة ؟ فقال : الهرة تهمزها . وحكي أن جماعة عند محمد بن بحر اختلفوا في بناء سراويل ، فدخل البرقي فقال : : فيم كنتم ؟ فقالوا : في بناء سراويل فما عندك فيه ؟ قال : مثل ذراع البكر أو أشد . وحكي أن أبا سعيد السيرافي سأل أبا الحسن الموسوي وهو صغير : اذا قلت رأيت عمراً فما علامة النصب فيه ؟ فقال : بغضه لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه !

من أنكر لحناً بنادرة :

مر رجل بأديب فقال : كيف طريق البغداد ؟ قال : بالحذاء . ثم مر به آخر فقال له : كيف طريق كوفة ؟ فقال : من ههنا ، وبادر مع ذلك المار ألف ولام تحتاج اليهما ، وهو مستغن عنهما فخذهما منه ! وقال رجل لأبي العيناء : أتأمر بشيأ ؟ فقال : نعم بتقوى الله وحذف الألف من شيأ . وكان رجل يسقي صديقاً له صرفاً ويغني له :

يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة مابين الأَنف والعين سالم

فقال : أحب أن تجعل ماك من البيت في القدح .

من اعتذر عن لحنه بعذر مستملح :

قصد رجل الحجاج فأنشده :

أبا هشام ببابك قد شم ريح كبابك

فقال : ويحك لمَ نصبت أبا هشام ؟ فقال : الكنية كنيتي إن شئت رفعتها وإن شئت نصبتها ! وكتب محمد الأمين فيما أظن ، على ظهر كتاب :

عشقت ظبياً رقيقاً في دار يحيى بن خاقا

وكتب تحته : أردت خاقان ، وخاقان مولى لي إن شئت أثبت نونه وإن شئت أسقطته . وقال رجل لآخر : ما اشتريت ؟ قال : عسل . فقال : هل لا زدت في عسلك ألف ؟ فقال : وأنت هلا زدت في ألفك ألفاً ؟

من أنكر لحناً بطبعه :

سمع أعرابي مؤذناً يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، بالنصب . فقال الأعرابي فعل ماذا ؟ فهذا علم بطبعه أنه لم يأت بخبر أنّ . وسمع رجل آخر يقرأ : وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ، بفتح الكاف والفاء ، فقال : لا يكون هذا . فقالوا : كفر ! فقال : أما هذا فنعم .

المتأذى بلحنه :

قدم رجل على زياد فقال : ان ابونا مات ، وأخينا وثب على مال أبانا فضيعه ! فقال زياد : الذي ضيعته من لسانك أضر عليك مما ضيعه أخوك من مالك ! ومر عثمان رضي الله عنه برماة يسيئون الرمي فقال : ما أسوأ رميكم ! فقال بعضهم : نحن متعلمين ! فقال : كلامكم أسوأ من رميكم ! ودخل الخليل على مريض نحوي وعنده أخ له فقال للمريض : افتح عيناك وحرك شفتاك ؛ إن ابو محمد جالساً . فقال الخليل : أرى أن اكثر علة أخيك من كلامك ! وسمع الأعمش إنساناً يلحن فقال : من هذا الذي يتكلم وقلبي منه يتألم ؟

المتفادى في كلام الكبار عن كلام فيه

دخل سعيد بن مرة على معاوية فقال له : من أنت ؟ فقال : أنت سعيد وأنا ابن مرة . وقال السفاح للسيد الحميري : أنت السيد ! قال : أنا ابن أبي وأمير المؤمنين هو السيد ! وسأل رسول الله ﷺ قيس بن سعد : أنت أكبر أم أنا ؟ فقال رسول الله أعز وأكبر ، وأنا أقدم منه في المولد ! وقال عمرو بن عثمان لطويس : أينا أسن ، قال : لقد شهدت زفاف أمك المباركة على أبيك الطيب ، فلم يجعل الطيب صفة للأم تفادياً من سوء ظن فيه .

وفي ضد ذلك :

ما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل : أتبيع هذا الثوب ؟ فقال : لا عافاك الله . فقال : لقد علمتم لو تعلمون قل لا وعافاك الله . وتكلم بعض أهل زماننا عند الصاحب فسأله عن شيء فقال : لا أطال الله بقاءك . فقال : قل لا وأطال الله بقاءك ، فقال بعضهم : ما رأينا واواً أحسن موقعاً من واوك !

• • •

ومما جاء في مفاضلة النطق والسكوت والمقال والسماع

تفضيل النطق على السكوت :

قيل لزيد بن علي : الصمت خير من الكلام . فقال : لعن الله المساكتة فما أفسدها للسان ، وأجلبها للحصر والله المماراة أسرع في هدم العي من النـــار الى يبيس العرفج . واختصم رجلان إلى سعيد ابن المسيب في النطق والصمت فقال : بماذا أبين لكما ذلك ؟ فقالا : بالبيان ، فقال : إن الفضل له . وقيل لبعضهم : الصمت مفتاح السلامة . فقال : ولكنه قفل الفهم . قال الشاعر :

خُلق اللّسان لنطقِه وبيانهِ ... لا للسكوتِ،وذاك حظّ الأخرسِ
فإذا جلستَ فكن مجيباً سائلًا ... إنّ الكلام يزين ربّ المجلسِ

الحث على الاكثار من الكلام :

قال حكيم : لولا سوء العادة لأمرت فتياني أن يماري بعضهم بعضاً . وقال العتابي : أقدر الناس على الكلام من عوّد لسانه الركض في ميادين الألفاظ . طول الصمت حبسة وترك الحركة عقلة .

أبو عطاء : أقلبُه كيلا يكلّ بحبسةٍ ... وأبعثه في كلِّ حقّ وباطلِ

تفضيل الصمت :

قال النبي ﷺ : رحم الله عبداً صمت فسلم أو قال خيراً فغنم ؛ فجعل الصمت أفضل لأن السلامة أصل والغنيمة فرع . قال الشاعر :

أقلِلْ كلامَك واستعِذْ من شرّه ... إنّ البلاء ببعضِه مقرونُ

وقال آخر :

مُتْ بداء الصمتِ خيرٌ ... لـك مِنْ داء الكلامِ

تفضيل كل واحد منهما في أوانها والتمدح بها :

قيل لبعضهم : السكوت أفضل أم النطق ؟ فقال : السكوت حتى يحتاج إلى النطق ، فاذا احتيج إلى النطق فالسكوت حرام . وقيل ليونس بن حبيب : السكوت أفضل أم الكلام ؟ فقال : السكوت عن الخنا أفضل من الكلام بالخطأ . وقيل : الضراط في أوانه خـــير من الكلام في غير زمانه .

قال الشاعر : والصمتُ أزينُ بالفتى ۝ مِن منطقٍ في غيرِ حينهِ

وقيل : ربما كان الصمت أبلغ من الإبلاغ في النطق مع عدم إصابة الفرصة .

ابن الرومي :

ناهيك من صمت بلا عيّ به ۝ وكذاك من لسن بغير سفاهِ
ملكَتْ سكينتُه عليه أمرُه ۝ فكأنه ساهٍ وليس بِساهِ

ابن علقمة :

صموتٌ في المجالسِ غيرُ عيٍّ ۝ جديرٌ حين ينطقُ بالصوابِ

ذم الاكثار من الكلام :

قيل : من أكثر أهجر المكثار كحاطب الليل . من أطلق لسانه بكل ما يحب كان أكثر مقامه حيث لا يحب .

الجريمي : وخيرُ حالِ الفتى في القولِ أقصدها ۝ بين السبيلين لا عيّ ولا هذَرُ

وقال اياس لخالد بن صفوان : لا ينبغي أن نجتمع في منزلك ، لأنك تحب أن لا تسكت ، وأنا أحب أن لا أسمع .

الحث على ترك فضول الكلام :

قال النبي ﷺ : رحم الله من أمسك الفضل من قوله . قال عبدالله بن الحسين لابنه : استعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعو نفسك الى الكلام . فإن للقول ساعات يضر خطؤها ولا ينفع صوابها . وقيل : من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه الا فيما يعنيه . وقال عبدالله بن طاهر لبعض منادميه : يا هذا أما أقللت فضولك أو أقللت دخولك ؟ وقيل : فضل النظر يدعو الى فضل القول

الحث على السكوت مطلقاً :

قيل : ان كانت العافية من مالك فسلّط السكوت على لسانك . الصمت داعية المحبة . الصمت زين العاقل وستر الجاهل .

قال الشاعر : لو كان من فضة تكلّم ذي النطق لكان السكوتُ مِن ذَهبِ

الحث على تدبر الكلام قبل ايراده :

قال الحسن : لسان العاقل من وراء قلبه . فإذا أراد الكلام رجع إليه ، فإن كان له تكلم به وإلا تركه ، ولسان الجاهل قدام قلبه يتكلم بما عرض له . وقيل : من لم يخف الكلام تكلم ، ومن خافه تبكم . قال الشاعر :

تأملْ فلا تسطيع ردَّ مقالةٍ   إذا القولُ في زلّاتهِ فارقَ الفَما

وقال بعضهم : ذر الرأي الفطير والكلام القضيب فلا يطيب الخبز الا بائتاً .

التحذير من جناية اللسان :

سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : الأجوفان البطن والفم . وقيل فيما روى عنه : وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ؟ وكان لقمان عبداً أسود لبعض أهل الايلة فقال له مولاه : اذبح لنا شاة وائتنا بأطيب مضغة فأتاه باللسان ، فقال له : اذبح لي أخرى وائتني بأخبث مضغة . فأتاه باللسان ، فقال له في ذلك فقال : ما شيء أطيب منه إذا طاب ، ولا أخبث منه اذا خبث . وقيــل : لم يستر من الجوارح شيء كما ستر اللسان فان عليه طبقتين وسترين . وقيل لحذيفة : لم أطلت سجن لسانك ؟ فقال : لأنه غير مأمون الضرر إذا أطلق . وروى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يمسك بلسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد . قال الشاعر :

كم في المقابر ِمن قتيل لسانهِ   كانت تهابُ لِقاءَه الأقرانُ ؟

متكلم بكلام أدى الى هلاكه :

بينما المنذر في بعض متصيداته إذ وقف على رابية فقال بعض أصحابه : أبيت اللعن ، لو أن رجلا ذبح على هذه الرابية إلى أي موضع عسى أن يسيل دمه ؟ فقال : أنت والله المذبوح لننظر ذلك ، وأمر به فذبح . ومر ببهرام طائر بالليل فصاح ، فرماه بسهم فاصابه فقال : لو سكت الطائر لكان خيراً له .

التثبتُ في الجواب والتسرع فيه :

سأل يهودي النبي ﷺ مسألة فمكث عليه السلام ساعة ثم أجابه عنها ، فقال اليهودي : ولم توقفت فيما علمت ؟ قال : توقيراً للحكمة . وقيل : من امارة الحكيم التروي في الجواب بعد استيعاب الفهم . وقيل : من علامة الحمق سرعة الجواب وطول التمني ، والاستغراب في الضحك ، وقال رجل لاياس : ليس فيك عيب غير انك تعجل بالجواب ؟ فقال : كم أصبع في يدك ؟ فقال الرجل : خمس ، فقال : لقد عجلت أيضاً ، فقال : هذا علم قد قبلته ، فقال اياس : وأنا أعجل أيضاً في ما قد قبلته علماً .

الحث على حسن الاستماع والممدوح به :

قيل : تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن المقال ، ولا تقطع على احد حديثاً . وقيل : استمع فسوء الاستماع نفاق . وقيل : للسائل على السامع ثلاثة أمور : جمع البال ، وحسن الاستماع ، والكتمان لما يقتضي الكتمان . وقيل : أساء سمعاً فأساء اجابة . وقال فيلسوف لتلميذ له : أفهمت ؟ قال : نعم . قال : كذبت ، لأن دليل الفهم السرور ولم أرك سررت ؟ وقيل : نشاط القائل على قدر فهم السامع . وقيل : من سعادة القائل أن يكون المستمع إليه فهيماً . وقيل : فلان في الاستماع ذو أذنين ، وفي الجواب ذو لسانين .

قال الشاعر :

إذا حُدِّثوا لم يُخشَ سوءُ استماعِهم وإن حَدَّثوا قالوا بحُسْن بيانِ

وقال رجل : أذني قمع لمن يحدثني

النهي عن محادثة من ساء استماعه :

قيل : من لم ينشط لاستماع حديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع . وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم ، فإذا رأيت منهم إعراضاً فأمسك . وقيل : لا تطعم طعامك من لا يشتهيه . وقيل : حدث حديثين امرأة ، فان لم تسمع فاربع أي كفّ .

الحث على ازدياد السماع على المقال :

سمع بقراط رجلاً يكثر من الكلام فقال له : ان الله تعالى جعل للانسان لساناً واحداً وأذنين ليسمع ضعف ما يقول .

تفضيل السماع على المقال :

كان أعرابي يجالس الشعبي فأطال الصمت ، فسأله عن ذلك فقال : أسمع فأعلم ، وأسكت فأسلم . وقيل لاعرابي : لمَ لا تتكلم ؟ فقال: حظ لسان الرجل لغيره وحظ سمعه له . وقال محمد بن المنكدر : لان أسمع أحب إلي من أن أنطق ، لأن المستمع يتقي ويتوقى .

الحث على التصامم عن الخنا والتمدح به :

محمود الوراق :

وسمعَكَ صُنْ عن سماعِ القبيح كصونِ اللسان عن النطق بِهْ

أبو تمام :

أذنٌ صفوح ليس يفتح سمها لدنيئةٍ وأناملٌ لم تقفلِ

وقال آخر : فتى عزلت عنه الفواحش كلها

وقال آخر :

عيٌّ عن الفحشاء أمّا لسانُهُ فعفٌّ ، وأمّا طرْفه فكليلُ

الموسوي :

إذا العدو عصاني خافَ حَديدي وعرضُه آمِنٌ من هاجراتِ فمي

وله ايضاً :

ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها ولا أنطقُ العوراءَ والقلبُ يعربُ

• • •

ومما جاء في المذاكرة والمجادلة

فضل المذاكرة في العلوم :

قال الله تعالى : وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين . وقال النبي ﷺ : لقحوا عقولكم بالمذاكرة ، واستعينوا على أموركم بالمشاورة . وقال ابن المقفع : لا تخل قلبك من المذاكرة فيعود عقيماً ، ولا تعف طبعك من المناظرة فيعود سقيماً . وقال الحسن رضي الله عنه : حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور . وقال المأمون : لا تتقد مصابيح الأذهان إلا بصفو مواردها . وقيل : من أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم .

المستكثر بمناظرته الفائدة :

قال رجل لآخر : مناظرة مثلك في الدين فرض ، والاستماع منك أدب ، ومذاكرتك تلقيح للعقل . وقال عمر بن عبد العزيز : ما كلمني أسديٌّ إلا تمنيت أن يمد في حجته لتكثر منه فائدتي .

الممدوح باجادة المناظرة :

مدح أعرابي رجلاً فقال : يفتح ببيانه منغلق الحجة ، ويسد على خصمه واضح المحجة . وقيل : أورد فلان ما لا ينكره الخصم ولا يدفعه الوهم ، وما رأيت أسكن نوراً وأبعد غوراً وآخذ بإذن حجة منه .

قال الشاعر :

إذ قال بذّ القائلين مقـاله ويأخذ من أكفائه بالمخنق

العجير : من النفر المدلين في كل حجّةٍ بمستحصد من حوله الرأيُ محكم

وقال آخر :

يتقارضونَ اذا التقَوا في مجاس نظراً يزل مواقِعَ الأقدامِ

كان ذلك من قول الله تعالى : وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم .

البحتري : أحضرتُهُ حُجَجاً لو اجتَلبتُ بها عصم الجبال لأقبلت تتَنَزّلُ

أبو مسلم :

يجوبُ ضبابَ معاني الكَلام بجذفِ الصَّواب لدى المجمعِ

وقال بشر بن المعتمر لابي الهذيل عند المأمون بعد مناظرة كانت بينهما : كيف رأيت وقع سهمي ؟ فقال : حلوة كالشهد ، ولينة كالزبد ، فكيف ترى سهامنا ؟ فقال : ما أحسنت بها ! قال : لأنها لاقت جماداً !

صعوبة الجدال :

قال ابن الراوندي : ما التصدي للحراب والقضاب ومبارزة الأبطال بأصعب من التصدي للجواب لمن أمك بالسؤال . وقال : تحت كل لم أسد ملم .

نظو يزل مواقع الاقدام :

وسئل الشعبي عن مسألة فقال : زيادات وبر لا تنساب ولا تنقاد، لو نزلت بأصحاب محمد ﷺ لأعضلت .

الدافع باطل خصمه بحقه :

قيل : لا تدفع الباطل بالغلبة اذا امكنك ان تدفعه بالحجة . وقال ابن عباس : عجبـاً لمن يطلب امراً بالغلبة ، وهو يقدر عليه بالحجة ، فالحجة دين يعقد به الطاعة ، وسلطان الغلبة يزول بزوال القدرة .

وقال ثعلبة :

ولربّ خصم جاحدين ذوي شذا تقذي صدورهمُ بهترِ هاترِ

لقد ظأرتهم على ما ساءهم وخسأتُ باطِلَهم بحقّ ظاهرِ

وقال آخر :

ألا رُبَّ خصمٍ ذي فنونٍ عَلَوتُهُ   وإن كان الوى يشبه ألحق باطلَهْ

وهذا معنى قول العتابي : البلاغة تصوير الباطل في صورة الحق .

المشاغب من يشاغبه :

أبو الأسود :

فشاغبتهُ حتّى ارعوى وهو كارهٌ   وقد يرعوي ذو الشغب بعد التَّحامُلِ

فإنك لم تعطفْ إلى الحق جائراً   بمثلِ خصيمٍ عاقلٍ متجاهلِ .

وقال آخر :

وما خصم الأَقوام من ذي خصومةٍ   كمثل بصيرٍ عالمٍ متجاهِلِ

القائم في المناظرة مقام الغيب :

شاعر : ومشهد قد كفيت الغائبين به   في مجمع من نواصي الناس مشهودِ

فرجْتُهُ بلسانٍ غيرِ ملتبسٍ   عند الحفاظ ، وقلبٍ غيرِ مردودِ

وقال حسان :

كفى وشفى ما في النفوسِ فلَم يدع   لذي حاجةٍ في القول جدّاً ولا هَزْلاً

الموصوف بانصاف النظار لديه والسكون في مجلسه :

أبو تمام :

ثبتُ الخطاب اذا اصطَكَّت بمظلمَةٍ   في رحله ألسنُ الأَقوامِ والركَبُ

لا المنطق اللخي يزكو في محافِلِه   يوماً ولا حجَّة الملهوفِ يستلبُ

المتنبي :

الفاصل الحكم عيّ الاولون به   ومظهر الحق للساهي على الذهن

وكان أبو الشمر اذا ناظر لم يحرك يديه ولا رأسه ولا منكبيه ، حتى كأن كلامه يخرج من صدع صخرة .

وقال الانصاري :

مجالسهم خفضُ الحديث وقولهم   إذا ما قضوا في الأَمر وحي المحاجرِ

المتنبي :

وإذ هُوَ لا يستبّ خصمان عنده ولا الصوتُ مرفوعٌ بجدٍ ولا هَزلِ

وهذا منقول من قول الآخر :

واستبّ بعدك يا كليبُ المجلسُ

المدفوع عن حجة قوية لا تعرف لغموضها :

قال ابن الرومي :

غموض الحق حين تذبُ عنه يقلل ناصر الحقّ المحقِ

يضل عن الدقيق عقول قومٍ فتحكم للمجلِ على المدقّ

وقيل : ما دق من الكلام يعجز عنه كثير من الأنام فينسب الى الاحالة ، وإن كان في غاية الجلالة . ولذلك قال أبو تمام :

فصرتُ أذلّ من معنى دقيق به فقر الى فهم جليلِ

مدح الراجع الى الحق في المناظرة :

قال عمر رضي الله عنه : الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل . وقيل : المبطل مخصوم وإن خصم ، والمحق فالج وان خصم . وقال عمر رضي الله عنه يوماً : أيها الناس ما هذه الصدقات التي أحدثتم لا يبلغني ان احداً تجاوز صداق النبي ﷺ الا استرجعته منه ؟ فقامت اليه امرأة فقالت : ما جعل الله ذلك اليك يا ابن الخطاب ، ان الله تعالى يقول : وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ! فقال عمر : أما تعجبون من إمام أخطأ وامرأة اصابت ، ناضلت أميركم فنضلته ؟ وقال الشعبي : إني لأستحيي أن أعرف الحق فلا أرجع اليه . وقيل : لم ير أذعن للحجة اذا لزمته من عمرو بن عبيد .

المستمر على خطئه وقد بان له الصواب :

قال عمارة : إني لأمضي على الخطأ اذا اخطأت اهون علي من نقض وابرام في مجلس واحد . وقال بعضهم : نعم المركب اللجاج بعد الحجاج .

ذم من تشكك في الضروريات :

قيل : من شك في المشاهدات فليس بتامّ العقل .

المتنبي : وليس يصحّ في الأفهام شيءٌ اذا احتاجَ النهارُ الى دليلِ

حكى المتكلمون أن جماعة يلقبون السوفسطائية يقولون : لا نعرف لشيء حقيقة . ويقولون : لما كان احدنا يرى الشيء في رقدته فيتصوّر له بصورة ما يشاهده في يقظته ونرى الصورة في الماء ثم لا حقيقة لها ، لم يمتنع ان لا يكون لما نعانيه ونشاهده حقيقة . وذكر بعض العلماء : انه لم يكن قط على هذه الصفة احد ، وان السوفسطائية إنما هو شيء من توليدات المتكلمين ومنحولاتهم .

ذم القاصر عن المناظرة :

قال الله تعالى : أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ؟ وقيل لبعضهم : كيف رأيت فلاناً في المناظرة ؟ فقال : عيّاً غيّاً . وقال ابن ابي الطاهر في المبرد :

يفر من المناظِرِ إن أتاهُ ويرمي مَن رماه من بَعيدِ

ونحوه ما قيل : فلان اذا تباعد ضبح ضبوح الثعلب ، واذا حضر قبع قبوع القنفذ .

ذم المراء في المناظرة :

روي في الحديث : من تعلم العلم لاربعة دخل النار : ليباهي به العلماء ، او يماري به السفهاء ، او يأخذ به من الأمراء ، او يستميل به وجوه الناس اليه . قال ابن عباس لمعاوية رضي الله عنهما : هل لك في مناظرتي في ما زعمت ؟ قال : وما تصنع بذلك فاشغب بك وتشغب بي ، فيبقى في قلبك ما لا ينفعك ويبقى في قلبي ما يضرك . وقيل : الناس رجلان : عالم فلا تماره ، وجاهل فلا تجاره .

زيد بن جندب :

ما كان أغنى رجالاً ضلّ سعيُهُمُ عن الجِدال وأغناهُم عن الشغب !

وقيل : اذا تشاجرت الخصوم طاشت الحلوم ، ونسيت العلوم . وقيل : من ترك المراء فهم وعلم . وروي عن النبي ﷺ : ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله إلا بالجدل . وقال سفيان : ما ابتدع قوم إلا أعطوا الجدل .

الحث على السؤال على غير التعنت :

قيل : اذا جالست عالماً فسل تفقهاً لا تعنتاً . وقال مسهر : سألت مالكاً عن شيء ، فقال : لا تسألني عما لا تريد فتنسى ما تريد . وقال النبي ﷺ لرجل وقد أكثر من سؤاله تعنتاً : اتركوني ما تركتكم . وقال عليه الصلاة والسلام : ان بني إسرائيل هلكوا بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم .

النهي عن المناظرة ما أمكن :

قال ابن المقفع : لا تعرضنّ عقلك على الناس ، فاذا اضطرك أمر فكن كصاحب الشطرنج

يبني أمره على القائمة ، فان وجد ضربة غريبة انتهزها ، واياك أن تبتدىء في مجلس لم تسبر عقول اصحابه ، فبين العقول بون بعيد .

ذم الجلبة وخوض الكل في الكلام :

قيل : لا يميل إلى الجلبة واللجاج إلا من عجز عن الغلبة بالحجاج . وقال المأمون لهاشمي حضر مجلسه فناظره وشغب :

لا ترفعَنْ صوتَك يا عبدَ الصَّمدْ   إنّ الصَّوابَ في الأَسدِّ لا الأَشَدّ

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل كان يكثر الصياح والجلبة : اخفض الصوت ، فلو نيل خير برفع الصوت لأدركه الحمير والكلاب . وكان احمد بن الخصيب اذا ناظر شغب وجلب ، وربما رفس من يناظره فقال فيه بعض المحدثين يخاطب الخليفة المنتصر :

قلْ للخليفة : يا ابنَ عَمّ محمدٍ ،   أَشكل وزيرك إنَّهُ رِكَّالُ

قد نال مِن أعراضِنا بلسانِهِ   ولرجلِهِ عند الصدور مجالُ

وهذا يقارب ما روي أنه شكا الى المأمون من بعض قضاته انه بعض الخصوم فوقع : ليشنق ! وأنشد الاصمعي :

حديثُ بني قرط اذا ما لقيتَهم   كنزٌ والدبا في العرفجِ المتقاربِ

مسلم بن عباس :

كأن بني رالان إذ جاء جمعُهم   فراريجُ يلقى بينهن سويقُ

الحث على المخالفة ودفع الصواب بالخطأ :

قالت اعرابية لابنها : اذا جلست مع القوم فان أحسنت أن تقول كما يقولون والا فخالف تذكر ، ولو كان بتعليق أير حمار في عنقك . وقال أعرابي : اذا لم يكن لك في الخير اسم فارفع لك في الشر علماً . وقال بعضهم : خالف تذكر . فقالوا : انما هو تنكر ، فقال : هذا أول الخلاف .

ذم مخالف ألدّ في كل صواب :

قال الله تعالى : لتنذر به قوماً لدّا . وقال تعالى : بل هم قوم خصمون . وقال تعالى : فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد . وقال الشاعر :

رقيعٌ خصيمٌ في الصوابِ كأنه   بردٍّ على أهلِ الصَوابِ مُوَكّلُ

وقال ديمقراطس : عالم معاند خير من جاهل منصف . فقال تلميذه : الجاهل لا يكون منصفاً ، والعالم لا يكون معانداً . وقيل : كثرة الخلاف حرب ، وكثرة الموافقة غش .

المستأذن في سؤال مسألة :

قال ابن شبرمة لاياس بن معاوية : أتأذن لي في مسألة ألقيها عليك ؟ فقال اياس : استربت بك حين استأذنت ، فإن كنت لا تسوء جليساً ولا تشين مسؤولاً فهاتها . وقال أبو العيناء لعبيد الله : أسأل أم أسكت ؟ فقال : ان سألت أفدت ، وان سكت كفيت .

شروط المناظرة :

اجتمع متكلمان فقال أحدهما : هل لك في المناظرة ؟ فقال : على شرائط ، أن لا تغضب ، ولا تعجب ، ولا تشغب ، ولا تحكم ، ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلًا ، ولا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا جوزت الى تأويل مثلها على مذهبي ، وعلى أن تؤثر التصادق وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلاً منا يبني مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته . وقال أبو يعقوب الخطابي لجلسائه : إنما اجتمعتم للأدب لا بجوار ولا نسب ، فوفوه حقه ولا تثلبوا أحداً ، فمن ثلب ثُلب ، واياكم والمراء في الأديان فانها مفسدة بين الاخوان ونقص عند أهل الزمان ، وعليكم بالأصول ولا تكاثروا فتملوا ، واستريحوا الى ما يوافق من الادب فإنه غض أبداً غير مملول ، ولا تتجاوزوا في النحو قدر الحاجة فغاية لحاذق فيه معروفة . وقيل : كان يعقوب الخطابي اذا جلس اليه أصحابه يقول : اعفونا من ثلاث وخوضوا بعد فيما شئتم : من ذكر السلف ، وأن تقولوا فلان خير من فلان ، ومن ذكر القدر .

مدح الجواب الحاضر :

قال مسلمة بن عبد الملك : ما أوتي العبد بعد الايمان بالله شيئاً أحب إلي من جواب حاضر ، لان الجواب اذا كان بعد نظر وتفكر لم يكن بشيء . ألم تسمع قوله تعالى : ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ؟ الى قوله : فبهت الذي كفر . وقال عمرو بن العاص : ما اتقيت جواب أحد من الناس غير جواب ابن عباس رضي الله عنه لبداهته . وقال الحجاج : من لم يخف الجواب تكلم ، ومن خافه تبكم .

قال الشاعر :

ما أحرُّ الكلامَ يرحمُكَ الله ولكن أحرُّ مِنه الجوابُ !

اضجاع القسي والاعتماد عليها في الخطاب :

وما جاء من الأجوبة الجيدة فهي مذكورة في أمكنتها المختصة بها . كانت العرب إذا اجتمعت للمناظرة والمفاخرة يضجعون قسيهم ويعتمدون عليها .

وقال الحطيئة في مرثية :

أمنْ يخصم مضجعين قسيهم   صفر خدودهمُ عظامُ المنخرِ

وقال : إذا اقتسمَ الناسُ فضلَ الفخَار   أطلْنا على الأَرضِ مَيْل العصا

• • •

ومما جاء في وصف الشعر والشعراء

الرخصة في نسج الشعر وانشاده :

قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت : أهجهم وروح القدس معك ! وقد مدحه غير شاعر فحباه وأجازه . وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما شاعرين وعلي رضي الله عنه أشعر منهما ، ولما قال الجعدي فيه ﷺ :

بلغنا السَّما عن جدّنا وجدودنا   وإنا لنرجو فوق ذلكَ مَظْهَرا

قال له النبي ﷺ : الى أين ؟ فقال : الى الجنة يارسول الله ! قال ﷺ : لا فض فوك ! وروى أبو الغطريف الاسدي عن جده قال : عدنا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه ، فسمعته يقول: لا بأس بالشعر لمن أراد انتصافاً من ظلم ، واستغناء من فقر وشكراً على احسان . وعاب بعض الناس الشعر عند ابن عباس وكان قد قام الى الصلاة فقال :

إن يصدُقِ الطيرُ نَنِكْ لميسا

ثم قال عقيبه : الله أكبر ، ودخل في الصلاة . وقال أبو بكر رضي الله عنه : كنت عند النبي ﷺ وشاعره عنده ينشده ، فقلت له : أشعرٌ وقرآن ؟ فقال : هذا مرة وهذا مرة .

جواز اجازة الشعراء :

قال النبي ﷺ : اعطاء الشعراء من بر الوالدين . وقال ﷺ في شاعر مدحه وعاتبه في بعض ما فعله : اقطعوا لسانه ! يعني بالعطية ، وأعطى الزهري شاعراً ، فقيل له في ذلك فقال : ان من ابتغاء الخير اتقاء الشر . وحرم الشعراء الحجاج في أوّل مقدمه العراق فكتب اليه عبد الملك : أجز الشعراء فانهم يجتبون مكارم الاخلاق ويحرضون على البر والسخاء .

قال الشاعر :

صونوا القريضَ فإنــه   مثلُ المياسمِ في المواسِمْ

الشعرُ جامعةُ المفا   خرِ والمحاسنِ والمكارِمْ

منفعة الشعر :

قال الحجاج للمساور بن هند : لمَ تقول الشعر ؟ فقال : اسقي به الماء ، وارعى به الكلا ، وتقضى لي به الحاجة ، وإن كفيتني تركته . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الشعر يسكن به الغيظ ، وتطفأ به النائرة ، ويتبلغ القوم ، ويعطى به السائل . وقال : نعم الهدية للرجل الشريف الابيات يقدمها بين يدي الحاجة ، يستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم ! وقال عبد الملك : تعلموا الشعر ففيه محاسن تبتغي ومساوىء تتقى .

ابن الرومي :

وما المجدُ لولا الشعرُ إلا معاهدٌ وما الناسُ إلا أعظمٌ نخراتُ

وقال أبو تمام الطائي :

ولولا خلالٌ سنها الشعر ما دَرَتْ بُغاة العلا من أين تُؤتى المكارِمُ ؟

ذم نسجه والتكسب به :

قال الله تعالى : والشعراء يتبعهم الغاوون ! وقال ﷺ : لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً ! وقال ﷺ : شر الناس من أكرمه الناس اتقاء لسانه ! وقيل : لا تؤاخ شاعراً فإنه يمدحك بثمن ، ويهجوك مجاناً . وسئل بعضهم عن حوك الشعر فقال : هو أسرى مروءة الدنيء ، وأدنى مروءة السري . وسئل عوف بن أمية السكوتي عن نسج الشعر فقال : ان جددت كذبت ، وان هزلت أضحكت ، فانت بين كذب واضحاك ! وقيل للبيد : لمَ لا تقول الشعر ؟ فقال : في سورة البقرة وآل عمران شغل عن الشعر .

الكلبُ والشاعرُ في منزلٍ فليت أني لم أكنْ شاعراً !
هل هو إلاَّ باسطٌ كفَّهُ يستطعمُ الوارِدَ والصادِرا !

وقال : ما أجد آكلًا للسحت ولا أوضع ولا أطمع وأطبع وأقل نفساً من شاعر متكسب بشعره ! وقال الحسن رضي الله عنه في الفرزدق حين أوعده بالهجاء : هذا الذي جعل إحدى يديه سطحاً والاخرى سلحاً ، فقال : إن أصلحتم سطحي ، وإلا رميتكم بسلحي . ولما حبس عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة بسبب الزبرقان ثم عفا عنه قال : إياك والشعر ! فأخرج لسانه وقال : ما لاولادي كاسب غيره ! قال عمر : فلا تهجهم . فقال : إن لم أهجهم لم يفرقوني فلا يعطوني . قال : فاذهب فبئس الكسب كسبك !

تعظيم الشعر :

مر الفرزدق بمؤدب ، وكان ينشد عليه صبي قول الشاعر :

وجلا السيولَ عن الطلولِ كأنها زُبُرٌ تجدُّ متونها أقلامها

فنزل وسجد . فقال المعلم : ما هذا ؟ فقال : هذه سجدة الأشعار نعرفها كما تعرفون سجدة القرآن . ولما قدم ابو تمام على الحسن بن رجاء ، فأنشده قصيدته فيه حتى انتهى الى قوله :

لا تنكري عطل الكريمِ من الغِنى فالسيلُ حربٌ للمكان العالي

قام قائماً ، وقال : والله ما سمعتها إلا وأنا قائم لما تداخله من الأريحية ، فلما فرغ قال : ما أحسن ما جلوت هذه العروس ! فقال أبو تمام : لو أنها من الحور العين لكان قيامك أوفى مهر لها .

ما استحبه الأكابر من فرص الشعر :

قال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم : انك قد لهجت بالشعر ، فإياك والتشبيب بالنساء فتعرّ شريفة والهجاء فتهجن كريماً او تثير لئيماً ، واياك والمدح فهو كسب الأنذال، ولكن أفخر بمآثر قومك ، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وتؤدب به غيرك ، وان لم تجد من المدح بداً فكن كالملك المرادي حين مدح فجمع في المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال :

أحللتُ رحلي في بني ثُعَلٍ إنّ الكريمَ للكَريمِ محل

قال الشاعر :

أشغل قريضَك بالنسيبِ وبالفكاهَةِ والمُزاحْ
يا مادحَ القوم اللّئا م ، وطالباً نيل السَماحْ !

مدح جماعة من الشعراء وتفضيل بعضهم على بعض :

ذكر امرؤ القيس عند النبي ﷺ فقال : ذاك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة ، يجيء يوم القيامة وبيده لواء الشعراء يقودهم الى النار ! قال الأصمعي : ما رأيت خمسة من العلماء قط إلا وأربعة منهم يقدمون امرأ القيس ، ولا اربعة إلا وثلاثة منهم يقدمونه . وسئل بعضهم : من اشعر العرب ؟ فقال : امرؤ القيس اذا ركب ، والأعشى اذا طرب ، وزهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب . وكان ابو عمرو يكثر وصف النابغة الذبياني وطبعه وحسن ديباجته ويقدمه بعد امرىء القيس . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : قال لي عمر رضي الله عنه وأنا اسايره أنشدني لأشعر شعرائكم ، فقلت : من هو ؟ فقال : هو زهير ، إنه لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال ؛ قال ابن سلام ، لم يبق في وصف الشعر شيئاً إلا أتى به

في هذا الكلام . وكان معاوية يسمي الأعشى صناجة العرب ، يعني انه يطرب اطرابها . وقال محمد بن سلام : سألت عمر بن معاذ التميمي عن اشعر الناس فقال : أوس بن حجر وابو ذؤيب فقلت : أليس النبي ﷺ يقول : يجيء امرؤ القيس يوم القيامة وبيده لواء الشعراء ! فقال : اللواء انما يكون مع دون الأمير . وذكر قوم جرير او الفرزدق فقال بعضهم : جرير كان انسبهما واسهبهما . وسئل آخر عنهما فقال : جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر ! فقال : الذي يغرف من بحر أشعر . وقال مروان بن ابي حفصة :

ذهب الفرزدق والفخار ، وإنما ... حُلوُ الكلام ومرُّهُ لجريرِ
ولقد هجا فأمضَّ أخطلَ تغلبِ ... وحوى اللُّهى بمديحه المشهورِ
كلُّ الثلاثةِ قد أبرَّ بمدحِه ... وهجاؤه قد سارَ كلُّ مسيرِ

الممدوح باجادة نسجه والتمدح بذلك والحث عليه :

ذكر عند أبي بكر رضي الله عنه الشعراء فقال : أشعر الناس النابغة أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم غوراً . وقول عمر رضي الله عنه في زهير من هذا الباب ، وقد تقدم آنفاً . وقيل : فلان اذا قال أسرع ، واذا مدح رفع ، واذا هجا وضع . وسئل البحتري عن أبي تمام فقال : مداحة نواحة ! عدي بن الرقاع :

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمعُ بينها ... حتى أقوِّمَ ميلها وسنادَها
نظر المثقفُ في كعوب قناتِه ... حتى يُقيمَ ثقافة منآدها

وقال يزيد بن الحكم متهكماً بحمزة بن بيض : إنك لأستاذ الشعر ! فقال : إني لأدق الغزل ، وأصفق النسج ، وأرق الحاشية . ويقال : شعر مخشوب اذا كان جديداً لم يثقف . وقال ابن مقبل : إني لأرسل القوافي عوجاً فتأتيني وقد ثقفتها . وقيل : استجيدوا القوافي فإنها جراز الأشعار .

الموصوف بالسلامة من الشعر :

أبو تمام :

يودُّ وداداً أن أعضاء جسمِه ... اذا أنشدت شوقاً اليه المسامعُ

ابراهيم بن رجاء :

يطيب بأفواهِ الرّماةِ سماعُها

الناشي : إنما الشعر من تحصل من قبل ظهور الأقوال في الأذكارِ
فأتى لفظه يطابقُ معناه بحسن الإيراد والإصدارِ
مطمعٌ مؤيسٌ قريبٌ الى الفهم بعيد الأغوار ضاحي القرارِ

وقيل لمعتوه : ما أجود الشعر؟ فقال : ما دل صدره على عجزه ، ولم يحجبه شيءٌ دون بلوغه .

شاعر رديء النسج :

أنشد رجل شعراً فقال لصاحبه : كيف تراه ؟ فقال : سكر لا حلاوة له . وأنشد عمارة شعر أبي العتاهية فمجه سمعه وقال : هو أملس المتون قليـل العيون ، وما كان مثله من الشعر يسمى مغسولاً . وأنشد رجل اعرابياً شعراً وقال : هل تراني مطبوعاً ؟ فقال : نعم على قلبك ! وأنشد رجل الفرزدق شعراً وقال : كيف تراه ؟ فقال : لقد طاف ابليس بهذا الشعر في الناس فلم يجد أحمق يقبله سواك !

شاعر : وأبو الدفاتر لا يزالُ يجيئنا بقصيدةٍ قد قالها من دفترِ
آخر : وبات يدرسُ علماً لا قرانَ لهُ قد كان ثقفه حولاً فما زادا

ابن أبي عيينة :

أقمتَ حولاً على بيتٍ تقوّمهُ فلم تصب وسطاً منه ولا طرَفا

شعر رديء النسج :

أنشد ابن الاعرابي :

وشعر كبعر الكبش فرّق بينه لسان دعيّ في القريض دخيلِ

وقال العجاج في ابنه انه يقول الشعر وابن عمه . وفي مثل هذا الشعر قال بعضهم :

وبعضُ قريضِ الشعرِ اولاد علّة يكدّ لسانَ الناطقِ المتحفظِ

ابن الحجاج

فمن كان يحوي العَطرَ دكانُ شعره فشعري بيتا مستراحٍ ومخرَجِ

الجماز : كأنّ أشعارَه اذا انتقدَتْ أنصاف كتب ليست بمؤتلفة

نهي المسيء عن نسجه :

قيل لابن المقفع : لمَ لا تقول الشعر ؟ قال : لان الذي أرتضيه لا يجيبني والذي يجيبني لا ارتضيه . وعرض رجل على اديب شعراً فقال : أخبأه كما تخبأ المرة خرءها .

شاعر : لا تعرضنّ الشعر ما لم يكن   علمك في أبحره بحرا
فلا يزال المرء في فسحةٍ   من عقله، ما لم يقل شعرا

الوائلي : وحاطب ليل في القريض زجرتُه   وقلتُ له قولَ الفصيح المجامل :
اذا أنت لم تقدر على درّ لجة   فدعه ولا تعرض لحصباء ساحل

مفاضلة البديهة والروية ومدح الطبع :

قال ابن الرومي في الحكم بينهما :

نارُ الروِيّةِ نارٌ غيرُ مُنضجةٍ   وللبديهةِ نارٌ ذاتُ تلويحِ
وقد يفضِّلها قومٌ لعاجلها   لكنه عاجلٌ يمضي مَعَ الرّيحِ

وقال معاوية لابن العاص : أنا آدب منك ! فقال : أنا للبديهة وأنت للروية وبينهما بون . ومما يؤكد تفضيل البديهة قول العبدي في وصف البلاغة : أن تصيب فلا تخطىء وتعجل ولا تبطىء . وقيل : خير الفقه ما حاضرت به .

وقال الحطيئة :

فهذا بدايةٌ لا كتحبير قائلٍ   إذا ما أراد القول زوّره شهرا

واجتمع ابن منادر وأبو العتاهية ، فقال ابو العتاهية : كم بيتاً تقول في اليوم ؟ قال : مقدار عشرة أبيات . فقال أبو العتاهية : فانا أقول مائتين . فقال : فانك تقبل من شيطانك نحو :

ألا يا عتبة السّاعه   أموتُ السّاعةَ السّاعه

ولو أني أقول مثل ذلك لقلت ألوفاً .

المتنبي : أبلغ ما يُطلبُ النّجاحُ به الطبعُ وعند المتعمّقِ الزَّللُ

المعتذر لرفض طريقة من النسج :

قيل لنصيب : انك لا تحسن الهجاء . فقال : من ذا الذي لا يحسن مكان عافاه الله أخزاه الله ؟ ولكني رأيت الناس ثلاثة رجال : رجلًا لم أسأله فلا ينبغي أن أهجوه ، ورجلًا سألته فمنحني وهو الممدوح ، ورجلًا سألته فلم يعط فنفسي أحق بالهجاء اذ سوّلت لي أن أسأله ؟ وقال عبد الملك للعجاج:

بلغني أنك لا تحسن أن تهجو . فقال : من يقدر على تشييد أمكنة يمكنه إخرابها . فقال : ما يمنعك من ذلك ؟ قال : أن لنا عزاً يمنع من أن نظلم ، وحلماً يمنع من أن نظلم ، فعلام الهجاء ؟ فقال : كلامك أشعر من شعرك ! قال جرير : ما عشقت قط ولو عشقت لشبيت ، فاذا سمعت العجوز بكت على ما فات من شبابها ، وإني لأرى الرجز مثل آثار الخيل في الثرى ، ولولا أن سبق اليه غيري لأكثرت منه . وقيل لابي يعقوب : شعرك في مراثي الحسن ليس كشعرك في مدحه . فقال : أين شعر الوفاء من شعر الرجاء ؟

المهجوّ بأنه ينتحل الأشعار :

أبو هفان : إذا أنشدكُم شعراً فقولوا : أَحسنُ الناس !

ونظر أبو تمام الى سليمان بن وهب وقد كتب كتاباً فقال : كلامك ذوب شعري . وعرض رجل على ابن الجلاب قصيدة للمتنبي وادعى أنه قالها . فقال ابن الجلاب : هذه للمتنبي . فقال الرجل: هي قصيدتي ومسودتها عندي . فقال ابن الجلاب : فمبيضتها للمتنبي عندي . وقال الصاحب لرجل عرض عليه شعراً : لو حلت عقاله لحق بأربابه . وقال أبو محمد بن المنجم : أنشدت أبا القاسم الزعفراني قول الصاحب :

رق الزجاج وراقت الخمر

البيتين . فقال : لعن الله قائلها فقد سرقها من أبي نواس ! فقلت : هما للصاحب . فقال : لعن الله أبا نواس فقد سرقها من مولانا الصاحب ، فقلت : كيف سرق أبو نواس من مولانا الصاحب؟ فقال : دعنا من هذا ما سرق الا منه .

السالب غيره شعراً قهراً :

وقف الفرزدق على الشمردل فاستنشده شعراً فأنشده :

وما بين مَنْ لم يُعطِ سمعاً وطاعَةً وبين تميمٍ غير جزّ الغَلاصمِ

فقال : والله لتتركن لي هذا البيت أو لتتركن عرضك ! فقال : خذه لا بارك الله لك فيه ! وقال رؤبة : خرجت مع أبي فقال في الطريق : أبوك راجز وجدك وأنت مفحم ، فأنشدته :

كم قد حسرنا من عذرة عنس

حتى أتيت على آخرها . فقال : اسكت فض الله فاك ! فلما انتهينا إلى سليمان أنشده اياها فأمر له بعشرة آلاف درهم . فقلت له في ذلك فقال : سر فأنت أرجز الناس ! فسألته أن يجعل لي نصيباً مما اعطي فأبى . ودخل ابن زهير على معاوية فأنشده :

لعمركَ ما أدري وإني لأوجلُ علـى أيّنا تعدو المنية أوّلُ (الابيات)

وهي في الحماسة . فقال له معاوية : عهدي بك لا تشعر ، فما لبث ان دخل معن فأنشده هذه الابيات ، فالتفت معاوية الى ابن زهير فقال : كيف انتحلتها ؟ فقال : ان معناً اخي من الرضاع وانا احق بهذا الشعر منه !

التوارد في الشعر وادعاء ذلك :

التوارد ان يتفق الشاعران في معنى من غير ان يسمع احدهما بمقالة الآخر . وسئل ابو عمر وبن العلاء رحمه الله تعالى : كيف يتفق الشاعران ؟ فقال : عقول رجال توافت على ألسنتها . ولاحمد بن ابي طاهر يعتذر لشعر ادعى البحتري انه سرقه منه :

الشعرَ ظهرُ طريقٍ أنتَ راكِبهُ فمنه منشعبٌ أو غيرُ منشعبِ
وربما ضمّ بين الركب منهجه وألصقَ الطنبَ العالي إلى الطنبِ

وقال آخر وقد اتى سلطاناً يمدحه فحرمه وزعم انه مسروق :

وهبْني سرقتُ الشعرَ ثم مدحتُهُ أما كان يُؤتيني عليه جَزائيا ؟

وقال ابو المضاء :

لو ان جريراً جاءه في زمانِهِ وأنشده شعراً لقال : تنحلا !

وقال ابو تمام في مدح شعر غير مسروق :

منزهةٌ عن السرق المورى مكرمة عنِ المعنى المُعارِ

شعر أعاده قائله في غير الممدوح :

انشد ابو القاسم بن ابي العلاء يوماً شعراً كاتب به رئيساً ، وكنا سمعناه منه قبل ، فعوتب في ذلك فقال : انا نظمته اقلد به من اشاء ، وكان قد وقع الى ابي الفضل بن العميد قصيدة المتنبي التي اولها :

أغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغلبُ

فلما ورد عليه مدحه بها وبدل قوله :

أبا المسك هل في الكاس فضل أناله فاني أغنّي منذ حينٍ وأشربُ

فجعله ابا الفضل . فلما انشدها استطال وتكبر واظهر اعجاباً بها . فقال ابو الفضل لبعض ندمائه : اخرج هذه القصيدة لينخفض ، فلما رآها تبسم وخجل .

شعر يدل على همة قائله وحاله :

قال المأمون يوماً لمن حضره : انشدوني بيتاً لملك يدل عليه بيته وان لم يعرف ، فأنشد :

أمن أجلِ اعرابية حلّ أهلها جيوب الفلا عيناك تبتدران ؟

فقال : ما يدل هذا على انه لملك بل يجوز ان يكون هذا لسوقة من اهل الحضر ، ثم قال : الدال على ذلك قول يزيد بن عبد الملك :

إسقني من سُلافِ ريق سُلَيمى   واسق هذا النديم كاساً عقارا

فاشارته الى النديم تؤذن بانه ملك . وقوله لي المحض من ودهم . ويغمرهم نائلي . وقال صالح بن حسان للهيثم بن عدي : اعلمت ان النابغة الذبياني كان مخنثاً فقال : ما علمت ولا سمعت ! قال : فكيف قلت قال لقوله :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه   (البيتين)

والله ما يحسن هذه الاشارة إلا مخنث ، فسمع ذلك رجل من قيس فقال : بل صاحبك الأعشى هو المخنث حيث يقول :

قالت هريرةُ لما جئتُ زائرها :   ويلي عليك، وويلي منك يا رجُلُ !

النابغ في الشعر بعد ان كان مكدياً :

قال السيد الحميري : رايت رسول الله ﷺ في المنام كأنه في حديقة سبخة فيها نخل طوال ، وبجنبها ارض كأنها كافورة ليس فيها اشجار . فقال لي : اتدري لمن هذه النخيل ؟ فقلت : لا . فقال لامرىء القيس : فاقلعها واغرسها في هذه . ففعلت ، فلما اصبحت اتيت ابن سيرين فقصصت رؤياي عليه فقال : اتقول الشعر ؟ قلت : لا . فقال : اما انك ستقول مثل شعر امرىء القيس ، الا انك تقوله في قوم طهرة ، فما انصرفت إلا وانا اقول الشعر ، والنابغتان سميا بذلك لانهما عاشا دهراً لا يقولان شعراً ثم نبغا فيه .

تسهيل قول الشعر على ذي آلته :

عمل سقراط بيتين فقيل له : ما احسن ما قلت . فقال : ان حفر بئر بقرب قناة يجري منها الماء . سهل البديهي :

وأرى القوافي لا تصير مطيعة   إلا إلى المثرين من أدواتِها
والطبعُ ليس بمقنعٍ الا اذا   حصلت إضافته إلى آلاتها

آخر : وما الطبع مغنٍ وحده في نظامِهِ   ولا العلم من حدّ الطباعِ بنائبِ
إذا لم تكن مجموعةً أدواتُهُ   فأيسرُ مبناه كنسج العناكبِ

وقيل : اصح الشعر واسهله ما يقوله من بعثه انف او دخله كلف .

من تداخله لسماعه الانفة والحمية :

كان بالمدينة فتى يتعشق امرأة ، فوعدته يوماً فلما اجتمعا غنت مغنية بهذا الصوت :

من الخفراتِ لم تفضحْ أخاها ولم ترفَعْ لوالدِها شَنارا

فأبت إلا الخروج ، فرجعت الى منزلها وبعثت إلى الرجل ألف دينار وقالت : ان رغبت في فاجعل هذا مهري واخطبني من أبي . ودخل رجل على أبي دلف فاستماحه فقال له : اتسأل وجدك يقول:

ومن يفتقرْ منا يعشْ بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسألِ

فقال : نعم وتضجر ، فلقي وكيلاً لأبي دلف يأتي بمال فسلبه واتصل الخبر بأبي دِلف فقال : أنا الذي علمته هذا فدعوه . وهذا الباب من جنس منفعة الشعر .

شعر سائر :

أبو العتاهية :

في كل ارض قرى من منطقي مثلاً بين المشاهد أو يبكى به وترُ

الطرمي :

لقد سار لي شرقاً وغرباً قصائدٌ تغبر حسناً في وجوهِ القصائدِ

المتنبي :

أبقى على كنف الأيام من كنفي رضوى وأسير في الآفاق من مثل

الكندي :

يقصِّر عن مداها الريح جرياً وتعجز عن مواقعِها السهام
تناهب حسنها حادٍ وشادٍ فحث بها المطايا والمدام

المسيب : ترد المياه فلا تزال غريبة في القوم بين تمثل وسماعِ

النابغة : أوابد كالسلام اذا استمرّت فايس يرد فدفدَها التمني

شعر أثر في المقول فيه فرفعه او وضعه :

كان بنو قريع متى قيل لهم أنف الناقة استحيوا حتى قال فيهم الحطيئة :

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهم ومَن يُسوّي بأنف الناقة الذنبا

فصاروا بعد ذلك يتبجّحون به ويقولون : نحن من أنف الناقة ، وغير كانوا يتبجّحون باسمهم حتى قال فيهم الشاعر :

فغضّ الطرفَ انك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فكانوا بعد اذا سئلوا قالوا من بني عامر . وقال جرير :

والتغلبي اذا تنحنح للقِرى حك أسته وتمثل الأمثالا !

فقالوا : لو طعنوا بعد هذا في أستاهم ما حكوها !

مفاضلة قصار الشعر وطواله :

قيل لعقيل : لمَ لا تطيل الشعر ؟ فقال : يكفيك من القلادة ما احاط بالعنق ! وقيل لآخر ذلك فقال : يكون أحوك وعلى أفواه الرواة أعلق . وقالت مليكة بنت الحطيئة : يا أبت كنت ترغب عن القصار فصرت ترغب فيها . فقال : لأنها في الآذان أولج ، وعلى الفكر أووج ، والناس اليها أحوج . وقيل لآخر مثل ذلك فقال : حسبك غرة لائحة وسمة واضحة . وقال آخر : اذا مدحتم فاقصروا ، واذا هجوتم فأطيلوا ، فالشر لا يمل . وقال الصاحب ان عبدان اذا أطال قصر واذا قصر لم يقصر .

إعتذار من أكدى في شعره أو نادرته :

قال عبد الملك لعدي بن أرطاة : لمّ لا تقول الشعر ؟ فقال : كيف أقوله وأنا لا أشرب ولا أطرب ولا أغضب ؟ وقال الفرزدق : ربما أتت علي ساعة وقلع ضرس أهون علي من قول بيت . وقال عبيد : حال الجريض دون القريض . واستأذن الغالبي على عباد فأذن له فأنشده :

لما انخنا بالوزير ركابنا مستعصمين بجوده أعطانا

من لم يزل للناس غيثاً ممرعاً متخرقاً في جوده ... (وأنسى القافية)

فجعل يردد فقال عباد : قل كشحاناً أو قرناناً وخلصني ، فتذكر وقال : في جوده معواناً . وتبع رجل جماعة من الشعراء دخلوا على سلطان فلما أنشدوه قال للرجل : ما عندك ؟ قال : انا من الغاوين . فقال : ما معنى ذلك ؟ قال الله تعالى : والشعراء يتّبعهم الغاوون ! فأنا غاو تبعتهم ، فضحك منه وأعطاه .

اشتمال الشعر على نقاية ونفاية :

قال ابو عمرو بن العلاء : شعر بشار سباطة الملوك ، فيها قطعة ذهب وما شئت من رماد ، والسباطة الكساحة . وأنشد بعضهم :

يا عائب الشعر ؛ مهلا فعيبك
الشعر كالشَعرِ فيه مع الشبيبةِ شيبُ !

وقال بعضهم في وصف شاعر : ثوب بواف ومطرف بآلاف . وقال شداد الأعرابي : مثل الشعر مثل الابل فيها الكرام والحساس ، يسد بعضها خصاص بعض . وقيل لجرير : ما تقول في الجعديّ ؟ فقال : سوق خلقان ترى ثوباً يروعك وثوباً تستهجنه عينك ؛ وقيل : اذا كان الكلام كله منقى لم تبن فيه اللمعة والنكتة ، ولذلك لم يستعذب الناس شعر صالح بن عبد القدوس لما كان كله حكماً .

المتنبي

وفي الشعر ما تهوى النفوسُ استماَعه وفي الشعر ما قد ضمَّه حبلُ حاطِبِ

ضن الشاعر برديء شعره :

قال عبد الله بن طاهر : آفة الشاعر البخل لأنه يقول خمسين بيتاً وفيها بيت رديء ، فلا يحتمل قلبه ان يسقطه . وقيل : الشاعر كالصيرفي يجتهد في أن يروج ما في كيسه من الزيوف .

اعتذار من قصر عن مساجلة :

العتابي : ولا عارَ إن قصرت دون مبرزٍ شأى الناس قبلي سعيُه وشآني
وإني كمن جارى جواداً بمقرفٍ قوائمُهُ مشكولةٌ بجرانِ

ومما يحسن ان يتمثل به هنا قول الدارمي :

كلانا شاعرٌ من قول صدقٍ ولكن الرحى فوق التفالِ

قائل شعر ذكر انه استعاره من المقول فيه :

احمد بن أبي الخصيب :

وإني وإن أحسنت في القول مرّة فمنك ومن إحسانك امتارها جنّبي
تعلمت مما قلتُهُ وفعلتُه فأهديتُ حلواً من جناي لغارسِ

ابن طباطبا :

لا تنكرنّ اهداءنا لك مَنطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله عزّ وجل يشكرُ فِعلَ من يتلو عليه وحيَهُ وكلامَه

وحكي أن الصاحب دخل على عضد الدولة بهمدان ، وعضد الدولة مكب على دفتر يقرأه ، فقال : يا أبا القاسم هذه رسالة لك في بعض فتوحنا ، نحن نأخذها بأسيافنا وأنت تجملها بأقلامك . فقال : المعنى مستفاد من مولانا وان كانت الالفاظ لخادمه ، ثم أنشده :

وأنت أكتب مني في الفتوح وما   تجري مجيباً الى شأوي ولا أمدي

فقال : لمن البيت ؟ فقال : لعبدك أبي اسحق الصابىء محبوساً ببغداد ، فأمر بالافراج عنه والخلعة عليه ، فكان ذلك سبب خلاصه وتقدمه .

كلام نثر صار شعراً من غير قصد :

كتب عقال بن شبة :

للامير المسيب بن زهير   من عقالِ ابن شبة بن عقالِ

فاتفق منه شعر . وحضر الصاحب الحَسن بن سعد فرأى على عنوان كتاب : ابو الحسين أحمد ابن سعد . فقال : هذا شعر ثم قال ، قل :

الى الهمام الأَريحيّ الفردِ   أبي الحسين احمد بن سعد

فقال أبو الحسين : علمت بعد ثمانين سنة ان كنيتي واسمي واسم أبي شعر ، وعلى ذلك كتب عبد الله الخازن على عنوان كتابه :

حضرة الصاحبِ الجليلِ أبي القا   سم كافي الكفاة اسماعيلا

وقال رجل لمناد : يا صاحب المسح تبيع المسحا . فقال صاحبه : تعال ان كنت تريد الربحا . فسمع ابو العتاهية ذلك فقال : قد قالا شعراً وهما لا يدريان .

ما جاء من لفظ القرآن والخبر موزوناً :

من ذلك قوله تعالى : تبت يدا أبي لهب وتب . وجفان كالجوابي . وقدور راسيات . وقال النبي ﷺ : أنا النبي لا أكذب . أنا ابن عبد المطلب . وكان النبي ﷺ يحرض أصحابه على حفر الخندق ويقول : والله لولا الله ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأنزلن سكينة علينا ، وثبت الأقدام إن لاقينا . وكان أصحابه يجيبونه إنك لولا أنت ما اهتدينا .

متناه في مدح أو هجو أول على ضده :

مدح أعرابي نبطياً فقال :

إن أبا الهيجاء أريحيّ   للريح في أثوابه دويّ

فقال النبطي : عنى أني أفسو ! فقال الأصمعي : انظروا كيف ضاع هذا البيت ؟ وسمع بعضهم قول الحطيئة :

يَغشَونَ حتى ما تهرّ كلابهمْ   لا يسألونَ عن السوادِ المقبلِ

فقال : هذا بيت قواد ! وأنشد قول الاخطل :

وإني لقوّام مقاومَ لم يكن   جريرٌ ولا مولى جرير يقومُها

فقال جرير : صدق ما قمنا بين يدي قيس لأخذ قربان ولا لإداء جزية بين يدي سلطان .

شعر لا يدرى أمدح هو أم هجاء :

دفع أعرابي ثوباً الى خياط فقال الخياط : لأخيطنه خياطة لا تدرى أقباء هو أم دواج . فقال : لأقولن فيك شعراً لا تدري أمدح هو أم هجاء ، وكان الخياط أعور ، ثم أنشده :

خاط لي زيد قبا   ليت عينيه سوا !

فلم يدر أدعاء له أم دعاء عليه . ولما أنشد النابغة النعمان قوله :

تخفّ الأرضُ إما غبتَ عنها   ويبقى ما بقيت به ثقيلا

غضب وقال : لا أدري أمدحني أم هجاني ؟ فأتى زهيراً فأخبره فقال : حق له أن يغضب ، ولكن قل بعده هذا البيت :

أظنك مستقرّ العز منها   فتمنع جانبيها أن تزولا

فأتاه فأنشده ذلك فرضي وقال : أما الآن فنعم !

من قصد مديحاً فاتفق منه هجو :

جاء شعرور الى زبيدة فمدحها فقال :

أزبيدةُ بنة جعفرٍ   طوبى لزائركِ المثاب !

تعطين من رجليك ما   تعطي الأكف من الرغاب

فوثب اليه الخدم ليضربوه فمنعتهم وقالت : إنه قصد مدحاً وأراد ما يقول الناس شمالك أجود من يمينه ، فظن انه اذا ذكر الرجل كان أبلغ ، وقد حمدنا ما نواه وإن أساء فيما أتاه . ومدح شاعر أميراً فقال :

أنتَ الهمام ابن الهما   م الواسعُ ابنُ الواسعه

فقال : من أين عرفتها ؟ قال : قد جربتها ! فقال : أسوأ من شعرك ما أتيتَ به من عذرك !

شاعر مغلوب بشعرٍ ركيك :

أتى أبو الشمقمق بشاراً فقال : يا أبا معاذ ، أعطنا شيئاً وصل اليك من السلطان ، فقال : أتسألني وأنا شاعر ؟ فقال : نعم إني مررت بالصبيان وهم يقولون :

إنما بشارُ فينـــا مثلُ تيس في سفينه

فرفع مصلاه عن ثمانمائة درهم وأعطاها له وقال له : لا تكن راوية للصبيان بعد هذا ! وقال دعبل : وردت قمّ وكان لي على أهلها رسم ، فاتفق أن جاءني شعرور فأخذ يناكدني ويؤذيني ، فازدريت به وزجرته فذهب وهجاني فقال :

في استِ دعبلٍ بلابل ليس يشفى لقابلِ
ليس يشفيه منه غير أير بغلٍ بكابلِ

فلهج الصبيان بذلك وصاروا يصيحون خلفي اذا رأوني ، ففررت من قم استحياء وما عاودتها بعد !

معرفة نقد الشعر :

قال أبو عمرو : انتقاد الشعر أشد من نظمه ، واختيار الرجل الشعر قطعة من عقله . وقيل : إنما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه . وقيل : كن على معرفة الشعر أحرص منك على عقله . وقيل : انما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه . وقيل : كن على معرفة الشعر احرص منك على حوكه . وقال الفرزدق : لا يكون الشاعر متقدماً حتى يكون باختيار الشعر أحذق منه بعمله . أبو أحمد بن المنجم :

ربّ شعرٍ نقدتُه مثل ما ينقدُ رأسُ الصيارف الدّينارا

الأهوازي :

ويزعم أنه نقّاد شعرٍ هو الحادي ، وليس له بعير !

آخر : قد عرفناك باختيارِك إذ كا نَ دليلًا على اللبيب اختيارُه

عذر من يعرف الشعر ولا يصوغه :

قيل لابن المقفع : لمَ لا تقول الشعر ؟ فقال : أنا المِسنّ أسن الحديد ولا أقطع ! وقيل لاديب : أشاعر انت ؟ فقال : لا ولكني بهم خابر . وقال شاعر :

وقديقرضُ الشعرَ البكيّ لسانُه وتعيي القوافي المرءَ وهو خطيبُ

وقيل لابي عبيدة : لم لا تقول الشعر مع غزارة علمك وجودة فهمك ؟ فقال : لان الذي يجيبني لا ارتضيه وما ارتضيه لا يجيبني . ولبعضهم في المعنى :

أبى الشعر إلا أن يفيء رديئه   علي ويأبى منه ما كان محكما
فيا ليتني اذ لم أُجدْ حوكَ وشيهِ   ولم أكُ من فرسانِه كُنتُ مفحما

مذاهب الناس في نقده :

مذاهب الناس في ذلك مختلفة ، فمنهم من يميل الى ما سهل فيقول : خير الشعر ما لا يحجبه شيء عن الفهم . وقال آخر : خير الشعر ما معناه الى قلبك اسرع من لفظه الى سمعك . ومنهم من يقول : ما كان مطابقاً للصدق وموافقاً للوصف كما قيل :

وإنّ أحسن بيت أنت قائله   بيتٌ يقال اذا أنشدته : صدقا !

وسئل ذو الرمة عن أشعر الناس فقال : من خبث جيده وطاب رديئه . ومنهم من يميل الى ما انغلق معناه وصعب استخراجه ، كشعر ابن مقبل والفرزدق ، وكثير من النحويين لا يميلون من الشعر الى ما فيه إعراب مستغرب ومعنى مستصعب . وقال يزدان المتطبب : إن أبا العتاهية اشعر الناس لقوله :

فتنفستُ ثم قلتُ نعم حباً   جرى في العروق عرقاً فعرقا

فقال له بعض الادباء : انما صار اشعر الناس عندك من طريق المجسة والعروق !

مراتب الشعراء والشعر :

قال الجاحظ : يقال للمجيد فحل ، ولمن دونه مفلق ثم شاعر ثم شويعر ثم شعرور . وقيل : أقسام الشعر أربعة : ضرب حسن لفظه ومعناه ، واذا نثر لم يفقد حسنه وذلك نحو :

في كفّهِ خيزرانٌ ريحه عبق   من كفّ أروع في عرنينه شممُ
يغضي حياءً ويغضى من مهابتِهِ   فما يكلم إلا حين يبتسمُ

وضرب حسن لفظه وحلا معناه نحو :

ولما قضينا من منى كل حاجةٍ   ومسّح بالاركانِ من هو ماسحُ
أخذنا بأطراف الحديثِ بيننا   وسالت بأعناقِ المطي الأباطِحُ

وضرب جاد معناه وقصر لفظه نحو :

خطاطيف حجن في حبالٍ متينة   تمدّ بها أيدٍ اليك نوازع

وضرب قصر معناه ولفظه نحو :

إن محلًّا وإن مرتحلًا   وان للسفر ما مضى مهلا

وقيل : الأشياء كلها ثلاث طبقات، جيد ووسط ورديء ، فالوسط من كل شيء أجود من الرديء عند الناس ، الاّ الشعر فإن رديئه خير من وسطه ، ومتى قيل شعر وسط فهو عبارة عن الرديء . وقيل : الشعر ثلاثة اصناف : شعر يكتب ويروى ، وشعر يسمع ويكتب ، وشعر لا يكتب ولا يوعى .

كثرة الشعر في الناس :

قال ابراهيم الموصلي : لولا أني أعلم ان الشعر من شر الكلام لقلت الشعر أكثر من النثر : أبو تمام :

ولو كان يفنى الشعرُ افناهُ ما قرت   حياضُك منه في العصورِ الذواهبِ
ولكنهُ صوبُ العقولِ اذا انجلت   سحائب منه أعقبَتْ بسحائبِ

وقيل : الشعر أكثر من الكلام البليغ ، فقد تجد عشرة آلاف شاعر ولا تجد خطيباً .

المستحسن الانشاد :

دخل ابو تمام على اسحق المصعبي فقال له : رأيت المخزومي آنفاً وهو ينشد شعراً فقال : ايها الامير ، نشيد المخزومي يطرق بين يدي شعره ، وشعري يطرق بين يدي نشيدي . ومدح رجل آخر بحسن الانشاد فقال : هو صناجة الشعر . وقال الفرزدق لعباد العنبري : حسن إنشادك يزين الشعر في فهمي . وقيل : اذا أنشدت المديح ففخم ، او المراثي فحزن ، او من النسيب فأخضع ، او من الهجاء فسدد وبالغ .

المستقبح الانشاد :

عبد الله بن معاوية :

يزّين الشعرَ افواهٌ اذا نطقت   بالشعر يوماً، وقد يزرى بأفواه

ابو خليفة :

كأن الشعر مِن فيه   إذا تمَّتْ قوافيه   كنيف قد خري فيه !

• • •

ومما جاء في الكتاب والكتابة

واضعو اللغات والخط :

قيل : اللغات توقيفية لقوله تعالى « وعلم آدم الاسماء كلها » . وقيل : اول ذلك اصطلاح ثم يجوز ان يكون الباقي توقيفاً . وقال الكلبي : وضع الخط ثلاثة نفر : مرامر بن مرة بن ذروة ، وأسلم بن شدرة ، وعامر بن حدرة ، فرامر وضع الصورة ، وأسلم فصل ووصل ، وعـــامر أعجم وأشكل . وقيل : وضعه قوم من طسم وهم : أبجد وهوّز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت على اسمائهم ، ثم وجدوا حروفاً أُخر وسموها الروادف وهي ثخذ ضظغ ، ولها اربعة حروف لا يعدونها في أبي جاد ، وتلك حروف المد واللين ونون الغنة في نحو منذر وجندل . واول من خاطب بأطال الله بقاءك عمر بن الخطاب ؛ قاله لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما . واول من قال جعلني الله فداءك ، عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . واول من قال جعلت فداءك ، علي عليه السلام . واول من كتب في صدر الكتاب ، مراسلة أن يصلى على محمد ، يحيى بن خالد البرمكي .

اتفاق الحروف مع النجوم :

عدد الحروف العربية عدد منازل القمر ثمانية وعشرون ، وغاية مبلغ الكلمة مع الزيادة سبعة على عدد النجوم السبعة ، وصورة الزوائد اثنا عشر على عدد البروج ، واربعة عشر تندرج مع لام التعريف مثل منازل القمر التي تستتر تحت الارض ، واربعة عشر فوقها ، وهذا اتفاق صحيح .

أسامي المترجمين :

نقل ديوان الفارسية الى العربية صالح بن عبد الرحمن ، فقال له رجل من الفرس : كيف تكتب دهيوده وبنجيوده ؟ فقال : عشير ونصف عشير ، فقال : وكيف تكتب اندى ؟ قال : ايضاً ، فقال : قطع الله اصلك من الدنيا كما قطعت اصل الفارسية ! وقال لقومه : اطلبوا مكسباً غيره .

وممن نقل العلوم الكبار :

ابن بطريق وابن ناعمة وابو فروة وابن المقفع وارسطوطاليس وأفلاطون ، من متقدمي الحكماء ومستخرجي العلوم .

أجناس الكتابة :

قال الكلبي : كتابة الامم نوعان : أحدهما يبتدىء باليمين وهي العربية والعبرانية ، والثاني من اليسار وهو اليونانية والرومية ، وكل كتابة من اليسار فهي مفصولة ، وكتابة الصين نقوش تصوّر . وحكي ان ملك الروم قال : ما حسدت العرب على شيء كالحسد على أشكال خطوطهم .

مرافق الخط :

قيل : الخط لسان اليد وهو الطلسم الاكبر . وقيل : الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية وقيل : العلم شجر والخط ثمر . وفضل بعضهم الخط على اللفظ فقال : الخط للقريب والبعيد ، واللفظ للقريب فقط . وفضل جالينوس اللفظ فقال : الخط كلام ميت واللفظ كلام حي .

اختلاف الخطوط وتشابهها :

قيل : من اعجوبة الخطوط كثرة اختلافها مع اتفاق أصولها ، كاختلاف الاشخاص مع اتفاقها في الصنعة . وعجب بعض الكتاب من الحاق القافة بالولد بالشبه فقال له قائف : أعجب من هذا ما يبلغنا من تمييزكم الخطوط والحاق كل بصاحبه ! وحكي ان رجلاً ادعى على آخر بخط، له معه ، فجحد المدعى عليه خطه ، فتحاكما الى سليمان بن وهب ، فأحضر الخط وأملى على الرجل كتاباً طويلاً ردد فيه الحروف ، فتصنع الرجل في كتابته فابت سجيته في أحرف الا ان تأتي كما جرت به عادته ، فتبين لسليمان كذبه ، فاستقصى عليه حتى اعترف بخطه .

مدح الكتابة :

جعل الله تعالى كتبة الملائكة كراماً كاتبين حيث يقول : كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون . وقال تعالى : بأيدي سفرة كرام بررة . وقيل : بلغت الكتابة بقوم مبلغ الملوك ، واعطتهم ازمة الخلافة ، ونال الخلافة أربعة من الكتاب : عثمان وعلي ومعاوية وعبد الملك . وسأل اعرابي من اصحاب النبي ﷺ ، فذكروا له حتى انتهوا الى ذكر معاوية ، فقالوا كان كاتب النبي ﷺ ، فقال : فلج ورب الكعبة ، فإن الامور بيد الكتاب ! قال الشاعر :

ما الناس الا الكتَبه هم فضة في ذهبه
قد احرزوا دنياهمُ بشعبةٍ من قَصَبَه

وقال ابن الحجاج :

وشمول كأنما اعتصروها من معاني شمائل الكتاب

وقيل : كل صناعة تحتاج الى ذكاء الا الكتابة فانها تحتاج الى ذكاءين : جمع المعاني بالقلب ، والحروف بالقلم ؛ ولذلك قيل بالفارسية دبير أي له ذكآن . وقال الجاحظ : لم أر مثل طريقة الكتاب ، فإنهم اختاروا من الألفاظ ما لم يكن وحشياً ولا ساقطاً سوقياً . وقال : إنما عذب شعر النابغة لأنه كان كاتباً وكذلك زهير .

ذم الكتاب :

قال الجاحظ في ذمهم : ما قولك في قوم أوّل من كتب منهم لرسول الله ﷺ خالفه في كتابه : فأنزل الله فيه آيات ، فهرب الى جزيرة العرب فمات كافراً ؟ ثم استكتب معاوية فكان أوّل من غدر وحاول نقض عرى الاسلام في أيامه ، ثم كتب عثمان لابي بكر مع طهارة اخلاقه فلم يمت حتى أدّاه عرق الكتابة الى ذم من ذمه من أوليائه ، ثم كتب لعمر رضي الله عنه زياد بن أمية فانعكس شر مولود ، وكتب لعثمان رضي الله عنه مروان بن الحكم فخانه في خاتمه ، وأشعل حرباً في مملكته . وقال بعضهم وقد جلس في ديوان : أخلاق حلوة وشمائل معشوقة ووقار أهل العلم ، وظرف أهل الفهم ، واذا سبكتهم وجدتهم كالزبد يذهب جفاء لا يستندون الى وثيقة ولا يدينون بحقيقة ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون !

كشاجم : بأبي وأمي أنتَ من مستجمع تيهَ القيان ورقة الكتَّاب

ابن المعتز : وما كاتب بالكف الا كشارط

ذم عجزة الكتاب :

الحجاج الأهوازي يهجو الكتاب :

تعس الزمانُ لقد اتى بعجاب ومحا رسوم الظرف والآداب !

وأتى بكتَّاب لو انبسطت يدي فيهم ، رددتهمُ الى الكتَّابِ !

وقال آخر :

دعيّ في الكتابة يدعيها كدعوة آل حرب في زياد

ولما ولي الفضل بن مروان ديوان الخراج ، وموسى بن عبد الملك ديوان الضياع ، قال محمد بن يزيد المراعي :

أرى التدبير ليس له نظامُ وأمر الناس ليس بمستقيمِ

فديوان الضَّياع بفتح ضاد وديوان الخراج بغير جيم !

وذم رجل آخر فقال : فيه من أخلاق النبي ﷺ عدم الكتابة والعجز عن تقويم الشعر .

من يسد كتابه مسد السلاح والعساكر :

ابن الرومي :

في كفِّه قلم ناهيك من قلمٍ نيلًا وناهيك من كف به اتشحا !

يمحو ويكتب أرزاق العباد به فما المقادير الا ما محا ووحى

المتنبي
يا من اذا ورد البلادَ كتابُه قبلَ الجيوش ثنى الجيوشَ تحيّرا
ورسائل قطع العداة سحاءها فرأوا قناً وأسنةً وسنورا

وفي وصف القلم باب يجري هذا المجرى .

ومما هو كالمضاد لهذا الباب :

ما روي أن عكلًا أغارت على ابل لبني حنظلة ، فاستغاثوا باسحاق بن ابراهيم ، فكتب الى عامل كتاباً فخرج صاحب الكتاب وخرق الكتاب وقال :

جعلتم قراطيسَ العراقِ سيوفكم ولن يقطعَ القرطاس رأس المكابر
وقلتم : خذوا البر التقي فإنه أقل امتناعاً ، واتركوا كل فاجر !
فُرحنا بقرطاسٍ طويلٍ وطينة ، وراحت بنو أعمامنا بالأباعر !

البحتري :

فلا غرّني من بعده عزّ كاتب اذا هو لم يأخذ بحجزة رامح

ذم الكتابة اذا تولاها النساء :

قال عمر رضي الله عنه : جنبوهن الكتابة . وقال دقنس الفيلسوف وقد رأى جارية تتعلم الكتابة : تُسقى سهماً سمّاً لترميك به يوماً . وقال السامي :

ما للنساء وللكتا بة والعمالة والخطابه ؟
هذا لنا ولهن منّا أن يبتن على جنابه

سمع جرير شعراً فسأل عن قائله فقيل : امرأة فلان . فقال : اذا زقت الدجاجة زقاء الديك فاذبحوها .

شكوى التأخر في الكتابة :

حتّام لا انفكّ حارس سلّة أدعى فأسمعُ مذعناً وأطيعُ ؟
وأكلف العبء الثقيلَ ، وإنما يبلى به الأتباع لا المتبوع
فعليهم ثقل الأمور وحملها وعلى الرئيس الختمُ والتوقيعُ

نقص الامي وفضله :

قال امي : كان النبي ﷺ أمياً ، فقيل له : أما علمت أنه كان له منقبة ولك مثلبة ؟ وقال المأمون لأحمد بن يوسف : وددت أن يكون لي خط كخطك ! فقال : يا امير المؤمنين لو كان في الخط حظ ما أحرمه الله تعالى نبيه ﷺ . وكانت أم سلمة تقرأ ولا تكتب ، ومحمد بن الوليد المازني يكتب ولا يقرأ ، وكان يتنافس فيما يكتب بيده . وولي عمر بن هبيرة العراق فكان يحفظ جمل حسابها ولا يكتب .

كتاب الرجل منبىء عن عقله :

قال زياد : ما قرأت كتاباً قط لرجل إلا عرفت مقدار عقله فيه . وقال طريح بن اسماعيل : عقول الرجال في اطراف اقلامها . وقال يزيد بن المهلب لابنـــه حين استخلفه على خراسان : اذا كتبت كتاباً فأكثر النظر فيه ، فإنما هو عقلك تضع عليه طابعك ، وان كتاب الرجل موضع عقله ، ورسوله موضع رأيه .

بقاء الخط :

قال بعض الشعراء :

وما من كاتب إلا ستبقى كتابتُه ، وإن فنيَتْ يداهُ
فلا تكتب بخطِّك غير شيء يسرك في القيامــةِ أن تَراهُ

الخليل : كتبت بخطِّي ما ترى في دفاتري عن الناس في عصري وعن كل غابرِ
ولولا عزائي أنه غيرُ خالدٍ على الأَرضِ لاَستودعتُه في المقابرِ

فضل الخط المستحسن :

قيل في قوله تعالى « يزيد في الخلق ما يشاء » إنه الخط الحسن . قال الشاعر :

أَضحكت قرطاسك عن جنةٍ أشجارُها من حكم مُثمِرَهْ
مسودة سطحاً ، ومبيضة أرضاً ، كمثل الليلة المقمِرَه

ونظر الحسن بن رجاء الى خط حسن فقال : متنزه الألحاظ ومجتنى الالفاظ فلان فصيح القلم . ونظر أعرابي الى اسمعيل وهو يكتب بين يدي المأمون فقال : ما رأيت أطيش من قلمه وأثبت من حكمه !

ابن المعتز :

إذا أخذ القرطاس ﹺخلْتَ يمينَه تفتح نوراً أو تنظمُ جوهرا

وقيل لبعضهم : كيف ترى ابراهيم الصولي ؟ فقال :

يولد اللؤلؤَ المنثورَ منطقُه وينظم الدرَّ بالاقلام في الكتبِ

وتحاكم الى الحسن بن سهل صبيان في خطيهما فقال لاحدهما : خطك تبر مسبوك ! وقال للآخر : خطك وشي محوك ! وقد تسابقتما إلى غاية فوافيتما في نهاية .

من حسن خطه وخده :

وصف أحمد بن أبي خالد جارية كاتبة فقال : كأن خطها أشكال صورتها ، ومدادها سواد شعرها، وقرطاسها أديم وجهها ، وقلمها بعض أناملها ، وبيانها سحر مقلتها .

قال : بخطٍّ كأن اللهَ قال لحسنهِ : تشبه بمن قد خطك اليوم فائتمر !

وقال الصاحب : غزال يفتنُ الناس مليحُ الخدِّ والخطِّ
فهذا النمل في العاج وهذا الدرّ في السمط

ذم الخط القبيح :

قيل : رداءة الخط احدى الزمانتين .

الحسن المغربي : جزعت من قبح خطي وفيه وضعي وحطي
رجعت من بعد حذقي الى كتابـة حطي

علي بن محمد العلوي :

أشكو الى الله خطاً لا يبلغني خطَّ البليغِ ولا حظَّ المرّجينا

يحيى بن علي :

مع خطّ كأنه أرجل البطّ أو الشرط في طـلى الفتيان

وقال ابن المستنير وقد سئل عن خط وزير ليس بالجيد فقال : رأيت حظه أحسن من خطه !

الخط الدقيق والجليل :

كتب رجل لصاحبه كتاباً دقيقاً فقال : ما خاطبتني ولكن عودتني !

الناشي : كتبت اليكم اشتكي حرقة الهوى   بخطٍ ضعيفٍ والخطوطُ فنونُ
فقال خليلي : ما لخطِّك هكذا   دقيقاً ضئيلًا ما يكاد يبين ؟
فقلت : حكاني في نحول ودقة   كذاك خطوط العاشقين تكون !

ورأى محمد بن سعيد كتاباً بخط دقيق فقال : هذا كتاب من يئس من طول حياته !

التثبت في الكتابة والاسراع فيها :

قيل : التثبت في الابتداء بلاغة وبعده عي وبلادة . وكان ابن المقفع كثيراً ما يقف اذا كتب، فقيل له في ذلك فقال : ان الكلام يزدحم في صدري فاقف، لتخيّره ! وقيل : سرعة اليد محمودة ما أمنت نقصاً أو سقطاً .

حمد الشكل وذمه :

قيل : حلوا عواطل الكتب بالتقييد ، وحصنوها من شبه التصحيف والتحريف ، وقيل : اعجام الكتاب يمنع من استعجامه ، وشكله يمنع من اشكاله .

قال الشاعر :

وكان أحرفَ خطِّه شجرٌ   والشكل في اضعافه ثمرٌ

وقال أبو تمام وقد ضرب بعضهم المثل في هذا الباب بقوله :

اذا ما قيدتْ رتكت وليسَتْ   إذا ما أطلقت ذاتَ انطلاقِ

وعرَض خط على عبدالله بن طاهر فقال : ما أحسنه لولا انه أكثر شونيزه ! ونظر محمد بن عباد الى أبي عبيد وهو يقيد بسم الله فقال : لو عرفته ما شكلته .

الوصية بتقويم حروف في الكتابة :

قال الحسن : من كتب اسم الله فحسنه أحسن الله اليه . وكان يزيد بن ثابت يكره أن يكتب بسم الله من غير السين ، فإذا رآه كذلك محاه . ورأى محمد بن عيسى كاتباً كتب عيسى ورد الياء الى خلف فقال : لا تكتب كذا فأيسر ما فيه ان الياء اذ كان الى قدام كان اقبالاً ، وإذا كان إلى خلف كان ادباراً . وقيل : ارخوا ذوائب الخطوط يعني ما كان من نحو الياء والنون . وقيل :

المد في حرفين سوء التقدير . وقيل : اذا اجتمع واوان وجب الفصل ، والفصول حلى الكتاب ، وجودة القراطيس شفاء القلم . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ألق دواتك ، وأطل سن قلمك ، وفرج بين السطور ، وقرمط بين الحروف .

معرفة كتابة باشارة :

روي ان هشام بن عبد الملك كان يسايره اعرابي فقال له : انظر ما على ذلك الميل . فجاء الاعرابي وتأمله وقال : رأيت شيئاً كرأس المحجن متصلًا بحلقة يتبعها ثلاث كأطباء الكلبة ، كأنها رأس قطاة بلا منقار ، فعرف هشام أنه يصفه . وأضل رجل بعيراً فقال لأعرابي : هل رأيت بعيراً سمته جعفر ؟ فقال : ما أعرف جعفرا ولكن رأيت بعيراً سمته محجن وسابورة وحلقة وهلال متصل بعضه ببعض، فقال : ها هوذا . وقال مشمشة المخنث للصولي : اكتب مشمشة يقرأ عليك السلام . فقال : قد كتبت . فقال : أرنيه فان في اسمي دخالة الأذن قال : فعجبت من جودة تشبيهه .

تشبيهات بعض حروف المعجم :

دعا أبا النجم بعض أصدقائه فعاد عنه سكران فقال :

أقبلت من عند زياد كالخرف　　تخط رجلاي بخط مختلف
كأنما يكتبان لام الألف

عبد السلام الحمصي :

كأن قافاً أديرتْ فوق وجنتِهِ　　واختطّ كاتبها من فوقِها أِلفا

أبو نواس في حباب الكاس :

خلته في حببات الـ　　ـكاس واواتٍ صغارا

وقال بعضهم في وصف بخيل : كان جلمان من حيث جئته وجدت لا . وفي تشبيه الشارب قال : فجاء كنصف الصاد من خط كاتب .

تتريب الكتب :

قال النبي ﷺ : اتربوا الكتب فإنه أنجح للحوائج . وكان الفرزدق كتب وصية وأعتق عبداً عن دبر فترب الكتاب العبد ، فقال : استنجحت الحاجة واستعجلت المنية لي يا ابن الفاعلة ، احذفوا اسمه من الوصية ! رفع رجل قصة الى عبدالله بن طاهر وقد أكثر عليها من التراب ، فوقع فيها . إن ضمن لنا من الصابون ما ينقي ثيابنا من تراب كتابه ، ضمنّا له قضاء حاجته .

الكتابة في الانصاف والظهر :

قال الشاعر :

أنت لمّا ابتدأتَ تكتبُ في الإنـ ـصاف خفنا من قلّةِ الإنصافِ

وكتب أحمد بن يوسف الى صديق له : كتبت اليك في الظهر تفاؤلاً بان يظهرك الله على من ناوأك ، ويجعلك ظهراً لمن والاك .

قال الشاعر :

العذر في الظهر عند الحرِّ منبسطُ إذا رأى سطواتِ الدهرِ بالنعمِ

لو كان يصلحُ خدّي ما جرى قلمي إلا عليه علـى أن المدادَ دمي

وقال آخر :

كتْبُ القراطيسِ لذي حشمةٍ وكتْبُ مـا بالظهرِ للنّاسِ

المكتوب على الحواشي :

بعضهم : اطلبوا النكت في الفواشي والحواشي . وقيل : التعليق في الحواشي كالشنوف في آذان الأبكار.

الحك :

قيل : من كثر شكه جاد حكه . وقال علي بن عيسى لجماعة من الكتاب رأى في كتابتهم حكاً كثيراً : ما زلتم تغلطون وتحكون حتى حذقتم بالحك . ورأى الصاحب حكاً كثيراً في حساب دفع اليه فقال : أرى فيه تأثير السكين أكثر من تأثير القلم .

قال الشاعر :

حذقُكَ بالحكِّ دليلٌ عـلى أنك في الكتبِ كثيرُ الخطأ

النظر في كتاب الغير :

قال الفضل بن الربيع : كنت اقرأ في كتاب وإلى جانبي رجل من أهل المدينة ، فجعل ينظر فيه فلمحته وقلت : ما تصنع ويحك ؟ قال : بلغني أن النبي ﷺ قال : من نظر في كتاب أخيه بغير اذنه ، فانما يتطلع في النار ، ولنا أشياخ قد تقدموا فقلت لعلي أرى أعظمهم . وكتب بعض الكتاب كتاباً والى جنبه رجل يتطلع فكتب فيه : ولولا أن ابن الزانية فلاناً يتطلع علي فيما أكتبه لشرحت كثيراً مما في قلبي ! فقال الرجل : يا سيدي ما كنت أتطلع عليك ! فقال : يا بغيض ، فإذاً من أين علمت ما كتبت فيه ؟

(٦٠٩٢٩) محاضرات الادباء، راغب حسين بن محمد -

توشّي المداد على الثوب :

محمد بن مهران :

لا تجزعنّ مِن المدادِ ولطخهِ　　إن المدادَ خلوقُ ثوبِ الكاتبِ

الحسن بن وهب :

وما شيء بأحسنَ مِن ثيابٍ　　على حافاتها سِمة المدادِ

آخر في نقيض هذا :

يدل على أنه كاتب　　سواد بأظفاره راسبُ
فإن كان هذا دليلًا لنا　　فاسكافنا كاتبٌ حاسبُ

التاريخ :

كان الرسم أن يؤرخ بكل وقت تحدث فيه حادثة ظاهرة مشهورة ، فالروم كانت تؤرخ بملك ذي القرنين وهو الاسكندر ، والفرس كانت تؤرخ بأعدل ملك كان يتفق لهم إلى أن باد ملكهم يزدجرد فهم يؤرخون منه ، والعرب بمشاهير الحوادث كنزول اسمعيل مكة ، وعام الفيل ، وهجرة النبي ﷺ ، وعليها استقر الحكم إلى الآن ، وأول من أرخ بذلك في الاسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

العنوان :

الرسم أن يكتب اسم الكاتب ضئيلًا ، والمكتوب اليه فحلًا جسيماً . ورأى طاهر بن الحسين رقعة لابنه الى المأمون وعليه عبده عبدالله فقال : يا بني ابدل هذه اللفظة شيئاً آخر ، فاني سميتك عبدالله فلا تشرك معه في ملكه غيره . ووقع المهدي في كتاب رجل كتب عليه عبده : لا أعلمن أحداً ينسب نفسه الى مخلوق مثله على عنوان فانه ملق كاذب ، لا يقبله الا مفتون أو مأفون !

الختم :

قيل في قوله تعالى في كتاب مكنون : أي مختوم ، وفي قوله تعالى، اني ألقي الى كتاب كريم: أي مختوم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الكتاب بلاختم يسمى اقلف ، وهو استهانة بالمكتوب اليه . وقال عمر رضي الله عنه : طينة خير من ظنة . وقيل : الختم حتم . وقيل : التصفح قبل الختم والختم بعد العنوان . وسأل بعض الادباء رئيساً أن يختم كتابه فقال :

يا أيها الملكُ المنفَّذ أمرُهُ شرقاً وغربا
امْنُنْ بختمِ صحيفتي ما دام هذا الطينُ رطْبا
واعلم بأن جفافه مما يعيد السهلَ صعبا

وكتب بعضهم الى رئيس : تختم كتبك لانها مطايا البر ، وأنا لا اختمها لانها حوامل شكر .

القصة والتوقيع :

قال الصاحب لرجل رفع اليه قصة وهو يكثر الكلام : هذا رفع القصص لا رفع القصص . وجاء رجل يطلب منه توقيعاً بالجواز فقال : يكتب جواز لحيته على طريق فقحته . وقيل : التوقيع الى ذوي الاقدار موق .

مدح الوراقين وذمهم :

قيل : لا تقعدن في السوق الا الى وزاق أو زراد فهما مباينان للأوغاد . وقال عبدوس الحكيم: لا تكونن وراقاً لآلئياً ، فان الدفاتر للعلماء والجواهر للملوك ، وهذان الصنفان في الناس قليل . وقال الجاحظ في ذمهم : لم ار شراً من الوراقين مع أن صناعتهم نسخ الاخبار لذوي الآداب والالباب ، ووراق المصاحف شر . وقال : نبئت ان شيخاً منهم خثر عليه الحبر ، فبال في المحبرة وكتب به المصحف والماء منه غير بعيد . وقال : وراق عرضي أرق من الزجاج ، ومجالي في طلب الرزق أضيق من المحبرة ، ووجهي في الناس أشد سواداً من الحبر . وقيل لوراق : ما تشتهي ؟ فقال : قلماً مشاقاً وحبراً براقاً وجلوداً رقاقاً ، والله سبحانه أعلم .

ومما جاء في التصحيفات

النهي عن اخذ العلم من الصحفي :

قيل : لا تأخذوا العلم من صحفي ، ولا القرآن من مصحفي . وهجا بعضهم أبا حاتم فقال :

إذا أسندَ القومُ أخبارَهم فإسناده الصحفُ والهاجِسُ

وقال أبو نواس في مرثيه ، خلف :

أودى جماعُ العلمِ مذ أودى خلف فليذم من العياليم الخسف

رواية لا يجتنى من الصحف

المهجو بكثرة التصحيف :

قيل : كيسان يمسخ على لسانه العلم ثلاث مرات ، فإنه يكتب في الواجه خلاف ما يسمع ، وينقل من الواجه الى الدفتر خلاف ما يكتب ، ثم يقرأ من الدفتر خلاف ما يكتب .

شاعر : ولم يسمع النحوَ لكنَّه قرأ منه شيئاً وقد صحَّفَه

تصحيفات متوالية الى ما لا معنى له :

وجد معلم يلقن صبياً :

عفت الديار محلّها فمقامها بمنى بأبد غولها فرجامها

وإنما هو :

عفتِ الديار محلّها فمقامُها بمنى تأبّد غولها فرجامُها

قال الجاحظ : ومررت بمعلم وهو يلقن صبياً :

يا أبا الفياش جشى اخرج الفتيان غشا

لبش في الارض أباس شزنوا أيلج مشا

فقلت : بالعبرانية هذا ؟ قال : لا هو بالعربية ، فلما تأملته اذا هو مكتوب :

يا أبا العباس حبي أخرج الفتيانَ عنّا

ليس في الأرض أناس شربوا أملح منا

فقلت : أيها المعلم انك ضائع بهذا البلد ، قال : نعم قدور ومزاريق . ورؤي صبي يقرأ على معلم :

والشيخ لا يبرك أجلافه حتى يوارى في ثرى دمسه

فاذا هو :

والشيخ لا يتركُ أخلاقَه حتى يوارى في ثرى رمْسِه

تصحيفات في القرآن مستهجنة :

سمع رجل يقرأ ربنا إنك من تدخل النار فقد اخذيته ، بالراء ، فقال بعضهم : أخراه ولكن بلفظ أحسن من هذا . وقال رجل في مجلس الشافعي رضي الله عنه : كيف يقرأ بشوال يعجنك أو بشوال يعجبك ؟ فقيل : ليس في القرآن شيء من ذلك . فقال الشافعي : دعوه لي انما هو « بسؤال نعجتك » . وقال الجاحظ : سمعت من يقرأ « ض والقرآن » وقرأ آخر « وفرش مرقوعة » وقرأ آخر « ان السموات والأرض كانتا ريقاً » وقرأ آخر « نبية من ربكم » وقرأ آخر : ومريم بنة عمران التي أخصيت فرجها » .

تصحيفات في الحديث مستقبحة :

قرأ بعضهم أن النبي ﷺ بلع قديداً ، وإنما هو بلغ قديداً . وقرأ آخر : كان النبي ﷺ يكره النوم إلا في القدر ، وإنما هو الثوم . وقرأ آخر : على القباب المحدث لا يدخل الجنة قباب ،

فقال أعيذني بالله انما هو قتات ، فقدم القارىء اليه وعرك أذنه وقال : ما صنع المسكين حتى لا يدخل الجنة ؟ وقرأ آخر : كان النبي ﷺ يحب العسل يوم الجمعة ، وانما هو الغسل . وقرأ آخر : غم الرجل ضيق أبيه ، وانما هو عم الرجل صنو أبيه . وقرأ آخر : لا يرث جميل الا بثينة ، وإنما هو لا يرث حمل إلا ببيّنة . وقرأ آخر : إن اردت أن تنعظ فادخل المقابر ، وانما هو تتعظ . وقال ابو بكر احمد بن كامل : حضرت شيخاً فقال عن رسول الله عن جبريل عن الله عن رجل فقلت : من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله يروى عنه ؟ فاذا هو عز وجل . وقرأ محدث : كان النبي ﷺ يغسل خصي الحمار ، فقيل له : وما أراد بذلك ؟ فقال : التواضع وانما هو حصي الجمار .

من صحف وتأول برقاعته :

قرأ بعضهم : فاوجس في نفسه جيفة ، فقيل هو خيفة ، فقال : لا بل لانـه توضأ ولم يغسل استه . وقرأ آخر في روضة يخبزون . فقال : أخشكار أم جواري ؟ فقال : ما أرادوا ففيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين . وقرأ آخر : فاسأل به جبيراً . فقال : من جبير ؟ فقال : والد سعيد . وقرأ رجل على محمد بن حبيب من شعر الراعي :

تعود ثعالب السرقين منـه

فقال : انما هو ثعالب الشرفين منه . فقال : ان الثعالب أولع شيء بالسرقين ، فقال : أتصحيف وتفسير ؟

تصحيف فيه نادرة :

قرأ رجل على ابن مجاهد « بل عجنت ويسجرون » قال : أحسنت فمع العجن سجر التنور . وقرأ صبي على معلم : إني أريد أن أنكحك ، فقال : هذا اذا قرأت على أمك ! وقرأ آخر : وأما الآخر فتصلب . فقال : هذا اذا قرأت على أبيك الكشحان . وغنى رجل :

خليلي هبّا نصطبح بسماد

فقال اصطبح به وحدك ، انما هو بسواد .

تصحيف أفضى الى مضرة :

كتب الوليد بن عبد الملك إلى والي المدينة : أحص من قبلك من المخنثين ، فونم الذباب على الحاء فقرأ الكاتب أخص ، فقال العامل : لعله أحص ، فقال الكاتب : على الحاء نقطة كسهيل فخصى جماعة منهم ، ولكل واحد نادرة . وكتب صاحب الخبر باصبهان الى محمد بن عبدالله بن طاهر ان فلاناً ، يعني قائداً كبيراً ، له خزلجية ويجلس مع النساء . فكتب الى العامل : ابعث الى فلاناً وخزلجيته ، فقرأ الكاتب ، وجز لحيته ، فأخذه وحلق لحيته وأشخصه ، فلما أبصره رأى آية فضحك وخلاه . وكان حيان بن بشير يملي ان عرفجة أصيب يوم الكلاب وكان مستمليه يعرف ملحه فقال : انما هو الكلاب بالضم ، وحبست أنا من أجله .

تصحيف أُفضى الى فائدة :

كان نعيم بن زيد والياً على الهند ، وفي حبسه رجل يقال له حبيش ، فجاءت أمه إلى الفرزدق وسألته أن يتشفع فيه ، فكتب اليه كتاباً فلم يدر أخنيش أو حبيش ، فأمر أن يطلق كل محبوس إسمه شيء من ذلك ، فأطلق بذلك عدة . وأنشد رجل الاصمعي : كليني لهم يا أميمة باضت . فقال له الاصمعي : أما علمت ان كل ناجمة الاذنين تحيض وكل سكاء الاذنين تبيض ؟ فقال أبو الحسين الكوفي : لم أر تصحيفاً أجلب للفائدة منه . وغنت جارية للرشيد :

أظلوم ان مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

فقال الكسائي : انما هو مصابكم رجل . فقالت الجارية : إني أخذت هذا الشعر عن أنحى الناس وآدبهم أبي عثمان المازني بالبصرة هكذا ، فقال الرشيد : ليكتب الى العامل بالبصرة باطلاق نفقة المازني واشخاصه ، فلما أشخص ودخل الى الرشيد سأله عن حاله ، ألك ولد ؟ قال : نعم بنية . فقال: وما قالت لك ؟ قال : أنشدتني :

أيا أبتا لا ترم عندنا فانا بخير اذا لم ترم

قال : وبماذا أجبتها ؟ قال ، قلت :

ثقي بالله ليس له شريكٌ ومن عند الخليفة بالنجاحِ

فسأله عن البيت المغنى به فقال : انما هو رجلًا وخبران انما هو ظلم ، فقال : أجدت وأصبت : فأعطاه مالاً وأكرمه ورده الى البصرة مكرماً .

ادعاء تصحيف أدى الى خلاص :

أتى عبد الملك بخارجي فأمر بقتله . وقال : ألست القائل :

ومنا حصين والبطين وقعنب ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فقال : انما قلت أميرَ المؤمنين أي يا أمير المؤمنين ، فأطلقه . وأحضر جعفر بن سليمان الهاشمي خطابي المقدم الهذيلي وفيه :

يا ابن الزواني من بني معاويه أنتَ لعمري مِنهم ابنُ الزانيه !

فقال : انما قلت يا ابن الرواني ، وانت ابن الرانية أي اللواتي ينحن على موتاهم . وحكى ان علوية الشاعر اجتمع عليه الصوفية وقالوا له أنت أنشدت :

طاب لنا الرفض بغير حشمه

فقال : إنما قلت طاب لنا الرقص ، فرضوا عنه وانصرفوا .

تعبير كتابة قليلة يغير بها المعنى :

خرج توقيع عن الرشيد ، إلى بعض أوليائه باقطاع مائة ألف وألف دينار الى الري ، فدفع الى معين لنسخه وطلب رسماً من صاحبه ، فامتنع فزاد المعين ألفاً وجعله أو ألف دينار ، فلما أخرج وأوصله الى العامل قال لك ما فيه توفير السلطان من أحد هذين . فقال : انما أمر لي بها فاسترجع التوقيع وعاد به الى الحضرة ، فلما رآه الرشيد ضحك وقال : لعلك لم ترض الكاتب فاصلحه . وعلق ستر على باب أم جعفر ، وكان قد أمر أن يكتب عليه السيدة الميمونة المباركة ، فاغفل المطرز الراء ، فدخل الرشيد فرآه وقرأه مناكة ، فضحك وأمر أن يمزق . وقال الصاحب : لا ينبغي أن يخاطب النساء بجراستها ونظرها ولا عقلها ، لانه لا يؤمن أن يصحف بجراستها وبظرها وعفلها . ودفع المعروف بصخرة دبير قصة إلى الصاحب يستوهب منه شيئاً وفي آخر القصة : فعل ان شاء الله . فزاد الصاحب فيه ألفاً وجعله أفعل ان شاء الله . وقال : خذها فقد وقعت لك ، فأخذ صخرة دبير القصة فتأملها فلم ير توقيعاً ، فراجعه مرتين كل ذلك يقول : قد وقعت فيه حتى أراه الصاحب ما أثبته من الألف.

من صحف عند رئيس بما أضحك :

قرأ بعضهم عند رئيس جاضرطي وانما هو حاضرطي . وحضر أحمد بن أبي خالد وزير المأمون يتتبع القصص ، فأخذ قصة فقرأ أحمد الثريدي ، وانما هو البريدي ، فقال المأمون : يا غلام احضر لابي العباس طعاماً فانه جائع ، وعزم عليه ليأكل ، فأكل ثم عاد فمر بقصة فيها فلان الحمصي فقرأ الخبيصي ، فقال المأمون : يا غلام أظن ان طعامه كان مبتوراً عن الحلواء أحضره خبيصاً ، فأتى بجام فامتنع فقال : عزمت عليك لتأكلن ، فأكل ثم لم يعثر بعد والذي قرأ : وانا فداؤك من الشوكله انما هو من السوء كله ، والذي قرأ على أمير المؤمنين الخليفة اتعظ على امير المؤمنين انما هو ابعط أي أبعد . وقال بعضهم : حضرت مجلس قاضي القضاة عبد الجبار فقال له بعض العلوية الكبار : ما هذا الذي يقوله النحار في كتبه الكس بالكسب ؟ أراد الكسب ، فضحك كل من عنده فأنشد فيه :

إذا الغصن لم يثمرْ وان كان شعبة   من المثمرات اعتدّه الناس في الحطبْ

تصحيفات مستحسنة :

قرأ الاصمعي على أبي عمرو هذا البيت :

وعزرتني وزعمت انـك لا تني بالضيف تأمر

وانما هو : لابن بالصيف تامر

فقال ابو عمر : وانك في التصحيف أشعر من الحطيئة . وكان حماد الراوية لا يحسن القرآن فقيل له : لو قرأت القرآن . فاخذ المصحف وقرأ فلم يزل الا في اربعة مواضع قال : عذابي أصيب به

من أساء ، وقوله : وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها أباه . ومن الشجر وبما يغرسون . بل الذين كفروا في غرة وشقاق .

من عجم حرفاً عمد الى تصحيفه :

دفع رجل الى محمد بن عبدالله قصة عليها حريت بن الغراس فعجمه . وقال خريت في الفراش ووقع تحته بئسما فعلت ! ووجه الى المأمون رجل . وقيل سابق الحاج فتباطأ الرجل فنقط تحته ، وجعله سابق الحاج . وكتب ابو تمام رقعة إلى عبد الملك بن صالح وعليها حبيت ، فنقطه وجعله جنيت .

من هجا أو مدح بادعاء تصحيف :

هجا ابو نواس أبان اللاحقي فقال :

صحفت أمك إذ سمتك في المهد أبانا
قد علمنا ما أرادت . لم ترد الا أتانا

وقال آخر يهجو :

رأى الصيف مكتوباً فظن بأنه لتصحيفهِ ضيفاً فقامَ يواثبُه

المتنبي : جرى الخلف إلا فيك انك واحد وانك ليث والملوك ذئاب
وانك لو قويست صحف قاريٌّ ذئاباً ، ولم يخطىء فقال ذباب

كلمات تعسر قراءتها ويعسر تصحيفها :

استؤمر عبدالله بن طاهر في ابتناء موضع يقال له لبنا فوقع له لبنا لبنا لبنا لبنا لبنا ، ووقع في رقعة بسبب عزيز بن نوح عزيز غرير عزيز علينا ومن عزيز . ووقع أيضاً معاوية ابن معاوية ليحيى ليحيا خراج جراح فقد فقد . ووقع علي بن رستم لرجل غرك عزك فصار قصار ذلك دلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدا بهذا والسلام .

• • •

ومما جاء في آلات الكتابة

فضل القلم ووصفه :

بأنه مثبت الحكم ؛ قال الله تعالى : والقلم وما يسطرون . وقال تعالى : علم بالقلم . وقيل : كم من مآثر بنتها الاقلام فلم تطمع في دروسها الايام . وقيل : القلم قيم الحكم . ونظر المأمون الى مؤامرة بخط حسن فقال : لله در القلم كيف يزين وشي المملكة ! وقيل : القلم في حساب الجمل نفاع وذلك أن حروفه مائتان وواحد ، وعدد نفاع مثله في الحساب ، وهذا اتفاق ظريف .

وصف قلم ممدوح بأنه يجدي ويردي :

شاعر : قلمٌ يمجّ على العداة سمامه · لكنَّه للمرتجين سماءُ
كم قد أسلت به لعبدِك ريقة · سوداء فيها نعمة بيضاء ؟

ابن طباطبا :

وإذا انتضى قلماً ليخطبَ خلت في يمناهُ نصلا
كم رد عاديةَ الخطو · بِ وكم أعز وكم أذلا ؟
يجري فيؤمن خائفاً · ويصب في الاعداء نبلا

وفي وصفه : شجاع يمج السم والعسل . ولابن ثوابة في وصفه :

كالناريعطيك مِن نورٍ ومن حرقٍ · والدهرُ يعطيك من همٍّ ومن جزلِ

وقال ابو الفياض الصابىء في الصاحب بن عباد :

أقال الله للاقدار سيري · وفي أقلام اسمعيل صيري

تفضيل القلم على السيف :

قال محمد بن علي يمدح :

في كفهِ صارم لانَت مضاربُه · يسوسنا رغباً إن شاء أو رهبا
السيفُ والرمحُ خدامٌ له أبدا · لا يبلغان به جدًّا ولا لعِبا
فما رأينا مداداً قبل ذاك دما · ولا رأينا حساماً قبل ذا قصبا

ابن الرومي :

كذا قضى الله للأقلام مذ بريت · إنّ السيوف لها مذ أرهفت خدمُ

تفضيله على القلم :

فاخر السيف القلم فقال القلم : أنا اقتل بلا غرر ، وأنت تقتل على خطر ، فقال السيف : القلم خادم السيف إن نيل مراده ، والا فإلى السيف معاده .

البحتري :

وعادة السيفِ ان يستخدمَ القلما

المتنبي :

حتى رَجعتُ وأقلامي قوائلُ لي : المجدُ للسيف ليس المجدُ للقلَمِ
اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به فانما نحن للأسياف كالخدمِ

وصفه بأنه يكشف عن الضمائر :

قال بعضهم : القلم يزف بنات القلوب الى خدور الكتب . وقال ابن المعتز : القلم يخدم الارادة ، ولا يمل الاستزادة ، يسكت واقفاً ، وينطق سائراً . وقال الشاعر :

ومكشف السرّ الضمير بلا معاناةِ السؤال

آخر : نواطقُ إلا أنهنّ سواكت يُترجمن عما في الضمير مكتما

وفي وصفه :

عجبتُ لذي سنَّين والماء نبتُه له أثر في كل مصرٍ ومعمر

وقال ابن المقفع : القلم بريد القلب ، يخبر بالخبر وينظر بلا بصر . وقال ابن ابي داود : القلم سفير العقل ورسول الفكر وترجمان الذهن .

وصفه بأنه اخرس ناطق :

شاعر : وأخرس ناطق أعمى بصير بليغ عند منطقه عيي
متى ترعفْ مناخرُهُ سواداً يخبِّر عنك بالمعنى المضي

محمد العلوي :

أخرسُ ينبيك بأطرافِه عن كلّ ما شئت من الأمرِ
يذري على قرطاسه دمعةً يبدي بها السر وما يدري
كعاشق يخفي هواه ، وقد نمّت عليه عبرة تجري

لغز في وصف القلم :

شاعر : وبيت بعلَياء الفلاَةِ بنيته باسمي َ مشقوق الخياشيم يرعُفُ

آخر : وأجوف يمشي على رأسه يطيرُ حثيثاً على أملسِ
فهمت بآثاره ما مضى وما هو آت ولم يلبس

وصف دواة وقلم :

شاعر : وزنجية لم تلدهـا الأُناث   وفي جوفها من سواها ولد

وكتب ابن طباطبا الى ابن ابي البغل ، وبعث اليه قلماً اسود وآخر ابيض ، وسبعة سمرا :

هذا ابن سامٍ وبنتُ حامٍ   شعبهما اليوم ذو التئـامِ
قد أظهرا في الورى ازدِواجاً   فامتزج النورُ بالظلامِ
وأنسلا صبيةً صغـاراً   سبعاً يوافين في نظـام
هن مدى الدهر مرضعاتٌ   يشتقن رياً الى الفِطامِ

اختبار قلة الاقلام :

قال الصولي لغلام : ليكن قلمك صلباً بين الرقة والغلظ ، ولا تبره عند عقدة فان فيه تعقد الامور ، ولا تجعلن في انبوبة انبوبة ، ولا تكتبن بقلم ملتو ولا بذي شق غير مستو .

أدب بري القلم والاستنكاف منه :

قيل : ليكن مقطك اذا قططت صلباً لئلا يتشظى القلم . وقال عبد الحميد الكاتب : اطل جلفة قلمك واسمنها ، وحرف قطتك وأيمنها . وقيل : تبطين القلم شؤم ، وحرفه حرف . وقيل : القلم المحرف للرجل المحارف . وأوصى بعضهم كاتباً فقال : أجد قلمك فالقلم الرديء كالولد العاق ! وقيل : اذا لم تسمع لقطك صوتاً كصوت القسي ، ووقعاً كوقع المشرفي فأعد القط . وقال الصاحب لكاتب في مجلسه : ليس لك في مجلسي الا القط فقط .

التمدح ببري القلم والاستنكاف منه :

شاعر : دخيلٌ في الكتابةِ ليس منها   فما يدري دُبيراً من قُبَيْلِ
اذا ما رام للأُنبوب برياً   تنكَّب عاجزاً قصدَ السبيل

كشاجم :

لم ترني قطّ بارياً قلمـاً   في بريه كل مهنة وضعه
ما كل من يحمل الحسامَ لكي   يردي به سنه ولا طبعه

وقال ابو الحسن بن سعد : كنت عند علي بن سعد ، فرأيت له أقلاماً رديئة البري فأخذتهـا وأحسنت بريها ، فقال : يا أبا الحسن ، عليك بالكتابة فإن هذه تجارة .

السكين :

قيل : السكين مسن الاقلام تشحذها اذا كلّت ، وتلمها اذا تشعثت ، وأحسن السكاكين ما عرض صدره وأرهف حده ، ولم يفضل عن القبضة نصابه . وقيل لكاتب : سكينك ليس بقاطع ! فقال : هو أقطع من البين . ولأبي حفص الوراق كتبه على سكين :

سكينُنا من يرَهُ سيعجِبه وقاهُ رَبِّي شرّ من يستوهبُه
وكيدَ مَن يسرقهُ ويغصبُه ما أظلم الليلُ ولاح كوكبُه

ابن نباتة :

مرهفة تعجز وصفَ البيان للسيف معنى ولها معنيان
تخلفُه في حدّهِ تارةً وتارة تخلفُ حدّ السنان
ما ابصر الناظرُ مِن قبلها ماءً وناراً جُمِعا في مكان

مقط ومحراك :

شاعر : معه مقطٌ قد تحلّى سنها شبَه الصدودِ بدا بخلفِ غرامِ
يحكي سويداء القلوب اذا رمَت فيها لواحظُ شادنٍ بسهامِ
وانضاف محراك اليه كأنما أخذوه قد الصارمِ الصمصامِ

أبو الحسن المشطب الهمذاني :

إنني منفذٌ اليك مقِطاً سهرديزاً كابر عير مري
سابغاً طوله شديداً قواه فاتخِذْه كُنانَةً لِقسيّ

استهداء المداد واهداؤه :

كتب بعضهم الى صديق يستمد منه مداداً :

أنا اشكو اليك أن دواتي هي عوني وعدتي وعنادي
عطلتْ من مدادِها فاستعاضت يقق اللون من حلوك السوادِ
لم تزل من بنات حامٍ فجاءت من بني يافث بغير ولاد
أنت للحادثات عدُّ صدقٍ فترى ان تمدها بمدادِ

عبدان :

هل لك في ان تحوز محمدة أنفس من فضة ومن ذهب ؟
زود فتاة أتتك رائقةً بدرة الفحم لابنة القصب

الحبر :

قال بعض الادباء : بالحبر تنصاغ حكم الاخبار وبسواده تتضح شبه الآثار . وقيل لورّاق : أخف رداءة خطك بجودة حبرك . وقيل : عطروا كتب علومكم بالحبر ، فالحبر غالية والكتاب غانية .

شاعر : وأكرم بحبر بها لجة جواهرها حِكمٌ تُنثرُ

كشاجم في من أعطاه محبرة :

محبرة جاد لي بها قمرٌ مستحسن الَخلق مرتضى الخُلق
كأنما حبرها اذا نُثرت أقلامنا طله على الورق
كحل مرته الجفون من مقل نجل فأوفت به على يققِ
خرساء لكنها تكونُ لنا عوناً على علم أفصحِ النطقِ

لوح الحساب :

كشاجم : نعم المعين على الآداب والحِكمِ صحائف حالك الألوانِ كالظُّلَمِ
جفت وخفت فلم يدنس لحامِلِها ثوب ولم يخش فيها نبوةُ القلمِ
لو كن ألواح موسى حين أغضبه هارون ، خوفاً من الندمِ

لوح الهندسة :

كشاجم :

وقلم مداده ترابُ في صحف سطورُها حسابُ
يكثر فيه المحور والاضرابُ من غير أن يسوّد الكتاب
حتى يبين الحق والصواب وليس إعجام ولا إعرابُ
فيه ولا شك ولا ارتياب

مرفع الدواة :

شاعر : قرب البعد مرفع لدواة ملجم من حليه بلجامِ
كخوان الطعام سهَّل للآ كل منه ما كان صعب المرامِ

الاصطرلاب (الببغاء) :

ومستدير معجم التقسيم منتسب الأشكالِ والرسومِ
دبره فكر امرىء حكيمِ فصاغه في صغر التجسيمِ
مساوياً للفلكِ العظيمِ مقتطعاً لسائرِ النجومِ

وكتب الصابيء الى بعض أصدقائه وقد أهدى له اصطرلاب :

لم يرضَ بالأرض يهديها إليك وقد أهدى لك الفلكَ الأعلى وما فيه

نفع الكتب وكونها ذات أنس :

ذكر الجاحظ الكتب فقال : نعم الذخر والعدة ، والطيس والعقدة ، والمستغل والحرفة ، ونعم القرين والدخيل ، والوزير والنزيل ! والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك ، والصديق الذي لا يغريك ، يطيل امتاعك ويشحذ طباعك . وقال ابن المقفع : كل مصحوب ذو هفوات والكتاب مأمون العثرات . وقال الرفاء :

اجعل جليسَك دفتراً في نشره للميت من حكم العلوم نشورُ
ومفيدَ آداب ومؤنسَ وحشةٍ واذا انفردت فصاحبٌ وسميرُ

وأنشد أبو محمد الخازن لنفسه :

فدفـتري روضتي ومحبرتي غديرُ علمي وصارمي قلمي
وراحتي في قرار صومعتي تعلمني كيف موقع القسم

التمدح بالانفاق على الكتب والحث عليه :

قيل لابن دراج ، وقد أخرج شعر أبي الشمقمق في جلود كوفية ودفتين طائفيتين : لقد ضيع دراهمه من يجود لشعر أبي الشمقمق ! فقال : لا جرم ان العلم يعطيكم على قدر ما تعطونه ، ولو استطعت أن أكتبه في سواد عيني أو سويداء قلبي لفعلت ! وقيل : اذا حويت الكتب فقد أحرزت الأدب والنشب .

وقال الشاعر :

تحرض على تجويد كتبك إنها مناهلُ ورّاد الحجى والفوائدِ

وقيل : انفاق المال على كتب الأدب يخلفك عليه لباب الألباب .

ذم من يجمع الكتب ولم يحفظها :

محمد بن بشر :

أما لو أعي كل ما أسمعُ وأحفظ من ذاك مـا أجمعُ
ولم أستفد غير ما قد جمعت لقيل : هو العـالم المصقع !
ولـكن نفسي إلى كل شيء من العلم تسمعه تنزعُ
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا مِن جمعِه أشبعُ
ومن يك في دهره هـكذا يـكن دهره القهقرى يرجعُ

مدح ملازمة الكتب :

قال أبو عمر : وما رأيت أحداً في يده دفتر ، وصاحبه فارغ اليد ، إلا اعتقدت انه أعقل وأفضل من صاحبه . وكان عبدالله بن عبد العزيز يلزم أبداً المقابر ومعه شيء من الدفاتر ، فقيل له في ذلك فقال : لم أر أوعظ من كتاب وأسلم من الانفراد . ونظر المأمون إلى بعض أولاده وفي يده كتاب فقال : ما هذا ؟ قال : بعض ما يشحذ الفطنة ويؤنس الوحشة . فقال : الحمد لله الذي جعل في أولادي من ينظر إليه بأدبه أكثر مما ينظر اليه بحسبه .

أحوال اعارة الكتب واستعارتها :

بعض الشعراء :

إني حلفت برب البيت والحرَمِ هل فوقها حلفة ترجى لذي قسم؟
أن لا أعير كتاباً فيه لي أَربٌ إلا أخا ثقةٍ عندي وذا كرمِ

وقال بعضهم معتذراً عن امتناع إعارته :

لصيق فؤادي منذ عشرين حجة وصقيل ذهني والمفرّج من همِّي
يعز عـلى مثلي اعارة مثله وآلية أن لا يفارقـه كمي

وقال الشيخ أبو القاسم رحمه الله : كتبت الى أبي القاسم بن أبي العلاء أبياتاً استعير منه شعر عمران بن حطان ، وضمنتها أبياتاً لبعض من امتنع من اعارة الكتب الا بالرهن ، وأبياتاً عارضها بها أبو علي ابن أبي العلاء في مناقضته فقلت :

يا ذا الذي بفضلِهِ أضحى الورى مفتخِره
أصبحتُ يدعوني الى شعر ابن حطانٍ شرَهْ
فليعطنيه منعما عارية لأشكرَه
مقتفياً والدَه ألبَس ثوب المغفرَه
عارض من أنشده إذ رام منه دفتره
هذا كتاب حسنٌ قدمْتُ فيه المعذِره
حلفت بالله الذي أطلب منه المغفره
أن لا أعير أحداً إلّا بأخذِ التذكرَه
بنكتة لطيفةٍ أبلغَ منها لم أره
فقالَ والقول الذي قد قاله وحبره :
من لم يعر دفترَه ضاقت عليه المعذره
يقبح في الذكر وفي السماع أخذ التذكِرَه
ما قال ذاك الشعر إلا ماضغٌ للعذره
فامنن به مصطفياً سلوكَ طرقِ البررَه

فاجابني بابيات منها :

حبّر شعراً خلتني أنشر منه خبره
يريدني فيه على خليقة مستنكره
مستنزل عن عادة عودتها مشتهره
أن لا أعير أحداً لا رجلًا ولا مره
لا أقبل الرهن ولا تذكر عندي تذكره
ولو حوت كفّي بها فضل الرضا والمغفره

كان لشيخي مذهب　　من مذهبي أن أهجره
خالفت فيه رسمه　　معفياً ما أثره
ولو أتاني والدي　　من بيته في المقبره
يروم سطراً لم يجد　　ما رامه وسطره

والغرض في ذلك ما قاله أبو القاسم لا ما خاطبته به ، أعوذ بالله ان أكون ممن يزري بعقله بتضمين مصنفاته شعر نفسه .

معاتبة حابس دفتر :

كتب كشاجم الى صديق له :

غدرت بحبس دفترنا　　وعهدي بالأديب ثقه
ولست أحب للأدبا　　ء أن يتأدبوا سرقه !

وكتب بعض الادباء الى صديق له يطالبه برد دفتره :

ما بال كتبي في يديك رهينة　　حبست على مر الزمان الأطولِ؟
ائذن لها في الانصراف فإنها　　كنز عليه افتقرت معوّلي !
ولقد تغنت حين طال ثواؤها :　　طال الوقوفُ على رسومِ المنزل

وقال أبو العبر في سخفيات له : حدثني لحيان عن موسى الفهاد عن رجل من أهل جرجرايا عن شيخ من بادرويا أن السفلة من إذا استعار كتاباً لم يرده .　　الشريف ابن طباطبا :

اذا فجع الدهر امرأ بخليله　　تسلّى ولا يسلّى لفجعِ الدفاتر

وقال بعضهم في وصف كتاب كليلة ودمنة :

إذا افتخر الرجالُ بفضل علمٍ　　ومدّت فيه ألسنة طويله
ففاخر ما استطعْتَ بما حَوته　　بطون كتابِ دمنةَ مع كليله
كتاب يغرقُ البلغاء فيه　　وألبابُ الورى منه كليلَه
وكم فيه عجائبُ كامنات　　على دنيا وآخرة دليله
وكم حكم على أفواه طيرٍ　　وآداب وأمثال مقوله
يراها الجاهل المأفون هزلاً　　وحسبكها لعالمها فضيله

• •

ومما جاء في الصدق والكذب

الممدوح بالصدق :

فلان أصدق من أبي ذر ، وأصدق من قطاة . وقال النبي ﷺ : ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر . وقال الجاحظ : أخبرني فلان ، وهو والكذب لا يجتمعان في طريق ، ولا يقشعر من الكذب . التنوخي :

وألسنهم وقفٌ على الصدقِ والوفا وأيمانهم وقفٌ على القصدِ والنُّعمى

وقال جحظة البرمكي :

وكان صديق الورى بالحق ينطق عن لسانهِ

وفي المثل : لا يكذب الرائد أهله لأن كذبه يجتث أصله .

بالكذب :

قال رجل لكذاب : مرحباً بأبي المنذر ! فقال : ليس هذا كنيتي . فقال : قد علمت ، انما هو كنية مسيلمة ، ولكنها صفتك ، يعرض بأنه كذاب . وقيل لرجل : ما تقول في فلان ؟ فقال : أنا لا أذم مسيلمة . وذم رجل آخر فقال : الكذب أحسن ما فيه ، وهذا غاية الذم . وقال رجل لابي حنيفة رضي الله عنه : ما كذبت قط ! فقال : أما أنا فقد شهدت عليك بهذه . وقال رجل : أنا لا أكذب كذبة بألف . فقال صاحبه : أما هذه فواحدة بلا درهم . وقيل : أكذب من يلمع أي السراب .

شاعر : أكثر ما يجري على فيه الكَذِب

وقال بعضهم : أسأت نظراً فأطرفت خبراً . وقال : جاء فلان نزهات البسابس ، وجاء بالحطب الرطب أي بمحض الكذب . وقال الرشيد للفضل بن الربيع : كذبت ! فقال : يا امير المؤمنين وجه الكذاب لا يقابلك ، ولسانه لا يخاطبك ؛ يعرض به لأن الانسان لا يقابل نفسه ولا يخاطبها ، فاستحسن تعريضه فأولاه وما جفاه . وقيل : فلان فيه روغان الثعلب وطبيعة العقعق ولمعان البرق أي الحيلة والسرقة والكذب .

شاعر : كلامُ أبي مالكٍ كلُّه صياحُ الفواختِ جاء الرطب

النهي عن الكذب وذمه :

قال الله تعالى : قتل الخراصون . وقال : ويل لكل أفاك أثيم . وقال : انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله . وقيل : الكذب جماع النفاق . وقيل : الكذب عار لازم ، وذل دائم . وقيل : الكذب والحسد والنفاق أثافي .

شاعر : لا يكذب المرء إلا من مهانته أو عادة السوء او من قلة الورع

وقيل : ما عز ذو كذب ولو أخذ القمر بيديه ، ولا ذل ذو صدق ولو اتفق العالم عليه . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : حقيق على الله ان لا يرفع الكاذب درجة ولا يثبت له حجة . وقال سليمان بن سعد : لو صحبني رجل وقال لا تشترط علي إلا شرطاً واحداً لقلت لا تكذبني .

النهي عن رواية الكذب :

قيل : من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين ، وقيل أحد الشاتمين . وقال النبي ﷺ من قال على ما لم أقله او رد شيئاً مما قلته ، فليتبوأ مقعده من النار . وقيل : إياك ان تكون للكذب راوياً او واعياً .

النهي عن رواية ما هو بعرض التكذيب :

قيل : من صفات العاقل ان يحدث بما لا يستطاع تكذيبه . وقيل : إياك وحكاية ما يستبعد ، فيجد عدوك سبيلًا الى تكذيبك .

ترك الكذب

قيل : من استحلى الكذب عسر عليه فطام نفسه عنه . وقيل لرجل : اترك الكذب ، فقال : والله لو تغرغرت به وتطعمت حلاوته لما صبرت عنه . وقال يحيى بن خالد : قد رأينا شارب خمر أقلع ، ولصاً نزع ، ولم نر كذاباً رجع . وقيل : كل ذنب يرجى تركه إما بتوبة او إنابة ما خلا الكذب ، فإن صاحبه يزداد به ولوعاً على الكبر .

مضرة الكذب :

قيل : دع الكذب فإنه يضرك حيث ترى أنه ينفعك ، وعليك بالصدق فإنه ينفعك حيث ترى أنه يضرك . وقيل : الحق أبلج والباطل لجلج . اذا كذب السفير بطل التدبير . اذا كذب الرائد هلك الوارد . الصدق عز والباطل ذل .

من آثر الصدق في مواضع طلباً لجواز كذبه :

قال خالد بن صفوان : أصدق في صغار ما يضرك ليجوز لك الكذب في كبار ما ينفعك . وقيل : من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه .

ث الكاذب على التحفظ :

قيل : اذا كنت كذوباً فكن ذكوراً . وذكر عثمان البتي عكرمة فقيل له : ما كان يكذب ، فقال : كان أحمق من الحسن الكذب ، إن الكذوب من يكون متحفظاً .

النهي عن سماع الكذب :

قيل : اجعل قول الكذاب ريحاً لتستريح . وقال أبو تمام :

ومن يأذَنْ إلى الواشين تسلقْ   مسامِعُه بألسنةٍ حِـداد

وقالوا : نزه سمعك عن سماع الكذب كما تنزه لسانك عن التفوه به .

ما أجيز فيه الكذب :

روي عن النبي ﷺ أنه قال : كل كذب مكتوب إلاّ كذب الرجل في الحرب فانها خدعة ، أو كذب المرء بين الرجلين ليصلح بينهما ، أو كذبه لامرأته ليرضيها . وقيل لفيلسوف : متى يحمد الكذب ؟ قال : اذا قرب بين المتقاطعين ، قيل : فمتى يذم الصدق ؟ قال : اذا كان غيبة . أتى معاوية بلص فقال زياد : أصدق . فقال الاحنف : الصدق أحياناً معجزة .

شاعر : الصّدقُ أفضلُ ما نطقتَ بهِ   ولربّما نفع الفَتى كَذِبُهْ

آخر : طلبْنا النَّفعَ بالباطِلِ   إذا لم ينفَعِ الصّدقُ

جواز التعريض :

أقبل رسول الله ﷺ مردفاً أبا بكر عام الهجرة ، فقيل لأبي بكر : من هذا قدامك ؟ قال : رجل يهديني السبيل تعريضاً بأنه يهديني سبيل الحق . وقال النبي ﷺ للرجل الذي سأله ممن أنت فقال: من ماء . وما حكى الله من قول ابراهيم عليه السلام اني سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ، وما روي عنه أنه قال عن امرأته هذه أختي ، كل ذلك تعريض . وقيل في قوله تعالى « لا تؤاخذني بما نسيت » من معاريض الكلام ولم يكن قد نسي ما عهد عليه . وقال عمر : في المعاريض مندوحة عن الكذب .

المعترف بالتزيد والتكذب :

قال خالد بن صفوان : إني لا أسمع الحديث فلا أحدث به حتى أتوبله وأفلفله وأسعتره . وقال: اني لاسمع الحديث مجرداً فأكسوه وممرطا فأريشه . وقيل لحيان : إنك لتكذب في الحديث ! فقال: ما يضرك كذبه ولا ينفعك صدقه ، وما يدور الا على لفظ جيد ومعنى حسن ، ولو أردته لتلجلج لسانك وذهب بيانك .

المعتذر منه :

بعضهم : ونصرةُ الحقّ أفضَتْ بي إلى الكذِبِ

شاعر : وَزعمت أني قد كذبتُك مرةً بعضَ الحديثِ وماصدقتك أكثرُ

وفي المثل : عند النوى يكذبك الصادق .

المتأهب في الكذب :

تشاجر رجلان في سواد تراءى من سطح فقال أحدهما : غراب ! وقال الآخر : خف ! وحلف كل منهما على صدق ما قاله ، فدنوا منه فطار فقال صاحب الغراب : كيف ترى ? فقال الآخر : امرأته طالق ثلاثاً إن كان إلا خفاً ولو بلغ مكة طيراناً . وقال بعضهم لابنه : أكذب على الأموات وباهت مع الاحياء . وقيل لأعرابي : بم غلبت ? فقال : أبهت بالكذب واستشهد الموتى .

صعوبة سماع الكذب :

قيل لبعض ندماء السلطان : ما حالكم معه ? قال : نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت . وكان رجل يكثر الكذب وله غلام يخالفه ويكذبه فقال له يوماً : كنت في ضيعة لي في حصاد زرع فرميت طيراً فوجدت في حوصلته رطبة لم ينضج نصفها ، فقال الغلام : استدع السوط ولا تهذِ ! متى يجتمع الحصاد والرطب يا أحمق ?

ما يجوز أن يكذب المرء فيه :

في كتاب جاويزان فروخ محرم : على السامع تكذيب القائل إلا في ثلاث : صبر الجاهل على مضض المصيبة ، وعاقل أبغض من أحسن اليه ، وحماة أحبت كنة ! وقيل : اذا أردت أن تعرف عقل الرجل فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون ، فإن أنكره فهو عاقل ، وإن صدقه فهو أحمق . وقيل : كذب بالمحالات ، وأقر بالواجبات ، وتوقف عن الممكنات .

ذكر أكاذيب متناهية :

تكاذب اعرابيان فقال أحدهما : خرجت مرة على فرس فإذا أنا بظلمة فيممتها حتى وصلت اليها، فاذا قطعة من الليل فأنبهتها ، فما زلت أحمل عليها حتى اصطدتها ! وقال الآخر : رميت مرة ظبياً بسهم فعدل الظبي فعدل السهم خلفه ، فعلا الظبي ثم انحدر فانحدر السهم حتى أصابه ! وقال رجل لرؤبة : ان حدثتني بحديث لم أصدقك عليه فلك عندي جارية فقال : أبق لي غلام يوماً ، فاشتريت يوماً بطيخة ، فلما قطعتها وجدته فيها ، فقال قد علمت ! فقال : دبر لي فرس فعالجته بقشور الرمان فنبت على ظهره شجرة رمان تثمر كل سنة ، فقال قد علمت ، فقال لما مات أبوك كان لي عليه ألف

دينار ، فقال كذبت يا ابن الفاعلة ! فأخذ الجارية . وقال بعضهم : كان لابي منقاش اشتراه بعشرين ألف درهم ، فقيل له : اذا كان من جواهر أو مكللا ، فقال : ولكن كان اذا نتف به شعرة بيضاء عادت سوداء . وقال رجل : كان أبي زرع سنة السلجم وكان يبلغ مساحة كل شجرة جريب أرض ! فقال الآخر : كان أبي اتخذ مرجلاً في بعض السنين ، وكان يعمل فيه خمسون أستاذاً لا يسمع كل واحد منهم صوت مطرقة الآخر ! فقال صاحبه : ما أكذبك ! أي شيء كان يطبخ في ذلك المرجل؟ فقال : السلجم الذي زرعه أبوك ! وقالت ليلى لابيها : أرأيت قول أبيك :

بجيش تضل البلق في حجراته بيثرب أخراه وبالشأم قادمه

كم كنتم يومئذ ؟ فقال : حضرتها وكنت أنا وابني ومعنا اثنان !

• • •

ومما جاء في السر

المنع من اظهار السر قبل تمامه :

قيل : استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود . وقيل : من وهى الامر اعلامه قبل أحكامه . وقيل : من حصن سره أمن ضره .

الحث على حفظ السر :

قيل : من لم يكتم السر فقد استكمل الجهل . وسمع ابن المقفع قول الشاعر :

اذا جاوز الاثنين سر فإنه بنث وتكثير الحديث قمين

فقال : أراد بالاثنين الشفتين ، ويدل على ذلك قول الآخر :

فلا تفش سرك إلا اليك فإن لكل نصيح نصيحا

وفي المثل : اجعل هذا في وعاء غير ذي سرب ، سرك من دمك فانظر أين تريقه . وقيل : من أفشى سره كثر المتآمرون عليه ، الصلتان ، وسر الثلاثة غير الخفي .

المستوخم عاقبة افشاء السر :

لما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدامة بن مظعون ، بذل المغيرة أمره أن لا يخبر أحداً ، فلم يكن له زاد فتوجهت امرأته الى دار المغيرة فقالت : أقرضونا زاداً لراكب ، فإن امير المؤمنين ولّى زوجي الكوفة ، فأخبرت امرأة المغيرة زوجها ، فجاء الى عمر رضي الله عنه واستأذن عليه ،

وقال : يا امير المؤمنين وليت قدامة الكوفة ، وهو رجل قوي أمين ! فقال : ومن أخبرك ؟ قال : نساء المدينة يتحدثن به . فقال : اذهب وخذ منه العهد .

من يكره اطلاعه على السر :

قيل : لا تطلعوا النساء على سركم تصلح اموركم . وقيل : ما كتمته عدوك فلا تطلع عليه صديقك .

المتبجح بحفظ السر :

قيل لرجل : كيف كتمانك السر ؟ قال : قلبي قبره وصدري حبسه .

الاحوص : ومستخبرٍ عن سرّ ريّا رددتُهُ يعمياء من ريّا بغيرِ يقينِ

أبو تمام : منيعٌ نواحي السرّ منه حصينُها

المتنبي : وللسرّ مني موضعٌ لا ينالُه نديمٌ ولا يفضي اليه شرابُ

ابن نباتة :

أكاتم قلبي رأي عيني ، وإنه ليكتم مني سرّ كلِّ خليلِ

الممدوح بحفظه :

الاحوص :

كريمٌ يميتُ السرّ حتى كأنه عم بنواحي أمره وهو خابرُ

قيس بن الحطيم :

كتومٌ لأسرار الخليلِ أمينُها يَرى أن بث السرّ قاصمةُ الظهرِ

كشاجم :

ويكاتم الأسرارَ حتى إنه ليصونها عن أن تمرّ بخاطره

مدح كتمان السر :

قال قتادة رضي الله تعالى عنه : اذا تكلمت بالنهار فانظر من عندك ، وبالليل فاخفض صوتك ؛ وقد نظمه الشاعر بقوله :

اخفضِ الصوت إن نطقت بليلٍ والتفتْ بالنهار قبل الكلامِ

ودنا رجل من آخر فكلمه فقال : ليس ها هنا أحد ، فقال : من حق السر التداني .

صعوبة حفظ السر :

قيل : أصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه ، الصبر على التهاب النار أهون من الصبر على كتمان السر .

عيب من لا يحفظ سره ويستحفظه غيره :

شاعر : إذا ضاق صدرُ المرء عن سرّ نفسه فصدرُ الذي يستودِعُ السرَّ أضيقُ

بشار : تبوحُ بسرّكَ ضيقاً بهِ وتبغي لسرّكَ من يَكتُمُ

دعامة بن يزيد الطائي :

اذا ما جعلتَ السر عند مضيِّعٍ فإنك ممن ضيَّعَ السرّ أذنبُ

ذم مفش سره :

قيل : فلان أنمّ من النسيم على الرياض ومن العين منها الصفو والكدر . وقيل : وهو اضيع للاسرار من الغربال للماء . قال شاعر :

أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانوناً على المتكلِّمينا ؟

وقال آخر :

أمنتُ على السرّ امرأً غير حازمٍ ولكنهُ في النصحِ غيرُ مُريبِ

أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نارٍ أُوقدتْ بثقوبِ

ابن الرومي :

كأن سري في احشائه لهب فما تطيق له طيّاً حواشيها

الاحوال التي يفشو فيها السر :

قال يحيى بن خالد : الرجل ينبيء عن نفسه في ثلاثة مواضع : اذا اضطجع على فراشه ، واذا خلا بعرسه ، واذا استوى على سرجه . وقيل : اذا اردت أن تنزل الرجل عن سره فتوصل اليه في حال سكره ،

فالسكر يظهر سره المكتوما

كتم ما لا يتكتم :

شاعر : وليس الذي فيه خفاءٌ لأمره   كمن دبَّ يستخفي وفي العنق جلجُلُ

زهير :   مخازٍ لا يدبّ لها الخفاء

وفي المثل : وهل يخفى على الناسِ النهارُ ؟

أبو نواس يصف الخمر :

نحن نُخفيها ويأبى   طيب ريحٍ وفيوحُ

المساورة في المحافل :

قال النبي ﷺ : اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث . وكان مالك بن مسمع اذا ساره انسان يقول : أظهره فلو كان خيراً لم يكن مكتوماً . وهذا من قول زهير :

والستر دون الفاحشاتِ ولا   يلقاكَ دون الخيرِ من سترِ

الخبزارزي :

إذا أنت ساررت في مَجلس   فإنك في أهله متهمُ
فهذا يقولُ قد اغتابني ا   وذا يستريب وذا يتهمُ

الرخصة في افشاء السر الى الصديق :

ليم بعضهم في إفشاء السر فقال : المصدور اذا لم ينفث جوى ، والمهجور اذا لم يشك ورى .

شاعر : ولا بد للشكوى الى ذي حفيظة   إذا جعلت أسرار نفسي تطلعُ

محمود الوراق :

إذا كتم الصديقُ أخاه سراً   فما فضلُ الصديق على العدوِّ ؟

وقيل : لا يزال المرء في كربة ووحشة ما لم يجد من يشكو اليه . وقال الشاعر :

لا تكتمنَّ داءكَ الطبيبا   ولا الصديقَ سِرّكَ المحجوبا

وسارر المهدي وكيلًا له والعباس بن محمد حاضر فقال : امرٌ دوني ولو هجم بي نصحك على تلفي لما تركته ؟ وأنشد :

بمثلي فاشهد النجوى وعالِن   بيَ الأعداء والقومَ الغضابا

وكتب أبو الفضل بن العميد : من كتم عن طبيبه داءه ، وستر عنه ظمأه ، بعيد عليه ان يبل من علله ، ويعل من غلله .

المتبجح باظهار اسرار اصدقائه :

قال الشاعر :

ولا أكتم الأسرار لكن أنمّها … ولا أتركُ الأسرار تغلي على قلبي
وإن قليل العقل من بات ليلةً … تقلبُهُ الاسرار جنباً الى جَنبِ

وقال رجل لصديق له : اكتم سرّي الذي افشيته ! فقال : كلا لست أشغل قلبي بنجواك ، ولا أجعل صدري خزانة شكواك ، فيقلقني ما أقلقك ، ويؤرقني ما أرقك ، فتبيت بافشائه مستريحاً ويبيت بحرّه قلبي جريحاً .

شاعر : ولا تودعِ الأسرار قلبي فإنما … تصبّن ماءً في إناءٍ مثلم

• • •

ومما جاء في النصح

فضل النصح والحث عليه :

قال النبي ﷺ : الدين النصيحة . وقال ﷺ : من غشنا فليس منا . وقال ﷺ : دعوا الناس يصيب بعضهم من بعض ، فاذا استنصحك أخوك فانصحه . وقال أوس :

وإن قال لي : ماذا ترى يستشيرني … فلم يك عندي غير نصح وإرشادِ

الحث على قبول النصح وإن كان مرّا :

قيل : من أحبك نهاك ، ومن أبغضك أغراك . وقال بعض الحكماء : من أوجرك المر لتبرأ أشفق عليك ممن أوجرك الحلو لتسقم . وقيل : النصيحة أمن الفضيحة .

معاتبة من لم يقبله :

من لم يقبل رأي أصحابه وإن حزنوه ، عاد ضرره عليـــه ، كالمريض الذي يترك ما يصف له الطبيب ويعمد لما يشتهيه فيهلك . قال الله تعالى حكاية عن صالح : لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين . وقال أبو ساسان :

أمرتُكَ أمراً جازماً فعصيتَني … فأصبحت مسلوبَ العبارةِ نادما

آخر : لو كنتَ تقبلُ نصحي غير متهمٍ ملأتُ سمعك من وعظٍ وإنذار

العرجي : عرضتُ نصيحـةً مني ليحيى فقال : غششتني، والنصح مر !

ضياع النصح لمن لا يقبله :

قال الشاعر :

وما خير نصح قيل لا يتقبل

الخبزارزي :

إن كان حمدي ضاع في نصحكم فإن أجري ليس بالضائعِ

وقيل : أخذ رجل ذئباً فجعل يعظه ويقول : إياك وأخذ أغنام الناس فيعاقبك الله ، والذئب يقول : خفف واختصر فقدامي قطيع من الغنم لئلا يفوتني .

قال شاعر :

لددتهمُ النصيحة أي لدٍّ فمجوا النصح ثم ثنَوا وقاؤا

معاتبة من يستنصح الناس ويستغش الناصح :

عبدالله بن همام :

الا رب من تغتشّه لك ناصح ومؤتمنٍ بالغيب غير أمينِ

وله : وقد يستغشُ المرءُ من لا يغشّهُ ويأمن بالغيب امرأً غير ناصحِ

يزيد بن الحكم :

تُصافح من لاقيتَهُ ذا عداوةٍ صفاحاً ، وحقد بين عينيك منزو

آخر : والعجز أن تجعل الموتور منتصحاً

آخر : ألا رب نصح يغلق الباب دونه وغش إلى جنب السرير مقربِ

آخر : نصحت فلم أفلح، وخانوا فافلحوا فأنزلني نصحي بشر مكانِ

الحث على الغش لمن لا يقبل النصح :

قال عثمان البتي : اذا نصحت الرجل فلم يقبل منك فتقرب الى الله بغشه .

قال الشاعر :

أغشّ اذا النصحُ لا يُتقبل

وأنشد الثوري :

تنحلتُ آرائي فسقتُ نصيحتي ... إلى غير طلق للنصيح ولا هشّ
فلما أبى نُصحي سلكتُ طريقَه ... وأوسعتُه من قولِ زورٍ ومن غشّ

كون الناصح متهماً :

قيل في المثل : المبالغة في النصيحة تهجم بك على عظيم الظنة . وقال :

وقد يستفيد الظنة المتنصح

وشاور المأمون يحيى بن أكثم فكان الرأي مخالفاً لهوى المأمون فقال يحيى : ما أحد بالغ في نصيحة الملوك إلا استغشّوه ! قال : ولِمَ يا يحيى ؟ قال : لصرفه لهم عما يحبون الى ما لعلهم يكرهون في الوقت ، والهوى إله معبود .

وصف غاش في نصحه :

قيل : فلان شولة الناصح وشولة أمة كانت ترى أن تنصح مواليها وهي تسعى في إهلاكهم . وقال معاوية يوماً لعمرو بن العاص : هل غششتني منذ استنصحتك ؟ قال : لا . فقال : ولا يوم أشرت علي بمبارزة علي وأنت تعلم من هو ؟ فقال : كيف وقد دعاك رجل عظيم الخطر كنت من مبارزته إلى احدى الحسنيين ، ان قتلته فزت بالملك وازددت شرفاً الى شرف ، وان قتلك تعجلت من الله تعالى ملاقاة الشهداء والصديقين ! فقال : وهذا أشد من الأول ! فقال : أو كنت من جهادك في شك ؟ فقال : دعني من هذا .

النابغة : يخبّركم أنّه ناصحٌ ... وفي نصحِه ذنبُ العقربِ

الموسوي: يروم نصحيَ أقوام رأوا كيدي ... والعجزُ أن تجعلَ الموتورَ مُنْتَصِحا

هذا من قول حارثة بن بدر :

انَ وأُقصى ثم تستنصحونني ... وأي امرىء يعطي نصيحَته قسْرا؟

وقال لمن يرد نصيحته :

أعاذل إن نصحكَ لي عناءٌ ... فحسبك قد سمعتُ وقد

ومما جاء في الوعظ والمتعظين والآمرين بالمعروف والقصاص والمقنين

نهي من لا يتعظ عن الوعظ :

قال رجل لامير المؤمنين عليه السلام : عظني وأوجز . فقال : توق ما تعيب . وقال ايضاً : لا تأت ما تعيب ولا تعب ما تأتي . وجاء رجل الى ابن عباس رضي الله عنه فقال : إني أريد أن أعظ. فقال : أو بلغت ذلك إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله تعالى فافعل ، قال : ما هي ؟ قال : قول الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم . وقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لمَ تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . وقول العبد الصالح شعيب : «ما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه» . أحكمت هذه الآيات ؟ قال : لا . قال : فابدأ إذاً بنفسك .

ابن كناسة :

ياواعظَ الناسِ قد أصبحتَ مُتَّهَما ... إذ عبتَ منهم أموراً أنتَ تأتيها

كمن كسا الناس من عريٍ، وعورتُهُ ... للناس باديةٌ ، ما إن يواريها

الحث على الوعظ بالفعال دون المقال :

قال بقراط : لا تحث غيرك على فعل الفضائل ما لم تستكمل فيك ، فأفعالك تحث على المحاسن أكثر من مقالك . وقال أبو جعفر النيسابوري : ليس الحكيم الذي يلقنك الحكمة تلقيناً ، انما الحكيم الذي يعمل العمل فتقتدي به . وقال أبو هاشم : أخذ المرء نفسه بحسن الادب تأديب أهله ، ومن هذا قول محمود الوراق :

رأيتُ صلاحَ المرءِ يُصلِحُ أهلَهُ ... ويعديهمُ داء الفسادِ إذا فَسدْ

وقال عدي :

ونفسك فاحفظها من الغي والردى ... متى تُغوِها تُغوِ الذي بك يقتدي

التلطف والملاينة في الوعظ :

قيل : تصدى رجل للرشيد فقال : إني أريد أن أغلظ عليك لي في المقال ، فهل أنت محتمل ؟ قال : لا ، لأن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من كان شراً مني ! فقال : فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ؟ وقيل : الواجب لمن يعظ أن لا يعنف ، ولمن يوعظ أن لا يأنف .

الحث على الاتعاظ :

قيل : من قل اعتباره قل استظهاره ، من لم يتعظ بغيره وعظ الله به غيره . وقال حكيم : السعيد من وعظ بغيره ، والشقي من وعظ به غيره . وقيل : يا لها من موعظة لو وافقت في القلوب حياة!

النهي عن وعظ من لا يتعظ :

قيل : وعظ من لا يوعيك سمعه ولا يشحذ وعظك طبعه كمن وضع مائدة لأهل القبور ، ورام بخرقة تليين الصخور . وقيل : فلان في وعظه كنافخ في قفص وقاص في مقبرة . وقيل : لا ينجع الوعظ في القلوب القاسية كما لا يزكو البذر في الارض الجاسية . وقيل : صقلك سيفاً ليس له سنخ تعب ، وبذرك أرضاً سبخة نصب . وقيل : من استثقل سماع الحق فهو للعمل به أكثر استثقالاً .

الحث على قبول وعظ من ليس بمتعظ :

قال بعضهم : لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا ان تعملوا بأحسن ما تسمعون منا . ووقف رجل على ابن عيينة وهو يعظ الناس فأنشده :

وغير تقي يأمر الناسَ بالتُّقى   طبيبٌ يداوي والطبيبُ مريضُ

فأنشده ابن عيينة :

إعمل بعلمي وإن قصَّرتُ في عَملي   ينفعْكَ علمي ولا يضررْكَ تقصيري

وقد قال النبي ﷺ : مروا بالمعروف وان لم تعملوا به ، وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه . وما أحسن ما قال يوسف بن الحسين الرازي في دعائه : اللهم إنك تعلم أني نصحت النـاس قولاً وخنت نفسي ، فهب خيانتي لنفسي لنصيحتي للناس !

النهي عن الاقتداء بذوي الزلات :

قال المعتمر بن سليمان : إياك والاقتداء بزلات أصحاب النبي ﷺ فتقول : فلان شرب النبيذ ، وفلان سمع الغناء ، وفلان لعب بالشطرنج ؛ فيخرج منك فاسق تام . وقيل : من أخذ برخصة كل فقيه خرج منه فاسق .

كراهية تولي الفتيا والجلوس للناس :

قال النبي ﷺ : أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار . وقال ﷺ : من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض . وقيل لحاتم الأصم : ألا تجلس لنا في الجـامع ؟ فقال : لا يجلس في الجامع إلا جامع او جاهل ، ولست بجامع ولا أحب أن أكون جاهلا ؛ وفي أخرى : لا يتصدى إلا فائق او مائق ولست بالفائق . وقال الحسن رضي الله عنه : إن خفق النعال خلف الرجال لا يثبت قلوب الحمقى . ونظر عمر رضي الله عنه الى أبي بن كعب وقد تبعه قوم ، فعلاه بالدرة وقال : إنها فتنة للمتبوع ومذلة للتابع . قال ابن المبارك ، قلت لسفيان : مَن الناس ؟ قال : العلماء . قلت : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قلت : فمن الغوغاء ؟ قال : القصاص .

الحث على الامر بالمعروف :

قال الله تعالى : ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون . وقال أبو بكر رضي الله عنه : سمعت النبي ﷺ قال : إن الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده ، عمهم الله بعقابه . وقال النبي ﷺ من رأى منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليفعل ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان . وقال خالد بن عبد الله في كلام له : حق على المسلمين التواضع والتناهي عن المعاصي .

الموضع الذي يجوز فيه ترك الامر بالمعروف :

قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم . وقال أبو امية الشعباني : سألت أبا ثعلبة الخشني عنها ، قال سألت عنها خبيراً . قال : سألت رسول الله ﷺ قال : ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، واذا رأيت شيخاً مطاعاً وهوى متبعاً واعجاب كل امرىء برأيه ، فعليك بنفسك ودع أمر العوام . وقال اكثر المتكلمين : لا يجوز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل موضع ، لكن من علم أو ظن انه ينفذ قوله ولا يناله مكروه اذا قاله او فعله ، فعليه ان يفعل ذلك ، ومتى خاف على نفسه فعليه ان ينكر المنكر بقلبه دون لسانه .

من هزأ بالناس من القصاص :

كان عيار يقص فأقبل جماعة من المرد فقال : ها هو قد جاء العدوّ أمنوا اللهم امنحنا أكتافهم وكبهم على وجوههم ، وولنا أدبارهم وأرنا عورتهم ، وسلط رماحنا عليهم ، والناس يؤمنون ولا يدرون . وكان قاص بالغداة يسخر بالناس ويشرب بالعشى ، فقيل له في ذلك ، فقال : أنا بالغداة قاص وبالعشى ماص . وكان قاص يقال له أبو شعيب يقول : ها أنا ابو شعيب قليل العيب ، هاتوا ما في الجيب أخبركم بما في الغيب . وجاء رجل فقال : ما المحبة ؟ فقال : هاك سؤالك ، جاءني في جبه بلحية كالمذبه ، ورأس مثل الدبه وعقل لا يساوي حبه ، يسألني عن المحبه !

الهازون من القصاص :

ألقي الى أبي مسلم القاص خاتم بلا فص فقال : صاحب هذا الخاتم يعطى في الجنة غرفة بلا سقف ! وقال قاص : ما من قطرة تسقط من السماء إلا ومعها ملك يضعها في موضعها ثم يصعد ! فقيل : فالقطرة التي تقع في الكنيف يدخل معها الملك ؟ فقال : ان في الملائكة كناسين كما في الناس وذوي دناءة وخسة . وقال ابو عقيل : الرعد ملك اصغر من نحلة واعظم من زنبور ! فقيل : لعلك تريد اصغر من زنبور واعظم من نحلة ! فقال : لو كان كذا لم يكن بعجب . وقرأ رجل في مجلس سيفويه قوله تعالى « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه » فقال : دعنا من قرآن الحماشين

وهات قرآن طرسوس ، يعني الجهاد . وقال قاص : يا قوم اشكروا اذا لم يكن للملائكة نجاسة ، فكانوا يخرون علينا ويلطخون ثيابنا ! وقال يوماً احـذروا الله فانه ماء تحت التبن ! فقيل له : كيف ؟ فقال : أهلك عالماً في سبب ناقة قيمتها مائتا درهم ، وقتل ابن النبي فلم ينتطح فيه عنزان ، ربما يأخذ بالقليل ويعفو عن الكثير . وقال آخر : من صلى ركعتين فله بيت في الجنة . فقال نبطي : إن صليت خمسين ركعة هل يجعل لي بيت . فقال : لا يا ماص إن ذلك لبني هاشم ، فأما أنت فيبنى لك جدح بعكر ! وقال بعضهم : كان موسى عليه السلام فضولياً . قيل : وكيف ؟ قال : قيـل له وما تلك بيمينك يا موسى ؟ فكان الجواب ان يقول ، عصا ، فقال : هي عصاي (الآية) فأخذ فيما لا يعنيه .

أدعيتهم :

دعا بعض القصاص فقال : اللهم جازفنا ولا تفتش عن ذنوبنا فتفضحنا . وكان بعضهم يقول : اللهم اغفر لنا كل نعمة وحسنة ، واحشرنا في جملة سيدي ابو عبد الله بن حنبل ، ولا تغفر للرافضة .

من افتى في مسألة برقاعة :

ترك طبيب طبه وقعد فقيهاً فقيل له : ما تقول في من زعف في صلاته ؟ فقال : يحتجم . قيل : فمن قلس في صلاته . فقال : يتناول حب أيارج . قيل : ذا طب وليس بفقـــه . وقيل لآخر : ما تقول في من خصى نفسه ؟ قال : إن قصد الإضرار بامرأته حد . وقيل لبعضهم : ان نصرانياً قال ، لا إله الا الله . فقال يؤخذ بنصف الاسلام ، وان مات دفن بين مقابر المسلمين ومقابر النصارى . وقيل لسيفويه : ما تقول في الاضحية ؟ فقال : على الخبير سقطت ، سألت عنها شيخاً بنصيبين فلم يكن عنده فيها شيء . وقيل له : أتروي عن شريك شيئاً ؟ فقال : نعم حديثاً واحداً . قيل : ما هو ؟ قال : حدثنا شريك عن مغيرة عن ابراهيم مثله . قيل : مثل أي شيء ؟ قال : ما أدري هكذا سمعته !

من استفتى فيما لا يعرفه فانفصل عنه بحيلة :

قالت امرأة لرجل : اذا كان مكوك دقيق بدرهم ودانق كم يكون بأربعة دراهم ؟ فلم يعرف جوابها . فقال : ممن اشتريت ؟ قالت : من فلان . قال : اقنعي بما يعطيك فإنه ثقة . وسأل رجل في الجامع أبا عقيل مسألة في الحيض فلم يعرفها . فقال : يا أحمق اخرج هـــذه القاذورات والنجاسات من الجامع حتى تخرج منه ! وكان بعض القصاص في حديث قتلى بدر فسئل عن النملة اذا ماتت في الماء هل يجوز شربه ؟ فقال : ما لنا وهذا نحن في النوق لسنا العنوق أي نتكلم في الكبار فلا نخوض في الصغار .

من استفتاه أحمق فأجابه بنادرة :

قال شامي لحمزة بن بيض : لمَ يرفع الكلب رجله اذا بال ؟ قال : مخافة ان ينجس سراويله . وسأل رجل الشعبي : كم امهر ابليس امرأته ؟ قال : ذاك أملاك لم اشهده . وقال له انسان : هل آكل الذباب ؟ قال : إن اشتهيت فكل ! وقيل لآخر : اذا دخلت النهر لاغتسل ففي اي جانب أفضل ان اقف ؟ فقال : في الجانب الذي فيه ثيابك لئلا تسرق . وقيل لآخر : ما تقول في من نام وأبوه قائم ، فجاءت امرأة وقعدت عليه ؟ فقال : لا أدري ما اقول ، ولكن كان ابراً مرزوقاً ! وقال أبو حازم : جاء رجل الى أبي ، فقال : بأي رجل يجب ان يبدأ من يدخل المسجد ؟ فقال : ما هذا مما يسأل عنه ولكن قد قيل للعروس ضعي رجلك اليمنى على المال والبنين . وقال رجل لمفت بالبصرة : أسلمت ثوباً الى الحائك فالدقيق على من يجب ؟ فقال : الدقيق ولعنة الله على الحائك .

من استفتي في سخف فأجاب بمقتضاه :

قيل لعالم : ما بال اعانة المرأة تنبت اكثف ؟ فقال : لقربهـــا من السماد وتسقى من عسل . وقيل : ما بال استاههن لا شعر عليها وعلى استاء الرجال الشعر ؟ فقال : لان استاه الرجال حمى واستاه النساء مرعى . وقال عبادة عند المأمون ليحيي بن أكثم : علمني فرائض الصلب فإني اشتهيها . فقال المأمون وتبسم : ما تقول في مسألة ؟ فقال : قد أخطأ ، أما كان يجب ان يسأل عن هذا في الصبا ؟ أما سمع قول الشاعر :

فان من أدبتــه في الصِّبا كالعود يسقى الماء في غرسِه

إنما يعلم الحديث بشرط ان يكون وضيئاً زكياً سهل الاخلاق ، فان كان له ابن بهذا الشرط علمناه . فقال عبادة : لو دخلت في صناعتنا لم يقربك احد . فقال يحيي : وأنا خارج منها وما بأحد على قوّة واستفتي ابن فريعة في رجل دخل الحمام وقعد في الحوض فضرط فيه ، فتحول الماء زيتاً فكتب : أخلق بذلك أن يكون عبثاً باطلاً وكذباً ماحلاً ، والجواب وبالله التوفيق : إن لصاحب الحمام نصف الزيت لأجل مائه ، وللضارط النصف لحط وجعائه ، وعليهما ان يعلما المبتـاع بنجاسة منشئه وقذر مبدئه ، ليستعمله في أسرجته دون أطعمته . والسلام .

• • •

ومما جاء في الخطبة وقراءة القرآن

ما يحتاج اليه في الخطبة

قيل : يجب ان يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح ، قليل اللحظ متخير اللفظ ، جهير الصوت ، وان يضع في صدر كل خطبة من النكاح والعيد والصلح ما يدل على عجزها ، وان يكون فيها آيات وإلا كانت شوهاء ولذلك قال عمران بن حطان : أول خطبة خطبتها عند زياد فقال هذا الفتى أخطب الناس لو كان في خطبته شيء من القرآن ، وليس من السنة التمثل فيها بالشعر . وقال الجاحظ : يجب ان يفرق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العيد وخطبة الصلح . وكانوا يحمدون الجهير الصوت ويذمون ضئيله .

صعوبة توليها :

قيل لعبدالملك : أسرع اليك الشيب . فقال : كيف لا وانا أعرض عقلي في كل جمعة على الناس . وقيل : نعم الشيء الامارة لولا قعقعة البريد وصعوبة المنبر ! وقيل : اياك والخطبة فإنها مشوار كثير العثار . وقيل : لا يقدم على الخطبة إلا فائق او مائق . وقال عبدالله القسري : هو مقام لا يقومه إلا اهوج اوقليل الحياء . وقال عمر رضي الله عنه : لا يتصعدني شيء كما تتصعدني خطبة النكاح . وقيل : إنما صعب عليه لقرب الوجوه من الوجوه ، ومن صعد المنبر رأى نفسه ارفع فيكون أجسر . وقيل : انه لا يجد من تزكية الخاطب بدّاً فلذلك كرهه .

من ارتج عليه فيها فاعتذر بعذر حسن :

ارتج على عثمان رضي الله عنه فقال : إنكم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال . وارتج على يزيد بن المهلب فلما نزل قال :

فإن لا أكن فيكم خطيباً فإنني ... لسيفي، اذا جد الوغا، لخطيبُ

فقيل : لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب العرب ! وصعد خالد بن عبدالله القسري المنبر فارتج عليه فقال : ان هذا الكلام يجيء أحياناً ويعسر أحياناً ، وربما طلب فأبى وكوبر فعتا ، والتأني لمجيئه أيسر من التعاطي لابيه . وقد يختلط من الجريء جنانه وينقطع من الذرب لسانه وسأعود فأقول . وارتج على أبي العباس السفاح لما صعد المنبر فنزل ثم صعد وقال : أيها الناس إن اللسان بضعة من الإنسان يكل بكلاله اذا كل ، ويرتجل لارتجاله اذا ارتجل ، ونحن امراء الكلام ، بنا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه ، الا وأنا لا نتكلم هذراً بل نسكت معتبرين ونتطق مرشدين !

من اعتذر بخرافة او نادرة :

حضر عبدالله بن عامر على منبر البصرة فاشتد جزعه فقيل : إن هذا مقام صعب فامتحن فيه غيرك ، فأمر وازع بن مسعود ان يصعد ويخطب ، فلما ابتدأ الكلام حضر فقال : لا أدري ما أقول لكم ، ولكنني أشهدكم ان امرأتي طالق ، فهي التي أكرهتني على حضور الصلاة . ثم أمر آخر فصعد المنبر فارتج ونظر الى الصلع فقال : اللهم العن هذه الصلعة . وصعد عتاب بن ورقاء منبر اصبهان يوم النحر فحصر فقال : لا أجمع عليكم عياً وبخلاً ، ادخلوا سوق الغنم فمن اخذ منكم شاة فهي له وعليّ ثمنها .

الأمر بالاغضاء عنه لئلا يدهش :

صعد أعرابي المنبر ، فلما رأى الناس يرمقونه صعب عليه الكلام فقال : رحم الله عبداً قصر من لفظه ورشق الارض بلحظه ، ووعى القول بحفظه . وصعد روح بن حاتم المنبر ، فلما رفع الناس أبصارهم قال لهم : نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم ، فإن اول موكب صعب . ووصف خطيب مصقع طلحة :

رَكوبُ المنابرِ وثّابها معن بخطبتهِ مصقعُ

قيس بن عاصم :

خطباء حين يقولُ قائلُهم بيض الوجوه مصاقع لُسُنُ

آخر : يرمون بالخطب الطوال ، وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء

جماعة من مشاهير الخطباء :

منهم : قس بن ساعدة ، ولقيط بن معبد ، وزيد بن جندب ، وصعصعة بن صوحان ، وقطري بن الفجاءة ، وعمران بن حطان . وتكلمت الخطباء يوماً عند معاوية . فقال : والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق ! قم يا زيد فتكلم . ومن الخطباء القدماء كعب بن لؤي ، وكان يخطب على العرب كافة ، فلما مات اكبروا موته وأرخوا بموته الى عام الفيل . ومن خطباء اليمن حمير بن الصباح . وكان المفضل بن عيسى الرقاشي من أخطب الناس ، وكان متكلماً قاصاً يقعد اليه عمرو بن عبيد .

المعتذر بعجزه عن الخطبة :

كعب الاسدي :

فان لا اكنْ في الارض أخطبُ قائماً فاني على ظهر الكميت خطيب
وإن لا اكن فيكم خطيباً فإنني بسمر القنا والسيف جد خطيب

لبيد : اذا اقتسم الناسُ فضلَ الفخارِ أطلنا على الأرض ميلَ العصا

وله : ما إن أهاب اذا السرادق غمه قرع القسي وأرعش الرعديد

ومن السنة أن يتناول الخطيب سيفاً او قوساً يمسك به نفسه ، وقد تقدم شيء من هذا البا

دم

وائلة الدومي :

لقد صبرتْ للدلّ أعوادُ منبرِ يقوم عليها في يديكَ خطيبُ

بكى المنبرُ الشرقي لما علوته وكادت مساميرُ الحديدِ تذوبُ

منصور بن ماذان :

أقول غداةَ العيد والقومُ شهّدٌ ومنبرُنا عالي البناء رفيعُ

لعمري لان أضحى رفيعاً فانه لمن يرتقي أعواده لوضيعُ !

آخر : سلي ببهر والتفات وسعلة ومسحة عثنون وفتل الاصابعِ

المصيصي في خطيب :

ينشي لنا كل جمعةٍ عظةً يشلي علينا بها الشياطينا

فضل قراءة القرآن :

قال النبي ﷺ : لا حسد إلا في اثنين : رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في السر والاجهار . وقال ﷺ : خيركم من تعلم القرآن وعلمه . ولبعضهم : ان الله تعالى جعل القرآن سراجاً لا تطفأ مصابيحه ، وشهاباً لا يخبو زنده ونوراً لا يتغير ذكاؤه ، ومن قرأه وتبعه دله على المكارم وصده عن المحارم ، وشفع له يوم القيامة . قال الله تعالى : وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون . وقال تعالى : ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟ وقال ﷺ : من بلغه القرآن فكأنما شافهته لقوله تعالى : لأنذركم به ومن بلغ . وقد ذكرنا أحوال القرآن في باب الديانة مستقصاة .

نوادر العرب فيما سمعوه من القرآن :

قيل لاعرابي : إقرأ قل يا أيها الكافرون . فقال : أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شيئاً فيه صعود وهبوط ، هات غيرها . وقيل لآخر : ما تقرأ في صلاتك ؟ قال : أُم القرآن ونسبة الرب

وهجاء أبي لهب . وقيل لآخر : ما قرأ امامكم البارحة في صلاته ؟ فقال : أوقع بين موسى وهارون شراشر . وسمع آخر رجلا يقرأ « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » فقال : لقد هجانا، ثم سمعه يقرأ بعده : ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ؛ فقال : لا بأس هجاء ومدح ، هـــذا كما قال الشاعر :

هجوتُ زهيراً ثم إني مدحتُهُ وما زالت الأشراف تهجى وتُمدح

وسمع آخر قوله تعالى : وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فقال : وأين السلم اليه ؟ وسرق أعرابي غاشية سرج فدخل مسجداً فقرأ الامام : هل أتاك حديث الغاشية ؟ فقال : اسكت قد أخذت في الفضول ، فقرأ الامام : وجوه يومئذ خاشعة . فقال : ها هي غاشيتكم فلا تخشعوا وجهي .

من غيّر حرفاً من القرآن فأتى بنادرة لما روجع :

قال الحجاج لامرأة من الخوارج : اقرئي شيئاً من القرآن ، فقرأت : اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله افواجا ! فقال : ويحك يدخلون ! قالت : قد دخلوا وأنت تخرجهم . وقرأ اعرابي : إنا بعثنا نوحاً الى قومه . فقيل : انما هو أرسلنا . فقال : ما بينهما إلا لجاجك . وقرأ آخر : فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . فقالوا له : قد غيرت . فقال :

خذوا أنف هرشي او قفاها فإنه كلا جانبي هرشي لهن طريق

بعض ما جعلته العرب قرآناً :

قرأ اعرابي في صلاته الفيل : وما ادراك ما الفيل ، له ذنب طويل ، ومشفر وثيل ، وانه من خلق ربنا لقليل الله اكبر ! وقرأ آخر :

ويوسف اذ دلاه أولاد علة فاصبح في قعر الركية ثاويا

وصلى آخر بقوم فقرأ :

أفلح من هينم في صلاته وأخرج الواجب من زكاته
واطعم المسكين من مخلاته

فضحك القوم فالتفت اليهم وقال : أشهد أني أخذته من في مسيلمة . وشهد اعرابي عند أمير فقال المشهود عليه : كيف تقبل شهادته وهو لا يحسن شيئاً من القرآن ؟ فالتفت اليه وقال ، اقرأ ، فقال:

بنونا بنو أبنائِنـا وبناتِنا بنوهن أبناءُ الرجالِ الأَباعدِ

فقال الامير : إنها آية محكمة . فقال المشهود عليه : ما أراه تعلم هذه الآية الا الساعة .

من ذكر مثلاً فاعتقد أنه من القرآن :

خطب أبو الفرزدق فقال : قال الله تعالى لن يعجز القوم اذا تعاونوا . وخطب عتاب بن ورقاء فقال : ان الله تعالى يقول انما يتفاضل الناس بأعمالهم ، فقيل : ليس هذا قرآناً . فقال : ما أظنها الا آية . وقال بعض الناس : ما أحسن ما قال الله تعالى ، اقتلوا السفلة حيث وجدتموهم ! فقيل : ليس هذا بقرآن . فقال : ألحقوها به فانها آية حسنة . وغضب أبو عباد الكاتب على بعض كتابه فرماه بدواة ، فبلغ المأمون فقال له : لمَ فعلت ذلك ؟ فقال : أنا ممن قال الله تعالى فيه « واذا ما غضبوا هم يستغفرون » فقال : ويلك لا تحسن آية ؟ فقال : نعم إني أقرأ من سورة ألف آية .

ذم من قبح قراءته :

قرأ رجل بحضرة الصاحب رحمه الله والعاديات بأقبح قراءة ، فتناوم الصاحب تبرماً به ، فضرط القارىء ضرطة ففتح الصاحب عينيه وقال : نومتني بالعاديات ونبهتني بالمرسلات !

المصيصي : نحن في أنكر عيش من قراءة ابن حبيش
يقرأ الحمد فتى في حلقه كنة خيش

آخر : وكأنما في الحلق منه مجسة أو دبة في سلم تتدحرج

وصلى رجل يقال له يحيى بأربعة نفر ، فأكثر اللحن في قل هو الله أحد ، فلما فرغ قال أحدهم:

أكثر يحيى غلطاً في قلْ هوَ الله أحد

فقال الثاني : قامَ يصلِّي قاعداً حتى إذا أعيا قَعَدْ

فقال الثالث : كأنما لسانُهُ شُدَّ بحبلٍ من مَسَدْ

فقال الرابع : يزحر في محرابه زحيرَ حبلى بولَدْ

ذم من ارتج عليه في القراءة ونوادره :

قام رجل يصلي خلف امام ، فلما افتتح الصلاة أرتج عليه في الاستعاذة من الشيطان ، فأخذ يكرر الاستعاذة فقال له رجل : إنك لا تحسن القرآن فما ذنب الشيطان يا بارد ؟ وقرأ إمام سورة اذا الشمس كورت ، فلما بلغ قوله فأين تذهبون، أرتج عليه ، فأخذ يكرره وخلفه أعرابي فأخذ جمشكه وصفعه فقال : أما أنا فأريد كلواذاء وهؤلاء الكشاخنة لا أعرف مقصدهم . وصلى رجل بقوم فأخذ يردد قل أرأيتم ان أهلكني الله ومن معيَ ، فقال اعرابي : أهلكك الله وحدك ! وقرأ الرشيد ليلة: وما لي لا أعبد الذي فطرني ، فارتج عليه وأخذ يردده وابن أبي مريم بقربه في الفراش فقال : لا أدري والله لمَ لا تعبده ؟ فضحك الرشيد وقطع صلاته .

• • •

ومما جاء في الفراسة والتراطن والطيرة والفال

صحة الفراسة :

قال النبي ﷺ : اتقوا فراسة المؤمن . وقال ﷺ : المؤمن ينظر بنور الله .

ابن الرومي :

وخبِّي الفؤاد يعلمُه العا قلُ قبل السماعِ بالايماء
وظنون الذكيِّ أنفذُ في الحق سهاماً من رؤيةِ الأغبياء

آخر : لا تسأل المرءَ عن خلائقِهِ في وجهه شاهدٌ مِنَ الخبرِ

وقال آخر : وفي بعض القلوب ترى عيون

البحتري : واذا صحتِ الروِّية يوماً فسواء ظنٌّ امرىء وعيانُه

الممدوح بصحة الفراسة :

قيل : فلان ألمعي .

أوس : نجيحٌ مليحٌ أخو ماقطٍ نقابٌ يخبرُ بالغائبِ

أبو تمام :

يرى الحادثَ المستعجمَ الخطب معجَما لديه ، ومشكولاً وإن كان مشكِلا

آخر : يخبر ظهر الغيب ما أنت فاعل

آخر : يخاطبه من كل أمر عواقبه

من تفرس في صبي أمراً وكان كما ظن :

رأى بكير بن الاخنس المهلب وهو غلام فقال : خذوني به ان لم يفق سراتهم ويبرع حتى لا يكون له مثل ! وكان كما قال . ونظر رجل الى معاوية وكان صغيراً فقال : إني أظن هذا الغلام سيسود قومه ! فقالت هند : ثكلته أمه إن كان لا يسود إلا قومه . ورأى رجل ابن السكيت وهو صغير يسأل فيجيب فقال : ان هذا الغلام ينال خيراً . وقد تقدم في الحزم والتعلم مثل هذا .

كلمات من الرطانة :

بعث امرؤ القيس الى امرأة تزوج بها بثلاثين شاة وزق خمر ، فذبح الغلام في الطريق شاة وأكلها وشرب بعض الزق ، فلما أوصلها قالت له ، قل لزوجي اذا أتيته : سحيا كان قد رثم وإن رسولك جاءنا في المحاق . فلما أتاه الرسول وأخبره قال : يا عدوّ الله أكلت شاة وشربت من رأس الزق ! فاعترف بذلك . وأسر بنو ساسان رجلًا من بني العنبر فقال : دعوني أرسل إلى قومي ليفدوني ، فقالوا : على أن لا تكلم الرسول إلا بحضرتنا . فقال : نعم . وقال للرسول : قل لهم إن الشجر قد أورق وإن النساء قد اشتكت . ثم قال له : أتعقل ؟ قال : نعم . فقال : ما هذا الوقت ؟ قال : الليل . قال : قل لهم عروا جملي الأصهب ، واركبوا ناقتي الحمراء ، واسألوا حارثاً عن أمري . وكان الحارث صديقاً له ، فذهب الرسول اليهم فدعوا حارثاً فسألوه فقال : قوله الشجر قد أورق أي تسلح القوم ، واشتكت النساء أي اتخذت القرب للماء ، وقوله ما هذا الوقت فقال الليل فانه يقول أتاكم جيش كالليل ، وقوله عرّوا جملي الاصهب أي ارتحلوا عن الصماء ، واركبوا ناقتي الحمراء أي انزلوا الدهناء ! فرحلوا من ساعتهم ، فصبحهم القوم فلم يجدوا أحداً . وكان العطاردي لما رجع الى قومه رمى اليهم بصرتين في احداهما شوك وفي الاخرى تراب ، فقال قيس بن زهير : هذا رجل مأخوذ عليه بالحلف وهو ينذركم عدواً وشوكاً . قال الله تعالى : وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم . وأسرت طيء غلاماً من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه ، فقال أبوه عنده : لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبلي طيء ، ما عندي غير ما عرفتكم ! ثم انصرف . وقال : لقد أعطيته كلاماً ان كان فيه خير فهمه كأنه قال الزم الفرقدين على جبلي طيء ، ففهم الابن كلامه ، فطرد إبلًا من ابلهم ليلته ونجا بها . وكان داريوس ملك فارس لما سمع بخروج ذي القرنين بعث اليه بدرّة وكرة وياقوتة ، وجراب سمسم وتابوت مملوء من الذهب وكتب اليه : انما بعثت بهذا لاجرب عقلك ! فقال له الاسكندر : قد عرفت لماذا بعثت، أما الدرة فتزعم أنك سوط تشير علي ، وقلت يجتمع لي ملكك اجتماع هذه الكرة في يدي ، وذكرت ان لك في أمري ضياء كضياء الياقوتة ، وبعثت بالتابوت من الذهب تقول تكون لي خزائنك ، والسمسم تعلمني ان عدة جنودك كثيرة ككثرته . ثم ان ذا القرنين أخذ كفاً من السمسم بحضرة الرسول فاستفه ومضغه ، وقال : قل له جنودك كثيرة ولكني أطحنهم طحناً كهذا السمسم ، وبعث معه اليه بجراب من خردل ، فأخبر الرسول داريوس بما عاين من ذي القرنين فأعجبه كيده وغضب ، فأخذ كفاً من الخردل فطرحه في فمه كفعله بالسمسم . فلما وجد مرارته وحرافته لفظه وقال : أشهد ان جنوده في حرافة الخردل، ثم كانت الغلبة لذي القرنين . ولما صالح ملك الهند اشترط عليهم أن يدفعوا اليه حكيما كان فيهم ، ففعلوا فاستصحبه ولم يفاتحه ثم بعث اليه يوماً بستوقة مملوءة سمناً فأخذها الحكيم وغرز فيها إبراً وردها إليه ، فبعث اليه يوماً آخر مرآة صدئة ، فأخذها الحكيم فجلاها وردها اليه . فقيل لذي القرنين تعجباً من فعلها ، ماذا عنيتما بذلك ؟ فقال : إني لما بعثت اليه البستوقة قلت إني ممتلىء من العلم

امتلاء هذه البستوقة من السمن ، فأراني بغرز الابر أن الأمر بخلاف ذلك ، وأن في زيادات كثيرة. وذكرت له بالمرآة الصديئة ان نفسي قد صدئت ، فأجابني بأن قال : ذاكراً العلماء فالمذاكرة جلاء القلوب .

الاشارة بقول يسير الى معنى كثير :

كان المأمون رحمه الله غضب على طاهر بعد ما وجهه الى خراسان ، فكتب اليه بالرجوع ، فكتب اليه صديق له كتاب سلام ووقع على حاشيته يا موسى . فجعل طاهر يتأمل ذلك ولا يدري معناه حتى ناوله امرأة صحبته جزلة الرأي فقالت : إنما عنى يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك ! فأمسك طاهر عن الاقدام وجعل يتقيه حتى طيب قلبه .

النهي عن التكهن والطيرة :

روي عن النبي ﷺ أنه قال : الطيرة شرك ، وما منا من يجده في نفسه ، ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل . وقال ﷺ : ثلاثة لا ينجو منهن أحد : الظن والطيرة والحسد ، فاذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسدت فلا تبغ ، واذا تطيرت فامض ولا تثن . وقال : من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترد عن سفر ، لم ينظر إلى الدرجات العلى يوم القيامة . وروي : اللهم لا طير الا طيرك ، ولا خير الا خيرك ، ولا رب غيرك . وقال ﷺ : لا عدوى ولا هامة ولا صفر .

الرخصة في الطيرة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : الطيرة في المنزل والمرأة والفرس . وقيل : أخبرت عائشة رضي الله عنها بذلك فغضبت وأنكرت ذلك ، وطارت شقة في السماء وشقة في الارض وقالت : ان النبي ﷺ انما قال ان يكن شؤم ففي هذه الثلاثة .

جواز الفأل :

كان النبي ﷺ يتفاءل ويعجبه الفأل الحسن ولا يتطير . ولما هاجر النبي ﷺ الى المدينة وقاربها سمع منادياً ينادي يا سالم ، فقال لاصحابه : سلمنا . فلما دخلها سمع آخر ينادي يا غانم ، فقال غنمنا ، فلما نزل أتي برطب فقال ﷺ : حلا لنا البلد ! وسمع رجلاً يقول يا حسن فقال : أخذنا فألك من فيك . ولما خرج من مكة مرّ بكلبة في ظل شجرة ساقطة أطباؤها نائمة عليها اجراؤها فقال لاصحابه : أعطيتم درها ووقيتم كلبها ! وبعث المشركون اليه سهيلاً فقال : أتاكم سهيل وسيسهل أمركم . ووجه سعد بن أبي وقاص الى عمر رضي الله عنهما رسولاً فلما جاءه قال : ما اسمك ؟ قال : ظفر . قال : ابن من ؟ قال : ابن قريب . فقال : ظفر قريب ان شاء الله تعالى . ولما طلب المغيرة بن شعبة رسول سعد بن أبي وقاص من ملك الفرس يزدجر الجزية قال : نعطيكم التراب . فقال سعد : نعم الفأل مكننا من أرضه !

النهي عن التنجيم واختيار الايام :

روي أن النبي ﷺ سأله رجل : في أي يوم أحتجم ؟ فقال : لا تطيروا ، فإن الايام كلها لله اذا تبيغ بأحدكم الدم فليحتجم . وقال النبي ﷺ : اللهم لا طير الا طيرك . ولما عزم على كرم الله وجهه على المسير الى النهر وان أتاه بسام المنجم فقال لا تسر في هذه الساعة وسر في وقت كذا . قال : ولمَ ؟ قال : لأنك إن سرت فيها أصابك ضرر شديد ، وإن سرت في وقت كذا ظفرت . فقال : ما كان محمد ﷺ يعلم ما ادعيت . وقال : اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ، وما كان لعمر رضي الله عنه منجم ، ولقد فتح بلاد كسرى وقيصر . وقال علي كرم الله وجهه : من تعلم باباً من النجوم فقد تعلم باباً من السحر ، فإن زاد ازداد .

وقال الخليل :

أبلغا عنّيَ المنجمَ أني   كافر بالذي قضته الكواكبْ
عالمٌ أنّ ما يكونُ وما كا   نَ فحتمٌ من المهيمن واجبْ

وقال الصاحب :

خوّفني منجم أبو خبل   تراجعَ المريخِ في برجِ الحَمَلْ
فقلت : دعني من أباطيل الحيلْ   فالمشتري عندي سواء وزحلْ!
أدفعَ عنّي كل آفات الدولْ   بخالقي ورازقي عز وجلْ

أسامي ما تتطير به العرب :

السانح ما ولاك ميامنه ، والبارح ما ولاك مياسره . قال أبو عبيدة : البارح يتشاءم به أهل نجد والسانح يتشاءم به أهل عالية ، ولذلك قيل من لي بالسانح بعد البارح ؟ والناطح ما يتلقاك بجهته وهو يكره ، والكادس ما يجيء من خلفك يقفوك ، وكل ما يتطير به يسمى طير العراقيب ، ويتطيرون بالعطاس . ولذلك قال :

أوحلت من سلمى بغير متاع   قبل العطاسِ ورعتها بوداع ؟

المصيب في عيافته :

خرج لهبي في حاجته ومعه سقاء لبن فسار صدر نهاره ثم عطش فأناخ راحلته ليشرب ، فاذا بغراب ينعب فأثار راحلته ومضى ، فلما أجهده العطش أناخ راحلته ليشرب ، فنعب الغراب وتمرغ في التراب ، فضرب الرجل سقاءه بسيفه فاذا فيه أسود سالخ ! وبنو أسد موصوفون بالعيافة . وقال الاصمعي : قيل إن نفراً من الجن تذاكر والعيافة من بني أسد فأتوهم ، فقالوا ضلت لنا ناقه ، فأرسلوا معنا من

يف ، فقالوا لغليم منهم انطلق معهم ، فاستردفه أحدهم فساروا فلقيتهم عقاب كاسرة إحدى بجناحيها، فاقشعر الغلام وبكى فقالوا ما لك ؟ قال : كسرت جناحاً ، ورفعت جناحاً ، وحلفت بالله صراحاً ما أنت بانسي ولا تبغي لقاحاً ! وبعث ازدشير الى النبي ﷺ زاجراً ومصوراً فقال للزاجر : زجره وللمصور صور صورته ، فلم يجد الزاجر شيئاً يزجر به ، وصور المصور صورته وورد بها فنظر ازدشير اليها ووضعها على الوسادة وقال للزاجر : ما رأيت ؟ قال : لم أر شيئاً أزجر به عنده ، ولكني رأيت ها هنا أن الأمر له لأنك وضعته على وسادتك ، ومكنته من رياستك . وسمع لهبي بعيف رجلاً يقول لعمر رضي الله عنه : يا خليفة رسول الله ! فقال : سماه باسم ميت . فلما بلغ مرمى الجمار صكت حصاة صلعة عمر رضي الله عنه فقال اللهبي : اشعر والله أمير المؤمنين والله لا يقف هذا الموقف بعدها ، فقتل عمر رضي الله عنه تلك السنة . وبينا مروان بن محمد ينظر في ايوان له فانصدعت زجاجة من الايوان ووقعت منها شمس على منكب مروان ، وكان بحضرته عياف يستمع اليه مروان فقال : صدع الزجاج منكر فخرج وتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال : صدع الزجاجة صدع السلطان ستذهب الشمس عنك مروان ، يقوم من الترك أو خراسان ، ذلك عندي واضح البرهان . فورد عن قريب خبر أبي مسلم صاحب الدعوة .

من حكم بتنجيم وافق قوله القضاء :

كان الفضل بن سهل حكم على نفسه انه يعيش أربعين سنة ثم يقتل بين ماء ونار ، فعاش هذه المدة ثم قتل في حمام سرخس . ولما مرض الحجاج دعا منجمه فقال : ويلك انظر ماذا ترى ؟ فقال: أرى ملكاً يموت ولست هو . قال : وما اسمه ؟ قال : كليب . فقال : أنا والله ذلك ، فقد كانت أمي سمتني كليباً ! وكان نبيخت المنجم لا يحبس عن المنصور ، فجاءه يوماً فقيل له انه في المستراح فقال : اخرج عاجلاً ، فخرج فانخسف المخرج عقب خروجه .

من تطير من الكرام بكلام سوء سمعه فاصابه من ذلك :

قال هبة الله بن ابراهيم : دعاني الامين في الليلة التي نزل فيها طاهر بن الحسين النهروان ، فلما دخلت عليه رأيته مغتماً فقال : يا عم أما ترى هذا الباغي عليّ ؟ فقلت : دعه وبغيه فالبغي يردي صاحبه . فقال : فبم أداوي ما خامرني ؟ فقلت : تأمر بإحضار أبي نواس ، فإنه فتاح لهذه الأبواب . فاستحضره وسأله فقال :

إذا ما ضاقك الغمُّ   فضع في الرأس أقداحا
فإن الهمّ إن طاحت   به مشمولةٌ طاحا

فدعا برطل وجارية تغني ، فسألها : ما اسمك ؟ قالت : شر ! وغنت بقول الشاعر :

كليب لعمري كان أكبر ناصراً   وأكبر حزماً منك ضرّج بالدّمِ

فرمى بالرطل وأمر بالجارية فالقيت في دجلة ، ودعا أخرى فغنت :

همُ غدروه كي يكونوا مكانه   كما غدرت يوماً بكسرى مرازبُهْ

فرمى بها أيضاً ، ودعا بأخرى فغنت بقول الشاعر :

كأن لم يكنْ بين الحجونِ إلى الصفا   أنيسٌ ولم يسمرْ بمكةَ سامرُ

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا   صروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ

فاغتم اغتماماً عظيماً ، فتطلع على دجلة فاذا برجل يقرأ ، قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ! فاستحكم تطيره فقلت : يا امير المؤمنين قد نهى النبي ﷺ عن التطير . فقال : هبني لا أتطير بالشعر أما أتفاءل بالقرآن ؟ فما انقضى الاسبوع إلا وقد نزلت به النازلة .

من رأى فأل سوء فصرفه الى حسن بتأويله :

خرج جعفر بن سليمان الى المدينة والياً بها ، فتعلقت شجرة بلوائه فتطير بذلك فقال من كان معه : هذا عملك تشبث بك . فسري عنه . وسار خالد بن يزيد الى ولاية الموصل فانكسر اللواء فحزن لذلك . فقال أبو الشمقمق :

ما كان مندقّ اللواء لريبة   تخشى ، ولا أمر يكون مبدلا

لكنّ هذا الرمح ضعفَ متنَه   صغرُ الولاية فاستقل الموصلا

فبلغ ذلك المأمون فزاد في ولايته قنسرين . ولما صعد قتيبة بن مسلم منبر الريّ سقط القضيب من يده ، فتطير بذلك الناس فأنشد :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى   كما قرّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

وصف الفأل السوء بأنه يصيب من تفاءل به :

قيل : إياك والفأل السوء ، فقد قالت الفلاسفة ما للنوائب رسول أبلغ في قبض الارواح من الطيرة والفأل السوء ! وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كنت أنا وأمير المؤمنين عند النبي ﷺ وكان يحب الفأل ، فلما خرج أنشد :

تفاءل بما تهوى يكنْ فلقلّما   يقالُ لشيء كان الا تكوّنا

وقال علقمة :

ومن تعرض للغربان يزجرُها   على سلامتها لا بد مشؤم !

من تشوئم به فدفع ذلك عن نفسه :

خرج هشام بن عبدالملك يوماً فلقي أعور ، فأمر بأن يضرب ويحبس وقال : تشاءمت بك ! فقال الأعور : إن الأعور يكون شؤمه على نفسه ، وشؤم الاحوال على غيره ، ألا ترى أني استقبلتك فلم يصبك شيء ، وأنت استقبلتني فنالني منك سوء ، وكان هشام أحول فخجل من ذلك وخلاه . وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فاستقبله أعور فأمر بحبسه وضربه، ثم مضى فتصيد صيداً كثيراً، فلما عاد استدعى الأعور وأمر له بصلة فقال الأعور : لا حاجة لي في الصلة ولكن ائذن لي في الكلام ، فأذن له فقال : تلقيتني فضربتني وحبستني ، وتلقيتك فصدت وسلمت فأينا أشأم ؟ فضحك وأعطاه .

الخط :

كان زاجر العرب يخط خطين فيقول : ابني عيان أسرعا البيان . وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى أو أثارة من علم : انها الخط .

الطرق :

هو نثر الحصى والاستدلال باجتماعه وتفرقه كما يعمل صاحب الشعير ، وأصل الطرق الضرب . قال الشاعر :

لعمركَ ما تدري الطوارقُ بالحصى ولا زاجراتُ الطير ما اللهُ صانع !

وقال حماد عجرد : الطرق من الجبت .

القيافة :

قالت عائشة رضي الله عنها : دخل علي رسول الله ﷺ تبرق اسارير وجهه من الفرح ، فسألته عنه فقال : ألا ان محرز المدلجي رأى زيد بن حارثة وأسامة نائمين في قطيفة قد غطيا رؤسهما وبدت أقدامهما ، فقال : هذه الأقدام بعضها من بعض . واختصم رجلان في غلام يدعيه كل واحد منهما ، فسأل عمر رضي الله عنه أمه عنه فقالت : غشيني احدهما ، ثم هررت دماً ثم غشيني الآخر ، فدعا عمر رضي الله عنه قائفين فسألهما فقال احدهما : أعلن او أسرّ قد اشتركا فيه ، فضربه عمر رضي الله عنه حتى اضطجع ، ثم سأل الآخر فقال مثل قوله ، فقال ما كنت أرى ان مثل هذا يكون . قال عوسجة بن مغيث القائف : كنا سرق خيلنا فعرفنا آثارهم بتميز أيديهم في العذوق ، فركبنا في آثارهم حتى ظفرنا بهم ، وقيل : فلان في قيافته يعرف أثر الذر على الصخر ، فيعرف أثر الانثى منها من الذكر . وكانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة ، وكان الفاكه من فتيان قريش ، وكان له منزل للضيافة يغشاه الناس من غير اذن ، فخلا البيت يوماً وقال الفاكه ساعة وهند عنده ، ثم

خرج الفاكه لبعض حاجاته وأقبل رجل فدخل البيت ، فلما رآها انصرف فاستقبله ، فرآهما فارتاب بها فخاصمها وقال : الحقي بأهلك ! فتكلم الناس بها فقال أبوها : أي بنية ، إن الناس قد خاضوا في أمرك فاصدقيني ، فان كان ما يقولونه حقاً بعثت من يقتل الفاكه سرّاً فتخلصين ، وإن كان باطلاً حاكمته الى بعض كهان اليمن ليبين براءة ساحتك ، فحلفت أنها بريئة فأرسل اليه وقال : حاكمها الى الكاهن فقد رميتها بداهية ! فخرج الفاكه في جماعة من بني عبدالمدان وخرجت في نسوة ، فلما شارفوا البلد رآها أبوها شاحبة متغيرة فقال : مالي أراك شاحبة متنكرة الحال ، قالت : والله ما ذلك لمكروه عندي ولكني آتي بشراً يخطيء ويصيب فلا آمنة أن يرميني بداهية من غير أصل ، فيصير ذلك سبة علينا ، فقال أبوها : إنا نخبأ له خبيئة ، فإن اخبرنا بها استدللنا على علمه واستفتيناه ، وإلا تركناه . فأخذوا حبة حنطة وجعلوها في احليل فرس ، فلما انتهوا اليه أنزلهم وأكرمهم . فقالوا : قد جئناك في امر وقد خبأنا لك خبيئة تختبرك فانظر ما هو ؟ فقال : ثمرة في كمرة ! فقالوا : نريد أبين من هذا . فقال : حبة بر في احليل مهر ! فقالوا : صدقت ! انظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يدنو من إحداهن ويقول : ليست هذه حتى دنا من هند فضربها على كتفها وقال : والله ما أنت بزانية ، وستلدين ملكاً اسمه معاوية . فقام اليها الفاكه وقبل رأسها فقالت : ابعد عني فوالله لاجتهدن أن يكون من غيرك هذا الملك ! فأبت حتى طلقها وتزوج بها أبوسفيان .

• • •

ومما جاء في تاويل الرؤيا

ما يدل على صحة الرؤيا :

قال النبي ﷺ : رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة . وروي : ذهبت النبوّة فلا نبوّة وبقيت المبشرات . وقيل في قول الله تعالى : لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة : انها الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له . وقيل : اذا اراد الله بعبد خيراً عاتبه في النوم ، ويدل على صحة ذلك ما حكى الله تعالى عن يوسف عليه السلام في قوله تعالى : رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ، وما حكى عن رؤيا الرجلين ورؤيا الملك . وقال ﷺ : ان في الهواء ملكاً موكلاً بالرؤيا فلا يمر بأحد خير ولا شرّ إلا أريه في المنام حفظ من حفظ ونسي من نسي . وقال النبي ﷺ : من رآني في المنام فقد رآني ، فان الشيطان لا يتمثل بي . وروي أنه ﷺ قال : الرؤيا ثلاثة : رؤيا هي بشرى من الله تعالى ، ورؤيا تحذير من الشيطان ، ورؤيا يحدث الانسان بها نفسه فيراها في المنام .

العارف بتأويل الرؤيا :

كان ذلك من علم يوسف ﷺ وقد وصفه الله تعالى في قوله تعالى : ولنعلمه من تأويل الأحاديث . وكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه موصوفاً بذلك . وقال الحسن لابن سيرين : تعبر الرؤيا كأنك من ولد يعقوب ؟ فقال : وأنت تفسر القرآن كأنك ممن شهد التنزيل . وقال ابن شبرمة : ما رأيت احداً أجرأ على النوم ولا أجبن على اليقظة من ابن سيرين أي يعبر الرؤيا ولا يجيب عن الفتوى .

رؤيا مستغربة :

قال رجل لابن سيرين : رأيت كأني اخذت حمامة جاري فكسرت جناحها ، ورأيت غراباً اسود وقع على سطح بيتي ! فقال : أنت تخلف على امرأة جارك ، واسود يخلفك في دارك . ففتش عن ذلك فوجده حقاً . وقال له رجل : كأني آكل خبيصاً في الصلاة . فقال : الخبيص حلال ولا يجوز أكله في الصلاة ، أنت تقبل امرأتك صائماً . وقال له آخر : رأيتني أطأ مصحفاً فقال له في خفك درهم تطؤه ! فتأمل ذلك فوجده كما قال . وقال له آخر : رأيت كأني اصب زيتاً في اصل زيتون ، فقال له : إنك تنكح أمك . فبحث عن ذلك فاذا تحته جارية كان يطؤها ابوه . وقال له آخر : رأيتني كأني اسبح في غير ماء ، فقال له : انك تكثر الاماني . وقال له آخر : رأيتني كأني اصيد ثعلباً . فقال : أنت تطلب حيلة . ورأى عبدالله بن جعفر غراباً على منارة النبي ﷺ فقال سعيد بن المسيب : سيتزوج الحجاج بابنتك . فتزوج بها الحجاج بعد ، فقيل له : كيف علمت ذلك ؟ فقال : المنارة اشرف ما في المدينة والغراب فاسق . وقالت امرأة : رأيت سنبلة تنبت على أصبعي ! فقال سعيد : ستأكلين من غزلها . وقال رجل لابن سيرين : رأيتني كأن عيني اليمنى دارت على قفاي فقبلت عيني اليسرى . فقال له : لك ولدان احدهما يفجر بالآخر ، فاستكشف عن ذلك فوجده كما قال . ورأى رجل النبي ﷺ في منامه فشكا اليه علة كانت به فقال له : عليك بلا ولا ! فاستيقظ الرجل وتحير فسأل ابن سيرين فقال : كل الزيتون فان الله تعالى يقول : زيتونة لا شرقية ولا غربية . وقال رجل لسعيد : رأيت في المنام كأني أسلك طريقاً ومتى قعدت كنت أقطع الطريق ، واذا مشيت لم أقطعه . فقال : أنت رجل نساج اذا قعدت كسبت واذا قمت تبطلت . فكان كما قال .

رؤيا ظاهرها حسن وباطنها مستقبح :

قالت عائشة لابي بكر رضي الله عنهما : رأيت كأنما وقع في حجرتي ثلاثة أقمار ، فقال : سيدفن في بيتك ثلاثة من الأخيار . قال ابو عبدالله البريدي الفقيه : جاءني رجل من الشهود فقال : رأيت في المنام كأن الله تعالى قد ابتدأ خلق السموات والارض ، فقلت : لعل غيرك رآها وسألك ان تفسرها . قال : بل أنا رأيتها . فقال له : تغدو الى دار القاضي وتسألني عنها حتى افسرهـــا لك بحضرته . فحضر وسأله عنها فقال : أيها القاضي إن فلاناً يسألني عن رؤيا ، فسله لعل غيره رآها .

فسأله فقال : لا بل أنا رأيتها . فقال : إنك رجل تشهد بالزور لان الله تعالى يقول : ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم . فبحث عنه فوجد قد شهد شهادات زور . وحكي عن الصاحب قال : رأيت قابوس في المنام قبيل ما انهزم بجرجان ، كأنه يسألني ويقول رأيت في المنام كأنما على رأسي قلنسوة ، وكأني قلت له أن القلنسوة رياسة . فقال : اني لأراه هـلاكاً لأن القلنسوة بالفارسية كلاه ، فاذا قلب فهو هلاك . فانهزم في اليوم الثاني او الثالث من ذلك المنام .

رؤيا ظاهرها قبيح وباطنها حسن :

قال رجل لابن سيرين : رأيت رجلاً مجرداً في المسجد فهالني ذلك . فقال : لعلك رأيت الحسن تجرد من دنياه فأشبه سره علانيته . ورأى عبدالله بن الزبير رضي الله عنه انه غرز في يدي عبدالملك ورجليه اربعة اوتاد . فأرسل الى ابن المنذر فقال : ان صدقت رؤياه غلبه عبد الملك ، وخرج من صلبه اربعة كلهم خلفاء . ورأى عبدالملك انه بال في محراب النبي صلى الله عليه وسلم اربع مرات ، فأوّل على ان يخرج من صلبه اربعة يتولون الخلافة . ورأى في منامه كأنه صارع ابن الزبير فصرعه ابن الزبير ، فهاله ذلك فبعث سراً الى ابن المنذر فقال : هذه رؤيا ملك نازعه ملك وقد خلى صارعه بينه وبين الأرض . وقال رجل لابي عمرو الفراء : رأيت كأني قطعت رأسي فوضعته بين رجلي . فقال : أكان لك عمامة فقطعتها سراويل ؟ قال : نعم هو كما قلت .

خرافات في الرؤيا :

قال رجل لسيفويه : رأيت كأن عليّ قميصاً رقيقاً وجبة وشي متخرقة ، وفي كمي فلوس ، وفي عنقي هاون ، والى جانبي دبة اذا نزعت حركتها ! فقال : أنامت عيناك ، ما احسن ما رأيت : القميص الرقيق دينك ، والجبة الوشي ضراطك في الصلاة ، والفلوس سوف تفلس ، والهاون ان تهان ، والدبة ان يدب اليك فتاك . وقال بعضهم : ليست الرؤيا كلها صحيحة إنما يصح بعض دون بعض . فقال بعض السامعين : كذا هو فإني رأيت في المنام كأني وجدت بدرة عظيمة احملها فاحدثت من ثقلها ، فانتبهت فوجدت الفراش مملوءاً من الخرء ولم اجد للبدرة أثراً ! وقال صبي لمعلمه : إني رأيت في المنام كأني مطلي بعذرة وأنت مطلي بعسل ! فقال المعلم : هذا عملك السوء ، وعمـلي الصالح ألبسنا الله تعالى . فقال الصبي : اسمع تمام الرؤيا : فكنت تلحسني وانا الحسك ! فقال : أعزب قبحك الله ! وقال رجل للصاحب : رأيت في المنام عمرو في يده سيف وهو يريد قتلي . فقال له : اذا رأيته فقل له العب بمسك . وقال رجل : رأيت في منامي كأني متزر بهاون . فقال له معبر : انك مأبون ! فلما كشف عن حاله وجد كما قال .

● ● ●

ومما جاء في علوم الامم ورموز العرب

فنون العلوم :

قيل : علوم الأدب عشرة ، ثلاثة شهر جانية الطب والهندسة والفروسية ، وثلاثة أنوشروانيـة ضرب العود ولعب الشطرنج وضرب الصوالجة ، وثلاثة عربية الشعر والنسب وأيام الناس ، وواحد ابر على كل ذلك مقطعات الحديث والسمر وما يتعاطاه الناس بينهم في المجالسات . وقال بعضهم : رأيت العلوم والامور تدور على اربعة اشياء : نحو يقيم به الرجل لسانه ، وطب يقيم به بدنه ، وحكايات يقيم بها ادبه ، وحسن تدبير يتوصل به الى معاشه . وكان الاسكندر وارسطوطاليس اذا تسايرا تناظرا في العلم ، واذا خليا تشاوروا في الملك ، واذا قعدا للشرب تحدثا في الشجاعة ، واذا ارادا الانصراف الى مضجعهما تذاكرا الفقه والعفة .

علوم العرب :

علم بديع الشعر وبلاغة المنطق وتشقيق اللفظ وتعريب الكلام، وقيافة البشر وقيافة الاثر وصدق الحس وصواب الحدس ، وحفظ النسب ومراعاة الحسب وحفظ المناقب والمثالب ، وتعرف الانواء والاهتداء بالنجوم ، والتبصر بالخيل والسلاح واستعمالها ، والحفظ لكل مسموع والاعتبار بكل محسوس، ويبلغون بالزجر ما يقصر عنه غيرهم .

علوم الروم :

لهم الطب والنجوم والالحان ، وجودة التصوير حتى ان أحدهم يصور الانسان شاباً وكهلاً فيجعله بحيث اذ رأى صورته ثم رآه عرفه ، ولهم البناء العجيب ، ولهم من الرأي والنجدة والمكيدة ما لا ينكره من يعرفه .

علوم الفرس :

لهم العقول والاحلام والسياسة العجيبة ، وترتيب العلوم والامور والمعرفة بعواقب الامور ، ولهم من اللغات ما لا يحصى كثرة : كالزمزمة والفهلوية والخراسانية والجبلية .

علوم اليونانية :

اليونانيون كانوا ذوي أذهان بارعة ولا يشتغلون بمكاسب الآلات والادوات والخلال التي تكون جماماً للنفوس ، ولهم القبانات والاصطرلابات وآلات الرصد والبركار ، وأصناف المزامير والمعازف والطب والحساب والهندسة ، وآلات الحرب كالمجانيق والعرادات . وكانوا أصحاب حكمة ولم يكونوا

عملة ، كانوا يصورون الآلة ولا يخرطون الاداة ، يشيرون اليها ولا يمسونها ، يرغبون في التعلم ويرغبون عن العمل .

علوم الصين :

أهل الصين أصحاب الأعمال كالسبك والصياغة والافراغ والاذابة والاصباغ العجيبة ، والخرط والنحت والتصاوير والخط والنسج ورفق الكف في كل ما تناولوه ، وكانوا يباشرون العمل ولا يعرفون العلل لأنهم فعلة ، واليونانيون يعرفون العلل ولا يباشرون العمل لأنهم حكماء .

علوم الهند :

لهم معرفة الحساب والنجوم والخط الهندي ، وأسرار الطب وعلاج فاحش الادواء والرقى وعلم الاوهام وخرط التماثيل ونحت الصور ، وطبع السيوف والشطرنج والكنكة ، وهي وتر واحد يجعل على قرعة فيقوم مقام العود ، ولهم ضروب الرقص والثقافة والسحر والتدخين .

الترك :

هم كالعرب في أنهم أصحاب قيافة ومعرفة بالحروب وآلاتها ، وهم أعراب العجم كما أن العرب أكراد النبط ، فصاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة ، والصين في الصناعة ، وهم في البيطرة والرياضة فوق كل أمة ، وأحدهم يركب ظهر فرس فوق ركوبه الأرض ، يغزو أحدهم بارماكه ومهوره فمتى أتعب واحدة ركب أخرى فلا يستريح ولا ينزل إلى الارض .

رموز العرب :

كانوا اذا استمطروا عمدوا إلى سلع وعشر ، فعقدوهما في أذناب البقر ، وأضرموا فيهـا النار وصعدوا بها جبلًا يستسقون الله بذلك ، ولذلك قال الوالطائي :

أجاعلٌ أنت بيقوراً مسلعة ذريعةً لك بين الله والمطرِ

واذا امتنع البقر عن شرب الماء ضربوا الثور ، يزعمون ان الجن تركبه فتمتنع البقر عن الماء .

قال : لكالثورِ والجني يركبُ ظهرَه فما ذنبُه إن عافتِ الماءَ مشربا

واذا سافر أحدهم عمد إلى غصن شجرة فعقد عليه عقداً تسمى رتماً ، فيقول إن انحل الى ان أرجع خانتني امرأتي ، وان لم ينحل فدلالة على انها لم تخن . قال شاعر :

هل ينفعنك اليوم إن همتَ بهم كثرةُ ما توصي وتعقادُ الرتم

وزعموا أن المرأة المقلاة اذا وطئت قتيلًا شريفاً بقي أولادها . ولذلك قال الشاعر :

تظل مقاليت النساء يطأنه

وزعموا أن من علق على نفسه كعب أرنب لم يصبه جن ولا عين ، لأن الأرنب ليس من مطايا الجن ، لأنها تحيض فيهرب منه الجن . قال ابن الاعرابي : قلت لاعرابي من علق على نفسه كعب أرنب لم يصبه جنان الحي ولا عمار الديار . فقال أي والله ، ولا شيطان الحماطة وغول القفر ، وتطفأ عنه نيران السعالى . وكانوا اذا خافوا على انسان الجنون علقوا عليه خرق الحائض وعظام الموتى . وقالوا : إذا خيف على الصبي النظرة يعلق عليه سن ثعلب أو سن هرة يسلم . وقيل : أرادت جنية صبياً فلم تقدر عليه ، فلما رجعت قيل لها في ذلك فقالت : كانت عليه نفره ، ثعالب وهرره ، والحيض حيض السمره .

وحيض السمرة شيء يسيل من السمرة ، وهي شجرة يزعمون أن الجن يرهبون منه . وقالوا : اذا دخل الرجل قرية فخاف وباءها نهق نهيق الحمار لم يصبه الوباء . وقال عروة بن الورد :

لعمري لئن عشرتُ من خيفةِ الرّدى نهيق الحمير إنني لجزوعُ

وقالوا : السليم اذا علق عليه حلى النساء أفاق ، ولذلك قال النابغة :

يسهد من ليل التمام سليمها لحلى النساء في يديه قعاقع

وقالوا : من خرج به بثر . فاخذ انسان منخلًا فاخذ من كل دار من دور الجيران كسرة وتمرة فنثرها لكلب ، ذهب البثر عنه الى كلب . وقالوا : اذا طرف أحدهم عين صاحبه أخذ الطارف عين المطروف فيقول : بإحدى جاءت من المدينة ، باثنتين جاءتا من المدينة ، بثلاث جئن من المدينة الى سبع فتسكن عينه . وقالوا للغلام ، اذا سقط سنه فحذفها نحو عين الشمس وقال : ابدليني خيراً منها، عادت . ولذلك قال طرفة :

بدلتْه الشمسُ من منبتها برداً أبيضَ مصقولَ الأُثر

قالوا : ومن ركب فرساً مهقوعاً ، وهو ما به دائرة يقال لها الهقعة فعرق تحته ، اغتلمت امرأته. وقال الشاعر :

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت حليلتُه وازدادَ حراً عجانها

وقالوا : اذا خرج المسافر فالتفت لم يتم سفره . وقال الشاعر :

تلفت نحو الحيّ حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدعا

وانما التفت لانه كان عاشقاً فأحب أن لا يتم سفره ليرجع إلى محبوبته . وكانوا يوقدون خلف المسافر اذا أرادوا أن لا يرجع ، ويرمون خلفه بحصاة وروثة ويقولون : راث خبره وحص أثره، فإذا أرادوا سرعة رجوعه تناولوا من تحتِ قدميه . وقال شاعر في امرأة قالت له واقتصت من أثره:

يا رب أنتَ جاره في أثرِه وجار خِصْيَيْه وجارُ ذَكَرِه

وكان اذا أصاب إبلهم العركووا الصحيح منها يزعمون ان الجربى بذلك تبرأ ؛ قال النابغة :

كذي العريكوى غيره وهو راتعُ

ومذهبهم في الحامي والبحيرة والسائبة والوصيلة معروف ، وإذا بلغت ابلهم ألفاً فقؤا إحدى عيني الفحل ، واذا زادت عن الالف فقؤا عينه الأخرى ، ويسمون ذلك المفقأ والمعمى ، ويزعمون ان ذلك يطرد عنه العين . وقالوا : ايما امرأة أحبها زوجها أو خدنها فلم يشق أحدهما ثوب الآخر لم يبق بينهما الحب ، ولذلك قال الشاعر :

إذا شق برد شق بالبرد برقعٌ دواليك حتى ليس للثوب لابسُ

وقالوا : الضال في المفازة متى لبس ثوبه مقلوباً اهتدى . قالوا : الجمل ندفذ كر بعض ابائه ، والناقة اذا ندت فذكر بعض امهاتها سكناً . ولذلك قال الشاعر :

أقول والوجناء بي تقحمُ قل ليَ ما اسمُ أمّها يا علكَمُ ؟

وقالوا : من عشق فكوى بين أليتيه سلا . وكان يفعل ذلك بنو عذرة خاصة ، وكان لهم خرزة يقال لها السلوان اذا شرب حكاكتها العاشق سلا في ما زعموا . قال الشاعر :

لو أشرب السلوان ما سليت ما بي غنى عنك وما غنيت

وكانوا اذا عض أحداً كلب كلب يسقونه دم كريم ، ويقولون ان ذلك يبرئه ، ويزعمون أن من لا يطلب بثأره يخرج من قبره هامة فتقول اسقوني الى أن يدرك ثأره . وقالوا : ان من مات فحفر له قومه حفيرة فأقاموا فيها بعيراً لا يعلفونه ولا يسقونه حتى يموت ، يكون ذلك مركباً له إلى عرصات القيامة ولا احتاج أن يحضر راجلاً حافياً ، وكان ذلك البعير يسمى بلية . قال الشاعر :

إحملْ أباكَ على بعيرٍ صالحٍ يوم القيامَةِ إنَّ ذلِكَ أصوبُ
لا تتركَنَّ أباكَ يسعى خَلْفَهم تعِباً يخر على يديه وينكبُ

ومن علوم العامة :

تزعم العامة ان الفأرة كانت يهودية طحانة تسرق الدقيق ، فمسخها الله تعالى فأرة ، وسهيل كان عشار فمسخه الله كوكباً ، والوزغة كانت تنفخ نار ابراهيم عليه السلام فلعنها الله ، والخنزير تولد من عطسة الفيل ، والهر تولد من عطسة الاسد . وإذا كسفت الشمس يقولون : يا رب خلصها ! واذا أراد أحدهم أن يبول بالليل بصق أولاً ، واذا طنت ذبابة كبيرة قالوا : بشرك الله بخير ! واذا أصلح بزره عض خرقة أو خشبة يقول حتى لا يكذب علي ، واذا دخل الذباب ثياب أحدهم يزعمون انه يمرض . واذا احتك طرف أنفه يقولون يأكل اللحم ، واذا احتك وسطه يقولون يأكل السمك. ويقولون : اختلاج العين يدل على رؤية من لم يره منذ حين ، وأسفله يدل على البكاء ، وهذا باب كبير وكثير منه يجيء مفصلاً في أبواب مختلفة .

الحد الثاني

في السيادة والولاية

ما ذكر في حد السيادة والسيد :

قيل لحكيم : ما السودد ؟ قال : اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة . وقال غيره : حمل المكاره وابتناء المكارم . وقيل : بذل الندى وكف الاذى ونصرة المولى وتعجيل القرى . وقيل للاحنف : ما السيد ؟ قال : من حمق في ماله وذل في نفسه وعنى بأمر عشيرته . وقيل : من اذا حضر هابوه ، واذا غاب ما اغتابوه . وقيل : من أورى ناره وحمى ذماره ومنع جاره وأدرك ثأره .

الاحوال الشاقة التي تبلغ بها الرئاسة :

قال بعضهم لرجل من بني شيبان : بلغني ان السؤدد فيكم رخيص ! فقال : أما نحن فلا نسود الا من أوطأنا رحله ، وأفرشنا عرضه ، وأخدمنا نفسه ، وبذل لنا ماله ! فقال : وأبيك اذاً فهو فيكم غال ! وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : انما يستحق السيادة من لا يصانع ولا يخادع ولا تغره المطامع . وقيل للاحنف : بم سدت ؟ قال : بالخلق السجيح والكف عن القبيح ، وتجنب الدني وترك اللسان البذيء . وقال معاوية لعرابة الأوسى : بم سدت قومك ؟ فقال : لست بسيدهم، ولكني رجل أعطيت في نائبتهم ، وحملت عن سفيههم وشددت على يد حليمهم ، وعطفت على ذي الخلة منهم ، فمن فعل فعلي فهو مثلي ، ومن قصر عني فانا أفضل منه ، ومن تجاوزني فهو أفضل مني. وقال الاحنف : من كان فيه أربع خصال ساد قومه غير مدافع ، من كان له دين يحجزه وحسب يصونه وعقل يرشده وحياء يمنعه . وقيل : من أحب الرئاسة صبر على مضض السياسة . قال الشاعر :

أترجو أن تسودَ ولا تعنى وكيف يسودُ ذو الدعةِ البخيلُ ؟

الخبزارزي :

فقل لمرجّي معالي الأمور : بغير اجتهاد طلبت المحالا !

جماع أحوال يجب للرؤساء تجنبها وأحوال يلزمهم فعلها :

قال معاوية رضي الله عنه : لا ينبغي للملك أن يكون كذاباً لانه ان وعد خيراً لم يرج ، وان أوعد شراً لم يخف ، ولا غاشاً لانه لم ينصح ، ولا تصح الولاية الا بالمناصحة ، ولا حديداً لانه

اذا احتد هلكت رعيته ، ولا حسوداً لأنه لا يشرف أحد فيه حسد ولا يصلح الناس الا بأشرافهم، ولا جباناً لانه يجترىء عليه عدوه وتضيع ثغوره . وقال بعضهم : أكره المكاره في السيد وأحب أن يكون عاقلاً متغافلاً كما قال أبو تمام الطائي :

ليس الغبيُّ بسيدٍ في قومِه لكنَّ سيدَ قومِهِ المُتغابي

وقال ذو القرنين لارسطوطاليس لما أراد الخروج : عظني بما أستعين به في سفري . فقال : اجعل تأنيك أمام عجلتك ، وحيلتك رسول شدتك ، وعفوك ملك قدرتك ، وأنا ضامن لك قلوب الرعية ان لم تخرجهم بالشدة عليهم ، ولم تبطرهم بفضل الاحسان اليهم .

الحث على تسويد الكبار :

قال قيس بن عاصم لبنيه : اذا سدت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم ، فيحقر الناس كباركم فتهونوا . ورد على النبي ﷺ اخوة فتكلم أصغرهم فقال النبي ﷺ : كبروا كبروا ! وفي ضده قيل : السؤدد مع السواد . وقيل : من لم يسد قبل الاربعين لم يسد بعدها .

وصف صغار سادوا باستحقاق :

لما ولى المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة ، وكان من أبناء نيف وعشرين سنة ، أراد بعض أهل البصرة أن يعيره بذلك ويضع منه فقال : كم سن القاضي ؟ فقال : سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ مكة ، فجعل جوابه احتجاجاً وقد أمر رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص وسنه دون العشرين . وولى الحجاج محمد بن أبي القاسم قتال الاكراد بفارس فأبادهم ، ثم ولاه السند والهند فأحمد أثره ، وسنه سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

قاد الجيوش لسبعَ عشرةَ حجةً يا قربَ ذلك سؤددا من مولدِ !

السري الرفاء :

لا تعجبوا من علوِّ همتهِ وسنه في أوانِ منشاهـا
إن النجوم التي تضيء لنا أصغرُها في العيونِ أعلاها

من طاعته واجبة ورئاسته مستحقة :

قال الله تعالى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم . وقال رسول الله ﷺ : اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي مجدع . علي بن الجهم :

أغيرَ كتابِ الله تبغونَ شاهداً لكم ، يا بني العباسِ ، بالمجدِ والفخرِ ؟
كفاكم بأن الله فوّض أمرَهُ إليكم وأوصى : أن أطيعوا أولي الامر !

البحتري : مفروضةٌ في رقابِ الناسِ طاعتُه   عاصيهِ من ربقةِ الإسلامِ منخلعُ

أبو العتاهية : أتته الخلافةُ منقادةً   إليه تجرّرُ أذيالَها
فلم تكُ تصلحُ إلا لَهُ   ولم يك يصلح إلا لَها

كون الانسان رئيساً حيثما كان :

المتنبي : إن حلّ في فرسٍ ففيها ربّها   كسرى تذلُّ له الرقابُ وتخضعُ
أو حلَّ في رومٍ ففيها قيصر   أو حلَّ في عرب ففيها تبّعُ

أسامي ملوك كل صقع :

خزجير : صاحب أفريقية . كسرى : صاحب فارس . قيصر : صاحب الروم . يغفور : صاحب الصين . البهراج : صاحب الزنج . خاقان : صاحب الترك . زنبيل : صاحب الخزر . أصفر : صاحب علوا . كابيل : صاحب النوبة . أصبهيد : صاحب الجبل . أمير المؤمنين والخليفة والامام : صاحب المسلمين . تبع : صاحب حمير ، ويقال لهم الاقيال والعباهلة ، حكى ذلك الجاحظ .

المجمع على سيادته :

أبو تمام : لو أن إجماعنا في فضلِ سؤددِه   في الدين لم يختلف في الامة اثنانِ

نهار بن توسعة :
قلدته عري الأُمورِ نزار   قبلَ أن تملكَ السراةَ العجوزُ

المزري رئاسته بغيره :

قال عبدالملك وقد ذكر عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قللوا من ذكره فهو طعن على الائمة ، وحسرة على الامة . وقال رجل لمالك بن طوق : أصبحت والله ناصحاً متبعاً ، فاضحاً لكل وال قبلك بحسن سيرتك ، متعباً لكل وال بعدك لقصوره عنك .

رئيس يتلوه رؤساء :

علي بن الجهم :
كأنه وولاةُ العهدِ تتبعُه   بدرُ السماء تلته الانجمُ الزُهرُ

أحمد بن أبي طاهر :
كأنَّ علياً وأبنـاءه   هلالٌ تحفُّ به الأنجمُ

أخذ ذلك من جرير حيث يقول :

كالبدرِ حف بواضحات الانجم

أمير الامراء :

المتنبي : وقد رأيتُ الملوكَ قاطبةً وسرتُ حتى رأيتُ مولاها

وقال آخر :

ولو جمع الأئمةُ في مقامٍ تكون به لكنتُ له إماما

ابن الرومي :

سادةُ الناس كالجبال وأنتم كالنجوم التي تفوقُ الجبالا

الخوارزمي :

ألا حرّكا لي أبرويز بن هرمز وقولا له : قم تلق أعجوبةً ، قم !

تطلّعْ الى الدنيا لتعلَم انما ملكتَ مِنَ الدينار مقدارَ درهَم

من هو رأس القوم وروحهم :

قيل : الملك كالرأس ، وأعوانه كالجوارح ، صلاحها بصلاحه . منصور النمري :

الناس جسمٌ وإمامُ الهدى رأسٌ وأنت العينُ في الرأسِ

الماني : لو يكتب الناسُ أسماءَ الملوكِ اذا أعطوكَ موضع بسم الله في الحسبِ

ابراهيم بن هرمة :

وجدتك من قيس إذا القوم حصلوا مكان نياط القلب بين الاضالعِ

الفرزدق : مِنَّا الكواهلُ والاعناقُ تقدمها والرأس منَّا ، وفيه السمع والبصر !

وسئل بعضهم عن رئيسهم كيف هو ؟ فقال : هو فينا مكان الروح في الجسد ، وقيل : هو الذروة وهم الزمع ، هو الرأس والناس الذنابى .

وصف قوم كلهم رؤساء :

احمد بن طاهر :

كلهم سيِّدٌ فمن تلقَ مِنهم قلت : هذا أولى بحلّ وعقد

العرندس :

من تلق منهم تقلْ لاقيتُ سيدهم   مثل النجوم ِ التي يسري به الساري

من المؤس فيهم رئيس غيرهم :

ابن أذينة :

سمين قريش بائع منك لحمة   وغث قريش حيث كان سمين

حجر بن خالد :

يسود ثنانا من سوانا وبدؤنا   يسود معداً كلها ما تدافعه

قوم تورثت فيهم السيادة :

طريح : مثل نجوم ِ السماء إن أفلَتْ   منها نجومٌ بدَتْ نظائرُها

وقال آخر :

اذا مقرم منا ذراً حدنا به   تخمط فينا ناب آخر مقرم

أبو تمام : رأيتهم ريش الجناح اذا مضت   قوادم منها بشرت بقوادم ِ

مصدر متابع :

وهب الهمداني :

صدر المجالس حيث كا   ن لأَنه صدرُ المجالس !

وقال آخر :

إذا ابتدر الباب المهيبَ رأيته   يدف جناحيه الكهول الجحاجح

المسيب : تبيت الملوك على رغمها   وشيبان إن غضبت تعتبُ

وقال عمرو بن هداب : كنا نعرف سودد سلم بن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع في عدة. وكان ملك بن مسمع صاح يوماً ، فوافى بابه عشرون ألف مدجج . وسأل عبدالملك عنه فقيل : لو غضب لغضبه مائة الف ، يبذلون له انفسهم واموالهم ولا يسألونه فيم غضب ؟ فقال : هذا وأبيك السودد . ولم يكن في الاسلام اكثر عقد لواء من ابي موسى رضي الله عنه ، ولاه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، ومن روح ابن حاتم ، ولاه السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد .

الموصوف بانه ناصر الدولة :

قال رؤبة في ابي مسلم :

ما زال يأتي الأمر من أقطاره   على اليمين وعلى يساره
مشمراً ما يصطلي بناره   حتى استقرّ الملكُ في قراره

كثير : أبوك حمى امية حين مالت   دعائمها واصحر للضراب
وكان الملك قد نصلتْ يداه   فرد الملك منه في نصاب

قال المنصور يوماً للمهدي : ما أيدت بما ايد به من كان قبلي ، أيد معاوية بزياد ، وأيد عبدالملك بالحجاج . قال : فقلت قد أيدت بمن فوقهما ، فقال : تعني أبا مسلم ؟ قلت : نعم . قال : قد كان كذلك لكن خيّرنا بين ان يقتلنا او نقتله فاخترنا قتله :

من انقادت الايام لطاعته :

عصابة : ما زال تجري على الدنيا حكومتُه   حتى لقد ظن كلٌ أنه الفلكُ

أبو الشيص :

ملِك كأن الموتَ يتبعُ قولَه   حتى يقال : تطيعُه الأَقدارُ !

من كان القضاء يجري بأمره :

شاعر : كان القضاء بما هويت كفيلا

التنوخي :

يكون كما شاء والقضاء كأنه   بأمرهمُ في الخلق سار وواقعُ

المثقب : ولو علم الله الجبالَ عصينه   لجاء بأمراس الجبال يقودُها

فقير متول للرياسة :

حسان : ويسود مقترناً على الإقلال

وقال آخر :

يسود ذا المال القليل نواله   مروءته فيناً وإن كان مصرما

من نال السيادة بنفسه :

قال المأمون : خمسة ملكوا الأقاليم برأيهم وشجاعتهم ، الإسكندر نهض من الروم فملك الاقاليم السبعة ، وازدشير رد ما انتشر من ملك اقليم بابل على حداثة سنه ، وبهرام جور نهض في ثلاثمائة فارس فقتل خاقان ، وأنوشروان أتى دار مملكة أبيه فملكها ، وأبو مسلم نهض لدعوتنا وهو ابن ثمانية عشر سنة ، وقيل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . قال النبي ﷺ : ملك الدنيا اربعة : مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان ، سليمان وذو القرنين ، والكافران ، نمرود وشداد بن عاد .

عقد البيعة :

اول من عقد البيعة لغيره أبو بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعقد معاوية البيعة ليزيد ابنه وهو معروف ، ولما قعد للبيعة دخل رجل فقال : اعلم أنك لو لم تول هذا أمر المسلمين لأضعتهم ! فقال للاحنف : لمَ لا تقول ؟ فقال : أخاف الله ان كذبت ، وأخافك ان صدقت ! فقال : جزاك الله عن الاسلام خيراً . ولما شاور السفاح سعد بن عمرو المخزومي في عقد البيعة لعمه دون اخيه قال له : أحدثك بحديث ، كنت مع مسلمة بن عبدالملك بالقسطنطينية فبلغه وفاة سليمان وولاية عمر بن عبدالعزيز الخلافة ، فجزع جزعاً شديداً فقلت : لا تجزع لموت سليمان ، ولكن اجزع لخروج الأمر من ولد أبيك الى ولد جدك ! فأمسك السفاح وعقد البيعة للمنصور .

وال سواع لرعيته :

وصف اعرابي والياً فقال : كان اذا ولي طابق بين جفونه ، وأرسل العيون على عيونه ، فهو شاهد معهم غائب عنهم ، فالمحسن آمن ، والمسيء خائف . وقيل : من دبر حاشيته ضبط قاصيته . وقال ابراهيم الموصلي :

أَصبحتَ راعينا وحارِسَ أمرِنا   واللهُ من عرضِ الردى لكَ حارسُ

صلاح الرعية لصلاح الرعاة :

قال رسول الله ﷺ : لن تهلك الرعية وان كانت ظالمة مسيئة اذا كانت الولاة هادية مهدية . وقيل : زمانكم سلطانكم ، فاذا صلح سلطانكم صلح زمانكم . وقيل : صنفان لو صلحا صلح الناس : الفقهاء والأمراء . وقال بزرجمهر : اذا همّ الإمام بظلم ارتفعت البركة . وروي في الخبر : اذا جار السلطان في ناحية ضرى سباعها . وقيل : اذا رضي الراعي بفعل الذئب لم تنبح الكلاب على الغريب . وقيل : أُتي عمر رضي الله عنه بتاج كسرى فقال : ان الذي رد هذا لأمين ! فقال رجل : يا امير المؤمنين أنت أمين الله ، فإن أديت أدوا ، وإن ربعت ربعوا قال : صدقت ! قال الشاعر :

ونفسك فاحفظها من الغي والردى   متى تغوِها يغوِ الذي بك يقتدي

صلاح الولاة بصلاح الرعية :

قال عبدالملك : انكم لتسومون منا فعل ابي بكر وعمر ، ولستم تعملون بعمل رعيتهما ، فأعان الله كلًا على كل . وكتب المهدي في جواب كتاب جاء بشكوى عامل : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وقيل ، شيئان صلاح أحدهما بصلاح الآخر : الرعية والسلطان .

خصب الزمان وطيبه بعدل الولاة وجدبه بجورهم :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ان الارض لتزين في عين الخليفة اذا كان عليها امام عادل ، وتقبح في أعينها اذا كان عليها امام جائر . وروي ان أبرويز نزل بامرأة متنكراً ، فحلبت بقرة لها فرآى لبناً كثيراً ، فقال للمرأة : كم يلزمك في السنة لهذه البقرة للسلطان ؟ قالت : درهم واحد . قال : وأين ترتع وبكم بها ينتفع ؟ قالت : ترتع في أرض السلطان ، ولي منها قوتي وقوت عيالي ؛ فتفكر في نفسه وقال : ان الواجب أن تجعل اتاوة على الابقار فلأصحابها نفع عظيم . فما لبث ان قالت المرأة : أوّه ! إن سلطاننا همّ بجور . فقال لها ابرويز : ولم ؟ قالت : ان درّ البقرة انقطع وإن جور السلطان مقتض لجدب الزمان ، كما أن عدله مقتض لخصب الزمان ! فاقلع ابرويز عما هم به وتاب مما خطر بقلبه ، وكان بعد ذلك يقول : اذا همّ الامام بجور ارتفعت البركة ! وقال سقراط: ينبوع فرح العالم الملك العادل ، وينبوع حزنهم الملك الجائر . وقال الفضيل بن عياض : لو كان لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في الامام ، لأنه اذا صلح أخصبت البلاد وأمن العباد . فقبل ابن المبارك رأسه وقال : من يحسن هـذا غيرك ؟ وكان رجل يساير عاملًا فمر بقصر خرب عليه زوجا بوم ، والذكر يصرصر للانثى ، فقال العامل للرجل : ما يقول هذا البوم ؟ فقال : ان أمنتني أخبرتك بما يقولان ؟ فقال : انت آمن . قال : ان الذكر خطب الانثى فقالت : لا أجيبك حتى تجعل مهري عشرين قرية خربة ، فقال الذكر : ان بقي لنا هذا العامل سنة أمهرتك خمسين قرية ! فغضب العامل وقال : لولا أني أمنتك لعاقبتك ! وقيل : عدل السلطان خير من خصب الزمان ، وسلطان عادل خير من مطر وابل .

تفويض كل أمر الى المستصلح له :

قال الاسكندر لارسطوطاليس : أوصني في عمالي . قال : انظر إلى من كان له عبيد فأحسن سياستهم فولّه الجند ، ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فولّه الخراج . قدم جماعة من فارس الى المهدي يشكون عاملهم فقالوا للوزير : ولّيت علينا رجلًا ان كنت قد عرفته ووليته علينا فما خلق الله رعية أهون عليك منا ، وان كنت لم تعرفه فما هذا جزاء الملك ، وقد سلطك الله على سلطانه . فدخل الوزير على المهدي فأخبره وخرج فقال : ان هذا رجل كان له علينا حق فكافأناه ، فقالوا : كان مكتوباً على باب كسرى العمل للكفاءة من العمال ، وقضاء الحقوق على بيت المال . فامر بعزل ذلك العامل عنهم .

تفضيل الفاجر الكافي على الضعيف التقي :

قال عمر رضي الله عنه : أعضل بي أهل الكوفة اذا وليت عليهم الفاجر القوي فجروه ، واذا وليت المؤمن الضعيف هجنوه ؛ فقال المغيرة : المؤمن الضعيف له ايمانه وعليك ضعفه ، والفاجر القوي لك قوّته وعليه فجوره ! قال : صدقت ، وولاه الكوفة . وكان يقول : أبداً أشكو الى الله بلادة الامين ويقظة الخائن . وقدم أهل السوس على المنصور يشكون عاملاً ، فاستحضره واستخف به فقال القوم : وأشد من الخيانة يا أمير المؤمنين ! فاستوى جالساً وقال : ما هو ؟ قالوا : لم يسجد لله سجدة قط ظاهرة منذ ولي السوس ! فقال : ما أبالي أن لا يصلي داخلاً وخارجاً اذا هو أدى الامانة .

تفويض الامر الى أهل الذمة :

ورد على عمر رضي الله عنه كتاب فقال لابي موسى الاشعري : ادع كاتبك يقرأه على الناس . فقال : إنه نصراني لا يدخل المسجد . فقال : استعملت على أمانة المسلمين نصرانياً ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لنا أمانته وله ديانته . فقال : لا تقرّبوهم وقد أبعدهم الله ، ولا تؤمنوهم وقد خونهم الله . وشكا رجل عاملاً فقال : وضع الله الموحد ورفع الملحد ، أوحش المسجد وآنس البيعة .

تفويض الامر الى الكافي وان كان خائناً :

قيل : فوض الامر الى الكافي وان كان خائناً ، فالمضيع شر من الخائن ، لأن التضييع من طبع الجهل ولا حيلة في الجهل ، والخيانة معصية وذنب ويمكن التوبة منه . وقيل : لا حاجة في الاحمق وان كان أميناً .

الاستعانة بالموثوق به وان لم يكن كافياً :

قيل : لا تستنصحن غاشاً ، وان كان كافياً ، فمن استعان بأمين ربح عدم التهمة . وأراد المأمون أن يشخص عبدالله بن طاهر الى ناحية ، وقال له : استخلف فاطرق ؛ فقال له المأمون : ما لك تتفكر؟ فقال : ان استخلفت من يستقل بخدمتك خفته ، وان استخلفت من أثق به لم آمن تقصيره . فقال : استعمل من تثق به وأنا أقومه .

الصبر على خيانة الولاة :

قيل : لا مال لمن لم يصبر على خيانة الوكلاء وتضييع الولاة . وكان مروان بن الحكم له غلام وكله بأمواله فقال له يوماً : أظنك تخونني ! فقال : قد يخطىء الظن ، اتخذتني في مدرعة صوف ولم أملك قيوطاً ، وأنا اليوم أتصرف في ألوف وأتبختر في خزوز ، إني أخونك ، وأنت تخون معاوية ، ومعاوية يخون الله ورسوله !

المنع من تفويض الامر الى القراء :

قال عدي بن أرطاة لعالم : دلني على قوم من القراء أولهم . فقال : انهم ضربان : ضرب طلبوا الأمر لله وأولئك لا حاجة لهم في لقائك ، وضرب طلبوا بذلك الدنيا فما ظنك بهم اذا وليتهم ؟ فعليك بأهل البيوتات المستحيين لأحسابهم . ولما ولى مروان بن محمد أرسل الى رجل ليوليه ، فرأى له سجادة مثل ركبة البعير فقال : يا هذا إن كان ما بك من عبادة الله فما يحل لنا أن نشغلك ، وان كان من رياء فما يجوز لنا أن نستعملك !

تفويض الامر الى من يتفرس فيه الخير :

قال أبو بكر في عمر رضي الله عنهما لما عهد له : إني استعملت عليكم عمر ، فإن بر وعدل فذاك علمي به ورأيي فيه ، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ، ولكل امرىء ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . واستشار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في قوم يوليهم فقيل : عليك بأهل القدر الذين إن عدلوا فذلك ما رجوت فيهم ، وإن قصروا قال الناس ، قد اجتهد عمر !

نهي الوالي عن تفويض الامر الى ذريته وعذر من فعل ذلك :

قال بعضهم : اياك والاستعانة بالاقارب فتبلى كما بلي عثمان رضي الله عنه ، واقض حقوقهم بالمال لا بالولاية . وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه لبعض ولاته : لمَ وليت أقاربك ؟ قال : لاني أعلم أخبارهم ولانهم يبقون علي وعلى حالهم لدي .

حث السلطان على كفاية من يوليه :

قال بعض الاكاسرة : اذا استكفيت رجلاً فأسن رزقه وقو عضده ، وأطلق بالتدبير يده ، ففي اسنان رزقه حسم طمعه ، وفي تقوية يده ثقل وطأته على أهـــل العدوان ، وفي اطلاق التدبير له اخافته عواقب أموره . وقال المنصور يوماً لجنده : صدق القائل ، أجع كلبك يتبعك ! فقال بعضهم : كلا فربما يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك ، فقد قيل : منع خيرك يدعو الى صحبة غيرك ؛ فقال : صدقت ! وقال ابرويز : لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ، ولا تضيقن عليهم فيضجوا منك ، أعطهم عطاء قصد ، وامنعهم منعاً جميلا ، ووسع على قومك في الرجاء ، ولا توسع عليهم في العطاء .

السياسة بالخشونة والعسف :

قال الحجاج : دلوني على رجل استعمله على الشرطة ، وأريده رجلاً دائم العبوس طويل الجلوس ، سمين الامانة أعجف الخيانة ، يهون عليه سبال في الشفاعة ؛ فقيل له : عليك بعبد الرحمن التميمي .

فاستحضره وولاه فقال : لا أقبلها إلا أن تكفيني عيالك وحاشيتك ؛ فدعاهم وقال : من طلب اليه منكم حاجة برئت الذمة منه ! فتولى فكان لا يحبس إلا في دين ، واذا أتى بشاهر سلاح قطع يده واذا أتي بنقاب نقب بطنه ، واذا أتي بنباش دفنه حياً ، واذا أتي بمتهم ضربه ثلاثمائة سوط ، فربما أقام أربعين يوماً لا يؤتى بمتهم . وصعد الحجاج المنبر يوماً فقال : إني أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابني وأوصيته بخلاف ما اوصى النبي ﷺ في الانصار ، حيث أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، ألا واني أوصيته ان لا يتجاوز عن مسيئكم ولا يقبل من محسنكم ، ألا وانكم لتقولون بعدي : لا أحسن الله له الصحبة واني معجل لكم الاجابة لا أحسن الله عليكم الخلافة ! وقيل : خير الملوك من أشبه النسور حولها الجيفة لا من أشبه الجيفة حولها النسور . ومعناه : سلطان يأكل الرعية خير من سلطان تأكله الرعية . وسأل عبدالرحمن بن عوف عمر رضي الله عنهما ان يلين للناس فقال : الناس لا يصلح لهم الا هذا ، ولو علموا ما لهم عندي لاخذوا ثوبي من عاتقي .

السياسة بالرغبة والهيبة :

كان أنوشروان يوقع في عهود الولاة : سُسْ خيار الناس بالمحبة ، وامزج للعامة الرهبة بالرغبة ، وسُس السفلة بمجرد الهيبة . ولما وفد سعد العشيرة في مائة من أولاده على ملك حمير سأله عن صلاح الملك فقال : معدلة شائعة ، وهيبة وازعة ، ورعية طائعة ، ففي المعدلة حياة الانام ، وفي الهيبة نفي الظلام ، وفي طاعة الرعية حسن الاسلام . وقال زياد : ما غلبني معاوية في شيء من السياسات إلا في واحدة : استعملت رجلاً على قرية فكسر خراجها ولحق بمعاوية ، فكتبت اليه أن ابعثه إلي فكتب ليس ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة ، اذا وليت القطاة فحق أن ألي الليانة ، لكن اذا هرب هارب من باب وجد باباً يدخله والسلام . وقال أنوشروان : إن هذا الامر لا يصلح له الا لين في غير ضعف وشدة في غير عنف . ودخل أبو معاذ على المتوكل حين استخلف فأنشده :

إذا كنتمُ للناسِ أهلَ سياسةٍ فسوسوا كرام الناس بالرفقِ والبذلِ
وسوسوا لئامَ الناسِ بالذل يصلحوا على الذلّ ، إن الذل يصلح للنذل !

السياسة بالملاينة :

أوصى عمر بن عبدالعزيز والياً فقال : عليك بتقوى الله فانها جماع الدنيا والآخرة ، واجعل رعيتك الكبير منهم كالوالد ، والوسط كالاخ ، والصغير كالولد ، فبر والدك ، وصل أخاك ، وتلطف بولدك. وقال بعضهم : الحبس يحبس المال ، والقيد يقيده ، والتسهيل يسهله ، فاستعمل الرفق يرج مالك . وولي أمير المؤمنين رجلاً فقال : لا تضربن أحداً سوطاً ، ولا تتبعن له رزقاً ولا كسوة لشتاء أو صيف، ولا دابة يعملون عليها . فقال : يا امير المؤمنين إذاً ارجع اليك كما ذهبت فقال : وان رجعت كما ذهبت ، إنما أمرنا ان نأخذ منهم العفو . وروي ان عمر رضي الله عنه اتى بمال كثير فقال لعماله :

إني اظنكم قد اهلكتم الناس ! فقالوا : لا والله ما اخذنا الا عفواً صفواً بلا وسط . وقال معاوية لمروان : من ترى للعراق ؟ فقال : من لا يمسح الحلوب حتى يجمع الدرة ، ولا يدني بالعلبة حتى يمسح الصرة .

الحث على ترك التتبع والرسوم الجائرة :

كتب بعض الوزراء إلى عامل : سوق السعاة عندنا كاسدة ، وألسنتهم لدينا معقولة ، ولم نرد هذه الناحية لاحياء العظام الناخرة ، ولا لتتبع الرسوم العافية ! عامل الناس بما في ديواننا ، فإنها أيام قلائل ، فإما ذكر الابد أو خزي الابد ، وتجنب أن تكون كما قال جرير :

وكنتَ متى حللتَ بدار قومٍ   حللتَ بخزيةٍ وتركتَ عارا !

وقيل : لا ينبغي للوالي أن ينقض سنة اجتمعت عليها الالفة وصلحت عليها العامة . وأخرج أبو علي بن رستم عاملًا الى بعض النواحي ، وكان في القرية حمام كثير فعده ، وأخذ واحدة منها وشق حوصلتها ، وعدّ الحبوب الموجودة فيها واحتسب بذلك . فقال : ان كل حمامة تأكل في السنة من الحنطة كذا ، وألزمهم ذلك . فكتب أبو علي إليه كتاباً وفي آخره هذا الشعر :

عجبتُ من نفسي ومن إشفاقِها   ومن طرادي الطير عن أرزاقِها
في سَنةٍ قد كشفَتْ عن ساقِها   والموتُ في عنقي وفي أعناقِها

والابيات لرؤبة ، قالها وقد تولى طراد الطير عن زرع له . وكتب الى أنوشروان عامل له بناحية يعلمه جودة الربيع بها ، ويستأذنه في الزيادة على الرسم ، فأمسك عن اجابته ، فعاوده العامل في ذلك فكتب اليه : قد كان في تركي إجابتك عن كلامك ما حسبتك تنزجر به عن تكاف ما لم تؤمر به ، فإذ قد ابيت إلا تمادياً في سوء الأدب فاقطع إحد أذنيك ، واكفف عما ليس من شأنك ! فقطع العامل إحدى أذنيه إئتماراً له .

حث الولاة على مراعاة الديانة :

قال ازدشير : الدين والملك اخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أس والملك حارس ، والبناء ما لم يكن له أس فمهدوم ، والملك ما لم يكن له حارس فضائع .

حث السلطان على اعتبار ظاهر الرعية دون بواطنهم :

قال بعض الملوك : أنا أملك الأجساد لا النيات ، وأحكم بالعدل لا بالرضا ، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر . وقال معاوية : الناس أعطونا سلطاناً ، وأعطيناهم أماناً ، وأظهروا لنا الطاعة تحت حقد ، وأظهرنا لهم حلماً تحت غضب !

شاعر : لقد أحلكَ مَن يعصيك ظاهرهُ   وقد أطاعكَ مَن يعصيك مستترا

حث الوالي على اكتساب مودة الرعية :

كتب اوسطوطاليس الى الاسكندر : املك الرعية بالاحسان اليها تظفر بالمحبة منها ، فان طلبك ذلك باحسانك أدوم بقاء منه باعتسافك ، واعلم أنك إنما تملك الابدان فتخطها الى القلوب بالاحسان ، واعلم أن الرعية اذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل ، فأحسن قولها تأمن فعلها . وقال علي بن عبدالله بن عباس : تطلب محبة الرعية فطاعة المحبة افضل من طاعة الهيبة .

السياسة بالعمارة :

كان يقال : أسوس من زياد ؛ قيل : إنه ركب يوماً بالسوس فرأى عمارة حسنة ، فخاف أهلها أن يزيد في خراجها ، فالتفت اليهم وقال : بارك الله عليكم فقد وضعت عنكم مائة الف لما رأيت من عمارة بلدكم ؛ قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه : لله درّ زياد ! سعى اهل العراق سعي الام البرة ، وجمع منهم المال جمع الذرة ، فأغناهم وحباهم بحسن التدبير . وقيل : من طمع في وفور الارتفاع بغير العدل فهو يهزأ بنفسه .

ذم جامع المال تارك العمارة :

حول عامل لانوشروان من الاهواز فضل ثمانين درهم على الغبرة القائمة ، فسأله أنوشروان عن ذلك ، فقال : وجدت في أيدي قوم فضولاً فأخذتها منهم ! فقال : رد هذا المال لمن اخذته منهم ، فإن مثلنا في ذلك إن اخذناه كمثل من طين سطحه بتراب أساس بيته ، فيوشك ان يكون ضعف الأساس ، وثقل السطح مسرعين في خراب بيته . ولما عزل عثمان رضي الله عنه عمرو بن العاص عن مصر وولى عبدالله بن أبي سرح ، دخل عليه عمرو فقال له عثمان : أشعرت ان اللقاح بعدك درت ألبانها ؟ فقال : نعم ولكنكم أعجفتم أولادها ! وقال الحجاج لبعض الدهاقين من الري : ما بال بلدكم قد خرب ؟ فقال : لأن عمالكم استعملوا فيها قول شاعركم :

لا تكسع الشول بأغبارها   إنك لا تدري من الناتجُ
واصبب لأضيافك ألبانها   فإن شر اللبن الوالجُ

النهي عن المقاطعة :

قبل المأمون السواد من اسحق بن ابراهيم ثلاث سنين فانقضت قبالته ، فسأله أن يجددها فجلس المأمون فقال : أيها الناس إني قبلت السواد من اسحق ثلاث سنين وانقضت ، وسأل ان أقبله ثلاثاً مستأنفة فهل له من شاك أو متظلم ؟ فقام شيخ فقال : يا امير المؤمنين ، إن الله تعالى جعلنا في يدك أمانة ولم يجعلنا قبالة ، فإن رأيت أن تقبلنا من أحد فافعل ! فقال : لا قبلت بعد هذا . وقيل : المقاطعة تقطع .

الحث على مراعاة اهل الخراج :

قال زياد : أحسنوا الى اهل الخراج فإنكم سمان ما سمنوا . قال جعفر بن يحيى : الخراج عمود السلطان ، وما استغزر بمثل العدل ، ولا استنزر بمثل الجور .

نفع الانصاف وكونه سبب العمارة :

قيل : لا يكون العمران حيث يجور السلطان . وقال عمرو بن العاص . سلطان عادل خير من مطر وابل ، وعدل قائم أجدى من عطاء دائم ، وسبع حطوم خير من وال غشوم ، عدل السلطان خير من خصب الزمان . وكتب عامل الى عمر بن عبدالعزيز : إن مدينتنا قد خرجت ! فقال : اعمرها بالعدل ، ونظف طرقها من الظلم ، والسلام . وقال أنوشروان : حصن المملكة بالعدل فهو سور لا يغرقه ماء ، ولا تحرقه نار ، ولا يهدمه منجنيق . ورفع الى كسرى : إن مع فلان مالاً عظيماً يرجع على ما في بيت المال ؛ فوقع : ماله مالنا وخصب الزمان خصبنا .

محافظة الطرق :

كان المنصور يقول : لا أبيت على تضييع الطريق فهو قوام الملك ، ولا على إذلال حاكم فهو عز الملك . وقال بزرجمهر : عز الملك بأربعة أشياء : حراسة منازل الرعيـــة في الامصار ، وحفظ طرقها في الاسفار ، ومنع عدوها عن حريمها ، واعزاز قضاتها .

المتنبي : إذا طلبَت ودائعهم ثقاتٌ   دفعنَ الى المحاني والوعانِ
فباتت فوقهنّ بلا صحابٍ   تصيح بمن يمر : ألا تراني ؟

وصية الكبار بتحري الانصاف :

كان كسرى يقيم رجلين عن يمينه وشماله اذا قعد للنظر في أمور الناس ، فكان اذا زاغ حركاه بقضيب كان معهما ، وقالا له والرعية يسمعون : أيها الملك انتبه ! أنت مخلوق لا خالق ، وعبد لا مولى ، ليس بينك وبين الله قرابة ، أنصف الناس وانظر لنفسك ! ودخل أسقف نجران على مصعب فكلمه بشيء أغضبه ، فرماه بمحجن فقال الاسقف : إن لم يغضب الامير حدثته بحديث ! فقال : حدث ؛ فقال : في الانجيل لا يجب للامام أن يظلم وبه يلتمس العدل ، ولا أن يسفه ومنه يطلب الحلم . فاعتذر منه وندم .

مدح العفة والأمانة والحث عليها :

قال الله تعالى : ان الله يأمر بالعدل والاحسان . ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها . وقال تعالى : فليؤد الذي ائتمن أمانته . وقال : ان الله لا يحب كل خوان أثيم . وقال عليه الصلاة

والسلام : لا إيمان لمن لا أمانة له . وقال أعرابي : اللهم اني أعوذ بك من الخيانة فبئست البطانة ! وقال بعضهم : اذا لم تكن خائناً فبت آمناً . وقال الجاحظ : سقى الله قبر الاحنف حيث يقول الزم الصحة يلزمك العمل . وقيل : من أحرز العفاف لم يعدم الكفاف . وقال معاوية رضي الله عنه: من وليناه أمراً فليلزم الرفيعين ، الامانة والعدل .

منع الوالي عن قبول الهدية :

قال النبي ﷺ : الهدية تذهب السمع والبصر . وقال : اذا دخلت الهدية من الباب خرجت الامانة من الكوة . وبلغ أنو شروان ان بعض عماله قبل هدية فأحضره ، فلما دخل عليه قال : هل قبلت الهدية ؟ فقال : نعم . فقال : ان قبلتها لتستكفيه شيئاً لم تكن تستكفيه لولاها انك لخائن ، وان قبلتها ولم تكافئه إنك للئيم ، ولئن كافأته بسطت لسان رعيتك عليك ذماً ، فمن أتى صنيعاً لا يخلو من هذه الثلاثة رغبنا عنه ! وعزله . وقال الحجاج لوال : لا تقبل الهدية ، فصاحب الهدية لا يرضى بعشر أمثالها مع الشنعة ، ثم اسلخ ما بين أقفائهم الى عجب ذنبهم فانهم يرضون عنك .

مدح من لا يتكسب في ولايته ولا ينفق :

اجتمع عند المنصور يزيد بن أسيد ومعن بن زائدة وعدة من الاماثل فقال معن : ولاني أمير المؤمنين موضع كذا فحملت اليه كذا وكذا ، وأنت ولاك أرمينية فبعثت اليه بمشربة طبخ ، فقال يزيد : يا أمير المؤمنين أيما أحب اليك الضنين بأمانته أو الجواد بخيانته ؟ فقال المنصور : بل الضنين بأمانته ! وولى مصعب جد الاصمعي الأهواز فعاد ولم يكن له الا درهمان ، فقيل له في ذلك فقال : ما وجدت الا مسلماً له ما لي ، وعليه ما علي ، أو ذمياً له ذمة واجبة علي ، فلم أدر أين أضع يدي ! ودخل عمير بن سعد على عمر لما رجع إليه من ولاية حمص ، وليس معه إلا جراب واداوة وقصعة وعصا ، فقال عمر : ما الذي أرى بك من سوء الحال ؟ فقال : أولست تراني صحيح البدن ؟ معي الدنيا بجذافيرها ! فقال : وما معك ؟ قال : جرابي أحمل فيه زادي ، وقصعتي أغسل فيها ثوبي ورأسي ، وأداوتي فيها ماء سقيتي وضوئي ، ومعي عصاي ان لقيت عدواً دافعته بها ، وما بقي فتبع لما معي ! قال : صدقت !

بعض الخراسانية :

فعاش خمسين عاماً في ولايتهِ   وجاع يوم ثوى في لحده خدمُه !

وهذا البيت يمكن أن يكون مدحاً ، وأن يكون ذماً .

تحريض الوالي على الاكتساب :

كتب أبو العيناء الى صديق له تولى عملاً : أما بعد فاني لا أعظك بموعظة الله تعالى ، لأنك غني عنها ، ولا أخوفك اياه لأنك لا تخافه ، ولكني أقول ما قاله الشاعر :

أحار بن عمر وقد وليت ولاية   فكن جرَذاً فيها تخونُ وتسرقُ !

وباه تميا بالغنى . إن للغنى   لساناً به المرء الهيوبة ينطقُ !

واعلم ان الخيانة فطنة والامانة خرفة ، والجمع كيس والمنع صرامة ، فاذكر أيام العطلة في حال الولاية ، ولا تحقرن شيئاً صغيراً فالذود الى الذود إبل ، والولاية رقدة ، فتنبه قبل أن تنبه ، وأخو السلطان أعمى عن قليل سوف يبصر ، وما هذه الوصية كما أوصى به الحكماء ، ولكني رأيت الحزم في أخذ العاجل وترك الآجل !

من أريد عزله فاحتال أن يقر على ولايته :

كتب معاوية الى عمرو بن العاص وإلى المغيرة أن يقدما عليه ، فقدم عمرو من مصر والمغيرة من الكوفة ، فقال عمرو للمغيرة : ما جمعنا معاوية الا ليعزلنا ، فإذا دخلت فاشك اليه الضعف واستأذنه أن تأتي الطائف ، وأنا أسأله مثل ذلك ، فسيظن أنا نريد به شراً فسيردنا الى العمل ؛ فدخل المغيرة فسأله أن يعفيه وأن يأذن له في الذهاب الى الطائف ، ثم دخل عمرو فسأله مثل ذلك فقال معاوية : لقد تواطأتما على أمر ، وهممتما بشر ، اوجعا إلى عملكما ! ولما استخلف سليمان بن عبدالملك تهدد الحجاج بالعزل ، فكتب اليه الحجاج : يا سليمان إنما أنت نقطة من مداد ، فإن رأيت في ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما ، وإلا فانا الحجاج وأنت نقطة إن شئت أثبتك وإلا محوتك ! فأقره على عمله . وكان معاوية عزل عمراً عن مصر بأبي الاعور السلمي وكتب اليه على يده ، وقال : ائته وادفع إليه الكتاب وأخرجه ! فلما انتهى الى مصر علم عمر وسبب مورده ، فقال لوردان غلامه : احتل عليه ! فقال : نعم . فلما دخل وأراد أن يناوله الكتاب حلف أن لا يأخذ الكتاب أو يأكل ، فقعد للأكل مع عمرو ، فاحتال وردان وسرق كتبه . فلما فرغ وطلب الكتاب لم يجده فقال : إن أمير المؤمنين عزلك بي . فقال : هات الكتب ! فلم يجدها فاضطرب . فكتب عمرو في الوقت إلى معاوية وأرضاه ، فلما سمع بخبره ضحك وأمر برد أبي الاعور اليه . وقدم عمر رضي الله عنه الشام فتلقاه معاوية في موكب عظيم ، وكان عمر على حمار هزيل ، فلم يعرفه معاوية وجازه حتى نبه ، فنزل له ، فأعرض عنه عمر ، وقال : قد صرت صاحب الموكب وذوو الحاجات تقف على بابك ! قال : نعم . فقال : ونعم أيضاً ! فقال : إنني ببلد يكثر فيه جواسيس العدوّ ولا بد مما يرهبهم من آلة السلطان ، فإن أمرتني فعلت وإن نهيتني انتهيت . فقال عمر رضي الله عنه : لا آمرك ولا أنهاك ، والله لئن صدقت لقد فعلت فعل أريب ، ولئن كذبت فقد اعتذرت عذر أديب! فقال أبو عبدة : ما أحسن ما صدر عما اوردته ! فقال عمر رضي الله عنه : لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه .

اعتذار طالب رئاسة تعذرت عليه :

قال رجل عند معاوية : عجباً لعلي كيف طلب الخلافة ? فقال معاوية : اسكت فما كان في خطبتها الا كما قال الشاعر :

لئن كان أدلى دلوه فتعذّرت عليه ، وفاتت رائداً فتخطّتِ
فما رغبةً عنه تخطت حبالَه ولكنها كانت لآخر حطَّتِ

وقيل لرجل خطب ولاية من أمير : ما ولاك الامير ? فقال : ولاني ظهره وأعطاني منعه ، وحماني نفعه ورب ساع لم يدرك المنى ، وحال بينه وبين مطلوبه القضاء !

مدح الامارة والرغبة في الولاية :

روي ان رجلًا ذم الامارة عند النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : نعم الشيء الامارة لمن أخذها بحقها . وقال بعضهم : لولا الحظ في الولاية لما قال نبي الله يوسف عليه السلام لكافر : اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم ! وقال بزرجمهر : أغبط الناس الملك الحازم المظفر . وقيل : حبذا الامارة ولو على الحجارة . وقيل لبعضهم : ما السرور ? قال : رفع الاولياء وحط الاعداء ، وطول البقاء مع القدرة والنماء ؛ وقيل لآخر فقال : اللواء المنشور ، والجلوس على السرير ، والسلام عليك أيها الامير .

مدح الاشتغال وذم الفراغ :

قيل : العطلة موت الحال . وطالت عطلة دينار ثم عرض عليه شغل فشاور الموبذ في ذلك فقال: اعلم ان العلة سكون والحياة حركة ، فإن استطعت أن تخرج من حيز الاموات إلى حيز الاحياء فافعل . وقيل : اذا كان الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة . وقال اكثم : ما يسرني اني مكفي كل أودي ؛ فقيل له : ولمَ ? قال : اكره طاعة العجز ! وذلك أن مع الكفاية العجز والبلادة ، ومع الحاجة الفطنة والشهامة .

ذم الولاية والتزهيد فيها :

روي ان النبي ﷺ قال لعمه العباس رضي الله عنه : يا عم ، نفس تحييها خير من امارة تحصيها . وقال ﷺ : ستحرصون على الامارة ، ثم تكون حسرة وندامة يوم القيامة ، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ! ولما ولي أبو بكر رضي الله عنه خطب الناس فقال : إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ! فرفع الناس رؤوسهم فقال : ما لكم ان الرجل اذا صار ملكاً زهده الله فيما في يده ، ورغبه فيما في يد غيره ، وانتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبه الاشفاق ، فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير ، فهو كالدرهم والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن ، فاذا وجبت نفسه ونضب عمره

حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه ! وقال مطرف : لا تنظروا إلى خفض عيش السلطان ولين لباسه ولكن انظروا الى سرعة ظعنه وسوء منقلبه . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما ملك أحد قط إلا شوطر عقله وضوعف بلاؤه وحزنه . ولما ولى محارب القضاء قيل للحكم بن عتيبة ألا تأتيه ؟ قال: ما أصابته عند نفسه مصيبة فأعزيه ، ولا نالته نعمة فاهنئه ، وما كنت زواراً له من قبل فآتيه . وقال بعض الولاة لبهلول : كيف تجدك ؟ قال : بخير ما لم أتول شيئاً من أمور المسلمين ! قال : أتحب أن تكون صحيحاً ؟ قال : لو كنت صحيحاً لنزعت نفسي الى طلب الدنيا ، فهذا أصلح لي أرجو أن أكسب الاجر وأن يحط الله عني الوزر . وقيل لاعرابي : أيسرك أن تكون خليفة وتموت أمتك ؟ قال : لا لأنها تذهب الامة وتضيع الامة .

النهي عن طلب الرئاسة :

قال رجل لبشر الحافي : أوصني . قال : الزم بيتك ! فترك طلب الرئاسة رئاسة . وقال ابن مسهر: ما بينك وبين أن تكون من الهالكين الا أن تكون من المعروفين . وكان سفيان يتمثل بقول الشاعر:

حبُّ الرئاسة داءٌ لا دواء له ... وقلّما تجدُ الراضينَ بالقسمِ

وقال آخر :

وأكثر هالك في الناس تلقى ... فرأس هلاكهِ طلبُ الرئاسه

وقال آخر :

بلاء الناس ، مذ كانوا ... إلى أن تنهض الساعهْ ،
طلابُ الأمر والنهي ... وحبُّ السمعِ والطاعهْ !

قساوة قلب من تولى رئاسة :

كان عبدالملك بن مروان يسمي حمامة المسجد للزومه المسجد الحرام ، فلما أتاه الخبر بخلافته كان المصحف في حجره ، فوضعه وقال : هـذا فراق بيني وبينك . وقال : إني كنت أتحرج ان أطأ نملة ، وان الحجاج يكتب إلي في قتل فئام من الناس فما أحفل بذلك ! وقال له الزهري يوماً : بلغني انك شربت الطلاء ! فقال : أي والله والدماء ! وقال : عجباً للسلطان كيف يحسن ، واذا أساء وجد من يزكيه ويمدحه ! وفي كتاب الهند : السلطان ذو غدوات وبدوات ونزوات أي انه سريع الانصراف كثير البذاء هجوم على الامور .

تكدر عيشه :

قيل : لا أحد أمرّ عيشاً وأكدّ تعباً وأطول من فكرة من الملك العارف بالمعاد المتيقن بالثواب والعقاب . قال الشاعر :

يا رُبَّ أفئدة بنار همومِها تُكوى فتشقى في جسومٍ ناعمه

وقيل : لا تنظروا إلى خفض عيش السلطان ولين لباسه ، وانظروا الى سرعة ظعنه ومكنون حزنه وسوء منقلبه !

من أظهر الندامة عند الموت من الكبار لما ثقل :

عبدالملك رأى غسالاً فقال : وددت اني كنت غسالاً لا أعيش الا بما كسبت يوماً فيوماً . فذكر ذلك لابي حازم فقال : الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ، ولا نتمنى عنده ما هم فيه . وكان يقول : بعنا الدنيا والآخرة بغفوة .

ممتنع من الولاية :

في الخبر : نودي لقمان إني أجعلك خليفة في الارض . فقال : ان أجبرني ربي فسمعاً وطاعة ، وان خيرني اخترت العافية فولاه الحكمة وصرفت الخلافة إلى داود عليه السلام ، فكان اذا رآه داود قال : وقيت الفتنة يا لقمان ! وقيل لبعضهم : ما يمنعك من الامارة ؟ قال حلاوة : رضاعها ومرارة فطامها ! وبعث هشام الى ابراهيم بن جبلة فقال : إنا قد عرفناك صغيراً ، وخبرناك كبيراً ، ورضينا سيرتك ، وقد رأيت اني أشركك في عملي ، وقد وليتك خراج مصر ؛ فقال : أما الذي عليه رأيك فالله يجزيك ، وأما انا فما لي بالخراج بصر ! فضحك وقال : لتلين طائعاً او كارهاً ، فتركه حتى سكنت سورة غضبه ثم قال : ان الله تعالى يقول ، إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ! فما غضب حيث أبين ولا أكرههن اذ كرههن ، فأنت حقيق أن لا تغضب ولا تكره . فغضب وتركه . ولما أراد عمرو بن هبيرة تولية اياس القضاء قال له : إني لا أصلح لأني عيي دميم حديد ! فقال : أما الحدة فالسوط يقومك ، وأما الدمامة فإني لا أحاسن بك ، واما العي فانك تعبر عما تريده . فولاه .

ث الوالي على ادخار الاحسان :

قال جعفر بن محمد : كفارة عمل السلطان الاحسان الى الإخوان . وقال بعضهم لوال :

بادر بإحسانك الليالي فليس من غدرِها أمانُ !

وقيل : أحسن والدولة تحسن اليك . وأنشد :

إذا هبَّت رياحك فاغتنمها فإن لكلّ خافقةٍ سكون

ولا تزهدْ عن الإحسان فيها فما تدري السكونَ متى يكون

وقيل : اجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك . وقيل : تودد الرجل في علو مرتبته ذب للشماتة أيام سقطته . واستعمل عمر رضي الله عنه رجلاً فقال : ان العمل كبير فانظر كيف تخرج منه .

ذم مغتر بولايته :

وصف اعرابي والياً فقال : ما أطول سكر كاس شربها فلان ، ولما يخاف من عاقبتها أشد سكراً ، ولئن كانت الدنيا مشغولة به ليوشك أن تكون فارغة منه ، حيث لا يرجى له اوبة ولا تقبل له توبه ! وذكر الاصمعي ان قول الشاعر :

أَحسنتَ ظنَّكَ بالأَيام إذ حسُنتْ ولم تخفْ غبَّ ما يأتي به القدَرُ
وسالمتْك الليالي فاغتررتَ بها وعند صفو الليالي يحدثُ الكدرُ

كأنما أخذ من قوله تعالى : حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة . ودخل الانباري الشاعر على الصاحب بالاهواز ، وكان نازلاً في دار ابن بقية ، فلم يعرفه الصاحب ولم يلتفت اليه فأنشأ يقول :

اسمع مقالي ولا تغضب عليّ فما أبغي بذلك لا بذلا ولا عوضاً
في هذه الدار في هذا الرواق على هذا السرير رأيتُ الملكَ فانقرضا

فقال له : من أنت ؟ فانتسب له ، فأقبل عليه وأكرمه وخوله .

البسامي: فلا يغررْكمُ نعمٌ توالتْ فإن الدهر حالٌ بعد حالِ

تهديد وال بعزله :

ابراهيم بن العباس الصولي :

أبا جعفر خفْ نبوةً بعد دولةٍ وعرّج قليلًا عن مدى غلوائكا
فإن يكُ هذا اليوم يوماً حويتَه فإن رجائي في غدٍ كرجائكا

جحظة : قد نلتمُ منحةً ما نالها بشرٌ وحزتمُ نعمةً ما حازها مَلِكُ
فليت شعري أمقدار تعمدكم بما أتاكم به أم خولط الفلكُ ؟

ونظر الفضل بن مروان في رقاع الناس فاذا رقعة فيها :

تعزّزتَ يا فضل بن مروان فاعتبرْ فقبلك كان الفضل، والفضل والفضلُ
ثلاثة أملاكٍ مضوا لسبيلهم أبادهم الأقيادُ والحبسُ والقتلُ
وإنك قد أصبحتَ في الناس ظالماً ستودي كما أودى الثلاثة من قبلُ

يعني الفضل بن يحيى ، والفضل بن الربيع ، والفضل بن سهل . وقال رجل لبعض الولاة : ما أنت الا ان يزيلك القدر عن القدرة ، فتحمل على المذلة والحسرة .

تمنى العزل له تبرماً به :

لما ولي أبان بن عثمان المدينة كان يطوف ليلة فسمع قائلاً يقول : اللهم اعزل عنا أبانا ! فقال له أبان وهو لا يعرفه : ما فعل لك أبان ؟ فقال : استطالت ولايته فمللتها ! فقال : ويحك إنما له ستة أشهر ! فقال : بدون هذا نفع الملك . وسمع المهدي انساناً يدعو عليه فقال : يا هـذا هل أسأت اليك قط ؟ قال : لا ولكني مللتك ! فقال : أو لم أتول منذ شهرين ؟ فقال : أو لم يكن في ذلك ما يمل ؟ إني لأمل كنيتي فاغيرها في الشهر مرتين .

من رغب في العزل عن ولايته :

كتب بعض العمال الى واليه وقد ولاّه موضعاً يقال له شير :

ولاية الشير عزلٌ والعزلُ عنه ولاية
فولّني العزل عنه ان كنتَ بي ذا عناية
أصبر بالعزل عنه إلى غنىً وكفاية

واستعفى رجل من ولاة عبيدالله بن طاهر فوقع في قصته : يعفى ولا يستكفى ، وينفى الى يافا .

من هدده واليه بالعزل :

وقع يحيى بن خالد الى عامل : كثر شاكوك وقل شاكروك ، فإما اعتدلت وإما اعتزلت ! ووقع الى آخر : أنصف من وليت امره ، وإلا أنصفه منـــك من ولي امرك ! ووقع المأمون لآخر : لو استقامت لك الطريقة لرضيت الخليقة ، فان لم تدع فيهم القذل راعينا فيك العزل ! ووقع الى احمد بن هشام في رقعة متظلم : اكفني أمر هذا وإلا كفيته امرك ، والسلام .

تمني زوال مملكة خسيس :

البسامي : ألا يا دولة السفلِ أطلتِ المكث فانتقلي
ويا ريب الزمان أفق نقضت الشرط في الدول

ابو تمام الطائي :

كانت شماتةُ شامتٍ عاراً فقد أضحت به تنضو ثياب العار !

جحظة : سألت الله تعميراً طويلاً ليبهجني بخطبٍ يعتريكم
أخاف بأن أموتَ وما أرتني صروف الدهر ما اهواهُ فيكم !

ابو عطاء

ياليت جورَ بني مروان عاد لنا وان عدل بني العباس في النار !

من شمت الناس بعزله :

قال أبو العيناء في ابن حمدان : لئن فضحته القدرة لقد جملته النكبة ! وقال لموسى بن فرخشاه : الحمد لله الذي أذل عزتك وأذهب سطوتك، وأزال مقدرتك ، فلئن أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة !

البحتري : ففرحة الناس بإدباره كغيظهم كان بإقبـاله !

القاسم بن طوق :

رُزِقتَ سلامةً فبطرت فيها وكنت تخالها أبداً تدومُ
وقد ولّت بدولتكَ الليالي وأنت ملعن فيهـا ذميمُ
فبُعـداً لا انقضاء له وسُحقاً فغير مصابك الخطبُ الجسيم !

ولما قبض المعتصم على الفضل بن مروان قعد للعامة فوجد قصة فيها :

يا فضل لا تجزَعنّ مما بليتَ به مَن خاصمَ الدهرَ جاثاه على الركبِ
خنتَ الامام وهذا الخلق قاطبةً وحرت حتى أتى المقدار في الكتبِ
جمعت شتى وقد أديتها جُمَلَا لأنت أخسر من حمالة الحطبِ !

وأدخل أبو العيناء على أحمد بن أبي دؤاد فقال : ما جئتك مسلياً ولا معزياً ، ولكن أحمد الله فيك اذ حبسك في جلدك ، وأبقى لك عيناً تنظر بها الى زوال النعمة عنك !

محمود الوراق :

خنازيرُ ناموا عن المكرمات فانبهم قـدر لم ينم
فيا قبحَهم عندمـا خولوا ويا حسنهم في زوال النعم !

من تحامل الناس عليه لنكبته وعزله :

لما عزل المنصور بن عمران عن القضاء جعل الناس يسبونه ، وكان فيهم رجل يلج في أذاه فقال له : يا هذا هل أسأت اليك قط ؟ قال : لا . قال : فما حملك على هذا الذي تأتيه ؟ قال : سمعت الناس يشتمونك فساعدتهم ! فأنشد المنصور :

غير ما طالبين وتراً ولكن مالَ دهرٌ على أناسٍ فمالوا

ولما نكب علي بن عيسى جفي جفاء عظيماً وهجره الناس قاطبـــة ، ثم لما رشح للولاية تزاحم الناس عليه ، فأنشأ يقول :

ما الناسُ إلا معَ الدنيا وصاحِبها فحيثما انقلبتْ يومـاً به انقلبُوا

صعوبة العزل :

قيل : العزل طلاق الرجال . وسئل بعض الحكماء : ما اشد ما يمر على الانسان ؟ فقال بعضهم : فقر في سفر ، وقال بعضهم : مرض في غربة ، فقال : أشد من ذلك عزل مع نكبة ! وكان ليوسف ابن عمر جارية حظية وكانت على رأسه ، فأتاه كتاب فلما قرأه تغير لونه فقالت : أيها الامير هذا كتاب عزل ؟ قال : كيف دريت ؟ قالت : لتغير في وجهك قلما عهدته ، وقد كان يعزل عنها خوف الحبل ، فقالت : كيف أجزت العزل لي وهذا طعمه ؟ فقال : اذاً لا أعاود ذلك !

من لم يبال بالعزل :

قال زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف ما لا تنفع معه الولاية ولا يضره العزل . احمد ابن طاهر :

ما وضع العزلَ منـك قدْراً ولا تعالى عليك وفْرا !

ابن طباطبا :

لقد سرني أن الصيانة وفرت عليك بعزلٍ كان فيه رضا كا

تسلية معزول :

أراد الرشيد أن يعزل الفضل بن يحيي عن خاتمه ، ويصيره الى أخيه جعفر ، فكتب اليه : قد رأى امير المؤمنين أن ينقل خاتمه من يمينك الى شمالك ! فأجابه الفضل : ما انتقلت عني نعمة صارت اليك ولا خصصت بها دوني . قال ابن المفجع :

لم يعزلوا الأَعمال عنه ، وإنما عزلوا العفاف به عن الأَعمال !

أبو تمام :

ما كنت إلا السيفَ جرّد للوغا فأحمد فيه ثم صار الى الغمد

ونحوه ما كتب به بعضهم : ما عزلت عن الديوان ولكن عزل عنك ! فأنت المهنأ ، وهو المعزى ، وقد كنت محتاجاً الى العزل ليعرف الجور من العدل . قال : وان العزل غاية كل والٍ .

أبو هفان :

لأَنت في العزل على غضه أنبلُ من غيرك في الامر

وقال آخر :

وكل نار لها اتّقـاد لا بد يوماً لها خمودُ

رفيع معزول بدنيء :

قال ابن بزدويه الاصبهاني : لما عزل أبو علي بن رستم وقلد أبو الحسن وأبو مسلم يخاطب علي بن عيسى :

أيا ابن عيسى سمتنا مقابحَ الحوادثِ
بعاملين أخرقين عابس وعابث
طيرين أرسلتهما عززهما بثالثِ

ولما عزل وكيع عن رئاسة بني تميم قال بعضهم : عزلت السباع ووليت الضباع ، فصار الامر الى الضياع ! ولبعضهم في مثله : اي حق رفع واي باطل وضع ؟ بدل ، لعمرك من يزيد أعور . ابن ابي الرعد :

فإن تك قد عزلت فلا عجيبٌ ضياء الشمس يعزله الظلامُ !

وقال كناس لما عزل علي بن عيسى وولي مكانه ابن الفرات : اخـــذوا المصحف ووضعوا مكانه طنبوراً !

من يقوب عزله من ولايته :

قال الشاعر: فإنك في زمنٍ دهرُه كيوم ، ودولتُه ساعتان

ابن حجاج : يوم الخميس بعثَت بي وصرفتني يوم الأَحدْ !
فالناس قد غنوا علي كما خرجت من البلد :
ما قام عمرو في الولا ية ساعةً حتى قعد

وقال آخر :

رأينا لأَبواب ابن بلبل ساعة من الدهر إقبالاً تطلع فارتحلْ
أَشبهه نقش العروس تخضبت فلما مضى الاسبوع من عرسها نصلْ

تذمم من ولي أمراً صغيراً بعد ان تولى كبيراً :

قيل : عنوق بعد نوق وحور بعد كور .

المتنبي : ومن ركبَ الثورَ بعد الجوا دِ أنكر أظلافه والغبب

وكان أبو عماد النميري تولى أموراً كباراً ، فأتى سلطاناً يسأله أن يوليه أمراً ، فولاه أمانة قرية فسرق ما في البيدر فقال :

أنا باز أضرب الكر كيّ والطير العظاما
واذا ما ارسل البا زي على الصقر تعامى

اخذ ذلك من قول الآخر :

والصقر يحقر عن طراد الدخل

وقيل لبعض من كان في خطبة أمر كبير فامتنع عليه فرضي بصغير : طلبت زلالاً ثم شربت رنقاً ؛ فأنشد :

ومن يبتغ العذب الزلالَ ويمتنعْ من الشربِ من سؤرِ الكلابِ تعطَّبا
إذا المرء لم يقدر له ما يريـده رضي بالذي يقضى له ، شاء أم أبى !

ذم متول بغير استحقاق :

قال موبد : بلوغ شرف المنزلة بغير استحقاق اشفاء على الهلكة . وأتى عبادة دينار بن عبدالله وقد ولي مصر فقال : يا فرعون ارفع رأسك ، وانظر الى من ندب لولاية مصر ! ابن بسام :

كيف تستوثقُ الأُمورَ وتصفو ومدار الدنيا عـلى بن الفرات ؟

وصف عاجز في ولايته :

في الحديث : ان الله يبغض السلطان الركيك . وورد كتاب صاحب أرمينية على السفاح بأن الجند قد شغبوا ونهبوا ، فكتب اليه ، اعتزل أمرنا ، فلو عدلت لم يشغبوا ، ولو قويت لم ينهبوا ! واستعمل المنصور رجلاً على خراسان فأتته امرأة في حاجة فلم تر عنده غنى فقالت : أتدري لمَ ولاك أمير المؤمنين ؟ قال : لا . قالت : لينظر هل يتم امر خراسان بلا وال ! ووقع جعفر الى عامل له : إنك كثير الشكاية قليل النكاية ، جريء في ميدان العلل بطيء في ميدان العمل !

شاعر : وأحمد يا قوم لو أمره إليّ لألزمتُـه راويه

وولى ابن هبيرة رجلاً ماسبذان فقال : اكتم أمرك حتى ترد الى عملك . فخرج الى همدان فلما بلغ قيل : لم يرد علينا ما دل على ولايتك . فاخرج عهده فاذا هو الى صاحب ماسبذان ، فكتب الى ابن هبيرة : اني عطلت ما بين سب وبين هم لما رأيت في آخره ذان ! فضحك لما قرأ الكتاب وقال : انا اولى الناس بأن أؤدب اذا وليت مثله واعتمدت جهله .

ذم وال خسيس :

ابن لنكك :

قل للوضيع أبي رياش : لا تبلِ ته كُلّ تيهك بالولاية والعمل !
ما ازددت حين وليتَ إلا خسةً فالكلب أنجس ُما يكون ُاذا اغتسل!

المتنبي : كرمُ الاعمال لا يغنيـك والنفسُ قليله
ليس في النذلِ، ولو خول ملك الارض، حيلَهْ

الطرماح :

اذا ما ابن حدّ كان ناهز طيء فان الذرا قد صِرنَ تحت المناسمِ

من لا يستضر بعزله ولا ينتفع بولايته :

قال أبو العيناء لصاعد : نحن في دولتك محرومون ، وفي عطلتك مرحومون ! وقيل له : ما حالك مع فلان مذ تولى ؟ فقال : أنا معه غير جندب ، يعني قول الشاعر :

وإذا تكون كريهةٌ أدعى لها وإذا يحاس الحيس يُدعى جندبُ

وأنشد لابي الفتح بن أبي جعفر بيتين قالهما في الاستاذ الرئيس ، لما قبض على ابن احمد بن العباس، فاغير على داره :

أيوجب عدل اهلِ العدل أني أعدّ مع الجناةِ بلا جنايَهْ
أشارك معشراً في صرفِ دهرٍ همُ ما شاركوني في الولايه

وقد أحسن المسهل بن كميت حيث يقول :

اذا نحن خفنا في زمانٍ عدوّكم وخفناكمُ إن البلاء لراكد !

ذاهب عنه أمره :

قيل لرجل زال ملكه : ما كان سبب زوال ملكك ؟ فقال : تدبير الامر بالهوى ، وتأخير عمل اليوم الى غد . وقيل ذلك لآخر فقال : قلّة التيقظ واشتغالنا باللذات عن التفرغ ، وثقتنا بعمالنا حتى ظلموا رعيتنا ، فقل دخلنا وبطل عطاء جندنا ، فقلت طاعتهم لنا ، فقصدنا الاعداء فعجزنا عن مدافعتهم .

متولى رئاسة بغير استحقاق :

قال رجل لسعد : ان سوّدك القوم لجهلهم بك فسيد الجاهلين غير شريف ، وان سوّدوك للفقر اليك فأنت كما قال :

خلَتِ الديارُ فسُدْتَ غير مسودِ ومن الشقاء تفردي بالسؤدد !

وقال محمد بن يزيد :

ومن انتكاس الأَمر أنْ صارت ولاة الأَمر ضبه

وشتم مجنون رجلاً فقال له : أتشتمني وأنا سيد قومي ؟ فقال المجنون :

وإنّ بقومٍ سودوكَ لفاقةً   إلى سيدٍ لو يظفرون بسَيِّدِ !

وقال آخر :

وكلام مثلك في الخطو   ب من العجائبِ والكبائرْ !

وصف عسوف في ولايته

حكى رجل ولاية عامل فقال : كان يجبي خراج الوحش ، ويأخذ جزية السمك ، ويطلب زكاة الملائكة ، ويلتمس جمع الريح ، ويروم القبض على الماء وحصر الحصى وتحصيل الهباء ، ولئن كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم ، لقد عظمت المصيبة على قوم نزل فيهم . وسئل رجل عن وال فقال : هو كما قال الشاعر :

وكان إذا أناخ بدار قومٍ   أبو حسان أورثهم خبالا !

وقال عمر رضي الله عنه : لا جهل أبغض الى الله من جهل امام وخرقه ! وتظلم أهل الكوفة الى المأمون في وال كان عليهم فقال المأمون : لا أعلم في عمالي أعدل وأقوم منه ! فقام رجل فقال : ان كان عاملنا بهذا الوصف فحق ان تعدل بولايته ، فتجعل لكل بلد منه نصيباً لتسوى بالعدل بينهم ، فاذا فعل أمير المؤمنين ذلك لا يصيبنا منه أكثر من ثلاث سنين ! فضحك وعزله . وقال المنصور يوماً : من بركتنا على المسلمين ان الطاعون رفع عنهم في أيامنا ! فقال بعض الحاضرين : ما كان الله ليجمع علينا ولايتكم والطاعون ! وبلغ من تمرد يوسف بن عمر أنه نادى : أن لا يضرب أحد في دار الضرب درهماً ينقص عن العيار حبة فما فوقها الا ضربته ألف سوط ، فضرب مائة رجل فقالوا : ضرب مائة ألف سوط في حبة وعد في سيئات الحجاج أنه قتل صبراً مائة ألف وعشرة آلاف رجل سوى من قتل في عساكره ، ومات في الحبس ثمانون ألفاً ، منها ثلاثون ألف امرأة . وقال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه : لو جاءت يوم القيامة الفرس بأكاسرتها ، والروم بقياصرتها ، وجئنا بالحجاج لغلبناهم به !

ذم امارة الصبيان والنساء :

لما مات كسرى وأخبر النبي ﷺ به قال : من استخلفوا ؟ فقالوا : بنيته بوران . قال : لن يفلح قوم أسندوا أمرهم الى امرأة ! وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : سيأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل ، ولا يظرف فيه الا الفاجر ، ولا يضعف فيه الا المنصف ، يتخذون الفيء مغنماً والصدقة مغرماً ، فحينئذ يكون سلطان النساء ومشاورة الاماء وامارة الصبيان ! وقيل : ان البوم أراد التزوج ، وكان الهدهد دلالاً ، فأتاه وقال : انهم ضمنوا لك خمس قرى عامرة وخمس

قرى غامرة . فقال : لا حاجة لي في العمران ! فقال : خذها فولايتها الى امرأة وما تولت امرأة أرضاً إلا خربت ، فقبلها وقال : صدقت . وقيل : اذا أراد الله بقوم سوءاً جعل أمرهم الى صبي أو امرأة . قال الشاعر :

إن ملكاً تسوسه أمُّ موسى وفاطمه
لجدير بأن تُرى ربةُ البيتِ لاطمَه

ابن بادان : ما للنساء وللعما لة والخطابة والكتابه ؟
هذا لنا ، ولهن منا ان يبتن على جنابه !

ولابن باسام في متقدم بامرأة :

نلت ما نلت يا دنيء بأمّ هي أعطتك رؤية الامراء
فإذا عدّتِ الصنائعُ يوماً كنت فيها صنيعَة البظراء !

وكان بالري مجنون فقال يوماً لفولاذ بن منادر لما هرب من شيراز : يا متخلف كان يجب ان تداوي كس الدولة وبظر الملة ، وتدخل اليها فتشيل رجليها حتى كان يستوى أمرك ! قال الشاعر:

إن الامور إذا أضحت يدبرها أمّ وطفل وسكرانٌ ومجنونُ
كمنذراتِ الورى أن لا فلاح لمن يرجو النجاحَ وان الملك مغبون

مدح الوزارة وذمها :

قال النبي ﷺ : ما من أحد أعظم أجراً من وزير صالح يكون مع امام فيأمره بذات الله . وقال ﷺ : ما من أحد من المسلمين ولي أمراً فاراد الله به خيراً الا جعل معه وزيراً صالحاً إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه . وقيل : ثبات المملكة بقدر هيبة وزرائها . وقيل : لا يطمع الملك الضعيف الوزير في ثبات ملكه . وقال بعض الملوك لحكيم : أي الاعوان أحق بقرب الوسيلة ؟ فقال : الوزير الصالح الناصح اللبيب ، الذي ارتفاعه بارتفاع ملكه ، وهلاكه بهلاكه . وقيل : لا تغتر بمناصحة الامير اذا غشك الوزير ، واذا صادقك الوزير فلا يهولنك الامير .

انقياد الامير للوزير وذمه بذلك :

قيل : الاستسلام للوزير هو العزل الخفي . وقال نصر بن سيار : اذا لم يشرف الامير على أموره فليعلم ان أغش الناس له وزيره ! وقال أبو الشيص : في الملك لا يصرف الأمر دونه الوزراء .

مدح وزير صالح :

قال بشار :

وقـل للخليفة إن جئته نصيحاً ولا خـير في المتهم :
اذا أيقظَتْكَ حروبُ العِدا فنبه لهـا عمراً ، ثم نم

أبو نواس :

قولا لهارون إمام الورى عنـد احتفال المجلس الحاشد :
أنتَ على ما بك مِن قدرة فلست مثل الفضل بالواجد !

ابن الرومي :

ظفرَتْ يداكَ من الوزير بقيمٌ يؤتى نصيحتَه بلا استكراهِ
اما ظهـارته فسلطانية وله بطانة مخبت أواه !

ذم اجتماع وزيرين :

البسامي : فقدتكم يا بني الجاحده أفي كلّ يوم لكم آبدَه ؟
متى سمع الناس فيما مضى وزيرين في دولة واحـده ؟

الظاهري :

وزيران أما بالمقدم منهما فخبل ، وبالثاني يقال جنون !
متى تلق ذا أو تلق ذاكَ لحادثٍ تلاق مهيناً لا يكاد يبين !

وقال عبدالملك لما أراد الخروج الى مصعب وقد نهاه بعض نسائه : كفى فلا يجتمع فحلان في شول ، ولا قمران في سماء ، ولا سيفان في غمد ؛ ويروى للمهلب في معناه :

ولو صلحَ التشاركُ لم تضايق ولـكن لم يسعْ أسدين غيلُ

تولي دنيء الوزارة :

كان ابن بلبل خاملاً ، وكان يؤاجر في أيام صغره ، حتى يحكى أنه حمل ليلة الى موضع فاجتمع عليه عدة فلم يزالوا يقلبونه الى الصباح حتى قال : أما فيكم رحيم يتركني أنعس نعسة ؟

البسامي : كيف نرجو رحمة الله ولا نخشى الحجاره ؟
والذي كنا عرفنا ه قديماً بالاجاره
حاز الأمر علينا بتولّيـه الإماره

وقال آخر :

وزير ما يفيق من الرقاعه ... يُولّى ثم يُعزلُ بعد ساعه

المصيصي : أنا مــذ صرتُ وزيراً طــاب شتمي للوزاره

آخر في مثله :

أعيذكَ بالرحمن من شرّ خائنٍ ... له قـلم زانٍ وآخر سارقُ

وزير أمي :

تولى شجاع بن القاسم وزارة المستعين ، وحرص كل الحرص على ان يتعلم الكتابة فما تهيــأ له ، وكان يحضر معه كاتباً يلقنه فيفهم عنه جل ما في الكتب ، فيعرضه على المستعين .

• • •

ومما جاء في أحوال أتباع السلاطين

وجوب اتباع السلاطين :

قال الله تعالى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ؛ فقرن طاعتهم بطاعته . وقيل : لا تتقرب الرعية الى الائمة بمثل الطاعة ، ولا العبد الى المولى بمثل الخدمة ، ولا البطانة بمثل حسن الاستماع . وقال الحجاج : والله إن طاعتي أوجب من طاعة الله تعالى ، لأن الله تعالى يقول « اتقوا الله ما استطعتم » وجعل فيه مثوبة ، وطاعتي لا مثوبة فيها . وقيل : سعادة الرعية في طاعتهم لملكهم . ورفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدرة على سعيد بن عامر فقال : لا يسبق سيلك مطرك ، لو أمرت قبلنا وان عاقبت اعتبنا ، وان عاقبت صبرنا ، وان غفرت شكرنا ! فقال : ما على المسلمين اكثر من هذا . وأمسك عنه .

وجوب ملاينة السلطان ومداراته :

قال الله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام : فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى . وقال تعالى : وجادلهم بالتي هي أحسن . وتعلق رجل بالرشيد وهو يطوف بالبيت فقال : إني أريد أن أكلمك بكلام فيه بعض الغلظة ! فقال : لا ولا نعمى ! إن الله بعث من هو خير منك الى من كان شراً مني ، فقال : فقولا له قولاً ليناً . وقال الأحنف : السلطان من تأبى عليه أذواه ، ومن لان له تخطاه . وقيل : لتكن مداراتك للسلطان مداراة المرأة القبيحة للزوج المبغض لها ، فإنها لا تدع التصنع له في كل حال . وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : اذا بليت بالسلطان فخرق دينك بالملق والروغان ، ورقعه بالكفارات والاستغفار .

الحث على مصابرة السلطان عادلاً كان او جائرا :

قال ابن مسعود رضي الله عنه : اذا كان الامام عادلاً فله الاجر ، واذا كان جائراً فله الوزر وعليك الصبر .

وجوب تعظيمه ومدح فاعل ذلك :

قال ابن عباس رضي الله عنه : السلطان عز الله في الارض ، فمن استخف به نابته نائبة فلا يلومن إلا نفسه . وقيل : اذا جعلك السلطان أباً فاجعله رباً . وقيل : اياك ورفع الصوت على السلطان، فمن رفع الصوت عليه فقد خلعه . قال الله تعالى : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول . وقال حكيم لابنه : إياك ان تصحب السلطان بالجرأة عليه والتصغير لقدره والتهـــاون بأمره ، ولتكن صحبتك له كصحبتك للأسد الضاري والفيل المغتلم والافاعي القاتلة . وقالت الحكماء : من حق من هازله السلطان وضاحكه ثم دخل عليه أن يدخل عليه دخول من لم يجر بينهما أنس قط ، وان لا يترك الاجلال له ، فإن اخلاق الملوك ليست على نظام .

استعمال الوقار في مجلس السلطان :

كان أبو القاسم الكعبي المتكلم في مجلس امير خراسان ، فسقط من السطح طست فتزلزلت منـه عرضة الدار ، فلم يلتفت أبو القاسم عن الامير ، فقال الامير : لا يصلح لوزارتي إلا هو . وأراد عبدالملك ان يجرب الحجاج ، فأمر بأن يدخل في سراويله عقارب ، فكانت تلدغه ولم يشتغل بها عن محادثة عبد الملك .

ترك عظيم غير السلطان في مجلسه :

دخل أبو مسلم على السفاح وسلم عليه ، فطرح له متكأ وأبو جعفر قريب منه فقال السفاح : يا أبا مسلم هذا المنصور ! فقال : يا أمير المؤمنين هذا موضع لا يقضى فيه غير حقك .

وجوب الاغضاء في مجلس السلطان :

قيل : أهدي الى ملك الهند ثياب وحلى ، فدعا بامرأتين وخيرا حظاهما عنده بين اللباس والحلى ، وكان وزيره حاضراً ، فنظرت المرأة اليه كالمستشيرة فأشار بعينه الى اللباس ، ولحظه السلطان فاختارت الحلى لئلا يفطن الملك للاشارة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه ليظن الملك أن ذلك عادته . وقيل : من داخل السلطان فيحتاج أن يدخل أعمى ويخرج أخرس .

المتجنب الكلام الموهم في مخاطبة السلطان :

قال الله تعالى : لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً (الآية) . وقال الله تعالى : لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي . وذم قوماً من سفهاء بني تميم أتوا النبي ﷺ وقالوا : اخرج

الينا ، فأنزل الله تعالى : إن الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ، ومدح قوماً فقال : إن الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى . وقال النبي ﷺ للعباس : أنا اكبر أم أنت ؟ فقال : أنت أكبر وانا أسن ! ودخل السيد الحميري على المأمون فقال له المأمون : أنت السيد ! فقال : بل أنا العبد وأنت السيد ! وقال سعيد بن عثمان للطوسي : أينا أسن ؟ فقال : لقد شهدت زفاف أمك المباركة الى أبيك الطيب لئلا يوهم أمراً .

المنكر عليه لفظه مع سلطان :

قال بعض اصحاب المأمون لرجل نزل له : يقول لك امير المؤمنين اركب . فقال : لا يقال لمثله اركب بل يقال له انصرف . دخل أبو الحسن المدائني على المأمون فلما خرج قال له رجل : عرفني ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين ؟ فقال : لست بموضع ذلك لأنك لم تميز بين أن تقدم ذكر أمير المؤمنين وبين أن تقدم ذكري . وكان الحسن اللؤلؤي يحضر مجلس المأمون ويجاريه الفقه فنعس المأمون فقال اللؤلؤي : أنعست يا أمير المؤمنين ؟ فقال المأمون : سوقي والله يا غلام ، خذ بيده ! فجاء الغلام فأقامه . فبلغ ذلك الرشيد فقال متمثلاً :

وهل ينبت الخطّيّ إلا وشيجه ؟

وقال الاصمعي للرشيد في شيء سأله : على الخبير سقطت . فقال : أسقطك الله على رأسك !

النهي عن التفوه بما يظن فيه تعريض :

دعا المنصور جماعة من القراء فقال لأحدهم : اقرأ . فقرأ : أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون . فغضب وقال لآخر : اقرأ . فقرأ : كم تركوا من جنات وعيون . فغضب وأخرجه ثم قال لآخر : اقرأ . فقرأ : إنما يريـــد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فأمر له بصلة . وقال المأمون لقارىء عنده : اقرأ . فقرأ : فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله . فأمر أن يجر برجله . دخل أبو النجم على هشام فأنشده :

الحمد لله الوهوب المجزل

فلما انتهى الى قوله :

وصارت الشمس كعين الأحول

قال هشام : أبي تعرض يا ابن اللخناء أخرجوه ، وكان هشام أحول ؛ وأنشده ذو الرمة :

ما بال عينك منها الماء ينسكب

وكان هشام ارمد فقال : لما ينزع الله بعينيك ، وطرده . وأنشد البحتري محمد بن يوسف :

لك الويل من ليل تطاول آخره

فقال : بل الويل والحرب لك ! واستنشد أبو دلف راشداً الكاتب بعض ما يرثي به ايره فأنشده :

ألا ذَهب الأير الذي كنتَ تعرِفُه

فقال : بل إمك التي كانت تعرفه .

النعي عن الوقيعة في السلطان :

سمع اعرابي انساناً يقع في السلطان فقال : يا فلان انك غفل وكأني بالضاحك لك باك عليك ! ودخل خالد بن صفوان على بلال بن أبي بردة حين ولي البصرة ، فلما ولي قال :

سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تقشّعُ

فقال بلال : اما انها لا تنقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد . ولما عزل احمد بن عثمان عن اصفهان قال له رجل في وقت خروجه : الحمد لله الذي اراحنا من بغضك ! فأمر بحبسه وقال لشهود كانوا معه : اشهدوا ان هذا في حبسي بحق ! فكان كلما ورد قاض وفتش عن امر المحبسين لم يعرف ذلك الحق الذي حبس به ، فبقي على ذلك زماناً حتى توصل الى تنجيز كتاب كتب منه بعد حين ، فاطلق . وقيل : ثلاثة ليس من حقها أن يحتملها السلطان : الطعن في الملك ، وافشاء السر ، والخيانة في الحرم .

الارجاف بالسلطان :

كان بعض الناس أرجف بعزل سلطان فأخذه وضربه ، فلما خلى عنه عاد الى اصحابه وقال : أما عرفتم تحقيق قولي ؟ لولا ذلك لما نكاه الخبر به ، فخلاه ، وقال : لو ترك الارجاف في موضع لتركه هنا . وخرج جماعة الى السلطان يطلبون شغلًا فلم يجدوا فقال بعضهم : تقوتوا الارجاف وانتظروا الدول . وقيل : الاراجيف تلقيح الفتن .

شاعر : أراجيف الأنام مخبِّراتٌ بأمرٍ كائن لا شكّ فيه

التحذير من مقاربة السلطان :

قيل للعتابي : لمَ لا تقصد السلطان فتخدمه ؟ فقال : لأني أراه يعطي واحداً لغير حسنة ولا يد، ويقتل الآخر بلا سيئة ولا ذنب ، ولست ادري اي الرجلين أنا ، ولست ارجو منه مقدار ما أخاطر به ، وهو الذي قال لامرأته :

أَسرّكِ أني نلتُ ما نالَ جعفرٌ مِنَ الملكِ أو ما نال يحيى بن خالدِ ؟

قالت : بلى . فقال :

وأن امير المؤمنين أغصني مغصّهما بالمرهفاتِ البواردِ ؟

قالت : لا . فقال :

ذريني تجئني منيتي مطمئنةً ولم أتجشم حول تلك المواردِ !
فإن جسيمات الأمور مشوبةٌ بمستودعات في بطون الأساودِ

أبو القاسم الدمشقي :

إن الملوكَ بلاءٌ حيثما حلّوا فلا يكنْ لك في أكنافِهم ظلُّ
إن جئتَ تنصحُهم ظنُّوكَ تخدعُهم واستثقلوكَ كما يُستثقل الكلُّ
فاستغن بالله عن أبوابهم أبداً إن الوقوفَ على أبوابهم ذلّ !

وقيل : احذر السلطان فانه يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ الأسد . وقيل : اياكم والسلطان فإنه فم الأسد ، وحمة الاسود . واتصل رجل بالمنذر بن ماء السماء ونادمه ، فنهاه صديق له عن ذلك وخوفه منه ، فلم يلتفت الى قوله ولم يسمع قوله ، فغضب المنذر عليه يوماً فقتله ، فقال فيه ذلك الصديق :

إني نهيتُ ابنَ عمَّارٍ وقلت له : لا تأمننَّ أحمرَ العينينِ والشَعَرِ
إن الملوكَ متى تنزلْ بساحتِهم تطرْ بثوبك نيرانٌ مِنَ الشَّررِ !

التحذير من الدخول في امر السلطان :

قيل : العاقل من طلب السلامة من عمل السلطان ، فإنه إن عف جنى عليه العفاف عداوة الخاصة ، وان بسط يده جنى عليه البسط السنة العامة . قال محمد بن السماك لصديق استشاره وقد دعي الى الدخول في عمل السلطان : يا أخي إن استطعت ان لا تكون لغير الله عبداً ، ما وجدت من العبودية بدأ فافعل . وقال عيسى بن موسى لعبد الرحمن بن زياد : ما يمنعك من زيارتي ؟ قال : إن أتيتك فاكرمتني فتنتني ، وان جفوتني حزنتني ، وليس عندك ما ارجوه ، ولا عندي ما أخافك عليه . وقيل : اذا لم تكن من قرباء الامير فكن من اعدائه .

حمد الانقباض عن السلطان :

قال الاحنف : لا تنقبضوا عن السلطان ولا تتهالكوا عليه ، فإن من أشرف له أذراه ، ومن تضرع له تخطاه . وقيل : انقبض عن السلطان ما أمكنك ، فالسلطان ذو عذاب وبدوات ، وهو في قلة وفائه لأصحابه وسخاء نفسه عمن فقد منهم مثل البغي والمكتب ، كلما ذهب واحد جاء آخر . كان النعمان دعا بحلة وعنده وفود العرب وقال : احضروا في غد فاني ملبس هذه الحلة أكرمكم . فحضر القوم إلا أوساً فقيل له : لمَ تأخرت ؟ فقال : ان كنت المراد فإني ادعى ، وإن كان المراد غيري فأجمل الاشياء أن لا أكون أنا حاضراً . فلما جلس النعمان ولم ير أوساً بعث اليه فقال : احضر وأنت آمن فاحضره وألبسه الحلة .

النهي عن الادلال على السلطان :

قيل : الدالة تفسد الحرمة وتهدم المنزلة . وقال هشام : ان فلاناً أدل فامل ، وأوجف فاعجف، ولم يدع ليرجع اليه مرجعاً . وقد مضى في الاخوانيات مثل ذلك .

مخالطة السلطان :

قيل : جاور ملكاً أو بحراً . وقيل : لم يعر من النوك من لم يخدم الملوك . وقيل : من كان وضيع الهمة لم يصبر لدى الملوك على الخدمة . وقال عبدالله : من نزع عنا لم ينتفع بنا . وقيل لبعضهم : لا تصحب السلطان فمثل السلطان مثل القدر ، من مسه سوّده ؛ فقال : لئن كان خارج القدر اسود فداخلها لحم كثير وطعام لذيذ !

المتبجح بمعاضدة السلطان :

قال الرشيد ليزيد بن مزيد في لعب الصوالج : كن مع عيسى بن جعفر . فأبى فغضب الرشيد وقال : أتأنف أن تكون معه ؟ فقال : حلفت على أن لا أكون على أمير المؤمنين في جد ولا هزل ! فسكن . قال بعض الخلفاء لجرير : إني أعددتك لامر . فقال : ان الله تعالى قد أعدّ لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطة بطاعتك ، وسيفاً مشحوذاً على عدوّك . وقال بعضهم : أنا أطوع لك من الردى وأذل لك من الحدا ! خطب عبدالملك يوماً وحث الناس على قتال ابن الزبير، فقام عدي بن أرطاة فقال : انا لا نقول ما قال قوم موسى لموسى عليه السلام : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكنا نقول : إنا معكم مقاتلون !

التمدح بمتابعة السلطان :

أنشد سلم بن قتيبة قول حطابط :

أسودُ فأكفي أو أطيعُ المسوّدا

فقال : ما أدري أي هذين أشرف ؟ فقال بعض أهل المجلس : هذا فانه اذا مات السيد يكون مكانه ، ولو هارّه وشارّه ما كان ليجعل مكانه . فقال : صدقت .

حاتم : أسوّدُ ذا الفعالِ ولا أبالي على أن لا أسودَ إذا كفيتُ

وقال آخر :

لعمرُكَ ما إن أبو مالكٍ بواهٍ ولا بضعيفٍ قُواهْ
إذا سُسْتَهُ سُستَ مطواعةً ومهما وكّلتَ إليه كفاهْ !

الانخراط في سلك السلطان في جده وهزله :

دخل الشعبي على بشر بن مروان وفي حجره عود فقال الشعبي : أصلح المثنى . قال بشر : أتعرف؟ قال : نعم ولك عندي ثلاث : الستر لما أرى ، والشكر لما يكون منك ، والدخول في ما لم يجمع على تحريمه . ودخل شاب من بني هاشم على المنصور فاجلسه ودعا بغدائه وقال للفتى : ادن فقال : تغديت . فلما قام دفع الربيع في قفاه وأخرجه ، فجاء عمومته يشكون من الربيع الى المنصور فقال: إن الربيع لا يقدم على مثل ذلك إلا وفي يده حجة ، فليدع وليسأل فسئل فقال : دعاه أمير المؤمنين إلى طعامه فقال قد تغديت ، فاذاً ليس عنده ان التغدي مع أمير المؤمنين أيسر ما فيه سد الجوعة، ومثله لا يقومه المقال دون الفعال . وقيل : السلطان سوق والناس يجلبون اليها ما ينفق فيها .

الممتنع من اداء المال الى السلطان :

ولي بعض العمال كورة فأحضر رجلاً كان معروفاً بكسر الخراج ، فقدم الى عونين ينتقان سباله الى أن يؤدي الخراج ، فقال الرجل : أؤديه اليوم . قال : وخراج أهل بيتك ؟ قال : افعل . قال: وخراج شركائك ؟ فنظر الى العونين وقال : انتفا على بركة الله فان الرجل أحمق ! ولما طلب يوسف بن عمر خالداً القسري قال : قد علمت أن الذي تطلبه ليس بحاضر وانه لمتبدد عند الناس ، فاجمع الناس لي وائذن لي في الخروج اليهم لأكلمهم ، واسأل من عنده شيء ليرده ، فأمر بأن يخرج الى الناس فخطب خطبة وقال : أيها الناس قد علمتم ولايتي وسيرتي ، وانما كنت عاملاً لهشام وما له عندي تبعة ، وها هو قد سلط علي يوسف بن عمر وطالبني بمال ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب أن من عنده وديعة فهو منها في حل ، وكل مملوك لي فهو حر ، ومن أسديت إليه صنيعاً فأنا نادم على تقصيري حيث لم أضعه له ! وقال شاعر :

وقولا لهذا المرء ذو جاء ساعياً هلم فإن المشرفيّ لقاض

المتغير على السلطان لفظاً :

بعث يزيد عبدالله الاشعري الى ابن الزبير فقال له : إن أول أمرك كان حسناً فلا تفسده بآخره ! فقال عبدالله ، رضي الله عنه : ليس ليزيد في عنقي بيعة . فقال : ولو كان له في عنقك بيعة كنت تفي بها ؟ قال : أي والله ! فالتفت الى الناس فقال : معشر الناس قد بايعتم ليزيد ، وهو يأمركم بالرجوع عن بيعته ، وهو لا يرتضي الرجوع عنها . فقالوا لابن الزبير : كيف رأيت هذا الخلع الخفي؟ وقال معاوية لامرأة من الخوارج : أخرجي المال من تحت استك . فقالت لمن حضر : أسألكم بالله أهذا من كلام الخلفاء ؟

المتهدد بالخروج عن الطاعة والمتبجح بذلك :

قال عبدالملك : عجباً لخالد بن عبدالله ! وليته البصرة وأمرته أن يجرد السيف ويمنع المال ، فبذل المال وأغمد السيف . فقال عبدالرحمن بن حسان : لو جرد السيف لوجد سيوفاً مجردة ، ولو منع المال لوجد أيدياً منازعة .

الفرزدق : ولا نلينُ لساطانٍ يكايدُنا   حتى يلين لضرسِ الماضغِ الحجرُ

الاوسى : وما زلنا جحاجحةً ملوكاً   تدينُ لنا الملوكُ ولا نُدينُ

المتنبي : تعزَّزَ لا مستعظماً غيرَ نفسه   ولا قائلًا إلّا بخالقِهِ حُكما

الحث على مصابرة السلطان :

قيل : من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطرح الانفة ، وصل الى حاجته . حكي انه وجد مكتوب على باب هراة : بدر بادشاه كاربو آيد آخر الامر دادزنك زدايد ، أي انما يرتفع الامر على باب الملوك بالبذل والعقل والتثبت . فكتب بعضهم تحته : من كان معه هذه الثلاثة فهو مستغن عن السلطان . ونحو ذلك ما روي أن أبا العيناء عتب على بغا ، فتقضاه فقال بغا : أما علمت أن من طالب السلطان احتاج إلى عقل وصبر ومال ؟ فقال : لو كان لي عقل عقلت عن الله أمره ونهيه ، أو صبر صبرت عن السلطان حتى يأتيني رزقي ، أو مال لاستغنيت به عن بابك والوقوف بجنابك ! وقيل : من صحب السلطان احتاج إلى الصبر على قسوته صبر الغواص على ملوحة ماء بحره.

أمارات السلاطين لندمائهم اذا أرادوا نهوضهم :

كان لكل ملك أمارة يستدل بها أصحابه اذا أراد أن يقوموا عنه ، فكان ازدشير اذا تمطى قام سماره ، وكان كيشاسف يدلك عينيه ، ويزدجرد يقول شب بشدو بهرام يقول خرم خسفاذوسابور يقول حسبك يا انسان وابرويز يمد رجليه ، وقباذ يرفع رأسه الى السماء ، وأنوشروان يقول قرت أعينكم[1] وكان عمر يقول : قامت الصلاة ، وعثمان يقول : العزة لله ، ومعاوية يقول : ذهب الليل، وعبدالملك يقول : اذا شئتم ، والوليد يلقي المخصرة ، والرشيد يقول : سبحان الله ، والواثق يمس عارضيه . وحكي عن بعض البخلاء انه سئل : ما أمارتك لقيامنا ؟ قال: قولي يا غلام هات الطعام .

---

(١) شب بشد : معناه : مضى الليل . خرّم وزان سكر : معناه المسرور وطيب الوقت ومستريح الحال . وخسفاذ : معرب خوش باد . سابور : معرب شاهبور . وكيشاسف : معرب كشتاسب ، بضم الكاف الفارسية ، وهو من الكيانية كما في ص ٣٤ من أول تتمة المختصر . ابرويز : معرب برزيز . يزدجر : معرب يزدكرد كان ظالماً فلذا تقول له الفرس بزهكار ، والعرب تقول له يزدجرد الأثيم . قباذ : معرب قباد ؛ قاله محمد عارف وكيل جمية المعارف .

ومما جاء في القضاء والشهادة

مدح القضاء وذمه :

قال النبي ﷺ : القضاة ثلاثة ، اثنان في النار وواحد في الجنة ، فاللذان في النار أحدهما من يقضي ولم يعلم ، والآخر من يعلم فيقضي بغير الحق ، وأما الذي في الجنة فهو الذي يعلم ويقضي بالحق . وقال ﷺ : ان مع القاضي ملكين يسددانه ويوفقانه ، فان عدل أرشداه وأعاناه ، وان جار قذفاه في النار . وقيل : المذموم من القضاة من سعى في طلبه . وقال ﷺ لعبدالرحمن ابن سمرة : يا عبدالرحمن لا تسأل الامارة ، فانك إن سألتها وكلت إليها ، وان سئلتها أعنت عليها . وقال ﷺ : من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين ! ورُوي عنه ﷺ انه قال : شكت بقعة من الارض الى ربها انها جعلت حشا ، فاوحى الله اليها أمـــا ترضين أني لم أجعلك بقعة قاض ؟ وكان ابن شبرمة يقول : يا جارية ، هاتي غذائي لاخرج الى بلائي .

الممتنع من تولي القضاء :

أمر المنصور أبا حنيفة رحمه الله أن يتولى القضاء فقال : لا أصلح لذلك ! فقال : انك تصلح . فقال : ان كنت صادقاً فلا يجوز لك أن توليني ، وإن كنت كاذباً فقد فسقت ! فقال : والله لتلين. فقال : والله لا وليت ! فقال حاجبه : أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف . فقال أمير المؤمنين : أقدر على الكفارة مني . قيل : لما مات عبدالرحمن بن أذينة ذكر أبو قلابة للقضاء ، فهرب حتى أتى الشام فوافق ذلك عزل قاضيها ، فهرب حتى أتى اليمامة ، فقيل له في ذلك فقال : ما وجدت مثلًا للقاضي العالم الا مثل رجل سابح وقع في بحر ، فكم عسى يسبح حتى يغرق ؟

الممدوح بترك الميل والعفة والحلم :

اختصم الى زياد رجلان فقال احدهما : ان هذا يدل بحرمة له عندك . فقال : صدق وسأجزيه بما ينفعه من ذلك ، إن كان الحق له عليك آخذك به ، وإن كان الحق لك عليه أقضي عليه . ثم أقضي عنه من مالي . وولى اسماعيل بن احمد قاضياً عفيفاً فكلفه يوماً أن يقبل رجلًا لم يكن عنده عدلاً ، فامتنع عليه فقال له : ما أثقلك من بين القضاة ! فقال : اعزلني إن كنت ثقيلًا ! فقال : قد عزلتك ! فتناول القاضي قلنسوته من على رأسه فجعلها في كمه وخرج . فندم اسماعيل على ذلك فرده وسأله ان يتولّى فأبى عليه . ولما استعفى شريح الحجـــاج من قضاء العراق قال : والله لا أعفيتك أو تدلني على من اذا غضب على الخصوم رجع به حلمه عن الهجوم ، ومن اذا دعاه كثرة المال لم ينهضه اليه سوء الحال . فقال : أدلك على شريف عفيف يمنعه شرفه من التسلط عليه ، وتحجبه عفته عن التملق ؟ قال : من هو ؟ قال : ابن أبي موسى الاشعري ! فأحضره وولاّه . قال الزهري :

ثلاث اذا كن في القاضي فليس بقاض : اذا كره اللوائم ، وأحب المحامد ، وخاف العزل ؛ وبه ألمّ الشاعر في قوله :

سيان في الحكم شاكيه وشاكرهُ　　مِن الأنامِ وهاجيهِ ومُطريهِ

كون الحاكم مرضياً ومسخوطاً :

قيل لشريح رحمه الله : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت ونصف الناس علي غضبان ! وقال رجل لشريح : قضيت علي بالجور وليدخلنك الله النار ! قال : اذاً يدخلها سبعة قبلي : مَن ولاني ، ومَن علّمني هذا الحكم ، ومَن جاء بك مدعياً ، والشاهدان والمزكيان .

حث الحاكم على التسوية بين الناس :

قال الله تعالى : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون . وقال ايضاً : فأولئك هم الفاسقون . وقال : أن احكم بينهم بما أنزل الله . وقال أبو وائل : سمعت عماراً يقول في بعض القضاة : كان كافراً فقلت : ما تقول ؟ فقال : ان الله تعالى يقول « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » وقال بعضهم : رضا الناس غاية لا تدرك ، فتحرّ الخير بجمدك ، ولا تكره سخط من يرضيه الباطل . وكان زيد بن ثابت يقضي لعمر رضي الله عنه بالمدينة ، فتقدم اليه عمر مع ابي في حد تنازعاه فخرج اليهما فقال : السلام عليك يا امير المؤمنين ههنا ههنا ، ثم توجهت اليمين على عمر فقال زيد لأبي : أعف امير المؤمنين من اليمين ! فقال له عمر : ما زلت جائراً منذ اليوم ، السلام عليك يا امير المؤمنين ، وههنا ههنا ، واعف امير المؤمنين . وكتب عمر رضي الله عنه الى قاض : احكم بين أهل الحق بالحق ينفعك يوم الحق ! وقيل : لا ينبغي للحاكم أن يسمع شكية أحد الخصمين دون الآخر . وفي المثل : من يأتِ الحكم وحده يفلح . وقال سلمة بن حوشب :

نبِّئت أن حكّموك بينهم　　فلا يقولَنْ بئسما حكما
ان كنت ذا عرفةٍ بشأنهم　　تعرف ذا حقّهم ومَن ظلما
ولا تبال من المحق المبطل لا　　إلّاً ولا ذمما
فاحكمْ فأنتَ الحكيمُ بينهم　　إن يعدوا الحقّ يابساً صنما
واصدع اديمَ السوادِ بينهم　　على رضا مَن رضي ومن رغما

حث الحاكم على تقليل الكلام :

عزل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه قاضياً وقال : بلغني ان كلامك اكثر من كلام الخصمين ! وكان أبان يقلل من الكلام فقيل له في ذلك فقال : ان من كان كلامه حكماً ، فحق عليه ان يتبلم ولا يتكلم الا فيما يعنيه .

من استعمل دهاء في امر :

أودع رجل آخر مالاً وحج ، فلما رجع طلبه منه فجحده ، فأتى اياساً فأخبره فقال له اياس : هل علم انك أتيتني ، قال : لا . قال : فانصرف واكتم أمرك وعد إليّ بعد يومين . فدعا اياس المودع وقال له : قد حضر مال واريد ان ادفعه اليك ، فحصّن منزلك وأحضر قوماً ثقاتاً يحملونه . ودعا اياس صاحب المال فقال له : إمض الى صاحبك واطلب منه المال ، وقل له ان لم ترده شكوتك الى القاضي . فذهب الرجل وطلب ماله ، فرده عليه ، فأخبر اياساً بذلك فضحك . واختصم رجلان الى القاضي شريح في ولد هرة فقال أحدهما : هي ابنة هرتي ، وقال الآخر كذلك ، فقال شريح : ضعوها قدامها فأيها هرت وازبأرت وفرت فليست لها ، وأيها قرت واسبطرت فهي لها . فقرت احداهما فدفعها اليه .

من لا يغضي في الحكم على حق :

أتي المأمون برجل وجب عليه حد ، فأمر بضربه فقال : قتلت ! قال : الحق قتــلك ! قال : ارحمني . قال : لست بأرحم ممن أوجب الحد عليك . وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة : جزاك الله خيراً فقد سويت بين الناس ، حتى كأنك من كل أحد وكأنك لست من أحد . وقال بعضهم : غصبني بعض قواد الاتراك ضيعة أيام المعتز ، فتظلمت فلم ينصفني ، فلما ولي المهتدي جلس يوماً للمظالم فتظلمت اليه فأحضر خصمي فقضى لي عليه ، فقلت : جزاك الله خيراً فأنت كما قال الاعشى :

حكّمتموهُ فقضى بينَكم أبلج مثـل القمرِ الزاهرِ
لا يأخذُ الرشوة في حكمِهِ ولا يبالي غبنَ الخاسرِ

فقال : أما شعر الاعشى فلا أدري ، ولكني قرأت قوله تعالى : ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . فبكى اهل المجلس كلهم .

حث الحاكم على الاجتهاد :

قال النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه الى اليمن : بمَ تحكم ؟ قال : بكتاب الله تعالى . قال : فان لم تجد فيه ؟ قال : بسنة رسول الله . قال : فان لم تجد فيها ؟ قال : اجتهد برأيي . وأراد معاوية رضي الله عنه أن يستعمل عبدالرحمن بن خالد فقال : كيف تعمل ؟ قال : اعمل برأيك ما لم يجاوز الحزم ، فان جاوزه عملت برأيي ؛ فولاّه .

حث الحاكم على الصلح فيا يشتبه :

كتب عمر رضي الله عنه الى معاوية : عليك بالصلح ما لم يبن فيه فصل القضاء . وكتب الى أبي موسى الاشعري : الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً ، أو حرم حلالاً . ولصالح ابن الزيات عاملاً على مال فطالبه به فقال : أظلم وتعجيل ؟ فقال ابن الزيات : أصلح وتأجيل ؟

من قطع الحكومة بالتهور :

وُلّي أعرابي ناحية فخطب : ألا إني لا أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما عقوبة ! فتعاطى رعيته بينهم الانصاف ولم يترافعوا اليه في حق ولا باطل ، حذراً من عقوبته وكان بعض الولاة إذا اشتبه عليه حكم حبس الخصمين حتى يصطلحا ، ويقول : دواء اللبس الحبس .

من عارض الحاكم في حق ادعاه عليه حتى أدركه منه :

قال ابن الزيات لرجل ادعى عليه في مجلس الحكم وقال : غصبني وكيلك ضيعة لي وحازها الى أرضك ، فقال ابن الزيات : تحتاج فيما تقوله الى شهود وبينة واشياء كثيرة . فقال الرجل : الشهود هي البينة واشياء كثيرة عيّ منك فأمر برد ضيعته . وناظره رجل في شيء فقال له : اخرج من داري . فقال : ما هي بدارك إنما هي دار امير المؤمنين وأنت عبده ! فقال : نعم هي لامير المؤمنين فاخرج منها صاغراً ! فقال الرجل : قد بذلها امير المؤمنين للعامة ، وجعلها مجمع الخصوم ومنصف المظلوم ، فلا أبرح إلا بنصفه ! فقال : صدقت ! وأنصفه . وتظلم رجل من وكيل كسرى بأنه اخذ ضيعة له فقال له كسرى : قد أكلت ارتفاعها أربعين سنة فدعه يأكله سنتين ! فقال الرجل : فسلّم ملكك الى بهرام جور يأكله سنة ، فقد أكلته سنين كثيرة ! فأمر بضرب رقبته ، فقال : أيها الملك دخلت بظلمة وأخرج بظلمتين ! فأمر برد ضيعته وأرضاه . وادعى رجل على آخر بحضرة قاض ، فطالبه بالشاهدين وقال : مالك سبيل الى ما تدعيه إلا بشاهدين . فقال الرجل متمثلاً بهذا البيت :

وبايعتُ ليلى في خلاء ولم يكن شهودي على ليلى عدولٌ مقانعُ

فتلطف القاضي في اخذ اقرار المدعى عليه وألزمه الحق .

من انقاد للحكم من السلاطين :

قد تقدم خبر عمر مع أبي بن كعب رضي الله عنهما ، وكان علي رضي الله عنه تحاكم مع رجل فشهد له قنبر ، فقال شريح : يا امير المؤمنين خادمك وفي عداد عيالك لا شهادة له ؟ فقال علي : وما أنت وهذا ! اعتزل عملنا . فعزله ثم رأى أنه اصاب فردّه من الغد . وجلس المأمون يوماً للمظالم فدفع اليه رقعة فيها مظلمة من امير المؤمنين فقال لصاحبها : ما ظلامتك ؟ قال : ثلاثون الف دينار اشترى سعيد وكيلك مني جواهر بها ولم يوف ثمنها لي . فقال : كلامك هذا محتمل يجوز أن يكون وفره ، ويجوز أن يكون اشتراه لنفسه ، ويجوز ان يكون أخذ مني الثمن ولم يدفعه اليك . فقال الرجل : أنت أولى الناس بالانصاف ، احملني على سنة النبي ﷺ : البينة على المدعي ، واليمين على المدعى عليه ، وقد عدمت البينة فقال : نعم ، ودعا بيحيى قاضيه فلما دخل قال له : اقض بيننا . فقال : لا أفعل انك لم تجعل دارك مجلس قضائي . فقال : قد جعلت . فأذن للعامة فخرج المأمون ومعه غلام يحمل مصلّى فطرحه له ، فقال يحيى : لا تأخذ على خصمك شرف المجلس فدعا له بمثله ، فادعى

الخصم فقال يحي : ألك بينة ؟ قال : لا فما بعد البينة ؟ قال : يمينه . فقال للمأمون : أتحلف ؟ قال : نعم . فاستحلفه فحلف ، ثم قال المأمون : أدفع اليه ما ادعاه والله ما حلفت فجرة ، ولكن خوفاً من الرعية لئلا يقدروا أني منعته بالاستطالة .

نهي الحاكم عن قبول الهدية :

قال الله تعالى : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام . وقال النبي ﷺ : لعن الله الراشي والمرتشي ! وتخاصمت امرأة من قريش ورجل الى عمر ، وكانت المرأة اهـــدت الى عمر فخذ جزور وقالت : افصل القضاء بيننا كما يفصل الجزور ؟ فقضى عمر عليها وقال : اياكم والهدية ! وقال بعضهم : كنت في طريق مكة فإذا اعرابي يختصم اليه الناس فيقضي بينهم بالحق ، فلما تفرقوا قلت : أخذت العلم عن أحد ؟ قال : لا . قلت : فما هذا الفهم ؟ قال : بوفق الله . قلت: أرأيت لو تحاكم اليك اثنان فاهدى اليك أحدهما أكنت تقضي له ؟ فقال : اذاً لا ينزل التوفيق . وقد تقدم من ذلك أخبار في باب الولايات .

من مال الى أحد الخصمين لاجل هدية :

اختصم رجلان إلى حاكم فدنا منه أحدهما وقال : قد وجهت الى دار القاضي فراريج كسكرية وحنطة بلدية وشهدة رومية ! فقال القاضي بصوت رفيع : قم يا بارد اذا كانت لك بينة غائبة فانتظرها ليس هـذا مما يسار فيه ! وقيل : الحاكم شيطان ، ونعم الرقي الرشا . وتحاكم رجلان الى المغيرة الثقفي قاضي الحجاج فاهدى أحدهما منارة والآخر بغلة ، فرأى صاحب المنارة ظلع القاضي مع صاحبه، فأراد أن يذكر القاضي فقال : أمري أضوأ عند القاضي من سراج على منارة عظيمة ، ففطن القاضي لقوله فقال : اسكت فإن البغلة رمحت المنارة فأطفأت نورها ! وقال قاض :

اذا ما صبّ في القنديلِ زيتٌ ... تحولتِ القضيةُ للمقندِلِ

حث متحكم على اعطاء الرشوة :

ابن طباطبا :

يا خليلي يا أبا الغيثِ دركْ ... نصبَ القاضي لك اليومَ شَركْ
طلب البرطيلَ فابذلْه لَهُ ... يسكت القاضي وإلّا ذكركْ !
لا يهولنك دنيتــه ... أعطِهِ من رشوةٍ ما حضَركْ !

المهجو بأخذ الرشوة :

ذكر اعرابي حاكماً فقال : يقضي بالعشوه ويطيل النشوه ويقبل الرشوه ! ابن طباطبا في أحمد بن عثمان البري :

وفينا عاملا عدلٍ وجور هما حلفا انبساطٍ وانقباضِ
فوالى حربنا في وصف قاض وقاضينا عَقابٌ ذو انقضاضِ

واتفق أن وافى اصبهان عليلا فاحتجب أياماً ، وحضر فيل فكثرت النظارة عليه ، فمنع عنه الناس الا ببذل فقال ابن طباطبا :

شيئانِ قد حارَ الورى فيهما بأصبهان : الفيلُ والقاضي
ليس يرى هذا ولا ذا فكَمْ مِن ساخطٍ منا ومن راضِ
الفيلُ يرشى عند سنديّهِ فأين سنديّكَ يا قاضي ؟

البسامي : إذا أهل الرشا صاروا إليه فاحظى القوم أوفرُهمْ بضاعَهْ
فلا رحم يقربُهم إليهِ سوى الورقِ الصحيح، ولا شفاعه
وليس بمنكرٍ هذا لديه لان الشيخَ أفلتَ مِن مجاعَهْ

قاض مستول على المواريث :

جاءت امرأة الى قاض فقالت : مات زوجي وترك أبويه وولداً وامرأة وأهلا ، وله مال فقال: لابويه الثكل ، ولولديه اليتم ، ولامرأته الخلف ، ولاهله القلة والدلة ، والمال يحمل إلينا حتى لا تقع بينكم الخصومة !

المهجو من القضاة باللواطة :

قال المأمون ليحيى بن اكثم يعرض به من الذي يقول :

قاض يرى الحدَّ في الزناء ولا يرى على مَنْ يلوطُ من باسِ !

فقال : يا أمير المؤمنين هو الماجن أحمد بن أبي نعيم الذي يقول :

أميرُنا يرتشي ، وحاكمُنا يلوطُ ، والرأس شر ماراسِ
لا أحسبُ الجورَ ينقضي وعلى الأمةِ والٍ مِن آل عباسِ !

فقال : هذا ينبغي ان ينفى إلى السند ! وقال آخر :

ألا لله درُّك أي قاضٍ سبته المرْدُ بالحدقِ المراضِ ؟

عبدان : لنـا قاض له وجْـهٌ عـلى أخذِ الرشا عابِس !
ولكن أيرهُ ايرٌ يدق الرطبَ واليابس !

المهجو منهم بالابنة أو الكشح :

لما استولى الناصر على طبرستان فوض إلى عبدالله بن المبارك القضاء ، وكان يرمي بالابنة ، فقال: يا أمير المؤمنين أنا أحتاج إلى رجال أجلاد يعينونني ! فقال : قد بلغني ذلك . وقال بعضهم :

أنا أعرفُ للقاضي الذي يقضي بسامرّا
غلاماً أشقرَ اللونِ يجرُّ رمحـه جرّا
يشد البغلَ في الخـانِ ويلقي خرجـه برّا

وقالت امرأة لزوجها : لأشكونك إلى القاضي . فقال الرجل : الحل علي حرام ثلاثاً ان لم أكن نكت القاضي ! فولولت المرأة وذهبت الى القاضي وقصت عليه القصة فقال : ارجعي الى داره فقد كان عارماً في صغره . فقالت : ناكك ورب الكعبة !

ابن عروس :

وخبرت أنك قاضي البلاد فسبحان مَن حكمُه يعدلُ
وكيف يدبّر أمر البلاد فتىً أمر منزلِهِ مهمَلُ ؟
كفى مِنْ تواضعه أنه لسائسِه أبـداً أسفَلُ

المهجو منهم بالجهل :

قال الصاحب في قاض : يخبط العشواء ، ويحكم حكم الورهاء ، ويناسب أخلاق النساء . ورفع الى المأمون في قاض : ان فلاناً بعض الخصوم ! فوقع : ليشنق ، ونحوه كان أحمد بن الخصب ضجر ممن يناظره ، رفسه ، فقال فيه شاعر يخاطب المنتصر :

قل للخليفة : يا ابن عمّ محمدٍ أشكل وزيرَك إنه ركّالُ
قد نال من أعراضنا بلسانِه ولرجله عند الصدور مجال

المصيصي : أفّ لقاض لنا وقاح أضحى بريئاً من الصلاح !
وليس في الرأسِ منهُ شيء يـدور إلا أبو رياح

من يحكم وهو الظالم :

شاعر : والخصمُ لا يُرتجى النجاح له يوماً اذا كان خصمُه القاضي

وقال آخر : ومن المظالم إنْ وليت على المظالم يا فزاره

وحكي ان ملكاً خرج له خراج عجز الاطباء عن معالجته فقال يوماً : انكم تغشونني فإن داويتموني والا قتلتكم ! فأجمعوا على أن يقولوا إن دواءك أن تأخذ صبياً من أبناء العشر ، فيأخذ أحد أبويه رأسه والآخر رجليه وتذبحه على جرحك فتشرب دمه ، بطيب نفس منهما ، وقالوا : قد تحققنا انه لا يوجد ! فقال : اطلبوا من يأتيني بابن هكذا ، فأمر فنادوا في البلدان ، فاتفق ان رجلاً كان اذا ولد له ولد وبلغ عشر سنين يموت لا محالة ، وكان فقيراً ، وكان له ابن شارف العشر فقال لامرأته : تعالي نحمل هذا الابن الى الملك ونأخذ المال ، فإن هذا يموت لا محالة ، فرضيا بذلك وحملاه اليه وأخذ أحدهما برأسه والآخر برجليه ، وأخذ الملك السكين ، فلما همّ بذبحه ضحك الصبي فقال الملك : مم تضحك وأنت مقتول ؟ فقال : رأيت الصبي أحنى الخلق عليه أمه ، ترضعه وتقيه بنفسها ثم أبوه يحميه ، واذا كبر فالملك يتولى أمره ، وقد رأيتكم ثلاثتكم اجتمعتم على قتلي فإلى من المشتكى ؟ فتوجع الملك لقوله ورمى بالسكين ، فانفجر جرحه لما دهمه وبرأ ، فخلى سبيل الصبي وتبناه . وقال رجل لقاض : لئن هملجت الى الباطل انك عن الحق لقطوف .

النهي عن التعرض للقضاة :

قيل : لا تعادوا القضاة فيختاروا عليكم الاقاويل ، ولا العلماء فتضع عليكم المثال .

المفتتن منهم بامرأة تحاكمت اليه :

خاصمت امرأة صبيحة زوجها الى الشعبي ، فمرت بالمتوكل الليثي في منصرفها وقد قضى لها على زوجها . فقال :

فُتن الشعبيّ لما رفع الطرفَ إليها
فتنته ببنانٍ وبخطى حاجبَيْها
فقضى جوراً على الخصمِ ولم يقضِ عليها
كيف لو أبصرَ منها نحرَها أو ساعدَيها ؟
لَصَبا حتّى تراهُ ساجداً بين يديها !

فولع الناس بهذه الابيات وتناشدوها ، حتى اضطر الشعبي الى الاستعفاء من القضاء . وقدم رجل امرأة حسنة النقبة إلى القاضي فقال : يعمد أحدكم الى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسيء اليها ! ففطن الرجل بحال القاضي ، فعمد الى نقابها فاسفره ، فرأى القاضي وجهاً وخشاً فحكم عليها ، وقال : قومي لعنك الله ! كلام مظلوم ووجه ظالم ، فقال زوجها :

قومي الى رحلك أمّ حاتمِ   قد كدتِ تسبين فؤاد الحاكمِ
بنطق مظلوم ووجه ظالمِ

طرف من سخافة القضاة :

اختصم رجلان الى قاض كل واحد منهما يقول : امرأتي أحسن . فتقامرا وأحضراهما لديه ، فقال القاضي لأحدهما : لأن أنيك امرأتك في استها أحب إليّ من أن أنيك امرأته في فرجها ! وتقدم رجل مع خصمه الى قاض وقال : هذا جاء عام الاول فخرق ثيابي وضربني ، وجاء العام وفعل ذلك أيضاً ، فقال القاضي : هذه سنة قد جرت له كل سنة . وجاءت امرأة مع زوجها إلى قاض وقالت : إنه لا يضاجعني ! فقال الرجل : أنا عنين ! فقالت المرأة : إنه يكذب . فقال القاضي : اخرج ايرك لامرسه. فتناول القاضي غرموله وأخذ يمرسه ولا يتحرك ، وكان القاضي أعور دميماً فقالت المرأة : أيها القاضي لو رأى ملك الموت وجهك لمات من قبحه ، ادفعه الى غلامك ليمرسه ! وكان غلامه صبيحاً فقال القاضي : يا غلام تعال واغمز ايره ، فجاء الغلام وأخذه ، فما طفق ان امتد واشتد فقالت : اعط القوس باريها ! فقال القاضي : يا كشحان دونك وامرأتك ولا تطمع في نيك غلمان القضاة ! وجاءت امرأة الى قاض وقالت : ان زوجي اذا قدمت اليه المائدة قلب الخوان وأكل على ظهرها ، فقال القاضي : دعه يأكل كيفما أراد ، فقالت : إنما عنيت أنه لا يأخذ في الطريق المستوي . فقال : دعه يمشي كيف شاء فالارض كلها لله ! فقالت : انما عنيت انه ينيكني في استي يا أحمق فقال طيب والله! فقالت : قطع الله ظهرك من بين القضاة . وكان بحمص قاض يحكم اليوم في شيء بحكم وفي غد يحكم في مثله بخلافه ، فقيل له في ذلك فقال : القضاء بخوت وأرزاق من رزق شيئاً أخذه . وأراد أعمى أن يتزوج بامرأة فاحضرها مجلس القاضي فقال : كم مهرها ؟ قال : أربعمائة . فقال للمرأة : اكشفي عن وجهك . فكشفت فقال : انها تساوي أكثر من ذلك فانها صبيحة . فقال الاعمى : ان كان للقاضي زيادة فبارك الله له فيها فانه أولى بها ! وجاءت امرأة الى القاضي مع زوجها تطلب نفقتها منه فقال الزوج : أيها القاضي هذه مغنية ، ومتى كانت نياحة فنواحة ، وليس لي كسب . فقال للمرأة : التزمي نفقته يا فاعلة ! فقالت : وهل في الحكم هذا ؟ قال : نعم لو كنت مكانه لنكتك وأخذت جذرك! فقال الزوج : فديتك يا جوهر القضاة فافعل الساعة ! وكان بلال بن أبي بردة أول من جار في الحكم وكان يتقاضى اليه الرجلان فيقضي لاحدهما بلا بينة ، ويقول : وجدته أخف على قلبي من صاحبه !

من رد القاضي شهادته فعارضه بما عدل به :

شهد معلم عند سوّار فقال : لا أجيز شهادتك . قال : ولمَ ؟ قال : لانك تأخذ على كتاب الله تعالى الاجرة ، فقال : وأنت تأخذها على القضاء ، فقال : أنا أكرهت ! فقال : هب أنك مكره على القضاء هل أكرهت على أخذ الاجرة ؟ فاجاز شهادته . وشهد آخر عند سوار بسبة فقال : من أين علمت ؟ قال : من حيث علمت انك سوار بن عبدالله . وشهد قوم عند شبرمة بقراح فيه نخل ، فسألهم : كم فيه من جذع ؟ قالوا : لا ندري . فأراد أن يرد شهادتهم فقال أحدهم : أيها القاضي كم من اسطوانة في هذا المسجد ؟ فقال : لا أدري . فقال : كيف وأنت تحكم فيه منذ كذا وكذا سنة ؟ فاجاز شهادتهم .

من رد القاضي شهادته بلطف :

قال المهدي لشريك وعنده عيسى بن موسى : إن شهد عندك هذا هل تقبل شهادته ؟ وأراد أن يوقع بينهما فقال شريك : من شهد عندي سألت عنه . فإن زكي أجزت شهادته ، وعيسى لا أسأل عنه غير أمير المؤمنين ، فان زكاه قبلته . وهذا عكس على السائل كما حكي عن أبي حنيفة رحمه الله قال : كنا نأتي حماد فلا ننصرف عنه الا بفائدة فقال يوماً اذا وردت على أحدكم مسألة معضلة فليجعل جوابها منها ! فما رأيت قوله شيئاً حتى دخلت يوماً دار المنصور فخرج الربيع وسألني ممتحناً أفتني في رجل أمرني أمير المؤمنين بقتله أعليّ في طاعته حرج ؟ فذكرت قول حماد فقلت : أليس يأمرك أمير المؤمنين بحق رآه ؟ قال : نعم . فقلت : افعل فكل حق يأمرك به لا حرج عليك فيه . وشهد الفرزدق عند قاض فقال : قد أجزنا شهادة أبي فراس فزد في شهودك . فلما انصرف الفرزدق قيل له: قد ردّ شهادتك ! فقال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف محصنة ؟ وأتى وكيع اياس بن معاوية ليشهد عنده فقام اليه وقال : ما جاء بك يا أبا المطرف ؟ قال : أقيم شهادة لجار لي . فقال : حاشاك أن تشهد كما يشهد الموالي والتجار والسقاط ! قال : صدقت ، فانصرف عنه .

من ردت شهادته لبلهه :

قال سوار : لا أعلم أحداً أفضل من عطاء السلمي ، ولو شهد عندي بفلس ما أجزت شهادته لانه ليس بحازم . وقال كثير من الفقهاء : لا تقبل شهادة الوهم ، والابله لا شهادة له .

من عارض من الخصوم الحاكم في الشاهد عليه فرد شهادته :

شهد رجل عند شريح فقال المشهود عليه : أتقبل شهادته وان أحب الاشياء اليه الخبز واللحم ؟ فتوقف في امضاء شهادته فقيل له : لمَ توقفت ؟ فقال : انه يعني انه يشهد بأكلة . وشهد رجل عند سوار بمال على آخر فقال سوار : أتارس أم رامح ؟ فقال : تارس . فقال : ذاك شر له سأعيد المسألة عنه وانما أراد انه مأبون . فتعجب الحاضرون من حيلة الرجل وفطانة سوار لمراده .

الممتنع من اقامة شهادة زور :

ستشهد محمد بن الفرات أيام وزارته على بن عيسى بغير حق فلم يشهد له ، فلما عاد الى بيته إليه : لا تلمني على نكوصي عن نصرتك بشهادة زور ، فانه لا اتفاق على نفاق ولا وفاء لذي مين واختلاق ، وأحرى بمن تعدى الحق في مسرتك اذا رضي أن يتعدى الباطل في مساءتك ! وكان المتنبي أشار الى هذا المعنى بقوله :

لقد أباحك غشاً في معاملةٍ ... من كنتَ منه بغير الصدق تنتفعُ

شهود زور :

قال سهل بن دارم : كان بالبصرة شيوخ يشهدون بالزور ، وشرط بعضهم درهم ، وآخرون يشهدون وشرطهم أربعة ، وآخرون شرطهم عشرون درهماً ، فسألت عن ذلك فقال أصحاب الدرهم : يشهدون ولا يحلفون ، وأصحاب الاربعة يشهدون ويحلفون ، وأما أصحاب العشرين فيشهدون ويحلفون ويبهتون . وكان شيخ في المعدلين يشهد بطفيف يهدى اليه ، فجاءه رجل بدرهمين وسأله شهادة ، فقال : ما ضربت المشط بأقل من خمسة ولكني أسامحك .

شاعر : ما للعدول أراني الله جمعهُمُ ... في مرجل مطبق في جوف تنُّورِ

قوم اذا غضبوا كانت سيوفهُمُ ... قطعُ الشهادة بينَ القومِ بالزّورِ

عبد الصمد المعدل :

وكيف تخشى شهاداتٌ يقومُ بها ... ثلاثة : شاهدا زور ومجنونُ

وقال بعضهم : الناس كلهم عدول إلا العدول .

وصف قلانسهم :

المصيصي : كأن دنية عليها ... غراب نوح بلا جناح

وقال آخر :

ترى قلانسهم كالرمح طعنتها ... تخفي جراحتها في جنبِ مغرورِ

الشهادة على الزنا :

حق الشهود على الزنا أن يكونوا أربعة ذكور يصرحون ولا يكنون لقوله تعالى : والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة (الآية) وحضر أبو بكرة وزياد مع غيرهما ، فشهد ثلاثة على المغيرة بن شعبة بالزنا عند عمر رضي الله عنه ، فلما أقبل زياد قال عمر : إني أرى لك وجهاً وضيئاً وأرجو ان لا يفضح الله بك رجلاً من اصحاب النبي ﷺ فقال : إني رأيت أفخاذاً مجتمعة ونخيراً يعلو ويسطع ، ولا أعلم ما وراء ذلك ! فضرب عمر أبا بكرة وصاحبيه الحد .

التعريض بالشهادة بذلك :

استشهدوا أعرابياً على رجل وامرأة فقال : رأيته قد تقممها ، يحفزها بمؤخرها ويجذبها بمقدمها ، ويخفي على المسلك . وقال آخر : رأيته قد تبطنها ورأيت خلخالها سافلاً ، وسمعت نفساً عالياً ولا علم لي بشيء بعد ذلك . وشهد رجل على آخر فقال الحاكم : انك قد رأيته وهو يدخل ويخرج ؟ فقال : لو كنت جلدة استها ما أمكنني ان أشهد به كذلك .

تثبت الحاكم في الاقرار بما فيه حياء :

أتى ماعز بن مالك رسول الله ﷺ فقال : اني زنيت ! فقال : لعلك مسست أو لمست أو غمزت ! فقال : لا بل زنيت ! فاعادها عليه ثلاث مرات ، فلما كان في الرابعة رجمه . وأتى ابو الدرداء رضي الله عنه بامرأة قد سرقت فقال : اسرقت ؟ قولي لا . واتى زياد بلصّ وعنده الاحنف فانتهره فقالوا : صدق الامير ! فقال الاحنف : الصدق احياناً معجزة ! فقال زياد : جزاك الله خيراً .

المقر عند الحاكم بجهله :

قال محمد بن رباح القاضي : تقدم الى قثم مع ابنْ اخيه فادعى عليه خمسة آلاف دينار فقال قثم: نعم له علي ذلك لكن من اي طريق ؟ فقلت : قد اقررت له بالمال ، فإن شاء فسر الوجه وان شاء لم يفسر . فقال ابن اخيه : اشهد انه بريء منها ان لم اثبتها . فقلت : واما انت فقد ابراته ان لم يثبت ذلك ، فما رايت اضعف منهما في الحكم . وجرى في كلام رجل عند حاكم ما فيه اقرار فقضى عليه فقال : اتقضي علي بغير شاهد ؟ فقال : قد شهد عليك من تقبل شهادته عليك مَن ابوه اخو عمك . وقدم رجل غريماً له الى قاض فقال : لي على هذا الف درهم . فقال المدعي عليه : صدق ولكن سله ان ينظرني اياماً ، فلي عقار ومال غائب الى ان ابيع العقار ، واسترد المال الغائب فادفعه اليه . فقال المدعي : كذب ماله قليل ولا كثير ، وانما يريد ان ينفلت مني . فقال الخصم : اشهد ايها القاضي قد اقر بعسرتي ! فقال القاضي : صدقت . وخلى سبيله .

ذم موالاة باب القضاة :

قيل : اذا رأيت الرجل على باب القاضي من غير حاجة فاتهمه . وكتب بعضهم الى عامل له : ابعث الي بمائة رجل كلهم يستحقون القتل لأجرب عليهم سيوفاً ابتعتها ، فان لم تجدهم في حبسك فتمم من اصحاب القاضي فانهم يستحقون القتل ! واستعان رجل بالمأمون أيام الرشيد في أن يقبل شهادته فوقع في قصته : من رام الشهادة بمعونة السلاطين فليقمها على قضاة الشياطين ! وقال يحيى بن اكثم للمأمون : يا أمير المؤمنين إن فلاناً يلتمس ان أقبل شهادتـــه ! فقال : يا يحيى قد أسقط على لسانه عدالته !

• • •

ومما جاء في الحجاب والحجاب والغلمان

الحث على تسهيل الاذن :

قال ميمون بن مهران : كنت عند عمر بن عبدالعزيز فقال لآذنه : من بالباب ؟ قال : رجل أناخ الآن زعم انه ابن بلال مؤذن رسول الله ﷺ : فأذن له فلما دخل قال : حدثني . فقال : حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : من ولي شيئاً من أمور المسلمين ثم حجب عليه حجب الله عنه يوم القيامة ! فقال عمر رضي الله عنه لحاجبه : الزم بيتك ! فما رؤي بعدها على بابه حاجب . وقال : لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب للوالي ، ولا أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب ، لأن الرعية اذا وثقوا بسهولة الحجاب أحجموا عن الظلم ، واذا وثقوا بصعوبته هجموا على الظلم . وقيل : يحجب الوالي لسوء فيه او لبخل منه ثم أنشد :

والسترُ دون الفاحشاتِ ، ولا يلقاكَ دون الخيرِ من سِترِ

وصايا الحجاب :

قال زياد لحاجبه : إني وليتك هذا الباب وعزلتك عن اربع : هذا المنادي اذا دعاني الى الصلاة فلا سبيل لك عليه ، وعن طارق ليل فشر ما جاء به ولو جاء بخير ما كنت من حاجته في ذلك الوقت ، وعن هذا الطباخ اذا فرغ من طعامه فإن الطعام اذا أعيد عليه الطعام فسد ، وعن رسول صاحب الثغر فانه إن ابطأ ساعة ربما يفسد أمر سنة . ولما استخلف المنصور ولى الخصيب على حجابته فقال له : إنك بولايتي عظيم القدر وبحجابتي عريض الجاه ، فبقها على نفسك : ابسط وجهك للمستأذنين ، وصن عرضك عن تناول المحجوبين ، فما شيء أوقع في قلوبهم من سهولة الحجاب والاذن وطلاقة الوجه . وقال الرشيد لحاجبه : احجب عني من اذا قعد أطال ، واذا سأل أحال ، ولا تستخفن بذي الحرمة وقدم أبناء الدعوة .

الحث على تشديد الاذن :

قال أزدشير لابنه : لا تمكن الناس من نفسك ، فأجرأ الناس على السباع أكثرهم معاينة لها . وقيل : لا بد للسلطان من وزعة . وقيل لبعض السلاطين : لم لا تغلق الباب وتقعد عليه الحجاب ؟ فقال : انما ينبغي أن أحفظ أنا رعيتي لا ان يحفظوني .

الحث على اصلاح الحاجب والبواب ووصف ما يجب أن يكونوا عليه من الاحوال :

قال يزيد بن المهلب لابنه : استظرف الكاتب واستغل الحاجب . وقال عبدالملك لاخيه : تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك ، فالغائب يخبره عنك كاتبك ، والوافد عليك يعرفك بحاجبك ، والخارج من عندك يعرفك بجليسك . وقال يحيى بن المعلي :

كن على منهاجِ معرفةٍ إن وجهَ المرء حاجبُهُ
فيه تبدو محاسِنُه وبه تبدو معايبُهُ

وقال آخر :

ولُبُّ المَرء يُعرفُ بالغلامِ

الممدوح بسهولة الحجاب :

سهل الحجاب مؤدب الخدام . آخر :

يلوذ به راج وخاشٍ وكلهم له مدخل سهلٌ عليه ومخرجُ

وقال آخر :

فبابك ألينُ أبوابِهم ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنسُ للمعتفين من الأمّ بابنتها الزاهره

من طلب تسهيل الاذن من الزوار وعاتب :

قدم اديب على امير فكتب رقعة ودفعها الى حاجبه ليوصلها وفيها :

اذا شئت سلّمنا فكنا كريشةٍ متى تلقها الأرياح في الجو تذهبِ

فقال للحاجب : قل له قد خففت جداً ؛ فكتب اخرى وفيها :

وإن شئت سلّمنا وكنا كصخرةٍ متى تلقها في حومة الماء ترُسبِ

فقال للحاجب : قل له قد ثقلت جداً ؛ فكتب أخرى وفيها :

وان شئت سلمنا فكنا كراكبٍ متى يقضِ حقاً من لقائك يذهبِ

قال : أما هذا فنعم . وأذن له . أبو تمام :

ما لي أرى القبةَ الفيحاء مقفلةً عني وقد طالما استفتحْتُ مقفَلَها
كأنها جنة الفردوسِ معرضة وليس لي عمــل زاكٍ فأدخلَها

جعفر المصري :

فتفضَّل علي بالاذنِ ان جئتَ فإني مخففٌ في اللقاء
ليس لي حاجة سوى الحمدِ والشكر فدعني اقرئك حُسْنَ الثناء

من ترك الزيارة لصعوبة الحجاب :

أتى أبو الدرداء رضي الله عنه باب معاوية فاستأذن عليـــه فلم يؤذن له فقال : من يغش سدة السلطان يقم ويقعد ، ومن وجد باباً غلقاً وجد الى أخيه باباً فتحاً ، فعاد عنه ولم يدخل بعد ذلك الى سلطان ، محمد بن عمران :

سأترك هذا الباب ما دام اذنه   على ما أرى حتى يخفّ قليلا
إذا لم نجد يوماً الى الاذن سلماً   وجدنا الى تركِ المجيء سبيلا

أبو سليمان الضرير :

من اراد السلامَ ليس سواه   فلماذا يذلّ عند الحجاب ؟
سأقعد في بيتي فاني أميره   وآخذ امري مكرهاً بأشده
فأبوابك اسدّدُها علي بأسرِها   فمثلي لا يرضى بهـذا لعبده

وحجب بعض الهاشميين فرجع مغضباً فرد فلم يرجع وقال : ليس بعد الحجاب الا العذاب لان الله تعالى يقول : كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم .

هجاء من حجب تعويضاً :

ولِمَ جئتُ مشتاقاً على بعدِ شقةٍ   الى غير مُشتاقٍ ولمْ ردّني بشر ؟
وما باله يأبى دخولي وقد رأى   خروجيَ من أبوابه ويدي صِفر ؟

الخوارزمي :

أيا عمرو رويدكَ من حجابٍ   فلست بذلك الرجلِ الجليلِ
ولا تبخَلْ بهذا الوجـهِ عنا   فليس بذلك الوجهِ الجميلِ

من حجب فشتم وهجا بالبخل :

قال مالك بن طوق : دخل علي يوماً مجنون ونحن نأكل فأكل معنا ، ثم جاء يوماً آخر فحجب ، فرآني يوماً مع اماثل البصرة فقال :

عليك اذنا فإنا قد تغدّينا   لسنا نعودُ وإن عُدنا تعدّينا
يا أكلة سلفَتْ أبقتْ حرارتُها   داءً بقلبك ما صُمنا وصَلَّيْنـا

فما أتى على يوم أشد منه حزناً . وقال آخر :

كلما جئناك قالوا : نائم غـيرُ مفيقِ !
لا أنام الله عينيك وان كنتَ صديقي

وقال بعض البغداديين :

حجابُك الصعبُ سهلٌ اذا دهتكَ مصيبه
فلا عدمتَ رزايا مطيعةً مُستجيبَه

من يتخذ حاجباً مع سوء حاله :

قال بعض الشعراء :

يا أميراً على جريبٍ من الار ض له تسعةٌ من الحُجَّاب
قاعد في الخراب يحجب عنه ما رأينا بحاجب في خراب !

تخويف من يشدد الحجاب :

مر زاهد ببعض القصور ورأى حجاباً على بابه فسأل عنه فقيل : هو لسالم بن فلان ، رجل كثير المال عريض الجاه وقد مرض فاحتجب عن الناس فقال :

وما سالم من وافد الموتِ سالماً وإن كثرت حجَّابه وكتائبُهْ
ومن كان ذا بابٍ منيعٍ وحاجبٍ فعما قليلٍ يهجرُ البابَ حاجبُه

هجاء بواب :

سأهجر باباً أنت تملك أمرَهُ ولو كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتُها ويممتُ عنها مسرعاً نحو مالِك

ابن الحجاج :

ففي استِ من تحجبُه والذي توصله ايضاً وتعني به

المظهر رضاه بصعوبة الاذن :

استأذن ابو سفيان على عثمان رضي الله عنهما فحجبه فقيل له : يحجبك امير المؤمنين ؟ فقال : لا عدمت من قومي من اذا شاء حجبني . وقال ابو العيناء للقاسم بن عبيد الله : لا اعدمني الله من حجابك والوقوف ببابك .

ابو تمام : ليس الحجاب بمقص منك لي أملاً ... إن السماء ترجّى حين تحتجبُ

وقال آخر :

إني لاغتفر الحجابَ لماجدٍ ... أمست له مننٌ عليّ رغابُ

فالحرّ مبتذلُ النوالِ وإن بدا ... من دونه ستر وأغلِقَ بابُ

ذكر من لا يحجب :

شاعر : مِنَ النفرِ البيضِ الذينَ إذا انتمَوا ... وهاب رجالٌ حلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا

وقال آخر في ضده :

قوم إذا حضَرَ الملوكُ وفودهم ... نتفَتْ شواربهمْ على الأبوابِ

من اعتذر من السلاطين عن الحجاب :

اتى رجل مسترفد باب معن فحجبه فكتب اليه :

إذا كان الجواد له حجابٌ ... فما فضل الجوادِ على البخيلِ ؟

فوقع تحته :

إذا كانَ الكريمُ قليلَ مالٍ ... ولم يعذَرْ تسترَّ بالحجابِ !

كتب إلى مطيع بن اياس حماد الراوية :

هل لذي حاجةٍ اليك سبيلٌ ... لا يطيل الجلوسَ في مَن يطيل ؟

فلما قرأ البيت كتب اليه :

أنتَ يا صاحبَ الكتابِ ثقيلٌ ... وكثير مِنَ الثقيلِ القليلُ

وقيل : الركوب إلى باب السلطان بعد الظهر ثقل وسوء أدب . وكتب بعض السلاطين الى صاحب له يزوره بالعشيات :

أعيذكَ مِنْ زورة بالعشي ... تحطّ وتذهب قدَر النبيلْ

فإمّا رَجعْتَ بذلّ الحجاب ... واما حللتَ محلّ الثقيلْ

النهي عن دخول الدور بغير اذن :

قال الله تعالى : لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها . وقال الله تعالى: لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم . وقال ﷺ : من أطلع في بيت بغير اذن ففقئت عينه

فهو هدر. وروي أن من اطلع في بيت فقد مر أي حكمه حكم الداخل. وقال ﷺ: انما جعل الاستئذان لاجل النظر. وقال عمر رضي الله عنه: من ملأ عينيه من قاعة بيت قبل ان يؤذن له فقد فسق. وقال ﷺ: اذا استأذن أحدكم فلم يؤذن له فلينصرف.

الحث على تأديب الغلمان:

قيل: لا يتأدب العبد بالكلام اذا وثق بأنه لا يضرب. وأمر محمد بن الجهم ان يضرب غلامه ضربة وجيعة، فقيل له في ذلك فقال: الواحدة الوجيعة تملأ صدره من التضاعيف، واذا كان خفيفاً أحسن ظنه الكثير.

المتنبي: اجعل عبيدكَ أوتاداً تشججُها   لا يثبت البيتُ حتى يقرعَ الوتدُ

الحكم بن عبدالله:

العبدُ لا يطلبُ العلاءَ ولا   يعطيك شيئاً الا إذا رهبا

مثل الحمارِ الموقعِ الظهر لا   يحسن مشياً إلا اذا ضُربا

الحث على الاحسان الى الخدم:

روي في الحديث: اتقوا الله في خولكم فانهم اشقاؤكم، لم ينحتوا من جبل ولم ينشروا من خشب، أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، واستعينوا بهم في أعمالكم، فإن عجزوا فاعينوهم، فان كرهتموهم فبيعوهم، ولا تعذبوا خلق الله. وآخر وصية أوصى بها النبي ﷺ: الصلاة وما ملكت أيمانكم. وقال أبو بكر رضي الله عنه: لا يدخل الجنة سيء الخلق.

الحث على مداراتهم والتغافل عنهم:

سمع الموبذ في مجلس أنو شروان ضحك الغلمان فقال: أما تهاب هؤلاء الخدم؟ فقال أنو شروان: انما يهابنا اعداؤنا. وقال بزرجمهر: إنما نداري خدمنا ونحن ملوك على رعيتنا، وخدمنا ملوك على أرواحنا، ولا حيلة لنا في التحرز عنهم. وقيل: مما يدل على كرم الرجل سوء أدب غلمانه. وقيل: من حسن خلقه سوء أدب غلمانه.

ذم مؤثر لغلامه:

البحتري: إن الشريفَ اذا أمورُ عبيدِهِ   جازت عليهِ فأمرُه مرتابُ

آخر: ولستُ أحبُّ الاديبَ الظريف   يكون غلاماً لغلمانهِ

من يحمد استخدامه :

قيل : أجود المماليك الصغار لانهم أحسن طاعة وأقل خبثاً منهم وأسرع قبولاً . وقيل : استخدم الصغير حتى يكبر ، والعجمي حتى يفصح . وقال قتيبة : لا تشتر غلاماً مولداً هو حر حتى تقوم بينة انه حر .

ذكر الصلحاء والاكياس من الخدم :

قال كسرى : العبد الصالح خير من الولد لأن العبد لا يرى استقامة أمره الا بحياة سيده ، والابن لا يرى ذلك الا بموت أبيه . وقال رجل لمملوك : اشتريك فاعتقك ؟ قال : لا . قال : فلمَ؟ قال : كيف تتخذني عبداً بعد ان اتخذتني مشيراً ؟ ومن خيار العبيد لقمان وبلال الحبشي . ووصف البوشنجي غلاماً فقال : يعرف المراد باللحظ ويفهمه باللفظ ، ويعاين في الناظر ما يجري في الخاطر، يرى النصح فرضاً يجب أداؤه والاحسان حتماً يلزم قضاؤه ، ان استفرغ في الخدمة جهده خيل اليه أنه بذل عفوه ، أثبت من الجدار اذا استمهل وأسرع من البرق اذا استعجل . قال الرشيد لاسحاق الهاشمي : أخبرت أن لك غلاماً فصيحاً . فقال : ها هو بالباب ، ثم دعاه فقال : ان مولاك قد وهبك لنا قال : فما زلت وما تحولت ! فقلنا : ما معنى قولك ؟ فقال : ما زلت لك منذ كنت غلامه ، وما تحولت عنه اذ صرت لك ! فأمر له بصلة واحسن اليه .

من أعتق من صلحاء العبيد :

حكي ان ابن عمر رضي الله عنه مر براعي غنم بمملوك فقال : أتبيعني شاة من غنمك ؟ قال : ليست هي لي . فقال : اين العلل ؟ وأراد أن يمتحنه فقال : فأين الله ؟ فاشتراه واعتقه . فقال الغلام : اللهم إنك رزقتني العتق الاصغر فارزقني العتق الاكبر . واعتق عمرو بن عقبة غلاماً له كبيراً ، فقام إليه عبد صغير فقال : اذكرني يا مولاي ذكرك الله بخير ! فقال : إنك لم تخرف ! فقال : ان النخلة قد تجني زهواً قبل ان تصير معواً ! قال : قاتلك الله لقد استعتقت وحسنت وقد وهبتك لواهبك، كنت أمس لي واليوم مني ! سبي فيلسوف وأراد رجل شراءه فقال له : لماذا يصلح ؟ قال : للحرية.

ذم العبيد :

قيل : ليس عبد باخ لك !

ابن سعد : العبد لو كانت ذؤابةُ رأسِهِ ذهباً لكان رصاصةً رجلاهُ

المتنبي : أنوكُ من عبدٍ ومن عرسه من حكّم العبد على نفسِهِ
فلا ترجُ الخيرَ عند امرىء مرت يد النخاس في رأسِهِ

أراذل الخدم :

كان لبعضهم مملوك يتشطر ، وكان اذا قال له صاحبه هات الدواة ، قال مرحباً بجعفر البرمكي ، واذا قال ناولني ثوبي ، قال قيصر يلبس ، واذا قال اغسل ثيابي ، قال يونس النبي كان خيراً منك لبس القرع ، وآدم عليه السلام لبس ورق التين ، وأنت لا تلبس ثوباً وسخاً ، واذا قال اذهب الى السوق قال خذلني الله إن ذهبت حتى آكل كباباً وأتناول شراباً ؛ فجاء صاحبه يوماً وهو بين شطار فقال : من هؤلاء ؟ قال : فتيان الخلد يحبونني قبل رؤوسهم . فقال : أنت حر لوجه الله ان شئت ! فقال : يا أحمق لو شئت لهربت منذ زمان ! فحمله الى النخاس فقال له النخاس : ما اسمك؟ قال : كنيتي أبو علي . قال : ما تحسن ؟ قال أعلم الجراحات السقيات والسليات ، واعلم البنين الاجارة، والبنات التقحب ، أنا أخبث من قرد ، وأنوم من فهد ، وأروغ من ثعلب ، وأنقب من جرذ ، وأسرق من سنور ، وألص من عقعق ! فقال النخاس : بكم أبو علي الكثير المحاسن ؟ فقال : بما شئت! فقال النخاس : بعشرين درهماً ! فقال صاحبه : انه يقع علي بجملة . فقال العبد : انظر إلى أخي القحبة كانني خير من يوسف بن يعقوب وقد باعه اخوته بثمانية عشر درهماً ، ومع أخي القحبة فضل درهمين فباعه منه ، فالتفت أبو علي الى النخاس وقال : أم من لا يندمك ألف قحبة ! وقال الجاحظ : اشتريت عبداً بمائة درهم فاسترخصته ، فتعشيت سمكاً ونمت فاستدعيت منه ماء فقال : اسكت تأكل السمك وتشرب عليه المـاء ليتولد منه كذا وكذا وامتنع ، فلما اشتد عطشي قمت وشربت فقال : يا مولاي احمل معك حتى أشرب أنا أيضاً . وقال رجل لعبد : أشتريك ؟ فقال : لا لاني آكل فارهاً وأمشي كارهاً . وقيل لآخر فقال : أنا اذا جعت أبغضت قوماً واذا شبعت أحببت نوماً . وقال رجل لغلامه : اذهب الى المنزل واحمل الشمع لاعود به الى البيت . فقال : أنا لا أجسر تعال معي حتى أحمله فأنصرف معك . وذكر دغفل النسابة المماليك فقال : هم عز مستفاد وغيظ في الاكباد.

اليعقوبي : لي حمارٌ وغلامٌ وهما يغتلمان
فحماري يعشق الاتن وذا رخوَ العجانِ
لو بهذا عفّ هذا لاستراحَ الثقلانِ

الغلام المتعاطى معه :

قال رجل لغلام صديق له وقد شاخ : ما حالك ؟ قال : مولاي ينيكني منذ كذا وكذا سنة بالحجة ، وذلك انه يفعل في كل يوم ، فاذا قلت يا مولاي قد شخت يقول يا بغيض ، من أمس الى اليوم ؟ وقال رجل لغلام له قد التحى : أخرج من داري ! فقال : رد اليَّ ما أخذت مني خداً أملس وفقحة ضيقة ! وحلف رجل على غلام : لأضربنك ! فاستعفاه الغلام فقال : أتراني أعصي الله فيك ؟ فقال : طالما عصيت الله في تعاطيك معي ! فخجل الرجل من أصحابه .

المسيء الى خدمه :

قال رجل لاعرابي : ما تصنعون في عبيدكم حتى يقال في الدعاء عليهم باعك الله في الأعراب ؟ قال : نجيع كبده ونعري جسده ونطيل كده ونكثر جلده ! اشترى اعرابي عبداً فقيل : إنه يبول في الفراش . فقال : ان وجد في دارنا فراشاً فليبل فيه ! وكان لرجل عبد يأكل الحواري ويطعمه الخشكار فباعه ، فاشتراه آخر يأكل كل الخشكار ويطعمه الشعير ، فباعه فاشتراه آخر يأكل الشعير ويطعمه النخالة ، فاستباعه فاشتراه آخر كان يجيعه واذا قعد بالليل وضع السراج على رأسه فلم يستبعه ، فقيل له في ذلك فقال : أخشى إن باعني أن يضع المشتري الفتيلة في حدقتي !

من ذكر ان لا غلام له :

ابن الحجاج

إذا قدموا خيلهم للركوب   خرجتُ فقدمتُ لي ركبتي
وفي جملة الناس غلمانهم   وليس سواي في جملتي
ولا لي غلامٌ فأدعو به   سوى من أبوه أخو عَمَّتي

والعرب تقول : العبد من لا عبد له .

ذم الخصيان :

قالت اعرابية لخصي : اسكت فما لك حزم الرجال ، ولا رقة النساء !

المتنبي : لقد كنت أحسبُ قبل الخصي   بأن الرؤس مقرُّ النُّهى
فلما نظرتُ الى عقله   رأيتُ النهى كلها في الخصى

أبو نعامة :

لا تطلبن الى خصيٍّ حاجةً   يوماً فما لك عنده من خَيْرِ
واكشفْ له عن رأس أيرك إنه   لا شيء آثر عنده من أيرِ

قال الجاحظ : كل حيوان ذي ريح منتنة فانه متى خصي زال نتنه وصنانه كالتيس والهر ، غير الانسان فانه يزداد نتناً وصناناً ، وكل شيء اذا خصي دق عظمه واسترخى لحمه إلا الانسان فإنه تطول عظامه وتلتوي .

النهي عن اظهار العورة لهم :

أجمع الفقهاء أن حكم الخصيان حكم الفحول ، فلا يجوز ان تكشف لهم النساء . ودخل معاوية

رضي الله عنه على امرأته بنت بجدل ومعه خصي فاستترت منه فقال معاوية انه خصي! فقالت: إن مثلتك به لا تحل مني ما حرمه الله. وكان اسحاق بن مسلم العقيلي عند المنصور فمر به خادم وضيء الوجه فقال: أي ابنيك هذا قال: هذا خادم في دار النساء! قال: أتشك ان شم هـذا وضمه أحب الى المرأة من شمك وضمك. فأتاه من ذلك أمر عظيم ومنعه بعدها من دخول الحرم.

حمد اتخاذ الخصيان:

قيل لابي العيناء: لم اتخذت خصياً اسود؟ فقال: أما الأسود فلئلا أتهم به، وأما الخصي فلئلا يتهم بي! أحمد بن يوسف في وصفهم:

مبرؤن من الشعر اللبيدِ ومن حمل الايورِ واخراج المناتينِ
وكالنساء اذا ما رمتَ خلوتهم وكالليوثِ لدى الهيجاء تحميني!

الحد الثالث

في الانصاف والظلم والحلم والعفو والعقاب، والعداوة والحسد والتواضع والكبر، وما يتعلق بذلك

فمما جاء في الانصاف والظلم

عز الحق وذل الباطل :

قال الله تعالى : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق . وقال تعالى : وقل جاء الحق وزهق الباطل . قال ابن المعتز : ان للحق ان يتضح وللباطل ان يفتضح . وقيل : الحق حقيق ان ينهج سبيله ويتضح دليله . وقال المنتصر يوماً : والله ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من بين عينيه ، ولا ذل ذو حق ولو اتفق العالم عليه . وقيل : للباطل جولة ثم يضمحل ، وللحق دولة لا تنخفض ولا تذل . وقيل : الحق ابلج والباطل لجلج . وقيل : الحق من تعـــداه ظُلم ومن قصر عنه ندم

مدح العدل :

قال أنوشروان : العدل سور لا يغرقه ماء ولا تحرقه نار ولا يهدمه منجنيق . وقيل : عدل قائم خير من عطاء دائم . وقيل : لا يكون العمران حيث لا يعدل سلطان . وقيل لحكيم : ما قيمة العدل ؟ قال ملك الابد . وقيل : قيمة الجور ؟ ذل الحياة . وقيل : العدل يسع الخلق والجور يقصر عن واحد .

ذم الظلم والنهي عنه :

قال الله تعالى : وما للظالمين من أنصار . وقال : والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير . وقال الله تعالى : ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . وقال الله تعالى : ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار . وقال : فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . وفي الخبر : بئس الزاد الى المعاد ظلم العباد . وقيل : الظلم مرتعه وخيم . وقال النبي ﷺ : الظلم ظلمات يوم القيامة . ويقال : ليس شيء اقرب من تغيير نعمة وتعجيل نقمة من الاقامة على الظلم . وقيل في قول الله تعالى « ولا

تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون » وعيد للظالم وتعزية للمظلوم . وقيل : على الظالم أن يكون وجلاً ، وعلى المظلوم ان يكون جذلاً . كتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الى عامل له : اذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك . ودخل رجل على سليمان بن عبدالملك فقال : اذكر يا امير المؤمنين يوم الاذان . فقال : وما يوم الاذان ؟ قال : اليوم الذي قال الله تعالى فيه : فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين . فبكى سليمان وأزال ظلامته . وكان حفص بن عتاب لقيه الرشيد فأقبل عليه يسائله فقال في اثناء ذلك :

نامت عيونك والمظلوم مُنتَبِهٌ يدعو عليك، وعين الله لم تنم !

وقال عبدالله بن أبي لبابة : من طلب عزاً بباطل أورثه الله ذلاً بانصاف وحق .

التحذير من دعوة المظلوم :

قال النبي ﷺ : اتقوا دعوة المظلوم فانها مجابة . وقال بعضهم : دعوتان أرجو إحداهما وأخاف الاخرى ، دعوة مظلوم أعنته ، وضعيف ظلمته . وقيل : احذروا دعوة المظلوم فانها لينة الحجاب . وقال ﷺ : اللهم إني اعوذ بك من أن أظلم او أُظلم .

سرعة معاقبة الظالم :

قال الله تعالى : من يعمل سوأ يجز به . وروي عن امير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال : ما أحسنت الى أحد قط ولا أسأت اليه ! فرفع الناس رؤوسهم تعجباً فقرأ : إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها . سمع ابن عباس رضي الله عنهما كعب الاحبار يقول : من ظلم خرب بيته فقال تصديقه في القرآن : فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . وقيل : الظلم أدعى شيء الى تغيير نعمة وتعجيل نقمة . وقال صالح المري : دخلت الى دار المادراي فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله تعالى ، استخرجتها حين تذكرت الحال فيها قوله تعالى : فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلاً ، وقوله تعالى : ولقد تركناها آية فهل من مدكر ، وقوله تعالى : فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، فخرج الى اسود من ناحية الدار فقال : هذه سخطة المخلوقين فكيف سخطة الخالق ؟ وروى جعفر ابن محمد عن أبيه قال : اذا اراد الله أن ينتقم لوليه انتقم من عدوه بعدوه ، واذا اراد الله ان ينتقم لنفسه انتقم بوليه من عدوه .

المتفادي من ظلم الضعاف :

قال معاوية : إني لاستحي أن أظلم من لا اجد له ناصراً علي الا الله . وقال ابو الدرداء رضي الله تعالى عنه : إن أبغض الناس إلي ان أظلم من لم يستعن علي إلا بالله .

افحش الظلم ظلم الضعيف :

شاعر : وإني لأعطي النصفَ مَن لو ظلمتُهُ أقرّ وطابت نفسه ليَ بالظلْمِ

قيل : من عمل بالعدل في من دونه رزق العدل بمن فوقه .

نعي الوالي والقادر عن الظلم :

قيل : لا ينبغي للإمام أن يكون جائراً ومن عنده يلتمس العدل ، ولا للعالم أن يكون سفيهاً ومن عنده يلتمس العلم والحلم . وقيل : اذا ظلمت من دونك عاقبك من فوقك . ابن الرومي :

وإنَّ الظلمَ مِنْ كلِّ قبيحٌ واقبحُ ما يكونُ مِن النبيهِ

وله : إذهبْ مِنَ الأقران قرناً ما لهُ إلا العواقبُ والعقوبَةُ ناصرُ

آخر : والظّلم من ذي قدرةٍ مذمومُ

التسكين من المظلوم بما له من العقبى :

قيل في قوله تعالى : « ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون » أعظم تعزية للمظلوم وابلغ تحذير للظالم على مدارجة العقوبة ، وان تنفست مدته . وقيل لعمر رضي الله عنه : كان الرجل في الجاهلية يظلم فيدعو على من ظلمه فيجاب عاجلاً ، ولا نرى ذلك في الاسلام ؛ فقال : كان هذا جزاء بينهم وبين الظلم ، وإن موعدكم الآن الساعة ، والساعة أدهى وأمر . وقيل : انما تندمل من المظلوم جراحه اذا انكسر من الظالم جناحه .

الظلم في اخذ الارض :

قال النبي ﷺ : من ظلم قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة .

احمد بن واضح :

يا قابضَ الضيعةِ من نِسوةٍ ضعفاً وايتام لسلطانه
يجأرْنَ بالليلِ الى خالقٍ إغاثة الملهوف مِنْ شأنه
لا يأخذ الضيعةَ ذو قُدْرةٍ يريد أن تبقى لِصبيانه

ومما يقرب من السخف في هذا ان رجلاً كان له قطعة من أرض بجنب أرض لرجل ، فكان يضم كل سنة قطعة منها إلى أرضه ، فقال له يوماً : ما هذا النقصان في أرضنا ؟ فقال : أما سمعت قول الله تعالى : أو لم يروا انا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها . فقال : فما هذه الزيادة في أرضك؟ قال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . قال : فمن أين أوتيت الفضل وأوتيت النقص في ذلك ؟ فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عنْ أشياء إن تبد لكم تسؤكم .

التحذير من معاونة الظالم :

روي أن النبي ﷺ قال : من أعان ظالماً سلطه الله عليه . وقال المأمون لبعض ولاته : لا تظلم لي فيسلطني الله عليك . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس للظالم عهد فان عاهدته فانقضه فان الله تعالى يقول : لا ينال عهدي الظالمين . وسمعت بعض العلماء يقول : ما ظلمت أحداً قط لغيري ، فاني اذا ظلمت ظلمت نفسي . ويشبه ذلك ما يحكى ان عاملاً عزل عن عمله بغيره فقال المولى لمن ولي مكانه : أعرني دواتك لاكتب منها حرفاً فقال : لا فإني لا استحل معاونة الظلمة ولا أحب أن يكتب من دواتي ظالم . فقال : ألم تك تكتب منها آنفاً ؟ فقال إني أحرق بالنار نفسي لنفسي ولا أحرقها لغيري . وقيل لابي مسلم صاحب الدولة : قد قمت مقاماً لا يقصر بك عن الجنة في ازالة دولة بني أمية واقامـة شعار بني العباس . فقال : لخوفي من النار أولى من طمعي في الجنة ، فاني أطفأت من بني أمية جمرة ألهبت بها نيراناً لبني العباس وسأحرق بها .

المتفادي من ان يظلم او يظلم :

كان من دعاء النبي ﷺ اذا خرج من بيته : بسم الله وبالله اني أعوذ بك من أن أزل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي . وقال بعضهم : لنا عز يمنع من أن نظلم ، وحلم يمنع من أن نظلم .

الموصوف بالظلم :

قيل : فلان أظلم من حية لانها لا تحفر الجحر بل تسلب غيرها جحره فتدخله . ويقال : أظلم من ذئب ؛ قال :

وأنت كذئب السوء إذ قال مرةً لعمروسهِ ، والذئب غرثان خاتلُ :
أأنت الذي ِمن غيرِ شيءٍ سببتني ؟ فقال : متى ذا ؟ قال : ذا عام أولُ
فقال : ولدتُ العامَ بل رمتُ غدرة فدونك كلني ! ما هنالك مأكلُ

وقيل : أعدى من الدهر ومن التمساح ومن الجلندي ، وهو فيما قيل اسم الملك الذي قال الله تعالى فيه : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً . وقال اعرابي : لئن هملجت الى الباطل انك عن الحق لقطوف . وقيل : الفتنة عرس الظالم .

المتبجح بالظلم :

قيل لاعرابي : أيما أحب اليك ان تلقى الله ظالماً أو مظلوماً ؟ فقال : ظالماً ! قيل : ويحك ولمه؟ قال : ما عذري اذا قال لي خلقتك قوياً ثم جئت تستعدي ؟ وقيل لاعرابي ولد له ابن : جعله الله براً تقياً فقال : بل جعله جباراً عصياً ، يخافه أعداؤه ويؤمله أولياؤه .

الممدوح بكونه مظلوماً لمن هو دونه :

وقع الرشيد في قصة رجل : الشريف من يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ، فانظر أي الرجلين أنت.

محمود الورّاق : ما زال يظلمني وأرحمه حتى رثيتُ لهُ مِنَ الظلم

وقال ابن الزهير : تحمل بعض الظلم أبقى للاهل والمال . قال الشاعر :

ولا تحم من بعض الأمورِ تعزّزا فقد يورث الذلّ الطويلَ تعزّزُ

وقال الاحنف : كم جرعة من الظلم تجرعتها مخافة ما هو أعظم منها .

الرخصة في المجازاة بالظلم :

قال الله تعالى في مدح ذلك : وانتصروا من بعد ما ظلموا . وقال تعالى : ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . وقال بعضهم لسلطان : إني وان خشنت في المال فقد عذر الله المظلوم اذا جهر بالسوء طلباً للنصفة من ظالمه حيث قال : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم. وقال جرير : إني لا أبتدي لكن أعتدي .

من لا يبالي بأن يظلم :

قيل : أهون مظلوم سقاء مروّب . وقيل : أهون مظلوم عجوز معقومة .

شاعر : وظلم النهشلي من السواء

من لا يبالي بأن يظلم :

أبو فراس :

وبعضَ الظالمينَ وإن تعدّى شهيُّ الظلم مغفورُ الذنوبِ

ولبعض الصوفية :

دعِ الحبّ يصلي بالأذى مِن حبيبهِ فكلُّ الاذى ممن يحبُّ سرورُ

ترابُ قطيعِ الشاء في عينِ ذِئبها اذا سار في آثارهن ذرورُ

آخر : وقد يؤذى مِنَ المقةِ الحبيبُ

تحسر من ظلمه دنيء أو لئيم وتعزيه :

في المثل : لو ذات سوار لطمتني . الفرزدق :

فواعجبَاً حتى كليبٌ تسبُّني كأن أباها نهشلٌ أو مجاشعُ !

أبو فراس

ما للرجــال ـمن الذي يقضي به اللهُ امتناعْ
ذدتُ الاسودَ عن الفرا ئس ثم تفرسني الضباع

أبو سعيد بن نوقة وقد أجاد ما شاء :

ولا غروَ أن يبلى شريفٌ بخاملٍ فمن ذَنبِ التنّينِ ينكسف البدرُ

اختيار ركوب القتل على التزام الظلم :

محمد بن وهب :

فتى يتقي ان يخدشَ الذمُّ عرضَه ولا يتقي حدّ السيوفِ البواتر

المتلمس :

فلا تقلون ضيماً مخافة ميتةٍ وموتن بها حرّاً وجلدُكَ أملسُ

ابو فراس :

أرى ملء عينيّ الردى وأخوضُهُ إذا الموت قدّامي وخلفي المعايبُ

وله : والموت عندَ طروقِ الضيم موردُ

ابن نباتة :

لا صحبتُ الحياةَ ان صحَبَتْني في الملماتِ مهجةٌ تستضامُ

الممتنع من احتمال الظلم :

الزبرقان : قد رامني الأقوامُ قبلك فامتنَعتُ ـمنَ المظالمْ

خالد بن زهير :

فإن كنتَ تبغي للظلامةِ مركباً ذلولاً فإني ليس عندي بعيرُها

آخر : فلان لا يسأم خطةَ الخسفِ ولا يحمل على مركبِ العنفِ

قال : لا يعلف الضيمَ ذو مجدٍ وذو شرفٍ ولا يبيتُ بوادي الخسفِ مذموماً

وقال : كأنه من حــذارِ الظلم مجنونُ

آخر : ولا ألينُ لغيرِ الحقّ أسألهُ حتى يلينَ لضرسِ الماضغِ الحجرُ

وقد أحسن الذي قال : من ظلمني مرة فالله ينتقم لي منه ، ومن ظلمني مرتين فالله ينتقم له مني!

عادة الناس ظلم من استضعفوه :

ابن عائشة :

تراهم يغمزون مَن استركوا ويجتنبون مَن صدق المصاغا

المتنبي : الظلمُ مِن شيمِ النفوسِ فإن تجدْ ذا عفةٍ فلعله لا يَظلمُ

رجل عبسي :

إن المحكم ما لم يرتقبْ حسباً أو يرهبِ السيفَ أوحدَّ القناجنفا

ظالم متظلم :

في المثل : تلدغ العقرب وتصي .

الخبزارزي :

ظلمت سراً وتستعدي علانيةً ألهبت ناراً وتستعفي من اللهبِ

قال الشعبي : حضرت مجلس شريح فجاءته امرأة تخاصم زوجها باكية فقلت : ما أظنها الا مظلومة؛ فقال : إن إخوة يوسف جاؤا أباهم عشاء يبكون وهم ظالمون .

ذم ممتنع من قبول الانصاف :

قيل : ما أعطي أحد قط النصف فأبى إلا أخذ شراً منه . وقال الاحنف : ما عرضت النصفة على أحد فقبلها إلا تداخلني منه هيبة ، ولا ردها أحد الا طمعت فيه .

● ●

مدح الحلم وكظم الغيظ وفضل الرحمة والعفو والاستعفاء والاعتذار

حد الحلم :

قيل : الحلم تجرع الغيظ . وقيل : الحلم دعامة العقل . وقال الافوه الاودي : الحلم محجزة عن الغيظ . وقيل : ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتصر ، ولكن الحليم من ظلم فحلم فاذا قدر غفر . وقالت الفلاسفة : الحلم فضيلة النفس يكسبها الطمأنينة لا يحركها الغضب بسهولة وسرعة . سأل علي رضي الله عنه كبير فارس عن الغالب كان على أنو شروان قال : الحلم والاناة . قال : هما توأمان ينتجهما علو الهمة . وقيل لعمر بن الاهتم : من أشجع الناس ؟ قال : من رد جهله حلمه . وقال سفيان : ما تقلد امرؤ قلادة أحسن من حلم ، فهو محمود عاجله وآجله . ورأى حكيم من ملك ترفقاً فقال : ليس التاج الذي يفتخر به علماء الملوك فضة ولا ذهباً لكنه الوقار المكلل بجواهر الحلم، وأحق الملوك بالبسطة عند ظهور السقطة من اتسعت قدرته .

شاعر : لن يدركَ المجدَ أقوامٌ ذوو كرمٍ حتى يذلوا، وإن عزوا ، لأقوام
ويشتموا فترى الألوانَ مسفرة لاخوفَ ذلٍّ ولكن فضلَ أحلامِ

الآخذ نفسه بالحلم من الملوك :

دفع ازدشير بن بابك ثلاثة كتب الى رجل يقوم على رأسه وقال له : اذا رأيتني قد غضبت فادفع اليّ الاول ، فإن لم اندم فالثاني ، ثم الثالث . وكان في الاول : أمسك فلست بإله وإنما أنت جسد يوشك ان يأكل بعضه بعضاً ، وفي الثاني : ارحم عباد الله يرحمك الله ، وفي الثالث : احمل عباد الله على حقه .

الحث على تكلف الحلم واستعماله :

قيل : اذا لم تحلم فتحالم فقل من تشبه بقوم إلاّ كان منهم . وقال :
تحلّم عن الادنَيْن واستبقِ ودّهم فلن تستطيع الحلمَ حتى تحلّما

الممدوح بالحلم :

حسانٍ :
أحلامُنا تزنُ الجبالَ رزانةً وتزيد جاهلَنا على الجهّالِ
ابن هرمة :
ولو وُزنَت رضوى ببعض حلومهم لشالت ، ولو زيدت عليهِ تضارع
أبو فراس :
يجني الخليلُ وأستحلي جنايَتَه كيما يدل على حلمي وإحساني
المتنبي : واحلم عن خلِّي واعلمُ أنني متى أجزه حلماً عن الجهلِ يندمِ

من اجتهد في إغضابه فحلم :

بايع رجل آخر على ان يغضب الاحنف ، فجاءه فخطب اليه أمه فقال : لسنا نردك انتقاصاً بحسبك ، ولا قلة رغبة في مصاهرتك ، ولكنها امرأة قد علا سنها ، وأنت تحتاج الى امرأة ودود ولود ، تأخذ من خلقك وتستمد من أدبك ، ارجع الى قومك وأخبرهم أنك لم تغضبني ! وخطب آخر الى معاوية أمه فقال : ما الذي رغبك فيها وهي عجوز ? فقال : بلغني انها عجوز عظيمة العجز ! فقال : لعلك خاطرت أن تغضب سيد بني تميم ? قال : نعم . قال : ارجع فلست به !

فضل كظم الغيظ :

قال الله تعالى : والكاظمين الغيظ . ومر النبي ﷺ بقوم يربعون حجراً فقال : ألا أخـبركم بأشدكم ؟ من ملك نفسه عند الغضب . وقال ﷺ : من كظم الغيظ وهو يقدر على أن ينفذه خيره الله في أي حور شاء . وقيل : الكظم يدفع محذور الندم كالماء يطفيء حر الضرم . كظم يتردد في حلقي أحب الي من نقص أجده في خلقي . قال : وأفضل حلم حسبة حلم مغضب .

ما يسكن به الغضب :

قيل : من غضب قائماً فقعد سكن غضبه ، وان كان قاعداً فاضطجع سكن . والعجم تقول : من غضب فليستلق . قال أبو بكر بن عبدالله : أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم . وقيل : اذكر قدرة الله اذا غضبت . قال الله تعالى : ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون . فقيل : الطيف من الشيطان حر الغضب .

من أغضب من الكبار فصبر :

قام رجل الى عمر بن عبدالعزيز فكلمه بكلام أغضبه فقال : أردت أن يستفزني الشيطان فاياك ومعاودة مثله ، عافاك الله ! أمر محمد بن سليمان برجل أن يطرح من القصر كان قد غضب عليه فقال الرجل : اتق الله ! فقال : خلوا سبيله فاني كرهت ان اكون من الذين قال الله تعالى فيهم : واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم .

ذم الغضب :

قيل لحكيم : أي الأحمال أثقل ؟ فقال : الغضب . وروي أن ابليس لعنه الله قال : مهما اعجزني ابن آدم فلن يعجزني اذا غضب ، لأنه ينقاد لي فيما أبتغيه ، ويعمل ما أُريده وأرتضيه . وقيل لأبي عباد : أيما أبعد من الرشاد السكران أم الغضبان ؟ فقال : الغضبان لا يعذر أحد في طلاق ولا مأثم يجترمه ، وما أكثر ما يعذر السكران ! وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن الغضب والحزن أيهما أشد فقال : مخرجهما واحد واللفظ مختلف ، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضباً ، ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزناً . ومن هنا أخذ المتنبي قوله :

وحزن كل أخي حزن أخو الغضب

من غضب في غير مغضب :

قال بعض الحكماء : اذا كانت الموجدة من علة كان الرضاء مفقوداً . وقيل : من غضب من غير ذنب رضي من غير عذر . وقيل : من فاته الدين والمروءة فرأس ماله الغضب .

عذر من كان منه غضب :

قال الشافعي رضي الله عنه : من استغضب ولم يغضب فهو حمار ، ومن استرضي ولم يرض فهو جبار . وقيل : من لم يغضب من الجفوة لم يشكر أخا النعمة . وقيل : فلان يملك حالتيه أي غضبه ورضاه .

الحث على ترك الغضب المؤدي الى الاعتذار :

قال حكيم : اياك وعزة الغضب فانها تصير بك الى ذل الاعتذار . قال شاعر :

ولا تحم من بعض الأمورِ تعزّزاً　　فقد يورثُ الذلَّ الطويلَ تعزّز

آخر : ولرب ممتعض هو المتذلل

آخر : متى تردِ الشفاء لكل غيظٍ　　تكنْ مما يغيظك في ازديادِ

سرعة الغضب وبطؤه :

قيل : أسرع الناس رضاً أسرعهم غضباً ، كالحطب أسرعه خموداً أسرعه وقوداً . وكان بعض الناس يقول : أعوذ بك من غضب من لا يكاد يغضب ، وأعوذ بك من غضب امرأة قادرة ، وذي قوة قاهرة .

الحث على ملاءمة الناس :

أبو العتاهية :

ساهلِ الناسَ اذا ما غضبوا　　واذا عزَّ أخوكَ فهُنْ

محمود الوراق :

دارِ الصديقَ اذا استشاط تغضُّباً　　فالغيظ يخرجُ كامنَ الاحقادِ
ولربما كانَ التغضُّب باحثاً　　لمثالبِ الآباء والأجدادِ

النهي عن مراجعة السفيه ومدح فاعل ذلك :

قال الله تعالى : واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . قال شاعر :

لا ترْجعَنَّ الى السفيهِ خطابَه　　إلاَّ جوابَ تحيةٍ حياكها
فمتى تحركْه تحرّكْ جيفةً　　تزداد نتناً ما اردت حراكها

وقال رجل للأحنف : ان قلت واحدة لتسمعن عشراً ! فقال : أنت إن قلت عشراً لم تسمع واحدة ! وألح رجل على الأحنف بالشتم ، فلما فرغ قال : هل لك في الغداء فانك مذ اليوم تحدوا بأحمال ثقال ؟ وشتم سفيه حكيماً وهو ساكت فقال : اياك أعني ! فقال : وعنك أغضي ! قال :

وبعضُ انتقامِ المرءِ يردي بعقلِهِ   وان لم يقع إلا بأهلِ الجرائمِ

وقيل لبعضهم وقد كان صاحب من له ذنب اليه : هلا جازيت ! فقال :

الصقرُ يحقر عن طرادِ الدخل

شاعر : شاتمني عبدُ بني مسمع   فصنت عنهُ النفسَ والعرضا

ولم أجبْهُ لاحتقاري له   من ذا يعضَ الكلبَ ان عضَّا ؟

ولهذا باب في موضع آخر .

الحث على التصامم عن القبيح والتمدح بذلك :

قال المهلب : اذا سمع احدكم العوراء فليطأطىء لها تتخطاه . وأسمع رجل آخر وهو ساكت فقال : إني واياك كما قال زهير :

وذي خطلٍ في القول تحسبُ أنه   مصيبٌ فما يلممْ به فهو قائِله !

حاتم : وكلمةُ حاسد في غيرِ جرم   سمعتُ فقلت : مرّي فانفذيني

عنيت بها كأن قيلت لغيري   ولم يعرقْ لها يومـاً جبيني

السموأل اليهودي : رب شتم سمعت فتصامت ، وعي تركته فكفيت .

البحتري :

وأحبس عني تعريض عرضي لجاهل   وان كنت في الإقدام أطعن في الصف

الحث على الرحمة ومدح ذويها :

قال النبي ﷺ : ارحم مَن في الارض يرحمك مَن في السماء . وقال ﷺ : مَن لا يرحم الناس لا يرحمه الله . وقال عليه الصلاة والسلام : لا تنزع الرحمة الا من قلب شقي . وقال : من كرم أصله لان قلبه . وقيل من أمارات الكرم الرحمة ، ومن أمارات اللؤم القسوة .

الحث على العفو مطلقاً :

قال الله تعالى : وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم . وقال تعالى : وأن تعفوا أقرب للتقوى . وقال تعالى : فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره . وأدب نبيه ﷺ فقال : خذ العفو وأمر

بالعرف وأعرض عن الجاهلين ؛ فلما علم ان قد قبل أدبه قال : وإنك لعلى خلق عظيم . وقال الا- اياكم وحمية الاوغاد ؛ قيل : وما حميتهم ؟ قال : يرون العفو مغرماً والبخل مغنماً . وقيل لبعضهم : هل لك في الانصاف أو ما هو خير من الانصاف ؟ قال : وأي شيء خير من الانصاف ؟ قال : العفو فالانصاف ثقيل . وسئل الجنيد رحمه الله عن الفتوة فقال : العفو بدلالة قوله تعالى : وليعفوا وليصفحوا . وقيل : العفو عن المذنب زكاة النفس . قيل : من كرم الأخلاق أن تغفر الذنب . من شكر الموهوب العفو عن الذنوب الاحتمال قبر العيوب .

البحتري :

إذا أنتَ لم تضرب عن الحقدِ لم تفُزْ بشكرٍ ولم تسعد بتقريظِ مادحِ

استطابة العفو ولذته :

قيل : لذة العفو أطيب من لذة التشفي ، لأن لذة العفو يتبعها حمد العاقبة ، ولذة التشفي يتبعها غم الندامة . وقيل للاسكندر : أي شيء أنت به أسر مما ملكت ؟ قال : مكافأة من أحسن إليّ بأكثر من إحسانه ، وعفوي عمن أساء بعد قدرتي عليه .

ما يستحسن من الكبار فيه الحلم وما يستقبح :

قال معاوية وقد أغلظ له رجل : إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين السلطان . وقال المأمون : الحلم يحسن بالملوك الا في ثلاثة : قادح في ملك ، ومتعرض لحرمة ، ومذيع لسر . وقال السفاح : الحلم يحسن إلا ما أوضع الدين وأوهن السلطان .

الحث على دوء الحد :

قال النبي ﷺ : أدرؤا الحدود بالشبهات . وقال عمر رضي الله عنه : لأن يخطىء الامام في العفو خير له من أن يخطىء في العقوبة . وقال ابراهيم النخعي : لأن أعطل مائة حد قد ثبتت أحب إلي من أن أقيم حداً قد ثبت .

حث القادر على العفو :

قال امير المؤمنين على كرم الله وجهه : اذا قدرت على العدوّ فاجعل العفو شكر قدرتك . ظفر الاسكندر ببعض الملوك فقال له : ما أصنع بك ؟ قال : ما يجمل بالكرام أن يصنعوه اذا ظفروا! فخلى سبيله ورده إلى مملكته . ولما ظفر أنوشروان ببزرجمهر قال : الحمد لله الذي أظفرني بك ! فقال : كافىء من أعطاك ما تحب بما يحب . قالت عائشة رضي الله عنها : اذا ملكت فاسجح . وقيل: المقدرة تذهب الحفيظة . وقيل ليوسف عليه السلام : بعفوك عن اخوتك عند قدرتك رفع قدرك .

ذم المتشفي من الغيظ :

قال معاوية رضي الله عنه : العقوبة الأم حالات ذي القدرة . وقال حكيم : من شفي غيظه لم يجب شكره . وقال : التشفي طرف من الجزع ، فمن رضي أن لا يكون بينه وبين الظالم الا ستر رقيق وحجاب ضعيف فليتصف . وقال شاعر :

متى تُردِ الشفاء لكل غيظٍ تكن مما يغيظك في ازديادِ
متى لم تتسع أخلاق قومٍ يضيق بها الفسيحُ من البلادِ

مدح من صفح عن قدرة :

شاعر : ما أعظم الناس أحلاماً اذا قدروا !

وقيل : عفو العزيز أعزّ له وعفو الذليل أذلّ له .

آخر : ما أحسن العفو من القادر لاسيما عن غير ذي ناصر !

أشجع : يعفو عن الذنبِ العظيمِ وليس يعجزهُ انتصارُه
صفحاً عن الباغي عليه وقد أحاط به اقتدارُه

المتنبي : فتى لا تسلبُ القتلى يداه ويسلبُ عفوه الأسرى الوثاقا

الممدوح بأنه ان شاء صفح وان شاء انتقم :

الأعشى : يقوم على الرغم في قومه فيعفو اذا شاء أو ينتقم

كثير : حليمٌ اذا ما نال عاقبَ مجملًا أشد العقابِ أو عفا لم يثرب

علي بن الجهم :

يعاقب تأديباً ويعفو تطوّلا ويجزي على الحسنى ويعطي فيجزل

وقال آخر :

تسطو بعدلٍ وتعفو إن عفوتَ به فلا عدمْناك من عافٍ ومنتقمِ !

الحث على اقالة من سلم ظاهره :

قيل : لا تعتد بما لم تسمعه أذناك ، فان السيد اذا حضر هيب ، واذا غاب اغتيب . وقال بعض الملوك : انما نملك الاجساد دون النيات ، ونحكم بالعدل لا بالهوى ، ونفحص عن الاعمال لا عن السرائر .

البحتري : إذا عدوّك لم يظهرْ عداوَتَه   فما يضرّكَ إن عاداكَ اسرارا ؟

وقال آخر :

إذا دحسُوا بالكرهِ فاعفُ تكرّماً   وان حبسوا عنك الحديث فلا تسلِ

فإن الذي يؤذيك منه استماعُه   وإن الذي قالوا وراءك لم يقلِ

العفو عن سلم باطنه :

قد يهفو المرء ونيته سليمه ويزل وطريقته مستقيمه .

ابراهيم بن المهدي :

ما ان عصيتك والغواة تمدّني   أسا بها الا بنيّة طائـعِ

ابن طباطبا :

أرى زلتي كفراً فهل لي توبةٌ   وكم كافر بالله راجٍ لغفرانهِ

فان كنت في الكفر الذي جئت مكرهاً   فما زال قلبي مطمئناً بإيمانِه

الفرزدق :

فلست بمـأخوذٍ بلغو تقولهُ   اذا لم تعمد عاقـدات العزائم

ذم من لا يقيل العثرة :

قال النبي ﷺ : ألا أخبركم بشراركم ؟ من أكل وحده وضرب عبده ومنع رفده ؟ ألا أخبركم بشر من ذلكم ؟ من لا يقبل معذرة ولا يقيل عثرة .

شاعر : موقح الوجهِ قليل الصفحِ   كلامه مثل عصيّ الطلحِ [1]

عتب من يحفظ الذنب بعد تقادمه :

البحتري : تناس ذنوب قومك ان حفظ الذنوب اذا قدمن من الذنوب

وقيل : الآثام تدرسها الايام .

---

(١) أي معوج .

وجوب العفو عن المعترف :

الاعتراف يزول به الاقتراف . لا عتب مع إقرار ولا ذنب مع استغفار . المعترف بالجريرة مستحق للغفيرة .

محمد بن جابر :

إذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائباً   اليك فلم تغفر له ، فله الذنب

وقيل : التوبة تغسل الحوبة .

الحث على العفو بعد الاقرار :

قال كلثوم بن عمرو لصديق له أنكر ذنباً : اما أن تقر بذنبك فيكون اقرارك حجة لنا في العفو ، والا فطب نفساً بالانتصار منك فان الشاعر يقول :

أقررْ بذنبك ثم اطلبْ تجاوزنا   عنه ، فإن جحود الذنب ذنبانِ

قيل : يجب للحازم أن لا يتقدم غفرانه تعريف الجاني ما جنى ، لئلا ينسب عفوه إلى الغفلة وكلال حد الفطنة .

سوء الاعتذار دليل على الاصرار :

قال : لا ترجُ رجعتَ مذنبٍ   خلط احتجاجاً باعتذارِ

وقال آخر :

فلا أنتَ أعتبتَ في زلةٍ   ولا أنتَ أغليتَ في المعذره

حسن العفو عن المصر :

سمع حكيم رجلاً يقول : ذنب الاصرار أولى بالاغتفار ؛ فقال : صدق والله ليس فضل من عفا عن السهو القليل ، كمن عفا عن العمد الجليل .

مستعف مقر بالذنب :

ابن المعتز في كلام له : تجاوز عن مذنب لم يسلك بالاقرار طريقاً ؛ حتى اتخذ من رجائك رفيقاً .
وقال الفضل بن مروان لرجل عاتبه : بلغني أنك تبغضني ! فلم ينكر الرجل وقال : أنت كما قال الشاعر:

فإنكَ كالدنيا نذمُّ صروفَها   ونوسعُها ذماً ونحن عبيدُها

أبو فراس: إن لم تجافَ عن الذنو   بِ وجدتَها فينا كثيره
لكن عادتك الجميلة   أن تغضَّ على الجريره

أتى المنصور برجل أذنب فقال : ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، فإن أخذت في غيري بالعدل فخذ فيّ بالاحسان ؛ فعفا عنه .

شاعر : إن للاعتذارِ حظّاً من العفو يراهُ المقرّ بالانصافِ
ولعمري لقد أجلك من جا ء ُمقرّا بذلةِ الاعترافِ

الرفاء : فإن تعفُ عني تعفُ عن غيرِ جاحدٍ لما كان ، والإقرارُ بالذنب أروحُ

وقال آخر :

صفحاً فلو شق قلبي عن صفيحتهِ لظل يقرأ منه الخوفُ والندمُ

وقال آخر :

فلستُ بأوّل عبدٍ هفا ولستَ بأوّلِ مولىً عفا

استعفاء من خلط اقراراً بانكار :

ما أعرف تقصيراً فابلغ ولا ذنباً فاعتب ولكني أقول :

هبني أسأتَ كما زعمتَ فاين عاقبة الاخوّه ؟
واذا أسأتَ كما أسأ تُ فاين فضلُكَ والمروه ؟

ابن نوقة :

وهبني، وما أجرمتُ،أجرمتُ كلّما أتاك بـه الواشي فجدْ باحتمالِه

ابن باذان :

إن أسأتُ فأين إحسانك وإن أفرطتُ فأين أفضالُك
أقررتُ بالجرم علـى أنني لست بمخليك مِنَ العربده

وقال الشعبي لابن بسرة وقد كلمه في قوم حبسهم : ان حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم، وان حبستهم بحق فالعفو يسعهم ! فامر باطلاقهم .

معتذر مع انكار :

قال رجل لمعن : ما على المذنب أكثر من الرجوع ، فهل على من لم يذنب أكثر من الاعتذار ؟ قال : ولما حبس الرشيد عبدالملك بن صالح قال : إن الملك شيء ما نويته ولا تمنيته ، ولو اردته لكان اسرع من السيل الى الحدور ، والنار الى يبس العرفج ، ولكن لما رآني بالملك قميناً وإن لم

أترشح له في سر ولا جهر ، ورآه يحن الي حنين الام الوالهة الى ولدها عاقبني عقاب من سهر في طلبه ، فإن حبستني على أني أصلح له ويصلح لي فليس ذلك ذنباً فأتوب منه ! وقال الرشيد لرجل يرمى بالزندقة : لاضربنك حتى تقر بالذنب ! فقال : هذا خلاف ما امر الله تعالى به ، لأنه امر أن يضرب الناس حتى يقروا بالايمان ، وأنت تضربني حتى أقر بالكفر ؟ فخجل وعفا عنه .

التنوخي : إن كان إقراري بما لم أجنِه يرضيك عني قلت : إني ظالم !

معتذر بتكذيب نفسه :

خرج النعمان متنكراً فمر برجل فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال : أليس ابن سلمى ؟ قال : نعم . قال : طالما أمررت يدي على فرجها ! فلحقته خيله فقال : كيف قلت ؟ قال : أبيت اللعن ! والله ما رأيت شيخاً أكذبَ ولا ألأم ولا أوضعَ ولا أعض لبظر أمه مني ! فضحك وخلاه ، فأنشأ اليشكري :

تعفو الملوكُ عن العظيمِ من الذنوبِ لفضلِها ولقد تعاقب في اليسيرِ وليس ذاك لجهلِها

لكن ليعرفَ فضلها ويخاف شدة نكلِها

انقطع عبدالملك عن أصحابه فانتهى الى اعرابي فقال : أتعرف عبدالملك ؟ قال : نعم . جائر بائر ! قال : ويحك أنا عبدالملك ! قال : لا حياك الله ولا بياك ولا قربك ، أكلت مال الله وضيعت حرمته ! قال : ويحك أنا أضر وأنفع ! قال : لا رزقني الله نفعك ولا دفع عني ضرك ! فلما وصلت خيله علم صدقه فقال : يا امير المؤمنين ، اكتم ما جرى فالمجالس بالامانة !

مستعف سأل أن ينخدع له :

ابن الرومي :

فسامح وليَّك إن الكريمَ قد يتخادعُ للخادعِ

وقال : وما بك من غفلة إنما لفرطِ الحياء وفرطِ الكرَم

وكان جعفر بن سليمان عثر برجل سرق درة فباعها ، فلما بصر بالرجل استحيا فقال له : ألم تكن طلبت هذه الدرة مني فوهبتها ؟ فقال الرجل : نعم . فخلى سبيله . وبلغني ان ركن الدولة كان يوماً في الدار بحيث لا يرى ، فدخل فرّاش فرأى طاساً من ذهب ولم يكن بقربه احد ، فتناوله وخرج فرآه ركن الدولة ولم يعلم به ، فلما استقصى عليه الخدم قال : دعوه فإن من أخذه لم يأخذه على أن يرده ، ورائيه لا يريد ان يذكره ، فبعد ذلك كان الفراش يصب ماء على يديه وعليه ثياب فاخرة ، فقال ركن الدولة : هذه الثياب من ذلك الطاس ! وكان الفراش جلداً فقال : نعم أيها الامير وغيرِ ذلك من أثر النعم ؟ فعفا عنه .

الحث على استبقاء نعمة باقالة عثرة :

ابن الرومي :

لا تطيّرْ وسناً عن مقلةٍ   أنت أهديتَ لها حلوَ الوَسن

ابن نوقة : أترضى بإلزام الدنيئة خادماً   رجا في ذُراكم أن ينالَ المعاليا

وقال روح بن زنباع : لا تشمتن بي عدواً أنت رقمته ، ولا تسوءن بي صديقاً أنت سررته ، لا تهدمن ركناً أنت بنيته .

استعفاء من زعم ان ذنبه كان خطأ او نسياناً :

قال النبي ﷺ : رفع عن امتي الخطأ والنسيان . وقال غلام هاشمي أراد عمه أن يجازيه بسهو منه : ياعم اني قد أسأت وليس معي عقلي ، فلا تسيء ومعك عقلك ! ابو تمام :

فان يك سخط عم أوتك هفوة   عـلى خطإٍ مني فعذري عـلى عمد !

علي بن الجهم :

ألم تر عبداً عدا طورَه   ومولىً عفا ورشيداً هدى

ومفسد أمر تلافيتَـهُ   فعاد وأصلحَ ما أفسدا

المتنبي : وعين المخطئين همْ وليسوا   بأولِ معشرٍ خطئوا وتابوا

وما جهلَتْ أياديكَ البوادي   ولكن ربما جهلَ الصوابُ

المتمدح بذلك :

اعتذر رجل الى المنتصر فقال : أتراني أتجاوز بك حكم الله حيث يقول : ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً .

الحسن بن وهب :

وعندي إغضاء وعفو عن الذي   يزلّ اذا ما لم يكن ذاكَ عن عمدِ

مستعف سأل أن يقوم ويؤدب :

أحمد بن ابي فنن :

أحين كثرت حسادي وساءهم   جميل فعلـك بي أشمتَّ حسادي ؟

فإن تـكن هفوةٌ أو زلةٌ سلفت   فأنت أولى بتقويمي وإرشادي !

مستعف سأل العفو لفرط خوفه :

علي بن الجهم :

فعفوكَ عن مذنبٍ خاضعٍ   قرنتَ المقيمَ به المقعدا
اذا ادَّرع الليلُ أفضى بهِ   الى الصبحِ من قبْلِ أن يرُقدا

مستعف اتكل على سالف حرمته :

قال هاشمي للمأمون : من حصل له مثل دالتي ، ولبس ثوب حرمتي ، ومتّ بمثل قرابتي ، وأسلف مثل مودتي ، أقيل له أعظم من عثرتي ، وغفر له فوق زلتي ؛ فقال : صدقت ! وعفا عنه .

شاعر : أيذهبُ يومٌ واحدٌ إن أسأتهُ   بصالح أيامي وحسنِ بلائيا

وكفى بالحث على ذلك قول الله تعالى : إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم .

الاستعفاء لمذنب من قوم محسنين :

ابراهيم الصولي :

أساؤا وفيهم محسنونَ ، فإن تهب   لمحسنهم أهلَ الإساءة ، يصلحوا

متوصل الى العفو بمراجعة أو حجة :

غضب عبدالملك على رجل فلما أُتي به قال : السلام عليك يا امير المؤمنين . فقال : لا سلم الله عليك ! فقال : ما هكذا أمر الله تعالى إنما قال تعالى : واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها . وقال : وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ! فعفا عنه . وكان عمر رضي الله عنه يعس ليلة ، فسمع غناء رجل من بيت فتسور عليه ، فرآه مع امرأة يشربان الخمر فقال : يا عدوّ الله أرأيت أن يسترك الله وأنت على معصية ؟ فقال : يا امير المؤمنين لا تعجل ! إن كنت عصيت الله في واحدة فقد عصيت في ثلاث : قال الله تعالى : ولا تجسسوا ، وقد تجسست وقال : وائتوا البيوت من أبوابها ، وقد تسورت علي ، وقال : لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، وقد دخلت بغير سلام ! فقال عمر رضي الله عنه : أسأت فهل تعفو ؟ فقال : نعم وعلى أن لا أعود !

من توصل الى العفو بذم نفسه :

كان جعفر بن أمية خرج مع مصعب بن الزبير ، وكان صديقاً لعبدالملك ، فلما أُتي به بعد قتل مصعب قال عبدالملك : لا أنعم الله بك خرجت مع مصعب ؟ قال : نعم . قال : ونعم ايضاً فلا

انعم الله بك ! قال : إني أعرف نفسي بالشؤم فأردت أن أصيب مصعباً بشؤمي ! فضحك وخلاه . وأتي الحجاج برجل من اصحاب ابن الاشعث فقال له : أفيك خير إن عفوت عنك ? فقال : لا . قال : ولما ? قال : لاني كنت خاملاً فرفعتني والحقتني بالناس ، فخرجت مع ابن الاشعث لا لدين ولا لدنيا ، ومعي الحماقة التي لا تفارقني أبداً ، ولا أفلح معها سرمداً ! فضحك منه وخلى سبيله .

من توصل الى العفو بحيلة :

أتي معن بن زائدة بأسرى ، فأمر بضرب أعناقهم فقام غلام منهم فقال : أنشدك الله ايها الامير ان لا تقتلنا ونحن عطاش ! فقال : اسقوهم . فلما شربوا قال : ناشدتك الله ان قتلت ضيفانك ! قال : أحسنت ! فخلى سبيلهم . همّ الأزارقة بقتل رجل فقال : امهلوني لأركع ! فنزع ثوبه واتّزر ولبى وأظهر الإحرام ، فخلوا سبيله لقوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام . ولما غشي امير المؤمنين علي كرم الله وجهه عمرو بن العاص طرح نفسه على الدابة وتلقاه بعورته ، فأعرض عنه وقال : قبحك الله ! ولما أتي عمر رضي الله عنه بالهرمزان أراد قتله ، فاستسقى ماء فأُتي بقدح فأمسكه بيده فاضطرب وقال : لا تقتلني حتى اشرب هذا الماء ، فقال : نعم . فألقى القدح من يده . فأمر عمر رضي الله عنه بأن يقتل ، فقال : أولم تؤمني وقلت لا أقتلك حتى تشرب هذا الماء ? فقال عمر : قاتله الله ! أخذ أماناً ولم نشعر به .

مستعف ذكر فرط خوفه من الوعيد :

مروان بن ابي حفصة :

أبيتُ وجنبي لا يلائم مضجعاً ... إذاما اطمأنت بالجنوبِ المضاجعُ

سلم الخاسر :

لقد أتتني من المهدي معتبةٌ ... تظلّ من خوفها الأحشاء تضطربُ

ابو تمام : أتاني عائر الأنباء تسري ... عقاربُه بداهيةٍ نآدِ
فيا خبراً كأن القلب أمسى ... يجريه على شوك القتادِ !

البحتري : عذيري من الأيام رققنَ مشربي ... ولقينني نحساً من الطيرِ اشأما
وألبسنني سخطَ امرىء بتّ موهناً ... أرى سخطه ليلاً مع الليل مظلما

من هرب خشية العتاب فاعتذر لذلك :

شاعر : لئن أخفى حذاري عنك شخصي   لما أرسلت من كفي خيلك
ولم أهرب عـلى ثقة وعلم   بأني إن رميت أفوت نبلك
ولكني هربت عـلى يقين   بأنك معمل في الحكم فضلك !

المتوصل الى العفو بمغالطة القول :

أتى مخرق بنساء فطلبن أن يعفو عنهن فابى فقالت امرأة منهن : أطال الله سهادك وأخمد رمادك! فما قتلت الا نساء أعلاهن ندى وأسفلهن دما ، ما أدركت من قتلنا ثأراً ولا محوت عن نفسك به عاراً فأمر بتخلية سبيلهن غيرها وقال : إني لأخشى أن تلد مثلها ! وأتى الحجاج بأسارى فقال أحدهم : لا جزاك الله عن السنة خيراً ! قال : كيف ؟ قال : ان الله تعالى يقول : فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منًّا بعد واما فداء . فلا مننت ولا فاديت ! فقال الحجاج : خلوا سبيلهم . وقالت امرأة في جملة أسرى : قبحك الله ! فلئن أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو ! فقال : أفّ لهذه الجيف ! أما كان فيهم من يقول مثل هذا ، وأمر بتخلية من بقي منهم .

المتوصل الى العفو بتذكر الله ومناشدته :

غضب رجل على مولاه فقال : أسألك بالله ان علمت اني لاطوع لك منك لله فاعف عني عفا الله عنك ! فعفا عنه . وقال رجل لامير غضب عليه : أسألك بالذي أنت أذل بين يديه غدا مني بين يديك إلا ما عفوت عني ! فعفا عنه . وقال آخر لامير يضربه : اضرب بقدر ما تعلم أنك تجشمه عند القصاص يوم الجزاء فعفا عنه .

من استعفى واستوهب جميعاً :

جنى غلام للحسن بن علي رضي الله عنهما ، فأمر بعقابه فقال : يا مولاي إن الله تعالى قد مدح قوماً فكن منهم ، فانه يقول : والكاظمين الغيظ ! فقال : خلوا سبيله . قال : وقد قال : والله يحب المحسنين ! قال : أنت حر لوجه الله ولك من المال كذا . واستعفى رجل من مصعب بن الزبير فعفا عنه فقال : اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض ! فاعطاه مائة الف ، فقال الرجل إني قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات بقوله :

إنما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلت عن وجههِ الظلماء

فقال له مصعب : هذا لك وعلينا ان نعطيه ذلك !

المتنبي : فاغفر فديتك واحبني من بعدها لتخصّني بهديةٍ منها أنا

وقال : رددت مالاً ولم تمنن عليّ به وقبل ماليَ قدماً قدحقنتَ دمي !

المتوصل الى العفو بدفع الوقت :

أتي عبيد الله بن زياد بخارجي فأمر بقتله فقال : ان رايت ان تؤخرني الى غد ؛ فأمر بتأخيره

فقال : عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقتهِ أمرَ

فعفا عنه . وغضب المأمون على علي بن الجهم فقال : لآخذن مالك ولاقتلنك ، اقتلوه ! فقال احمد بن ابي دؤاد : اذا قتلته فمن اين تأخذ المال يا امير المؤمنين ؟ قال : من ورثته ؛ فقال : حينئذٍ تأخذ مال الورثة وامير المؤمنين يأبى ذلك ، فقال : يؤخر حتى يستصفى ماله ! وانقضى المجلس وسكن غضبه وتوصل الى خلاصه .

شاعر : واذا ابن عمّك لجّ بعض لجاجه فانظرْ به غدَهُ ولا تستعجلِ

المتوصل الى ذلك بالتثبت الى حين التبين :

قال الله تعالى : ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين. وقيل لوال : تأنّ فإن التأني من الوالي صدقة . وغضب الرشيد على رجل فقال له جعفر : غضبت لله فأطع الله في غضبك بالوقوف إلى حال التبين كما غضبت له . وقال الشعبي لعبد الملك : انك على ايقاع ما لم توقع اقدر منك على رد ما اوقعت ؛ فأخذ هذا المعنى شاعر فقال :

فداويتهُ بالحلمِ والمرءُ قادرٌ على سهمهِ ما دام في يده السهمُ

التثبت في العقوبة نصف العفو :

المتنبي : ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفقَ بالجاني عتابُ

نهي العافي عن التثريب :

رضي بعض الملوك عن رجل ثم اخذ يوبخه فقال : إن رأيت ان لا تخدش وجه رضاك بالتثريب فافعل . وقيل : ما عفا عن الذنب من قرّع به ! وقيل : العفو مع العذل اشد من الضرب على ذي العقل ، فرب قول انفذ من صول ، وعفو اشد من انتقام !

ابن نوقة : إن كنت تعفو فاعفُ عفوَ مهنيءِ احسانه ، إنَّ الكريمَ وهوبُ

قل قول يوسفَ حين قالَ لإخوةٍ جاؤه معتذرين : لا تثريب !

أو لا فعاقبْني فليس بمنكرٍ من مثلِك التقويمُ والتأديبُ

وفيمن يعاقب ثم يعاتب قال شاعر :

اذا عوقب الجاني على قدر جُرمه   فتعنيفُه بعد العقابِ من الرّبا

معاتبة من صفح ثم ندم :

قال ابن طباطبا : كان جرى بيني وبين رجل كلام واحتملت عنه ثم ندمت ، فرايت في المنام كأن شيخاً اتاني فأنشدني :

أندمْتَ حين صفحْتَ عمن قد أساء وقد ظَلَم ؟
لا تندَمن فشرُّنا مَن أتبعَ الخيرَ الندمْ

ذم من اعتذر فأساء :

قيل في المثل : عذره اشد من جرمه . رب إضرار احسن من اعتذار . وقال آخر : انسيتَنا باعتذارك كل عثارك . وقيل : بث من عذرك ثم من ذنبك .

الخبزارزي :

وكم مذنب لما أتى باعتذاره   جنى عذره ذنباً من الذنبِ أعظما ؟

ابن الحجاج :   لي صديقٌ جنى علي مراراً وكثَرا
ثم لما عتبتُه غسَل البولَ بالخرا

علي بن عبد العزيز الجرجاني :

رب ذنبٍ ينمى على العذر حتى   يبصر الاحتجاج عنهُ يشينُه
كمقال الجريء يزداد قبحاً   كلما ازداد منهمُ تحسينُه

النهي عن الذنب المفضي الى الاعتذار :

قيل : اياك وما يسبق الى القلوب انكاره ، وان كان عندك اعتذاره ، فما كل من يحكي عنك وينكر تطيق ان توسعه عذراً . وقيل : من وثق بحسن العذر وقع في الذنب .

الموسوي :

ومن قيَّد الالفاظَ عند نزاعِها   بقيدِ النُّهى أغنته عن طلبِ العذرِ

النهي عن العذر :

قال النبي ﷺ : اياكم والمعاذير فانها مفاجر . وقال امير المؤمنين على كرم الله وجهه : امسك عن الاعتذار واستمسك بالاستغفار . وكتب الحجاج الى بعض من اعتذر اليه : ان يعلم الله ذلك من نيتك تكف المقال .

صعوبة الاعتذار والحث على تركه :

علي بن الجهم :

إن دون السؤالِ والاعتذارِ   خطةً صعبةً على الأَحرارِ
فارضَ للمذنبِ الخضوعِ وللقا   رفِ ذنباً مضاضة الاعتذارِ

الزبير وهو في نهاية الحسن :

تعالوا نصطلحْ وتكون منا   معاودة بلا عـدّ الذنوب
فان أحببتمُ قلتم وقلنا   فإن القلبَ أشفى للقلوبِ

نهي من لم يذنب عن العذر :

اياك والعذر عما لم تجنه ، فالمعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه الذنب . وقيل : احق منزلة بالاجتناب منزلة العذر لأنه يقف مواقف تهمة ، وقلما سلم من ظنه . وقيل : الاغراق في العذر يحقق التهمة كما ان الافراط في النصيحة يوجب الظنة .

الاعتذار من ترك الاعتذار :

قال بعضهم : سكوتي عن التفسير لاعترافي بالتقصير . وقال آخر : لست اعتذر اليك من الذنب إلا باقلاع عنه . وكتب كاتب : إن تركت الاعتذار فلما قال الشاعر

اذا لم يكن للعذر وجهٌ مبينٌ   فإن اطّراحَ العذرِ خيرٌ من العذرِ

وقيل للمطيع وقد بلغ المهتدي عنه شيء انكره : ان كان ما بلغك حقاً فما تغني المعاذير ، وان كان كذباً فما تضر الاباطيل !

الممتنع من العذر عن حق أورده :

* سأل الحجاج اعرابياً عن اخيه محمد بن يوسف : كيف تركته ؟ فقال : تركته سميناً عظيماً . قال: انما سألت عن سيرته . قال : ظلوماً غشوماً . قال : اما علمت انه اخي ؟ قال : نعم ما هو بك اعز مني بالله ؟ فأمر بضربه فقيل له : اعتذر اليه . فقال : معاذ الله ان اعتذر من حق اوردته ! وخطب الحجاج يوماً

فأطال ، فقام رجل فقال : الصلاة ! الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك . فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا انه مجنون ، فإن رأى أن يخلي سبيله فقال : إن أقر بالجنون خليته ؛ فقيل له ذلك فقال : معاذ الله لا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني ! فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه . ودخل رجل على سلطان وكان قد أذنب فقال : بأي وجه تلقاني ؟ فقال : بالوجه الذي ألقى به الله ، فأن ذنوبي اليه اكثر وعقوبته اكبر ! فعفا عنه ووصله .

تأسف من يعاتب من غير ذنب :

شاعر : قد يُلامُ البريءُ من غير ذنبٍ وتغطّى من المسيء الذنوبُ

وقال آخر :

إذا كنت ملحياً مسيئاً ومحسناً فغشيانَ ما تهوى من الامر اكيسُ

البحتري :

إذا محاسني اللاتي أدلّ بها كانت ذنوبي، فقل لي: كيف أعتذر ؟

وفي المثل : رب ملوم لا ذنب له .

شاعر : وكم من موقفٍ حسنٍ أحيلت محاسنُه فعدّ مِن الذنوبِ

من اعتذر بتكذيب الواشي :

زهير بن بلال :

وذي حنق أغراه بي غير ناصح فقلت له : وجه المحرش أقبح !

أبو تمام : ومن يأذن الى الواشين يسلق مسامعه بألسنةٍ حداد

ابن الحجاج :

قل للذي جهز بالسعي بي بضاعةً عادت بخسرانهِ :
يا ذا الذي لا بد من صفعِه يوماً ومن تعريك آذانه
لو حدثت كسرى به نفسه صفعته في جوفِ إيوانه !

قلة الاعتذار بقول الواشي :

شاعر : دع الناس ما شاؤا يقولون، إنني لِأكثر ما قالوا على حمولُ
وما كل ما أسخطتُه أنا معتبٌ ولا كل ما يروى علي أقولُ

من ذكر ارضاء صاحبه :

العتابي : فهل أنا مغض في هواكَ وصابرٌ على حدّ مصقول الغرارين قاضبِ
ومنتزعٌ عما كرهتُ وجاعلٌ رضاكَ مثالاً بين عيني وحاجبي ؟

وقال آخر :

لو أسخطتُكَ حياتي قتلتُ نفسي لترضى

• •

ومما جاء في ذم الحلم ومدح العقاب

النهي عن الملاينة حيث لا تنفع :

شاعر : بالرفق مارسْ ولاينْ من تخالطُه وغالظنّ إذا لم ينفعِ اللين

سعد بن ناشب :

وفي اللين ضعف، والشراسة هيبة ومن لا يهبْ يحمل على مركبٍ وعرِ

وقيل : الكريم يلين عند استعطافه ، واللئيم يقسو عند استلطافه .

النهي عن الحلم اذا كان يلحق منه مذلة :

سالم بن وابصة :

إن من الحلم ذلاً أنت عارفه والحلمُ عن قدرةٍ فضلٌ من الكرمِ

قيس بن زهير : وقد يستجهلُ الرجلُ الكريمُ

وقال آخر :

وفي الحلم ضعفٌ والعقوبة هيبةٌ إذا كنت تخشى كيدَ من عنه تصفحُ

وقال آخر : إذا الحلم لم ينفعْكَ فالجهلُ أحزم

المتنبي : وحلمُ الفتى في غير موضعهِ جهلُ

وله : منَ الحلمِ أن تستَعملَ الجهلَ دونه إذا اتسعَتْ في الحلمِ طرقُ المظالمِ

دفع الجهل بالجهل :

هدبة : ما إن نفى عنك قوماً أنت تكرههم   كمثل وقمك جهالاً بجهال

آخر : ولي فرس للحلم بالحلم ملجم   ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

وما كنت أرضى الجهل خدناً ولا أخاً   ولكنني أرضى به حين أحوج

وقيل : الشر لا يدفعه الا الشر ، والحديد بالحديد يفلح .

من حلم وقتاً ونهى عن الاغترار به :

بعضهم : فلا يغررك طول الحلم مني   فما ابداً تصادفني حليما

المتنبي : وأطمع عامر البقيا عليهم   ونزّفها احتمالك والوقار

وصف الحلم بأنه مضر مذلل :

قيل : الشهرة بالملاينة والخير شر من الاشتهار بالغلظة والشر ، لأن من عرف بالخير اجترأ عليه الناس ، ومن عرف بالشر هابه الناس وتجنبوه . وقيل : آفة الحلم الذل . وقيل للاحنف : ما الحلم ؟ فقال : الرضا بالذل .

كون الحلم مغرياً :

قال معاوية : ما ولدت قرشية خيراً لقرشي مني ! فقال ابن زرارة الكلابية : بل ما ولدت شراً لهم منك ! فقال : كيف ؟ قال : لأنك عودتهم عادة يطلبونها ممن بعدك فلا يجيبونهم اليها ، فيحملون عليهم كحملهم عليك ، وكأني بهم كالزقاق المنفوخة على طرقات المدينة . وقال الاحنف لرجل : ليت طول حلمنا عليك لا يدعو جهل غيرنا اليك .

النهي عن اكرام اللئام :

قال يزيد بن معاوية لابيه : هل ذممت عاقبة حلم ؟ قال : ما حلمت عن لئيم وإن كان ولياً إلا أعقبني ندماً ، ولا أقدمت على كريم وإن كان عدواً الا أعقبني أسفاً .

شاعر : متى تضع الكرامة في لئيم   فانك قد أسأت الى الكرامة

وقد ذهبت صنيعته ضياعاً   وكان جزاء فاعلها الندامة

وقيل : الكريم يستصلح بالكرامة واللئيم بالمهانة   المتنبي :

إذا أنت اكرمت الكريم ملكته   وإن أنت اكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندى في موضع السيف بالعلى   مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقيل : استعمال الحلم مع اللئيم أضر من استعمال الجهل مع الكريم .

الاستخفاف بمن لا يصلحه الاكرام :

اذا لم تنفع الكرامة فالإهانة أحزم . وقيل : من لا يصلحه الطالي أصلحه الكاوي . من كان الإكرام له مفسدة لم تكن الزيادة فيما يفسده له مصلحة . جنّب كرامتك اللئام فانك إن احسنت اليهم لم يشكروا ، وان نزلت بهم شدة لم يصبروا .

شاعر : سأحرمكم حتى يذلّ صعابُكم فانجعُ شيءٍ في صلاحكمُ الفقرُ

آخر : إن اللئيم إذا رأى ليناً تزايد في خسرانه
لا تكذبَنْ فصلاحُ مَن جهِلَ الكرامةَ في هوانه

الاستعانة بالجهل عند الحاجة اليه :

أكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم النار والعار . وبينا ابن عمر رضي الله عنهما جالس اذ أقبل أعرابي فلطمه ، فقام اليه رجل فجلد به الارض ، فقال ابن عمر : ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه . وقيل : اجعل لكل كلب كلباً يهر دونك ، فالعرض لا يصان بمثل سفيه يصول وحاد يقول :

لا بد للسوددِ من أرماحِ ومن سفيهٍ دائمِ النّباحِ

الأحنف :

ومنْ يحلمْ وليس له سفيهٌ يلاقِ المعضلاتِ من الرجالِ

آخر : ولا يلبث الجهالُ أن يتهضَّموا أخا الحلم ، ما لم يستعنْ بجهولِ

الرخصة في عقاب المجرم والحث عليه :

قال الله تعالى : ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب . وقال : ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . وجاء اعرابي الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : أتخاف علي جناحاً إن ظلمني رجل فظلمته ؟ فقال ابن عباس : وإن تعفو أقرب للتقوى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . وقال الشعبي : يعجبني الرجل يكافىء بالسيئة السيئة ، فاذا سيم هواناً أبت له الأنفة إلا المكافأة ، فبلغ قوله الحجاج فقال : لله دره ! أي نفس بين جنبيه ؟ وقال الجاحظ : من قابل الإساءة بالاحسان فقد خالف الرب في تدبيره ، وظن ان رحمته فوق رحمة الله تعالى ، والناس لا يصلحون إلا على الثواب والعقاب . وضرب الحجاج رجلًا فقال : اعتديت أيها الامير ، فقال : لا عدوان إلا على الظالمين . ووقع ابراهيم بن العباس : اذا كان للمحسن من الحق ما يقنعه ، وللمسيء من النكال ما يقمعه ، بذل المحسن الحق له رغبة وانقاد المسيء له رهبة .

حث القادر على العقاب قبل فوته :

قيل : صمم اذا أيقنت أنك عاقره . وقال بعض الغسانيين يحرض الاسود بن المنذر على قتل اعدائه :

ما كل يومٍ ينالُ المرءُ فرصتَه ولا يسوغه المقدار ما وهبا
فأحزم الناسِ من ان أنال فرصته لم يجعل السبب الموصول مقتضبا
لا تقطعن ذنبَ الأفعى وترسلَها إن كنتَ شهماً فأتبع رأسها الذنبا

دخل الابرش على هشام لما غضب على خالد القسري فقال : يا امير المؤمنين ، أقل خالداً عثرته ، وتداركْ بحلمك هفوته ، فقال :

مضى السهمُ حتَّى لا يريد سِوى الحشا فصادفَ ظبياً في الحديقة راتِعا

وكتب يحيي بن خالد الى الرشيد من الحبس : ان كان الذنب خاصاً فلا تعمم بالعقوبة ، فمعي سلامة البري ومودة الولي ؛ فكتب اليه : قضي الامر الذي فيه تستفتيان . وقال عبدالصمد للمنصور : لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو ! فقال : لان بني مروان لم تبل رممهم ، وآل ابي طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين اقوام قد رأونا بالأمس سوقة واليوم خلفاء ، فليس تتمهد الهيبة في صدورهم الا باطراح العفو واستعمال العقوبة . وقال لما قتل أبا مسلم : لقد شاركت عبدالملك في قول كثير :

يصدّ ويغضي وهو ليثُ خفيةٍ اذا أمكنته فرصة لا يُقيلها

التبجح بقسوة القلب وقلة الرحمة :

كان محمد بن عبدالملك بن الزيات يقول : رقة القلب من خور الطبيعة . ولما امر الواثق بتعذيبه وبحبسه في تنور من الحديد واطباقه عليه قال لمعذبه : ارحمني ! فرد الخبر الى الواثق فقال : أين قوله لا تكون الرحمة الا من خور ؟ ثم تمثل بقوله :

فلا تجزَعنْ من سُنةٍ أنتَ سرتها

ووقع في قصة رجل : دعني من ذكر الرحمة والاشفاق ، فما هما إلا للنسوان والصبيان .

المتنبي : يدخل صبرُ المرء في مدحه ويدخلُ الإشفاق في قلبهِ

المتمدح بأنه يقابل الاساءة بمثلها :

شاعر : اعلمْ بأنك ما أسديتَ من حسنٍ إليَّ أو سيءٍ أوفيتُك الثَّمنا

مسلم بن الوليد :

فان يكُ أقوامٌ أساؤا فاحسنوا إلي فاني بالجزاء لراصدُ

الحارثي : إذا عفا لم يكن في عفوه منّ ولا يكدرُ نعماه
وإن سطا عاقب ذا جرم بقدره لا يتعدّاه

اخذ البريء بجرم السقيم :

قال الله تعالى : واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة .

الحارث بن حلزة :

عنتاً باطلًا وظلماً كما يعتر عن حجرةِ الربيضِ الظباء

آخر : كذي العر يكوي غيره وهو راتع

آخر : كالثورِ يضربُ لما عافت البقرُ

ووقف رجل على الحجاج فقال : أصلح الله الأمير جنى جان في الحي فأخذت بجريرته واسقط عطائي فقال الحجاج : أما سمعت قول الشاعر :

جانيك مَن يجني عليك وقد يعدي الصحاح مبارك الجرَبِ
ولرُبّ مأخوذٍ بذنبِ صديقِه ونجا المقارف صاحب الذنبِ

فقال : اعز الله الأمير كتاب الله أولى ما اتبع ؛ قال الله تعالى معاذ الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ، فقال الحجاج : صدقت يا غلام رد اسمه وأثبت رسمه وسن عطاءه . وقال الحسن رضي الله عنه : عقر الناقة رجل واحد ولكن عم القوم بالعذاب لما رضوا بفعله . وقيل لرجل : ما فعلت حتى ضربك السلطان ؟ فقال :

وإن امرأً يمسي ويصبحُ سالماً مِن الناس إلا ما جنى لسعيدُ !

عذر من بدر منه سخط :

البحتري : إذا أحرجت ذا كرمٍ تخطى إليك ببعض أخلاق اللئامِ

عذر من عاتب على صغير :

رجل من بني يشكر :

تعفو الملوكُ عن العظيمِ من الذنوبِ لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليسَ ذاكَ لجهلِها
لكن ليعرفَ فضلها ويخاف شدة نكلِها

فضل غلبة الخصم بالحجة دون البطش :

قال معاوية : عجبت لمن يطلب امراً بالغلبة وهو يقدر عليه بالحجة ، ولمن يطلبه بخرق وهو يقدر عليه برفق ، ولما ظهر ماني الزنديق في أيام سابور بن ازدشير ودعا الناس الى مذهبه فأخذه سابور قال له نصحاؤه : اقتله ! قال : ان قتلته من غير ان قطعته بالحجة قال عامة الناس بقوله ، ويقولون : ملك جبار قتل زاهداً ولكني احاجه ، فاذا غلبته بالحجة قتلته ! ففعل ، ثم حشا جلده تبناً وصلبه .

• • •

ومما جاء في العداوات

الاحتراس من غرس العداوة :

قيل : لا تشتر عداوة رجل واحد بمودة ألف رجل . وفي كتاب كليلة : لا ينبغي للعاقل ان تحمله ثقته بقوته على ان يجتر العداوة ، كما لا يجب لصاحب الترياق ان يشرب السم اتكالاً على أدويته . وقيل : توسد النار وافتراش الافاعي أقل غائلة ممن أوجس عداوتك فيبوح بها . وقيل : احذر معاداة الرجال فالناس رجلان : عاقل فاحذر ختله ، وأحمق فاحذر حمقه . وقال عبدالله بن الحسن بن الحسين رضي الله عنهم لابنه : اتق معاداة الرجال فانك لا تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم . وقيل : الاحقاد مخوفة وأخوفها ما كان في أنفس الكبار ، فإنهم يرون الطلب بالوتر مكرمة . وقال بعضهم في التحذير من العداوة :

سيعلم اسمعيل أن عداوتي له سم أفعى لا يصاب دواؤها

النهي عن الاعتذار بالعداوة اذا ظهر الود :

قيل : العدوّ المبطن للعداوة كالنحل تمج الدواء وتجتنب الداء . سديف بن ميمون يحرض بني العباس على بني أمية :

لا يغرّنك ما ترى مِن رِجالٍ   إنّ تحتَ الضلوعِ داءً دويا
فخذ السيفَ واطرح السوط حتى   لا ترى فوق ظهرها امويا

وله : انزلوها بحيث انزلها الله   بدارِ الهوانِ والاتعاسِ
ذلها   التوددَ منها   وبها منكمُ كحزّ المواسي

المتنبي: فلا يغررْكَ ألسنةٌ موالٍ تقلبهنّ افئدةٌ أعادي
وكنْ كالموت لا يرثي لباكٍ بكى منه ويروي وهو صادِ

آخر: تعلمْ أن اكثرَ ما تنادي وإن ضحكوا إليك همُ الاعادي

وفي كتاب كليلة: لا يغر العاقل سكون الحقد في القلب ما لم يجد محركاً، كالجمر المكنون ما لم يجد حطباً، والعداوة اذا وجدت فرصة اشتعلت فلا يطفئها شيء دون النفس.

النهي عن السكون الى من يخافك:

من خاف شرّك أفسد أمرك، ومن خاف صولتك ناصب دولتك. معاوية: من خاف إساءتك اعتقد مساءتك.

النهي عن السكون الى من تقدم منك له اساءة:

قيل: اذا أوحشت الحر فلا ترتبطه، فاذا ارتبطته فلا توحشه. لما قدم عبدالملك المدينة خطب فقال: والله ما تحبونا ولا نحبكم ونحن أصحاب يوم الحرة، وانما مثلنا كما قال النابغة:

أبي لك قبرٌ لا يزال مواجهاً وضربةُ فأس فوق رأسيَ ناقره

وحديث ذلك أن العرب زعمت أن حية كانت في بيت رجل فقتلته، فترصدها اخوه ليقتلها طالباً بثأره، فقالت له الحية: صالحني على أن أؤدي اليك كل يوم ديناراً، ففعل فلما كثر ماله تذكر دخله، فأعد فأساً وترصدها فرماها وأشواها فقطع ذنبها، فأفلتت وندم الرجل لما لم ينل ثأره، وفاته ما كان يناله فدعاها يوماً الى المراجعة على أن يصالحها، فقالت: لا يقع الصلح بيننا ما رأيت قبر أخيك وأرى أثر الفأس في ذنبي! وحكي أن رجلاً كان له عبد سندي فتعرض لامرأته، فعلم الرجل بذلك فأخذه وجبّه، ثم تحوب لذلك فداواه، فلما برأ اتفق أن غاب الرجل يوماً، فعمد السندي المجبوب الى ابنين كانا لسيده فأخذهما وصعد السور؛ فلما بصر بالرجل قال: والله ان لم تجب نفسك كما جبيتني لأقذفنهما من السور ليموتا، وإن نفسي لأهون من شربة ماء! فلما رأى الرجل منه الجد جبّ نفسه، فرمى العبد بالابنين من السور؛ وقال: ان جبك نفسك قصاص لما جبيتني، وقتل ابنيك زيادة اعطيتكها!

التحذير من عدو قاهر:

قيل: أحذر الناس أن يحذر عدو قاهر وسلطان جائر. وقيل: اياك ومعاداة من ان أرادك بسوء أرداك، وان أردته بسوء لم توجع إلا حشاك. وقيل: لا تعاد من غيظك عليه غيظ الاسير على القد.

النهي عن الاستعانة بمن ظلمته :

قيل ، العدوّ عدوان : عدوّ ظلمته ، وعدوّ ظلمك ، فإن اضطرك الدهر الى أن تستعين بأحدهما ، فاستعن بالذي ظلمك فإنه احرى ان يعينك ، وان الذي ظلمته موتور .

النهي عن استصغار العدوّ :

قيل : لا تستصغرن أمرَ عدوك اذا جاريته ، لأنك اذا ظفرت به لم تحمد ، وان ظفر بك لم تعذر . الضعيف المحترس من العدوّ القوي أقرب الى السلامة من القوي المغتر بالعدوّ الضعيف . وقيل : العدو المحتقر ربما اشتد كالغصن النضر ربما صار شوكاً . وقيل : لا تأمنن العدوّ والضعيف ان تورطك فالرمح قد يقتل به وإن عدم السنان والزنج .

شاعر : لا تحقرني فربّما نفـذتْ في ردم يأجوج حيلَة الجرذِ

الموسوي : الفيل يضجرُ وهو أعظمُ ما رأيت من البعوض . وفي المثل : اذا عز أخوك فهن ، واذا لم تغلب فاخطب . لا يتقى العدو القوي بمثل الخضوع واللين ، فمثل ذلك كمثل الريح العاصف تقلع الاشجار العظام لتأبيها عليها ، ويسلم منها النبات اللين لتمايله معها .

سليمان بن وهب :

غرّكَ الدهرُ بما تهوى فَهُنْ وإذا ما خشُنَ الدهرُ فلِن
لا تعايِرْه وخذْ ميسورَه وتفنّنْ معه في كلّ فنْ

قال المأمون لابي دلف : شد ما استحذيت للحسن بن رجاء ! فقال : يا أمير المؤمنين ذلك بما وهبت له من القدرة ، وصحبت من حداثة الغرارة ؛ وكانت الطاعة تعارض الانتصار منه وخفت أن يكون من قدرته ما يعنيك بي ، فلا أجد لذلك عوضاً فسلمت .

ابن نباتة : واذا عجزتَ عن العدوّ فدارِهِ وامزجْ له إن المزاجَ رفاقُ
فالنارُ بالماء الذي هو ضدّها تعطي النضاجَ وطبعُها الإحراقُ

حمد المداجاة طلباً للفرصة :

قيل لابن القرية : ما الدهاء ؟ فقال : ان تجرع الغصه ، وتوقع الفرصه ! وقيل : من تمام الادب أن تستر العداوة إلى وقت الفرصة ، لئلا يستسلح ؛ لذلك قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : أنكى الاشياء لعدوك أن لا تعلمه أنك اتخذته عدواً . وقيل : لا يكونن سلاحك على عدوك أن تكثر ثلبه وقصبه ، فانك تخبر عن حزمه وعجزك ، ولكن داجه حتى تبادره بالكظم وتساتره بالختل .

التنوخي : إلقَ العدوَّ بوجهٍ لا قطوبَ به يكاد يقطرُ من ماء البشاشاتِ
فاحزم الناسِ مَنْ يلقى أعاديَه في جسمِ حقدٍ وثوبٍ من مودّاتِ

وقيل : اذا لم تجد لشفرتك محزاً فلا تضعها في صلابة فتكلها .

المتبجح باظهار اللين وابطان العداوة :

قال عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو الاشدق :

سكّنته ليقلّ ِمنه نفره فأصولُ صولةَ حازمٍ مستمكنِ

حميد الاكاف :

وإني ليلقاني العدوُّ مواصِلا فيحسبني منه أبرَّ وأوصَلا
أجرّ له ذيلي لادركَ فرصتي ويحسبُني في جرّ ذيلي مغفَّلا

المتنبي : وجاهلٍ مده في جهلهِ ضحكي حتى أتتْهُ يـدٌ فراسةٌ وفمُ

آخر : أجامِل أقواماً حياء وقد أرى صدورهُم بادٍ عليّ مراضُها

وصف عدو يكاشرك اذا حضرك :

عمرو بن جابر الحنفي :

يـكاشرني وأعلم أنَّ كِلانا على ما ساء صاحبَهُ حريصُ

عمرو بن أم عاصم :

كلٌّ يداجي على البَغضاء صاحبَه ولن أعالِنَهم إلّا كما عَلَنوا

المثقب : إن شرَّ الناس مَنْ يـكشرُ لي حين ألقاهُ وإن غبتُ شَتَمْ

ابن الرومي :

يبيحُ لي صفحَةَ السلامةِ والسِّلمِ ويخفي في قلبِهِ مَرَضا

المتنبي : أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني ولا أعاتبه صفحا واهوانا

وقيل لاعرابي : كيف فلان فيكم ؟ فقال : اذا حضر هبناه ، وإن غاب اغتبناه . قال : ذاك هو السيد فيكم .

من نظره ينبيء عن عداوته :

زهير : الودّ لا يخفى وإن أخفيتَهُ والبغضُ تبديهِ لك العينانِ

وقال آخر :

ستور الضمائرِ مهتوكةٌ إذا ما تلاحظَتِ الأعيُنُ

وذكر اعرابي قوماً فقال : ما زالت عيون العداوة تتجهم فتسجها أفواههم ، وأسباب المودة تخلق من قلوبهم فتخرس عنها ألسنتهم ، حتى ما لعداوتهم مزيد .

العداوة المستورة والتحذير منها :

قال شاعر :

وفينا، وإن قيل اصطلحْنا، تضاغنٌ كماطر او بار الجراب على النشر

وقال آخر :

وقد ينبتُ المرعى على دمنِ الثّرى وتبقى حَزازاتُ النفوسِ كما هِيا

ابو نواس :

كمن الشنآنُ فيه لنا ككمونِ النارِ في حجرِه

المتنبي : وان الجرحَ ينفرُ بعدَ حينٍ إذا كانَ البناء على فسادِ

وقيل : هدنة على دخل ، وجماعة على أقذاء .

شاعر : ومستخبرٍ عنّا يُريدُ لنا الرّدى ومستخبراتٍ والعيونُ سواجمُ

وفي كتاب كليلة : لا تأمنن عدوك على مكنون سرك ، فكمون عداوته ككمون الجمر في الرماد ، إذا وجد فرصة اشتعل .

ثبات العداوة الجوهرية :

في كتاب كليلة : ليس بين العداوة الجوهرية صلح وان اجتهد ، فالماء وإن أطيل اسخانه فليس يمتنع من اطفاء النار اذا صب عليها . وحكي عن اعرابي أخذ جرو ذئب فربّاه بلبن شاة عنده وقال: اذا وبيته مع الشاة يأنس بها فيذب عنها ، ويكون أشد من الكلب ولا يعرف طبع أجناسه ، فلما قوي وثب على شاته فافترسها ! فقال الاعرابي :

أكلتَ شويهتي ونشأتَ فينا فما أدراكَ أن أباكَ ذيب ؟

وروي أن النبي ﷺ قال : الود والعداوة يتوارثان . وقيل : لكل حريق مطفىء ، فللنار الماء، وللئيم العداوة ، وللحزين الصبر ، وليس للحقد الغريزي دواء !

المسرة بوقوع المعاداة بين أعدائك :

في كتاب كليلة : من حق العاقل أن يرى معاداة بعض عدوه لبعض ظفر احسنا ، ففي اشتغال بعضهم ببعض خلاصه منهم . وفي الادعية المجمع عليها : اللهم اخذل الكافرين وأوقع بينهم العداوة والبغضاء.

دنيء يعاديك بلا سبب :

عبد الصمد : رب مَنْ يشجيه أمري وهو لم يخطرْ ببالي
قلبُه ملآن مِن ذكري وقلبي منه خالٍ !

الموسوي : يسطو بلا سببٍ وتلك طبيعةُ الكلبِ العَقور

المتنبي : واتعب مَنْ ناداكَ مَنْ لا تجيبُه وأغيَظُ من عاداكَ مَن لا تَشاكِلُه

تأسف من يعاديه لئيم أو دنيء :

علي بن الجهم :

بلاءٌ ليس يشبهُهُ بلاءٌ : عداوة غيرِ ذي حسَبٍ ودين
يبيحك منه عِرضاً لم يصُنْه ويرتعُ منك في عرضٍ مَصون

ولما حاصر المنصور ابن هبيرة بعث إليه ابن هبيرة أن بارزني فقال : لا أفعل . فقال ابن هبيرة: لأشهرن امتناعك ولأعيرنك به ! فقال المنصور : مثلنا ما قيل ان خنزيراً بعث إلى الاسد وقال قاتلني ، فقال الأسد لست بكفؤي ، ومتى قتلتك لم يكن لي فخر ، وإن قتلتني لحقني وصم عظيم، فقال لاخبرن السباع بنكولك ، فقال الاسد : احتمال العار في ذلك أيسرُ من التلطخ بدمك ! وفي عذر من يخاصم دنيئاً ويدافعه ، قول المتنبي :

إذا أتتِ الاساءةُ من وضيعٍ ولم أَلُمِ المسيءَ فَمن أَلومُ ؟

الحث على العداوة بالفعل لا القول :

قيل : غضبُ الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله . وولى أبو مسلم رجلًا ناحية فقال له : اياك وغضبة السفلة فإنها في ألسنتها ، وعليك بغضبة الاشراف فإنها تظهر في أفعالها.

الحث على اماتة الحقد :

ارسطوطاليس : استعدّ لاخماد لهب العداوة بالاناة قبل تلهب ناره ، فان اطفاءه قبل انتشاره سهل يسير . وقيل : ما أحسن بالرجل أن يحسن مداراة عدوه حتى يطفىء سورة ناره . وقال بعض أصحاب

المأمون يوماً : ان عجيف بن عنبسة خبيث النية رديء السريرة وأراك قد قربت مجلسه ! فقال : والله لأحسنن اليه ولأتفضلن عليه حتى أكون أحب الناس اليه ، فـلم يزل يختصه حتى صار يبذل دونه مهجته .

مدح الحقد وذويه :

وصف اعرابي حقوداً فقال : يحقد حقد من لا ينحلّ عقده ولا يلين كيده ! وقال يحيى لعبد الملك ابن صالح : إنك حقود ! فقال : ان كان الحقد عندك بقاء الخير والشر انهما عندي لثابتان ، فلما قال يحيى : ما رأيت من احتج للحقد حتى حسّنه سواه ! وقيل لرجل : انك لحقود ! فقال :

وإن امرأً لم يحقد الوتر لم يكن لديه لذي النعما جزاءٌ ولا شكرُ

ابن الرومي :

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتَسِبن إلى بعض
إذا الارضُ أدتْ ريعَ ما أنتَ زارعٌ مِن البذر فيها فهي ناهيك من أرض !

الاخطل : شمسُ العداوةِ حتى يستقاد لهم

ذم الحقد وذويه :

قال النبي ﷺ : ترفع أعمال العباد فترفع الى الله في كل جمعة ، فيغفر للمستغفرين ويرحم المترحمين، ويترك أهل الحقد لنيتهم . وقيل للاحنف : من أسود الناس ؟ فقال : الاخرق في ماله المطرح لحقده!

أسباب العداوات :

شكا رجل الى سهل بن هارون عـداوة رجل فقال : العداوة تكون من المشاكلة والمناسبة والمجاورة واتفاق الصنائع ، فمن أيها معاداته لك ؟ وقال رجل لآخر : إني أخلص لك المودة . فقال : قد علمت . قال : كيف علمت وما معي من الشاهد الا قولي ؟ قال : إنك لست بجار قريب ، ولا بابن عم نسيب ! ولا بمشاكل في صناعة ! وقيل لشبيب بن شبة : ما بال فلان يعاديك ؟ فقال : لانه شقيقي في النسب وجاري في البلد ورفيقي في الصناعة . وقيل : كل عداوة لعلة فانها تزول بزوال العلة ، وكل عداوة لغير علة فانها لا تزول .

عداوة الاقارب :

قيل : عداوة الاقارب كالنار في الغابة . ما النار في الفتيلة بأحرق من تعادي القبيلة . وقيل : عداوة الاقارب كلسع العقارب . قال : إن الأقاربَ كالعقاربِ بل أضر من العقاربْ وسئل بعضهم عن بني العم فقال : هم أعداؤك وأعداء أعدائك . ولهذا باب في الاقارب .

من لا يبالي بعداوته :

الاعشى : ألستَ منتهياً عن نحتِ اثلتنا ولستَ ضائرها ما أطت الابلُ

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنَها فلم يضُرْها وأوهى قرنَهُ الوَعلُ

كشاجم :

تبارزُني ونفسك في رصاصٍ وكم يبقى على النار الرّصاص ؟

وقال الحجاج : أهل العراق أهل الشقاق والنفاق ، ومساوي الاخلاق ، ثلث من الدين مارق ، وثلث منافق ، وثلث سارق ، والله لو عاديتموني لما ضررتموني ، وما مثلي ومثلكم الا كما قيل :

فرأيك لو أبغضتَني ما ضررتَني ولو رمتَ نفعاً ما وسعتَ لذلك

● ●

ومما جاء في الحسد

حد الحسد :

قيل : الحسد أن تتمنى زوال نعمة غيرك ، والغبطة أن تتمنى مثل حال صاحبك . وقال ﷺ : المؤمن يغبط والمنافق يحسد . وقيل : الحسد خلق دنيء . وقال ابن المعتز : الحسد من تعاطي الطبيعة واختلاف التركيب . وقيل : الحسد داعية النكد .

استعظام الحسد من بين الذنوب :

قال ابن السماك : إن الله تعالى أنزل سورة جعلها عوذة لخلقه من صنوف الشر ، فلما انتهى الى الاعاذة من الحسد جعلها خاتماً إذ لم يكن بعده في الشر نهـاية الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء والأرض . قال ابن المقفع . الحسد والحرص دعامتا الذنوب ، فالحرص أخرج آدم عليه السلام من الجنة ، والحسد نقل ابليس من جوار الله تعالى . وقال انس بن مالك رضي الله تعالى عنه : رفع البركة عن خمسة : عن الناكث والباغي والحسود والحقود والخائن . وقال ﷺ : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

عن الحسد :

روي أن سليمان ﷺ سأل الله تعالى ان يعلمه كلمات ينتفع بها ، فأوحى اليـه إني معلمك ست كلمات : لا تغتابنّ عبادي واذا رأيت أثر نعمتي على عبد فلا تحسده . فقال : يا رب حسبي أن لا أقوم بهاتين : من حسد دونه قل عدوه ، ومن حسد من فوقه أتعب نفسه .

كون الحسد ضارا لصاحبه :

قال علي كرم الله وجهه : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد نفس دائم وعقل هائم وحزن لازم . وقال ايضاً : لله در الحسد ما اعدله ! يقتل الحاسد قبل ان يصل الى المحسود . وقيل : الحسود لا يسود . وقال الجاحظ : من العدل المحض والانصاف الصريح ان تحط عن الحاسد نصف عقابه ، لأن ألم جسمه قد كفاك مؤنة شطر غيظك . وقيل : لا راحة لحسود ولا وفاء لملول . الحسود غضبان على القدر ، والقدر لا يعتبه . ولمنصور الفقيه :

ألا قل لمن بات لي حاسداً : أتدري على من أسأت الأدب ؟
أسأت على الله في حكمِه إذا انت لم ترض لي ما وهب !

وُجِدَ على بساط لملك الروم : البخيل مذموم ، والحسود مغموم ، والحريص محروم . وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الحسد والنكد : أيهما شر ؟ فقال : الحسد داعية النكد ، بدلالة أن ابليس حسد آدم عليه السلام فصار حسده سبب نكده ، فأصبح لعيناً بعد ان كان مكيناً .

صعوبة ارضاء الحاسد :

قال معاوية : كل الناس يمكنني ان أرضيه الا الحاسد ، فإنه لا يرضيه الا زوال نعمتي ! وقيل لزاذان فروح : أي عدو لا تحب أن يعود صديقاً ؟ قال : الحاسد الذي لا يرده الى مودتي الا زوال نعمتي .

المتنبي : سوى وجعِ الحسَّادِ داوِ فإنّه اذا حل في قلبٍ فليسَ يحولُ
ببغا : ومن البليَّةِ أن تداوي حقدَ من نعم الاله عليكَ مِن أحقاده !

وصف الحسد بأنه اعظم عداوة :

قال أبو العيناء : اذا اراد الله ان يسلط على عبده عدواً لا يرحمه ، سلط عليه حاسداً . وقال بعضهم : ما ظنك بعداوة الحاسد وهو يرى زوال نعمتك نعمة عليه ؟

صعوبة شماتة الحساد :

سأل بعض الملوك جماعة من الحكماء عن أشد ما يمر على الانسان فقال بعضهم : الفقر ، وقال آخرون : الفقر في الغربة ، وقال غيرهم : الغربة مع المرض ، ثم أجمعوا على أن أشد من ذلك كله رحمة العدو للمرء من نكبة تناله فقال :

وحسبُك من حادث بامرئٍ ترى حاسِديه له راحمينا

ابن أبي عيينة :

كل المصائبِ قد تمرّ على الفتى　　وتزولُ غير شماتة الحسَّادِ

الخبزارزي :

شماتتكم لي فوق ما قد اصابني　　وما بي دخولُ النار بل طنز مالك

الحسد يظهر فضل المحسود :

البحتري :

ولن يستبينَ الدهرُ موضعَ نعمةٍ　　إذا أنت لم تدللْ عليها بحاسدِ

أبو تمام : واذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ　　طُويتْ ، أتاح لها لسانَ حسودِ

لولا اشتعالُ النار فيما جاورَتْ　　ما كان يُعرفُ طيبُ عَرفِ العودِ

وفي مثله : يُبينُ فضلَ الشيء من عاداه

وقال : فضلُ الفتى يغري الحسودَ بسبِّه　　والعود لولا طيبُهُ ما أحرقا

الفضائل مقتضية للحسد :

قيل : لا يفقد الحسد إلا من فقد الخير أجمع ، فمنبع الحسد مقر النعمة .

شاعر : وحذاء كلِّ مروءة حسادُها

البحتري : وليسَ يفترقُ النعماءُ والحسدُ

وقال آخر :

وترى الكريمَ محسداً لم يجترمْ　　شتم الرجال ، وعرضُه مشتومُ

ومر قيس بن زهير ببلاد بني غطفان فرأى ثروة فكره ذلك فقال له الربيع : ألا يسرك ما يسر الناس ؟ فقال : ان مع الثروة التحاسد والتخاذل ، ومع القلة التحاشد والتناصر . وقيل لبعض المهالبة : ما اكثر حسادكم ! فقال :

إن العرانينَ تلقاها محسَدة　　ولن ترى للئام الناسِ حسَّادا

ابن المعتز : المجدُ والحسادُ مقرونان ان ذهبوا فذاهبْ

وإذا ملكت المجد لم　　تملك مودات الأقارب

الموسوي :

عاداتُ هذا الدهرِ ذمّ مفضلٍ ... وملام مقدام وعزلُ جوادِ

المحسود لفضله :

شاعر : حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيَهُ ... فالقومُ أعداءٌ له وخصومُ

كضرائرِ الحسناء قلنَ لوجهِها ... حسداً وبغضاً : إنه لدميم !

ابن المعتز :

ومن عجب الأيام بغيُ معاشرٍ ... غِضابٍ على سبقي اذا انا جاريتُ

يغيظُهم فضلي عليهم ونقصُهم ... كأنيَ قسَّمتُ الحظوظَ فحابَيتُ

الدعاء للانسان بأن يكون محسودا :

شاعر : لا ينزع الله عنهم ما له حسدوا

آخر : لا زلت عرض قرير العين محسودا

آخر : لا زال مكتسياً سربالَ محسودِ

آخر : ولا برحت نعماك داء حسودها

وقيل في الدعاء : حسد حاسدك . وقال بعض اهل اللغة : ولا يقال حاسد حسدك لانه يصير دعاء للحاسد .

ذم من لا يحسد :

قال : ولن ترى للئام الناس حُسَّاداً

الحارثي : وأسوأُ أيامِ الفتى يوم لا يرى ... ما أحداً يزري عليه ويُنكر

دنيء يحسد سرياً :

مروان بن أبي حفصة :

ما ضرّني حسد اللئـام ولم يزل ... ذو الفضلِ يحسدُه ذوو التقصير !

أبو تمام : لكلِّ كريمٍ من ألائم قومه ... على كل حالٍ حاسدون و كشحُ

من يحسد الذين تصل اليهم نعمه :

قيل : توصل رجل الى ابليس فقال له : لي اليك حاجة ، ان لي ابن عم ذا ثروة. وله احسان كثير الي وتوفر علي ، ولي بماله نفع بين ، ولكني أُريد أن تزيل نعمته وان افتقرت بفقره ! فقال ابليس لاصحابه : من أراد ان يرى من هو شر مني فلينظر اليه ! وقيل لرجل : أتحسد فلاناً وهو يواليك ويكرمك ؟ فقال : نعم حتى أصير مثله أو يصير مثلي !

المتنبي : واظلم اهل الأرضِ من بات حاسداً   لمن بات في نعمائِهِ يَتقلبُ

ابن الرومي :

يا من يعادي السماء أن رفعَتْ   كل خيرها تحتها ودَعْ نكدَكْ

المكذب بأفعاله قول الحساد :

يكذّبُ قولَ الحاسدين سماحتي   وصبري اذا ما الأمر عض فاضجعا

لبيد : بنو عامر من خير حي علمتمُ   وإن نطقَ الاعداء زوراً وباطلا

تبكيت الحاسد وحثه على أن يفعل فعل محسود لينال منزلته :

البحتري : لا تحسدوه فضلَ رتبتِه التي   اعيَتْ عليهِ وافعلوا كفعالِهِ

السري الرفاء :

نالت يداه اقاصي المجد الذي   بسط الحسودُ إليه باعاً ضيقا

أعدوَّهُ هل للسماكِ جريرةٌ   في أن دنوتَ من الحضيضِ وحلّقا ؟

أم هل لمن ملأ اليدين مِن العلا   ذنبٌ اذا ما كنت منه مملِقا ؟

استراحة من لا يحسد وطيب عيشه :

الفضل لمن نبذ الحسد وأراح الجسد ولزم الجدد .

البحتري : مستريح الاحشاء من كل ضغنٍ   بارد الصدرِ من غليلِ الحسودِ

قال الاصمعي : رأيت اعرابياً أتى عليه عمر كثير فقلت أراك حسن الحال في جسدك ؟ قال : نعم تركت الحسد فبقيت نفسي ، وهذا من قول سقراط : الحسد يأكل الجسد . قال الفضيل : لا يستريح قلبك حتى يترك كل الدنيا . وقيل : من دعته نفسه الى ترك الدنيا فلينظر هل يحسد أحداً، فإن حسد كان تركه عجزاً لأنه لو زهد فيها ما حسد عليها .

الممدوح بأنه لا يحسد :

وقف الاحنف على قبر الحارث بن معاوية فقال : رحمك الله كنت لا تحقر ضعيفاً ولا تحسد شريفاً.

التنوخي : فما نشرت أعراضهم عن معائبٍ ولا طُويتْ منهم قلوبٌ على حقدِ
وأنى يكونُ الحقدُ والناسُ دونَهم ولا حقد إلا أن يكون على ند

من جل عن أن يحسد او يعادى :

ابن الرومي :

ما أنت بالمحسودِ لكن فوقه إن المبين الفضلَ غيرُ محسَدِ
فتحاسدُ القومِ الذين تقاربَتْ طبقاتُهم وتقاربوا في السوددِ
فاذا أبرّ أميرهم وبدا لهم تبريزه في فضله لم يُحسدِ !

أبو تمام : وسمحتُ في الدنيا فما لك حاسد

الحث على التحرز من حسد السلطان :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ان الرجل اذا ملك زهده الله فيما في يده ، ورغبه فيما لغيره ، وأشرب قلبه الاشفاق ، فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير . لما فرغ جعفر ابن يحيى من بناء قصره صار اليه وجوه أصحابه ، وفيهم مؤنس بن عمران وكان رجلًا كاملًا فاستحسنوه ومؤنس ساكت ، فقال جعفر : لمَ لا تتكلم ؟ فقال : فيما قالوه كفاية ! فألح عليه أن يقول شيئاً فقال مؤنس : أتصير على الحق والصدق ؟ قال : نعم . فقال : ان خرجت ومررت بدار أصحابك تشبهها أو تفوقها ما أنت قائل ؟ قال : قد فهمت فما الرأي ؟ فقال له : تأتي أمير المؤمنين وتقول إني قد بنيت هذا القصر للمأمون ، وأتبعه من الكلام ما أنت أعلم به ؛ فسأله الرشيد عن خبره فقال له ذلك وقال له : إني استعملت لكل بيت من الفرش ما يليق به ! فزال عن قلب الرشيد ما خامره. وقال الشعبي : وجهني عبد الملك الى ملك الروم ، فلما انصرفت دفع إلي كتاباً مختوماً ، فلما قرأه عبد الملك رأيته تغير وقال : يا شعبي أعلمت ما كتب هذا الكلب ؟ قلت : لا . قال : انه كتب لم يكن للعرب ان تملك إلا من أرسلت به إلي ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين انه لم يرك ولو رآك لكان يعرف فضلك ، وإنه حسدك على استخدامك مثلي ! فسري عنه . وقيل : اذا أردت أن تسلم من حسد سلطانك فعم عليه مجامع شأنك .

ما لا يستقبح فيه الحسد :

قال النبي ﷺ : لا حسد إلا في اثنين : رجل آتاه الله مالاً ثم أنفقه في حق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها . وقال ارسطوطاليس : الحسد حسدان محمود ومذموم ، فالمحمود أن ترى عالماً فتشتهي أن تكون مثله أو زاهداً فتشتهي مثل فعله ، والمذموم ان ترى عالماً أو فاضلاً فتشتهي أن يموت !

المتبجح بكونه حسوداً :

اجتمع ثلاثة نفر فقال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما اشتهيت أن أفعل بأحد خيراً قط ! فقال الثاني : انك رجل صالح أنا ما اشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيراً قط ! فقال الثالث : ما في الارض أفضل منكما ، أنا ما اشتهيت أن يفعل بي أحد خيراً قط ! وقال عبد الملك للحجاج : صف نفسك فليس العاقل إلا من عرف نفسه ! فقال : أنا حديد حقود حسود .

حمد الغبطة وذمها :

روي في الخبر : المؤمن يغبط والمنافق يحسد . وروي أن النبي ﷺ سئل : أيضر الغبط ؟ قال: نعم كما يضر الورق الخبط !

● ● ●

ومما جاء في التواضع والكبر

ما حد به التواضع والكبر :

قيل لبعضهم : ما التواضع ؟ قال : أخلاق المجد واكتساب الود ؛ فقيل : ما الكبر ؟ قال : اكتساب البغض . وقيل لازدشير : ما الكبر ؟ فقال : اجتماع الرذائل لم يدر صاحبها أين يضعها فيصرفها الى الذم .

فضل التواضع والحث عليه :

قال النبي ﷺ : طوبى لمن تواضع ، التواضع أحد مصائد الشرف من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره . وفي المثل : تواضع الرجل في مرتبته ذب للشماتة عند سقطته . وقيل : من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره ، ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون قدره . وقيل لبزرجمهر: هل تعرف نعمة لا يحسد عليها ؟ قال : نعم التواضع ! فقيل : هل تعرف بلاء لا يرحم صاحبه ؟ قال : نعم الكبر !

فضل كبير متواضع :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان رسول الله ﷺ يجلس على الارض ويأكل على الارض ويعتقل الشاة ، ويجيب دعوة المملوك ويقول : لو دعيت إلى كراع لاجبت ! وكان يحيى ابن سعيد خفيف الحال ؛ فاستقضاه أبو جعفر فلم يتغير ، فقيل له في ذلك فقال : من كانت نفسه واحدة لم يغيره المال. ولما ورد المرزبان على عمر رضي الله عنه فاورد باب داره وقرع بابه فقيل : انه قد خرج آنفاً فكانوا يسألون عنه فيقولون مر من ههنا آنفاً ، فاستحقر المرزبان أمره إلى أن انتهى اليه وهو نائم في ناحية المسجد ، فلما رفع رأسه امتلأت نفس المرزبان منه رعباً فقال : هذا والله الملك المنيء ، لا يحتاج إلى حراس ولا الى عدد ! وقال عمر رضي الله عنه حين نظر إلى صفوان مبتذلاً لأصحابه : هـذا رجل يفر من الشرف والشرف يتبعه . وقال معاوية لرجل : مَن سيد قومك ? فقال : الجأهم الدهر إلي ! فقال : بمثله من التواضع يحل الشرف . وقال عمر رضي الله عنه : أريد رجلاً إذا كان في القوم وهو أميرهم كان كبعضهم ، فاذا لم يكن أمير فكانه أميرهم .

أبو تمام : متبذل في القوم وهو مبجَّل   متواضعٌ في الحي وهو معظَّمُ

وقال آخر :

متواضعٌ والنبل يحرسُ قدرَهُ   وأخو التواضعِ بالنباهة ينبلُ

الخوارزمي :

عجبت له لم يلبس الكبرَ حلةً   وفينا إذا جزنا على بابه كبرُ

ذم التكبر والنهي عنه :

قال الله تعالى : أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ? وقال تعالى : كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار . وقال : انه لا يحب المستكبرين . وقال النبي ﷺ : ان الله يقول، الكبر ازاري والعظمة ردائي ، من نازعني واحداً منها ألقيته في النار . وأخذ أبو نواس هذا المعنى فقال :

حذرتك التيه لا يعلقك ميسمه   فإنه ملبسٌ نازعتَه الله !

وقال بزرجمهر : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمد عند العقلاء من الكبر مع الادب والسخاء، فأنبل بحسنة غطت سيئتين ، وأقبح بسيئة غطت على حسنتين ، كم من صلف أدى إلى تلف . العجب لابن آدم لم يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين ! أخذ ابن الرومي ذلك فقال :

كيف يزهو من رجيعه   أبا الدهر ضجيعه

منصور الفقيه : يا قريب العهد بالمخرج لمَ لا تتواضع ?

ويروى عن النبي ﷺ : لا يبغي على الناس الا ولد بغي أو من فيه عرق سوء ! وقيل : ما تاه إلا وضيع ، ولا فاخر الا سقيط ، ولا تعظّم الا لقيط . وقيل : دع الكبر فمتى كنت من أهل النبل لم يضرك التبذل ، ومتى لم تكن من أهله لم ينفعك التبتل .

ذكر السبب الداعي الى التكبر :

قال المأمون : ما تكبر أحد إلا لنقص وجده في نفسه ، ولا تطاول إلا لوهن أَحس من نفسه.

أحمد بن اسمعيل :

رأيتُ الرياسةَ مقرونةً بلبس التكبر والنخوه

ذم متكبر لولاية نالها :

قيل : من نال منزلة فابطرته دل على رداءة أصله وعنصره .

أحمد بن أبي طاهر :

وتاه سعيد ان أفيد ولايةً وقلّدَ أمراً لم يكن من رجالِه
وأدبر عني عند إقبالِ حظِه وغيّر حالي عندهُ حسنُ حاله
وضاق علي حقي بعقب اتّساعِه فاوسعته عذراً لضيقِ احتمالِه

وقال سفيان رحمه الله : السفل اذا تمولوا استطالوا ، واذا افتقروا تواضعوا ، والكرام اذا تمولوا تواضعوا ، واذا افتقروا استطالوا .

صالح بن عبد القدوس :

تاه على اخوانِهِ كلِّهم فصار لا يطرف مِن كبرِه
أعاده الله إلى حالِهِ فإنّه يحسِنُ في فقرِهِ

المبغي عليه منصور :

قال الله تعالى : ثم بغي عليه لينصرنه الله . وقال تعالى : انما بغيكم على أنفسكم . وقال ﷺ : ما رأيت أسرع هلاكاً من البغي . وقال ﷺ : ذنبان عجل عقوبتهما : البغي وقطيعة الرحم .

يزيد بن الحكم : البغي يصرعُ أهلَهُ والظلمُ مرتعُهُ وخيمُ

ذم متكبر بخيل أو دنيء :

قال النبي ﷺ : البخل والكبر لا يجتمعان في مؤمن . وقيل : من استطال بغير تطول وامتن بغير منة فقد استعجل المقت .

علي بن الجهم :

جمعت أمرينِ ضاع الحزمُ بينهما : تيهَ الملوكِ وأفعالَ المماليكِ

أبو بكر بن الزبير :

يا قليل القدرِ موفورَ الصلفْ والذي في التيه قد حازَ السرَفْ
كُنْ لئيماً وتواضعْ تُحتَمَلْ أو سخياً يحتملْ مِنْكَ الصَّلَفْ

وقيل : أنف في السماء واست في الماء ؛ ومن هذا النحو قول الجعدي :

بالأرض استاهُهم عجزاً وأنفُهُمْ عند الكواكبِ بغياً يا لذا عجباً

ذم فقير متكبر :

قيل : أبغض الناس ذو عسر يخطر في رداء كبر . قال الشاعر في ذم آخر :

فخر بلا حسبٍ عجْبٌ بلا أدبٍ كبرٌ بلا درهمٍ، هذا مِنَ العجَبِ !

ذم الفخر وذويه :

قال الله تعالى : ولا تمش في الارض مرحاً . وقال تعالى : ان الله لا يحب كل مختال فخور . ونظر النبي ﷺ الى رجل يجر ازاره فقال : ارفع إزارك فانه أبقى وأنقى وأتقى ؛ فقال : يا رسول الله إنه مروءة ! فقال : أليس لك بي أسوة ؟ وكان إزاره ﷺ إلى انصاف ساقيه . نظر مطرف إلى المهلب وعليه حلة يسحبها فقال : ما هذه المشية التي يبغضها الله ؟ فقال : بلى أو لك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك حامل عذرة ! فلم يعد إلى تلك المشية . ونظر الحسن رضي الله عنه إلى رجل يخطر في ناحية المسجد فقال : انظروا إلى هذا ، ليس فيه عضو الا ولله عليه نعمة وللشيطان فيه لعبة !

ذم من ضرع ذلة بعد التكبر :

قال :

رفـع الكلب فاتضعْ ليس في الكلبِ مصطَنعْ
بلغ الغـاية التي دونَها كلُّ ما ارتفعْ
إنمـا قصر كل شيء إذا طـارَ أنْ يَقَعْ
لعنَ اللهُ نخوةً صار من بعدها ضرعْ !

مدح متواضع بسرعة المشي والتجوز في الاكل :

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسرع المشي ، فقيل له في ذلك ، فقال : هو أنجح للحاجة وأبعد من الكبر ، أما سمعت قول الله تعالى : واقصد في مشيك واغضض من صوتك ؟ وكان النبي ﷺ يأكل على الارض ، فقيل له في ذلك فقال : انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد !

المتواضع بالقيام بحوائج الناس وتحمل أثقالهم :

كان النبي ﷺ يمشي مع الارملة يقضي حاجتها ولا يستنكف . واشترى رجل شيئاً فمر بسلمان، وهو أمير المدائن فلم يعرفه فقال : احمل هذا معي يا علج ! فحمله وكان من يتلقاه يقول : ادفعه إلي أيها الامير ! فيقول : لا والله لا يحمله الا العلج . والرجل يعتذر إليه ويسأله أن يرده عليه وهو يأبى حتى حمله الى مقره .

المتواضع في قيامه بأمر عياله :

اشترى أمير المؤمنين رضوان الله عليه تمراً بدرهم ، فحمله في ملحفته فقال له بعض أصحابه : دعني أحمله ، فقال : أبو العيال أحق أن يحمله . ورؤي بعض الكبار وبيده بطن شاة فقال له رجل: ادفعه إلي فانه يزري بك فقال :

ما نقصَ الكامل مِن كمالِهِ ما جرّ من نفع إلى عيالِه

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يحمل الحزمة من الحطب ، وهو خليفة مروان . وكان يقول : وسعوا للأمير .

حمد تعظيم الكبار :

قدم قيس بن عاصم على النبي ﷺ وكان سيد أهل الوبر ، فبسط له رداءه ثم قال : اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه . وروي ان مجوسياً دخل على رسول الله ﷺ ، فأخرج ﷺ من تحته وسادة حشوها ليف وطرحها له وأقبل عليه يحدثه ، فلما نهض قال عمر رضي الله عنه : انه مجوسي ! فقال عليه الصلاة والسلام : قد علمت ولكن جبريل عليه السلام يأمرني أن أكرم كل كريم قوم اذا أتى، وهذا سيد قومه . وقال الشعبي : ركب زيد بن ثابت فدنا منه عبدالله بن العباس رضي الله عنهم ليأخذ بركابه فقال : ما تفعل يا ابن عم رسول الله ؟ فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأمرائنا ! فقال زيد : اوني يدك ؟ فأخذها وقبلها وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

النهي عن التصدر في المجالس :

قال زياد لابنه : اياك وصدر المجالس فإنه مجلس قلعة ، قال الاحنف : ما جلست مجلساً خفت أن أقام منه لغيري . ولهذا باب في غير هذا الموضع .

حمد تصديرك صاحبك :

دخل سالم بن مخزوم على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فتنحى له عن الصدر ، فقيل له في ذلك فقال : اذا دخل عليك من لا ترى لك عليه فضلاً ، فلا تأخذ عليه شرف المنزلة .

مدح معرفة الرجل قدر نفسه :

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : لن يهلك امرؤ عرف قدره . وقال الشافعي رضي الله عنه : أنفع الاشياء أن يعرف الرجل قدر منزلته ومبلغ عقله ، ثم يعمل بحسبه ، وقد تقدم من ذلك صدر في باب العقل .

ذم اعجاب المرء بنفسه :

قال النبي ﷺ : ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه . وقيل : عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله . وقال الشاعر :

ما الناس عندكَ غير نفسِكَ وحدها   والناس عندكَ ما خلاكَ بهائمُ

وقال اعرابي لرجل معجب بنفسه : يسرني أن أكون عند الناس مثلك في نفسك ، وعند نفسي مثلك عند الناس ! وقال ابليس : اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطالبه بغيرها ، اذا أعجب بنفسه ، واستكثر عمله ، ونسي ذنبه .

ذكر من عظم اعجابه وصلفه :

حكي عن ابن ثوابة أنه قال لغلامه : اسقني ماء ! فقال : نعم ؛ فأمر بصفعه فقيل له في ذلك فقال : انما يقول نعم من يقدر ان يقول لا ، وليس لهذا هذه المنزلة . ودعا يوماً اكاراً يكلمه فلما فرغ دعا بماء وتمضمض به استقذاراً لمخاطبته ، وكان جزيمة الابرش لا ينادم أحداً استعظاماً وقال : إنما ينادمني الفرقدان ! فكان يشرب كاساً ويصب لهما كاسين في الارض . واستأذن نافع بن جبير بن مطعم على معاوية ، فمنعه الحاجب فهشم أنفه فقال له معاوية : أتفعل هذا بحاجبي ؟ فقال له : وما يمنعني وأنا بالمكان الذي أنا به من أمير المؤمنين ؟ فقال له أبوه : فض الله فاك ! الا قلت وأنا بالمكان الذي أنا عليه من عبد مناف ؟

معتذر لعجبه وعزته :

قيل لاياس بن معاوية : ما فيك عيب غير انك معجب ! فقال : أيعجبكم ما أقول ؟ قالوا : نعم. قال : فأنا أحق أن أعجب به .

محمد بن عمران :

يقولون : ذو كبرٍ ولو خُصَّ بعضُهم   ببعض خصالي ما استفاقَ مِن الكبر

قيل لخالد بن يزيد بن معاوية : لم تطعم الارض من فضل ثيابك ؟ فقال : أكره أن أكون كما قال علي بن عبد العزيز :

قصير الثياب فاحشٌ عند بيتِهِ   وشر قريشٍ في قريش مركبا

وقال يمني ليزيد بن مزيد وعليه برد يمني يسحبه : لم يعرق جبينك في نسجه فلذلك تسرف في بذله ! فقال : عليكم نسجه وعلينا سحبه . وقال رجل للحسن : ما أعظمك في نفسك ! فقال : لست بعظيم ولكني عزيز من قول الله تعالى ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . البديهي في معناه :

وما أنا مزهوٌّ ولكنني فتىً   أبت لي نفس عزة أن أزيلَها

المتنع من التذلل لكبير ومتكبر عليه :

قال عدي بن ارطاة وهو أمير لوكيع بن أبي الاسود : سو علي ثيابي ! فقال :

ذكرتني الطعن وكنت ناسياً

في خفي ضيق فليمده الامير حتى أنزعه ! فقال له عدي : ان الجليس ليلي من جليسه أكثر من هذا ! فقال : ياعدي اذا عزلت عنا فكلفنا أكثر من هـذا أما وأنت ترى لك علينا بسطة فلا . الموسوي يذكر والده وامتناعه من تقبيل يد بعض السلاطين :

فتى تاهَ عن بسطِ الملوكِ وقدعنَتْ   عليها جباهٌ من رجالٍ وآنفُ
زمام علا لو غيره رام جرَّهُ   لساق به حادٍ منَ الذلِّ معنفُ

متكبر على ذي كبر :

سئل الحسن عن التواضع فقال : هو التكبر على الاغنياء ! وأتى سليمان بن عبدالملك طاووساً فلم يكلمه فقيل له في ذلك فقال : أردت ان يعلم ان في عباد الله من يستصغر ما يستعظم ذلك من نفسه . أنشد المبرد :

إذا تاه الصديقُ عليكَ كبراً   فتُه كبراً عـلى ذاكَ الصديقِ
فإيجابُ الحقوقِ لغـير راعٍ   حقوقَكَ رأسُ تضييعِ الحقوقِ

وعلى هذا قال بعضهم : ما تكبر على احد قط إلا تحول داؤه في أن قابلته بفعله . وقال بعضهم : ما تاه أحد علي أكثر من مرة واحدة لأني تركته بعد ذلك واعرضت عنه .

من ترك حقه اشفاقاً من وصمة تلحقه :

اختصم الاصبهيد صاحب طبرستان والمصعان صاحب دباوند في شيء ، فكتب الى الحجاج أن يوجه رجلاً يحكم بينهما ، فوجه اياساً اليهما ، فلما صار بالمنصف بعث اليهما ، فحضر الاصبهيد على

سريره وألقى للمصعان وسادة ، فقال اياس للاصبهيد : أنت ظالم وقد عرفت ذلك منك ! قال : فيم ؟ قال : العدل ان تساويه في الحكم ، فقـال : اذاً أدع حقي ولا أساويه في المجلس ! فترك حقه وعاد الى مكانه . وقال الرشيد يوماً لجلسائه : ان عمارة قد ذهب في التيه كل مذهب ، وأحب ان أضع منه ! فقيل له : لا شيء أوضع للرجال من منازعة الرجال ، والرأي أن يؤمر رجل ليدعي افضل ضيعة له أنه غصبه اياها ففعل ذلك ، فلما دخل عمارة قام الرجل فتظلم منه وشنع عليه فقال الرشيد : أما تسمع ما يقول الرجل ؟ فقال : من يعني ؟ فقال الرشيد : يعنيك أنك غصبته كذا ، فقم واجلس معه مجلس الحكم ! فقال : إن كانت هذه الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وان كانت لي فقد جعلتها له ! فانقطع كلام الرجل ، فلما انصرف قال عمارة لرجل كان معه : من هذا المدعي ؟ فاذا أنه لم يملأ عينه منه ، فأخبر الرشيد بذلك فقال : سوغنا تيهه له بعد ذلك .

النهي عن الافراط في التواضع :

ابن المقفع : الافراط في التواضع يوجب المذلة ، والافراط في المؤانسة يوجب المهانة . وقيل : من التواضع ما يضع .

عذر من تواضع لدنيء مهابة :

قال النبي ﷺ : ان من شرار الناس من أكرمه الناس اتقاء شره ! كان ابو العباس ضم المنصور الى حميد بن قحطبة فقال له يزيد بن حاتم ، أترضى بمتابعة حميد ؟ فقال :

اسجدْ لقردِ السوء في زمانه وداره ما دام في سلطانه

وفي المثل : الحمى أضرعتني لك .

الحد الرابع

في النصرة والاخلاق والمزاح والحياء والامانة والخيانة والرفعة والنذالة

الحث على مراعاة الجار :

قال الله تعالى : والجار ذي القربى والجار الجنب . وقال النبي ﷺ : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . وقال ﷺ : من كان له جيرة ثلاثة كلهم راضون عنه غفر له . وقيل : عليكم بحسن الجوار فان السباع وعتاق الطير في الهواء تحامى على من يجاورها . وقيل : الكريم يرعى حق اللحظة ويتعهد حرمة اللفظة . وقال جعفر بن محمد : حسن الجوار عمارة الديار .

زهير : وجارُ البيتِ والرجلُ المنادي أمامَ البيتِ عِقدُهما سواءُ !

الامر بكف الاذى عنه :

قال النبي ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذين جاره . وقيل : ليس من حسن الجوار ترك الاذى ، ولكن من حسن الجوار الصبر على الاذى . وفي الخبر : من آذى جاره اورثه الله داره . وقيل : من آذى جاره خرب الله داره !

الناصر من استجار به :

كان ابو سفيان اذا نزل به جار قال : ياهذا إنك قد اخترتني جاراً واخترت داري داراً ، فجناية يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم على حكم الصبي على اهله .

وكان أبو حنبل يقال له مجير الجراد ، وذلك أنه نزل عليه جراد بفنائه فعدا الحي اليه فقال لهم : الى اين ؟ فقالوا أردنا جيرانك جراداً نزل بفنائك ! فقال : أما إذ سميتموه جاري فلا تصلون اليه أبداً ! فأمر قومه أن يسلوا سيوفهم ويمنعوه ؛ وفيهم يقول الشاعر :

ومنّا ابن مرٍّ أبو حنبلٍ أجار من الناس رجل الجَراد !

مروان : هم يمنعونَ الجارَ حتى كأنما لجارِهمُ بين السماكينِ منزلُ

نهشل : وجارٍ منعناهُ من الضيم والعِدا وجيران أقوام بمدرجة النملِ

ابن نباتة :

ولو يكون سوادُ الشعرِ في ذممي   ما كان للشيبِ سلطانٌ على القِمَمِ

الحطيئة :

قومٌ اذا عقدوا عقداً لجارِهمُ   شدوا العناجَ وشدوا فوقه الكرَبا

المستنصر ذويه على اعاديه ونوائب لياليه :

كتب عثمان رضي الله عنه الى علي كرم الله وجهه حين حصر :

فإن كنتُ مأكولاً فكنْ أنتَ آكلي   وإلا فادركني ولمَّا امزَّقِ

أحمد بن أبي فنن :

هل أنت منقذُ شلوي من يدَيْ زمنٍ   أضحى يقد أديمي قدَّ منتهسِ

دعوتكَ الدعوةَ الاولى وبي رمقٌ   وهذهِ دعوتي والدهرُ مفترسي

ابن الحجاج :

يا راعيَ السربِ يحميهِ ويحرُسه   إن الذئاب قد استولتْ على الغنمِ

فعافني بتلافي العينِ من سَقَمٍ   لم يبق مني سوى لحمٍ على وَضمِ

حتى اقول لريبِ الدهر: كيف ترى   تعصبَ السادةِ الأحوارِ للخَدمِ ؟

نصرة قريب وان كان عدواً :

قيل : الحفائظ تحلل الاحقاد . قال : عند الشدائد تذهب الاحقاد . وهذا باب مستقصى في الاقارب .

ناصر مستنصره وان لم يكن بينهما معرفة :

روي ان حاتماً كان بأرض عنزة فناداه اسير : يا أبا سفانة أكلني الاسار والقمل ! فقال : ويلك ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء ، وقد أسأت اذ نوهت باسمي ! فاشتراه وقال : خلوا سبيله واجعلوني في القد مكانه حتى أؤدي فداءه ، فجعل مكانه وبعث الى قومه فأتوه بالفداء . وفي المثل : رب أخ لك لم تلده أمك .

المبادرة الى نصرة مستنصره :

قيل : لا تسأل الصارخ واسأل ما له . بعض بني العنبر :

لا يسألونَ أخاهم حين يندُبهم   في النائبات على ما قال برهانا

السري : ملك إصاختُهُ لأوّلِ صارخٍ وسجالُ أنعمهِ لأوّلِ طالبِ

عمرو بن مخادة :

دعوت إلى ما نابني فأجابني كريمٌ منَ الفتيان غيرُ مزلجِ

المتنبي : سبقت اليهم منـاياهم ومنفعة الفوت قبل العطَب

الصنوبري :

يا خير مستصرخٍ لنـائبهِ يضيقُ بالعـالمين قطراها

من تحمل من جاره الضراء ووفر له السراء :

زهير : وجارٍ سار معتمداً علينـا اجاءته المخـافةُ والوجاء
ضمنا ما له فغدا سليماً علينا نقصُهُ وله النَّماء

شبيب بن البرصاء :

وجاراتنا ما دُمنَ فينا عزيزةٌ كأروى ثبير لا يحلُّ اصطيادُها
يكونُ علينا نقصُها وضمانها وللجار إن كانت تريد ازديادُها

مدح من كرم جاره ومستنصره :

شاعر : وعزت جوار عصيَة أنتَ جارُها

أبو تمام : وليس امرؤٌ في الناس كنتَ سلاحَه عشية يلقى الحادثاتِ بأعزلا
ترى درعَهُ حصداءَ والسيفَ قاضباً وزجيه مسهومين والسوط معولا

السري الرفاء :

ما عذر من بسطَتْ يمينُك كفَّهُ أن لا ينال بها السها والمرزما ؟

المتنبي : إذا شد زندي حسن ذاتك في يدي ضربت بنصل يقطع الهامَ مغمدا

وقال آخر :

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ودافع عني حازمٌ وابن حازمِ
عطست بأنفٍ شامخ وتنالت يداي الثريا قاعداً غـير قائم

ابن الحجاج :

كيف يخشى صولةَ الذئبِ مَن قد جعل السبع لهُ عـدة ؟

الحامي جاره الحابيه ماله :

ابن الرومي :

هم أملونا في هضابِ غيوثهم ندى ، ورعَونا بالقنا والقنابلِ

السري الرفاء :

أمن في ظله رعيتَه خوفَ أعاديهِ حين عاداها
أهلها في نوالِهِ وغدا مشتملًا بالحسام يرعاها

الحامي جاره والمبيح ماله :

ابن الرومي :

هوَ المرء أمّا ماله فمحللٌ لعافٍ ، وأما جارُه فحرامُ

آخر : فنحن حلالٌ في حريمكَ للغنى ونحن على الأيامِ فيه حرامُ

الراعي مال جاره من النوب والسراق :

كانوا يقولون : جار كجار أبي دؤاد ، وذلك انه إذا مات له بعير وشاة أخلفه ، واذا مات له قريب وداه .

شاعر : إذا نزل الشتاء بدار قومٍ تجنب دار قوبِهمُ الشتاء

الفرزدق : الضامنون على المنيةِ جارَهم والمطعمون غداةَ كل شمالِ

المتنبي : يَذمّ على اللصوصِ لكل تجرٍ ويضمنُ للصوارمِ كل جانِ

المستجير بمن أمنه من النوب :

أبو نواس :

أخذتُ بحبلٍ من حبال محمدٍ أمنتُ به من طارقِ الحدثانِ
تغطيْتُ من دهري بظلّ جناحِه فعيني ترى دهري ، وليس يراني
فلو تسأل الايام : ما اسمي؟ مادرت وأين مكاني ؟ ما عرفن مكاني

ابن ابي فنن :

كبا الدهر بي فاستلني من جرانِه وقد كنتُ لاقيتُ المنية أو كِدْتُ
وحكّمني في مالِهِ وجيادِهِ وخيرني بين الحكومَةِ فاخترتُ

مدح الناصر صاحبه وان كان ذا عذر :

في المثل : الفحل يحمي شوله معقولا . الخيل تجري على مساويها

شاعر : يفرُّ جبانُ القومِ عن أمّ نفسِهِ ويحمي شجاعُ القومِ من لا يناسِبُه

الحث على نصرة واقع في محنة :

قال بعض البلغاء : لتكن معاونتك أخاك بمهجتك عند البلاء ، أكثر من معاونتك اياه عند الرخاء. وقيل : أفضل المعروف نصرة الملهوف .

حامي الحوم :

عنترة : أبينا أبينا ان تضب لثاتكم على مرشفاتٍ كالظباء عواطبا

وقال آخر :

فايقنَّ كلُّنا ان سوفَ تحمي جراَمَتها بشوكتِها النخيلُ

الحامي حومه المبيح حوم غيره :

الاخنس بن شهاب :

وحامي لواء قد قتلنا ، وحامل لواء منعنا ، والسيوف شوارع

طفيل الغنوي :

أبحنا روضهُ ولنا رياضٌ تقطَّعُ دونَ مطلعِها النفوسُ

جرير : أبحت حمى جرير بعد نجد وما شيءٌ حَميَتَ بمستباحِ

المؤثر نفع غيره على نفع نفسه :

عبيد الله بن عبدالله بن طاهر :

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا في مَنْ نحِلّ ونكرمُ

فقلنا له : نعماكَ فيهم أتمّها ودع أمرنا إنّ الأَهم المقدّمُ ا

عمارة : ينسى مضرّتهُ لنفعِ صديقهِ لا خير في شرف إذا لم ينفع

نصر كل امرىء لشكله :

قال : ان الكريم للكريم محل

وفي كتاب كليلة : اذا عثر الكريم لم يستقل إلا بكرام ، كالفيل اذا وحل لم يقلعه الا الفيلة .

جرير : إن الكريمةَ ينصرُ الكرامُ ابنَها

الحث على التظاهر :

لن يعجز القوم إذا تعاونوا فبالساعد يبطش الكف .

شاعر : إن السهامَ اذا تبدّدَ جمعُها فالوهنُ والتكسيرُ للمتبدّدِ

يا مض الكلابي :

ألم تر أن جَمْعَ القوم يُخشى وانَّ حريم واحدِهم مباحُ ؟

وأنَّ القدحَ حين يكونُ فرداً فيهصرُ لا يكونُ له اقتداحُ

تولى نزار بن محمد التجبي البصرة فرفع اليه في رجل يقول بخلق القرآن ، فامر بحبسه فاستعان الرجل باسمعيل الصفار ، وكان أحد شيوخ المعتزلة بالبصرة ، فكلم غير واحد من أجلاء البصرة فلم يجيبوه ، ثم ان اسمعيل طاف على المعتزلة وجمعهم وقال : قد جرأ عليكم اذ رآكم متفرقين ، فأتى بهم دار نزار بن محمد وقال : لم حبست فلاناً ؟ قال : انه يقول القرآن مخلوق ، فكلنا ممن يقول بقوله ، فاما تحبسنا معه أو تطلق صاحبنا ، فقوله في ذلك قولنا ! فنظر نزار فإذا فتنة تثور ، فرأى اطلاقه وترك التعرض لهم في مذهبهم !

وصف متظاهرين :

أبو فراس :

وإني وإياه كعينٍ وأختِها وإني وإياه ككفٍّ ومِعصمِ

بعض القدماء في جهينة :

فإنا وكليباً كاليدينِ متى تقُمْ شمالكَ في الهيجا تُعِنْها يمينُها

ذم جار السوء :

في بعض الادعية : أعوذ بالله من جار السوء عينه تراني وقلبه يرعاني ، ان رأى حسنة كتمها ، وان رأى سيئة أذاعها ! وعرض على أبي مسلم فرس جواد فقال لمن بحضرته : لم يصلح هذا الفرس؟ فقيل : للغزو . فقال : لا انما يصلح أن يركبه الرجل فيفرّ به من جار السوء . وقيل له : ما الداء العياء؟ فقال : الجار السوء ان قاولته بهتك ، وان غبت سبعك . وقيل لبعضهم : لم بعت دارك ؟ فقال : لأبيع جاري ! وقيل : الجار قبل الدار ، ثم الرفيق قبل الطريق .

ذم من لا يصون جاره :

الحطيئة : لما بدا لي منكم ذاتُ أنفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكمُ آس
أزمعتُ يأساً مبيناً من جوادِكم ... ولن ترى طارداً للحر كالياسِ !

المتنبي : رأيتكم لا يصون العرض جارُكمُ ... ولا يدرّ على مرعاكم اللبنُ
جزاءُ كل قريبٍ منكم مللٌ ... وحظّ كلِّ محبٍّ منكم ضغنُ

وقال رجل لابن الزيات : أمت اليكم بجواري ! فقال : نسب بين حيطان ! نظم ذلك بعضهم فقال:

أرى الجوارَ نسباً بين الجدُرْ ... والعطفُ والرقةُ حيناً والخوَرْ
طباع نسوانٍ وصبيان غرر

ذم من لا نصرة لديه :

ابراهيم بن العباس

وإني إذا أدعوك عند ملمةٍ ... كداعية بين القبور نصيرَها

ريقان : فما دار عمي لي بِدار خفارةٍ ... ولا عهد عمي لي بعهد جوار !

عامر : فجارُك عند بيتك لحمُ ظبيٍ ... وجاري عند بيتي لا يرامُ !

وقال آخر : تركوا جارَهم يأكلهُ ضبعُ الوادي ويرميهِ الشَّجَر

وسأل سليمان بن علي خالد بن صفوان عن ابنيه فقال : كيف تحمد جوارهما ؟ فانشد :

أبو مالكٍ جار لها وابنُ برثنٍ ... فيا لك جاري ذلةٍ وصغارِ !

وفي المثل : لا حرّ بوادي عوف .

المستنصر بمن يضره :

في المثل : كالمستغيث من الرمضاء بالنّارِ .

شاعر : رَبَّ مَن ترجُو بهِ دفعَ الأَذى ... سوفَ يأتيكَ الأَذى مِنْ قِبَلِه

وقال ابن الرومي :

كمتقٍ لفحَ نارٍ يستعدُ له ... بالجهلِ درعين من قار و كبريتِ

وله : كان كمِنْ خافٍ حريقاً واقعاً ... فزاد فيه حطباً على حطبْ

ابراهيم بن العباس :

تخذتكمُ درعاً وترساً لتدفعوا نبال العدا عني فكنتم نِصالها

وله في اولاده :

خلتُكم عدةَ لصرفِ زماني فاذا أنتمُ صروفُ زماني

المستنصر بمن لا نصرة لديه :

في المثل : مقعد استعان بدف . ذليل عاذ بقرملة . عبد صريخه أمة .

شاعر : بعثتك عاجلًا فلبثتَ حولاً متى يأتي غياثك مَن تُغيث ؟

وقال آخر :

لو بغيرِ الماء حلقي شرق كنت كالغصانِ بالماء اعتصاري

وقال آخر :

كنتُ مِن كربتي أفرُّ إليهم فهُم كربتي ، فاين الفرار ؟

تأسف من خذله ناصره :

اليزيدي : اذا كنتَ تجفوني وأنتَ ذخيرتي وموضعُ حاجاتي ، فما أنا صانع ؟

وقال آخر :

بأي نجادٍ تحمل السيفَ بعدما قطعت القوى من محملٍ كانَ باليا ؟

ذلة من لا ناصر له :

قدمت امرأة مكة ، وكانت ذات جمال ، فاعجبت ابن أبي ربيعة فآذاها ، فلما أرادت الطواف قالت لاخيها : اصحبني ! فصحبها فاذا ابن أبي ربيعة تعرض لها بعقال ، فرأى أخاها فانزجر .

فأنشأت : تعدو الذئابُ على مَنْ لا كِلابَ لهُ وتتقي مَرْبَضَ المستنفرِ الحامي

عدي : وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجرٌ إذا خطرت أيدي الرجالِ بمشهدِ

وقيل : اللؤم احراز المرء نفسه واسلامه عرسه .

المستعين بغيره في أمر :

شاعر : أعيين هلاً إذ أتى قــدر كنت استغثت بفارغِ العقل !

أقبلتَ ترجو الغوث مِنْ قبلي والمستغاثُ إليه في شغلِ

معاتبة متباطىء عن النصرة :

أبو الشمردل :

ومن يفرد الاخوان في ما ينوبهم ... ثنتهُ الليالي مرةً وهو مفردُ

عدي التيمي :

ألا هبلتك أمك يا عدي ! ... أتقعدُ لا أفك ولا أصولُ ؟

ولو كنت الاسير ولا تكنه ... اذا علمت مَعَدٌّ ما أقولُ

عذر متباطىء عن ذلك :

شاعر : أي عذر يكونُ أوضحَ في ابطاء نصرٍ من قلةِ الإمكان ؟

وقيل للجاحظ : لم خذلت ابن الزيات وهربت منه لما أصابته المحنة ؟ فقال : خفت أن يقال ثاني اثنين اذ هما في التنور ! وذلك ان ابن الزيات عوقب في تنور من حديد حتى مات . وفي الاخوانيات وذكر الاقارب أبواب تليق بهذا الفصل .

• •

ومما جاء في الاخلاق الحسنة والقبيحة

الحث على حسن الخلق ومدح ذلك :

قال الله تعالى : خذ العفو وأمر بالعرف . قيل : ما عفا لك من محاسن أخلاق الناس . وقال تعالى : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . وقال النبي ﷺ : انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم . ويقارب ذلك ما قيل لفيلسوف : هل من جود يتناول به الخلق ؟ فقال : نعم أن تحسن الخلق وتنوي لكل أحد الخير . وقال ﷺ : ان أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقاً ، الموطؤن أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون . وقال ﷺ : حرم الله النار على كل هين لين سهل قريب . وقال لابي الدرداء : ألا أدلك على أيسر العبادة وأهونها على البدن ؟ قال : بلى يا رسول الله ؛ فقال : عليك بالصمت وحسن الخلق فإنك لن تعمل مثلهما . وقيل : في سعة الاخلاق كنوز الارزاق . وقال مكحول : المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ، إن قدته انقاد ، وان انخته على صخرة استناخ.

شاعر : ما لم يضقْ خلقُ الفتى ... فالارضُ واسعةٌ عليه

وقال آخر :

لو انني خيّرتُ كل فضيلةٍ ... ما اخترتُ غيرَ مكارمِ الأخلاق !

الممدوح بحسن الخلق :

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت : أو ما تقرؤن القرآن : وانك لعلى خلق عظيم ؟ وقيل : فلان على خير ما تبنى عليه الضرائب . وقال البحتري :

سلام على تلك الخلائق إنها مسلمة ٍمن كل عارٍ ومأثمِ

أبو الفرج الاصبهاني :

خلائقُ كالحدائقِ طاب ٍمنها النسيمُ وأينعَتْ ٍمنهـا الثمارُ

وقيل : صفاء الاخلاق من نقاء الاعراق .

النهي عن سوء الخلق :

قال النبي ﷺ : من ساء خلقه عذب نفسه . وقال عليه السلام : خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقيل : سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الصبر العسل . وقال الاحنف : الداء الدوي الخلق الردي واللباس البذي ، بئس الملبوس العبوس . وقيل : ليس لسيىء الخلق توبة لانه كلما خرج من ذنب دخل في آخر لسوء خلقه .

المذموم بسوء الخلق :

صحب رجل رجلًا سيىء الخلق فلما فارقه قال : قد فارقته وخلقه لم يفارقه . وقال اعرابي لرجل: انك شكس الخلق دائم القطوب !

عمرو بن كلثوم :

وكنت امرأً لوشئتَ ان تبلغَ المنى بلغتَ بأدنى غايةٍ تستديمُها

ولكن فطام النفس ِأثقلُ محملًا من الصخرة الصمَّاء حين تروُمها

وقيل : لا مداراة للخلق السيىء القبيح ، كالشجرة المرة لو طليت بالعسل لم تثمر الا مراً ، او كذنب الكلب لو أدخلته القالب سنين لعاد إلى اعوجاجه .

المتمدح بمصابرة سيىء الخلق :

قال رجل لاحمد بن أبي خالد : لقد أعطيت ما لم يعط رسول الله ﷺ ! فقال : لئن لم تخرج من ذلك لاضربنك ! فقال الرجل : ان الله تعالى قال لنبيه ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، وأنت فظ ونحن لا ننفض من حولك . وقال شعيب بن حرب : خطبت امرأة فأجابتني، فقلت : إني سيىء الخلق فقالت أسوأ خلقاً منك من يلجئك إلى سوء الخلق ! وقال حبيب لرجل سيىء الخلق : ان استطعت أن تغير خلقك والا فليسعك من أخلاقنا ما ضاق به ذرعك .

صعوبة ترك العادة والرجوع عنها :

قيل : للعادة على كل انسان سلطان . وكل امرىء جار على ما تعوده . وقيل : لكل كريم عادة يستعيدها . وقيل : اللسان مقاضيك ما عودته .

المتنبي : وتأبى الطباع على الناقل

وقالت الحكماء : العادة طبيعة ثانية .

نفي العيب عن تعاطي ما كان خلقاً :

بعض القدماء :

ظلمتَ امرأً كلفته غير خُلقهِ ... وهل كانت الأَخلاق إلا غرائزا ؟

الخبزارزي :

يُعابُ الفتى فيما أتى باختيارهِ ... ولا عيبَ في ما كان خلقاً مركَّبا

المتخلق يرجع الى شيمته :

قال عمر رضي الله تعالى عنه : من تخلق للناس بما ليس خلقاً له شأنه الله . وفي كتاب كليلة ، الطبع المتكلف كلما زدته تثقيفاً زادك تعقيفاً . وقيل : كل اناء يرشح بما فيه . وقال : ان التخلق يأبى دونه الخلق .

ذو الاصبع :

ومن يتدعْ ما ليسَ من خيمِ نفسِه ... يدعْهُ ويغلبْهُ على النفس خيمُها

زهير : ومهما تكنْ عند امرىءٍ من خليقةٍ ... وإن خالها تخفى على الناسِ تُعلمِ

آخر : وللنفس أخلاقٌ تدلّ على الفتى ... أكانَ سخاءً ما أتى أم تَساخِيا

الحث على ملازمة العادة الحسنة :

قال أبو عبدالله بن حنيف : رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعليه قميص محلول الإزار ، فسلم علي فقال : يا أبا عبدالله من عرف طريقاً من الخير فسلكها ثم رجع عنها عذبه الله تعالى عذاباً لم يعذب به أحداً من العالمين ؛ فانتبهت وأنا أقرأ : من يكفر بعد منكم فأني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحـداً من العالمين . وقال جعفر بن محمد وقد ليم في جوده : ان الله عودني عادة وعودته عادة ، فأخاف أن يقطع عني عادته ان قطعت عادتي .

الحث على لين الكلام وطلاقة الوجه :

قال الله تعالى : وقولوا للناس حسناً . وقال : فقولا له قولاً ليناً . وقال : وقل لهما قولاً كريماً. وقال : وقل لهم قولاً ميسوراً . وقيل : من لانت كلمته وجبت محبته .

سفيان بن عيينة :

بنيّ إن البر شيءٌ هين : وجهٌ طليقٌ ، وكلامٌ ليّنٌ

وقال : طلاقة الوجه عنوان الضمير بها يستنزل الامل البعيد . وقيل : حسن البشر اكتساب الذكر . البشاشة مصيدة المودة .

الحث على مداراة الناس :

عن النبي ﷺ : مداراة الناس صدقة . وقيل : ثلثا التعايش مداراة الناس . وقال ابراهيم بن يسار: ما يسرني ترك المداراة ولي حمر النعم ! قيل : لمَ ؟ قال : لأن الامر اذا غشيك فشخصت له أدراك، واذا تطأطأت له تخطاك . وقيل : داروا الناس تسلموا . وقال معاوية : لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، لأنهم إذا جذبوها أرسلتها ، واذا أرسلوها جذبتها .

دارِ الصديقَ اذا استشاطَ تغيُّظاً فالغيظُ يُخرجُ كامنَ الأحقادِ !

حث من حسن خلقه أن يحسن خلقه :

نظر فيلسوف إلى غلام حسن الوجه يتعلم العلم فقال : أحسنت اذ قرنت بحسن خلقك حسن خلقك . وقال جالينوس : ينبغي للرجل أن ينظر إلى وجهه في المرآة ، فان كان حسن الوجه جعل عنايته أن يضم الى جمال وجهه كمال خلقه وكمال نفسه ، وإن رأى صورة سمجة تحرّز من أن يكون ذميم الخلق والخلق .

مدح من حسن خلقه وخلقه :

قال النبي ﷺ : ما أحسن الله خلق أحد وخلقه فاطعمه النار ! ووصف خالد بن صفوان رجلاً فقال : يقرى العين جمالاً والأذن بياناً .

ابن الرومي :

كل الخلال التي فيكم محاسنكم تشابهت فيكُم الاخلاقُ والخلقُ
كانكم شجرُ الأترج طابَ معاً حملاً ونوراً،وطابالعودُ والورقُ

محياه قد زرتْ عليه شمائله .

وقال أحمد بن يوسف لرجل : ما أدري أي حسنيك أبلغ : ما وليه الله تعالى من تسوية خلقك وكمال خلقك ، أو ما وليته لنفسك من تحسين أدبك وكمال مروءتك .

الاستدلال من حسن الوجه على حسن الخلق :

قال قتادة : ما بعث الله تعالى نبياً إلاّ بعثه حسن الخلق حسن الوجه وقيل لابن دلبر المنجم : ما الدليل على ان المشترى سعد ؟ فقال : حسنه . وقالت الفلاسفة : قل صورة حسنة تتبعها نفس رديئة. منظرهُ ينبيك عن مخبره . نقش الطوالع مقروءٌ من الطين . كفاك منظره ايضاحُ مخبره في حمرة الخد ما يغني عن الخجل .

حث من قبح وجهه على تحسين خلقه :

تقدم ما قال جالينوس في ذلك وقال الاوقص : قالت لي أمي خلقت خلقة قبيحة لا تصلح معها لمجالسة الفتيان في بيوت القيان ، فعليك بالأخلاق التي ترفع الخسيسة وتتم النقيصة ، فنفعني الله تعالى بكلامها ، فتعلمت العلم فأدركت به . وقال الاحنف لابنه وكان دميماً : إنك قليل فكن فطناً .

ذم من حسن منظره وقبح مخبره :

نظر فيلسوف الى رجل حسن الوجه خبيث النفس فقال : بيت حسن وفيه ساكن نذل ! ورأى آخر شاباً جميلاً فقال : سلبت محاسن وجهك فضائل نفسك . قال الشاعر :

خلق ممثلة بغير خلائقٍ ترجى وأجسامٌ بلا أرواحِ

وقال آخر :

فإنكمُ ومدحكمُ بجيراً تراه العين أخضرَ ذا رواء
لكالنفس التي ترجو المعالي وتمنع بالمرارةِ والاباء

وقال آخر :

قلتْ وجوه المصر حتى إذاً كشفتُهم كشفتُ أستاها

غيره : ألم تر أنَّ الماء يخلف طعمه وان كان لون الماء في العين صافِيا

غيره : لا تجعلنَّ دليلَ المرء صورتَه كم مخبرٍ سمجٍ من منظرٍ حسن !

غيره : فلا تجعل الحسنَ الدليل على الفتى فما كل مصقولِ الحديدِ يماني !

ذم من قبح خلقه وخلقه :

استعرض المأمون الجند فمر به رجل ذميم ، فاستنطقه فرآه ألكن فأمر باسقاطه ، وقال : ان الروح اذا كانت ظاهرة كانت وسامة ، واذا كانت باطنة كانت فصاحة ، وأراه لا ظاهر له ولا باطن . وفي المثل : أحسن ما في خالد وجهه وفيه ستعلم الشاهد بالغائب . قال الشاعر :

مخبرهُ أقبحُ من وجههِ ووجهُهُ بالقبحِ مشهورُ

آخر : قد رأيناك فما أعجبتنا وبلوناك فلم ترضَ الخبرَ

الاستدلال بقبح الوجه على قبح الصنيع :

قالت العرب : ليس على وجه الارض قبيح إلا وجهه أحسن شيء منه .

شاعر : يدل على قبيح الفعل منكم وأصلِكمُ وجوهكمُ القباحُ

وقيل : أحسن ما في القبيح وجهه .

من قبح منظره وحسن مخبره :

لما عاد الحجاج من محاربة الخوارج قال : اطلبوا الي فاضلًا أخرجه إلى عبد الملك ، فأتوه برجل دميم المنظر حسن المخبر ، فلما رآه عبد الملك استبشع منظره ، فاستنطقه فملأ أذنه صواباً ، فتعجب منه عبد الملك وأنشد متمثلًا :

وان عراراً ان يكن غير واضحٍ فاني أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال أمير المؤمنين أتدري لمن هذا الشعر ؟ قال : نعم هو لعمرو بن شاس في ابنه عرار ، فقال: أنا عرار ابنه ! فتعجب عبد الملك من مطابقة القول الحال ، فأمر له بمال وأوصى به الى الحجاج . وكلم علي بن الهيثم عمر رضي الله عنه في حاجة ، وكان أعور دميماً ، فلما تكلم فاحسن صعد عمر رضي الله عنه فيه النظر وصوبه وقال : لكل اناس في جميلهم خبر .

ألم تسلِ الفوارسَ من سليمٍ بنضلة ، وهو موتور يشيحُ
رأوه فازدروه ، وهو خرقٌ وينفع أهلَه الرجلُ القبيحُ
فلم يخشوا مصالتَه عليهم وتحت الرغوة اللبنُ الصريحُ

واستعان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه برجل كريه المنظر فوجده حسن المخبر فقال : ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً . وقال بعضهم : فلان دميم الخلق كريم الخلق ، ولئن أمرت أوراقه لقد حلا مذاقه .

تفاوت أخلاق الناس :

الناسُ أشكالٌ وشتّى في الشيم وكلهم يجمعهم بيتُ الادم

الناس في اختلافهم في خلقهم كاختلافهم في خلقهم .

شاعر : وتفاضُلُ الأَخلاقِ إن حصَّلتها في الناسِ حسبَ تفاضُلِ الأَجناسِ

غيره : الناسُ أخلاقُهم شتى وان جُبِلوا عـلى تشابه أرواحٍ وأجسادِ

قال خالد بن صفوان : الناس أخياف منهم من هو كالكلب لا تراه الدهر الا هراراً على الناس، ومنهم كالخنزير لا تراه الدهر الا قذاراً ، ومنهم كالقرد يضحك من نفسه . وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : الناس أصناف أربعة : أسد وذئب وثعلب وضأن ، فأما الاسد فالملوك يأكلون الناس أكلاً، والذئب التجار يختلسون ، والثعلب القراء المخادعون ، وأما الضأن فالمؤمن ينتهشه كل من رآه . وقال بعضهم : الناس اخيافٌ علق مضنة لا يباع وعلق مظنة لا يبتاع . وقال بعضهم : الناس في أخلاقهم كما قال أبو العتاهية :

من لك بالمحض ، وليس محض   يخبث بعضٌ ، ويطيب بعضُ !

التمدح بمخالفة الناس والحث عليه :

قال الشاعر : أنا كالمرآةِ القى كلَّ وجهٍ بمثالهِ

وقال آخر :

متخلقٌ مِن حسنٍ كلّ خليقةٍ   كعطاردٍ في طبعهِ المتمازجِ

وقال آخر :

أحامقه حتى يقال سجيةٌ   ولو كان ذا عقلٍ لكنت أعاقلُهْ

وقال آخر :

فكنْ أكيَس الكَيْسي إذا كنتَ فيهمُ   وإن كنت في الحمقى فكنْ أنتَ أحمقا

ذم متفاوت الخلق متلون :

هو ذو لون مختلف الفعال . وقال الاحنف : لأن ابتلي بألف جموح لجوج أحب الي من أن ابتلى بمتلون واحد .

فتى شان أخلاقه بلقة   ففيهن بيضٌ وفيهن سودُ
أديبٌ جوادٌ جميلُ الرجاء   فصيحٌ بليغٌ كريمٌ مجيدُ
وقد شان تحسينَه أنهُ   عجولٌ جديدٌ حقودٌ حسودُ

وقال رجل : انه ليبلغ من مللي أن أغير كل شهر كنيتي مرتين ، وقال خالد بن صفوان : انه ليبلغ من مللي أن أتبرم بنفسي فأتمنى أن يؤخذ مني رأسي فلا يرد إلي الا في كل أسبوع . وقال الجاحظ : التلون أن يكون سرعة رجوع المرء عن الصواب كسرعة رجوعه عن الخطأ .

الحث على تخلية المتلون :

إذا كان ذو لون حوّل من الهوى   موجهة في كل صوب ركائبُه
فخل له وجه الفراق ولا تكن   مطية رحّال كثيرٍ مذاهبُه

اللجوج :

قيل : اللجاج أن يكون ثبات العزم على امضاء الخطا كثبات العزم على امضاء الصواب .

النافع : ألجّ لجاجاً من الخنفساء وأزهى إذا ما مشى مِنْ غُراب !

● ● ●

ومما جاء في المزاح والضحك مدحاً وذماً

النهي عن المزاح والتخويف منه :

روي عن النبي ﷺ أنه قال : اياك والمزاح فانه يذهب ببهاء المؤمن ، ويسقط مروءته ، ويجر غضبه . وقيل : المزاح مجلبة للبغضاء ، مثلبة للبهاء ، مقطعة للاخاء . وقيل : اذا كان المزاح أول الكلام كان آخره الشتم واللكام . سأل الحجاج ابن القرية عن المزاح فقال : أوله فرح وآخره ترح ، وهو نقائص السفهاء مثل نقائص الشعراء ، المزاح فحل لا ينتج الا الشر .

مسعر بن كدام :

أما المزاحةُ والمراءُ فدعْهما خلقان لا أرضاهما لِصديقِ

المزاح أسباب النوك . وقيل : لا تمازح صغيراً فيجترىء عليك ، ولا كبيراً فيحقد عليك ؛ ونحوه قول الشاعر :

فاياكَ اياكَ المزاحَ فإنــه يُجري عليكَ الطفلَ والدنسَ النذْلا

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر . وقيل : المزاح يبدي المهانة ويذهب المهابة ، والغالب فيه واتر ، والمغلوب ثائر . وقيل : لا تفاكه أمة ولا تبل على أكمة . وقيل : احذر فلتات المزاح فسقطة الاسترسال لا تقال .

النهي عن مزاح من لا تجوز مباسطته :

قيل : لا تمازح الصبيان فتهون عليهم .

لا تعرضَنّ بمزح لإمرىء طبنٍ ما رامه قلبهُ أجراه في الشفةِ

فرب مخرمةٍ بالمزح جاريةٍ مشبوبةٍ لم يرد اطفاؤها غمتِ

حد الاقتصاد في المزح :

روي ان النبي ﷺ كان يمزح ولا يقول الا حقاً . وقال تعالى في صفة المؤمنين : واذا مروا باللغو مروا كراماً . وقال سعيد بن العاص لابنه : اقتصد في مزاحك فالافراط به يذهب البهاء ويجرىء عليك السفهاء ، وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين . خالد بن صفوان : لا بأس بالمفاكهة تخرج الرجل من حال العبوس . وقال رجل لابن عيينة : المزاح سبة . فقال : بل سنة لمن يحسنه .

يا ساعتي في مجوني   قد طبتُ فيكِ وطبْتِ
إني إذا ضاق صدري   قطعت بالسخفِ وقتي

وقيل : الناس في سجن ما لم يتمازحوا !

وقـد ينفس عن جد الفتى اللعب

بعض ما روي عن الاماثل في المزاح :

روي أن النبي ﷺ كان من أفكه الناس ؛ فقالت له عجوز من الانصار : يا رسول الله ادع لي بالجنة ! فقال ﷺ : ان الجنة لا يدخلها عجوز ! فبكت المرأة وضحك النبي ﷺ وقال : أما سمعت قول الله تعالى : إنا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً ؟ وقال لاخرى : زوجك في عينه بياض ! فرجعت الى زوجها فأخبرته فقال : أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها ؟ وقال ﷺ لصبي : يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ وجاء رجل الى أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال : إني احتلمت على أمي ! فقال : لتقم في الشمس وليضرب ظلك الحد . وقال ﷺ لجاريته وقد وضأته ، فلما نهض اعتمد عليها فقال : انظري لا تضرطي ! وقال ابن عمر رضي الله عنهما لخادمه : خلقني خالق الكرام وخلقك خالق اللئام .

النهي عن الغضب من المزح :

قال ابن سيرين رضي الله عنه : ليس بحسن الخلق الغضب من المزح .

الممدوح بأن فيه الجد والهزل في موضعها :

إذا جَدّ عند الجدّ أرضاكَ جدّه   وذو باطلٍ ان شئت ألهاكَ باطلُهْ !

آخر : الجد شيمتهُ وفيهِ فُكاهـةٌ   طوراً ولا جداً لمن لا يلعب

آخر : أهازلُ حيث الهزلُ يحسنُ بالفتى   وإني إذا جد الرجالُ لذو جَدّ

وقال بعضهم : لا عدمتك مزيناً بجدك مجلس الحفلة وبهزلك مجالس البذلة .

هوالظفر الميمون إن راح أوغدا   به الركبُ والتلعابةُ المتحببُ

عذر من كان منه ضحك وهو مهموم :

وربما ضحك المكروبُ من عجبٍ　　السن تضحَكُ والاحشاء تضطرمْ

آخر :　　وقـد يضحكُ الموتورُ وهو حزينُ

النهي عن كثرة الضحك وذمه :

قال النبي ﷺ : اياك وكثرة الضحك فانها تميت القلب وتورث النسيان . وقال عبدالله بن أبي دؤاد: فشا الضحك في أصحاب النبي ﷺ فانزل الله تعالى : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ عن الثوري : عظموا العلم ولا تكثروا الضحك فتمجه القلوب ، وكثرة الضحك من ارعونة . وضحك اسحق بين يدي المأمون حتى فتح فاه ، فأمر بأن يؤخذ سيفه ومنطقته ويدفع اليه منديل الشراب وقال : الشراب أليق بك ! فقال : أقلني مرة يا أمير المؤمنين ! فأقاله . فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً ومرت معاذة العدوية على شبان عليهم الصوف وهم يضحكون فقالت : سبحان الله لبس الناسكين وضحك الغافلين ! وقال كعب : ان الله يبغض المضحاك من غير عجب .

النهي عن تعاطي ما يضحك :

قال النبي ﷺ : ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم ! ويل له ويل له ! وقال رسول الله ﷺ : ان الرجل يتكلم بالكلمة يضحك بها الناس ، فيتزل أبعد ما بين السماء والارض . وقيل لابي العيناء : فلان يضحك منك ! فقال : ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون .

ايراد جد في مسلك هزل :

قيل : جديدة في لعيبة . وقال خالد بن صفوان : رماني بأصلب من الجندل ونشقني بأحر من الخردل ثم قال : إني أمازحك !

لي صاحب ليس يخلو　　لسانـه من جراحي
يجـد تمزيقَ عرضي　　عـلى طريقِ المزاحِ

• • •

مما جاء في الحياء والوقاحة

قال النبي ﷺ: الحياء شعبة من الايمان ومن لا حياء له فلا ايمان له. وفسر قوله تعالى: ولباس التقوى بالحياء، وقال: أبي عليك بالحياء والانفة فإنك ان استحييت من الغضاضة اجتنبت من الحساسة، وان أنفت من الغلبة لم يتقدمك أحد في مرتبة. وقيل: احي حياءك بمجالسة من يستحي منه. وقيل: من جمع بين الحياء والسخاء فقد أجاد الحلة ازارها ورداءها.

الممدوح بالحياء:

في وصف النبي ﷺ: انه كان شديد الحياء، وكان أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان اذا كره شيئاً عرفناه في وجهه. وسأل يحيى ابن خالد رجلاً عن ابنه فقال: تركته وماء الحياء يتحدر من أسارير وجهه، وسيول الجود سائلة من فروج أنامله، ولآلىء العلم متناثرة من ميازيب منطقه!

شاعر: ترك الحياء بها رداع سقيم

المتنبي: وأوجه فتيان حياء تلثموا ... عليهن لا خوفاً من الحرِّ والبردِ
وليس حياءُ الوجهِ في الذئب شيمةً ... ولكنهُ مِن شيمةِ الاسد الوَرْدِ

مروان بن أبي حفصة:
يكاد يخرج في ديباج أوجهِهم ... خوفُ المذلة حتى ينفطرْنَ دما

من مدح بالحياء في السلم والوقاحة في الحرب:

شاعر: كريم بغض الطرف فرط حيائهِ ... ويدنو وأطرافُ الرماحِ دوانِ

آخر: يتلقَّى الندى بوجهٍ حَيي ... وسيوفَ العدا بوجهٍ وقاحِ

الموسوي:
يجري الحياء الغضُّ من قسماتِهم ... في حينَ يجري في أكفّهمُ الدمُ

من يستحي من الناس دون نفسه وربه:

قال كعب: استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم. وقيل: من يستحي من الناس ولا يستحي من نفسه فلا قدر لنفسه عنده. قال رجل للنعمان: أوصني فقال استحي من الله كما تستحي من رجل من عشيرتك. وفي ضد ذلك:

إذا كان ربي عالماً بسريرتي ... فما الناس في عيني بأعظمَ من ربّي

ذم الوقاحة :

قال النبي ﷺ : ان مما أدرك الناس من كلام النبوّة ، اذا لم تستح فاصنع ما شئت .

شاعر في معناه :

اذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنعْ ما تشاءُ

وفي معناه أيضاً :

اذا لم تصنْ عرضاً ولم تخشَ خالقاً وتستحي مخلوقاً فما شئتَ فاصنعِ

وقيل : اذا لم تستح فقل ، واذا لم تخش فقل ، الفاقة خير من الصفاقة .

هجاء وقح :

قيل : فلان يعد الحياء جنة والوقاحة جنة ، هو أوقح من الدهر ، وجه صلب ولسان خلب .

شاعر : ياليت لي من جلدِ وجهكَ رقعةً فاقدُّ منها حافراً للأشهبِ

منصور بن ماذان : الصخر هش عند وجهك في الوقاحه . ومن الابيات الرائقة الرائعة التي لا أرتاب لها :

إن يعجزوا او يبخلوا أو يغدُروا لم يحفلوا

وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

الناجم : لك عرش مثلمٌ من قوار يَرو وجهٌ ململمٌ من حديدِ

مدح الوقاحة :

قال علي رضي الله عنه : قرنت الخيبة بالهيبة ، والحياء بالحرمان ، والفرصة تمر مر السحاب .

شاعر : إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلب في الامور كما يشاء

ولم يك للامورِ ولا لشيء يعالجه له فيه عناءُ

وقال معاوية لعبدالله بن جعفر رضي الله عنهم : ما اللذة ؟ فقال : ترك الحيا واتبع الهوى .

الشاكي حياءه :

قال العتابي : فيّ خصلتان اعتقلتاني عن كثير من المنافع : حصر مقيد بالحياء ، وعزة نفس شبيهة بالجفاء.

أبو الاسود :

وأعطيتُ حظاً من حياء واشتكى من العجز ما لم يبدُ للناس عائبُه

آخر : لساني وقلبي شاعرانِ كلاهما ولكنّ وجهي مفحم غيرُ شاعرِ

العباس بن الاحنف :

من راقب الناس مات غمّاً وفـازَ باللذّةِ الجسورُ

الحث على الامانة والنهي عن الخيانة :

قال الله تعالى : ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها . وقال : ولا تكن للخائنين خصيما. وقال : ان الله لا يهدي كيد الخائنين . وقال النبي ﷺ : لا ايمان لمن لا أمانة له . ومن دعائه عليه السلام : أعوذ بك من الخيانة فبئست البطانة ! وقال الجاحظ : سقى الله قبر الاحنف حيث يقول : الزم الصحة يلزمك العمل . وقال : اذا لم تكن خائناً فبت آمناً . وقيل : أفحش الزمانة عدم الامانة . اذا ذهب الوفاء نزل البلاء ، واذا مات الاعتصام عاش الانتقام . خيانة الناس اقبح الافلاس . وقال معاوية : الزم الرفيعين ، الامانة والعدل .

الحث على الوفاء ومدحه :

قال الله تعالى : وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون . وقال : يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود . وقال : وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها . وقيـل : اذا ذهب الوفاء نزل البلاء ، واذا ظهرت الخيانات استحقت البركات . وقيل : الوفاء من شيم الكرام والغدر من همم اللئام . وقيل في قوله تعالى ، وثيابك فطهر : لا تلبس ثيابك على الغدر .

مدح ذوي الوفاء :

قال الله تعالى : والموفون بعهدهم اذا عاهدوا . والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون .

شاعر : ولم توقد لها بالغـدر نار

المسيب بن عيسى :

أنت الوفي فما تذم وبعضُهم يوفي بذمته عقاب ملاع

وقال أعرابي : فلان لا يشكره الخنا ولا يشكوه الوفا .

التنوخي :

عظائم لو انّ السموءلَ خافَها لخانَ امرأ القيس الوكيدَ من العهدِ

من التزم مكروهاً في التزام الوفاء :

قيل : أكرم الوفاء ما كان عند الشدّة ، وألأم الغدر ما كان عند الثقة . كان السموأل اودعه امرؤ القيس دروعاً ، فقصده الملك واخذ ابنه وقال : ان دفعت الدروع إلي وإلا ذبحت ابنك !

فقال : أجلني يوماً ، فجمع عشيرته واستشارهم ، فكل أشار بأن يدفع اليه . فلما أصبح قال : ليس الى دفعها سبيل فافعل ما بدا لك ! فذبح الملك ابنه ؛ فوافى السموأل بالدروع الموسم ودفعها الى ورثة امرىء القيس . فقال :

وفيت بأدرع الكندي إني ... اذا ما خان اقوامٌ وفيتُ

وفيه قال الاعشى وهي أبيات جيدة رائقة :

كن كالسموأل إذ طاف الهمامُ به ... في جحفلٍ كسوادِ الليلِ جرارِ
بالأبلق الفردِ من تيماء منزله ... حصنٌ حصينٌ وجارٌ غير غدارِ
قد سامَهُ خطتي خسف فقال له : ... قل ما بدا لك إني سامع دار !
فقال : ثكل وغدر أنت بينهما ... فاختر ، وما فيهما حظٌ لمختار !
فكّر غير طويل ثم قال له : ... اقتل أسيركَ اني مانعٌ جاري !

وعمير بن سليم الحنفي كان يقصده السواقط فلا يتعرض لقصاده . وكان مرداس في سجن عبيدالله ابن زياد فقال له السجان : أنا أحب ان أوليك حسني ، فإن اذنت لك في الانصراف الى دارك أتدلج علي ? فقال : نعم فكان يفعل ذلك به ، فلما كان ذات يوم قتل بعض الخوارج صاحب شرطة زياد ، فأمر زياد أن يقتل من في الحبس من الخوارج ، وكان مرداس خارجاً ، فقال أهله : إتق الله في نفسك فانك مقتول ان رجعت ! فقال : ما كنت لالقى الله غادراً وهذا جبار ، ولا آمن ان يقتل السجان ، فرجع . وقال للسجان : تساقط اليّ ماعزم صاحبك عليه من قتل اصحابنا فبادرت لئلا يلحقك مكروه ! فقال السجان : خذ أي طريق شئت فانج نجاك الله !

الوفيات من النساء :

قال أبو عبيدة : لم تف امرأة لزوجها إلا قضاعيتان : نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان رضي الله عنه ، وذلك أنه خطبها معاوية لما قتل عثمان فدعت بفهر فقلعت ثنيها وقالت : إني رأيت الحزن يبلى فلم آمن أن يبلى حزني فتدعوني نفسي الى التزوج ! وامرأة هدبه ، فإنها حين قتل زوجها قطعت أنفها وكانت حسنة الانف ، لئلا يرغب فيها .

قلة الوفاء في الناس ووصف عامتهم بالغدر :

قال تعالى : وما وجدنا لاكثرهم من عهد وإن وجدنا اكثرهم لفاسقين . وكان يحيى بن خالد اذا اجتهد في يمينه يقول : لا والذي جعل الوفاء أعز ما يرى . وكان يقول : هو أعز من الوفاء ! وقيل لحكيم : أي أصناف الناس أقل وفاء ? فقال : أهل الامانة والوفاء .

موسى العلوي :

وخانَ الناسُ كلُّهمُ فلا أدري بمَن أثقُ !

المتنبي : غيري بأكثر هذا الناس ينخدعُ إن قاتلوا جبنوا او حدّثوا شجعُوا

أهل الحفيظةِ إلا أن تُجربهم وفي التَجارب بعدَ الغي ما يزعُ

أبو فراس :

بمن يثقُ الانسانُ فيما ينوبه ومن أين للحرّ الكريمِ صحابُ ؟

وقد صارَ هذا الناسُ الا أقلّهم ذئاباً على أجسادِهنّ ثيابُ

وله : أبغي الوفاء بدهرٍ لا وفاء له كأنني جاهلٌ بالدهر والناسِ

وله : نعم دعتِ الدنيا الى الغدر دعوةً أجاب اليها عالمٌ وجهولُ

آخر : والمنتمون الى الوفاء جماعةٌ إن حصّلوا أفناهم التحصيلُ

الموسوي :

أبى الناسُ إلا ذميمَ الفعالِ إذا جربوا وقبيحَ الكذبِ

ذم الغدر وذويه :

قال الله تعالى : الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض ، اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار . وقال تعالى : افأ من الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون . وقال امير المؤمنين رضي الله عنه : الغدر مكر والمكر كفر ! وقيل : الخيانة خزي وهوان . وقيل : من عامل الناس بالمكر كافؤه بالغدر .

شاعر : لقد غدرت وعيب الغدر مشتهر

وكانت العرب اذا غدر منهم غادر يوقدون له بالموسم ناراً وينادون عليه يقولون : ألا إن فلاناً غدر ، ولذلك قال الغادرة الغطفاني :

اسمي ويحُك هل سمعتَ بغدرَةٍ رُفعَ اللواءُ بها لَنا في المجمع ؟

وقيل : حج وفاء زهير المازني في الجاهلية ورأى في منامه كأنه حاض ، فقص رؤياه على قس ابن ساعدة فقال : انك غدرت أو غدر بعض عشيرتك ! فلما قدم على أهله وجد أخاه قد غدر بجار له فعقله . وقال : علام سميت وفاء اذا رضيت بالغدر ؟

رجوع الغدر الى صاحبه وسرعة ادراك عقوبته :

قال امير المؤمنين كرم الله وجهه : ثلاث هن راجعات الى أهلها ، المكر والنكث والبغي . ثم تلا قوله تعالى : ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . وقال : فمن نكث فانما ينكث على نفسه . وقال : إنما بغيكم على انفسكم . وقيل : رب حيلة كانت على صاحبها وبيلة . وقيل : رب حيلة أهلكت المحتال .

امرؤ القيس : ويغدو على المرء ما يأتمر

آخر : وكم من حافرٍ لأخيه ليلًا تردّى في حفيرته نهارا

وقيل : من حفر مغواة وقع فيها . وقيل في من عاد اليه مكره : عاد الرّمي على النزعة . وقيل : أربع من أسرع الاعمال : عقوبة من عاهدته ورأيك ان تفي له ورأيه الغدر ، ومن سعى على من لم يسع عليه ، ومن قطع رحم من يواصله ، ومن كافأ الاحسان بأساءة .

الموصوف بالغدر :

١ قال اعرابي : إن الناس يأكلون أماناتهم لقماً وفلان يحسوها حسواً . ويقال : فلان اغدر من الذئب . قال الشاعر :

هو الذئبُ او للذئبِ أوفى أمانة

وقيل : الذئب يادو للغزال أي يختله . واستبطأ عبيد الله بن يحيى أبا العيناء فقال ؟ أنا والله ببابك اكثر من الغدر في آل خاقان .

حسان : إن تغدروا فالغدرُ فيكم شيمة والغدر ينبتُ في اصول السخبر

عارق الطائي :

غدرت بأمر أنت كنت اجتذبتنا اذا هو أمسى حلبة من دم الفصد

الخبزارزي :

ولِمَ تتعاطي ما تعوّدتَ ضدّه اذا كنت خوانًا فلِمَ تدّعي الوفا ؟

الباذاني في ابي دلف وكان نقش خاتمه الوفاء :

الغدر أكثر فعله وكتاب خاتمه الوفاء

وقيل : كان بنو سعد يسمون الغدر كيسان ويستعملونه ؛ وفيهم يقول اليمني :

إذا ما دعوا كيسان كانت كهولُهم إلى الغدر أدنى من شبابِهمُ المردِ

التعريض بمن كان منه غدر :

قال المنصور لاسحق بن مسلم العقيلي عند قتله ابن هبيرة . ما كان أعظم رأس صاحبك ! فقال : نعم وأمانته كانت أعظم ! وكان لعبدالملك صديق يختصه فغاب عنه غيبة قتل عبدالملك فيها عمرو ابن سعيد بعد ان أمنه ، فلما قدم قال له يوماً : ما تقول في قتل عمرو بن سعيد ؟ فقال : اعفني ! فقال : أقسمت عليك لتقولن : فقال : لو قتلته يا امير المؤمنين وأنت حي كان جميلًا ! فقال : أوما تراني حياً ؟ قال : ليس بحي من أقام نفسه مقاماً لا يوثق به ، والله لا يخرج عليك بعدها خارجي الا وبلغ الغاية في معاداتك ، وان بذلت له كل امانة . فقال عبدالملك : لو سبق الى أذني لم اصنع ما صنعت ، ولقد صدق من قال : نصف عقلك مع صاحبك .

جحظة : وأمنتني ثم عاقبتَني فكان أمان أبي مسلم !

مدح سوء الظن بالناس :

قيل : ما الحزم ؟ قال : سوء الظن بالناس .

ببغاء البغدادي :

وأكثرُ مَن تلقى يسرُّكَ قولهُ ولكن قليلٌ مَن يسركَ فعلُه
وقد كان حسنُ الظن بعضَ مذاهبي فادبني هـذا الزمانُ وأهلُه

وقد تقدم هذا الباب :

ذم من ساء ظنه :

قيل لبعضهم : ما ظنك بالناس ؟ قال : ظني بنفسي .

المتنبي : إذا ساءَ فعلُ المرء ساءتْ ظنونُه وصدّق ما يعتادُه مِن توهُّمِ

وقيل : أخفض الناس من لا يثق بأحد ، ولا يثق به احد .

النهي عن الوقوف موضع التهمة :

قال النبي ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقومن مقام التهمة . وقيل : من وقف موقف التهمة لم يكن له أجر الغيبة . من جعل نفسه عرضاً للتهم فلا يلومن من أساء به الظن .

حقيقة النفاق :

قيل : حقيقة النفاق أختلاف السر والعلانية ، واختلاف القول والعمل . وقال ﷺ : علامة المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان .

موصوف بالنفاق :

قال أبو الحسين بن سعد :

ما إن له في الفضلِ والخيراتِ جمعا من خلاق
إلا النفاقُ فإنّـه وافي النصيبِ منَ النفاقِ

ذم ذي الوجهين :

قال الاحنف : ان ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيهاً .

صالح بن عبد القدوس :

قل للذي لستُ أدري مِن تَلونِهِ أناصحٌ أم على غش يُداجيني
إني لاكثر مما سِمتَني عجباً يد تشُجُّ وأخرى منك تأسُوني
تذمني عند أقوامٍ وتمدُحني في آخرين ، وكل منك يأتيني !

النهي عن الاستعانة بخائن :

قيل : من استرعى الذئب ظلم .

شاعر : إن العفيفَ إذا استعان بخائنٍ كان العفيفُ شريكَه في المأثمِ

آخر : اذا أنتَ حملتَ الخؤنَ أمانةً فإنك قد أسندتَها شرَّ مسند

آخر : إن العفيفَ إذا تكنفه الظنينُ هو الظنينُ

وقال علي رضي الله عنه : من تتهمه فلا تأتمنه ، ومن تأتمنه فلا تتهمه .

عذر من استعان بخائن سهواً :

أبو تمام : هذا النبيّ وكان صفوةَ ربّه من بين بادٍ في الأنامِ وقارِ
قدخصّ مِن أهلِ النفاق عصابةً وهمُ أشدُّ أذىً مِنَ الكفّارِ
واختار مِن سعدٍ لغير بني أبي سرح لوحي الله غير خيارِ

الحث على نقض عهد الغادر :

قال بعض العلماء : حق على من جعل لغادر عهداً أن ينقضه لان الله تعالى يقول : لا ينال عهدي الظالمين . وقال الاعمش : نقض العهد مع من لا عهد له وفاء بالعهد .

الحث على الغدر والتبجح به :

قال : خرقٌ على الناس وخرقٌ لهم فإنما الدنيا مخاريقُ

مسعود الاسدي :

قالوا: غدرت؟ فقلت: جير فربما نال العلى وشفى الغليلَ الغادرُ

العباس بن الاحنف :

ملَّني واثقاً بحسنِ وفائي ما أضرَّ الوفاء بالإنسان !

• •

ومما جاء في المسابقة الى المعالي والرفعة والمجد وصيانة النفس والمروءة والفتوة وتعظيم الامائل

الممدوح بأن مجاريه الى العلاء تأخر عنه :

مدح كاتب رجلاً فقال : فلان طالت إلى المساعي خطاه ، وبذّ بشأوه من ساعاه وجاراه . وخطب عمر رضي الله عنه أبا بكر وفضله فقال : وانه كان كما قال الشاعر :

من يسعَ كي يدركَ مسعاته يجتهد الشد بأرضٍ فضاءْ

والله لا يـدركُ أيامَهُ ذو مئزر ضاف ولا ذو رِداءْ

وفي المثل : فلان لا يشق غباره . وكتب كاتب : لسنا لاحقيك اذا ابتدأت ، ولا سابقيك اذا كافأت ، سئل مجنون : كيف رأيت بني فلان مع من فاخر ؟ فقال :

كانوا ومن عاداهم مِنَ البشرْ كأنما أجريتُ خيلًا وبَقَرْ

سلم الخاسر :

جاراكَ قومٌ فلم ينـالوا مداكَ والجريُ لا يُعارُ

المتنبي : من تعاطى تشبُّهاً بك أعيا ه ومن دلّ في طريقك ضَلَّا

البحتري : في فتية طلبوا غبارك إنـه وهج ترفع من طريقِ السوددِ

ابن الرومي :

رجحتم على أكفائكم اذ وزنتم وهل يستوي الآلافُ والعشراتُ

أبو تمام : محاسنُ أقوام متى تقرنوا بها محاسن أقوام تكنْ كالخبائثِ

من يبكت مساميه ومباريه :

بشار : أيها الجاهلُ المباهي يُريداً ليس بدرَ السماء منك بدانِ

أبو تمام : ويا أيها الساعي ليدرك شأوَهُ ترحزخ قصيًّا أسوأ الظنّ كاذبُه

بحسبكَ مِن نيلِ المكارم أن ترى عليماً بأن ليسَ تُنالُ مناقبُه

آخر : نحيت بيربوع لتدركَ دارماً ضلالاً لمن منَّاك تلك الأمانيا

سعيتُ شباب الدهر لم تَستطعْهم أفالآن لمّا أصبحَ الدهرُ فانيا

الموسوي :

يريد المعالي عاطلٌ مِن أداتِها وهيهاتَ مِنْ محصوصةٍ طيرانُها

حث من يحسد فاضلاً أن يفعل فعله :

رأى الحسن قوماً يتهافتون على جنازة بعض الصالحين فقال : ما لكم تتهافتون على ما لا يجدي عليكم ؟ ها هي الأسطوانة التي كان يلزم ، الزموها تكونوا مثله .

أسجع : يريـدُ الملوكُ مدى جعفرٍ ولا يصنعونَ كما يصنعُ

ابن المعتز :

يا طـالباً للملكِ كنْ مثلَهُ تستوجبِ الملكَ وإلا فـلا

وأنشد أبو العيناء :

إذا أعجبتكَ خلالُ امرئ فكنهُ يكنْ منك ما يعجبُكْ

الموصوف بأنه نال السماء رفعة :

تميم بن مقبل :

نالوا السماء فأمسكوا بعنانها حتى اذا كانوا هناك استمسَكُوا

صاحب البصرة :

ملكنا السماء بأحسابنا ولولا السماء ملكنا السما

أخذه من قول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء نجدةً وتكرّما وانا لنرجو فوقَ ذلكَ مظهَرا

وأنشد ذلك النبي ﷺ فقال : الى أين ؟ فقال : إلى الجنة ! فقال ﷺ : لا فض فوك !

الفرزدق : فلو أنَّ السماءَ دنَتْ لمجدٍ ومكرمة دنت لهمُ السماءُ

النازل ذروة الشرف :

شاعر : سما فوق صعب لا تُنال مراتبه

حسان : سموتَ الى العليا بغيرِ مشقةٍ فنلتَ ذراها لا دنيئاً ولا وغلا

ابن الرومي :

تدلوا على هام المعالي اذا ارتقى إليها أناسٌ غيرهم بالسلالِمِ

غيره : على قمة المجدِ المؤثل جالسُ

المبادر الى تناول المكرمات :

يستحسن في هذا المعنى قول الشماخ :

اذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ وقصَّر مبتغوها عنْ مَداها

وضاقَتْ أذرعُ المثرينَ عنها سما أوسٌ إليها فاحتَواها

ابن الرومي :

سجايا اذا همَّت بخيرٍ تسرَّعت إليه ، وإن همَّت بشرٍّ تناءَتِ

وصف أعرابي رجلًا فقال : هو وساع إلى الخير قطوف عن الشر ؛ وعكس ذلك شاعر فقال

هو في الخيرِ قطوف وهو في الشرّ وساعْ

المختصر طريق المكرمات :

البحتري : له طريقٌ إلى العليا مختَصَرُ

ابن طباطبا : كأنه مِن سموّ همتِه يأتي طريقَ العلا فيختصرُ

الرفاء : قلت اذا برَّز سبقاً في العلا : إلى المجد طريق مختصر

المتدرع العلا :

شاعر : ألبسه الله ثيابَ العلا فلم تطلْ عنه ولم تقصُرِ

اشجع : مكارم ألبستَ أثوابَها كل جديدٍ عندها بالِ

الاخطل : وأقسم المجدُ حقاً لا يخالفهم حتى يخالفَ بطن الراحةِ الشعَرُ

وقيل : المجد دثاره والكرم شعاره .

من انتهى الى العلا ابتداء منه :

أحمد بن أبي طاهر :

خلائقهُ للمكرماتِ مناسب تناهى اليه كل مجدٍ مؤثلِ

أبو تمام : ما أُنشِئَتْ للمكرماتِ سحابَةٌ إلاّ ومِن أيديهمُ تَتدَفقُ

الموصوف بأنه يحمي المكرمات :

* قال اعرابي لقوم : أنتم والله حضان الشرف . وقال رجل لآخر : لو وجد الكرم في يد غيرك لعلم أنه ضالة لك .

أبو شراعة :

مولى المكارمِ يرعاها ويعمرُها إن المكارمَ قد قلّتْ مواليها

أبو تمام : قومٌ تراهمْ غيارى دونَ مجدِهمُ حتى كأن المعالي عندهُم حرَمُ

أبو تمام : مَضَوا وكأن المكرماتِ لديهمُ لكثرةِ ما أوصَوا بهنّ شرائعُ

آخر : يحمي شريعة مجدٍ غيرِ موردِ

من ارتفع بيت شرفه :

شاعر : فاما بيتكم إن عدَّ بيتٌ فطال السمْك وارتفع الفناء

واما أسه فعلى قديمٍ من العادي إن ذُكِرَ البناء

أبو تمام : له نبعةٌ فرعها في السماء وفي هامةِ الحوتِ اعراقُها

ابو فراس :

لنا بيتٌ على عنق الثريّا بعيدُ مذاهبِ الاطنابِ سامِ
تظللـه الفوارسُ بالعوالي وتفرُشهُ الولائدُ بالطعامِ

آخر : له قبةٌ في المجد رأس عمادُها

المتدرع للمعالي :

الراعي : فمن يفخُرْ بمكرمةٍ فإنا سنناها لأيدي الفاعلينـا

ابن الرومي وقد احسن :

هم المبدعون بديعَ العُلى إذا كان غيرَهمُ المتَّبعْ
وما الدين إلا معَ التابعين ولكنما المجدُ للمبتَدِعْ

أبو تمام وقد احسن :

ومهما يكنْ من وقعةٍ بعد لا يكنْ سوى حسنٍ ممـا فعلتَ مردّدِ
محاسِنُ أصناف المغنينَ جمـةٌ وما قصباتُ السبقِ إلا لمعبَدِ

المتنبي : يمشي الكرامُ على آثارِ غيرِهمُ وانت تخلُقُ ما تأتي وتبتدِعُ

وقال ارسطوطاليس للاسكندر : أما مناقبك فقد نسخها تواترها ، فصارت كالشيء القديم يتأسى به ، لا كالبديـع يتعجب منه .

المتثبت بالمعالي والخادم لها :

أبو الشيص :

عشيقَ المكارمِ فهو معتمدٌ لها والمكرماتُ قليلةُ العشّاقِ

المتنبي : تلذُّ له المروءةُ وهي تؤذي ومن يعشَقْ يلذ له الغرامُ

ومن هنا اخذ الصاحب قوله :

اشبِّبُ لكن بالمعالي اشبِّب وانسبُ لكن بالمكارِم انسبُ

أبو تمام : خدم العـلى فخدمْتُهُ وهي التي لا تخدِمُ الاقوامَ ما لم تُخدَمِ

العديم النظير والشبيه :

وصف اعرابي رجلًا فقال : ما نطف فحل بمثله . قال :

ما ولدت بِمثلك أرحامُ النساء

آخر : إن الزمان بمثلهِ لَعقيمُ

المتنبي: ليس له عيبٌ سوى أنه لا تقعُ العين على شبههِ

وليس ذلك بعيب ، وانما هو كقول النابغة :

ولا عيبَ فيهم غير ان سيوفَهم بهنَّ فلولٌ مِن قراعِ الكتائبِ

علي بن عبدالعزيز :

جملةُ القولِ أن مثلَكَ لا يمكن في مثل دهرنا تكوينُه

أبو نواس :

خلقتَ بديعاً لا يقال كأنهُ تعالى ، ولم يسمعْ بمثلكَ سامعُ

آخر : ولم تقعْ عينٌ على مثلِه

ابن طباطبا :

تعالَيْن عن وصفٍ فلستُ بذاكرٍ كأن لدى تشبيهها وكأنما

ابن سكرة في الصابي :

خرجتُ أطلبُ شيئاً لا وجودَ له ومن غدا يطلبُ المفقودَ لم يجدِ

شبهُ الكريمِ أبي اسحاقَ في كرمٍ ما ليس في الظن هل يُسطاع في بلد ؟

من اشتغاله كسب المعالي :

البحتري : الى فارغٍ من كلّ شغلٍ يشينهُ فإن يشتغلْ بالمجدِ طاب اشتِغالُه

المتنبي : ويشغلهمْ كسبُ الثناء عن الشغلِ

من يتزايد في المجد على مرور الدهر :

شاعر : وجدتكَ أمس خيرَ بني معدّ وأنتَ اليومَ خيرٌ منكَ أمسِ

أبو الهول :

ما كنت في غاية، الا سبقت ولا طال المدى بكَ إلا زدتَ إحسانا

من لا يحصى مجده :

أبو شراعة :

وحزتُ بهمْ لا بل بنفس ابن حرّةٍ مآثر يحصى دون إحصائها الرملُ

دعبل : معاليه يحصى قبل احصائها القُطرُ

الموصوف بأنه تجمع فيه عالم لفضله :

عقيل : يصول اذا استجير به نفير

أبو نواس :

متى تخطى اليه الرجـل سالمة تستجمع الخلق في تمثال انسانِ

وله : ليس على الله بمستنكر أن يجمعَ العالمَ في واحد

المتنبي : نسقُوا لنا نسقَ الحسابِ مقدماً وأتى فذلك إذ أتيتَ مؤخرا

من يستحقر في جنبه أجلاء الناس :

بكر بن النطاح :

ما الناس إلا ملك وحــدَه غير خشاراتٍ وتساس

رشتة بن الابيض :

الناس عند عليّ حينَ نذكرُهم كالشوكِ يذكر بينَ الوردِ والآسِ

ابن العوام :

فنحنُ السنام والمناسِمُ غيرُنا ومن ذا يسوي بالسنامِ المناسما ؟

وذلك مأخوذ من قول الآخر :

ومَنْ يسوي بأنف الناقة الذنبا ؟

أبو السعداء : النــاسُ أيامُ الشهو رِ وأنت فيهم يومُ عيدِ

من تتزين به الدنيا :

وصف اعرابي رجلا فقال : لئن عابه كونه في الزمان لقد تزين الزمان بكونه فيه .

الجريمي : تحلت به الدنيا فغطّتْ عيوبها وأمستْ به الدنيا تُجلُّ وتحمدُ

المتنبي : أنتَ الذي بَجحَ الزمانُ بذكرهِ وتزيلتْ بحديثهِ الاسمارُ

وقال أبو الفضل بن العميد أمدح بيت قول المتنبي :

الدهر لفظٌ وأنتَ معناهُ

قال الشيخ رحمه الله : وأنا استحسن قول الشاعر :

فما أحسنَ الدنيا وفي الدار خالدٌ   وأقبحها لما تجهَّز غازيا !

ابن الرومي :

يا زينة الدين والدنيا اذا احتفلا   وأظهرا ما اعداه من الزين

من تنافست فيه الايام :

نصيب : وقد تغايرت الأيامُ فيك فما   تنفك تسنى لها الحذيا وتحتشدُ

أبو تمام : يشتاقُه من كماله غدُه   ويكثر الوجد نحوَه الأمسُ

ابن الرومي :

تنافس الناسُ في أيام دولتِه   فما يبيعون ساعاتٍ بأعوامِ

المشهور :

فلان لا يحجب في العلم أي لا يخفى مكانه .

شاعر :   وهل يخفى على الناس النهار ؟

ابن الرومي :   شمس الضحى أبرعُ مِن أن تُطْمَسا

آخر : إني اذا خفي الرجال وجدتني   كالشمس لا تخفى بكلّ مكانِ

ابن هرمه :

اذا خفي القوم اللئام رأيتني   مقارنَ شمسٍ في المجرة او بدرِ

وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما يطوف بالبيت ، فرآه يزيد فقال : من هذا ؟ فقال له الحارث ابن الليث : هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ   والبيتُ يعرفُهُ والحِلّ والحرَمُ

اعتذار من لم يعرف :

قال رجل لسقراط : ذكرتك عند فلان فلم يعرفك ! فقال : يضره أنه لا يعرفني لانه لا يجهل مكان ذي العلم الا خسيس ! وقال محمد بن الزيات لبعض اولاد البرامكة : من أنت ومن أبوك ؟ فقال : أما انا فالذي تعرفني ، وأما ابي فالذي لم يعرفك ولا اباك !

المتنبي : واذا خفيتُ على الغبيّ فعاذر   أن لا تراني مقلةٌ عمياءُ

وصف الانسان بأنه لا يخلو من العيب :

قيل لبعض الفلاسفة : من الذي لا عيب فيه ؟ فقال : الذي لا يموت ! وقال الاحنف : الشريف من عدت سقطاته أي الرجل المهذب .

شاعر : ومن ذا الذي تُرضي سجاياهُ كلُّها ؟ كفى المرء نبلاً أن تعدَّ معايبُه !

ولهذا باب آخر في الاخوانيات .

الحث على اكرام النفس عند المذلة :

قال عمرو بن العاص : المرء حيث يجعل نفسه ، إن صانها ارتفعت وإن قصر بها اتضعت :

بعضهم : وما المرء إلا حيث يجعلُ نفسَهُ ففي صالحِ الاخلاقِ نفسَكَ فاجعلِ

حاتم : ونفسَكَ أكرمْها فإنك إن تَهُن عليكَ فلن تلقى لها الدهرَ مكرِما

صالح بن عبد القدوس :

إذا ما أهنتَ النفسَ لم تكُ مكرِماً لها بعد ما عرّضْتَها لهوانِ

أنشد غلام أبي عبيدة :

ولا تهنْ للصديقِ مكرمةً نفسك حتى تعد مِنْ خَولِهِ
يحملُ أثقالَهُ عليك كما يحمل أثقالَهُ على جَمَلِهْ

وانما يعنى بذلك الهوان الذي هو العسف ، لا الهون الذي قالت العرب فيه : اذا عز أخوك فهن ؛ قال ﷺ : سيد القوم خادمهم .

الممدوح بصيانة النفس :

قال بعضهم : جعلت الدنيا دون عرضي فآثر لدي ما صانه ، وأهونها على ما شانه . ووصف آخر رجلاً فقال : اشترى بالمعروف عرضه من الأذى فلو كانت الدنيا له فأنفقها صيانة لنفسه لاستقلها .

ابن نباتة : لبسْتُ مِنَ الحوادثِ كلَّ ثوبٍ سوى ثوبِ المذلّةِ والهوانِ

مدح اهانة النفس حيث تحمد :

مدح أعرابي رجلاً فقال : كان يهين نفساً كريمة لقومه ، ولا يبقي لغد ما وجد في يومه .

الخنساء : نهين النفوسَ وهَوْنُ النفو س يَوْمَ الكريهةِ أوْفى لَها

ويروى عن الشافعي رضي الله عنه :

أهينُ لهم نفسي لأُكرمَها بهم ولن تكرمَ النفسَ التي لا تُهينُها

ما جاء في الفتوة :

قيل : الفتوة طعام موضوع ونائل مبذول وبشر مقبول ، وعفاف معروف وأذى مكفوف . وجاء جماعة الى حسان فقالوا : من الفتى ؟ فقال :

إنَّ الفتى لفتى الهواجرِ والسُّرى وفتى الطعانِ ومدره الحدثانِ
ذاكَ الفتى إن كانَ كَهلًا أو فتىً ليسَ الفتى بمنعم الشبانِ

المروءة :

قال معاوية لقرشي : ما المروءة ؟ قال : إطعام الطعام وضرب الهام ، وقال ذلك لثقفي فقال : هي تقوى الله واصلاح المعيشة ، فقال لعمرو : اقض بينهما ، فقال : أما ما قال القرشي فهو المروءة، وقد أجاد الثقفي ولم يصب ، ولكن من بدأ بكلام حسن ، زين بذلك سائر كلامه . وإن المروءة أن تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك . وقال عبدالله بن عباس : المروءة أن تحقق التوحيد ، وتركب المنهج السديد ، وتستدعي من الله المزيد . وقيل : جماع المروءة في قول الله تعالى : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون. وقيل لعمرو بن العاص : ما المروءة ؟ فقال : العفة عما حرم ، وقيل للاحنف ذلك فقال : أن لا تعمل في السر ما يستحيا منه في العلانية ؛ وقيل له مرة أخرى فقال : اجتناب الريب فانه لا ينبل مريب ، واصلاح المال فلا مروءة لمحتاج ، والقيام بحوائج الاهل فلا مروءة لمن يحتاج قومه الى غيره. وقيل لآخر فقال : مواطأة القلب اللسان . وقيل : الحسب احصاء المكارم ، والنسب احصاء الآباء .

جواز تقبيل اليد :

روي عن النبي ﷺ انه قال : لا يحل لاحد ان يقبل يد آخر إلا رجلًا من أهل بيتي أو يد عالم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما صنع رسول الله ﷺ الى رجل معروفاً ، فقبل يد رسول الله ﷺ خمس مرات . ولما قدم عمر بن الخطاب الشأم قبل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يده ، ثم تناول رجله ليقبلها فقال : مه أما هذا فلا ! ودخل عطية بن عبد الرحمن الثقفي فمثل بين يدي مروان ابن محمد فاستأذنه أن يقبل يده فقال : القبلة من المسلم ذلة ، ومن الذمي خدعة ، ولا حاجة لي في أن نذل أو تخدع . مد المأمون يده لاعرابي ليقبلها فتناولها بكمه فقال : أتقذر لها ؟ فقال : لا بل أتعزز بها .

من منع من ذلك أو امتنع :

قالت امرأة لابي مسلم : ناولني يدك أقبلها فقد نذرت ! فقال : عليك بالحجر الاسود تصيبين أجراً وتقضين نذراً ! ودخل عقال بن شبة على هشام وأراد أن يقبل يده فقال : لا يفعل هذا من

العرب الأهلوع ، ولا من العجم الا خضوع . وقيل : لما أفضت الخلافة الى أبي العباس السفاح وفدت عليه قريش فأمروا بتقبيل يده ، حتى دخل ابراهيم بن محمد العدوي فقال : يا أمير المؤمنين لو كان تقبيل اليد يزيد في القربة منك لاخذت بحظي منه ، وانك لغني عما لا أجر فيه لك وفيه منقصة لنا ! فاقره ولم ينقصه من حظوظ أصحابه شيئاً .

الممدوح بأنه مقبل اليد والرجل :

ابراهيم الصولي : لفضل بن سهل يدٌ تقاصَرَ عنها المثل
فباطنُها للنَّدى وظاهرها للقُبَل

أخذه ابن الرومي فقال :

فامدد إليّ يداً تعوّد بطنُها بذل النوالِ وظهرُها التقْبيلا

الخوارزمي :

تعاورتِ الشفاهُ الكُمْ عنها ونافستِ الشفاهُ بها الخدودا

وله : يقبل رِجْلَيه رجالٌ أقلّهم تقبّلُ في الدستِ الرفيعِ أناملُه

وفي ضده يقول المنادي لبعض بني هاشم :

يا قبلةً ذهبَتْ ضياعاً في يد ضرب الالهُ بنانَها بالنقرسِ

ودخل أبو العميثل على طاهر بن الحسين متمدحاً وقبل يده فقال : ما أخشن شاربك يا أبا العميثل ! فقال : أيها الامير إن شوك القنفذ لا يضر ببرثن الاسد ! فضحك وقال : ان هذه الكلمة أعجب الي من كل شعر ، فأعطاه للشعر ألف درهم ولكلمته هذه ثلاثة آلاف درهم .

المقبل أرضه :

المتنبي : يقبلُ أفواهُ الملوكِ بساطَهُ ويكبرُ عنه كمه وبراجمُهُ

أبو القاسم بن أبي العلاء :

يقبل صِيدُ الناسِ سدةَ بابهِ ويعظم عنه أخمصٌ وركابُ
لدى ملِكٍ قد خط في كل جبهةٍ كتابة رقٍّ والمدادُ ترابُ

أحمد بن ابراهيم :

سجدنا للقرودِ رجاءَ دنيا حوتها دونَنا أيدي القرودِ
فما بلّت أناملنا بشيء رجوناه سوى ذلّ الخدودِ !

من يقام له وينزل اليه وجواز ذلك وكرامته :

شاعر: فلا تعجب لإسراعي إليه فإن لمثله شرعَ القيام

ابراهيم الصولي :

اذا ما بدا والقومُ فوق سروجهم تناثرتِ الاشرافُ منهم على الأرضِ

آخر : وترى الناسُ هيبةً حين يبدو من قيامٍ وركّعٍ وسجودِ

آخر : يأتي الجوانبَ لا يرجعُ هيبةً والسائلون نواكِسُ الأذقانِ

الممدوح بأنواع من المكارم :

قال عمرو بن عتبة في أمر وقع بين بني أمية وبين غيرهم : إن لقريش دوجاً يزلق عنه أقدام الرجال ، وافعالاً تخضع لها رقاب الاموال ، وألسناً تكل عنها الشفار المحددة ، وغايات تقصر عنها الجياد المسومه ، لو احتفلت الدنيا لم تتزين الا بهم ! وقال عمرو بن معدي كرب في مدح قوم : نعم القوم عند السيف المسلول ، والخير المسؤل ، والطعام المأكول . وذكر ادريس بن معقل أبا مسلم فقال : بمثله يدرك الثأر وينفي العار ، ويؤكد العهد ، ويبرم العقد ويسهل الوعر ، ويخاض الغمر ، ويفل الناب ويفتح الباب . ومدح اعرابي رجلًا فقال : كان للاخوان وصولاً ، وللاموال بذولاً ، وكان الوفاء به كفيلًا . ووقف اعرابي على قبر عامر ابن الطفيل فقال : لقد كنت سريعاً اذا وعدت بطيئاً اذا أوعدت ، وكانت هدايتك هداية النجم وجراءتك جراءة السهم . وأخبر بعض الحكماء عن صاحب له فقال : عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد ، وخارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له رأياً ولا بدناً .

امرؤ القيس :

أفادَ وجادَ وسادَ وقادَ وذادَ وعادَ وزادَ وأفضل

ديك الجن :

إنَّ العلى شيَمي والبأس مِنْ نقمي والمجد خلطُ دمي والصدق حَشْوُ فمي

مسلم بن عقيل :

يذكرنيكَ الخيرُ والشرُّ والذي أخافُ وأرجو والذي أتوقعُ

آخر : يذكرنيكَ الجودُ والبخلُ والنهى وقولُ الخنى والحلمُ والعلمُ والجهلُ

فألقاكَ عن مذمومِها متنزّهـاً وألقاكَ في محمودها ولك الفضلُ

تشبيه الممدوح بجماعة مختلفة في معان مختلفة :

قال رجل للمهدي : انك ليوسفي العفو اسماعيلي الصدق ، شعبي الرفق ، سليماني الملك ، داودي الفضل . وحكى محمد الاغاطي الفقيه يوماً قال : قد تغدينا يوماً عند المأمون ، فكان كلما وضع لون يقول : من به كذا فليأكل هذا ، ومن به كذا فليجتنبه . فقال يحيى بن أكثم : لله درك يا امير المؤمنين ! فإنا ان خضنا في الطب فأنت جالينوس ، وان ذكرنا النجوم فأنت هرمس ، او العلم فأنت علي بن ابي طالب ، او السخاء فأنت حاتم ، او الصدق فأنت ابو ذر ، أو الكرم فأنت كعب ابن مامة ، او الوفاء فأنت السموأل ! فقال المأمون : للانسان فضل على غيره بالنطق والفهم ، ولولا ذلك لم يكن لحمه أطيب لحم .

أبو تمام : إقدام عمر وفي سماحــةِ حاتمٍ   في حلمِ أحنف في ذكاء أياسِ

قيل : فلان فيه ورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، ودهاء معاوية ، وحفظ قتادة ! وقيل : له بذل هاشم ، وعز كليب ، وضبط عائشة ، وبر عثمان ، وشجاعة عتيبة ، ومكر قيصر .

الطائي : أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها   حلماً وكيسانها علماً ودغفلها

الرستمي :

سماحةُ كعبٍ في رزانة أحنفٍ   ونجدة عمرو في وفاء ابن ظالم

السري الوفاء :

أوفى وكان محلقاً ، ومضى وكا   ن مزلقاً ، وسطا وكان محرقا

تشبيه الممدوح بأشياء مختلفة في معان مختلفة :

أبو تمام : له كبرياءُ المشتري وسعوده   وسورةُ بهرام وطرفُ عطاردِ

مسلم : كأنه قمرٌ أو ضيغمٌ هصرٌ   أو حيةٌ ذكرٌ أو عارضٌ هطلُ

وهب الهمذاني : تلقاه في الظلماءِ والهيجاءِ والمحلِ المجيعِ كالغيثِ والليثِ المحامي والعقيلة والصديع

البحتري : كالغيثِ في أخذامِهِ والغيثِ في   ارهامِهِ والليثِ في إقدامِهِ
إن كنت تنكرُ ما أقولُ فجارِهِ   أو بارِهِ أو حاكِهِ أو سامِهِ

ابن طباطبا :

كالبدر اذ يجري ، وكالليل اذ   يسري ، وكالصارم إذ يفري

محمد بن وهيب :

تحكي أفاعيله في كل نائبةٍ   والغيثَ والليثَ والصمصامةَ الذكرا

الخوارزمي :

ستلقى به بدراً وبحراً وضيغماً وسيفاً وإنساناً وطوداً وفيلقا

أبو طالب المأموني :

جبالُ الحجا أسدُ الوغا غصصُ العِدا شموسُ العلا سُحْبُ النَّدى أنجمُ الفضلِ

الممدوح بمعنى واحد في أحوال أو جوارح مختلفة :

المتنبي : طويلُ النجادِ طويلُ العمادِ طويلُ القناةِ طويلُ اللسان

حديدُ اللحاظِ حديدُ الحفاظِ حديدُ الحسامِ حديدُ الجنانِ

الخوارزمي :

سريعُ اللسان سريعُ السنانِ سريعُ البنانِ سريعُ القلمْ

الممدوح بأنه لو كان كذا لكان خيره :

قال أبو عمرو بن العلاء : لو كانت ربيعة فرساً لكان شيبان غرتها .

قال : لو كنت ماءً كنتَ من مزنةٍ أو كنتَ نجماً كنت سعدَ السعوْدِ

آخر : فلو كنتَ ماء كنتَ ماء غمامةٍ ولو كنتَ نوماً كنت تعريسَةَ الفجرِ

ولو كنتَ لهواً كنْتَ تعليلَ ساعةٍ ولو كنْتَ ليلاً كنت مِن ليلةِ القدرِ

الكندي : ولو خلقَ الناسُ من دهرِهم لكانوا الظلامَ و كنتَ النهارا

ضرب من المدح يقال فيه يا كذا :

يا مشرباً سائغاً بلا كدرِ يا سمراً ممتعاً بلا سَهَرِ !

كشاجم : يا عوضاً مِن فائتٍ لم يحتسب منه عوض

يا دعةً وراحةً من تعبٍ ومن مَضَضْ !

• • •

ومما جاء في النذالة والتأخر عن المكارم

حد السفلة ووصفها :

قال معاوية : السفالة من ليس له فعل موصوف ولا نسب معروف ؛ وقيل : هو الذي لا يعيبه ما صنع له ؛ وقيل : هو الذي لا يبالي بما يقول وبما يقال له ؛ وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : هو الذي يعصي الله تعالى .

أبو ناظرة :

أيا سفلةَ الناس والاصدقاء ويا سفلةَ الكسب في المأكلِ

ونحوه لابن الحجاج :

وسّخ الثوبُ والعمامةُ والبر ذونُ والوجهُ والقفا والغلامُ

وقيل : المروءة التامة مباينة العامة . وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : ما لله عز وجل على العاقل بعد الاسلام نعمة أفضل من مباينة العامة بالفهم والعقل .

مضرة اجتماع السفلة والغاغة :

يروى عن النبي ﷺ : نعوذ بالله من قوم اذا اجتمعوا غلبوا ، واذا تفرقوا لم يعرفوا . وقيل في قول الله تعالى : قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم « أي من السلطان » أو من تحت أرجلكم « أي من السفل » . أتى أمير المؤمنين كرم الله وجهه برجل ذي جناية فرأى ناساً يعدون خلفه فقال : لا مرحباً بوجوه لا ترى الا عند كل سوء ! وقال معاوية لصعصعة بن صوحان: صف لي الناس ؛ فقال : خلق الناس أطواراً طائفة للسيادة والولاية ، وطائفة للفقه والسنة ، وطائفة للبأس والنجدة ، ورجرجة بين ذلك يغلون السعر ويكدرون الماء ، اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا لم يعرفوا .

من تصاحبه النذالة :

قال الشاعر :

أناخ اللؤمُ وسْط بني رياحٍ مطيتَه فاقسم لا يريمُ

كذلك كلُّ ذي سفَرٍ اذا ما تناهى عند غايتِهِ مقيم

جحظة : كم سألنا عنِ النذالةِ واللؤ مِ فكانا في دارِه راتبين

الموصوف بالذلة :

قيل : هو أذل من النقد ومن القردان تحت المناسم ومن الوتد .

وكنت أذلَّ مِن فقعٍ بقاع   يشججُ رأسهُ بالفهر واجي

أي وأجيء فلين الممزة . ويقال : هو أذل من الحذا .

المتبجح بالاساءة والنذالة :

قيل : شر الناس الذي لا يتوقى أن يراه الناس مسيئاً ؛ ومن هنا أخذ الشاعر :

أحقّ الناسِ في الدنيا بعيبٍ   مسيءٌ لا يبالي أن يُعابا

وقال بعضهم : فلان لا يستحي من الشر ، ولا يحب أن يكون من أهل الخير ، لا يقعد مقعداً الا حرمت الصلاة فيه ، ولو أفلتت كلمة سوء لم تضم الا اليه ، ولو نزلت لعنة لم تقع الا عليه . تشاجر رجلان فقال كل واحد منهما : أنا ألأم ! فتحاكما الى رجل فقال : قد حكمتماني فأخبراني بأخلاقكما ، فقال أحدهما : ما مر بي أحد الا اغتبته ولا ائتمنني أحد الا خنته ، وقال آخر : أنا أبطر الناس في الرخاء وأجبنهم عند اللقاء وأقلهم عند الحياء ، فقال الرجل : كلا كما لئيم والألأم منكما الحطيئة ، فإنه هجا أباه وأمه ونفسه ، ومن أحسن اليه هجا أباه فقال :

لحاكَ اللهُ ثم لحاكَ أباً   وما أَلحاكَ مِن عمّ وخال !

وقال يهجو نفسه :

أرى لي وجهاً شوّه الله خلقه   فقُبّح من وجهٍ وقبّح حامله

وقال فيمن اعطاه :

سئلت فلم تبخل ولم تعطِ طائلاً   فسيانِ لا لومٌ عليكَ ولا حمدُ

الموصوف بالشرية :

ذم اعرابي قوماً فقال : ما زال فيهم خميرة سوء يبقيها الماضي للباقي حتى أورثوها فلاناً ، فعجنها بيده ثم أكلها بفمه ! وقال الصاحب رحمه الله في بعض أهل الزمان : فلان راية الشر !

المقصر في المكارم والمعالي :

قال ابراهيم بن رجاء :

يمدُّ بنو كليبٍ للمعالي   سواعدَ لم تزلْ عنها قِصارا

آخر :   متى جرت الكودان في الرهان

آخر :   لن يلحقَ الفرسَ الحمارُ الموكفُ

آخر : وابن اللئيم معقل باللؤمِ يغمر

آخر : جرى طلقاً حتى إذا قيل سابق تداركهُ عرق اللئيمِ فَبلدا

آخر : جري المدا كي حسرت عنه الخمر

آخر : وابن اللبونِ إذا ما لز في قرنٍ لم يستطعْ صولةَ البذلِ القناعيسِ

وقال غيره :

إنك كالجاري إلى غاية حتى إذا قاربها قام

أبو المداهد الاصفهاني :

لهم عن كلِّ مكرمةٍ حجابٌ فقد تركوا المكارمَ واستراحوا

السابق الى الملاوم المتأخر عن المكارم :

هشام بن قيس :

إذا ما سوءةٌ دارت رَحاها وجدتَهم لا سواها ثقالا

الطرماح : تميم بطرقِ اللؤمِ أهدى مِن القطا ولو سلكَتْ سبُلَ المكارمِ ضَلَّتِ

البسامي : هو في الخير قطوف وهو في الشرّ وساع

آخر : إذا نهض الناسُ للمكرماتِ وقاموا إليها جميعاً قَعَد !

الباذاني : يداك يدٌ تطول إلى المخازي وعن طلبِ العلا أخرى قَصيرَهْ

آخر : رأوا في اللؤمِ رُخصاً فاشترَوه ويمنعُهم عنِ الكرمِ الغلاءُ

آخر يهجو امرأة :

تكرهُ ذكرَ اللهِ في بيتِها وهي إلى الفحشاء مُشتاقَهْ

إن ذُكِرَ الخيرُ فما إن لها مِن جملٍ فيه ولا ناقَهْ

مقدامةٌ في الشر سبَّاقَةٌ وفي تقى الله على الساقَهْ

ذم من يتكلف ادراك ما لا يدركه :

ذكر ان قصاراً كان يعمل على شاطىء نهر ، وكان يرى كركياً يجيء كل يوم فيلتقط من الحمأة دوداً ويقتصر في القوت عليه ، فرأى يوماً بازياً قد ارتفع في الجو فاصطاد حماماً فأكل منها بعضاً

وترك في موضعه البعض، وطار فتفكر الكركي في نفسه وقال: ما لي لا أصطاد الطيور كما يصطاد، وأنا أكبر جسماً منه، فارتفع في الجو وانقض على الحمام فاخطأ، فسقط في الحمأة فتلطخ ريشه ولم يمكنه أن يطير، فأخذه القصار وحمله إلى منزله، فاستقبله رجل فقال: ما هذا؟ قال: كركي يتصقر! وكان المتنبي ألم بهذا المعنى في قوله:

ومن جهلَتْ نفسُهُ قدرَه   رأى غيرُه مِنْه ما لا يرى

وفي المثل: أطرق كرى إن النعام في القرى

ونحو ذلك قول يربوع:

بخستَ بيربوعٍ لتدركَ دار ما   ضلالاً لمن منَّاكَ تِلك الأمانيا

وقد تقدم ذلك.

الحكم بين فاضل ونذل:

سئل أبو العيناء عن رجلين فقال: وما يستوى البحران هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج! وسئل أبو ثور عن حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار فقال: بينهما في القدر ما بين جديهما في الصرف. وقال اعرابي: فلان يدعي الفضل على فلان، ولو وقع في ضحضاح معروفه لغرق شاعر وهل يقاس ضياء الشمس بالقمر؟

محمد بن مناذر:

ومن يجعل الوَجهَ مثل القفا   وعاليةَ الرمحِ كالسافلِ؟

وفي المثل:

مذكية تقاسُ بالجذاع.   وفيه: ليس قطاً مثل قطي

سبيع التميمي:

أسوّيك بالمرء الذي لست مثله   وكيف يسوّى صالحُ القوم بالرذلِ؟

تفضيل رجل على آخر في الفضل:

في المثل: ماء ولا كصداء، ومرعى ولا كالسعدان، وفتى ولا كمالك. في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار. قال حسان بن ثابت للحارث بن أبي الشمر:

أبيت اللعن! إن النعمان بن الحارث يساميك، ووالله إن قفاك أحسن من وجهه، وشمالك خير من يمينه، وان عدتك أحضر من عده، وغدك أوسع من يومه، وكرسيك أرفع من سريره، وأمك أشرف من أبيه.

من يغبط أو يحسد فاضلاً أن يفعل مثله :

رأى الحسن رضي الله عنه قوماً يتزاحمون على جنازة بعض الصالحين فقال : ما لكم تتهافتون عليه افعلوا فعله تكونوا مثله !

أبو العميثل :

يا من يؤمّل أن تكونَ خصاله كخصالِ عبدِالله أنصِتْ واسمعِ
فلأنصحنك في المروءة والذي حج الحجيج اليه فاقبلْ أودَعِ
اصدقْ وعفّ وبرّ وانصرْ واحتملْ واحلمْ وكفّ ودارِ واصبرْ واشجعِ

أخذ ذلك من قول عروة بن الزبير :

يا أيها المتمنّي أن يكونَ فتى مثلَ ابن زيدٍ لقد خلّى لك السبُلا !
أعدِدْ نظائرَ أخلاقٍ عددْنَ له هل سب من أحد أو سُبَّ أو بَخلا ؟

أنشد أبو العيناء في معناه :

اذا أَعجبتك خلالُ امرىء فكنهُ يكنْ منك ما يعجِبُكَ
فليسَ على الجودِ والمكرمات إذا جئتَها حاجبٌ يحجبُك !

الحكم بين نذلين :

سئل أبو العيناء عن رجلين فقال : هما الخمر والميسر ، اثمها أكبر من نفعهما ! وتفاخر رجلان في الكرم وتراضيا بأبي العيناء فحكماه فقال : أنتما كما قال الشاعر :

حمارا عبادي اذا قيل : نبّنا بشرهما يوماً ، يقول : كلاهما !

وفي المثل : كثير وبرعو وكل عير خير . وقيل : زندان في وعاء . وقيل : زندان في رقعة . وقيل : سواسية كأسنان الحمار ؛ وعكس هذا المعنى الصنوبري فأتى بأجود لفظ وأوضح معنى فقال:

اناسٌ هم المشطُ استواءً لدى الوغا إذا اختلفَ الناسُ اختلافَ المشاجب

عذر من ذكر فاضلاً ونذلاً معاً :

قال بعض الكبار لرجل : أتذكرني مع فلان وفلان ؟ فقال : قد ذكر الله النار والجنة . وفرعون مع موسى ، وآدم مع ابليس ، فلم يهن بذلك أولياءه ولم يكرم به أعداءه !

اختيار أراذل :

وصف اعرابي قوماً فقال : هم كلاب وفلان من بينهم سلوقي ، وهم حنظل وهو هبيد وان في الشر خيارا ، وليس العاقل من يعرف الخير من الشر ، وانما العاقل من يفرق بين الشرين .

محمود : ذممتُكَ أوّلاً حتى إذا ما ... بلوتُ سواكَ عادَ الذمُّ حمدا
ولم أحمدْكَ مِن خيرٍ ولكن ... رأيتُ سِواكَ شرّاً منك جدا
فعدت إليك مختلّا ذليلّا ... لاني لم أجد مِن ذاك بدّا
كمجهودٍ تعاظم أكلَ ميتٍ ... فلما اضطر عاد إليه شدّا

من لا يفرح بموته ولا يسر بحياته :

شاعر : إذا كنتَ لا تُرجى لدفع ملمَّة ... ولم يكُ في المعروفِ عندكَ مطمعُ
ولا أنت ممّنْ يُستعانُ بجاهِهِ ... ولا أنتَ يومَ الحشر ممّنْ يشفعُ
فعيشك في الدنيا وموتُك واحدٌ ... وعودُ خلالٍ مِن وصالِكَ أنفعُ

ذكر أحمد بن الخطيب عند أبي العيناء فقال : إن دنوت منه غرك ، وان بعدت منه ضرك ! فبلغ كلامه أحمد فقال : تفسيره ان حياته لا تنفع وموته لا يضر ! وقيل لرجل : مات فلان ! فقال : من لم تنفع حياته لم تجزع وفاته .

فبُعداً لا انقضاء له وسحقاً ... فغيرُ مصابه الخطبُ العظيمُ

من لا يستحضر في المحافل ولا يعرج عليه الاماثل :

الاخطل : أما كليبُ بنُ يربوعٍ فليسَ لهم ... عند التفاخر ايرادٌ ولا صدرُ
مخلّفون ويقضي الناسُ أمرَهم ... وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا
الآكلون خبيثَ الزادِ وحدَهُمُ ... والسائلون بظهرِ الغيبِ: ما الخبر ؟

وقيل : شهادته وغيبته سواء

آخر : كزائدةِ الابهام خلفَ الرواجبِ

آخر : كزائدةِ النّعامة في الكراع

عبدان : خرجنا غداةَ إلى نزهةٍ ... وفينا زيادُ أبو صعْصَعَة
رهطٍ به خمسةٌ ... وخمسةُ رهطٍ به أربعَة

سحيم بن موسى :
عنِ المكارمِ تُنفي طيءُ طرّدا ... نفي الزيوفِ أبتْها كفُّ منتقدِ

المتعري من الانسانية :

وصف اعرابي رجلاً فقال : ليس فيه من الآدمية الا أنه يسمى آدمياً، وقال فتى لابيه : ما لي اذا أخذتم في الاشعار والاخبار تسلط علي المنام ؟ فقال : لأنك حمار في مسلاخ انسان ! ويقال : فلان حارض بن حارض ، لمن لا خير فيه .

ذم من لا يبالي بما ارتكب :

وصف اعرابي رجلاً فقال : يهون عليه عظام الذنوب ويحسن في عينه قباح العيوب ، ولو كان في بني آدم سباخ انه لمن سباخهم !

المري : قومٌ إذا خرجوا من سوءةٍ ولجوا في سوءة لم يجنُّوها بأستارِ

وقيل : من الابيات الرائعة المعجبة التي لا أرباب لها قول الشاعر :

إن يغدروا أو يَجبنوا أو يبخلوا لا يحفلوا
وغدوا عليكَ مرَّجلين كأنهم لم يفعَلوا

الموصوف بكثرة المساوي :

قيل : مدفع المعائب ومجمع المثالب لو قذف على الليل لونه لانطمست نجومه .

الاخطل : قومٌ تناهي إليهم كلّ فاحشةٍ وكل مخزيةٍ سبّت بها مضرُ !

أبو تمام : مَساوٍ لو قسمْنَ على الغواني لمـا أُمهِرْنَ إلا بالطلاقِ

زبينا النصراني :

ليصاحبٌ لستُأحصيمِن محاسنهِ شيئاً صغيراً ولا احصي مساويه
وليس فيهِ من الخيراتِ واحدةٌ واكثرُ السوء لا بل كلُّه فيه !

ابن الرومي :

معايبُ الناس وسوآتهم قد جُمّعت لي منك في شخصِ

ابن أبي عيينة :

جمعت خصالَ الردى جملةً وبعت خِصال النَّدى جملة

آخر : فما لك في الخير من خلةٍ وكم لكَ في الشرّ من خلة !

ابن الحجاج : مقابحٌ فيكَ شتى أوصافُها لا تحدُّ

ذم من لا يصلح لخير ولا شر :

قال بعضهم : فلان املس ليس فيه مستقر لخير ولا شر ؛ فقيل : ذلك ميت الاحياء . وقال حاجب بن زرارة : ما هو برطب فيعصر ولا بيابس فيكسر .

شاعر : مسيخٌ مليخٌ كلحم الحوار فلا أنتَ حلوٌ ولا أنت مرّ
كأنك ذاك الذي في الضروع بقادم أضرتها المنتشر

وسمع رجل آخر يقول : أنت لم تأت قط بخير ! فقال : ان لم آت بخير فقد أتيت بشر ! وقد قيل : اذا لم ترفع في الخير شعاراً فارفع في الشر مناواً . ثم أنشد :

إذا أنتَ لم تنفعْ فضرَّ فإنما يرجى الفتى كيما يضرّ وينفعُ

وهذا ضد قول القائل :

خمولُ الذكرِ أسنى من الذكرِ الذميم

مروان بن أبي حفصة :

وما فعلتْ بنو مروانَ خيراً ولا فعلت بنو مروان شرّا

أبو الفرج الاصبهاني :

كأنه التيس قد أودى به هرمٌ فلا للحمٍ ولا عسبٍ ولا ثمنِ

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل فقال : هو فصل لا حر ولا برد ، وهو عوسجة لا ظل ولا ثمر . وقال أبو علي ابن عبدوس الشيرازي :

هم السكوبُ فلا أصلٌ ولا ثمرٌ ولا نسيمٌ ولا ظلٌ ولا زهرٌ !

ذم من لا يضر ولا ينفع :

قيل : فلان ان دنوت منه غرك وان تباعدت عنه ضرك ، شره يفيض وخيره يغيض .

وشرّكَ في البلادِ يسيلُ سيلاً وخيرُكَ رميةٌ من غيرِ رامٍ !

هو كالسمرة التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها ، لا كالكرمة التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مجتناها ، لا يؤمن خباله ولا يرجى نواله ، حديثه غث وكلامه رث ، عيال في الجدب عدو في الخصب ، قليل الخير جم الضير .

ابن الحجاج :

أعيذكمُ باللهِ من عصبةٍ تُباعُ مجاناً ولا تشترى
فإنكم من حيثُ ما استنشقتْ روائحُ الآمالِ فيكم خرا

وفي المثل : يا عبري مقبلة ويا سهري مدبرة . وقيل : أغيرة وجبناً ؟

يا ليتَ حظي من نداكَ الصافي   والخير ان تركتَني كفاني .

اخر : ليتَ حظي من أبي كربٍ   سد عني خيرَه خبله

آخر : فراشة الحلم فرعونُ العذاب وان   تطلبْ نداه فكلب دونه كلب

من يرضى منه أن يكف شره :

قيل : أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداه ، وأحسن ما في اللئيم أن يكف عنك أذاه .

المتنبي في معناه :

إنا لفي زمن تركُ القبيح به   من أكثر الناس احسانٌ وإجمال

ذم من يعادي أولياءه دون أعدائه :

قيل لمعاوية : ما النذالة ؟ قال : الجراءة على الصديق والنكول عن العدو ! وذم أعرابي رجلاً فقال : هو أقل الناس ذنوباً إلى أعدائه ، وأكثرهم تجرؤاً على أصدقائه وأوليائه ! وكتب بعضهم : عدوه بمعزل عنه وصديقه على وجل منه ، إن شهد عافه ، وان غاب عنه خافه . وفي الاقارب باب يقرب من هذا .

من أخلف فيه الظن لنذالته :

أبو علي البصير :

كان ظني بك الجميل فالفيتُك من كلّ ما ظننتُ بعيدا

قيل لجعيفران : اقصد فلاناً وسله ! فقال : انه قطوف عن الخيرات لا يثمر شجره ولا يمته حجره ، فقيل : ليس كما تظنه ؛ فأتاه فلم يرِ منه طائلاً فقال له :

يا فتىً أخلف فيه الظنّ من كل فنون   لم يكن ظني بك الخير، ولكنْ خدعوني !

الموفي على كل لئيم :

قد كان ألأم طفل لف في خرق ! وقيل : هو ألأم من الذئب . وفي ضده قيل : هو اكرم من الليث . ولؤم الذئب أنه يأخذ ما يعن له وان كان شبعان ، والاسد يتلطف عن ذلك اذا شبع. وقيل : لئيم راضع ! وذلك من باب البخل .

من لا يبالي بغضبه :

قيل لرجل : فلان غضب عليك ؛ فأنشد :

إذا غضبت تلك الانوف لم أرضها ... ولم أطلبِ العتبى ولكن أزيدُها

ابن الرومي :

غضبتَ وطلتَ مِن سفهٍ وطيش ... تهزهز لحية في قد رفش

فما افترقتْ لغضبتكَ الثريّا ... ولا اجتمعَت لذاكَ بناتُ نعشِ

وفي المثل : غضب الخيل على اللجم . ومما يضرب به المثل في ذلك قول المتنبي :

وغيظ على الايام كالنارِ في الحشا ... ولكنهُ غيظُ الاسيرِ على القدّ

وقيل : فلا سلّ من تلك الصدورِ قتادَها

أبو علي البصير :

أبو جعفر كالناس يرضى ويغضبُ ... ويبعد في كلّ الامورِ ويقربُ

ولكنْ رضاهُ ليسَ يجدي قلامةً ... فما فوقها اذ سخطُه ليس يُرهبُ

ويقرب من ذلك قولهم : ما أبالي ما نهى من ضبك وما نضج . وعكس هذا الباب قول جرير :

إذا غضبت عليكَ بنو تميم ... حسبتَ الناسَ كلَّهم غِضابا

وضيع ارتفع :

قيل : اذا استنسر البغاث حلت الاحداث . وقيل : اذا ذهبت العتاق ارتفعت الدقاق وجاء ما لا يطاق . وقال ازدشير : ما شيء أسرع في انتقال الدول من رفع وضيع إلى مرتبة شريف . قيل : السفل اذا تعلموا تكبروا ، واذا تمولوا استطالوا ، والكرام اذا تعلموا تواضعوا واذا افتقروا صالوا . وقيل : لأن يسقط ألف من العلية خير من أن يرتفع واحد من السفلة !

الاغتياظ لوضيع تعوض لرفيع :

لما ولي زياد البصرة خطب فقال : إني رأيت خلالاً ثلاثاً نبذت اليكم منهن النصيحة : لا يأتيني شريف بوضيع لم يعرف شرفه الا عاقبته ، ولا كهل بحدث لم يعرف فضل سنه الا عاقبته ، ولا عالم بجاهل عنته الا عاقبته ، فإنما الناس أشرافهم وذوو سنهم وعلماؤهم . ووجد في كتب العجم ان بازيار الابرويز أطلق شاهينه على طائر فاخطأه ، فانقض على عقاب تراءت له فضربها ضربة أبان رأسها من جسدها ، فأخذ البازيار الشاهين والعقاب وأتى به الملك ليعلمه بفعل الشاهين ، رجاء أن يسره بذلك وينال به مالاً ، فلما أخبره أخذ الشاهين من البازيار فقطف رأسه ، ثم التفت الى وزرائه وأوليائه وقال : يتكابدني ان أرى يداً دنيئة تسلطت على يد رفيعة .

وضيع يتعوض لوفيع لعجزه :

الأعشى: كناطحٍ صخرةً يوماً ليُوهِنها فلم يضرْها وأوهى قرنه الوَعلُ

كشاجم : تبارزُني ونفسك مِن رصاص وهل يبقى على النارِ الرّصاص ؟

من افتخر بما ليس عنده :

قيل لابي عبيدة : ان الاصمعي قال : بينا أبي يساير سلم بن قتيبة على فرس قال أبو عبيدة : سبحان الله المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور ، ووالله ما ملك أبوه دابة إلا في ثوبه . وقيل : فخر البغي بخدج زينتها . فلان يفخر بغير نداه ويبجح بما في بطن سواه .

طاهر بن الحسين :

محاربُ يفرحون بعزِ قيسٍ كما فرح الخصيّ بمن يقودُ

وقيل : تجشى لقمان من غير شبع . وقيل : ليس هذا بعشك فادرجي . وقيل : من فاته الدين والمروءة فرأس ماله العصبية والتبجح بمال غيره . ورؤي رجل من نظارة السباق وقد سبق فرس وهو يظهر النشاط وفرط السرور والابتهاج فقيل له : أهو لك ؟ فقال : لا ولكن لجامه لي .
وللمتنبي في نفي المفاخرة بما لغيره عن نفسه :

وما أسرّ بما غيري الحميدُ به ولو حمَلتَ إليّ الدهر ملآنا

وقال الاجدع الهمداني وهو مما يتمثل به فيمن يتبجح بفعل لم يفعله بعد :

وكيف افتخار القوم قبل لقائهم ؟ ألا أن ما بعد اللقاء هوَ الفخر !

الموصوف بأنواع من المعائب :

سئل بعضهم عن رجل فقال : هو غث في دينه قذر في دنياه ، رث في مروءته سمج في هيئته، منقطع الى نفسه راض عن عقله ، بخيل بما وسع الله عليه من رزقه ، كتوم لما آتاه الله من فضله، حلاف لجوج لا ينصف الا صاغراً ، ولا يعدل الا راغماً ، لا يرفع عن منزلة الاذل بعد تعززه فيها . وقال بعضهم : فلان قليل الخير جم الضير عسيف السير ، كذوب الوعد خؤن العهد قليل الرفد وقال آخر : هو صغير القدر قصير الشبر ضيق الصدر كثير الفخر ، ولئن كان للانسان سبخ انه لمن سبخ بني آدم ! وذكر اعرابي رجلاً فقال : لو أفلتت مخزية لم تصل إلا اليه ، ولو نزلت لعنة لم تكن الا عليه ! وقال ابراهيم بن المدبر في رجل : له كبد مخنث وجسد نائحة ، وشره قواد وذل قابلة وملق داية ، وبخل كلب وحرص نباش ، وقحة مصلحي ونتن جورب ووحشة قرد !

ابن الحجاج :

نسيمُ حشٍ وريحَ مقعدةٍ ونفثُ أفعى ونتنُ مصلوبِ

وقال ابن ثوابة لابي العيناء : أما تعرفني ؟ فقال : أعرفك ضيق العطن لئيم الوطن نؤماً على الذقن!

شاعر : الناسُ مِن كدتيك في تعب فم بـذي ، وفقحة غلمه

والأَصلُ نذلٌ والدينُ ذو دخلٍ والأب فـدمُ والام متّهمَه

بعض الادباء :

أرى فيك أخلاقاً ولست بقائفٍ ولكنها لم تخف في متحدثِ

شمائل تيّاسٍ وخفةُ حائكٍ وتقطيع طبّالٍ وطيشُ مخنّثِ

المشهور بالشؤم :

يضرب المثل في الشؤم بقدار وطويس ووافد عاد ، فاما قدار فعاقر ناقة صالح عليه السلام ، وأما طويس فإنه كان يقول : ولدت يوم توفي النبي ﷺ ، وفطمت يوم مات أبو بكر رضي الله عنه ، وبلغت الحلم يوم قتل عمر رضي الله عنه ، وتزوجت يوم قتل عثمان رضي الله عنه ، وولد لي يوم توفي علي رضي الله عنه . ووافد عاد هو الذي بعثوه الى الحرم ليستسقي لهم ، فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يشرب الخمر وتغني له الجرادتان ، ثم أتى جبال مهرة فقال : اللهم إني لم أجيء لفائت فأوديه ، ولا لأسير فافاديه ، ولا لمريض فاداويه ، اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه ! فعرضت لهم سحابة أهلكتهم . وقيل : أشأم من قاشر ، لفحل أرسل في ابل فماتت عن آخرها . وقيل : هو من قولهم : أبعث اليهم سنة قاشورة ، تحتلق المال احتلاق النوره . واشأم من داحس والغبراء ، وخبرهما مشهور .

محمد بن حازم :

لقاؤكَ للمبكّرِ فـالُ سوءٍ ووجهُك أربعاءٌ لا تدورُ

عمرو بن لحا :

جريتُ ليربوعٍ بشؤم كما جرى إلى غاية قادت إلى الموت داحسُ

ابراهيم بن سبأ :

شؤمُه يُفلقُ الصخورَ فلوزاً رأباناً لهـدّ ركني أبانِ

وقال مخنث لآخر :

يا وجهَ البومِ وعين الزقّوم ، ومقراضَ الآمالِ وجلم الآجال !

وقال الشاعر :

يا سعدُ إنك قد حجبتَ ثلاثةً   كل عليهِ منك وسمٌ لائحُ
وأراكَ تخدمُ رائعاً لتُبيدَه   فارفق بهِ فالشيخُ شيخٌ صالحُ !

وصف العائن بعينه :

ذكر بعض العلماء ان العين حق ، وان النبي ﷺ أثبته ، والهند والفرس تتدين به ، وكذلك اليونانيون ، ويذكرون انه بخار ينفصل من العين والجوف فيدخل في المعيون ، ولهذا كرهوا الاكل بين يدي السباع والكلب والسنور ، ورأوا أن يشغلوا السباع عند أكلهم بشيء يرمى به ، لئلا ينفصل بخار رؤيته فيؤثر في المعيون . قالوا : ومثل تأثير العائن في المعيون نظر الرجل إلى العين المحمرة فتحمر عينه ، والطامث تدنو من اناء اللبن لتسوطه فتفسده . وصعد سليمان بن عبد الملك المنبر يوم الجمعة وقد غلف لحيته بالغالية وقال : أنا الملك الشاب ! فأصابته عين فما جمع بعدها . وكان المعدل ابن غيلان العبدي شديد العين، دخل يوماً على جعفر بن سليمان فاستحسن أكله ، فعانه فاقشعر جلده فقال : لدمني المعدل بعينه ! فخرج عبدالله بن جعفر ليقتله فطار واستخفى . وكتب الى جعفر : لو كنت أخشى ان أعينك قلعتها أتعين عيني نورها ؟ وكان ابن الزبير ومعاوية يتسايران ، فابصرا راكباً من بعيد فقال ابن الزبير : هو فلان ، فلما قدم كان اياه فقال معاوية : ما أحسن هذه الحدة مع الكبر ! فقال : برك يا أمير المؤمنين ، فسكت فقال ابن الزبير : ما أحسن هذه الثنايا واطرأ هذا الوجه ! فقال معاوية : برك ! فسكت فافترقا فشكا ابن الزبير عينه ، ثم شارفت الذهاب وسقطت ثنيتا معاوية ، فالتقيا بعد ذلك بسنة فقال معاوية : يا أبا بكر أينا أشوه ؟ فقال : رجل معين اصابته العين وشأنه ومشوه وشقذ شديد الاصابة بالعين .

المذموم بأنه لو كان كذا لكان شره :

دخل أبو الاسود علي بن عباس رضي الله عنهما يجر رجله فقال : لو كنت بعيراً كنت ثقالاً ، فقال له أبو الاسود : ولو كنت راعي البعير لما بلغته الكلأ ، ولما حفظته من الضيعة . وقيل لأم بهلول : كيف ترين ابنك ؟ فقالت : قبحه الله لو كان داء ما برىء منه !

قال : لو كنت ريحاً كانت الدبّورا   أو كنت غيماً لم تكن مطيرا
أو كنتَ ماءً لم تكن نميرا   أو كنت برداً كنتَ زمهريرا !
أو كنت مخاً كان مخاريرا

آخر : لو كنتَ ماء لم تكن بعذبِ   أو كنتَ سيفاً لم تكنْ بعضبِ
أوْ كنتَ لحماً كنت لحمَ كلبِ

ضرب من الذم يقال يا كذا :

يا طيرةَ الشؤمِ ويا فأل التلفْ   يا سوء كيلٍ وغلاء وحشف !

أبو نواس :

يا غرابَ البينِ في الشؤ   م وميزاب الجنابه !
يا كتاباً بطلاقٍ   وعزاءً بمصابه
يا مثالاً مِن هموم   وتباريحَ كآبه

لناجم : يا قوةَ اليأسِ ويا ضعفَ الأمل   يا كلَّ مكروهٍ وكربٍ وبخل
يا حيرةَ المملقِ أعيَتْهُ الحِيَل   يا زحلَ الدهرِ ومرّيخ الدول !

الحد الخامس

في الابوة والبنوة ومدحها وذمها

فمما جاء في البنين والبنات

نفع الولد وحمده :

قال الله تعالى : آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً . وقال النبي ﷺ : اذا مات الرجل انقطع عمله ، الا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له . وقال حكيم في ميت : ان كان له ولد فهو حي ، وان لم يكن له ولد فهو ميت ! والعرب تسمي من لا ولد له صنوبرا ، ولهذا قالوا : ان محمداً صنوبر . وقيل لحكيم : ما منفعة الولد ؟ فقال : يستعذب به العيش ويهون به الموت ! وقيل : خير ما أعطى الرجل بعد الصحة والامن والعقل ولد موافق من زوجة موافقة . قال :

ومتعةُ العيش بين الأَهل والولد

ابن أبي فنن في وصف شراب :

أطيبُ في الانفِ إذا جاءتكَ مِن ريحِ الولَدْ

وقيل لبعضهم : أي ريح أَطيب ؟ فقال : ريح ولد أربه وبدن أحبه . وفي الحديث : ريح الولد من رائحة الجنة . قيل لبزرجمهر : ما السعادة ؟ قال : أن يكون للرجل ابن واحد ! فقال : الواحد يخشى عليه الموت ، قال : لم تسألني عن الشقاوة !

مضرة الولد وذمه :

قيل لبعض الزهاد : الا تزوجت فربما يكون لك خلف ؟ فقال : كفى بالتزهيد فيه قوله تعالى: إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وقوله : ان من ازواجكم واولادكم عدواً لكم فاحذروهم . وقال ﷺ : الولد مبخلة مجبنة مجهلة . وقيل : قلة العيال احد اليسارين . وقيل : قلة العيال كنز لا ينفد . وسئل حكيم عن ولده فقال : ان عاش كدني ، وإن مات هدّني . وبشر حسن البصري بابن فقال : لا مرحباً بمن إن كنت غنياً أذهلني ، وان كنت فقيراً أتعبني ، ولا أرضى كدي له كداً ، ولا

سعي له في الحياة سعياً ، أهتم بفقره بعد وفاتي حين لا ينالني به سرور ولا يهمه لي حزن . واصحر يوماً فرأى صياداً فقال : ما أكثر ما يقع في شبكتك ! قال : كل طير زاق . فقال الحسن : هلك المعيلون ! قال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل معه ولده : إن عاش فتنك، وان مات أحزنك ؛ وقد أحسن المتنبي في قوله :

وما الدهرُ أهلٌ أن يؤمّلَ عندَه   حياةٌ وأن يشتاقَ فيه إلى النسل

وقيل : النكد كل النكد من رماه الأبد كل عام بولد .

كون الولد مكسباً لابويه بأفعاله :

قال النبي ﷺ : أنت ومالك لابيك . وقال ﷺ : أولادكم كسبكم فكلوا من أموالهم . وناول عمر رضي الله عنه رجلاً شيئاً فقال له : خدمك بنوك ؟ فقال : بل اغناني الله عنهم !

شفقة الابوين على الولد :

كان النبي ﷺ يخطب ، فطلع الحسن رضي الله عنه يتخطى الناس فسقط ، فنزل النبي ﷺ فتناوله ثم رجع ، فقال : والذي نفسي بيده ما علمت كيف نزلت ؟ صدق الله عز وجل : انما أموالكم وأولادكم فتنة ! وضرب رجل وطولب بمال فلم يسمح به ، فأخذ ابنه وضرب فجزع فقيل له في ذلك فقال : ضرب جلدي فصبرت ، وضرب كبدي فلم اصبر .

شاعر : وإنما أولادُنا بيننا   أكبادُنا تمشي على الأرض

من كره الموت شفقة على ولده :

شاعر : يقر بعيني وهو ينقصُ مدتي   مرور الليالي كي يشبَّ حكيمُ
مخافة ان يغتالني الموتُ قبله   فينشو مع الصبيان وهو يتيمُ

آخر : لقد زادَ الحياة اليَّ حبا   بناتي إنّهن مِن الضّعافِ !
مخافةَ أن يذقْنَ اليتمَ بعدي   وأنْ يشربن رنقاً بعد صافِ

متحمل تعباً لاولاده :

شاعر : واللهِ لولا صبيةٌ صغارُ   وجوههم كأنّها أقمارُ
لما رآني ملك جبارُ   ببابهِ ما طلعَ النهارُ !

ونحو هذا قولهم :

لولا أميمةَ لم اجزعْ مِنَ العدمِ   ولم أقاسِ الدُّجا في حندسِ الظلَمِ

الابيات وهي مذكورة في الحماسة . حطان بن المعلى :

لولا بنياتٌ كزُغب القطا ردِدْن من بعضٍ الى بعضِ
لكان لي مضطربٌ واسعٌ في الارض ذاتِ الطولِ والعرضِ

وقال معاوية رضي الله عنه : لولا يزيد لابصرت رشدي .

محبة الولد وملاعبته :

كان رسول الله ﷺ يقبل الحسن فقال الاقرع بن حابس : إن لي عشرة من الاولاد فما قبّلت واحداً منهم ! فقال النبي ﷺ : فما أصنع إن كان الله نزع الرحمة من قلبك ؟ قال موسى عليه السلام : يا رب أي الاعمال أحب اليك ، قال : الطاف الصبيان فإنهم فطرتي ، واذا ماتوا أدخلتهم جنتي ، وقال كسرى لغيلان : أي الاولاد احب اليك ؟ فقال : الصغير حتى يكبر ، والغائب حتى يقدم ، والمريض حتى يبرأ . كان عبدالله بن عمير يدخل معه سبعون ذكراً المقصورة فقيل له : كيف حبك لجماعتهم ؟ فقال : تفرق حب الاول عليهم : وهذا من غريب الحب .

محبة الاب للابن وبغض الابن له :

قال زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم لابنه : ان الله رضيني لك فأوصاك بي وحذرني منك ؟ وأجمعوا ان الولد البار أبر من الوالد ، لان بر الوالدين طبيعة وهذا واجب ، والواجب أبداً ثقيل . كتب ابراهيم بن داحة الى أحد أبويه : جعلني الله فداءك ، فكتب اليه : لا تكتب بمثل هذا فأنت على يومي اصبر مني على يومك .

اعجاب المرء بابنه :

قيل : زين في عين والد ولده . ونحوه وإن لم يكن من بابه ، من يمدح العروس إلا أهلها .
أبو تمام الطائي :

ويسيء بالإحسان ظناً لا كمن هو بابنهِ وبشعرهِ مفتونُ

وقيل : شكت الخنفساء الى أمها استقذار الناس اياها ، وان من دنا منها يبزق عليها ! فقالت لها : انهم لحسنك ونظافتك ينفثون عليك مخافة العين ، اعيذك بالله ! وقال اعرابي :

يا رب ما لي لا احبّ حشوده وكل خنزيرٍ يحبُّ ولدَهْ

إعجاب المرء بأبيه :

في المثل : كل فتاة بأبيها معجبه . وقيل : من يطل ايرُ أبيه ينتطق به . وحضر صالح العباسي مجلس المنصور وكان يحدثه ويكثر من قوله أبي رحمه الله فقال له الربيع : لا تكثر الترحم على

أبيك بحضرة امير المؤمنين . فقال له : لا ألومك فانك لم تذق حلاوة الآباء ! فتبسم المنصور وقال : هذا جزاء من تعرض لبني هاشم ! وقال ابو العيناء : ما أخجلني احد كما اخجلني ابن صغير لعبدالرحمن ابن رجاء ، قلت له يوماً : أيبيعك أبوك مني فإني اريد ابناً مثلك ؟ فقال : البيع لا يمكن إنْ شئت احمل ابي على امرأتك لتأتيك بولد مثلي ! ومر الاخطل بالفرزدق وهو صبي فقال : أيسرك ان اكون أباك ؟ فقال : لا ولكن يسرني أن تكون أمي ليأكل أبي من أطايبك !

تفضيل كبار الولد وصغاره :

قيل : من سره بنوه ساءته نفسه ؛ وبذلك ألم الشاعر فقال :

نشا بُنيّ فكان مثلي　　يلبس ما قد نزعتُ عني
فسرني ما رأيتُ منه　　وساءني ما رأيتُ مني

وقال :　　إن بني صبيةٌ صيفيون　　أفلحَ من كان له ربعيون

وقيل : كان بين عمرو بن العاص وبين ابنه عبدالله اثنا عشر سنة في السن ولا يعلم احد كان بينه وبين ابيه هذا القدر ، فأما من بينه وبين ابيه اربع عشرة سنة فعددهم كثير . وقال حماد بن اسحاق بن ابراهيم : كان ابي اكبر مني بأربع عشرة سنة ، وأنا اكبر من ابني بأربع عشرة سنة ، والموفق اكبر من المعتضد بأربع عشرة سنة . وقال انوشروان لرجل هرم رآه يعمل : هلا أدلجت ؟ فقال : أدلجت ولكني اضللت ! والخبر مذكور في فصل النكاح . وقيل : ابنك ريحانك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، ثم يصير عدواً ظاهراً او شريكاً مظاهراً . وقيل لرجل أبطأ في التزوج فقال : أُريد ان اسبق اولادي في اليتم قبل ان يسبقوني في العقوق !

فضل الابن :

قيل : ابنك ابن بوحك اي الذي ولدته نفسك لا من تبنيته . ونحوه : ابنك من دمي عقبيك اي من نفست به . وقال بعض العرب ان ابنك ابنك ، وابن اخيك ابنك ، وابن عمك ابنك ، وابنك ابن بوحك مصطبحاً بصبوحك . وفي ضده : رب ابنٍ لم تلده !

المادح ولده مدحاً حسناً :

كتب المأمون الى طاهر بن الحسين : صف لي ابنك فقال : ابني ان مدحته ذممته ، وان ذممته ظلمته الا انه نعم الخلف لسيده من عبده ، اذا اخترمت عبده منيته ! فكتب اليه المأمون : يا ذا اليمينين ، لم ترض بمدحه حتى اوصيت به ! وقال له يوماً : اخبرني عن ابنك . فقال : قدح في كف مثقف ليوم رهان أمير المؤمنين ! وقيل لرجل : صف ابنك . فقال : ولد الناس ابناء وولدته أباً ، يحسن ما أحسن ولا أحسن ما يحسن . مدح اعرابي ابنه فقال :

يا حبذا روُحه وملسُه　　أملح شيء ظلًا وأكيسُه
الله يرعاه لي ويحرُسه

أولاد سخنت أعين آبائهم لتخلفهم :

مات لعبد الملك ابن فجاء له آخر فعزى أباه به فقال : يا بني مصيبتي فيك أقدح في بدني من مصيبتي في أخيك ! فقال : أمي أمرتني بذلك . فقال : يا بني اذا كانت الابناء قرة أعين الوالدين فأنت قرة عين الشامتين ! وبعث رجل ابنه ليشتري حبلًا فقال : اجعله عشرين ذراعاً . فقال : في عرض كم ؟ قال : في عرض مصيبتي فيك يا بني ! وقال أبو حنيفة لشيطان الطاق وكان له ابن معتوه : انك في بستان من ابنك ! فقال : ذاك لو كان ابنك ! وقيل لصبي : لم لا تتعلم الادب ؟ فقال : أخاف أن أكذب والدي لانه قال لي : انك لا تفلح أبداً ! وكان للمبرد ابن متخلف فقيل له يوماً : غط سوءتك ! فوضع يده على رأس ابنه .

من كثرت أولاده فانجب :

قيل : كان لعبدالله بن عمير سبعون ذكراً كلهم يطيقون حمل السلاح ، وكانت فاطمة بنت الحوشب الانمارية يقال لها أم الكملة ، وأم البنين بنت عامر ابن فارس ولدت عامر بن ملك وطفيل الخيل ومعاوية بن ملك معوذ الحكماء . وسقط للمهلب لصلبه الى الارض ثلاثمائة ولد . وكان الرجل في الجاهلية اذا ولد له سبعة ولد تقنع وتم شرفه . وكان يقال : فلان من المقنعين ، فمنهم حذيفة من بني بدر وعيينة وعلقمة بن الاحوص . وقال عبد الملك للفرزدق : أي الحي أكثر ؟ فقال : تميم ! فقال : وأين طيء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لو أن نساء تميم بلن على جبل طيء لغرقوا ! فقال صبي من طيء كان حاضراً : يا أمير المؤمنين لو أنا سددنا مبال نساء تميم لكان يفضل كمر كثير .

المشبه أباه وغير المشبهه :

قيل : من سعادة المرء أن يشبهه ابنه ، وقيل : فلان ينظر عن عين أبيه ويبطش بيديه .

سعيد بن صمصمة يرقص ابنه :

أحبُّ ميمونَ أشد حبِّ　　أعرف منه شبهي ولبِّي
ولبه أعرف منه ربي

بعض بني عبس :

وإنا نرى أقدامنا في نعالِهم　　وانفنا بين اللحى والحواجبِ

وقال آخر :

والله مـا أشبهني عصامُ　　لا خلق منه ولا قوامُ

محبة البنات وتفضيلهن :

قال محمد بن جعفر بن محمد : البنات حسنات والبنون نعم ، والحسنات مثاب عليها والنعم مسؤل عنها . وقال المدائني : قال وهب بن منبه : من يمن المرأة أن تلد الانثى قبل الذكر إن الله بدأ بالاناث فقال : يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور . دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده بنية له يلاعبها فقال له : انبذها عنك يا أمير المؤمنين ، فوالله انهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويؤدين الضغائن ! فقال معاوية : لا تقل فما ندب الموتى ، ولا تفقد المرضى ، ولا أعان على الحزن مثلهن!
ولدت لاعرابية بنية فقالت :

وما عليّ أن تكونَ الجاريَه   تكنس بيتي وتردّ العاريه ؟
تمشطُ رأسي وتكونُ الفاليه   وترفع الساقط مِن خماريه
حتى إذا ما بلغت ثمانيَه   رديتُها ببردةٍ يمانيَه
زوجتها مروانَ أو معاويَه   أصهارَ صدقٍ للمهورِ غاليه

آخر : بنيتي ريحانةٌ اشمُّها   فديتُ بنتي وفدتني أمها !

وكان لمعن بن أوس ثمان بنات ويقول : ما أحب أن يكون لي بهن رجال ، وفيهن قال :

رأيت رجالاً يكرهون بناتِهم   وفيهنّ لا تكذب نساءٌ صوالحُ
وفيهنّ والايام يعثرنَ بالفتى   عوائد لا يمللنه ونوائحُ

كراهة البنات :

قال الله تعالى : واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . وبشر الاحنف بابنة فبكى فقيل له في ذلك فقال : وكيف لا تأخذني العبرة وهي عورة ، هديتها سرقة ، وسلاحها البكاء ومهنؤها لغيري ؟ وولدت لاعرابي جارية اسمها حمزة ، فهجر أمها وبنته ، فسمع أمها يوماً ترقصها وتقول :

ما لابي حمزةَ لا يأتينا   غضبانُ أن لا نلدَ البنينا
وانما يكره ما أُعطينا

فرجع الى منزله وصالحها وطابت نفسه بها . وقال الحسين رضي الله عنه : والد بنت متعب ، ووالد بنتين مثقل ، ووالد ثلاث فعلى العباد أن يعينوه . وقال الزهري : كانوا لا يرون على صاحب ثلاث بنات صدقة ولا جهاداً ، والعرب لم تكن تأكل طعام صاحب البنات . وقال :

إذا ما المرءُ شبّ له بناتٌ   عصبنَ برأسه عنتاً وعارا

وسأل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه نصيبياً عن حاله فقال : كبر سني ورق عظمي وبليت بينات نفضت عليهن من لوني ، فكسدن علي ! فبكى عمر رضي الله عنه من قوله .

فائدة موتها وتمنيه :

قال النبي ﷺ : نعم الختن القبر . وقال : دفن البنات من المكرمات . ونظر اعرابي الى بنت تدفن فقال : نعم الصهر صاهرتم ! وكانوا اذا هنؤا بها قالوا : أمنكم الله عارها وكفاكم مؤنتها وصاهرتم قبرها . وقيل : تقديم الحرم أفضل النعم وموت الحره أمان من المعره .

قال : ولم أر نعمةً شملت كريماً كعورتِهِ اذا سُترتْ بقبرٍ !

اسحق بن خلف :

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً والموتُ أكرمُ نزّالٍ على الحرمِ

قال : وما ختن فينا أعف من القبر .

تمني موت الاولاد :

اعرابي كان له أولاد :

الناسُ يعطَون أموالاً وميسرةً اعطيتني يا ربّ صبيانا
خذهمْ اليكَ فكلّ صار في خلقٍ وأنتَ أعطيته يا ربّ عريانا
قد كنت كلفتهم في أمهم ثمناً فخذهم عاجلًا يا ربّ مجّانا

وأد البنات :

كانت العرب تئد البنات الى أن جاء النبي ﷺ فنهى عن ذلك وأنزل الله تعالى : واذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت ؟ ودخل قيس بن عاصم على النبي ﷺ فقال : إني وأدت اثني عشرة بنتاً فما أصنع ؟ فقال : اعتق عن كل مؤودة نسمة . فقال له أبو بكر رضي الله عنه : فما الذي حملك على ذلك وأنت أكثر العرب مالاً ؟ قال : مخافة أن ينكحهن مثلك ! فتبسم رسول الله ﷺ وقال : هذا سيد أهل الوبر . وقال قيس : ما ولدت لي ابنة الا وأدتها سوى بنية ولدتها أمها وأنا في سفر، فلما عدت ذكرت أنها ولدت ابنة ميتة فأودعتها أخوالها حتى كبرت ، فادخلتها منزلي متزينة فاستحسنتها فقلت : من هذه ؟ فقالت : هذه ابنتك وهي التي أخبرتك انني ولدتها ميتة ، فأخذتها ودفنتها حية وهي تصيح وتقول : أتتركني هكذا افلم أعرج عليها ! فقال ﷺ : من لا يرحم لا يرحم .

سياسة الولد وتاديبه :

قال النبي ﷺ : اذا بلغ أولادكم سبع سنين فمروهم بالطهارة والصلاة ، واذا بلغوا عشراً فاضربوهم عليها ، واذا بلغوا ثلاثة عشر ففرقوا بينهم في المضاجع . وقيل : لاعب ابنك سبعاً ، وعلمه سبعاً ، وجالس به اخوانك سبعاً يتبين لك أخلف هو بعدك أم خلف .

حق الولد على الوالد :

قال النبي ﷺ : من حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويحسن كنيته وادبه وأن يعفه اذا بلغ. وقال ﷺ : حق الولد على الوالد ان يعلمه كتاب الله والسباحة والرمي . وقال رجل لابيه : يا أبت إن أعظم حقك علي لا يذهب بصغير حقي عليك ، وان الذي تمت به الي أمت بمثله اليك ، ولست أزعم انهما سواء ولكن لا يحل الاعتداء !

حق الوالدين على الولد والحث على مراعاته :

قال الله تعالى : ووصينا الانسان بوالديه حسناً . وقال تعالى : ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . ولو علم الله أدنى من أف لنهى عنه . وقال النبي ﷺ : ان الوالد باب من أبواب الجنة فاحفظ ذلك الباب . وقال رجل للنبي ﷺ : إني أريد الغزو فقال عليه الصلاة والسلام : أحي أبواك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد ! وقال عليه الصلاة والسلام لآخر : هل لك من أم ؟ قال : نعم . قال : الزمها وان مفتاح الجنة تحت رجليها . وقال الحسن : حق الوالد أعظم وبرّ الوالدة الزم .

حقيقة برهما :

سئل الحسن رضي الله عنه عن بر الوالدين فقال : أن تبذل لهما ما ملكت وتطيعهما في ما أمراك، ما لم يكن معصية والدلالة على ذلك قوله تعالى : وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً .

وصف بروة :

قيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما : انك من أبر الناس بوالدتك ، ولسنا نراك تأكل معها قال: اني أخاف أن أسبقها الى شيء سبقت عينها اليه فاعقها بذلك ! وقيل لعمرو بن ذر لما مات ابنه : كيف بره بك ؟ قال : ما ماشيته قط بالنهار الا مشى خلفي ، ولا بالليل الا مشى أمامي ، ولا رقي سطحاً أنا تحته . وقيل : كان اعرابي يحمل أمه على ظهره ويطوف بها وينشد :

أحملُ أمي وهيَ الحماله ترضعني الدرةَ والعلاله
ولا يجازي أحد فعاله

وقيل في المثل : أبر من الهرة .

وصف عققة :

قيل : الولد العاق ان مات نغصك وان عاش نقصك . وقال بعضهم لابن له عاق : أنت كالاصبع
الزائدة إن تركت شانت ، وان قطعت آذت ! وقيل : أعظم الاسف سوء الخلف . العقوق ثكل
من لا يثكل . قيل لاعرابي : كيف ابنك ؟ قال : هو عذاب رعف به الدهر ، وبلاء لا يقاومه ٦
الصبر ، وفائدة لا يجب بها الشكر . وكان لمنازل بن فرعان ابن يقال له خلنج ، فعق والده فقدمه
إلى والي اليمامة فقال :

تظلمني حقي خلنجُ وعقَّني ... على حين كانت كالحني عظامي
لعمري لقد ربيتُه فرحاً به ... فلا يفرحن بعدي امرؤٌ بغلامِ

قال : فاراد الوالي ضربه فقال الابن للوالي : لا تعجل علي ، هذا مناول بن فرعان الذي يقول فيه أَبوه :

جزت رحم ببني وبين منازل ... جزاء كما يستنزل الدين طالبه (الابيات)

وهي في الحماسة فقال الوالي : ياهذا عققت وعققت .

قال : ان بني خيرُهم كالكلبِ ... أبرّهم أولعُهم بسبِّي
فليتني كنت عقيم الزبّ ... وليتني مت بغير عقبِ

وقيل في المثل : أعق من ضب .

احتجاج عاق لعقوقه :

قيل لبعض الفلاسفة : لم تعق والديك ؟ قال : لانهما اخرجاني الى الكون والفساد . وقال العتبي لابن له صغير : يا بني اعرف وصية الله اياك بي . فقال : ياأبت وأنت اعرف وصيته اياك بي ، واستجز الاولى بالاخرى . وضرب رجل أباه فقيل له : أما عرفت حقه ؟ قال : لا لانه لم يعرف حقي ! قيل : فما حق الولد على الوالد ؟ قال : ان يتخير أمه ويحسن اسمه ويختنه ويعلمه القرآن ! ثم كشف عن عورته فاذا هو أقلف وقال : اسمي برغوث ولا أعلم حرفاً من القرآن ، وقد استولدني من زنجيه ، فقيل للوالد : احتمله فانك تستاهل !

المعارض أبويه فيا ادعيا من حقوقها عليه

جفى جحا أمه فقالت : هذا جزائي وقد حملتك في بطني تسعة أشهر ؟ فقال : ادخلي في استي حتى أحملك سنين وخلصيني . وقالت امرأة لابنها : هذا جزائي وقد أرضعتك سنتين ؟ فقال : ارتجعي عن دورقين لبناً دورقين محيضاً واعفيني .

المناقض أباه فيا ادعى عليه من فساد امه :

غضب الرشيد يوماً على المأمون فقال : يا ابن الزانية ! فقال المأمون : الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ! وقال أبو العيناء مثل ذلك لابنه فقال : لقد كنت والله أحفظ لاهلك من أبيك لاهله. وعير رجل ابنه بأمه فقال : هي والله خير لي منك لأنها أحسنت لي الاختيار فولدتني من حر ، وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أمة !

المعارض أباه في السب :

كان لحنظلة النميري ابن عاق يقال له مرة فقال له يوماً : يا مرة إنك لمر ! فقال : أعجبتني حلاوتك يا حنظلة ! فقال : انك خبيث كاسمك ! فقال : أخبث مني من سماني به ! فقل : كأنك لست من الناس! فقال : من أشبه أباه فما ظلم ! فقال : ما أحوجك الى أدب ! فقال : الذي نشأت على يده أحوج اليه مني ! فقال : عقمت أم ولدتك ! فقال : اذ ولدت من مثلك ! فقال : لقد كنت مشؤماً على اخوتك دفنتهم وبقيت ! فقال : أعجبني كثرة عمومتي ? فقال : لا تزداد الا خبثاً ! فقال : لا يجتنى من الشوك العنب . وقال عبدالله بن صفوان لابنه : يا لكع ! فقال : أما يشبه الرجل أباه ? فمهما كان من حسن وقبيح فمنك تولده وفعلك جالبه . وقال رجل لابنه : ما أطيب الشكل يا بني ! فقال الابن : اليتم أطيب منه يا أبت .

اختيار الامهات للاولاد :

قال أبو الاسود لبنيه : أحسنت اليكم قبل ان ولدتم وبعده . قالوا : كيف أحسنت قبل الولادة؟ فقال : لاني اتخذت أمهاتكم من حيث لا تعابون به !

شاعر : حميتُ على الاولادِ اطهارَ أمهم وبعضَ الرجالِ المدعين جفاء
آخر : تخيرتُها للنسلِ وهي غريبةٌ فجاءت به للنسلِ خرقاً سميدَعا

تأثير أجناس الامهات في الاولاد :

سئل بعضهم عن ولد الروميه فقال : صلف معجب بخيل . قيل : فولد الصقلبية . قال : طفس زنيم ! قيل : فولد السوداء . قال : شجاع سخي . قيل : فولد الصفراء . قال : هم أنجب أولاداً وألين أجساداً وأطيب أفواهاً ! قيل : فولد النوبية . قال : فاسق زان ! قيل : فولد العربية . قال : أنف حسود ! قيل : فولد اليهودية ? قال : دغل قذر . قيل : فولد الفارسية ? قال : مكر وخديعة . وقيل : لم تر أماً حمقاء أنجبت إلا أم النعمان بن المنذر وأم هشام بن عبد الملك ؛

قال : فلو كنتم لمكيسةٍ أكاسَت وكيسُ الأمِ يعرفُ في البنينا

وقال عبدالله بن زياد : لم يكن جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر الا خرج مائقاً .

ضوابة الولد من بنات العم :

روي في الخبر : اغتربوا لا تضووا .

شاعر : وقد يضوى وليدُ الاقاربِ

ونظر عمر رضي الله عنه إلى قوم من قريش صغار الأجسام فقال : ما لكم صغرتم ؟ قالوا : قرب أمهاتنا من آبائنا . قال : صدقتم اغتربوا ، فتزوجوا في البعداء فانجبوا .

شاعر : ليس أبوه بابنِ عمّ أمـهِ

آخر : أنذر من كان بعيداً لهم تزويجُ أولادِ بنات العمِ
فليس ناج من ضوى وسقمِ

وقال العتبي : تزوج أهل بيت بعضهم في بعض ، فلما بلغ البطن الرابع بلغ بهم الضعف إلى أن كانوا يحبون حبوا لا يستطيعون القيام ضعفاً . وفي ضده قال ازدشير : تزوجوا في الاقارب فانه أمس للرحم وأثبت للنسب ! وهذا مبني على مذهب المجوس .

أولى الابوين بتفقد الولد :

تنازع أبو الاسود الدؤلي وامرأته في ابن لهما وكل واحد منهما يقول : أنا آخذه . فقال ابو الاسود: حملته قبل أن حملته ، ووضعته قبل ان وضعته ، فقالت امرأته : حملته خفاً وحملته ثقلاً ، ووضعته شهوة ووضعته كرهاً ، وكان حجري فناءه ، وبطني وعاءه ، وثديي سقاءه . فدفع الولد إلى أمه .

الرضاعة :

قال النبي ﷺ : يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة . قالت عائشة رضي الله عنها : دخل علي ابن أبي القعيس فاستترت منه فقال : تستترين مني وأنا عمك ؟ قلت : من أين ؟ قال : أوضعتك امرأة اخي . قلت : انما أرضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل ! فدخل رسول الله ﷺ فحدثته فقال : انه عمك فليلج عليك . وقال ﷺ : لا تحرم المصة ولا المصتان ولا الاملاجة ولا الاملاجتان .

مدة الرضاع سنتان واذا فطم الصبي قبل ذلك يقال له مختل :

قال الله تعالى : والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة . وقال الصاحب : في سبطه عباد الحسنى وكان ابلغ انه فطم قبل حين الفطم .

يا ربّ لا تخلني من صنعِك الحسنِ يا ربّ حطني في عبادك الحسني
ان كان قد فطموه قبلَ موعدِه لا بأسَ فهو رضيعُ المجدِ لا اللبنِ

وله : لئن فطموه عن رضاع لبانـه لـما فطموه عن رضاع المكارم

تأثير الرضاع في الاولاد والحث على اعتباره :

نهى النبي ﷺ عن رضاع الحمقاء ، وقال : لا تسترضعوا الحمقاء فإن الولد ينزع الى اللبن . وقال عبد الملك : اياك وحضانة الرعناء ورضاعة الورهاء . وقال رجل في وصف آخر نسبة الى الرعونة : كيف لا يكون أرعن وقد اوضعته فلانة ؟ ووالله انها كانت ترق الفرخ فارى الرعونة في طيرانه. وقيل : ان الحسن البصري رحمة الله عليه كانت امه تغشى ام سلمة رضي الله عنها على ثديها ، فدرت عليه من لبنها فورث منه علمه وفصاحته ، وانما قالت العرب لله دره اشارة الى انه اوضعته من اورثته الفضائل لا الرذائل .

اليتم :

قال النبي ﷺ : لا يتم بعد حلم . واليتيم من الناس من فقد اباه ومن البهائم من فقد امه ، والعجمي من الناس من فقد امه ، واللطيم من فقد ابويه . وقال ﷺ : ما بيت بر ولا مدر أكرم من بيت فيه يتيم . قتادة في قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم : أي ينتهره .

بلوغ الصبيان :

بلوغ الصبي بالاحتلام أو استتمام خمس عشرة سنة ، وبلوغ الجارية الحيض او استكمال خمس عشرة سنة ، والانبات بلوغ في الكفار دون المسلمين . وقال أمير المؤمنين : لا يلقح الغلام حتى يتفلك ثدياه ويسطع ابطاه .

ومما جاء في ممادح الابوة ومذامها

اعتبار الاب :

قيل : نجل الجواد جريه يتقيل

آخر : وابن السَّرى اذا سرى أسراهما

آخر : الا ان غصنَ الدوحِ للدوحِ تابعْ

وقال عدي بن أرطاة لأياس : دلني على قوم من القراء أوليهم . فقال : القراء ضربان ضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم ، وضرب يعملون للآخرة فلا يعملون لك ، ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولهم . قال الحسن رحمه الله لعمر بن عبد العزيز : عليك بذوي الأحساب فانهم ان لم يتقوا استحيوا ، وان لم يستحيوا تكرموا .

الممدوح بانه من أصل شريف :

مدح اعرابي رجلاً فقال : ذاك من شجر لا يخلف ثمره ، ومن ماء لا يخاف كدره .

مصعب : كأنك جئتَ محتكماً عليه   تخير في الابوة ما تشاء

آخر : همْ حلُّوا من الشرفِ المعلّى   ومن حسبِ العشيرةِ حيثُ شاؤا

أبو تمام : نسبٌ كأن عليه من شمس الضّحى   نوراً ومن فلقِ الصباح عمودا

آخر : نمته بدور ليس فيهن كوكبُ

ودخل بعض أولاد ابن الزبير على سليمان بن محمد فجلس على نمرقة فاغتاظ من ذلك ، وقال : من أَجلسك ههنا ؟ قال : صفية بنت عبد المطلب ! فسكن غضبه .

من تمنى كل قوم كونه منهم لشرفه :

الفرزدق :

أرى كلَّ قومٍ ودَّ أكرمُهم أباً   إذا ما انتمى لو كان منا أوائلُهْ

مسلم :

وكم عائبٍ لي ودَّ أني ولدتُه   وإن كرمَتْ اعراقُه وزكا الأَصلُ

المسابق أباه في ابتناء علاه :

قال الربيع : جلس المنصور يوماً فقال : من يصف صالحاً ابني ؟ وقد رشحه لان يوليه بعض أموره ، فكلهم هاب المهدي فقال شبة بن عقال : لله دره ما أفصح لسانه ، وأمضى جنانه ، وأبل ريقه ، وأسهل طريقه ! وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه والمهدي أخوه ثم أنشد :

هو الجوادُ فإن يلحقْ بشأوِهما   على تكاليفهِ فمثلُه لحقا

أو يسبقاه على ما كانَ منْ مهلٍ   فمثل ما قدّما من صالحٍ سبقا

فقال المنصور : ما رأيت مثل مخلصه ، مدحه وأرضاني وسلم من المهدي !

زهير : وما يكُ من خيرٍ أتوه فإنما   توارثه آباءُ آبائهم قبلُ

قال الاحنف : ان زهيراً ألقى على المادحين فضول الكلام بهذا البيت .

ذكر أشراف توالوا :

في الخبر : الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم ، ليس في الأرض خمسة أشراف متناسقة ، كتب عنهم الحديث إلا جعفر بن محمد بن علي

بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم الرضوان ، ولا أربعة إلا محمد بن علي بن عبدالله بن العباس رضي الله عنهم . وكان قيس بن عبادة بن دلهم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف سبعة أجواد ، يتلو بعضهم بعضاً ليس بينهم فرق ولا فضل .

المشابه أباه في علاء ابتناه :

شِنشِنةٌ أعرِفُها من أخزم

عمرو بن سراقة :

ومكرمةٍ كانت سجية والدي فعلَّمنيها والدي فعلتُها

شاعر : وإنَّ امرأ في الفضلِ أشبه جدَّه ووالدة الأدنى لغيرِ ظلومِ

أبو الغمر : تشابهوا في العلا حتى كأنهمُ لم يفتقد لهمُ ميتٌ ولا افترقوا

وقيل : أصل راسخ وفرع شامخ .

محمد بن وهيب :

وليس بديعان بأن تُحتَذى مذاهبُ آسادها الأشبل

ونحوها لعمارة بن عقيل : وهل يشبه الأشبال الا أسودها

بعض المحدثين :

أنت غصنٌ من ذلك المنبتِ الزا كي ونصلٌ من ذلكَ الفولاذِ

من مكارمه تدل على كرم سلفه :

أبو تمام : فروعٌ لا ترفُّ عليك إلا شهدتَ بها على طيبِ الأرومِ

وفي الشرفِ الحديثِ دليلُ صدقٍ لمختبرٍ على الشرفِ القديمِ

أبو هفان : لا تنظرَنَّ إلى امرىء ما أصلهُ وانظرْ إلى أفعالهِ ثم احكُمِ

المستغني بنفسه عن شرف آبائه :

دخل البحتري على بعض العلوية فسأله حاجة بعد حاجة ، فأجابه الى كل ما التمس ، فأثنى عليه فقال بعض من حضر ، كيف لا يعطي وهو من منصب الفضل ؟ فقال :

لا توجِبَنْ لكريمِ أصلِك مُنةً لو كنتَ من عكلٍ لكنتَ كريما

دعبل : لو لم تكنْ لك أجدادٌ تنوبهم إلا بنفسِك نلتَ النجم من كثبِ

عامر بن الطفيل :

وإني وإن كنتُ ابنَ فارسِ عامر وفي السر منها والصميم المهذبِ
فما سوّدتني عامر عن وراثةٍ أبى الله أن أسمو بأمٍّ ولا أبِ

المتنبي : ويغنيك عما ينسبُ الناسُ أنه إليك تناهى المكرماتُ وتُنسبُ

وله : خذ ما تراه ودعْ شيئاً سمعتَ به في طلعةِ الشمس ما يغنيكَ عن زُحَلِ

من تشرف به آباؤه ولم يتشرف بهم :

الفرزدق: وان تميا كلَّها غيرَ سعدِها زعانفُ لولا عزّ سعدِ لذلّتِ

فقيل : لقد وضع من قومه أكثر مما رفع من نفسه .

علي بن جبلة :

فما سودَتْ عجلا مآثرُ قومه ولكن به سادَت على غيرِها عجلُ

فعير عليه هذا المعنى وقيل : غض عن حسبه ونقص من شأن نفسه ؛ واقتدى المتنبي به فقال :

لا بقومي شرُفتُ بل شرفوا بي وبنفسي فخرْتُ لا بجدُودي

أنشد الحسن يوماً :

لولا جريرٌ هلكَتْ بجيلَهْ نعمَ الفتى وبئستِ القبيلَهْ

فقال الحسن : أمدحه أم ذمه ؟ فقيل : مدحه وذم قومه ، فقال : ما مدحة من ذم قومه وما فضل الولد على الوالد بأحسن من قول المتنبي حيث يقول :

فإن تكن تغلبُ الغلباءُ عنصرُها فإن في الخمر معنىً ليس في العنبِ

وقوله ايضاً : فانكَ ماءُ الورد إن ذهبَ الوَرْدُ

من ازداد شرف آبائه به :

ولو علمَ الشيخانِ أدو يعرب لسُرّت إذا تلك العظامُ الرمائمُ

الخوارزمي :

هو ابن الرئيس والعميد كليهما وفوقهما قدراً وإن كان منهما
وقد يوقد الزندان ناراً لقابسٍ فتضحى مِن الزندين أعلى وأعظما

ابن الرومي :

وكم أب قد علا بابنٍ ذُرا شرفٍ كما علت برسول الله عدنانُ !
يسمو الرجالُ بآباءٍ وآونةً تسمو الرجال بابناء وتَزدانُ

من زان شرف أبيه بفعله :

شاعر : زانوا قديمَهم بحسنِ حديثِهم وكريمَ أخلاقٍ بحسنِ وجوهِ
آخر : قد زينوا أحسابَهم بسماحِهم لا خير في حسبٍ بغير سماحِ !

المزين أباه والمتزين به :

أبو تمام : وحسبُ امرىءٍ أنتَ امرؤٌ آخِرٌ له وحسبُك فخراً أنه لكَ أوّلُ

الخبزارزي :

فطوبى لقومٍ أنتَ فارعُ أصلِهم وطوباكَ إذ مِن أصلهم أنتَ فارعُ !

المتزين بمكانه الناس قاطبة :

المتنبي : تشرفُ عدنانٌ بهِ لا ربيعةٌ وتفتخر الدنيا بهِ لا العواصمُ
آخر : يا زينة الدين والدنيا إذا احتفلا واظهرا ما أعداه مِنَ الزينِ

لا اعتداد بمن شرف أصله ولم يشرف بنفسه :

قال الاحنف : من فاته حسب بدنه فلا حسب له . وقيل : الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية. وقال أبو وائل لرجل شريف الاصل دنيء النفس : ما أحوج عرضك الى أن يكون لمن يصونه ، فيكون فوق من انت اليوم دونه ! وقال ارسطوطاليس : اذا كان الانسان خسيس الأبوين شريف النفس كان خسة أبويه زائداً في شرفه ، واذا كان شريف الابوين خسيس النفس كان شرف ابويه زائداً في خسته ! وقال الصاحب : شرف نفسي خير من شرف ومسي ، وعصامي خير من عظامي ؛ يعني قول النابغة : نفس عصام سوّدت عصاما . ويعني بعظامي .

قول الآخر :

إذا ما الحيّ عاشَ بعظمِ ميتٍ فذاكَ العظمُ حيٌّ وهو ميتُ

ابن الرومي :

وما الحسبُ الموروث لا درَّ درّه لمحتسبٍ إلا بآخرَ مكتسَبْ
إذا الغصنُ لم يَثمرْ وإن كان شعبةً من المثمرات اعتدّه الناسُ في الحطبْ

بيغاء : إذا المرء لم يبنِ افتخاراً لنفسِهِ تضايق عنهُ ما ابتنتْهُ جدودُه
ولا خير في مَن لا يكونُ طريفُه دليلًا على ما شاد قِدماً تليدُه

آخر : وما ينفعُ الاصلُ مِن هاشمٍ اذا كانتِ النفسُ من باهلَه !

عذر من شرفت نفسه ولم يشرف أصله :

قال سقراط لرجل عيره بحسبه : حسبي مني ابتدأ وحسبك اليك انتهى ! وقال آخر : قومي عار علي وأنت عار على قومك ! وطعن في حسب رجل آخر فقال : لأن يكون حسبي عيباً علي اصلح من ان اكون عيباً على حسبي . وقيل : لأن يكون الرجل شريف النفس دنيء الاصل أفضل من ان يكون دنيء النفس شريف الاصل ، الا ترى ان رأس الكلب خير من ذنب الاسد ؟

عذر دنيء قصر عن أفعال آبائه الاشراف :

قيل لرجل من ولد بشر بن مروان وكان مأبوناً : ان اباك كان سهماً من سهام المسلمين وسيفاً لآل رسول الله ﷺ ! فقال : وأنا جعبة من جعابهم وغمد لسيوفهم ! قال الاصمعي رحمه الله : دخلت خضراء روح بن زنباع ، فإذا انا برجل من ولده يفسق به في موضع كان ابوه يهب فيه المال ويضرب فيه أعناق الرجال فقلت : يا فضيحة هذا موضع كان ابوك يهب فيه ! فأنشأ :

ورثنا المجدَ عن آباء صدقٍ أسأنا في ديارِهمُ الصَنيعا
إذا الحسبُ الرفيعُ تعاوَرَته ولاةُ السوء أوشكَ أن يضيعا

وقيل لحكيم : كان ابوك اجمل منك واعقل وافضل ! فقال : لأني كنت به ولم يكن بي ، فهو أولى بالكمال مني . وخطب أبو العذري الى رجل من بني تميم ابنته فقال : لو كنت مثل أبيك زوجتك . فقال : لو كنت مثل أبي لم اخطب اليك . قيل لرجل من الاعراب : ما اشبهت اباك ! فقال : لو أشبه كل رجل اباه كنا كآدم .

من أخذ سوء خصال أبيه :

قيل لرجل : كان ابوك اقبح الناس خلقاً واحسنهم خلقاً ، وكانت أمك احسن الناس وجهاً وأقبحهم خلقاً ، فاخذت قبح ابيك وسوء خلق امك ، فيا جامعاً مساوىء أبويه . وقال آخر : انما أنت كالبغل يأخذ أسوأ خصال الفرس والحمار . وكان عمارة بن عقيل قال : والله لأتزوجن امرأة جميلة يخرج ولدها على جمالها وفطنتي ، فتزوج برعناء فجاءت بابن في رعونتها ودمامته .

ذم من قصر عن آبائه :

ذم رجل آخر فقال : هو مزبلة بين جبلين أي دنيء من رفيعين . وقال علي بن الجهم :

إن تكن منهم بلا شكٍ فللعودِ قتار

آخر : فإن قلتمُ كعبٌ أبونا وأمنا فأي أديمٍ ليس فيه أكارعُ ؟

آخر : لئن فخرت بآباء لهمْ شرفٌ لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا !

آخر : اذا انتسبوا ففرعٌ من قريشٍ ولكن الفعال فعالُ عكْل !

أبو خالد يهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه ولم يجتمع هذان المعنيان لاحد كما اجتمعا له :

أبوكَ لنا غيثٌ نعيشُ بسيبهِ وانت جوادٌ لستَ تبقي ولا تذَر

وله فيه : أيا عجباً نبعةٌ أنبتتْ خِلافاً وريحانة بقلة

وله : خالدٌ لولا أبوه كان والكلبُ سَواء

الحارثي في معناه :

شريفٌ بجدّيه وضيعٌ بنفسِهِ لئيمٌ محياه كريمْ المركبِ

أخذه أبو تمام فقال :

يا اكرم الناسِ آباءً ومفتخراً وألأم الناسِ مبلوًّا ومختبرا !

ونظر رجل الى ابن دنيء عن أب شريف فقال : سبحان الله من قائل : يخرج الخبيث من الطيب !
ونظر خالد بن صفوانٍ الى لئيم النفس كريم الابوين فقال :

فلا يعجبنَ الناسُ منكَ ومنهما فما خبث من فضةٍ بعجيبِ !

ذم من شان آباءه الكرام بلؤمه :

ابراهيم بن العباس :

لئن لحقت بأبناء الكرامِ بـه لقد تقدم ابناءُ اللئامِ بكا

أبو حنش :

لئن كان معنٌ زان شيباً كلَّها لقد شانَ رَوْحٌ كلَّ آلِ مهلّبِ

من لم يعتد بشرف النفس ما لم يضامه ابوه :

سمع عمرو بن أبي ربيعة قول القائل :

كن ابنَ من شئت واتخذ أدباً　　يغنيك موروثه عن النسَبِ

فقال : اسكت فلا فخر ، ثم أنشأ يقول :

لا فخر الا فخار منتخبٍ　　يسمو بأمٍ كريمةٍ وابِ

من يخزى من ذكر آبائه :

سئل رجل عن نسبه فقال : انا ابن اخت فلان ! فقال اعرابي : الناس ينتسبون طولاً وانت تنتسب عرضاً .

أبو محمد الترمذي :

قلتَ وادعمتَ أباً خاملاً　　أنا ابنُ أختِ الحسنِ الحاجبِ

دعبل : سألتُه عن أبيه فقال : دينار خالي !

فقلت: دينار من هو ؟ فقال : والي الجبال

ولعبدالله بن سليمان في فصل الى اسمعيل بن بلبل : وان من كان بلبلا ابوه لجدير أن يفض فوه ليخرس عن تشقيق الكلام ، وترويق الكتب بالكذب والآثام .

من نسب أبوه اليه :

عبدان : أرى الآباءَ ينتسبونَ جهلاً　　الى الابناء من فرط النّذالَهْ

نازع عبدالله بن مسعدة عمرو بن هبيرة فقال : يا واحداً ابن واحد ، عرفت بابيك فنسبت اليه ، وعرف أبوك بك فنسب اليك .

من لا يعتد بأبيه :

الأخطل : فاذا وضعْتَ أباكَ في مِيزانهم　　قفزت حديدتُه اليك فشالا

ولبعض شعراء أصبهان ويعرف بمحمد بن عبدالله بن كسير :

تبجَّح بالكتابة كل وغدٍ　　فقبحاً للكتابةِ والعمالَهْ !

أرى الآباء نسبتهم جميعاً　　إلى الابناء من فرْطِ النذاله !

كون الابن جارياً مجرى الاب :

العصا من العصية هل تنتج الناقة الا لمن لقحت له ؟

زهير : وما يفعلوا من فعل صدقٍ فانما | توارثه آباءُ آبائهم قبلُ
وهل ينبتُ الخطي الا وشيجُه | وتُغرسُ الا في منابتها النخلُ

الربيع اليهودي : وفي أرومته ما ينبت العودا

الاعشى : العود يعصر مــاؤه | ولكل عيدانٍ عصارُه

هل تلد الحية الا حية ؟ لحميري :

كيف تأتيكَ بخيرٍ | بيضةٌ من بيض حيّه ؟
أشبهَ الفرخُ أبــاهُ | والعصا من العصيه !

وقيل : « فلان لا أصل له ولا فصل » فالاصل الوالد والفصل الولد .

ظفر بن الحرث العبدلي :

وإن أحقّ الناسِ أن لا تلومهُ | على الشرّ مَن لم يفعل الخيرَ والدُه
إذا المرءُ الفتى والديهِ كليهما | على اللؤمِ فاعذره اذا خابَ رائده

قوم تشابهوا في اللؤم :

كثير عزة :

سواء كأسنان الحمار فما ترى | لذي كثرةٍ منهم على ناشيءٍ فضلا

آخر : اذا مــا قلتَ أيهم لأي | تشابهتِ المناكبُ والرؤسُ

آخر : بلونــاهُمُ واحداً واحداً | وجدناهمُ الكلّ كالواحدِ
فلا ذرأَ الربُّ ولدانَهم | ولا باركَ الربّ في الوالدِ !

آخر : وانّ امرأً في اللؤم اشبهَ جدّهُ | ووالدَه الأدنى لَغيرِ ظلومِ

من لؤم نفسه وأصله :

قيل في المثل : الكمئة لا أصل ثابت ولا فرع ثابت .

جرير : فرعٌ لئيمٌ وأصلهُ غيرُ مغروسِ

معاوية : السفلة من ليس له نسب معروف ولا فعل موصوف .

من لؤم أبواه :

اذا ذكر الانسان بغاية اللؤم قيل : هو عبدقن ؛ وهو الملوك الابوين .

شاعر : أبٌ غيرُ محمودِ السجياتِ سفلةٌ ووالدةٌ فيها الحديثُ يطولُ

آخر : أبٌ كثرَت في العالمين فضائحُه

من ذكر ان الشرف بالتقى :

قال الله تعالى : إن أكرمكم عند الله اتقاكم ؛ قال بعض العارفين : ما أبقى الله بهذه الآية لأحد شرف أبوة . وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رأى رجلاً يقول : أنا ابن بطحاء مكة ! فوقف عليه فقال : ان كان لك دين فلك شرف ، وان كان لك عقل فلك مروءة ، وان كان لك علم فلك شرف ، والا فأنت والحمار سواء ! وقيل : كان الشرف في الجاهلية بالبيان والشجاعة والسماحة ، وفي الاسلام بالدين والتقى ، وأما الابوة فلا أبوة .

شاعر : لعمركُ ما الانسانُ إلا بدينِه فلاتتركِ التقوى اتكالاً على الحسَبْ

فقد زين الايمانُ سلمانَ فارسٍ وقد وضع الشركُ الشريفَ أبالهبْ

كون الشريف من شرفه السلطان :

اصطنع كسرى أنوشروان رجلاً لم يكن له نسب ، فقيل له في ذلك فقال : اصطناعنا اياه نسب له . ووفد حاجب بن زرارة على كسرى فاستأذن عليه فقال كسرى لحاجبه : سله من هو ؟ فقام رجل منهم فلما مثل بين يديه قال له : من أنت ؟ قال : سيد العرب ! قال : ألست زعمت انك رجل منهم ؟ قال : منذ أكرمتني وأجلستني صرت سيدهم ! فحشا فاه لآلىء .

ما اختص به كل قبيلة من فضيلة :

قال النبي ﷺ : الائمة من قريش . وقال : الناس تبع لقريش في الخير والشر . وقال : لا يقومن أحد لاحد الا لهاشمي . قال يونس : ما في أسد الا خطيب أو شاعر أو قائف أو زاجر أو فارس. وقال : ليس في هذيل الا شاعر أو رام أو شديد العدو . وقال معاوية : من لم يكن من بني هاشم جواداً ، ومن بني العوام شجاعاً ، ومن بني مخزوم ذا اباء وابهة ، ومن بني أمية حليماً لم يشبه أباه! وقال محمد بن اسحق : ما قنش أحد من بني المطلب الا عن خصلتين بأس وكرم . وقيل لرجل : ممن أنت ؟ فقال : من قوم اذا عشقوا ماتوا ! قيل : فأنت اذاً من بني عذرة .

المعوض بهجاء قبيلة :

قصد شويعر أبا دلف يمدحه فقال أبو دلف : ممن أنت ؟ قال : من تميم . قال : الذي يقول فيهم الشاعر

تميمٌ بطرقِ اللؤمِ أهدى مِن القطا !

قال : نعم بتلك الهداية جئتك ! فخجل أبو دلف وخوله وشارطه أن يستر ذلك عليه . ومازح معاوية الاحنف بن قيس فقال : ما الشيء الملفف في البجاد ؟ فقال الاحنف : السخينة يا أمير المؤمنين؛ أراد معاوية قول الشاعر :

إذا ما مات ميتٌ مِن تميمٍ   فسرّكَ أن يعيشَ فجئْ بزادِ :
بسمنٍ أو بتمرٍ أو بخبزٍ   أو الشيء الملفّفِ في البجادِ !

وأراد الاحنف ما يعير به قريش من أكل السخينة . ولقي شريك النميري تميماً فقال له التميمي: يعجبني البازي ؛ فقال : خاصة اذا اصطاد القطا ؛ أراد التميمي قول الشاعر :

أنا البازي المطل على نمير

وأراد شريك قوله :   تميم بطرقِ اللؤمِ أهدى مِن القَطا

وكان سنان النميري يماشي عمرو بن هبيرة الفزاري وهو على بغلة فقال : غض من بغلتك ! فقال: انها مكتوبة ، أراد ابن هبيرة قول الشاعر :

فغضّ الطرفَ إنك مِن نمير

وأراد سنان قول الاخطل :

لا تأمنَنَّ فزارياً خلوتَ به   على قلوصك واكتبها بأسيارِ

ومرت اعرابية بجماعة من بني نمير فرمقوها فقالت : يا بني نمير ما أخذتم بقول الله تعالى : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ولا بقول جرير :

فغض الطرفَ إنك من نمير

ودخل محاربي على هلالي ، وكان على حافة غدير فيه ضفادع ، فقال : ما تركتنا البارحة شيوخ بني محارب أن ننام . فقال : انها اضلت برقعاً فكانت في بغائه ؛ أراد الهلالي قول الشاعر :

تنقّ بلا شيء شيوخُ محاربٍ   وما خلتها كانت تريشُ ولا تبري
ضفادعُ في ظلماء ليلٍ تجاوبت   فدلّ عليها صوتها حية البحرِ

واراد المحاربي قول الشاعر :

لكلِّ هلالي من اللؤم جبةٌ ولابن يزيدٍ برقعٌ وقميصُ

ورأى بعضهم على قيسي برداً فقال : انكم لتغالون بالبرود ؛ أراد قول الشاعر :

المشترى الفسو ببرد حبره

وعرض ابن هبيرة على ضبي يلاعبه فص فيروزج فخجل منه ؛ أراد به قول الشاعر :

ألا كلُّ ضبي من اللؤمِ أزرقُ

هجو القبائل :

روي أن رجلاً عطش في مفازة فانتهى الى خباء فعدت صبية فاقبلت عليه بماء ولبن ، فسألها عن قبيلتها فقالت : من بني عامر ؛ فقال الذي يقول فيهم الشاعر :

لعمرُكَ مـا تبلى سرائرُ عامرٍ من اللؤمِ ما دامَتْ عليها جلودُها !

فتعثرت الصبية كمداً فكسرت الاناءين وقالت : ياعماه ممن أنت ؟ قال : من تميم ! قالت : الذي يقول فيهم الشاعر :

تميم بطرقِ اللؤم أهدى مِن القطا

فقال : بل أنا من باهلة ! فقالت :

اذا ولدتْ حليلةُ باهـليٍّ غلاماً زاد في عـددِ اللئامِ

فقال : بل أنا من بني أسد ! فقالت :

ما سرني أن أمي من بني أسدٍ وان لي كلَّ يوم ألف دينارِ
قومٌ اذا استنبح الاضيافُ كلبَهم قالوا لأمهمُ : بولي عـلى النارِ !

فقال : بل أنا من بني عبس ! فقالت :

إذا عبسية ولدَت غلاماً فبشرْها بلؤمٍ مستفادِ

فقال : بل أنا من قيس ! فقالت :

إذا قيسية عطسَتْ فنِكها فإنَّ عطاسَها سببُ الوداقِ

فقال : بل أنا من كلب ! فقالت :

إذا كلبيَّةٌ خضبتْ يداها فزوِّجها ولا تأمنْ زناهـا

فقال : أنا من ثقيف ! فقالت :

أضلّ الناسبونَ أبا ثقيفٍ فما لهمُ أبٌ الا الضلالُ

فقال : بل أنا من خزاعة ! فقالت :

باعت خزاعةُ بيتَ الله إذ سكِرَتْ بزقّ خمرٍ وأثوابٍ وأبرادِ

فقال : بل أنا من جرم ! فقالت :

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعَهُ فليس به بأسٌ وإن كان من جرْمِ

فقال : بل أنا من حنيفة ! فقالت :

أكلتْ حنيفَةُ ربَّها زمنَ التقحُّمِ والمجاعَه

فقال : بل أنا من عبد القيس ! فقالت :

علامة عبدِ القيسِ لا ينكِرونها أعاصير من فسوٍ عليهم تفتر

فضجر الرجل فقال : أنا من ابليس ! فقالت :

عجبْت مِن إبليسَ في تيهه وخبثِ ما أظهر من نيَّته
تاهَ على آدمَ في سجدةٍ وصار قواداً لذريّته

فقال : اعفيني ! فقالت إلى لعنة الله اذا نزلت بقوم فلا تجحد احسانهم ! خرج قتيبة منتزهاً فلقي اعرابياً فقال له : ممن الرجل ؟ فقال : من عبد قيس ! فقال : نسب مهزول ! فقال الاعرابي : ممن أنت ؟ فقال : من باهلة ! فقال : وا ويلاه وا هولاه ! أمثلك يقول نسبي مهزول وأنت بين الدعة والخمول ؟ فقال له قتيبة : يا اعرابي أيسرك انك أمير وأنك باهلي ؟ فقال : لا ولا خليفة الله في أرضه ! فقال : ولك حمر النعم ؟ فقال : لا ولا ما طلعت عليه الشمس ! فقال : وانك تدخل الجنة ! فأطرق ثم رفع رأسه فقال : ان كان ولا بد فعلى أن لا تعلم بذلك أهل الجنة ! فضحك قتيبة ووصله . وسأله اعرابي عن نسبه فقال : من باهلة ! فقال : أعيذك بالله ! وقال آخر لأعرابي : أنا مولى باهلة فأخذ الاعرابي يتمسح به ويقول : ما أبلاك الله بذلك الا وجعلك من أهل الجنة ! وتساب رجلان فقال أحدهما : يا ابن الزانية ! فقال الآخر : يا باهلي فقضى له وقيل له ربأت عليه . سأل اعرابي عبد الملك وقد رآه متنكراً : ممن أنت ؟ قال : من بني أمية ! فقال : أنتم في الجاهلية مربون في التجارة ، وفي الاسلام تعادون أهل الطهارة ، سيدكم حمار وأميركم حبار ، ان نقصتم عن أربعين لم تدركوا بثأر ، وان بلغتموه كنتم بشهادة الرسول من أهل النار ! وفجر على خالد بن صفوان ناس من بني الحارث بن كعب عند السفاح فقال له السفاح : ألا تتكلم يا خالد ؟ فقال : أخوال أمير

المؤمنين وعصبته ، وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد ؟ دل عليهم هدهد وملكتهم امرأة وغرقتهم فأرة ! فقال الجاحظ وقد بلغه مقاله : لئن تفكر في هذا الكلام وأعده انه لرواية كبير ، ولئن حضره حين حرك فما له في العالمين نظير ! وقال عمر ابن عبد العزيز لحميري : قومك الذين قالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ؟ فقال : وقومك الذين قالوا : فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ؟ فتبسم عمر رضي الله تعالى عنه .

من افتخر بنسبه فاعترض عليه بما أخجله :

قال قرشي لشريك : ألا ترى الى حسن ما قال الله تعالى فينا : وانه لذكر لك ولقومك ؟ فقال شريك : قد قال في موضع آخر : وكذب به قومك وهو الحق ! وقال علوي لرجل : انك تحتاج أن تدعو لي كل يوم خمس مرات تقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ؛ فقال : اني أقول معه الطيبين الطاهرين فاخرجك منهم ! ودخل رجل من ولد قتيبة الحمام وبشار في الحمام فقال : يا أبا معاذ وددت أنك مفتوح البصر فترى استي فتعلم أنك كذبت في قولك :

اذا أعيتك نسبةُ باهليّ فرفع عنه حاشيةَ الازار
على استاه سادتهم كتاب موالي عامر وسم بنار

فقال بشار : فأنت من سادتهم أو من سفلتهم ؟ فقال : بل أنا من سادتهم ! فقال : أخطأت انما قلت على أستاه سادتهم وأنت من سفلتهم لا من سادتهم !

من افتخر بأب مطعون فيه فعورض بتعريض أو تصريح :

قال بلال بن أبي بردة لابي الاسود : أنا ابن الحكمين ! فقال : أما أحدهما ففاسق ، وأما الآخر فمخدوع مائق ! أنشد بلالاً ذو الرمة :

وَحقّ لمن أبو موسى أبوه يوفقه الذي نصبَ الجبالا

فقال ابن أبي علقمة : والله ما وفق الله أبا موسى نفسه فكيف يوفق ابنه ؟

تفضيل العلوية على سائر الناس :

قال منصور لجعفر بن محمد : نحن وأنتم في رسول الله سواء ! فقال : لو خطب اليكم رسول الله ﷺ وتزوج منكم لجاز له ، ولا يجوز أن يتزوج منا فهذا دليل على أنا منه وهو منا ! وقال المأمون لعلوي : ما فضلكم علينا في العرب من رسول الله ﷺ ؟ فقال : انه عليه الصلاة والسلام يدخل على حرمنا ولا يدخل على حرمكم ! وقال عمر بن عبد العزيز يوماً ، وقد قام من عنده علي بن الحسين من اشرف الناس ؟ فقيل : أنتم لكم الشرف في الجاهلية والخلافة في الاسلام ! فقال : كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي ، فان أشرف الناس من أحب كل انسان أن يكون منه ، ولا يحب أن يكون من أحد وهذه صورته .

الممدوح بأنه من عترة الرسول :

أبو الغمر : تبوّأ من بيتِ النبوةِ مفخراً علا في السماء فوق قطبِ الكواكبِ
يخاطِبُ فيه الروحُ بالوحي جدَّه وقَدْكَ هما من مرسَلٍ ومخاطبِ

بشار : دم النبي مشوب في دمائهمُ كما يخالط ماءَ المزنةِ الضربُ

عبدالله بن موسى :

أنا ابنُ الفواطمِ من هاشمٍ ثاني عليٌّ وبنتُ النبي
إليَّ تناهى فخار الورى وكلهم لي بحقّ ولي

الحجة في أنهم أبناء الرسول صلى الله عليه وسلم :

قال الحجاج ليحيى : أنت تزعم أن الحسن والحسين أبناء رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ! قال : والله لاقتلنك إن لم تأت بآية تدل على ذلك ! فقال : نعم ان الله تعالى يقول : ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ، الى قوله : وزكريا ويحيى وعيسى وهو ابن مريم وقد نسبه اليه ! فقال الحجاج : أولى لك قد نجوت ! ولما أنزل الله تعالى آية المباهلة دعا النبي ﷺ الحسن والحسين فدعا بهما الى المباهلة ، ولما قدم على البصرة اتخذ الاحنف طعاماً فحضره ، فقعد على سرير والحسن عن يمينه والحسين عن يساره ، وجاء محمد بن الحنفية فلم يكن له على السرير موضع ، فقعد ناحية فتغير لذلك فقال امير المؤمنين له : إنهما ابنا رسول الله وأنت ابني !

ذم علوي :

كتب ابو الحسين بن طباطبا الى الكادوشي :

لن تحلبَ الشاة أفاويقها أو يخلعَ التيسُ عليها الرسنْ
فاحذرْ على ثغركَ من منعظ يقطع عن ضرعك عرقَ اللبنْ

فكتب اليه الكادوشي :

أبا حسنٍ أيّما حاجةٍ دعتك الى شين هذا النسب
تصونُ بعرضك عرضَ اللئامِ كأنكَ تحلهم عن نشَبْ
وتعنق في سبل المنكرا ت ظلماً لتنصرَ اهل الريب !
لذاك الخلافةُ لم ترضكم ولا نصرتكم عليها العرب
تحللتَ بالسبِّ لما رأيت أذيك صح ومن تسبَّ سُبّ

فإن لم نجد فيك مِن مغمزٍ سلكنا اليك طريق الكذِبْ !
ولولا النبي عليـه السلام ولولا عليّ لقيتَ العجب !

المتني : بها علوي جده غير هاشم

وله : اذا علويّ لم يكن مثل طاهرٍ فما هو إلا حجةٌ للنواصبِ

الخوارزمي :

كأن الله لم يخلقه إلا لتنعطفَ القلوب على يزيد !

ابن الحجاج علوي من أجله : رحم الله معاوية .

بعضهم في ذم جعفري وبكري :

إن كانَ جعفرُهم طيار اجنحةٍ فإن اولادَهم فينا مقاصيصُ
وإن تقولوا الى الطيار نسبتَنا فالتمر ينبتُ في أضعافه الشيصُ

قال أحمد بن يزيد : تعدّى بكري على أبي في مجلس فاحتمله وقال : احتملته كرامة لابي بكر ! فقال : ما أمكنك أن تقول فيّ فقل ! فقال أبي :

لا بارك اللهُ في البكريّ إن له أباً خياراً وسعياً غيرَ مختارِ
ثانٍ لراكبه رجليهِ معتملُ أبوه ثاني رسولِ الله في الغار
أبوكَ يعلو الى الفردوس سلّمهُ وأنتَ مقتحمٌ تهوي الى النار
وكان ثوباه من فضلٍ ومن كرمٍ وأنت ثوباك من خزيٍ ومن عار !

استنكاف العرب من الهجنة :

صار اعرابي الى سوّار القاضي فقال : ان ابي مات وتركني واخي فخط خطين ناحية ، وترك هجيناً فخط آخر ناحية بعيداً من الاولين ، فكيف يقسم المال ؟ قال : المال بينكم أثلاثاً ! فقال الأعرابي : لا أحسبك فهمت فأعاد عليه الفتيا فقال : المال بينكم سواء . فقال : ايأخذ الهجين كما نأخذ ؟ قال سوار : نعم . فغضب الاعرابي وقال : اعلم انك قليل الحالات بالدهناء ! فقال : لا يضرني . وجاء اعرابي الى المهدي في طريق مكة فقال : يا امير المؤمنين . أنا عاشق بنت عم لي وقد ابى ان يزوجنيها ! فقال : لعله اكثر منك مالاً . قال : لا . قال : فما القصة؟ قال : ادن مني يا امير المؤمنين . فضحك المهدي وأصغى اليه برأسه فقال سراً أنا هجين ! فدعا عمه وقال : لم لا

تزوج ابن اخيك ؟ فقال : انه هجين ! فقال : ان ذلك لا يضره إخوة امير المؤمنين كلهم هجناء ، زوجه فقد أصدقت عنه عشرة آلاف درهم ! قال الجاحظ : قلت لعبيد الكلابي وكان فصيحاً فقيراً : أيسرك ان تكون هجيناً ولك الف جريب ؟ قال : لا أحب اللؤم بشيء ! قلت : فان امير المؤمنين أبن أمة ! قال : أخزى الله من اطاعه ! قلت نبيا الله محمد واسماعيل كانا ابني أمة ! قال : لا يقول هذا الا قدري . قلت : فما القدري ؟ قال لا أدري :

شاعر : لا ارضعَ الدهرُ إلا ثغرَ واضحةٍ لواضح الجسمِ يحمي حوزةَ الجارِ

ذلة الموالي عندهم والاستخفاف بهم :

كانت العرب الى أن عادت الدولة العباسية اذ أقبل العربي من السوق ومعه شيء فرأى مولى دفعه اليه ليحمله معه فلا يمتنع ، ولا السلطان يغير عليه ، وكان اذا لقيه راكباً وأراد ان ينزله فعل ، واذا رغب أحدهم في مناكحة مولاة خطب الى مولاها دون أبيها وجدها ، وكان نافع بن جبير اذا مرت به جنازة فيقال عربي يقول : يا قوماه ! وان قيل مولى يقول : مال الله يأخذ ما يشاء ، ويدع ما يشاء ، ولا يقولون للمولى كريم ولا حسيب ، وانما يقولون فاره .

مناقب اولاد السراري :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ليس قوم أكيس من أولاد السراري لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم . عاتب هشام زيد بن علي وقال : بلغني أنك تريد الخلافة وكيف تصلح لها وأنت ابن أمة ؟ فقال : كان اسماعيل ابن أمة واسحاق ابن حرة ، فأخرج الله من صلب اسماعيل خير ولد آدم ! فقال هشام : اذاً لا تراني الا حيث تكره . كانت أم علي بن الحسين عليهما السلام جيهان شاه بنت يزدجرد ، أخذها الحسين من جملة الفيء ، وقال له امير المؤمنين : خذهـا فستلد لك سيداً في العرب ، سيداً في العجم ، سيداً في الدنيا والآخرة . ولما فتح قتيبة بعض بلاد العجم أخذ إحدى بنات يزدجرد فقال يوماً لبعض جلسائه : أترى ابن هذه يكون هجيناً ؟ فقالت امرأة : نعم من قبل الاب !

عذر الهجناء :

سابق عبدالملك بين بنيه فجاء الوليد سابقاً وسليمان مصلياً ومسلمة مكيتاً ، وكان ابن أمة فقال عبدالملك : لله در الاعور الشني حيث يقول :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم على خيلكم يوم الرهانِ فتدركوا
وما يستوي المرآن هذا ابنُ حرةٍ وهذا هجينٌ بضعه متشرك
قعدْن به خالاتُه فخذلنَه ألا إن عرق السوء لا بدّ يدرك

فقال : مسلمة بيني وبينك الشني آليس هو القائل :

وكائن ترى فينا من ابن سبيَّةٍ اذا لقي الابطال يطعنهم شزرا
فما زادها فينا السباء نقيصةً ولا احتطبَتْ يوماً ولا طبخت قِدرا

آخر : لا تزرين فتىً من أن يكونَ له أمٌّ من الرومِ او سوداء عجماء
فإنما أمهاتُ النـاس أوعيةٌ مستودعاتٌ وللاحسابِ آباء

أصناف الموالي :

الناس ثلاثة اصناف : عرَب وعجم وموال ، فالعرب قسمان : ولد اسماعيل بن ابراهيم وقحطان ابن عابر ، وهم هجان وهو الخالص ، وهجين وهو الذي امه أعجمية حرة كانت او أمة ، فاذا تردد فيه اعراق العجم فهو المعلهج ، وأما الفلنقس فهو الذي أمه أمة وخاله عبد ، والمكركس الذي أمه أمة وكذلك جدته وجدة أمه ، واذا أحدقت به الاماء فمحيوس من الحيس ، وهو الخلط ، واذا وصفوا الانسان بغاية اللؤم قيل فن ، وهو المملوك الابوين ، وعبد العصا لكل ذليل ، وعبد مملكة وكعبيد ذي الكلاع باليمن ، وعبيد بن الاشعث بن قيس من أهل نجران الذين حكم عمر رضي الله عنه بأن يردوا أحراراً بلا عوض ، وعبيد الاعتاق من سباهم النبي ﷺ من هوازن وفزارة وبني المصطلق ، وسماهم بذلك لانه سار بهم كسيرته في سبايا غيرهم ، ومن الموالي مولى السائبة وهذا كان في الجاهلية وهو الذي سيب نذراً الى الآلهة ، فلا يمنع من ماء ولا كلاء ولا يورث ولا يعقل عنه وصار خليعاً .

كون الموالاة قرابة :

قال النبي ﷺ : مولى القوم منهم . وقال ﷺ : الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يورث ! وقيل : الرجل لابيه والمولى من مواليه . وقيل : المعتق من فضل طينة المعتق . وروي ان سلمان أخذ من بين يدي النبي ﷺ تمرة من تمر الصدقة فوضعها في فيه ، فانتزعها النبي ﷺ من فمه فقال : انا يحل لك من هذا ما يحل لنا ! وقال عمر رضي الله عنه : أبو بكر سيدنا أعتق بلالاً سيدنا فأجراه مجراه في السودد . وكان المهدي يمشي وبين يديه عمارة بن حمزة فقال له رجل : من هذا يا امير المؤمنين ؟ فقال : هذا اخي وابن عمي عمارة ؛ فلما ولى الرجل قال عمارة : انتظرت ان تقول : ومولاي فانفض يدي من يدك ! فتبسم المهدي وقال : انا بنو هاشم موالينا أحب الينا من اهالينا . وكان لرجل عبد عامل فأراد ان يستخلفه فقال : لست استأثر عليكم ولأن اكون عبداً أحب الي من ان اكون عربياً لاحقاً !

فضلاء الموالي :

قال عمر رضي الله عنه : لو كان سالم مولى حذيفة حياً لاستلحقته . وولى رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على المهاجرين والانصار ، وولى عليهم أبو بكر رضي الله عنه سالماً يوم اليمامة ، وقال أبو بكر حين أرادوه على البيعة : علام تبايعون ولست بأقواكم ولا أتقاكم ؟ أقواكم عمر وأتقاكم سالم ؛ قال الله تعالى : افمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة . يعني بقوله أفمن يلقى في النار أبا جهل وبقوله أم من يأتي آمناً عمار بن ياسر .

فضيلة العجم :

قال النبي ﷺ : لا تسبوا فارساً فما سبه أحد الا انتقم الله منه عاجلاً وآجلاً . وحضر عند النبي ﷺ مجوسي حسن الهيئة وضيء الوجه ، فجعل تحته وسادة حشوها قز وأكرمه ، فلما نهض قال عمر رضي الله عنه : هذا مجوسي ! فقال : قد علمت ولكن أمرني جبريل عليه السلام ان أكرم كريم كل قوم . قال سليمان بن عبد الملك : العجب لهذه الاعاجم كان الملك فيهم فلم يحتاجوا الينا ، فلما ولينا لم نستغن عنهم ! وقال أيضاً : ألا تتعجبون من هذه الاعاجم ؟ احتجنا اليهم في كل شيء حتى في تعلم لغاتنا منهم . فقال المأمون : الشرف نسب فشريف العرب أولى بشريف العجم من وضيع العجم بشريفهم ، وشريف العجم أولى بشريف العرب من وضيع العرب بشريفهم ؛ وهذا كلام شريف. ورأى النبي ﷺ في المنام كانه ردفه غنم سود فردفتها غنم بيض ما يرى السود فيها لكثرتها ، فأخبر النبي ﷺ بذلك أبا بكر رضي الله عنه فقال : السود العرب ويسلمون ، والبيض العجم يسلمون بعدهم حتى ما يرى فيهم العرب لكثرتهم . فقال ﷺ : بذلك أخبرني الملك سحراً .

الممدوح بكونه من العجم :

بشار : نَمتْ في الكرامِ بني عامرٍ فروعي وأصلي قريشُ العجَم

وأنشد الموبذ :

أنا ابنُ المكارمِ من آل جم وطالبُ ارثِ ملوكِ العجَم
لنـا علمُ الكابيان الذي به نرتجي أن نسودَ الأمم
فقـل لبني هاشم أجمعين : هلموا إلى الخلع قبل الندم !
وعودوا إلى أرضكم بالحجاز وأكلِ الضبابِ ورعي الغنم
فاني لأعـلو سرير المـلوك بحـد الحسامِ ورأس القلم

أبو سعيد الرستمي :

بها ليلُ عزّ من ذوابةِ فارسٍ إذا انتسبوا لا من عرينة أو عكل
همْ راضةُ الدنيا وسادةُ أهلِها إذا افتخروا لا راضة الشاء والابل !

المستنكف والمزوي بهم :

سمع اعرابي يقول لآخر : أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة ؟ فقال الآخر : نعم أرى ذلك بأعمالهم الصالحة ! فقال : توطأ رقابنا والله قبل ذلك . وكان ناسك يقول : اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة ، وأما العجم فهم عبيدك والامر اليك . وقال زياد للاحنف : أرى هذه الحمراء قد كثرت وكأني أنظر الى وثبة منهم على العرب وعلى السلطان ، وقد رأيت أن أقبل شطراً وأدع شطراً لاقامة الشرف وعمارة الطرق .

ابن الحجاج

لا تغترِرْ أنك ِمن فارسٍ في معدنِ الملكِ وديوانهِ
لو حدثَتْ كسرى بذا نفسُه صفعتْه في جوفِ إيوانـه !

ذم النبط وأهل الرساتيق :

روي في الخبر ان النبي ﷺ قال : اذا تفيهقت الانباط ونطقت بالعربية وتعلمت القرآن فالهرب الهرب منهم ، فإنهم أكلة الربا ومعدن الشر وأهل غش وخديعة ! قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو كان الشيطان إنسياً ما كان الا نبطياً .

شاعر : نبط اذا عركَ الهوان بهم ذلّوا ، وان أكرمتهم ضغنوا

ورفع الى المأمون أن رجلًا شكا جاراً له وقال : واسيرة عمراه ! ذهب العدل منذ مات عمر. فاستحضره وسأله ، فذكر ما يشكو منه ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : من أهل ناتية وهم نبط! فقال المأمون : ان عمر كان يقول من كان جاره نبطياً فاحتاج إلى ثمنه فليبعه ، فان كنت تطلب سيرة عمر فهذا حكمه ! ثم أمر له بألف درهم وأمر صاحبه أن ينصفه . ولما نزل الحجاج واسطاً نفى النبط عنه ، وكتب الى عامله بالبصرة وهو الحكم بن أيوب يقول : اذا أتاك كتابي فانف من قبلك من النبط ، فانهم مفسدة للدين والدنيا فكتب اليه : قد نفيت النبط الا من قرأ منهم القرآن وتفقه في الدين ، فكتب اليه الحجاج : اذا قرأت كتابي فادع من قبلك من الاطباء ونم بين أيديهم ليفقوا عروقك ، فإن وجدوا فيك عرقاً نبطياً فاقطعه ، والسلام . وأمر بعض الملوك عاملًا له أن يصيد شر طائر . ويشويه بشر حطب ، ويبعثه على شر رجل ، فصادر خمسة وشواها ببعر ودفعها الى خوزي، فقال الخوزي : أخطأت في كل ما أمرك به الملك، صد بومة واشوها بدفلى وادفعها الى نبطي ولد

زنا ! ففعل الرجل وكتب به إلى الملك فقال الملك : أصبت ولكن كفى ان يكون الرجل نبطياً لا يحتاج الى ولد زنا ، فليس يزداد النبطي بذلك شراً ، فقد بلغ بجنسه الغاية ! قيل : اذا جاء الرستاقي بسلة فارغة ومعدة جائعة فاضرب الباب في وجهه ! وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن العباس : لم يظلم أحد كما ظلم أهل الرستاق لانهم غرسوا الخشب وليست تكسر الا على ظهورهم . ذكر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ انه قال : الاكراد جيل الجن كشف عنهم الغطاء ! وإنما سموا الاكراد لان سليمان عليه السلام لمـــا غزا الهند ، سبى منهم ثمانين جارية وأسكنهم جزيرة ، فخرجت الجن من البحر فواقعوهن ، فحمل منهم أربعون جارية ، فأخبر سليمان بذلك فأمر بأن يخرجن من الجزيرة إلى ارض فارس ، فولدن أربعين غلاماً ، فلما كثروا اخذوا في الفساد وقطع الطرق ، فشكوا ذلك الى سليمان فقال : اكردوهم الى الجبال ! فسموا بذلك أكراداً .

• • •

وممّا جاء في الدعوة

النهي عن ادعاء غير الاب :

قال الله تعالى : ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله . وقال ﷺ : ملعون ملعون من انتسب الى غير ابيه وانتمى الى غير مواليه ! وقال عليه الصلاة والسلام : الولد للفراش وللعاهر الحجر . ونهى رسول الله ﷺ عن قبول شهادة الزنيم .

المعرض بنسبه :

لقي مزيد رجلاً فقال له : ممن انت ؟ قال : قرشي والحمد لله . فقال : الحمد لله في هذا الموضوع ريبة.

ابو نواس :

اذا ذكرتَ عدياً في بني ثعل فقدّم الدال قبل العين في النسبِ

أحمد بن ابي سلمة :

حنفي كما زَعمْ وبريءٌ مِن الكرَم
زد عـلى الفاء نقطةً وارفعِ النونَ بالقلمْ

وقال زياد لرجل : يا دعي ! فقال : الدعوة قد تشرف بها المدعي علي فكيف عير بها ؟

التعريض بمن لا يشبه أباه أو ذويه خلقة :

قال عبد الملك لعبيد الله بن زياد : بلغني انك لا تشبه أباك ! قال إني والله اشبه به من الماء بالماء والتمرة بالتمرة ، ولكن ان شئت أنبأتك بمن لا يشبه اباه ؛ قال : من هو ؟ قال : من لم

يولد لئام، ولم ينضج في الارحام، ولم يشبه الاعمام! يعرض بعبد الملك. فقال: ومن هو؟ قال: سويد بن هجوف! فقال لسويد: اكذا انت؟ قال: نعم!

دعبل: إنّ بني عمرٍ ولأعجوبة تعجزُ عن وصفهمُ الفِكره
أبوهمُ أسمر في لونـهِ وهؤلاء لونُهم شُقره
أظنه حـينَ أتى أمّهم صيَّر في نطفته مُغره!

آخر: كأنهم خبز كتاب وبقال

وهيب الهمداني: ألوانهم إليك عنْ أنسابهم معتذرَه

كان بأصبهان مجنون يعرف بابن المستهام فقيل لاحمد بن عبد العزيز: انه مليح ذو نوادر. قال: فاستحضره فلما تأمله قال:

في اختلافِ الوجوهِ من آل عجلٍ لدليلٌ عـلى فسادِ النساء

فاراد ان يبطش به، ثم كف عنه مخافة ان يتحدث الناس بقوله فيكثر.

التعريض بمن لا يشبه أباه فعلاً:

دخل ابو الحسن بن طباطبا على احمد بن عثمان البري، وكان هجاه أبو الحسن باهاجي كثيرة فقال له: بلغني انك تشعر وتجيد. فقال: كذا يقول الناس. فقال له تعريضاً: أشعرت ان قريشاً لم تكن تجيد الشعر؟ وقال مروان بن ابي الجيوب في علي بن الجهم، وقد أجاد تعريضاً الى الغاية:

لعمركَ ما جَهْمُ بن بدرٍ بشاعرٍ وهذا عليّ ابنُه يدّعي الشعرا
ولكن أبي قد كان جاراً لأُمّهِ فلما ادعى الاشعارَ أفهمني أمرا

التعريض بالرجل ان ابنه من زنية:

اختصم الى معاوية في غلام ادعى فقال: ائتوني غداً أقض بينكما. فلما أتوه أخرج حجراً دفعه الى المدعي، يعني بذلك قول النبي ﷺ: وللعاهر الحجر، فقال له الرجل: أنشدك بالله هلاّ قضيت بقضائك في زياد؟ فقال معاوية: قضاء رسول الله ﷺ أولى بأن يتبع من قضائي! دخل ابن مكرم على أبي العيناء مهنئاً له بابن ولد له، فوضع عنده حجراً فلما خرج قيل لابي العيناء فقال: لعن الله هذا! أما تعلمون ما عني؟ إنما اراد قول النبي ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر. ورأى عنده منجماً فقال: ما يصنع هذا؟ قال: انه يعمل طالع مولد ابني. قال: فسله قبل هل هو ابنك حقيقة؟

آبو علي البصير :

أتانا أبو العينـاء بابنٍ مزورٍ   سنحكم فيه عادلاً غير جائرِ
نهنئه في أسبوعه وملاكه   فإن مات عزَّينا سعيدَ بن ياسرِ

وله فيه : لابي العيناء أولا دٌ هُمُ في النـاسِ آيه
فأبو القومِ سعيدٌ وأبو العينـاء دايَـه

وقيل لرجل : ولدت امرأة فلان بعد الزفاف بخمسة اشهر ؛ فقال : كان اناؤها ضارباً ! وقيل لآخر مثله فقال : إنه بنى جداره على أس غيره . وقال رجل من اولاد زياد لآخر : يا ابن الزانية ! فقال : لا تسبني بشيء به شرفت .

من راجع قاذفه بدعوة بأحسن تعريض :

كان بين يزيد بن معاوية وبين اسحق بن طلحة بن عبيدالله كلام بين يدي معاوية فقال يزيد : يا اسحق إن خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلهم الجنة ! فقال اسحق : وأنت والله لخير لك ان يدخل بنو العباس كلهم الجنة ! فانكر يزيد ولم يدر ما عناه ؛ فلما قام اسحق قال معاوية : أتدري ما عناه اسحق ؟ قال يزيد : لا . قال : فكيف تشاتم رجلًا قبل ان تعلم ما يقال لك وفيك ؟ إنه عنى ما زعم الناس ان أبا العباس أبي ، وكانت هند اتهمت به وبغيره ، ولذلك لما جاءت الى النبي ﷺ تبايعه فتلا عليها الآية ، فلما بلغ قوله ولا يزنين قالت : وهل تزني الحرة ؟ فنظر النبي ﷺ الى عمر وتبسم . وخاصم غيلان رجلًا من ولد زياد فقال له الزيادي : يا دعي ! فأنشد يقول :

بثينة قالت : يا جميل أربتنـا   فقلت : كلانا يا بثين مريب !

فبلغ قولهما ابن عائشة فقال : والله ان غيلان في التمثل بهذا البيت أشعر من جميل . وشاتم أعرابي ابنه فقال : لست بابني ! فقال الابن : أنا والله أشبه بأبيك ولأنت كنت اغير على امي من أبيك على أمك .

من احتمل عيباً لتصحيح نسبه :

نافر لهبي رجلًا من ولد عمرو بن العاص فعابه بسورة انا اعطيناك ، وعاب اللهبي بسورة تبت يدا أبي لهب ، فقال اللهبي : إنك لو علمت ما لأولاد أبي لهب من الدرك في سورة تبت لم تفه بها ، لان الله تعالى صحح نسبهم بقوله : وامرأته حمالة الحطب ، وانهم من نكاح لا من سفاح ، ونفى بني العاص بقوله : عتل بعد ذلك زنيم . والزنيم المنتسب الى غير ابيه . قال العودي : مضيت يوماً

في حاجة مع يحيى بن اكثم فاختصر بي طريقاً لم اعرفها ، فقلت له : أنا ابن بجدة هذه البلدة ومن لا يبرحها ولا أعرف هذا الطريق . قال : لان قول الشاعر لم يلحقك :

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا

فاحتمل هذا الهجاء تصحيحاً لنسبه .

المعروف بأنه عجمي او نبطي متعوب :

بشار : أرفق بعمرو اذا حرّكتَ نسبتَه فإنه عربيٌّ من قواريرِ

آخر : عربي في مجان نبطي في الحقيقة

مخلد الموصلي : أنت عندي عربي ليس في ذاك كلامْ
عربي عربي عربي والسلامْ
شعر أجفانك قيصو مٌ وشيحٌ وثمامْ

المدعى أكارم العجم :

لبعضهم :

يصيح لكسرى حين يَسمعُ ذكرَه بصماء عن ذكرِ النبيّ صدوفِ
ويعجبُه أخبارُ كسرى وذكرُه وما هو في أعلاجهم بشريفِ

جحظة : وأهل القرى كلهم ينتمونَ لكسرى ادعاءً فأين النبيط ؟

ذم مدعي العلوية :

محمد بن وهب :

فتىً لما رأى الانسابَ عزّاً تناولَ غير نسبةِ والديهِ
ويرضى أن يُقال له شريفٌ ومَن يرضى اذا كذبوا عليه ؟

ذم من يدعي نسباً موغوباً عنه :

قال حماد عجرد في بشار بن برد :

نُسبتَ الى بردٍ وأنتَ لغيرهِ فهبك لبردٍ نكت أمك من بردِ ؟

وهذا البيت في الهجاء من الابيات النادرة العجيبة ، وقيل : ان بشاراً لما سمع ذلك قال : تهيأ لحماد في هذا البيت بهجائي خمسة معان ارادها جرير في الفرزدق فلم يستكملها حيث يقول :

لما وضعتُ على الفرزدقِ ميسمي　　　وضع البغيثِ جدعْتُ انفَ الأخطلِ

وقال ابو محمد البريدي في الاصمعي :

أبِنْ لي دعي بني أصمعٍ　　　متى كنتَ في الأسرةِ الفاضله ؟
ومَن أنتَ هل أنتَ إلا امرؤٌ　　　إذا صحَّ أصلكَ من باهله ؟

المتقلب في الدعوة :

دعبل : كلَّ يومٍ لابي سعد على الانسابِ غاره
فهْو يومـاً في تميمٍ　　　وهْو يوماً في فزاره

وقال أبو نواس :

لهم في بيتهم نسبٌ　　　وفي وسط الملا نسبُ

من ادعى نسباً لاستفادته جاهاً أو نسباً :

خالد التار :

عصام بن فيض باللجينِ وبالذهبْ　　　ولبسِ الكسا والزعفران الذي يهب
ودارٍ بناهـا في ثقيفٍ ومسجد　　　يرّجي عصام أن يعدَّ مِن العرب

دعبل : ليهنِك دولة حدثتْ　　　فأحدثَ عزّها نسبا

من نسبه مقصور عليه :

قيل : فلان نفع بقاع ليس له فعل موصوف ولا نسب معروف .

شاعر : كالود بالقاع لا اصلٌ ولا ورقٌ

الجاحظ : نسب الحمّارِ مقصو رٌ اليها مُنتهاه

آخر : يقول سهلٌ : والدي صاعد　　　فقل لسهلٍ : من أبو صاعد ؟
للناس آباء ومـا ينتمي　　　سهل الى اكثرَ مِن واحدِ

آخر : ليس له ما خلا اسمَهُ نسبٌ　　　كأنـهُ آدمٌ ابو البشر

من صار مدعى بين جماعة :

خبر زياد بن أبيه معروف جعيفران :

ما جعفرٌ لأبيه ولا له بشبيهِ
هـذا يقولُ بني وذا يخاصم فيـه
والأمُّ تضحكُ منهم لعلمِها بأبيـهِ !

من نفى عنه الدعوة خسة :

قال ابن الزيات لابن أبي دؤاد في مناظرته : ما أنا بدعي ! فقال : صدقت ما دونك أحد فتستنزل اليه ، ولا فوقك من يقبلك فتنتمي اليه . وقال رجل بين يدي ابي عبيدة : ان الاصمعي دعي ! فقال : كذبت لا يدعى الى أصمع أحد !

شاعر : فما أنفيك كي تزدادَ لؤماً لا آلأم من أبيك ولا أذلا

المتشكك في أُمه فضلاً عن أبيه :

عبدان وهو من الابيات الجيدة المشهورة :

صحِّحْ لنا والدةً أوَّلاً وأنتَ في حل مِن الوالدِ

آخر : اذا أقمتَ لنا أمًّا فصح لهـا وأنت في حرج إن جئتنا بأب
إذا الادعيـاء ادّعوْا والداً وجدناك مدعياً والدهْ

مساور الوراق :

ابن عبد العزيز أدغم فيـه شبه مِن شرار كلّ قبيله
صدرُه من محـاربٍ ويداه من غنى ورأسه مِن بُجيـله

ذكاء ولد الزنا وفرعنته :

قال قدامة : أولاد الزنا أنجب لأن الرجل يزني بشهوة ونشاط ، فيخرج الولد كاملاً ، وما يكون عن حلال فعن تصنع للرجل الى المرأة .

ابن بوسة الاصبهاني :

إني اذا ما رأيتُ فرخَ زنـا فليس يخفى عليّ جوهرُه
لو في جدار يخط صورته لمـاج في كفِ من يصوّرُه

• • •

ومما جاء في الاقارب

فضل صلة الرحم وذم قطيعته :

قال الله تعالى : واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام . وقال النبي ﷺ : يقول الله انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته . وقال عبدالله بن ابي أوفى : كنا مع النبي ﷺ فقال : لا يجالسنا قاطع رحم ! فقام شاب فأتى خالة له ، وكان بينه وبينها شيء ، فأخبرها بقول النبي ﷺ ، فاستغفرت له واستغفر لها ، ثم رجع والنبي ﷺ في مجلسه فأخبره ، فقال النبي ﷺ : ان الرحمة لا تنزل على قاطع رحم . وقال ﷺ : صلة الرحم منماة للعود مثراة للمال منسأة في الاجل . وقال جعفر بن محمد : صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة . ثم تلا قوله تعالى : والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . وتذاكر واصلة الرحم فقال اعرابي : منسأة في العمر مرضاة للرب محبة في الاهل . وقيل : الصلة بقاء والقطيعة فناء .

حث الاقارب على التظاهر :

دعا اكثم بن صيفي أولاده عند موته ، فاستدعى بضامة من السهام ، وتقدم إلى كل واحد ان يكسرها فلم يقدر أحد على كسرها ، ثم بددها وتقدم إليهم ان يكسروها فاستسهلوا كسرها فقال: كونوا مجتمعين ليعجز من ناوأكم عن كسركم كعجزكم .

شعر : إن القداحَ اذا اجتمعن فرامَها بالكسر ذو حردٍ وبطشٍ ايدِ
عزت فلم تكسرْ وإن هي بددَتْ فالوهنُ والتكسيرُ للمتبددِ

عبد العنبري :

إذا ما أراد الله ذلّ قبيلةٍ رماهم بتشتيتِ الهوى والتخاذلِ

المراعي رحمه والحامي عليه :

بعض بني أسد :

وأستنفذ المولى مِن الأمر بعدما يزل كما زلّ البعيرُ عن الدحضِ
وامنحه مالي وودي ونصرتي وان كان محنيّ الضلوع على بغضي

بعضهم : ومولى جفَت عنه الموالي كأنه من البؤسِ مطليّ به القارُ أجربُ
رئمت إذا لم ترأم البازلُ ابنَها ولم يكُ فيها للمبسين محلبُ

تفضيل الاقارب على الاباعد وان عادوا :

لما استخلف يزيد بن المهلب ابنه بجرجان قال له : انظر الى هذا الحي من اليمن فكن لهم كما قال العباس :

فقومك إن المرء ما عاش قومُه — وإن لامهم ليسوا له بأباعدِ

ونحوه قول بعضهم : أدناك أدناك وان رفضك وقلاك ! وقال بعض بني قيس :

وآخ لحال السلمِ إن شئتَ واعلمَن — بأنَّ سوى مولاك في الجور أجنبُ
ومولاكَ مولاك الذي إن دعوتَهُ — أجابك طوعا والدماء تصبّبُ

آخر : لعمري لرهط المرء خيرُ بقيةٍ — عليه وان عالوا به كلّ مركبِ

استبقاء الاقارب لدفع الاباعد :

النعمان بن حنظلة :

اني لاستبقي امرأ السوء عدة — لعدوة عريض من القوم جانبِ
أخافُ كلابَ الأبعدين وهرشها — إذا لم تهارشْها كلابُ الأقاربِ

هبيرة المري :

ولا تهجرْ كلابَك واصطنعْها — لتُطعمَها كلابَ الأبعدينا

وله : وذوي ضِبابٍ مظهرين عداوةً — قرحى القلوب معاودي الافنادِ
ناسيتهم نقصاهم وتركتهم — وهم اذا ذكرَ الصديقُ أعادي
كيما أعدُهمُ لأبعد منهمُ — عدا السلاحِ إلى ذوي الأحقادِ

تفضيل بعض الاقارب على بعض :

قيل لامرأة اسر الحجاج زوجها وابنها واخاها : اختاري واحداً منهم . فقالت : الزوج موجود، والابن مولود ، والاخ مفقود ، أختار الاخ ! فقال الحجاج : عفوت عن جماعتهم لحسن كلامها !

ذم الاقارب :

قال بعضهم : الاب رب ، والعم غم ، والأخ فخ ، والولد كمد ، والاقارب عقارب .

شاعر : إن الأقاربَ كالعقاربِ أو أضرُّ مِن العقاربْ

آخر : يقولون عزٌّ في الأقارب إن دَنَتْ ... وما العزّ الا في فراقِ الأقاربِ
تراهم جميعاً بين حاسدِ نعمةٍ ... وبين أخي بغضٍ وآخر عائبِ

أبو نواس
وما أنا مسرورٌ بقربِ الأقاربِ ... اذا كان لي منهم قلوبُ الأباعدِ

تفضيل بعيد موال على قريب معاد :

قال مقاتل : صديق موافق خير من ولد مخالف . ألم تسمع قول الله تعالى : انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح ؟ وقيل : القرابة تحتاج إلى المودة والمودة تستغنى عن القرابة .

ربّ بعيدٍ كاخ ناصحٍ ... وابنِ أبٍ منهم الغيبِ
الزبيري : لَمغتربٌ يُسرّ بحسنِ حالي ... وان لم تدنِه مني قرابه
أحبُّ إليّ من ألفي قريبٍ ... تبات صدورُهم بي مستراَبه
بشار : ربما سرّكَ البعيدُ واصلا ... كَ القريبُ النسيبُ ناراً وعارا

يزيد بن الحكم :
ولقد يكونُ لك الغريبُ ... أخاً ويقطعُك القريبُ

التذمم لترك الاقارب واتباع الاباعد :

الحارث بن ظلامة :
سفهنا باتّباع بني بغيضٍ ... وترك الأقربين لنا انتسابا
سفاهة قارصٍ لما تروّى ... هراق الماء واتبعَ السّرابا

ذم من نفعه للاباعد دون الاقارب :

ابن الاحوص :
مِنَ الناس مَن يغشى الأباعدَ نفعُه ... ويشقى به حتى المماتِ أقاربُه
آخر : وماخيرُ من لاينفع الأهلَ عيشُه ... وإن مات لم تجزع عليه أقاربُه
آخر : فتى هو لابنِ العم كالذئب إن رأى ... لصاحبِهِ يوماً دماً فهو آكله

ذم من يناوىء ذويه ويضرع لاعاديه :

ذم اعرابي رجلاً فقال : هو أقل الناس ذنوباً إلى أعدائه ، واكثرهم تجرؤاً على أصدقائه وأقربائه. وقيل لمعاوية، ما النذالة ؟ فقال : الجراءة على الصديق والنكول عن العدو .

الجعدي : ألا إن قومي أصبحوا مثلَ خيبرٍ   بها الداءُ لكن لا يضرُّ الأعاديا

بيهس الضبي :

إذا مـا ألقى العدوّ فثعلبٌ   وعلى الاقاربِ شبه ليثٍ ضيغمِ

العطفاني : جهلاً علينا وجُبْناً عن عدوّهم   لبئست الخلتان : النكلُ والجبن !

زياد الاعجم :

تلين لأهلِ الغلّ والغم منهمُ   وأنت على أهلِ الصفاء غليظُ !

ايوب : تصول على الأدنى وتجتنبُ العِدا   وما هكذا تبنى المكارمُ يا يحيى

وأنتَ كفحلِ السوء يبدأ بأمّه   ويترك باقي الخيل سائمةً ترعى

كشاجم : وتراه يُكرمُ مَن نأى   عنه ويؤذي مَن حضرْ

كالشمسِ تنحسُ من دنا   منها ، وتسعِدُ مَن نظرْ

عذر من يكره بعيداً ويطرح قريباً :

إن يعجب الأقوام أني عندهم   من دون ذي رحم بها يتوصلُ

فبنو أميّةَ والفرزدقُ صنوهم   نسباً ، وكان وصالهم لا يقبلُ

عداوة الاقارب وتعسر ازالتها :

أعداؤكم أكفاؤكم ، والاقارب عقارب ، وأمسهم بك رحماً أشدهم لك لدغاً ! وقال جاويذان فروخ : ثلاث لا يستصلح فسادهم بشيء من الحيل : العداوة بين الاقارب ، وتحاسد الاكفاء ، والركاكة في الملوك . وكان ابن هبيرة يقول : اللهم احفظني من عداوة الاقارب .

طرفة بن العبد :

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً   على المرء من وقعِ الحسامِ المهنّدِ

ويروي عداوة ذي القربى :

الهيثم النخعي :

بني عمّنا إن العداوة شرّها　　ضغائنُ تبقى في نفوس الأقاربِ

بيغاء : للظلم بين الأقربين مضاضةٌ　　والذل ما بين الأباعدِ أروحُ

فإذا أتتك من الرجال قوارضٌ　　فسهام ذي القربى القريبة أجرحُ

من يتحامل على ذويه اذا رآهم في محنة :

عامر بن لقيط :

لعمرُكَ إني لو أخاصم حيَّة　　إلى قعفس ما أنصفتني قعفسُ

فما لهم طلساً إليّ كأنهم　　ذئابُ الفضا والذئبُ بالليلِ أطلسُ

عدي النبهاني :

أعاد على الدهر اذ حل بركه　　كفى الدهر لو وكلته بي كافيا

آخر : وكنت كذئب السوء لما رأى دما　　بصاحبه يوماً أحال على الدمِ

الحمية للاقارب وان كانوا أعداء :

في المثل : آكل لحمي ولا أدعه لآكل . وقيل : الحفائظ تذهب الاحقاد . لا يعدم الجوار من أمه حية .

شاعر : لكل امرء حالانِ بؤسٌ ونعمةٌ　　واعطفُهم في النائبات أقاربُه !

حريث بن جابر :

إذا ظالم المولى فزعتُ لظلمِه　　فحرّكَ احشائي وهرّت كلابيا

وقيل لاعرابي : ما تقول في ابن العم ؟ فقال : عدوّك وعدوّ عدوّك . ولما مات عبادة بن الصامت رضي الله عنه بكى عليه اخوه أوس بن الصامت فقيل له : أتبكي عليه وقد كان يريد قتلك ؟ فقال : حركني للبكاء عليه ارتكاضنا في بطن وارتضاعنا من ثدي .

التجافي عن ذنوبهم ومداواة عداوتهم :

قال الشعبي : لا يكون الرجل سيداً حتى يكون مستعملاً .

قول الشاعر :

وإني للبأس على المقت والقلى　　بني العم منهم كاشحٌ وحسودُ

أذبّ وارمي بالعصا من ورائهم　　وأبدأُ بالحُسنى لهم وأعودُ

سالم بن وابصة :

ونيرب من موالي السوء ذي حسبٍ يقتان لحمي وما تشفيه من قرم
داويت صدراً طويلاً غمره حقداً منْهُ وقلمتُ أظفاراً بلا جلَم

محمد بن عبدالازدي :

ولا أدعُ ابن العم يمشي على شفا وإن بلغتْني من أذاه الجنادعُ

الابيات كلها .

الموسوي :

لويت الى ودّ العشيرة جانبي على عظم داء بيننا وتفاقمِ
وقلمت أظفاري وكنت أعدّها لتمزيق قربى بيننا ومحارمِ
وأوطأتُ أقوال الوشاة أخامصي وقد كان سمعي مدرجاً للنمائمِ

تأسف من جنى عليه اقاربه فلم يمكنه الانتصاف منهم :

المتلمس : فلو غير أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما
وما كنتُ الا مثل قاطعِ كفِّهِ بكفٍّ له اخرى فأصبح أجذما
يداه أصابت هذهِ حتف هذهِ فلم تجدِ الأخرى عليه مقدما
فأطرقُ اطراقَ الشجاع ولو يرى مساغاً لنابيه الشجاع ليمّما

ذو الاصبع :

لولا اواصر قربى لستَ تحفظها ورهبة الله في من لا يعاديني
إذاً بريتُك برياً لا انجيابَ له إني رأيتك لا تنفكُّ تبريني

من جازى أقاربه بذنوبهم فتأسف لذلك :

العديل العجلي :

ظللتُ أساقي الهمّ اخوتيَ الالى أبوهم أبي عند المزاحِ وفي الجد
كفى حزناً ان لا أزال أرى القنا يمج نجيعاً من ذراعي ومن عضدي
وإني وإن عاديتهم وجفوتهم لتألم مما عضّ أكبادُهم كبدي

قيس بن زهير :

فإن أكُ قد بردت بهم غليلي فلم اقطعْ بهم الا بناني

آخر : فان تكُ حين تبلغهم بجرمٍ وإن ظلموا لمحترق الضمير

الحث على معاقبة من يعادي من الاقارب :

اوس بن حبنا التميمي :

إذا المرء اولاك الهوانَ فأولهِ هواناً وان كانت قريباً أواصرُه

غيره : إذا مولاك كان عليك عوناً أتاك القومُ بالعجبِ العجيبِ

فلا تخنعْ اليهِ ولا تردهُ ورام بنفسه عرض الجنوبِ

فما لك كالقلى في غير جد إذا ولى صديقُك من طبيبِ

من تبجح بمعاداة ذويه :

ارطاة بن سهية :

ونحن بنو عمّ على ذاتِ بيننا ذراني فينا بغضةٌ وتنافسُ

ونحن كصدع العِس إن يعط شاعبا يدعه ، وفيه عيبه متشاخس

تمثل يزيد بن معاوية لما بلغه قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بقول الفضل بن العباس بن عتبة

مهلًا بني عمّنا مهلًا موالينا لا تنبُشوا بيننا ما كان مدفونا !

الابيات وهي في الحماسة :

ذم من يتطاول على ذويه في الرخاء ويضرع لهم في اللاواء :

علمس بن عقيل :

فأما اذا عضت بك الحرب عضةً فإنك معطوفٌ عليكَ رحيمُ

وأما إذا آنستَ أمناً ورخوةً فإنك للقربى الدّ خصومُ

شاعر : اذا أخصبتمُ كنتم عدواً وإن أجدبتمُ كنتم عيالا

الشاكي ظلم مولاه وحده :

شاعر : اذا ما ابتنى المجد ابن عمك لم تعن وقلت : ألا ياليت بنيانه هوي

تملأ من غيظٍ علي فلم يزل به الغيظ حتى كاد في الغيظ ينشوي

عبدالله بن طاهر :

أخي مالك لا تنفك عن ترتي   كأن أعضاءنا لم تغذ من جسد ؟

ذم عشيرة بدد الجهل شملهم :

أبو يعقوب الجريمي :

كانوا بني أمّ ففرّق شملهم   عدمُ العقولِ وخفةُ الأحلام

علاق بن مروان :

وكانت بنو ذبيان عزاً واخوةً   فطرتم وطاروا يضربون الجماجما

وجوب تعظيم الاخ الاكبر :

حضر عند النبي ﷺ اخوة فتكلم أصغرهم فقال عليه السلام : كبروا كبروا ! وقيل لحكيم معه أخ أكبر منه : أهذا أخوك ؟ فقال : بل أنا أخوه . وكان بين الحسن والحسين رضي الله عنهما كلام فقيل للحسين : ادخل على أخيك فهو أكبر منك ! فقال : إني سمعت جدي ﷺ يقول : أيما اثنين جرى بينهما كلام ، فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه الى الجنة ، وأنا أكره أن اسبق اخي الاكبر ! فبلغ قوله أخاه فأتاه عاجلًا وأرضاه .

وصف أخوين مختلفين في الكيس والبله :

من الاخوين اللذين كانا لاب وأم وتفاوتا في العقل جداً علي وعقيل ابنا أبي طالب ، امهما فاطمة الاسدية ، ومعاوية وعتبة ابنا أبي سفيان أمهما هند بنت عتبة .

وصف أخوين وضيع ورفيع :

قال الاصمعي : لم يقل أحد في تفضيل أخ على أخ وهما لاب وأم مثل قول ابن المعتز لاخيه صخر :

أبوكَ أبي وأنت أخي ولكن   تفاضلت المناكبُ والرؤسُ

إبن أبي عيينة :

داود محمودٌ وأنت مذممٌ   عجباً لذاكَ وأنتما من عودِ !

فلرب عودٍ قد يشق لمسجدٍ   نصف وسائره لحش يهودِ

الموسوي :

تفرد بالعلياء عن أهل بيته   وكل بهديِهِ الى المجد والدُ

وتختلفُ الاثمـار في شجراتها   اذا شرقت بالماء والماء واحدُ

السيد الحميري :

فان قلتم : ابونا عبد شمس   فإن الزنج من اولادِ نوحِ

هما عرقانِ من اصلٍ جميعاً   ولكن ليس نبعٌ مثل شيحِ

ابو العواذل :

علي وعبدالله ينميهما ابٌ   وشتانَ ما بين الطبائعِ والفعلِ

الم ترَ عبدَاللهِ يلحي على الندى   علياً ، ويلحاه عليّ على البخلِ ؟

وقال رجل لاخيه : لأهجونك ! فقال : كيف تهجوني وأنا اخوك لابيك وامك ؟ فقال :

غلامٌ اتاه اللؤمُ من شطرِ نفسِه   ولم يأتِهِ من شطرِ أمٍ ولا ابِ

عذر من صارم أخاه وباعده وجفاه :

كتب الفضل بن سهل الى المأمون : أما بعد فان المخلوع وان كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة ، فقد فرق كتاب الله بينهما فيما اقتص علينا من نبأ نوح قال : يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح . فلا صلة لأحد في معصية الله ، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله والسلام.

٧ وقيل لاعرابي : لِمَ تقطع أخاك شقيقك ؟ فقال : أنا أقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب الي منه ، فكيف لا أقطعه اذا فسد ؟

وصف اخوة متفاوتة في الخلقة :

قال مخنث لابي عباد وكان قبيحاً ومعه أخ صبيح : ما أمك الا شجرة البلوط تحمل سنة بلوطاً وسنة عفصاً ؛ أخذه ابن طباطبا فقال :

أم أبي عيسى واسحقٍ غدَت مرتهنَه

بصورة قبيحةٍ جداً وأخرى حسنَه

متى تسل عن قصةِ ابنيها تقل : يا ابن هنه

أنا التي تشبهها البلوطَةُ الممتحنَه

تحملُ بلوطاً سنَه وتحمل العفصَ سنَه

لقد أتت بحجةٍ لله در الفطنه !

آخر : أما رأيتَ بني بدرٍ وقد حفلوا كأنهم خبز بقالٍ وكتابِ
هذا طويلٌ وهذا حنبلٌ جحد يمشون خلفَ عميرٍ صاحبِ البابِ

ما يجب ان يكون عليه فضلاء الاقارب :

قال عبد الملك لغيلان : أخبرني عن أفضل البنين . فقال : السار البار المأمون منه العار . قال : فافضل البنات . قال : المتعجلة الى القبر المفيدة أباها سنا الاجر . قال : فافضل الاخوان . قال : الشديد العضد الكريم المشهد ، الذي اذا شهد سرك واذا غاب برك . قال : فافضل الأخوات . قال : التي لا تفضح أخاها ولا تكسو عارا أباها . فقال عبد الملك : لله أم درت عليك !

فضيلة الخؤلة وكونها كالابوة :

يروى ان الاسود بن وهب خال رسول الله ﷺ استأذن عليه فبسط له رداءه فقال الاسود : حسبي ان أجلس على ما أنت عليه . فقال ﷺ : اجلس فان الخال والد فاجلسه عليه . وقال عمر رضي الله عنه : لئن بقيت لاسوين بين طرفي رسول الله ﷺ ، حتى اذا قيل بنو هاشم قيل بنو زهرة ، فإن الله اختارهم له من قبل أمه كما اختار بني هاشم من قبل أبيه . وقال الحجاج لابن معمر : انك تزعم ان الحسن والحسين رضي الله عنهما ابنا رسول الله ﷺ . قال : نعم . قال : والله لاقتلنك . فقال ابن معمر : أليس الله يقول ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيي وعيسى ؟ وانما عيسى ابن مريم ابن بنت ! فقال : نجوت .

ذم الخؤلة وانها ليست بنسب :

حسان بن وعلة :

اذا كنت في سعد وأمك منهمُ غريباً ، فلا يغررك خالك من سعد !
فان ابن أُخت القوم مصغ اناءه إذا لم تزاحم خاله بأب جَلدِ

وقيل : خالك كلبك فعامله بمعاملة الكلب . وتقدم شاب الى عبدالله بن الحسين فقال : ان جدي أوصى بثلث ماله لولد ولده ، وأنا من ولد بنته ، والوصي ليس يعطيني منه . فقال : لا حق لك فيه ، أما سمعت قول الشاعر :

بنونا بنو ابنائنا ، وبناتُنا بنوهن أبناء الرجال الأَباعدِ

المدعي قرابة بعيدة :

قال رجل لآخر : لست ترعى حقي وبيننا قرابة . فقال : من أين ؟ قال : ان أباك كان قد خطب أمي ، فلو تم الامر لكنت أنا أنت . فقال : هذه والله رحم ماسة ! وتعرض رجل لهشام وادعى

انه أخوه فسأله : من أين ذلك ؟ قال : من آدم . فأمر بأن يعطى درهماً فقال : لا يعطي مثلك درهماً ! فقال : لو قسمت ما في بيت المال على القرابة التي ادعيتها لم ينلك الا دون ذلك .

ابن مقرع في زياد :

وأشهدُ أنَّ آلك في قريشٍ   كآل السقب من ولدِ الحمار

وفي شعر آخر :   كآل السقب من آل النعام

م

الجزء الاول

ويليه الجزء الثاني

ابتداءً من «الحد السادس» صفحة ٣٦٩ :

(في الشكر والمدح والحمد والذم والاغتياب والادعية والتهنئة والهدية والمرض)

فهرس الجزء الاول

محاضرات الادباء

الجزء الثاني

من تراثنا

محاضرات الأدباء

ومحاورات الشعراء والبلغاء

لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني

الجزء الثاني

منشورات دار مكتبة الحياة

بيروت

شباط ١٩٦١ م

الحد السادس

في الشكر والمدح والحمد والذم والاغتياب والادعية والتهنئة والهدية والمرض

فمما جاء في الشكر

حقيقة الشكر :

قيل : الشكر ثلاثة : شكر لمن فوقك بالطاعة ؛ قال الله تعالى : اعملوا آل داود شكراً . ولمن فوقك بالافضال ؛ قال الله تعالى : ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم . ولنظيرك بالمكافأة ؛ قال الله تعالى : واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها . وقيل: الشكر ثلاث منازل : ضمير القلب ، وثناء اللسان ، والمكافأة بالفعل . وقال عمر بن عبد العزيز : ذكر النعم ؟ شكر .

ايجاب الشكر :

قال النبي ﷺ : من كان عليه يد فليكافىء عليها ، فإن لم يفعل فليثنين عليه ، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة . وقيل : اذا قصرت يدك بالمكافأة فليطل لسانك بالشكر .

شاعر : أَعليَّ لومٌ إن مدحتُ معاشراً خطبوا إليَّ المدحَ بالاموالِ ؟
يتزحزحونَ إذا رأوني مقبلًا عن كل متكأ مِن الإجلال

ذم الكفران :

خطب نصر بن سيار فقال : قال النبي ﷺ : من أنعم على قوم فلم يشكروه فدعا الله عليهم استجيب له فيهم ، اللهم اني قد أحسنت إلى آل سام فلم يشكروه ، اللهم فاذقهم حر الحديد ! فما دار عليهم الحول حتى قتلوا جميعاً . وقال الله تعالى : ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم . اذا قل الشكر حسن المن . روي عن النبي ﷺ انه قال : لعن الله قاطعي سبل المعروف ! فقيل : من هم ؟ قال : من أزهد في المعروف لكفران النعمة .

الحث على استزادة النعمة وارتباطها بالشكر :

قال الله تعالى : لئن شكرتم لأزيدنكم . وقال عمر رضي الله عنه : أهل الشكر في مزيد من الله تعالى لهذه الآية ، قيل : لا زوال للنعمة اذا شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت . الشكر نسيم النعم.

النعمة وحشية فاشكلوها بالشكر. وقال النبي ﷺ: أوطد الناس نعمة أشدهم شكراً. وقال النبي ﷺ: أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعمة اذا شكرت، ولا بقاء لها اذا كفرت، واذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة. وقال ابن المقفع: استوثقوا عز النعم بالشكر. وقيل: النعم اذا شكرت قرت، واذا كفرت فرت. قال ابن سقلاب: رأيت البحتري فقلت ما خبرك؟ فأنشد بديهة:

يزيدُ تفضلًا وأزيدُ شكراً   وذلك دأبُه أبداً ودأبي!

الحث عن الاسداء الى من لا يشكر:

عمرو بن مسعدة قيل: لا تصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفوائد عمله. وقيل: اصنع المعروف إلى من يشكره ويذكره، واطلبه ممن ينساه.

من تكفل لمسترفده بشكره:

دعبل: لأشكرن لنوحٍ فضل نعمتهِ   شكراً تصادر عنهُ ألسنُ العربِ

البحتري: فإن أنا لم أشكرك نعماك جاهدا   فلانِلتُ نُعمى بعدهاتوجبُ الشُّكرا

عمارة بن عقيل:

فلأشكرنّك بالذي أوليتني   ما بلّ ريقي للكلامِ لساني

أبو تمام: لئن جحدتُك ما أوليت مِن حسن   إني لفي اللؤمِ أحظى منك في الكرمِ

ولبعض المتأخرين:

لأملأن لسان الشكرِ فيك فقد   أطلقتهُ بفعالٍ ملؤهُ كرمُ

من لم يرد عنه خوفه عن شكر المحسن اليه:

بعث المنصور الى شيخ من بطانة هشام، فاستحضره وسأله عن تدبير هشام وأحواله، فأقبل الشيخ يقول: فعل رحمه الله، وقال يوم كذا رحمه الله! فقال المنصور: اقم لعندك الله اتطأ بساطي وتترحم على عدوي؟ فقال الشيخ: ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها الا غاسلي! فقال المنصور: ارجع الى حديثك فإني أشهد أنك غرس شريف وابن حرة! ولما قتل مسلمة بن عبد الملك يزيد بن المهلب أمر بأن يحضر الشعراء ليقولوا في ذلك، فلم يألوا ان ذكروه بأقبح ما قدروا عليه، ما خلا رجلًا من بني دارم، فإنه قال: لا أذم رجلًا لا أملك ربعاً ولا مالاً ولا أثاثاً الا منه، ولو قطعت إرباً إرباً، ولقد رثيته بأحسن ما يرثى به رجل، فأنشد أبياتاً رائعة. فجزاه سليمان خيراً وقال: لا اصطنع فليصطنع مثل هذا.

المظهر عجزه عن شكر المنعم عليه :

أبو الوفاء :

أيادي لا أستطيع كنه صفاتها ... ولو أن أعضائي جميعاً تكلمُ

وقال بعضهم : شكري لا يقع من نعمه المتظاهره موقع النقطة من الدائره .

شاعر : ولو أن لي في كل منبت شعرة ... لساناً يبث الشكر فيك،لقصرا

آخر : واسكتني نعمى كأني مفحم ... ولم أر مثلي مفحماً وهو مقول

آخر : أيادي منهم ليس يبلغها الشكر

الغساني : أثقلتَ بالشكرِ كل عاف ... فراقبِ اللهَ في الرقابِ

آخر : ما زلتَ تحسنُ ثم تحسنُ عائداً ... وأعود شاكرَ نعمةٍ فتعودُ

فتزيدُني نِعَماً وأشكرُ جاهداً ... فكذاك نحنُ ! تزيدُني وأزيدُ !

آخر : فان يكُ أربى عفو شكركَ عن يدي ... أناسٌ فقد أربى نداه على شكري

المستنكف آلاء معطيه عجزاً عن شكره :

المتنبي : ولم نملْ تفقدكَ الموالي ... ولم ندمم أياديك الجساما

ولكنّ الغيوثَ إذا توالت ... بأرضِ مسافرٍ كرهَ الغماما

محمد بن أبي عمران :

رويدكَ لا تعنفْ علي وأعفِني ... على حسب أقضى ما أطيقُ مِن الشُكرِ

وقد أجاد أبو نواس في هذا المعنى :

أنتَ امرؤ جللتني نعماً ... أوهت قوى شكري فقد ضعُفا

لا تسدينّ اليّ عارفةً ... حتى أقومَ بشكرٍ ما سَلفا

وقد أبدع البحتري في هذا المعنى حيث يقول :

أخجلتني بندى يديَّ وسوّدت ... ما بيننا تلك اليدُ البيضاء

وقطعتني بالجود حتى انني ... متخوفٌ أن لا يكونَ لقاء !

وله ايضاً :

إيهاً أبا الفضل شكري منك في نصبٍ أقصر فما ليَ في جدواك من أربِ
لا أقبلُ الدهرَ نيلًا لا يقومُ له شكري ، ولو كان مسديه الى أبي

وقال العثماني في الصاحب :

وفدنا لنشكرَ كافي الكفاة ونسألهُ الكفَّ عن برِّنا

فقال العلوي : قد كفيت فان الصاحب صار لا يعطي شيئاً !

من لا يخفي اياديه :

أياد تتضوع ونعم تسطع وآلاء تتطلع .

الشمردلي :

أياديك لا تخفي مواقعَ صوبها فتعفو اذا ما ضيع الحمدُ والشكرُ
وهل يستطيعُ الارض من بعدما انطوت على ريّها انكارَ ما فعلَ القطرُ

نصيب :

فعاجوا فأثنوا بالذي أنتَ أهلُه ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ

آخر :

هبِ الروضَ لا يثني على الغيث نشره أمنظره تخفى مآثره الحسنا ؟

أبو الحسين الحسنى :

وكيف بكفراني صنائعَهُ التي إذا جحدت يوماً أقرّ بها جلدي

ذكر الحال بأنها منبئة عن المقال :

في المثل : لسان الحال أفصح من لسان الشكر . وقال الجاحظ : نحن نزخرف باللسان والناس يقضون بالعيان ، وفي امرنا أثر ينطق عنا ويتكلم اذا سكتنا .

الموسوي :

واذا سكتُّ فإن أنطق من فمي عني يــدُ المعروفِ والإحسانِ

المسلف شكره قبل النعم :

محمد بن عمران :

شكرتكَ قبل الخير ان كنتَ واثقاً بأني بعد الخير لا شكّ شاكرُ

عتبك من شكرته ولما يستوجب :

مسلم : فما من يد قدمتها كنتَ مثنياً   عليكَ ولكني هززتك للمجدِ ا
وإن شئتَ ألقيتَ التفاضل بيننا   وقلنا جميلاً ، واقتصرنا على الحمدِ

آخر : وشكرُ الفتى من غيرِ عرفٍ ولا يدٍ   ولا منةٍ توليه هزةُ عاتبِ

الصاحب :

وإذا الصديقُ أدام شكري للتي   لم آتها إلا على التقديرِ
أيقنتُ أن العتبَ باطنُ أمرِه   فسكتُّ محتشماً على التقصيرِ

آخر : إذا ما المدحُ صارَ بلا ثوابٍ   من الممدوحِ كان هو الهجاء

دعبل : لا يقبلون الشكرَ ما لم ينعموا   نعماً يكونُ لها الثناء تبيعا

وقيل : من رضي بالثناء قبل الاستحقاق تبين ضعف عقله .

الحث على الشكر بقدر الاستحقاق :

قال امير المؤمنين رضي الله عنه : الثناء من غير الاستحقاق ملق ، والتقصير عن الاستحقاق عي . وقال رجل لابن الاعرابي : إن نصيباً يقول : انما تمدح الرجال على قدر ثوابها . فقال : ان العرب تقول : على قدر ريحكم تمطرون .

شكر من همّ باحسان وان لم يفعله :

من لم يشكر على حسن النية لم يشكر على اسداء العطية . وكتب الصاحب : ان شكرت فاشكر النية لا العطية ؛ قال الشاعر :

لأشكرنّك معروفاً هممتَ به   ان اهتمامكَ بالمعروفِ معروفُ
ولا أذمّك إن لم يمضه قدرٌ   فالشيءُ بالقدرِ المحتومِ مصروفُ

ثقل الحمد وتفضيله على الرفد :

محمود : فما بلغت أيدي المنيلين بسطة   من الطول إلا بسطةُ الشكرِ أطولُ
ولا رجحَتْ في الوزنِ يوماً صنيعةٌ   على المرء إلا منةُ الشكرِ أثقلُ

آخر : تبهج لي بعرف تشتريه   بشكرِك إنه بالشكرِ غالِ

أبو تمام : والحمد شهدٌ لا ترى مشتارَه يجنيه الا مِن نقيع الحنظـلِ
غلٌ لحاملهُ ويحسبُه الذي لم يوهِ عاتقـهُ خفيفَ المحملِ

ومن باب ثقل الشكر ما روي عن بعض الصالحين وقد قيل له : مالك لا تطلب الدنيا ؟ فقال : من خاف السؤال عن الشكر طابت نفسه عن المال .

المستغني عن رفد من استغنى عن الشكر :

عبيدالله بن عبدالله بن طاهر :

لئن طبتَ نفساً عن ثنائي إنني لأطيبُ نفساً عن نداك على عسري

أبو العتاهية :

ما فاتني خيرُ امرىء وضَعتْ عني يداه مؤنة الشكـرِ

ذم من يكفر نعمة :

قال الله تعالى : قتل الانسان ما أكفره ! وقال : وقليل من عبادي الشكور . وقيل : من لم يشكر الناس لم يشكر الله ؛ وأخذه البحتري فقال :

فمن لا يؤدّي شكـرَ نعمةِ خله فأنّى يؤدي شكـرَ نعمةِ ربّه ؟

وقال النبي ﷺ : اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة قال لعبد هل شكرت فلاناً ؟ فيقول : يا رب علمت أنك المنعم فشكرتك ، فيقول الله تعالى : لم تشكرني اذا لم تشكر من أجريت ذلك على يده . وقيل : اذا وقع الكفر وجب المن .

الخبزارزي :

من لم يلاقِ كراماتِ الرجالِ له بالشكر أصبح في طرق الهوانِ لقي

أبو تمام :

شرّ الاوائلِ والاواخرِ ذمةٌ لم تُصطَنع ، وصنيعةٌ لم تشكَرِ

وقيل : هو أكثر من ناشرة . وكان قد أخذه همام بن مرة من أمه وأرادت ان تئده فلما بلغ سعى في قتل همام . وقيل : من لم يحمد صاحبه على حسن العطية كيف يحمد على حسن النية ؟

• • •

ومما جاء في المدح ومستحقيه والهجو وذويه

وصف الثناء بالبقاء والترغيب فيه :

فسر قول الله تعالى « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » بأنه الثناء الحسن . وقال تعالى : وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم . أي يقال له هذا . أطول الناس عمراً أعمهم بالخير ذكراً في الثناء الباقي على الدهر خلف من نفاد العمر .

الأسدي :

وإني أحب الخلد لو استطيعه   وكالخلد عندي ان أبيت ولم ألم

آخر :   وبقاءُ الذكرِ في الاحياء للاموات ِ عمْرُ

وقالت الروم : ما فني من بقي ذكره ، وقيل لبزرجمهر حين كان يقتل : تكلم بكلام نذكره . فقال : الكلام كثير ولكن إن امكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل .

شاعر في معناه :

وكنْ أحدوثةً حسُنت فإني   رأيت الناسَ كلُّهمُ حديثاً

آخر : أرى الناسَ أحدوثةً فكوني حديثاً حسَن

ولما جعل ابن الزيات في التنور قال له خادمه : يا سيدي قد صرت الى ما صرت وليس لك حامد ! قال : وما نفع البرامكة صنيعهم ؟ قال : ذكرك لهم الساعة . فقال : صدقت ! وقال :

حبُّ الثناء طبيعةُ الإنسان

التحذير من ألسنة الشعراء وذمهم :

قيل : اتقوا ألسنة الشعراء فانها سمة لائحة وأنشد :

وللشعراء ألسنةٌ حِداد   على العورات ِ موفيةٌ دليله

إذا وُضعَتْ مكاويهم عليها   وان كذبوا فليس لهنّ حيلَه

ومن عقل الفتى أن يتقيهم   ويدفعَهم مدافعةً جميله

فضل الشكر على الوفر والحمد على الوفد :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة هرم : ما وهب أبوك لزهير ؟ فقالت : أموالاً فنيت

وأثواباً بليت وأشياء انتسيت . فقال عمر رضي الله عنه : لكن ما أعطاكموه زهير لا يفنى ولا ينسى! وكتب ارسطوطاليس إلى الاسكندر : ان كل عقيلة يأتي عليه الدهر فيخلق اثره ويميت ذكره الا ما رسخ في القلوب من الذكر الحسن يتوارثه الاعقاب .

التخويف من فعل يورث قبح الذكر :

قال بعضهم : فلان حافظ من اليوم أعقاب الاحاديث في غد .

عوف بن محلم :

فتى يتقي ان يخدشَ الذمّ عرضه ولا يتقي حدّ السيوف البواترِ

أبو لحاد : حذارِ الأَحاديث التي يوم غبّها عقدن بأعناقِ الرجالِ المخازيا

حث محب الحمد على اسداء النعم :

قال حكيم : من أحب الثناء فليصبر على بذل العطاء ، وليوطن نفسه على الحقوق المرة ، وعلى احتمال المؤنة . قال شاعر :

ما أعلم الناسَ أنّ الجودَ مكسبةٌ للحمدِ لكنّه يأتي على النشبِ

وقال : أي أحدوثة تحب ، فكنها .

فضل استقبال الانسان بمادحه :

خياركم من ملئت مسامعه من حسن الثناء وهو يسمع ، وشراركم من ملئت مسامعه من قبح الثناء وهو يحذر . وقال خالد بن سالم : دخلت على أسامة بن زيد فأثنى علي ثناء حسناً ثم قال لي : إنما حملني على أن أمدحك وجهك لأني سمعت النبي ﷺ يقول : اذا مدح الانسان في وجهه ربا الايمان في قلبه . وقال رجل لرسول الله ﷺ : إني أحب أن أمدح ! فقال : وما عليك ان تعيش حميداً وتموت فقيداً . وروى عنه ﷺ أنه قال : ما أحد أحب اليه المدح من الله عز وجل فقد مدح نفسه وأمر العباد بمدحه .

كراهية ذلك :

سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على آخر فقال : قطعت مطاه لو سمع ما أفلح . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : المدح ذبح . وقيل : ان الاطراء يدعو الى الغفلة . ولما جرح عمر رضي الله تعالى عنه أثنى عليه الناس فقال : المغرور من غررتموه ، لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع . وقيل : استحياء الكريم من المدح أكثر من استحياء اللئيم من الذم . وأثنى رجل على هشام بن عبد الملك فقال : انا اكره المدح . فقال : لست أمدحك ولكني أحمد الله فيك !

استحسان المدح بين الاخوان واستقباحه :

قيل : اذا قدم الاخاء سمج الثناء .

كشاجم : ومستهجنٍ مدحي له ان تأكدَتْ لنا عقد الاخلاص والحق يمدحُ
وما بي الذي في القلب الا تبيّناً وكل اناء بالذي فيه يرشحُ

التحذير ممن يمدحك في وجهك تصنعاً :

قيل : أعوذ بالله من صديق يطري وجليس يغري . وكان رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه وعلم من قلبه خلاف قوله فقال له : أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك ! الجاحظ : شر الشكر ثناء المواجه لك المسرف في مدحك ، وخيره ثناء الغائب عنك المقتصد في وصفك . وصف العتابي رجلًا بالمداهنة فقال : ذلك ان وجد مادحاً مدح ، وان وجد قادحاً قدح، وان استودع سراً افتضح .

أبو فراس :

ولا تقبلنَّ القولَ من كلِّ قائلٍ سأرضيكَ مرأى لست أرضيكَ مَسمعا

التحذير ممن يتجاوز الحد في مدحك :

قيل : كن ممن أفرط في تزكيتك أحذر ممن أفرط في الزراية بك . وقيل : من مدح الرجل بما ليس فيه فقد بالغ في ذمه . وفي المثل : من حفنا أو رفنا فليقتصد . وقيل : من أحب أن يمدح بما ليس فيه استهدف للسخرية .

من وضع نفسه وكره الثناء :

لما ولي أبو بكر رضي الله عنه خطب فقال : إني وليتكم ولست بخيركم ؛ فلما بلغ الحسن قوله قال : بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه . وقال الفضيل : لو شممتم رائحة الذنوب مني ما قربتموني . واثنى على زاهد فقال : لو عرفت مني ما عرفت من نفسي لابغضتني .

المتنبي : يحدّث عن فضلِه مكرهاً كأنَّ له منه قلباً حسودا

ما يقول الفاضل عند مدح الناس له :

كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول اذا مدح : اللهم أنت أعلم مني بنفسي منهم ، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون . وقيل لاعرابي : ما أحسن الثناء عليك ؟ فقال : بلاء الله عندي أحسن من وصف المادحين وان أحسنوا ، وذنوبي الى الله أكثر من عيب الذامين وان أكثروا .

النهي عن المدح قبل الاختبار :

قيل : لا تهرف قبل أن تعرف . وقيل : لا تحمدن أمة عام شرائها ولا حرة قبل بنائها . وقال رجل لعمر رضي الله عنه : ان فلاناً رجل صدق . فقال : هل سافرت معه أو ائتمنته ؟ قال : لا. فقال : اذا لا تمدحه لا علم لك به ، لعلك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد .

عتب من يمدح نفسه :

قيل : خطب معاوية خطبة حسنة فقال : هل من خلل ؟ فقال رجل من عرض الناس : خلل كخلل المنخل ! فاستدعاه وقال : ما ذاك الخلل ؟ فقال : اعجابك به ومدحك له ! وقيل لحكيم : ما الذي لا يحسن وان كان حقاً ؟ قال : مدح الرجل نفسه . وقال معاوية لرجل : من سيد قومك ؟ فقال: أنا . فقال له : لو كنت كذلك لم تقله . وسئل الشاعر الاهوازي : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت والله أظرف الناس ، وأشعر الناس ، وآدب الناس ! فقال السائل : اسكت حتى يقول الناس ذلك! فقال : أنا منذ ثلاثين سنة انتظر الناس وليسوا يقولون . ومدح اعرابي نفسه فعوتب في ذلك فقال: أكله اليكم اذا لا تقولون أبداً .

الرخصة في ذلك :

قال النبي ﷺ : أنا سيد العرب ولا فخر . وحكى الله تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام أنه قال : إني حفيظ عليم . ولم يستقبح ذلك من الشعراء اذ قالوه نظماً .

عذر من يحوج الى مدح نفسه ومن عرض بذلك :

قد أحسن ابن الرومي في ذلك حيث يقول :

وعزيز علـي مدحي لنفسي غير أني جشمتُه للدلالة
وهو عيبٌ يكاد يسقط فيه كل حرّ يريد يُظهرُ حاله

ووصف للمنصور مشير بن ذكوان فامر باشخاصه اليه ، فلما دخل قال له : أعالم أنت ؟ فقال : أكره أن أقول نعم وفيه ما فيه ، أو أقول لا فاكون جاهلاً . فأعجب المنصور بجوابه وألزمه المهدي . وسأل المأمون عبدالله بن طاهر عن ابنه فقال : ابني ان مدحته ذممته ، وان ذممته ظلمته الا أنه نعم الخلف لسيده من عبده اذا اخترمته منيته .

من عجز الشعراء عن استيعاب مدحه :

الماكي : جهدتُ ولم أبلغ مداك بمدحةٍ وليس معَ التقصير عندي سوى العذرِ

وفي شعر آخر : وليس على من كان مجتهداً عتبُ

آخر : يزيد على شأوي زيادٌ وجرولٌ　　وقدغودر ابن‌العبد في نظمه عبدي

أشجع : مدحناهم فلم ندركْ بمدحٍ　　مآثِرَهم ولم نتركْ مقالاً

المتنبي : وقدوجدت مكانَ القولِ ذاسعةٍ　　فان وجدت لساناً قائلًا فقلِ

ابن الحجاج :

هو البحر إن حدثتُ عن معجزاتِه　　ضعفت عن استغراق تلك العجائبِ

وإن رام شعري أن يُحيطَ بوصفِه　　أحاط بشعري العجزُ من كل جانب

من كثرت بمادحه سهل الشعر على مادحه :

قيل للفرزدق : أحسن الكميت في الهاشميات ! فقال : وجد آجراً وجصا فبنى . كتب بعضهم: ت شيمه على المداح مستغلقات الكلام . وقال آخر : جود آل المهلب تركهم اهدافاً للمديح .

أحمد بن أبي طاهر :

إذا نحن حكنا الشعر فيك تسهلَتْ　　علينا معانيهِ وذلّتْ صعابُهـا

فما انتظمت إلّا عليكَ عقودُها　　وما انتشرت إلا عليك ثيابُها

ابن الرومي :

كرمتم فجاش المفحمونَ لمدحكم　　اذا رحزوا فيكم أبيتُم فقصدوا

كما أزهرتْ جنّاتُ عدنٍ واثمرتْ　　فاضحتْ وعجمُ الطير فيها تغردُ

وله : عجبتُ لمن يهديه للشعر مدحُكم　　وتنطقه أيامُكم وهو مفحمُ

قال نصيب الاصغر :

ما لقينا من جودِ فضل بن يحيى　　تركَ الناسَ كلَّهم شعراءَ

فاجمعوا على جودته وانه لا عيب فيه الا انه منفرد .

عابدة المهلبية :

فيا يوماً أديـلَ الموتُ فيهِ　　وقال السيفُ للشعراء : قولوا !

من أحيا بافضاله طريقة الشعر :

أبو تمام : ملِكٌ إذا ما الشعر حارَ ببلدةٍ　　كان الطريقَ لطرفِهِ المتحيرِ

وله : وحياةَ القريضِ احياؤُك الجو　　دَ فإن مات الجود ماتَ القريضُ

المتنبي : يا أيها المحسن المشكورُ من جهتي والشكر من قبَلِ الإحسان لا قبلي

عابدة المهلبية :

إليّ إليّ أيتها القوافي سيغلي مهرَكَ الملكُ الجليلُ

ويروى للخوارزمي :

خذي ثار الكسادِ من الليالي لكل صناعةٍ يوماً مديلُ

وقيل لذي الرمة : لم خصصت بلالاً بمدحك ؟ قال : لانه وطأ مضجعي وأكرم مجلسي فاستولى بذلك على شكري ومدحي .

المستفاد منه ما يمدح به :

أحمد بن اسمعيل :

واني وإن أحسنتُ في القول مرة فمنك ومن احسانك امتارها جسمي

آخر : تعلمت مما قلته وفعلته فأهديت حلواً من جناي لغارسِ

ابن طباطبا :

لا تنكرنَّ إهداءنا لك منطقاً منكَ استفدنا حسنَهُ ونظامَهُ

والله عزّ وجلّ يشكرُ فعل مَن يتلو عليهِ وحيَه وكلامَهُ

آخر : إن جد معنى فمن جدواه معتصرُ او جلّ لفظاً فمن علياهُ مهتصرُ

المعني بكل مدح حسن :

متى ما أقلْ في آخرِ الدهر مدحةً فما هي إلا في ليالي المكرم

المتنبي : فظنوني مدحهمُ كثيراً وأنتَ بما مدحتهمُ مرادي

من يليق به مدحه :

المتنبي : واصبح شعري منهما في مكانه وفي عنق الحسناء يُستحسنُ العِقدُ

ابن الرومي :

خذها هديا ولم أنكحكها عزباً يا ابنَ الوزيرِ وكم أنكحت من عزب !

علي بن عبدالعزيز :

وأرى المديح اذا عداكَ نقيصةً فأعافُه ولو انه في حاتمِ
فاذا امتدحتُ سواكَ قالَ الشعر لي: لم ترعَ حقي اذ أبحتَ محارمي

من يستطاب مدحه :

أبو تمام : عذبَتْ مدائحُه بأفواهِ الورى فثناؤه ينتابُ كلَّ مكانِ
المتنبي : ألذُّ من الصهباء بالماء ذكرُه وأحسَنُ من يسرٍ تلقاه معدمُ

المجمع على مدحه :

ذكر اعرابي رجلًا فقال : كأن الالسن والقلوب ريضت له ، فما تعقد الا على وده ولا تنطق الا بحمده . وقيل : غاية المدح أن يمدحك من لا معرفة له بك ضرورة الى مدحك ، وان يسلفك حسن الثناء من عسى أن لا يصل منك الى نفع .

البحتري : وأرى الخلق مجمعين على فضْلِك من بين سيِّدٍ ومسودِ
عرفَ الجاهلونَ فضلك بالعلمِ وقال الجُهَّالُ بالتقليـدِ

إبن أبي طاهر :

وما أنا في شكري علياً بواحدٍ ولكنه في الفضلِ والجودِ واحدُ

من لا يجد أحد عن مدحه محيصاً :

قال أبو عمرو : غاية المدح أن يمدحك من لا يريد مدحك ، وغاية الذم أن يذمك من لا يريد ذمك . وكتب بعضهم : الجاحد فضلك كمن سمى النهار ليلًا والشمس ظلاً .

ابن الرومي :

يا مَن اذا قلت فيه صالحة عند عـدوٍّ أقرَّ واعترفا

آخر : ليس يستطيعُ أن يقولَ المعادي فيك إلا الذي يقول الموالي

السلامي : فما عثرَتْ لكم تهم الأعادي على خلقٍ ولا خُلُقٍ قبيحٍ !

من مدحه صدق غير منحول :

الاحوص :

وما أثْن من خيرٍ عليك فإنه هو الحقّ معروفاً كما عُرِفَ الفجرُ

ابن الرومي :

إذا امتدحوا لم ينحلوا مجدَ غيرِهم   وهل ينحل الأطواق ورق الحمائم ؟

وكتب بعضهم : مما يبسط لسان مادحك أمنه من تحمل الاثم فيه وتكذيب السامعين .

من يُتزين بمادحه المدح والمداح :

ابن الرومي :

أنتَ زنتَ القلائدَ الزهرَ قدماً   ضعفَ ما زانت القلائدُ جيدَكَ

الرفاء : إذا القوافي بذكره اشتملت   عطَّرها ذكرُهُ وحلَّاها

آخر : وتزيّنَتْ بصفاتِهِ المدحُ

آخر : عُلىً تطيبُ بريّاها مدائِحُنا   كالمسكِ تأخذُ منه الريحُ أعرافا

المستغني عن المدح لكثرة فضله :

كتب بعضهم : إذا أنا تعاطيت مدحك فكالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، وهل يخفى ذلك على الناظر ؟

البحتري :

جلّ عن مذهبِ المديحِ فقد   كادَ يكونُ المديحُ فيه هجاء

المتنبي : تجاوز قدرَ المدح حتى كأنّه   بأكثرِ ما يُثنى عليه يُعابُ

من ذكر أن احداً لا يستغني عن الشكر :

شاعر : فلو كان يستغني عن الشكر ماجدٌ   لعزّة ملكٍ وارتفاعِ مكانِ

لما أمرَ اللهُ العبادَ بشكرِه   فقال: اشكروا لي أيها الثقلان

مدحك محسناً لم ينلك احسانه :

أبو تمام :

وحسبي ان أطري الحسام اذ امضى   وإن كان يوم الروع غيري حامله

عمارة بن عقيل :

أرى الناس طرّاً حامدين لخالدٍ   وما كلهم أفضت اليه صنائعُهْ
ولن يترك الاقوام أن يحمدوا الفتى   إذا كرمت أعراقُه وطبائعُه

المعتذر الى رئيس لمدحه غيره :

كان ابن الزيات عاتب أبا تمام في مدحه سواه ، فاعتذر اليه بقوله :

أما القوافي فقد عضلت عذرتها   فما يصابُ دمٌ منها ولا سلبُ
ولو منعت من الاكفاء ايّها   ولم يكن لك في اظهارها اربُ
كانت بنات نصيب حينَ ضنّ بها   عن العوالي ولم تحفل بها العربُ

قال بعض الاكابر لابي هفان : ما لك لا تمدحني ؟ فقال :

لسان الشكر تُنطقُه العطايا   ويخرسُ عند منقطعِ النَّوالِ

تبكيت من يذم من لا يستحق الذم :

قام رجل في أيام صفين الى معاوية فقال : اصطنعني فقد قصدتك من عند أجبن الناس وأبخلهم وألكنهم ! فقال : من الذي تعنيه ؟ قال : علي بن أبي طالب ! فقال : كذبت يا فاجر ! أما الجبن فلم يك قط فيه ، وأما البخل فلو كان له بيتان بيت من تبر وبيت من تبن لانفق تبره قبل تبنه ، وأما اللكن فما رأيت أحداً يخطب ليس محمداً ﷺ أحسن من علي اذا خطب ، قم قبحك الله ! ومحا اسمه من الديوان . وقف رجل على شيرويه فقال : الحمد لله الذي قتل ابرويز على يديك وملكك ما كنت أحق به منه وأراحنا من عتوه ونكده ، فقال للحاجب : احمله الي . فقال له : كم كان رزقك ؟ قال : ألفان . قال : والآن . قال : ما زيد شيء . قال : فما دعاك الى الوقوع فيه وانما ابتداء نعمتك منه ولم نزد لك . وأمر أن ينزع لسانه من قفاه .

بخيل راغب في مدح بلا صلة :

العفالي : عثمان يعلم ان المدحَ ذو ثمنٍ   لكنه يبتغي حمداً بمجانِ
والناسُ أكيسُ مِن أن يمدحوا رجلاً   حتى يروا عنده آثارَ إحسانِ

علي بن الجهم :

أردت شكراً بلا برٍّ ومرزية   لقد سلكت طريقاً غير مسلوك !

البحتري :

خطب المديحَ فقلت: خلِّ طريقه ليجوزَ عنكَ فلستَ من أكفائه

أخذه أبو تمام حيث يقول :

تزحزحي عن طريق المجدِ يا مضرُ

عذر من يغتاب مسيئاً :

قال المتوكل لابي العيناء : الى كم تمدح الناس وتذمهم ؟ فقال : ما أحسنوا وأساؤوا ، وذلك دأب الله عز وجل ، رضي عن عبد فمدحه وقال : نعم العبد انه اواب ، وغضب على آخر فزناه فقال : ويلك وكيف زناه ؟ قال : انه قال في الوليد : عتل بعد ذلك زنيم ؛ والزنيم هو الداخل في القوم وليس منهم ؛ ثم أنشد :

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ولم أذمم الجبسَ اللئيمَ المذمما

ففيم عرفتُ الخيرَ والشرَّ باسمِه وشق لي الله المسامِعَ والفَما ؟

ابن ابي عيينة :

أنا ما عشتُ عليه اسوأ الناسِ ثناء

إن من كان مسيئاً لحقيقٌ أن يساء

تذمم من مدح لئيماً فحرمه :

قال اعرابي وقد مدح رجلاً فخيبه : إن فلاناً تعدى بلؤمه من تسمى باسمه ، ولئن خيبني فلرب قافية قد ضاعت في طلب كريم . ومدح بشار المهدي بشعر فخيبه فقيل له : لعلك لم تستجد المدح . فقال : لو مدحت بشعري ذلك الدهر لم أخش صرفه على حر ، ولكن أكذب في العمل وأخيب في الأمل وأنشد :

إني مدحتك كاذباً فأثبتَني لما مدحتك ما يثابُ الكاذبُ

ابن الرومي وقد هجا كبيراً أمل منه كثيراً فأجازه حقيراً :

أتيتُكَ مادحاً فهجوتَ شعري وكانَتْ هفوةٌ مني وغلْطَه

لذلك قيل في مثلٍ سخيفٍ : جزاء مقبِّل الوجعاء ضرطه !

ولابن ربذة :

مدحت الغالي بمدحِ صدقٍ فقابل مدحتي بجريبِ حنطه

فإن لاقيتَه يا صاح يومـاً فحي سباله عني بضرطهْ

أبو هشام الباهلي :

لكل أخي مدح ثوابٌ يعُدّه   وليس لمدح الباهليِّ ثوابُ
مدحت ابنَ سلم والمديح مهزةٌ   فكان كصفوانٍ عليه ترابُ

ومدح اعرابي رجلًا فلم يعطه فقال المادح : إنه أباحني عرضه فتنزهت له .

٦ أبو الهول :

هززتُك للعلى فكبوتَ عنها   كبوَّ البغلِ طالَ به التعني

آخر : ولم ألبسْك ثوبَ الفخرِ إلا   وجدتُك قد خريت على الطرازِ

آخر : ألا في سبيل الله سعيٌ سعيته   فمرّ ضياعاً لا ثوابٌ ولا يدُ
فخيبة آمالي وعصيانُ خالقي   وكفّارة الزورِ الذي كنت أنشد
متى يستحق الأجرَ من ظلّ عاكفاً   على صنمٍ يعنو له ثم يسجدُ ؟

ومدح مخنث رجلًا فذمه الرجل ، فالتفت الى القوم وقال : اكذب عليه ويكذب علي ليعلم أينا أكذب !

من رد اليه مدحه :

مدح ابن الرومي بعض الكتاب بشعر وتردد اليه طالباً جائزته ، فدفع شعره الى غلامه وقال : امدح به غيري فلست ارغب فيه ، فقال :

رددْتَ عليّ شعري بعد مطلٍ   وقد دنّستَ ملبسَهُ الجديدا
وقلت : امدحْ به من شئتَ غيري   ومن ذا يقبل المدحَ الرديدا ؟
وما للحي في اكفانِ ميتٍ   لبوسٌ بعدما امتلأت صديدا

من استرده لما حرم الجدوى :

ابن الرومي :

رُدّوا عليّ صحائفاً سوّدتها   فيكم بلا حقٍّ ولا استحقاقِ

وله : ان كنتَ مِن جهلِ حقي غيرَ معتذرٍ   وكنتَ من ردّ مدحي غيرَ متئبِ
فأعطني ثمنَ الطرسِ الذي كتبتْ   فيه القصيدة أو كفارةَ الكذبِ

من لا يليق به المدح :

البحتري : خطبَ المديح فقلت: خلّ طريقه ليجوزَ عنك فلستَ من اكفائه

منصور بن باذان :

نبَتِ المدائحُ عن طبائِعِه ولقد يليقُ بوجهِهِ القذفُ

سلم الخاسر :

فإن تعطني جرمٌ لأني امتدحتها فما علمت جرمٌ لها مادحاً قبلي

مدح أبو خليفة رجلًا فلم يكن منه ما يحب فقال : لله در الكميت حيث يقول :

وقرظتُكم لو انّ تقريظَ مادحٍ يواري عواراً من أديمكم النغل

قال أبو نواس لما مات جعفر بن يحيى : لا يكون في الدنيا اكرم منه هجوته وقلت فيه :

ولستُ وان أطنبتُ في مدحِ جعفرٍ بأولِ إنسانٍ خرى في ثيابِه

فأمر لي بعشرة آلاف درهم وقال : اغسل بها ثيابك التي خريت فيها !

الموسوي :

مدحتهمُ فاستقبح المدحُ فيهمُ ألا ربَّ عنقٍ لا يليق بهِ العقدُ

من لا يستحق الهجو لخسته ودناءته :

قال أبو مسلم لاصحابه : أي الاعراض أدنأ ؟ فقال بعضهم : عرض بخيل ! فقال : رب بخيل لم يكلم عرضه ، أدنأ الاعراض عرض لم يرتع فيه حمد ولا ذم . وقيل للفرزدق : وضعت كل قبيلة الا تيما . فقال : لم اجد حسباً فأضعه ولا بناء فأهدمه . وقال ابن مناذ لرجل : ما لك اصل فأحقره ولا فرع فأهصره . وقال رجل للنمري : اهجني ! فقال : انما يهجو مثلك مثلك وقال :

إني لاكرمُ نفسي ان أكلفَها هجاء جرمٍ وما يهجوهمُ أحدُ

ماذا يقولُ لهم من كان هاجيَهم لايبلغ الناس ما فيهمْ وان جهدوا

مسلم : اما الهجاء فدقّ عرضك دونه والمدحُ فيكَ كما علمتَ جليلُ

فاذهبْ فأنت طليقُ جدّك إنه جد عززت به ، وأنت ذليل

المتنبي : فلو كنتَ امرأً يُهجى هجَونا ولكنْ ضاق فترٌ عن مسيرِ

أخذه من قول الراعي :

لو كنتَ من أحدٍ يهجى هجوتُكمُ يا ابن الرقاع ، ولكن لست من أحدِ !

من لا يهتز لمدح ولا يغتم لهجو :

قال رجل لحكيم : لا أبالي مدحت أم هجيت ! فقال : استرحت من حيث تعب الكرام . وقيل : من لا يبالي سخط الكرام وشكية الاحرار فطوقه سوءة الحمار . وقيل : ليعد ميتاً من لم يهتز لمدح ولا يرتمض من ذم .

ابن الرومي : فما يرتاحُ للمدحِ ولا يرتاحُ للذمِّ

وله : لا يبالي الشمّ عرضٌ كله شتمٌ وذمّ

ابراهيم بن المدبر :

أحقُّ الناس كلهمُ بعيبٍ مسيء لا يبالي أن يُعابا

قال أبو نواس وقد تبجح بقلة مبالاته وبما يقال فيه ، ويعني بذلك في باب تعاطيه الخسارة !

جريت مع الصّبا طلقَ الجموحِ وهان علي مأثورُ القبيحِ

من يشرف بالهجو :

أبو نواس :

أصبح فضلٌ ظاهرَ التيهِ وذاكَ مذ صِرت أهاجيهِ
كم بينَ فضلٍ منذ هاجيته وبينه قبل هجائيه

من يصدق هاجيه ويكذب مادحيه :

متقال : ما قلت فيكَ هجاءً خلته كذباً إلا بدت لك سوآت تحققُه

ابن الرومي :

خير ما فيهمُ ولا خير فيهمْ أنهم غير آثمي المغتاب

منصور بن باذان :

أبا دلف يا أكذبَ الناس كلهم سواي فاني في مديحك أكذبُ

ونظر رجل الى أبي هفان يحدث آخر فقال : فيم تكذبان ؟ فقالا في مدحك .

من لا يأثم هاجيه :

ورد في الحديث : اذكروا الفاسق بما فيه . وقيل : لا غيبة للفاسق .

عبدان: وقالوا في الهجاء عليك إثمٌ وليسَ الإثم الا في المديحِ
لأني ان مدحتُ مدحتُ زوراً وأهجو حين أهجو بالصحيح

المهجو بكل لسان :

ذكر اعرابي قوماً فقال : قد سلخت اقفاؤهم بالهجاء ودبغت جلودهم باللؤم ، لباسهم في الدنيا الملامه ، وزادهم في الأخرى الندامه .

الداعي على هاجيه وعائبه :

نظر الفرزدق إلى رجل ذي عمة فقال :

قبحت العينان تحت العمه

فقال : بل قُبح الهاجي وناك أمه

البسامي : من هجاني من البرية طرًّا وسعى في مساءتي أو لحاني
فاللواتي عليه حرّمهن الله في سورة النساء زواني

أخو دعبل :

بنيت قافية قيلت تناشدها قومٌ سأترك في أعراضهم ندبا
ناكَ الذين رووها أمَّ قائلها وناك قائلها أمّ الذي كتَبا

ذم قبيح الكلام :

قيل : قبيح الكلام سلاح اللئام . وسمع المهلب رجلاً يسب آخر فقال : اكفف فوالله لا ينقى فوك من سهكها أبداً . وقال يزيد : اياك وشتم الاعراض فان الحر لا يرضيه من نفسه شين .

النهي عن المشاتمة وذم الغالب منها :

قال النبي ﷺ : البذاء لؤم وصحبة الاحمق شؤم . وقال ابن عامر : دعوا قذف المحصنات تسلم لكم الامهات . وقيل : المبتدىء شاتم نفسه والبادىء أظلم . وشتم رجل حكيماً فقال : اسكت فلست أدخل في حرب الغالب فيها شر من المغلوب . وقال أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه : ما تسابّ اثنان إلاّ غلب ألأمها .

شاعر : وانك قد سابيتَني فغلبتَني هنيئاً مريئاً أنتَ بالسبِّ أحذقُ !

وقيل : ما تسابّ اثنان إلا انحط الأعلى إلى مرتبة الاسفل . وقال حذيفة بن بدر لرجل : أيسرك أن تغلب شر الناس ؟ قال : نعم . قال : لن تغلبه حتى تكون شرًّا منه . نازع رجل المهلب فأربى عليه فقيل : لم أمسكت عنه ؟ فقال : كنت اذا أردت اجابته رغبت في غلبة اللئام ، وكان اذا سبني تهلل وجهه واستنار لونه وتبجحت نفسه ، فان ظفر فبفضل القحة ونبذ المروءة وخلع ربقة الحياء ، وقلة الاكتراث بسوء الثناء .

الحث على قطع مادة الذم بالسكوت عنه :

قيل : من سمع كلمة كرهها فسكت عنها انقطعت وإلا سمع اكثر منها . وما أحسن ما قال الشاعر:

وتقلق نفس المرء من أجلِ شتمة   فيشتم ألفاً بعدها ثم يصبرُ

وقيل : اذا سمعت كلمة تؤذيك فتطأطأ لها تتخطاك .

شاعر : كلما خفتُ من لئيم جواباً   فأطلتُ السكوتَ عنه غممتُه

وشتم الحسن رجل وأكثر فقال : اما انت فما أبقيت شيئاً وما يعلم الله اكثر .

ذم من ينزه عن سبه :

قيل : ذم من كان خاملاً اطراء . وشتم رجل آخر فلم يرد عليه ، فقيل له في ذلك فقال : أرأيت لو نبحك كلب أتنبحه ، أو رمحك حمار أكنت ترمحه ؟ وقال آخر :

قد ينبحُ الكلبُ النجوما

آخر : وما كلُّ كلب نابحٍ يستفزّني   ولا كلما طنَّ الذبابُ أُراعُ

شاعر : شاتمني عبدُ بني مسمعٍ   فصنتُ منه النفسَ والعِرضا

ولم أجبْهُ لاحتقاري لهُ   من ذا يعضُّ الكلبَ إن عضّا

علي بن الجهم :

بلاءٌ ليس يشبههُ بلاءٌ   عداوة غير ذي حسبٍ ودينِ

ينيلكَ منه عِرضاً لم يصنْه   ويرتع منك في عِرضٍ مصونِ

ونحو ذلك ما قال جرير لذي الرمة : هل لك أن تهاجيني ؟ فقال : لا إن حرمك قد هتكتهن الاشعار فما فيهن مرتع !

شاعر : أوكلما طنَّ الذبابُ زجرتُه   إنّ الذبابَ إذاً عليّ كريمُ

وقيل لنصيب : ألا تهجو فلاناً وقد حرمك ؟ فقال : انما كان ينبغي أن أهجو نفسي حيث سألته ! فقيل : ويحك قد هجوته بأشد هجاء !

أبو علي بن عروس الشيرازي :

ومتى هجيت فقد مدحت لقد غلا   سوم البعوضة إن رماها الصائدُ

عبدالله بن خلف :

دناءة عرضك حصنٌ منيعُ يقيك إذا شاء منك الضبيعُ
فقل لعدوّك ما تشتهي وأنت الرفيعُ المنيعُ الوضيعُ

من لا يخاف لكونه ممتنعاً بغيره :

قيل : وقف جدي على سطح فمر به ذئب فأقبل الجدي يشتمه ، فقال الذئب : لست تشتمني وانما يشتمني المكان الذي تحصنت به ! منصور بن باذان :

لو كنتُ أجسرُ أن أقولا أشفيتُ من نفسي الغليلا
لكن لساني صارمٌ منثت مضاربُه فلولا

آخر : وما جهلت مكان الآمريك بذا يامن هويت، ولكن في فمي ماء

اجابة من عابك تعريضاً بما عابك به :

كتب ابن مكرم الى ابي العيناء : لست أعرف طريقاً للمعروف أحزن ولا أوعر من طريقه اليك ، لانه ينضاف الى حسب دنيء ولسان بذي ، وجهل قد ملك عنانك ! فكتب اليه أبو العيناء في أسفل رقعته :

وأنتَ رعاكَ الله فينـا فإنما مدحت بفضلٍ ضعفُه فيكَ يوجدُ

فعدوه أبلغ من الأول . قال ابن مكرم لابي العيناء : يا مخنث ! فقال : وضرب لنا مثلا ونسي خلقه . وقال ابن ثوابة لرجل : يا مأبون ! فأنشد :

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إن بدت ونجمُ الثريا ، والمزارُ بعيدُ

وقال رجل لآخر : يا دعي ! فقال :

عبدُ شمسٍ أبوكَ وهو أبونـا لا نناديك من مكانٍ بعيدِ

وقال رجل لآخر : يا ابن الفاعلة ! فقال له ذاك : يا ابن الصالحة أكذب حتى أكذب ؛ وعلى هذا المعنى قال :

ثالبني عمرو فثالبتُـه فأثم المثلوبُ والثالبُ
قلت له خيراً ، وقال الخنى كل على صاحبِهِ كاذبُ

وقال رجل لشاعر : انك تغتاب المحصنات . فقال : اذاً لا بأس على عيالك مني .

تعريضات عن الاجوبة في الذم بالنثر والنظم :

لما قال كعب الاشتر لزياد الاعجم :

واقلف صلى ، بعد ما كان أمة　　يرى ذاك في دين المجوس حلالا

فقال زياد : لا جزيت أمه خيراً فقد أسبرته أني أقلف ! ولما قال جرير لابن الرقاع :

يقصِّرُ باعُ العاملي عن العلا　　ولكن أيرُ العاملي طويلُ !

قال ابن الرقاع :

أأمك كانت أخبرتْكَ بطولهِ　　أم أنتَ امروٌ لم تدرِ كيف تقولُ ؟

فقال : لم أدر كيف اقول . ولما قال ارطاة بن سهية للربيع بن قعنب :

لقد رأيتُك عرياناً ومؤتزراً　　فما دريتُ أأنثى أنتَ أم ذكرُ

فقال الربيع :　　لكن سهية أدرى يوم زرتكم

ومر الفرزدق بباب المكاري فقال :

وكم من هنٍ يا باب ضخم حملته　　على الرجل فوق الاخدري المراكب

فقال باب : قد حملت النوار فيمن حملت . فقال الفرزدق : غلبني والله ! ولما قال مسكين الدارمي :

ناري ونار الجارِ واحدةٌ　　وإليه قبلي ينزل القدر

قالت امرأته : نعم لان القدر والنار للجار . ولما قال ابراهيم بن هرمة :

لامنع العودَ بالفصالِ ولا　　أبتاعُ إلا قريبة الأجلِ

قال المزيد : صدق ابن الحبيثة ، فإنه يشتري شاة الاضحية فيذبحها من ساعته . وتبجح رجل فقال : ان أبي ممن قال فيهم شاعر :

يقومُ القعودُ اذا أقبلوا

فقال له : صدقت لانه كان بين يديه حمل شوك .

من قصد مدحاً فاتفق منه هجو :

عيب على جرير قوله :

تعرضت تيم لي عمداً لاهجوَها　　كما تعرض لاستِ الخارىء المدرُ

فقيل : جعل نفسه است الخارىء ، ولو هجي بهذا لكان كثيراً ! وقد تقدم في هذا المعنى باب في كتاب الشعر .

التهديد بالهجاء :

لما هجا جرير حنيفة بقوله :

إن اليمامة أضحتْ لا انيسَ بها   الا حنيفة تفسو في مناحيها

لقيه عطية بن دعبل الحنفي فقال : يا جرير إنك قد عرفت نصرة الفخم وان لي سيفاً يختصم الجزور فوالله لئن عدت لهجاء قومي لاسيلنه منك بشرطين . فقال : لا أنطق بعد هذا ، فاعف هذه المرة ! وتهدد الفرزدق رجلًا بالهجاء فقال له : قل واصدق ! فقال : اذاً اقول خيراً .

أبو القاسم بن ابي العلاء :

دع الفضائح تخفى   والليث في الغيل رابض

وله : لا تخرجني من خيسي فتنكرني   وتؤذيَ الناسَ أحياءً واموانا

كأنني بك قد ضيّعت موعظتي   وجئتني نادماً والامرُ قد فاتا

ومما جاء في الغيبة والنميمة

حقيقة الغيبة :

محمد بن عبيدة الغيبة : ان تغتابه اذا أقلع لا أن تغتابه وهو مقيم على فسقه . ولذلك قال النبي ﷺ : ليس للفاسق غيبة . وقال عليه الصلاة والسلام : ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فقد بهته . وقيل : ما قلته في وجه الرجل ثم تقوله من ورائه فليس بغيبة . وقال بعض الفقهاء : الغيبة ان تذكر الانسان بما فيه من العيب من غير أن تحوج اليه ، وفي ذلك احتراز مما يقول الشاهد عند الحاكم .

ذم الغيبة والنميمة وفضل تركها :

قال الله تعالى : ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ؟ فما رضي بأن جعله آكلًا لحم أخيه حتى جعله ميتاً . وقال النبي ﷺ : الغيبة أشد من الزنا لان الله تعــالى يتوب على الزاني ، ولا يغفر الغيبة الا بتحليل صاحبها . وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما : إياك والغيبة فانها أدم كلاب النار . وقال قتيبة : لرجل يغتاب آخر : لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام ، الغيبة مرعى اللئام وجهد العاجز . وقال المأمون : حسبك من السعاية ان ليس في الدنيا صدق مذموم غيرها ، وقال تعالى : همّاز مشّاء بنميم . وقال النبي ﷺ : لا يدخل الجنة

قتاة : وقال : النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء . وقال : من قلّ ماله وكثر عياله وحسنت صلاته ولم يغتب المسلمين كان معي يوم القيامة كهاتين . وقال : عذاب القبر من ثلاثة : من الغيبة والنميمة والبول . وقيل : الساعي غاش وان قال قول المتنصح . وقال ابن أكثم : القول بالمحاسن في المغيب فريضة على كل ذي نعمة . وقال المأمون لابنه العباس : قلم أظفـــارك من جليسك ، فأخس الناس من دمي جليسه بظفره . قال : ولله در القائل :

لا أخدشُ الخدشَ بالجليسِ ولا يخشى جليسي اذا انتشبتُ يدي

من امتنع أن يجعل مغتابه في حل :

قال رجل لابن سيرين : قد نلت منك فاجعلني في حل . فقال : لا أحل ما حرم الله عليك . وقيل للحسن : ان الحجاج كان يذكرك بسوء . قال : علم ما في نفسي له فنطق ، وعلمت ما في نفسي له فسكت ، وكل امرىء بما كسب رهين .

من سمحت نفسه بأن يجعل في حل :

كان أبو الدرداء رضي الله عنه اذا خرج يقول : اللهم اني قد تصدقت بعرضي على عبادك . وقد روي عن النبي ﷺ ذلك . وقال كثير :

هنيئاً مريئاً غير داء مخـامرٍ لعزة من أعراضنا ما استحلتِ

وقيل لرجل : فلان شتمك واغتابك . فقال : هو في حل . فقيل : اتحل من يغتابك وبه يثقل ميزانك ؟ فقال : لا أحب أن أثقل ميزاني بأوزار اخواني .

من قلت مبالاته بمن اغتابه :

قيل لفيلسوف : فلان يشتمك بالغيب . فقال : لو ضربني بالسياط في الغيب لم أبال به ! قال :

وإن الذي يؤذيك منه استماعه وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

قال المتوكل لابي العيناء : ما بقي احد الا اغتابك ، فقال :

إذا رضيَتْ عني كرامُ عشيرتي فلا زالَ غضباناً عليّ لئامُهـا

وقيل للاحنف : فلان اغتابك . فقال :

رب من يعيبـه أمري وهو لم يخطر ببـالي

قلبهُ ملآنُ مِن غيظي وقلبي منه خـال

وقيل لأعرابية : فلانة تقع فيك . فقالت : دعوها فشكاتها وسكاتها عندي سواء . وقيل لرجل : فلان يغتابك . فقال : دعني يسترفعني الله بذلك ، فمن أكثرت فيه الوقيعة رفعـــه الله ، فإن بني امية لعنوا علياً على المنابر فما زاده الله الا رفعة . وحكي عن ببغا الشاعر البغدادي أنه قيل له : ان فلاناً يغتابك . فقال : لا ضير انه أراد أن يمتحن ودي . وقيل لآخر ذلك فقال :

ولم يمحُ من نورِ النبي أبو جهلِ !

ذم ناقص يغتاب فاضلاً :

قيل : كفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً وهو يقع في الصالحين .

شاعر : عُثيثة تقرضُ جلداً أملسا

المتنبي : واذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بأنّي كاملُ

الموسوي :

عاداتُ هذا الدهر ذمُّ مفضلٍ وملام مقدامٍ ونقصُ جوادِ

وكأنه من قول الآخر :

وما زالت الاشرافُ تُهجى وتُمدح

ونحوه قول الآخر : إنما الغيبةُ تلقيحُ الشَّرف

من رمى غيره بعيبه :

رمتني بدائها وانسلت . عير بجير بجره نسي بجير خيره . وقيل : أتبصر القذاة في عين أخيك وتدع الجذع المعترض في حلقك ؟

اغتياب المرء غيره يدل على عيبه :

قيل : من وجدتموه عياباً وجدتموه معيباً لانه بعيب الناس بفضل عيبه . وفي ذلك قال :

ويأخذ عيب المرء من عيبِ نفسه مراد لعمري مـا أراد قريب

قال أبو العيناء : ما قطعني احد كما قطعني المهدي فانه قال : بلغني أنك تغتاب الناس ! فقلت له : يبطل ما قيل في شغلي بعيني . فقال : والله ذاك أشد لغيظك على اهل العافية أعرف الناس بعوار الناس المعور .

تشهي الغيبة واستطابتها :

قال قتيبة لرجل يغتاب آخر : لقد تلمظت بما يعافه الكرام . فقال : لو تلمظت به ما صبرت عنه . وقال رجل لبنيه : اذا اجتمعتم فعليكم حديث انفسكم ودعوا الاغتياب . فقال احدهم : نحن نحتاج في هذه السنة الى كذا وكذا ، ونفعل ونصنع كذا وكذا ، فقد فرغنا من حديثنا فبماذا نشتغل ؟ وقيل : الغيبة فاكهة النساك والقراء . وقصد رجل ابن عمه مستوفداً لحق له فأحسن اليه ، فلما عاد سئل فقال : منعني التلذذ بالغيبة والشكوى . ونحوه قول الآخر :

فقضت حاجتي معجلة فجعتني بلذة الشكوى

من اغتاب فاغتيب :

قيل : من رمى الناس بما فيهم رموه بما ليس فيه . وقيل : بحثك عن عيوب الناس يدعو الى بحثهم عن عيوبك . وقال آخر :

ومن دعا الناسَ الى ذمّه ذمّوه بالحقّ وبالباطلِ

الكاروشي : تحللتُ بالسبّ لما رأيتُ أديمَكَ صح ، ومن َسبَّ ُسبّ

فإن لم نجد فيك من مغمزٍ سلكنا اليك طريقَ الكذبْ

الشطني :

لا تكشفَنّ مساوي الناس ماستروا فيهتكَ الله ستراً عن مساويكا

النهي عن استماع الغيبة :

قال عمرو بن عبيد لرجل يستمع الى آخر يغتاب : ويلك نزه أُذنك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن النطق به .

شاعر : وسمعَك صنّ عن سماعِ القبيح كصونِ اللسانِ عنِ النطقِ بهْ

آخر : والسامعُ الذمَّ شريكٌ لهُ والمطعِمُ المأكولَ كالآكلِ

وقال الفضيل : الرجل يقول سبحان الله وأخشى عليه بذلك النار ، وهو الذي يستمد بذلك الغيبة اذا سمعها . وقيل : اذا رأيت من يغتاب الناس فأجهد جهدك أن لا يعرفك ، فأشقى الناس به معارفه .

ابراهيم بن المهدي :

من نمّ في الناس لم تؤمَنْ عقاربُهُ على الصديقِ ولم تؤمَنْ أفاعِيهِ

الممدوح بصيانة مجلسه عن الغيبة :

مدح بعضهم رجلاً فقال : ينزه مجالسه عن الغيبة ومسامعه عن التميمة .

كعب الغنوي :

إذا ما تراآه الرجالُ تحفّظوا فلم تنطقِ العوراء وهْوَ قريبُ

ومثله قول البهلول :

نُبئْتُ أن النارَ بعدكَ أوقِدَتْ واستب بعدكَ يا كليبُ المجلسُ

الحث على التثبت فيما يسمع من السعاية :

وشي برجل الى بلال فلما أتى به قال : قد أتاك كتاب من الله في أمرنا فاعمل به ؛ قال الله تعالى : إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبيّنوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . فقال : صدقت ! وابلغ ملك عن رجل منكراً فأمر بقتله فقال : ان قتلتني ومن سعى بي كاذب يعظم وزرك ، وان تركتني وهو صادق قل وزرك ، وأنت من وراء ما تريد ، والعجلة موكل بها الزلل ، فأمر بابقائه والفحص عن أحواله .

كثير : وان جاءكِ الواشونَ عني بكذبةٍ فَرَوْها ولم يأتوا لها بحويلِ

فلا تعجلي يا عزُّ أن تتبيني بنصحٍ أتى الواشون أم بحبولِ

من سأل صاحبه ان لا يصغي الى الساعي :

لما اراد عبد الملك بن صالح الهاشمي الخروج الى الشام استدعى حوائجه من جعفر بن يحيى فقال : أسألك أن تكون لي كما قال ابن الدمينة :

فكوني على الواشين لدّاء شغبةً كما أنا للواشي الدُّ شغوبُ

فقال له جعفر : أكون كما قال الآخر :

وإذا الواشي أتى يسعى بها يقع الواشي بما جاء يضر

من بكت الساعي به ودل على بطلان قوله :

سعى رجل بالليث بن سعد الى والي مصر فأحضره فقال : ان رأيت أن تسأله أسر ائتمنته عليه فخانه أم كذب يقوله ، فالخائن والكاذب لا يقبل قولهما . ووشى واشٍ الى زياد بن همام وقال : انه هجاك . فأحضره وأعلمه فقال : كلا . فقال : أخبرني بذلك الثقة . فقال : الثقة لا يكون نماماً . فأحضر الساعي وجبهه بذلك فقال :

وأنتَ امروٌ ما ائتمنتك خالياً فخنت،وإما قلتَ قولاً بلاعلمِ
فأنتَ من الأمر الذي كان بيننا بمنزلةٍ بين الخيانةِ والإثمِ

وقال الواثق لأحمد بن أبي دؤاد : فلان قال فيك كذا . فقال : الحمد لله الذي أحوجه الى الكذب في ونزهني عن الصدق فيه :

من رد السعاية على الساعي وبكته :

كان الفضل بن سهل يبغض السعاة ، فاذا اتاه ساع يقول : إن صدقتنا أبغضناك ، وإن كذبتنا عاقبناك ، وان استقلتنا أقلناك . ودخل رجل على عبدالملك فقال : هل من خلوة ؟ فأقبل عبدالملك على اصحابه وقال : اذا شئتم . فقاموا فقال له عبدالملك : اسمع لا تمدحني في وجهي فاني اعرف بنفسي منك ، ولا تكذبني فليس لكذوب رأي ، ولا تسعين بأحد الي . فقال الرجل : أأنصرف ؟ قال : اذا شئت . فقام وانصرف . ووقع عبدالله بن طاهر في قصة ساع : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . ورفع رجل قصة الى أنوشروان أن رجلا من العامة دعاه الى منزله فأطعمه طعام الخاصة ، فوقّع في قصته : قد أحمدنا فعلك فيا تأتيه وذممنا صاحبك لسوء اختياره لمن يؤاخيه . ووقع طاهر بن الحسين في رقعة متنصح : قد سمعنا ما كره الله فانصرف لا رحمك الله . ووقع السفاح في قصة ساع : أنت ظاهر السعاية قليل النكاية . وسعي الى عبدالملك بن مروان في عبدالحميد فوقع :

أقلوا عليهِ لا أبا لابيكُمُ من اللؤم أوسدّوا المكان الذي سدّا

وقال الواثق لاحمد بن ابي دؤاد : ما زال القوم في ثلبك الى الساعة ! فقال : يا امير المؤمنين لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والله وليٌّ جزائه وعقابك من ورائه فما الذي قلت لهم ؟ قال قلت :

وسعى الي بعيب عزةَ نِسوةٌ جعل الاله خدودَهنّ نِعالها

الموسوي :

وأوطأتُ أقوالَ الوشاةِ أخامصي وقد كان سمعي مدرجاً للنمائمِ

قلة التخلص من اغتياب الناس وذمهم :

سأل بعض الانبياء ربه عزّ وجل أن يدفع عنه ألسنة الناس باغتيابه وذمه فقال : هذه خصلة لم أجعلها لنفسي فكيف أجعلها لك ؟ وقيل : ليس الى السلامة من ألسنة الناس سبيل ، فانظر الى ما فيه صلاحك فالزمه .

شاعر : إذا كنتَ ملحياً مسيئاً ومحسناً فغشيانُ ما تهوى من الأمرِ أكيَس

ذم ناقل الغيبة :

قيل : الرواية أحد الشاتمين . وقيل : من بلغك فقد سبك . قال :

مبلغكَ السوءَ كباغيهِ لكا

وقيل لحكيم : فلان عابك بكذا . فقال : لقد لقيتك نفحتني بما استحى الرجل من استقبالي به . وقيل : ما ضرت كلمة ليس لها مخاطب . ويدخل في هذا الباب قول الشاعر :

وأنت امرؤٌ ما ائتمنتك خاليا

(البيتين) وقد تقدما . وكان أبو ضمضم اذا قعد للحكم يقوم بازائه رجل يعلق نوادره ، فعلم بذلك أبو ضمضم فرماه يوماً بلوح في يده فشجه ، فقال له بعضهم : ما أصاب . فقال : استرق السمع فاتبعه شهاب ثاقب .

الموصوف بالنميمة :

قال الله تعالى : هماز مشاء بنميم . وقيل : فلان أنم من الزهر . قال ابن الرومي :

أنم بما استودعته من زجاجةٍ ترى الشيء فيها ظاهراً وهْوَ باطنُ

آخر : قد كان صدرُكَ للأسرارِ جندلةً ضنينةً بالذي تحوي نواحيها
فصارمن بثّ ما استودعتَ جوهرةً رقيقةً تستشفُ العينُ ما فيها

وأنكر بعضهم لمحة جليس له فنسبه الى النميمة فقال : ما نطقت ولكن رمقت ، ورب عين أنم من لسان وطرف أشد من سيف ، وأوجع من حتف . وقال الرشيد لابي عمرو الشفافي : فلان نمّ بك . فقال : يا أمير المؤمنين إن فلاناً لو كان بينك وبين الله واسطة لسعى بك اليه . وقال اعرابي : أتى فلان بنميية منمنمة وسخيمة مسخمة .

العباس بن الاحنف :

أناس أمناهم فنمُّوا حديثنا فلما كتمْنا السرَّ عنهمْ تقوّلوا

من قول ابي ذهل :

أمِنّا أناساً كنت قد تأمنينهم فزادوا علينا في الحديث وأوهَمُوا
وقالوا لنا ما لم نقُلْ ثم أكثروا عليّ وراحوا بالذي كنتُ أكتمُ

من اغتاب غيره فرآه :

اغتاب اعرابي رجلاً فالتفت فرآه فقال : لو كان خيراً ما حضرته . ويقال لمن حضر اذا ذكر غائباً نُزّه : اذكر الكريم وافرش له . اذكر الكلب وهيء له العصا .

الحث على التحرز مما يقتضي الغيبة :

قال الحسن رضي الله عنه : من دخل مداخل التهمة لم يكن له أجر الغيبة . وقيل : من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن واغتابه .

من لا يحرم اغتيابه :

قال النبي ﷺ : ليس للفاسق غيبة . وقال : اذكروا الفاسق بما فيه . وقال : لا غيبة لثلاثة : فاسق مجاهر ، وامام جائر ، ومبتدع فاجر .

نوع من ذلك :

روي فيما أظن عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : سعى رجلان بمؤمن آل فرعون اليه وقالا : ان فلاناً لا يقول انك ربه . فأحضره فرعون وقال للساعيين : من ربكما ؟ فقالا : أنت . وقال للمؤمن : من ربك ؟ فقال : ربي ربهما . فقال : سعيتما برجل على ديني لأقتله ، لاقتلنكما ! وأمر بهما فقتلا ، فذلك قول الله عز وجل : فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب . جرى بين عتبة بن رؤبة وبين بشار شيء فقال عتبة : أتقول لي كذا وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر؟ فقال : أقول لك ذلك ولو كنت من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

• •

ومما جاء في التحية والادعية والتهنئة

الحث على التحية ووصف فضلها :

قال النبي ﷺ : اذا التقيتم فابدءوا بالسلام قبل الكلام ، ومن بدأ بالكلام فلا تجيبوه . وقال ﷺ : بلوا أرحامكم ولو بالسلام . وقال بعضهم : بثوا السلام فهو رفع للضغينة بأيسر مؤنة ، واكتساب أخوة بأهون عطية .

شعر : كيفَ أصبحتَ كيفَ أمسيتَ مما يزرعُ الودَّ في قلوبِ الكرام ؟

عنى تحية . فقال : هدية فلاناً . وقال رجل لآخر : أبلغ حسنة ومحمل خفيف .

الحث على الجواب :

روي أن التحية نافلة والجواب فريضة . ويدل على ذلك قوله تعالى : واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها . ومر رجل بقوم فسلم فلم يردوا عليه فقال : يا عجباً ممن خولتهم نافلة فمنعوا عني واجباً . وسلم نصراني على الشعبي فقال : وعليك السلام ورحمة الله . فقيل : أتقول ذلك لنصراني؟

فقال : أليس في رحمة الله يعيش ؟ وقال ﷺ : أطعموا الطعام وأفشوا السلام وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام .

ذم من بخل بالتحية وعذره :

أنشد ثعلب :

ومالك نعمة سلفتْ إلينا فكيف نراك تبخلُ بالسلام ؟

كشاجم : إذا كتبوا صادفوا في الدعا كأن دعاءهم مستجاب

وأنشد المبرد :

إذا لم تجُدْ بجميل الكلامِ فما الذي بعده تبذُل ؟

آخر : يا جوداً بالثراء وبخيلاً بالدعاء !

فتفضل يا أخا الفضلِ بتفخيم الثَّناءْ

وسلم آخر على رجل بسوطه فلم يجبه فقيل له في ذلك فقال : سلم علي بالايماء فرددت عليه بالضمير.

لقد مرّ عمرو على مجلسي فسلَّم تسليمةً خافيَه

لئن تاه عمرو بفضلِ الغنى لقد فضَّل الله بالعافيـه

وقيل : من بدأ بغيضاً بالسلام فهو أبغض منه . وقال ابن المقفع : لا تكونن نزر الكلام والسلام، ولا تتهافتن بالبشاشة والهشاشة ، فإن أحدهما كبر والآخر سخف . وقال الشعبي : انتهت التحية إلى قولهم وبركاته . ولقي رجل أبا العيناء فقال : أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك . فقال : هذا العنوان ما هو . وقال المتنبي في عذر تخفيف السلام :

أقلّ سلامي حب ما خف عنكمُ واسكتُ كيما لا يكون جوابُ

مواضع التسليم :

جاء رجل الى النبي ﷺ وهو يبول ، فسلم عليه فقال ﷺ : اذا أتيتني على هذه الحال فلا تسلم علي ، فإنك ان فعلت لم أرد عليك . وقال ﷺ : اذا أتى أحدكم المجلس فليسلم ، فإن قام والقوم جلوس فليسلم ، فالأولى ليست بأحق من الأخرى . أتى أبو معكم الاسدي النبي ﷺ فقال :

يقول أبو معكمٍ صادقاً : عليك السلامُ أبا القاسمِ

فقال ﷺ : ان عليك السلام تحية الموتى وكذا يقال للميت نحو : عليك سلام الله قيس بن عاصم . ودخل الحسن بن الكناني على عبدالله بن جعفر فأنشده :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ ولستُ ببرّ لدى المحضرِ

فقال : أخطأت ، حيتني بتحية الموتى وقد أمكنك أن تقول : سلام عليك أبا جعفر

ألا طرَقتْنا آخر الليلِ زينبُ	عليك سلام، هل لمافات مطلب ؟
فقلت لها : حييت زينب خدنكم	تحية موتى، وهو في الحي يشربُ

ذم تحية من لا نفع لديه :

شاعر : وما مرحبٌ إلا كريحٍ تنسمَتْ	إذا أنت لم تخلط نوالاً بمرحبِ
آخر : إذا كان رد المرء ليس بزائدٍ	على مرحباً أو كيف أنت وحالُكا ؟
فلم يك إلا كاشراً وموارياً	فأف لودٍ ليس إلا كذلكا !

التسليم :

دخل رجل على أمير المؤمنين كرم الله وجهه فقال : السلام عليك سلاماً تتصل آماله بسمعك أبداً ما بقيت من وليك بطوع قلبه وصادق وده ومن عدوك برغم أنفه وذل خده .

في التلبية :

لبيك اذ دعوتني لبيكا	أحمد رباً ساقني إليكا

حد المصافحة والحث عليها :

قال النبي ﷺ : اذا لقي المؤمن المؤمن فصافح أحدهما الاخر تناثرت الخطايا بينهما كما يتناثر ورق الشجر . وكان ﷺ إذا صافحه انسان لم ينزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده . وقيل : المصافحة تزيد في المودة .

شاعر : تصافحت الاكفُ وكان أشهى	إلينا أن تصافحتِ الخدودُ
نعيشُ إذا التقى كفٌّ وكفٌّ	فكيفَ إذا التقى جيدٌ وجيدُ ؟
آخر : وصافحتُ من لاقيت في البيتِ غيرها	وكلُّ الهوى مني لمنْ لا أصافحُ
القصافي : قد أحدَثَ النَّاسُ ظُرْفا	أربى على كلِّ ظَرْفِ
كانوا اذا ما تلاقوا	تصافحوا بالأكفِّ
فاحدَثوا اليومَ لثمَ الخدودِ واللثمُ يشفي	فَصِرْتَ الثُمُ خديه من طريقِ التخفِّي

بقية باب حمد المصافحة والحث عليها :

قيل لرجل من قريش : كيف حالك ؟ فقال : حال من يهلك ببقائه ويسقم بصحته ، ويؤتى من مأمنه . قال الربيع الحاجب لابي العتاهية : كيف أصبحتَ ؟ فقال :

أصبحتُ واللهِ في مضيقٍ   هل مِنْ دليلٍ إلى طريقٍ ؟

ولها باب في غير هذا الموضع .

جواب من سئل من الصالحين عن حاله فشكا علة أو حالة منكرة :

قيل لابي عمرو بن العلاء رضي الله عنه : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت كما قال الربيع الفزاري:

أَصبحتُ لا أَحملُ السلاحَ ولا   أَملِكُ رأسَ البعيرِ ان نَفَرا

والذئبُ أَخشاه إن مررتُ به   وحدي وأَخشى الرياحَ والمطَرا

وقيل للحسن بن وهب قال : أصبحت على النشاط كال القريحة صَدِىء الذهن ميت الخاطر من سوء اختيار الزمان وتغير الاخوان . وقيل لمحارب بن دثار فقال : كما قال الاعشى :

ولكن أراني لا أزالُ بحادثٍ   أعادي التي لم تمسِ عندي وأطرق

قيل لابي العالية السامي : كيف أنت ؟ فقال : على غير ما يحب الله وغير ما أحب ، وغير ما يحب ابليس لأن الله يحب ان أطيعه وأنا أعصيه ، وابليس يحب ان أتعاطى ضروب الخسارة ولست كذلك ، وأنا أحب ان يكون لي ثروة وصحة وليس كذلك . وقال أبو حزابة ليزيد بن المهلب : كيف الامير ؟ فقال : كما تحب . فقال : لو كنت كذلك لكنت قائماً مقامي وكنت قاعداً محلك.

الدعاء بالرحب والسعة :

قال رجل للأصمعي : مرحباً وأهلًا وسهلًا ! فقال : أرحب الله بلدك وأهل رحلك وسهل أمرك. وقال رجل لخالد بن صفوان : مرحباً بك . فقال : رحب واديك وعز ناديك .

الدعاء باطالة البقاء :

قيل : ليس في الدعاء مثل أطال الله لك البقاء وأدام لك العلاء . ومثل ذلك : عش ما شئت كما شئت .

المتنبي : بقيت بقاء ما تبني فاني   أراه بقاء يذبـل أو أبان

آخر : فلا زالت الشمسُ التي في سمائهِ مطالعة الشمس التي في لثامه
ولا زال يجتازُ البدورَ بوجهِه يعجب من نقصانِها وتمـامِه
عمارة : فذا العرش زد في عمره من صلاتِنا وأعمارِنا حتى يطول له العمر

وقد نسب قوم أطال الله بقاءك وجعلني فداءك الى الاحالة . وقد روي أن أول من خاطب بذلك أمير المؤمنين على كرم الله وجهه .

التفدية :

ابن بوقة : أفديك بل أيامُ عمري كلّها يفدين أياماً عرفتُك فيهـا
وله : نفسي فداؤكما وقلّت في الورى للسيد المخدومِ نفسُ الخادمِ
آخر : بنفسي أنتَ لا بأبي فاني رأيتُ الجودَ بالآباء لؤما

وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : جعلني الله فداء نعلك . فقال : اذا يطيل الله هوانك.

يعقوب بن الربيع :

فلو انني إذ كان وقت حِمامِها أحكَّم في عمري لشاطرتُها عمري
فحل بنا المقدار في ساعة معاً فماتت ولاأدري ومتّ ولاتدري

الخوارزمي :

أطال الله أعمـار المعالي وذاكَ بأن يطولَ لكَ البقاءُ
ولا زالت تمدُّ إليك كفٌّ بضاعتُها ثنـاءٌ أو دعاءُ
وإن رضي الزمان بمثلِ روحي فداء عنك فهي لك الفداء

أبو سعيد الرستمي :

وقاكَ بنو الدنيا جميعاً صروفُها جميعاًفإن الجفنَ من خدمِ النصلِ
آخر : فداؤكَ مالي فهو منك ومهجتي فإنك قد أقررتها في جوانحي

قال ابراهيم الصولي : ان قولهم قدمني الله قبلك مأخوذ من قول الاقرع بن حابس :

إذا ما أتى يوم يفرّقُ بيننا بموتٍ فكنْ أنتَ الذي تتأخرُ

وقال منكة الطبيب الهندي ليحي بن خالد البرمكي : لو أمكنني تخليف الروح عندك لفعلت . وهذا يجوز على سبيل الدعاء له .

الدعاء بصبحك الله بخير :

كانت العرب تتحيا في الجاهلية بقولهم :

صبحك الله بخيرٍ فاخرِ ولحم طير وشراب خازرِ
قبل طلوعِ الشمس للمسافرِ

صبحك الافلاح بكل خير ونجاح . صبحك الخير وجنبك الضير وقوى منك الأير . وقال رجل لآخر : كيف أصبحت ؟ فقال : بخير . فقال : هلا قلت أحمد الله وأستغفره ، فكان اوله شكراً وآخره عبادة . صبحتك الانعمة بطيبات الاطعمة .

الدعاء بكبت العدا والحساد والاعاذة من شماتتها :

قال اعرابي : أراك الله في عدوك ما يعطفك عليه . وقالت امرأة لرجل : كبت الله كل عدو لك إلا نفسك . وإنما أرادت بذلك قول النبي ﷺ : اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، أعاذك الله تعالى مما يقلق قلب الصديق ويضحك سن العدو ، وأعاذك الله من خيبة الرجاء وشماتة الاعداء، وزوال النعمة وفجاءة النقمة . الصاحب : لا زال أعداؤه في قل وذل وأمر منحل مضمحل .

الخوارزمي :

ولا زالت عِداكَ بكلّ أَرضٍ لهم من سوء ظنهمُ نذيرُ
قصيرُ نهارِهمْ خوفٌ طويلٌ بهم ، وطويل عمرهمُ قصيرُ

المتنبي : وأراكَ دهرُكَ ما تحاولُ في العدا حتى كأن صروفَها الأَقدارُ

الدعاء ببلوغ الامل :

شاعر : أنالك ربّك ما تأمله وحق لك اللهُ ما تسأله

الموسوي :

ظفرتَ بما اشتهيتَ مِن الليالي وأُعطيتَ المرادَ مِن الأَماني

الدعاء بأن جعل الله له النعم وأدامها عليه :

زادك الله كما زادنا بك وأعطاك أكثر مما أعطانا منك . وقال ابن القرية : لا زلت في رحب من البال وثروة من المال ، في غبطة وسرور وبعد من المكروه والشرور ، أعطاك تعالى حتى ترضى وزادك بعد الرضا ، وتوفر لك من سعته ما لا تهتدي لمسألته ولا يحيط قلبك بمعرفته ، وجعل ذلك

موصولاً بالثواب المدخر للمحسنين ، أنعم الله عليك بما يعجز عنه شكرك ولا أبلاك بما يضيق عنه صدرك . منحكم الله منحة لا تغار ليست بجداء ولا نكراء ولا ذات داء . جعل الله نعمك هبة مخلدة لا عارية مستردة .

المتنبي : أتم سعدُكَ مَنْ لقّاكَ أولَهُ ولا استردّ هباتٍ منك معطِيها

علي بن الجهم :

أتمّ اللهُ نعمتَهُ علينـا فان تمَامُهُ نِعَمٌ علينـا

الدعاء بزيادة النعماء والعلاء :

المتنبي : إن كان فيما نراهُ مِن حسَنٍ فيك مزيـدٌ فزادَكَ اللهُ

أبو تمام : اسمع أقامت في ديارك نعمة خضراء ناعمـة ترفّ رفيفا

عنان جارية الناطفي :

نعمٌ إذا النعمُ انتقلنَ تخيمَتْ واذا نفرْن عدت عليك ألوفا

آخر : أيا رب زِدْهُ نِعْمَةً وكرامَةً على غيظِ أعداء وإرغامِ حاسدِ

الدعاء بأن يقيه الله من الفقر ويجعل له سعة من اليسر :

جعل الله لك في الخير جداً ولا جعل معيشتك كدّاً . أعاذك الله من القنوع والخضوع والخنوع ، أعاذك من بطر الغنى ومذلة الفقر . جعل الله لك رزقاً واسعاً وجعلك به قانعاً . وهب الله لك من غناه ما لا يقدر عليه سواه . قال رجل لمسروق بن الاجدع : أعاذك الله من خشية الفقر وطول الامل ، ولا جعلك ردية السفهاء وشيناً على الفقهاء . وقال اعرابي : رزقك الله من غير طلب شديد ، ولا سفر بعيد . جعلك الله في الرزق حولا لغيرك .

الدعاء بالتوفيق والاعاذة من الشرور :

فرغك الله لما له خلقك ولا شغلك بما تكفل به لك . وقال سعيد بن المسيب : مر بي صلة بن أشيم فقلت ادع لي فقال لي : رغبك الله في ما يبقى وزهدك في ما يفنى ، أعاذك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد ، ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وايثار الباطل على الحق ، وأعاذك من سوء السيرة واحصاء الصغيرة ، ومن شماتة الاعداء والفقر الى غير الاكفاء ، ومن عيشة في شدة وميتة من غير عدة ، ومن سوء المآب وحرمان الثواب وحلول العقاب . وقال اعرابي : أعاذك الله من هول المطلع وضيق المضطجع وبعد المرتجع . وقال آخر : أعانك الله على الدنيا بالسعة وعلى الآخرة بالمغفرة.

المتنبي : فلا تنلك الليالي إن أيديَها إذا ضربن كسرن النبع بالغربِ
ولا تعزّ عدوًّا أنت قاهرُه فانهنّ يصدْنَ الصقرَ بالخربِ

ابن الرومي :
فزادكم بالمدحِ كل قصيدة ولا قصدَتكم بالمراثي القصائدُ

أبو محمد الخازن :
لا زال ألسنةُ القريض نواطقاً يخدمن مجدكَ بالثناء الأفصحِ

تهنئة بولاية :

أهنىء بك العمل الذي وليته ولا أهنئك به ، لأن الله تعالى أصاره الى من يورده موارد الصواب، ويصدره مصادر الحجة . لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دخل عليه شاب من الأنصار فقال : ما طيبتك الخلافة ولكن طيبتها وما زينتك الولاية بل زينتها ، فانت كما قال :

وتزيدَنّ أطيبَ الطيبِ طيباً

ابراهيم بن العباس :
ما جددت لك من نعمى وإن عظُمت الا يصغِّرها القدرُ الذي فيكا
لا زلتَ مستحدثاً نعمى تُسرّ بها على الليالي ولا زلنا نهنّيكا

ابن الرومي : قل لك الملك ولو أنه مجموعةٌ فيه الاقاليمُ
والله يبقيك لنا سالِماً يأتيك تبجيلٌ وتعظيمُ

أبو الغمر :
ليهنِك الفتحُ مشفوعاً حسا وزكا وصاحبتك الليالي غضَّة ضحكا

تهنئة بنيروز :

شاعر : أنعِمْ بنيروزِكَ وابهجْ به متَّعت ألفاً مثلَهُ بعدَه

أهدى بعض الادباء يوم نيروز وردة وسهماً وديناراً ودرهماً فقال :

لا زلت كالوردِ لذيذَ المنسمِ ونافذاً مثلَ نفاذِ الأسهُم
في عزّ دينارٍ ونجح درهمِ

تهنئة بمهرجان :

المهلب بن مالك :

جاءكَ المهرجانُ يختالُ طلقاً في هواءٍ صافٍ وفي زعفرانِهِ
نلتَ فيه الذي به نالَ افريدون من رغمِ حاسدٍ وهوانِه

تهنئة بزفاف :

نهى النبي ﷺ أن يقال بالرفاء والبنين ، وكان يقول : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما بخير . وهنأ ابن القرية الحجاج فقال : أقر الله عينك ورزقك ودها وولدها ، وجعلك الباقي بعدها .

ابن الرومي : سيدة زُفّتْ الى سيدٍ أبدلَنا اليُسر من العسْرهْ
أَلّف بالتوفيق شملاهما في نعمةٍ تمّت وفي خيرهْ
عمره اللهُ وأبقى له ركنيهِ من عزٍّ ومن قُدْرَهْ

تهنئة بولد :

قال شبيب بن شبة للمهدي : أراك الله في بنيك ما رأيته في أبيك . وقال رجل عند الحسن : ليهنك الفارس . فقال : لعله يكون بغالاً قل : شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ، ورزقت رشده وبلغ أشده . ونظر رسول الله ﷺ الى رجل معه صبي فقال : أهذا ابنك ؟ قال : نعم . قال : أمتعك الله به . وقال اسحق الموصلي للفضل بن الربيع :

مدّ لك اللهُ الحياةَ مدّا حتى يكونَ ابنُك هذا جُدّا
ثم يُفدّى مِثلما تفدّى أشبه مِنك سنةً وقدّا

الرفاء : تمل فارسك المذكور في شيم بمثلها الذّكرُ الصمصام مُذكورُ
وافى ومولدُه الوافي يخبّرنا بأنه ناصرٌ للمجد منصورُ
فعاشَ ما نشر الديجور حلّته وما انطوى بضياء الفجر ديجورُ
حتى تراه وقدحُ السيفِ في يده مثلّم ، وسنانُ الرمحِ مأطورُ

تهنئة بابنة :

كانوا يقولون : أمنكم الله منها العار وكفاكم منها المؤنة .

الصاحب : إياكَ أن تنكرَ الإناثَ فكم أنثى غدَتْ في فخارها ذَكَرا

الدعاء للمسافر :

قال النبي ﷺ لرجل أراد سفراً : اللهم اطوِ له البعيد وهوّن عليه العسير . وكانوا يقولون استودع الله دينك وأمانتك وخواتم اعمالك ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفةُ في الاهل

السري الرفاء :

الله جارُكَ ظاعناً ومُقيما   وظهيرُ نصرِكَ حادثاً وقديما
إن تغن كان لك النجاحُ مصاحباً   أو تثو كان لكَ السرورُ نديما

المتنبي : وإذا ارتحلت فشيعَتْكَ سلامةٌ   حيثُ اتّجهْتَ وديمةٌ مدرارُ
وصدرت أغنمَ صادرٍ عن موردٍ   مرفوعة لقدومِك الأبصارُ

الخبزارزي :

رعاه الله حيثُ غدا وسارا   واعقبَهُ الغنيمةَ والايابا

أبو المعافاة : ردكَ الله إلينــا سالماً   بعد غنمٍ واغتباطٍ وظَفَرْ

الدعاء للقادم من سفر :

أبو العتاهية : لا زلتَ من غمٍ الى راحةٍ   تقدمُ يا خيرَ فتى قادمِ
ابن الرومي : لا زلتَ من غنمٍ الى دعةٍ   وأمنٍ قادمـا
وله : قــدومُ سعادةٍ وقفولُ يمنٍ   هو البشرُ المخففُ كل حزْنِ

وقيل : لما دخل النبي ﷺ المدينة كان نساؤها يقلن :

طلع البدرُ علينا من ثنَيات الوَداعْ
وجبَ الشكرُ علينــا ما دعا لله داعْ

تهنئة بالصوم :

الصنوبري :

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه   ووقاكَ الالهُ ما تتقيه
أنت في الناس مثلُ ذا الشهرِ في الاشهرِ بل مثل ليلةِ القدْرِ فيهِ

تهنئة بالعيد :

قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل بك الخير والنعمة .

ابن خلاد : بأسعدِ طالعٍ عيَّدْتَ يا مَن بطلعتِه سعادةُ كلِّ عيدِ

المتنبي : هنيئاً لك العيدُ الذي أنتَ عيدُهُ وعيد لمن سمَّى وضحّى وعيَّدا
ولا زالتِ الاعياد لبسَك بعدَها تسلّم مخروقاً وتعطى مجدّداً

آخر : البس النعماء ما أو مض برق في غمامْ
واصلًا عيداً بعيدٍ ودواماً بدوامْ

تهنئة بخلعة :

أبو بكر الصولي :

خلعٌ خلعتَ بها قلوبَ عِداكا ملأت سروراً كلَّ مَنْ يهواكا
لا زلتَ تلبَسُ كلَّ يومٍ مِثلها أبداً على ارغامِ مَنْ عاداكا
ووقاك ربُّ الناسِ ما تخشاه مِنْ عنت الزمانِ وظُلمِه وكفاكا

تهنئة بدار :

ابن الرومي : دارُ أمنٍ وقرارٍ واعتلاء واقتدارْ
أُسِّسَتْ والطير باليمنِ وبالسعدِ جوار
خيرُ دارٍ حلَّ فيها خيرُ أربابِ الدّيار
وقديماً وفقَ الله خياراً لخيار

القاضي علي بن عبدالعزيز :

ليهن ويسعدْ مَنْ بهسعِدَ الفضلُ بدارٍ هي الدنيا وسائرُها فضلُ

دعاء لتناول شيء من لحيته :

نزع رجل من لحية الحسن قذاة فقال : لا بك السوء . وقال آخر : لا عدمت ربك نافعاً . وتناول بعضهم من لحية رجل شيئاً فقال : صرف الله عنك السوء . فقال : إليك لا عاد . ورأى الفتح شيئاً في لحية المتوكل فلم يمدّ يده اليه ولا قال له شيئاً بل قال : يا غلام هات مرآة امير المؤمنين . فجيء بها ونظر فيها فأخذه بيده .

وعلى العكس من هذا الباب :

قال الاصمعي : نزع رجل من لحية آخر شيئاً فقال : نزع الله ما بك من نعمة . وتناول بشار من لحية رجل شيئاً فقال : لا يمنعني ان أقول صرف الله عنك السوء إلا مخـــافتي أن يذهب الله بوجهك فأنه سوء . ومن هذا الباب قال أبو الاسود : لا يفض الله فاك أي لا يجعله فضاء بذهاب الاسنان . وقال بعضهم : طاب طيبك وعاش حبيبك ولا زال خير ينوبك . وقال رجل لآخر : رحمك الله . فقال له مجيباً له : يغفر الله لي ولكم . فقال : ما أنصفتنا آثرناك على أنفسنا بالدعاء وجعلتنا علاوة على نفسك .

دعاء مكروه المبدأ :

دعا رجل لسلطان فقال : لاصبحك الله الا بخير . فأمر بأن يصفع وقال : من آخذني باحتمال قبيح ابتداء سلامه والصبر على انتظار تمامه . ولما انشد أبو مقاتل الضرير الراعي يهنئه بمهرجان :

لا تقل بشرى ولكن بشريان

أمر بطرده وقال : أعمى ينشد يوم المهرجان لا تقل بشرى ! وقال رجل لبعض الخلفاء في كلام نفاه : لا أطال الله بقاءك ! فقال : قد علمتم لو تعلمتم : ألا قلت لا وأطال الله بقاءك ؟ وعنى بذلك ما روى ان رجلًا قال لبعضهم : لا وأطال الله بقاءك . فقال : ما رأيت واواً أحسن موقعاً من هذا الواو . وقال رجل لآخر : كيف أنت ؟ فقال : كبر ضعفي ! فقال : قوى الله ضعفك . فقال : اسكت ! إذاً يزيـــد في علتي ، قل قواك الله على ضعفك . ويقرب من ذلك ما حكي ان رجلًا تعرض للصاحب فقال : أنا قاضي شلنبة وأدعو أبداً على مولانا . فقال : ادع على نفسك . فقال : لا بل على مولانا ، وقدر أن ذلك زيادة في الدعاء ، فقال الصاحب : زادنا في البر .

● ● ●

ومما جاء في الدعاء على الانسان

حذق اللئيم بالسباب وعجز الكريم عنه :

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : ما تساب اثنان قط إلا غلب ألأمهما ؛ أخذه الشاعر فقال :

وانك قد سابيتَني فغلبتَني   هنيئاًمريئاً أنتَ بالسبّ أحذقُ !

ونازع رجل المهلب فأربى عليه فقيل له : لم سكتّ عنه ؟ قال : استحييت من سخف المسابة ورغبت عن غلبة اللئام ، وكان اذا سبني تهلل وجهه واستنار لونه وتبجحت نفسه ، فإن غلب فبفضل القحة ونبذ المروءة وخلع ربقة الحياء ، وقلة الاكتراث بسوء الثناء .

ما جعلته العرب تعجباً من الشتم :

تقول العرب : قاتله الله ! قال ابن الاعرابي : اذا قيل قتله الله لا يكون إلا شتماً ، واذا قيل قاتله الله يكون تعجباً . ما له لا عد من نفره ، وتربت يداه ، وثكلته امه وهدت أمه ، كل ذلك يستعمل على طريق التعجب واستعظام القول فيه . ولهذا قال بعض الشعراء :

أسبُّ اذا أجدّتَ القولَ ظلما　　كذاكَ يُقال للرجلِ المجيدِ

الحث على التعريض بالشتم دون التصريح :

قال أبو عمرو بن العلاء : أحسن الشتم ما يتذاكره ذوو المروآت في مجالسهم ، ولا يتحاشى من روايته أهل الاديان .

من شتم كثيراً معرضاً غير مصرح :

سأل رجل بعض الكبار شيئاً فاعتذر اليه بفقر ناله فقال : ان كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنت محجوباً فجعلك الله معذوراً . كتب هشام الى ملك الروم : من هشام امير المؤمنين الى ملك الطاغية ! فكتب اليه : ما ظننت ان الملوك تسب ، وما الذي يؤمنك ان أكتب اليك : من ملك الروم الى الملك المذموم : هشام الأحول المشؤم ! كان محرز الكاتب اذا رأى ابن شاهين قال : حياك الله وجهاً ألقاك به ! وهو لا يفهم فلما اكثر قيل له : انما عنى نفسه بما يقوله . فقال : دعوه لي ، فلما رآه وقال له ذلك قال : لا حيا الله وجهاً اراك به ! فضحك محرز وقال : آمين :

بعضهم : سلامٌ ساقِطُ الميمِ على وجهِك بالحاء
لنا في البيت خروف فكُلْ منه بلا فاء

ابن الحجاج : وزنتَه ألفينِ يا ليتَه أَصبح في تصحيفِ ألفيْنِ

أي في القبر . وسأل أمير المؤمنين بعض الناس فقال : هل سمعت رسول الله ﷺ يقول علي منى كهرون من موسى ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه ؟ فقال : كبرت سني ونسيته . فقال : ان كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لا تواريها العمامة ! فصار ذا برص الى ان مات .

من تلح في شتم كبير :

خرج المهدي الى الصيد فتفرد مع غلام فرأى أعرابياً فقال : اني أريد ان أضحك من هذا الاعرابي . فأتاه الغلام فقال : أجب أمير المؤمنين . فقال : ما لي ولامير المؤمنين ؟ فزناه وشتمه . فقال الاعرابي : يا أمير المؤمنين هذا شتمني فقال المهدي : يا غلام اعطه دانقاً . فقال الأعرابي : أدية فريتكم

دانق يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : فأنت زانٍ وابن زانية وابن زان ، خذ درهماً ومر في حفظ الله ! وقال هشام : من يسبني ولا يفحش وهذا المطرف له ؟ فقال له اعرابي : هاته يا أحول ! فقال : خذه قاتلك الله ! وقال البوشجان : حضرت مجلس المبرد فسمعنا نفاشاً يقول في حرام أصفهان فقال أبو العباس : هذا قد شتمكم على قول الله تعالى : واسأل القرية أي أهلها .

الدعاء على انسان بالمرض :

قال اعرابي لرجل : إن كنت كاذباً فبعث الله عليك داء ليس له دواء . وقال آخر : رماه الله من الداء بما يصير به رحمة للاطباء . وقيل : ما له خرب وحرب وذرب . معنى ذرب فسدت معدته ما له وراه الله الورى سعال يقيء منه الدم . قال عبد بني الحسحاس :

وراهن ربي مثل ما قد وَرَيْنَني   وأحمي على أكبادِهنّ المكاويا

وقيل : بفيه الثرى وحمى خيبرا فانه خيسرى ابن خاسر أبرد الله مخه أي أهزله ماله ال وغل وسل كساه الله عصابة رمد ورداء نكد وازار جذام .

الدعاء عليه بفقدان الجوارح :

جذعه الله جذعاً مرعباً ، أشل الله عشره .

فلا استقلت أبـداً   سوطاً من الارض يده

جارية الناطفي :

فليت مَن يضربُها ظالِماً   تيبس يُمناه على سوْطِه

الدعاء عليه بذهاب المال :

شرب بارداً وحلب قاعداً أي لا كان له لبن حتى يشرب الماء القراح، وعوض من الابل غنماً يحلبها قاعداً . ونحوه : أباد الله رواغيه وابقى ثواغيه . رماه الله بقرع الفناء وصفر الاناء . قرع مراحه وساف ماله . لا طلبته الخيول ولا تكاءدته المحول أي لا جعل الله له ما لا تطلبه الخيول للغارة أو يتكاءده جدب الزمان ؛ فعلى هذا حمل قول الشاعر :

وجنبت الجيوشَ أبا زنيبٍ   وجاد على منازلك السحابُ

الدعاء عليه بالهلاك :

رماه الله حيث لا يرى بفاقرة الثرى أي الافعى . كقولهم : رماه الله بأفعى عادية ورماه الله ببلية لا أخت لها . وتقول : ثل عرشه وجذ ثدي أمه ، وهوت أمه وزال زواله ولا عد من نفره .

رماه الله بثالثة الاثافي ورياح عاصفة وسيول جارفة . ويقال : ما لكم تفاقدتم فجع الله به وادّاً ودوداً وأشمت به حاسداً حسوداً ، وسلط عليه هماً يضنيه وجاراً يؤذيه وعدواً يرديه ، أقام الله عليه ناعيه واشمت به أعاديه .

امرأة : ارمِ بسهمين علـى فؤادِه　　واجعل حِمامَ نفسِه في زادِه

وفي معنى أفقدنيه الله :

فقدتَ خيالَك لا مِنْ عمىً　　وصوتَ كلامِك لا مِنْ صَمَمْ

الحميري : رب قد أعطيتنـاه　　وهو من شر عطاء
فارجعنه رب عنا　　بـإزار ورداء

الدعاء بإزالة الدولة :

أبو هفان :

أزال الله دولتَهم سريعاً　　فقد ثقُلَتْ على عُنقِ الزمانِ

جحظة البرمكي :

سألت الله تعميراً طويلا　　ليبهجني بخطبٍ يعتريكم
أخافُ بأن أموتَ ولن تريني　　صروفُ الدهرِ ما أهواه فيكُم

الدعاء على ظاعن :

ودعت امرأة زوجها ورمته بروثة ونواة وحصاة وقالت : راث خبرك وتناءت دارك وانحص أثرك ثم أنشدت :

اتبعته إذ رحل العيسُ ضحى　　بعد النواةِ روثةً حيث انتوى
للروثةِ الريثُ　　وللنأي النَّوى

علي بن عاصم : أما وقد ضمّه الفرار　　فلا يضمنَّه القرار
ولا اطمأنّتْ به الفيافي　　ولا استقرّتْ به الدّيار

ابن حازم :

وداعٌ دونَ أوبتِه النشورُ　　ونأيٌ لا يقر به مسيرُ
وقالٍ غير ميمونٍ ولكن　　بأنكدَ ما يدورُ وما يطيرُ

أبو هفان : في عذابٍ يطلبُ الطَّا لبُ مِن أدناهُ مَوْتَه
ونحوس قاطعات لكَ عمَّا قد نَوَيْتَه

الدعاء على متزوج :

قال بعضهم : المتزوج بالبيت المهدوم والطائر المشؤم والرحم المعقوم .

أبو الفرج الكاتب :

كان يومُ الزفافِ والتعريسِ بالرزايا والطائرِ المنكوسِ
نكباتٍ مبيدةً للنفوسِ واصلَ الله باتصالك هذا
وطويس ومنشم والبسوسِ دخلت رجلها دخولَ قدار
وبرحبِ الديارِ ضيقَ الحبوسِ وتبدّلتَ بالجلاء جلاء

الدعاء على باني دار :

البسامي : شدت داراً خلتها مكرمة سلّطَ الله عليها الغَرقا
وأرانيك فقيراً وسْطها وأرانيها صعيداً زلقا

أنواع مختلفة :

أبو الوليد الكناني :

بلوناهم واحداً واحداً فكلهُم شأنهُم واحده
فلا ذرأ الربُّ أولادَهم ولا بارك الربُّ في الوالده

أعرابي : وصاحبٍ قلت ولم اسمه لما به من مقته وغمه
لعن الإله ثعلة بن سافر لعناً عليه يشق من قدامه

أبو الاشعث الهمداني وقد سرق له أضحية :

ياسارقَ الكبش رجلاهُ وجبهته في صدع أمّك بالقرنينِ والذنبِ
هلا سرقت ! جزاكَ اللهُ لعنتَه من الموالي ولم تسرقْ مِنَ العربِ

سمع ذو الرمة رجلًا يقول : على فلان لعنة الله ! فقال : لم يرض بواحدة حتى شفعها بأخرى، ومعنى ذلك أنه اعتقد في قوله لما سمعه مفتوحاً انه مرفوع مثنى كقولك هذان عبدالله .

شاعر : وما دعوتُ عليهِ قطُّ ألعنُه إلا وآخرُ يتلوني بآمينِ

سقط مخنث من جبل فغشي عليه فلما أفاق قال : يا جبل ما أصنع بك ؟ أضربك لا يوجعك أشتمك لا تبالي ، ولكن بيني وبينك يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . ومن كلام أبي العبر : استودعك الله حائطاً مائلاً وكنيفاً سائلاً . وقع بين أنس بن مالك وامرأته شر فقال لامرأته : لأدعون الله عليك ! فقالت : قد دعوته على الحجاج فما زادت رقبته الا غلظاً . حكى الصاحب ان أبا علي بن مثوبة كان اذا شتم انساناً في غضب عظيم يقول : يا قواد يا قواد تر . قال : هــذه الزيادة لم تسمع إلاّ منه .

لرابية الاسدية :

فمن لامني في حب نجد وأهلِه فاير على مثل وأوعب جادعه

معاذ الدهلي :

لحى الله أدنانا إلى اللؤم زلفة وألأمنا امّاً وأسقطنا جدّا

قال الاصمعي : كان النساء يقلن للشيخ اذا سعل : ورياً وقحابا . وللشاب : عمراً وشبابا ، القحب : السعال . حكي عن يهودي بأصبهان أنه كان اذا اتاه جندي فيقول : يا اخا القحبة ! يقول : لما سمعت صوتك علمت أنه هو . وقال له غلامه : ان هذا يقول يا ديوث . فقال : الديوث ايش يعمل ههنا ؟ يعرض به . وقال : انسان امرأته قحبة ! فقال : أليست أختاً لك ، أليست بنتاً لك ؟ قال له انسان : امرأته قحبة فقال : حلالت هو ذا أي انها امرأتك .

● ● ●

ومما جاء في الهدايا

الحث على الاهداء وذكر فضيلته :

قال النبي ﷺ : تهادوا تحابوا . وقال : الهدية تسل السخيمة . وقال عمر رضي الله عنه : نعم الشيء الهدية بين يدي الحاجة . وفي الخبر : اذا قدم أحدكم من سفر فليهد الى أهله وليطرفهم وان حجارة. وقيل : أسكفة الباب تضحك من الهدية . وقيل : الهدية هداية . قال :

ما من صديقٍ وان تمّتْ صداقتُه يوماً بأنجح في الحاجات مِنْ طبقِ
لا تكذبَنَّ فإن الناسَ مذ خُلقوا عن رغبة يعظمون الناسَ أو فرقِ
أما الفعال ففوقَ النجمِ مطلبَهُ والقولُ يوجَدُ مطروحاً على الطرقِ

آخر : إذا أتت الهدية دارَ قومٍ تطَايرتِ الأمانةِ من كواها

وقيل : الهدية بضاعة تيسر الحاجة ومن صائع بالمال لم يحتشم . قال الغاضري لأصحابه : أي راكب أحسن ؟ فقال بعضهم : تمرة على زبدة . فقال : لا بل هدية على حمال . ومن امثال الفرس : الهدية تغالط العقول .

الحث على قبول الهدية :

قال النبي ﷺ : ان الهدية رزق الله ، فمن أهدي اليه شيء من غير سؤال ولا اسراف فليقبله، فانما هو رزق ساقه الله اليه . وقال : من سألكم بالله فأعطوه ، ومن استعاذكم فأعيذوه ، ومن اهدى اليه كراع فليقبله . وقال : لو اهدي الى كراع لقبلت ، ولو دعيت الى كراع لأجبت .

الحث على المقابلة :

قال الله تعالى : واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ، فسره بعضهم بالهدية وجعل الثواب بها واجباً . وروي ان النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها . أنشدني بعضهم:

رأيت الناس طرًّا في الهدايا كبيعِ السوقِ خذْ مني وهاتِ

طلب الهدية ومعاتبة من تركها :

روي أن رجلاً أهدى الى الحسن والحسين رضي الله عنهما ولم يهد الى ابن الحنيفة ، فأنشأ أمير المؤمنين علي رضى الله عنه يقول :

ومـا شرّ الثلاثة أمّ عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا

وكتب رئيس الى بعضهم : لا تهدين ما يجحف بحالك فانـــه لا يزيد في مالي ولا يمنعك من ملاطفتي بيسير ، واللطف استعظامك لمكاني ، فالكثير منك يسير واليسير عندنا كثير ، والسلام .

المعيطي : أتاني أخ من غيبةٍ كان غابَها وكنتُ اذا ما غاب أنشدُه الركبا
فجاء بمعروفٍ كثير فدسّه كمادس راعي السوء في حضنه رطبا
فقلت له : هل جئتني بهدية ؟ فقال : بنفسي ! قلت : أطعمتها الكلبا !
هي النفس لا أرثي لها من مُلمة ولا أتمنى إن نأيت لها قربْا

الهدية مشتركة :

قال النبي ﷺ : اذا أتى أحدكم بهدية فجلساؤه شركاؤه فيها . وكان الهيثم بن عدي يحدث بهذا الحديث ، فما تم حتى طلعت هدية فقال : ما خلا هذه .

نهي الولاة عن قبول الهدية :

صعد النبي ﷺ المنبر فقال : ما بال اقوام استعملتهم على الصدقات فيجيء أحدهم فيقول هـذا مالكم وهذا أهدي الي ، هلا جلس في حفش أمه فينظر أيهدى اليه ؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ احد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله ، فليأتين أحدكم وعلى رقبته بعير له رغاء ، وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء ، ثم رفع يده وقال : اللهم قد بلّغت . وروي : اياكم والهدية فانها ذريعة الرشوة . ولعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي . قال الشيخ : وقد ذكرت خبر أنوشروان مع غيره في مثل هذا الباب في الولايات .

الممتنع من أخذ الهدية :

سأل رجل الخيزران حاجة فاستبطأها ، فأهدى اليه هدية فكتب اليه : إن كان ما وجهته ثمناً لرأيي فيك فقد بخستني في القيمة ، وان كان استزادة فقد استغششتني في النصيحة . وقال المدائني : أهدى رجل الى مجوسي هدية فاغتم لذلك فقيل له فقال : لئن ابتدأني بها فانه يدعوني إلى ان أتقلد منه منة ، ولئن كافأني على معروف عنده انه ليروم أخذ ذلك ، فمن أي هذين لا اجزع . وطلب عبدالله بن جعفر لأزادمرد حاجة من أمير المؤمنين رضي الله عنـه ، فاهدى اليه ازاد مرد أربعين ألف درهم ، فامتنع عبدالله من اخذها وقال : انا أهل بيت لا نأخذ على معروفنا ثمناً . واهدى عبدالله بن السري الى عبدالله بن طاهر لما ولاه مصر مائة وصيفة ، مع كل واحدة بدرة ، وبعثها اليه ليلا فردها وكتب اليه : لو قبلت هديتك ليلا قبلتها نهاراً ، وما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون .

من لان بعد شدة لاخذ هدية :

مر زياد بأبي العريان بالبصرة فقال : من هذا ؟ فقالوا : زياد بن أبي سفيان . فقال : ما اعرف في ولد أبي سفيان زياداً فبلغه ذلك فوجه اليه دنانير ثم مر به فقال : من هذا ؟ فقالوا : زياد بن أبي سفيان . فقال : لقد ذكرني شمائل أبي سفيان ، فبلغ ذلك معاوية فكتب اليه :

ما لبثتك دنانير رشيتَ بها ... أن لوّنتك أبا العريانِ ألوانا
للهِ درُّ زيادٍ منذ قدّمها ... كانت له دونَ ما يخشاهُ قرْبانا

فكتب له :

ابعَثْ لناصِلةً تحيا النفوسُ بها ... قد كدت يا ابنَ أبي سفيانَ تنسانا
من يسد خيراً يجده حيثُ يجعله ... أو يسد شرًّا يجده حيثما كانا
أمـا زياد فلا أنسيت نسبتَه ... ولم أرد بالذي حاولتُ بهتانا

ولما ولي الحسن بن عمارة المظالم قيل ذلك للاعمش فقال : ظالم ولي المظالم ! فأهدى الى الاعمش رزمة ثياب فجعل يقول من بعد : إن الحسن كريم وحر سخي . وكان رؤبة له حكومة فلم يكن يبلغ مراده فيها ، فأهدى الى الحاكم شيئاً فنال ما رام فقال :

لما رأيتُ الشفعاء بلدوا أسوتهم برشوةٍ فقردوا
وسهَّل الله بها ما شدّدوا

وكان بعض الولاة يخاشن بعض عماله فارضاه بما اهداه فسألته : كيف حالك مع فلان ؟ فقال: قد سد ابن بيض الطريق وخبره معروف .

استرداد ظروف الهدايا وتركها :

قال الغنوي : استديموا الهدايا برد الظروف . وقال اسحاق بن ابراهيم : كنت مع الرشيد بالكوفة في شهر رمضان فقال لموسى بن عيسى : يا أبا عيسى حلواؤنا عليك . وكان يوجه اليه كل ليلة عشر صحاف ، فلما كان بعد عشر ليال قطعها فقال له الرشيد : اصغوت فقطعت الحلواء . فقال : ما قطعها غيرك ان أنصفت . قال : كيف ؟ قال : ان من يأخذها منا لا يرد صحفة ولا منديلاً ولا طبقاً . قال : بئس ما عمل ! إن الهدايا تستدام برد الظروف ، فإذا صرت المتقاضى وأنت القاضي فلا تحتشم أحد في استرداد الظروف . للصاحب وقد اهدى دنانير على طبق فضة فكتب بأبيات فيها :

والظرف يوجب أخذه مع ظرفه

الاعتذار من اهداء شيء طفيف :

كتب بعضهم : سهل لي سبيل الملاطفة فأهديت هدية من لا يحتشم الى من لا يستغنم . كتب أحمد بن يوسف : للهدية معنيان كلاهما يوجب القبول وان قل . وقيل : ان كان لك عند المهدي يد فلا تستقصر بمزيدك ، وان كان مبتدئاً فالتفضل لا يستقل الهدية ، أظرفها أخفها وأقلها أنبلها . وكتب آخر : قدمت المعذرة في اهداء ما اتسعت به المقدرة . وروي أن سليمان عليه الصلاة والسلام مر بعش قنبرة ، فأمر الريح ان تتجنب عشها الذي فيه فراخها ، فجاءت القنبرة لما نزل سليمان فرفرفت على رأسه وألقت جرادة هدية له لما فعل ، فقال سليمان : هي مقبولة فكل يهدي على قدر وسعه . ومما يروى لابي يوسف القاضي :

علينا بأن نهدي الى مَن نحبّه وإن لم يكن في وسعنا ما يشاكله
ألم ترَنا نهدي الى الله ما له وان كان عنه ذا غنىً فهو قابلُه

دعبل : هذي هدية عبدٍ أنت ملبسُه ثوبَ الغنى فاقبلِ الميسورَ من خدمِك

الخبزارزي :

تفضل بالقبول علي إني ... بعثت بما يقل لعبدِ عبدِك

أهدى بعض الادباء إلى المعتز شيئاً وكتب اليه : لا يعيب العبد أن يهدي الى سيده القليل من نعمته عنده ، ولا السيد ان يقبل ذلك ، وان كان الكل له ، والسلام .

المقتصر في الهدية على الشكر :

قال المازني : أظرف من اعتذر للفقر واقتصر على الشكر في الاهداء أحمد بن ابراهيم ؛ كتب اليه ابن ثوابة :

إني جعلتُ هديّتي ... في المهرجان إليك شكري

لما تعذّرَ واجبٌ ... فسح التعذر فيه عذري

فإذا مررتَ بذكرِ من ... جاءتْ هديتُه ببر

فأدرْ على اسمي دارة ... واكتب عليه : أتى بعذر !

محمد بن أبي حكيم :

رأيت كثير ما يُهدى قليلًا ... لعبدِك فاقتصرت على الدعاء

وقال آخر :

وافق المهرجانُ والعيد مني ... رقةَ الحالِ وهي داء الكرامِ

فاقتصرْنا على الدعاء وفيه ... عونُ صدقٍ على قضاء الذمامِ

المقتصر على اهداء النفس :

افتصد المتوكل فلم يبق احد من جواريه وحشمه إلاّ أهدى اليه ، فأخبرت قبيحة بذلك ، وكانت معشوقته ، فتزينت ودخلت عليه فأنشدته :

طلبت هديّةً لكَ باحتيالٍ ... على ما كان من حسي وبسي

فلمّا لم أجد شيئاً نفيساً ... يكون هديّتي اهديتُ نفسي

فقال المتوكل : نفسك والله أحب الي !

عبيدالله بن عبدالله بن طاهر :

حبيبي فَصدتُ العِرق من اجل علةٍ ... فلم تهدِ لي فيه وصالاً مجدّدا

فأهديتُ نفسي يوم فصدي بوصلِها ... إليكَ فخذها كي تكونَ لكَ الفِدا

استهداء النفس :

كتب أبو العباس بن رشيد الى صديق كان مشغوفاً به :

الناسُ يهدون إلى المقتصد أحسنَ ما يلقونَه في البلَد
فاهدِ لي وجهَك يا سيدي فإنه أَحسَنُ شيء يَرِد ا

المهدي شيئاً معيناً :

أهدى أبو عبادة الوزير الى المأمون مصحفاً في يوم مهرجان ووافق اول يوم من شهر رمضان فكتب اليه : عدلت عن هدايا السلطان الى التيمن بالقرآن ، وما يرضي الرحمن . فوقع في رقعته : فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ وأهدى احمد بن يوسف الى المأمون هدايا وكتب اليه رقعة ، فلم يستظرف من هديته شيئاً إلا قوله في رقعته : هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة . وبعث ابراهيم بن المهدي بجراب ملح وجراب اشنان وكتب معها : قصرت البضاعة عن بلوغ الهمة ، فكرهت ان تطوى صحف البر خالية من ذكرى ، فبعثت بالمبدوء به لبركته والمختوم به لنظافته ، والسلام . وشرب الرشيد دواء فأهدت اليه الخيزران جارية بكراً معها جام كتب عليه :

إذا خرج الإمامُ مِن الدواء وأعقب بالسلامةِ والشفاء
فليس له دواءٌ غير شربٍ بهذا الجام ينزعُ بالطلاء
وفضّ الخاتم المهدى اليـه فهذا العيشُ من بعدِ الدواء

واهدى رجل الى آخر قلنسوة ونعلًا وخاتماً فقال : لقد أشواني فلان بكسوته أي اصاب شواي .

ذكر الهدية بأنها امارة لفضل صاحبها ونقصه :

قيل : يعرف فضل المرء بفضل هديته ، وسخافته بسخافة بره . وقيل : ثلاثة تدل على عقول اربابها : الهدية والرسول والكتاب . وقد حكى الله تعالى عن بلقيس أنها قالت : وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون . فجعلت جواب الهدية دلالة .

كشاجم : إن هدايا الرجالِ مخبرةٌ عن قدرِهم قللوا او احتفلوا

المهدي هدية سخيفة :

أهدى أبو رهم السدوسي الى قينة كان يتعشقها زنبيل بصل فقال فيه ابن المعدل : قالت جبل ماذا العمل هذا الرجل حين احتفل أهدى بصل ! أهدى رجل الى اسماعيل الطالبي فالوذجة عتيقة قد زنخت وكتب معها : اني اخترت لعملها سكر السوس والعسل الماذي والزعفران الاصفهاني . فكتب

اليه : برئت من الله ان كانت هذه الفالوذجة قد عملت إلاَّ قبل أن يوحي ربك الى النحل ! وأهدى أبو علي البصير الى أبي العيناء كرينجان قد كتب على كل واحدة منها : ادخلوها بسلام آمنين ! فردها ابو العيناء وقد كتب عليها : فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن . وكان رجل قد شغف بصبي فأهدى اليه كلباً فقال ابو شبل :

وما رأت عيني ولا قيل لي أن فتىً مستهتراً صبًّا
لما دنا من وصل أحبابِهِ أهدى إلى أحبابِه كلبا !

الصولي: أهدى إلي هديةً مذمومةً وأذمُّ مِنها عندنا مُهديها
وكأنما هي في سماجةِ منظرٍ تحكيه في قبحٍ كما يحكيها

الممتن بهدية اهداها :

أهدى رجل الى الأعمش بطيخة ، فلما أصبح قال : يا أبا محمد كيف كانت البطيخة ؟ قال : طيبة ! ثم أعاد عليه ثانياً وثالثاً فقال : ان خففت من قولك والا قئتها ! واهدى أبو الهذيل الى استاذ له ديكاً فكان بعد ذلك اذا خاطبه أرّخ بديكه فيقول : إنه كان يوم أهديت اليك الديك ، وأنه كان قبل الديك بكذا وبعد الديك بكذا ! وقدم زياد على معاوية وأهدى اليه هدايا كثيرة ، فأعجب بها معاوية فلما رأى زياد سروره بذلك قال : يا امير المؤمنين ، إني دوخت لك العراق وجبيت لك برها وبحرها وغثها وسمينها ، وحملت لك لبها وسروها . فقال له يزيد : أما اذا فعلت ذلك فقد نقلناك من ولاء ثقيف الى شرف قريش ، ومن عبيد الى أبي سفيان ، وما امكنك تدويخ العراق الا بنا . فقال معاوية : حسبك فداك أبوك ووريت زناده فيك !

الشاكر المهدى اليه :

أتتنا هدايا منه أشبهنَ فضله ومنَّ علي منعماً متفضلا
ولو انه اهدى إليّ وصالَه لكان إلى قلبي ألذّ وأوْصلا

• • •

ومما جاء في الطب والمرض والعيادة

قيل : حد الطب دفع الضد بالضد . وقيل : هو معرفة الداء وتلقيه بالدواء ، وأصل الطب العلم . والطبيب صار اسما للعالم بمداواة أبدان الناس . وقيل : هو استدامة الصحة ومرمة السقم . وقال عبدالله بن المعتز : المرض حبس البدن والهم حبس الروح .

مدح طبيب حاذق :

حكي ان سلموية طبيب المأمون ، وكان قد اسن وذهب بصره ، كان قد دخل على المأمون يتكىء على صبية تقوده ، فلما قام المأمون قام ثم رجع فرجع سلموية الى حضرته واتكأ على تلك الصبية ، فقال للمأمون : هذه الصبيه كانت بكراً وخرجت من عندي الساعة وعادت ثيباً فاستخبرها فقالت : العباس بن امير المؤمنين دعاني الى نفسه لما خرجت فافتضني . فقال له المأمون : وكيف علمت ذلك ؟ فقال : كنت اخذت مجستها فوجدتها قوية ، ثم جسستها فوجدت نقصانها ، فعلمت ذلك . فتعجب المأمون من حذقه . ونحو ذلك في التنجيم . حديث الفيلسوف الذي كان ينام على سرير فنام عليه ذات يوم فأنكره .

وقال : اما أن تكون السماء قد انحدرت او الارض قد ارتفعت ، فتأمل فإذا قد جعل تحت قائمة السرير شيء ارتفع به عن الارض . ومن الحذق البين ما حكي ان عمرو بن الليث زلقت رجله فانخلعت إحدى فخذيه ، فنام على الفخذ الوجعة واستحضر المجبرين وجعل يعرض على واحد واحد الفخذ الصحيحة ويئن اذا مست ، وكان يقول : بهذا نختبرهم الى ان حضر المعروف بابن المغازلي ، فلما جسّها أنّ عمرو فقال ابن المغازلي : ما هذه الجلبة ؟ ما بك من قلبة وإن فخذك اصح من فخذ الظليم ! فعرض عليه الفخذ الاخرى فقال : اما هذه فنعم ! فعلم عمرو انه حاذق فقال : ان مداواتها صعبة لانها تحتاج الى اشالة الرجل ، وأنا استسمج ذلك ولكنني أحتال له ، فعمد الى زق فوضعه بين رجلي عمرو ، وشد ابهامي رجليه بعضهما الى بعض ، وجعل ينفخ في الزق وهو يربو وينتفخ ، ويرتفع الفخذ بانتفاخه الى ان امتد الزق ورد العضو الى موضعه ، ثم حل الابهامين وشده الى ان برأ . وقال رجل : توجع رجلي مدة وتداويت بكل دواء فلم ينفع ، فرأيت طبيباً فوصفت ذلك له قال : انظر فلعل إحدي ركابيك أطول من الآخر ! فتأملت فاذا هو كذلك فأصلحته فزال الوجع السري .

الكندي :

أحيا لنا علمُ الفلاسفةِ الذي أودى فأوضحَ رَسْمَ طبٍّ عافِ
فكأنه عيسى بنُ مريمَ ناطقاً يهب الحياةَ بأوهنِ الاوصافِ
يبدو لهُ الداءُ الخفيُّ كما بدا للعين رضراض الغديرِ الصافي

وله : كأنهُ من لطفِ تدبيرهِ يجولُ بين الدمِ واللحمِ
لو غضبتْ روحٌ على جسمِها ألّفَ بين الروحِ والجسمِ

ذم طبيب :

رأى أفلاطون انساناً مدعياً للصراع ضعيفاً في دعواه ثم تحول طبيباً فقال له : الآن احكمت الصراع ، تهيأ لصراع من شئت فانك تصرعه . ترك لافس التصوير وتطبب فقيل له في ذلك فقال : الخطأ في التصوير تدركه العيون وتلحقه العيوب ، وخطأ الطبيب تواريه القبور . ورأى فيلسوف طبيباً جاهلاً فقال : هذا مستحث للموت !

الخبزارزي في طبيب اسمه نعمان :

أقول لنعمانٍ وقد ساق طبّه نفوساًنفيساتٍعلىساكنيالأرضِ :
أيا منذر أفنيت فاستبق بعضَنا حنانَيْكبعضُالشرأهونُمنبعض !

المصيصي الخياط :

لم يأتِ في الاربعا عليلًا إلاَّ دفنَّاه في الخميس !

مدح الحمية :

قيل : الحمية طابع الصحة . وقيل للحرث بن كلدة : ما الدواء الاكبر ؟ فقال : الازم . وقيل : حمية شهر ايسر من سهر ليلة ، وان تصبر على الحمية شبراً خير من ان تقاسي العلة فتراً . وقيل : لا تأكل ما تشتهي فيصيرك الى ما لا تشتهي . وقيل للسري : قد تركت الشهوة . فقال : تركت ما احب لاستغني عن العلاج بما لا أحب . واحتمى احمد بن المعدل لعلة به فبرأ فقال : الحمية صالحة لاهل الدنيا تبرئهم من المرض ، ولاهل الآخرة صالحة تبرئهم من النار . وقال عمر رضي الله عنه : عزم الرجل بحميته وحزمه بمتاع بيته . وقال المأمون لطبيبه : ما الذي يذهب بأكل الطين ؟ فقال : عزمة من عزمات الرجال . قال : صدقت . فتركه بعد ذلك ولم يعاوده . قيل للصاحب يوماً : تحتمي وتشرب الادوية ؟ فقال : افعل ذلك بغضاً في الحمية وشرب الأدوية .

ذم الادوية أيام الصحة وتجاوز الحد فيها :

قيل : ليس الحمية في الصحة بأوجب من التخليط في الصحة . واستوصف العباس اخو المنصور طبيباً فقال له : كل في الصحة على الطبيب ، وفي المرض على مقتضى قول الطبيب . ودخل بيادوق طبيب الحجاج على بشر بن مروان فقال : أما ترى هذه العلة قد طالت بي ؟ فقال : الى ان أختبرك ولا يكون ذلك إلا على الريق . فبكر اليه وأضجعه على الحصير وجسه ما بين أخمص قدمه الى هامته ثم قال: أيما احب اليك الصدق ام الكذب ؟ فقال : وما حاجتي في الكذب ؟ فقال : انك ميت . فقال : أرني أمارة ذلك . فدفع اليه قطعة لحم طري وشدها في ابريسم وقال : ازدردها ففعل وتركها ساعة ثم قلعها . فإذا عليها دود كثير فقال : كيف أصابني ذلك وقد قدمت بلدكم وكنت نفسي من الحر والبرد ؟ فقال : منها أتيت فقد نغل جسمك ، فالابدان لا تقوم الا بالحر والبرد وان أذياها فعاش بعد ذلك ثلاثة أيام . وقيل : الجوع للحمية اضر على البدن من العلة .

صعوبة الحمية ومدح تركها :

قيل : الحمية احدى العلتين فمن احتمى فهو على يقين من المكروه . وفي شك من المحبوب .
عبد الصمد بن المعدل :

وقالوا : شفاؤك في حميةٍ تعودُ عليك بها النضره
فأصبحتُ في بلدٍ مخصبٍ ببلقعةٍ جدبةٍ قفره

وقال الرشيد للفضل : ما اطيب ما في هذه الدنيا ؟ فقال : رفض الحشمة وترك علم الطب ، فلا عيش لمحتشم ولا لذة لمحتم . وقيل : من عرف ما يضره مما ينفعه فهو مريض . وقال افلاطون : الموت موتان طبيعي وإرادي ، فالطبيعي مفارقة الروح البدن ، والارادي منع الابدان الشهوات . وقيل: الابدان المعتادة للحمية آفتها التخليط ، والابدان المعتادة للتخليط آفتها الحمية .

مدح التقليل من الطعام وذم الاكثار :

اجتمع أربعة من الاطباء عند المأمون عراقي ورومي وهندي وسوادي فقال : ليصف كل منكم الدواء الذي لا داء معه ، فقال الرومي : حب الرشاد ، وقال الهندي : الهليلج الاصفر ، وقال العراقي: الماء الحار ، وقال السوادي وهو أبصرهم : حب الرشاد يورث الرطوبة ، والماء الحار يرخي المعدة ، والهليلج يرقق البطن ، ولكن الدواء الذي لا داء معه أن تجلس على الطعام وانت تشتهيه وتقوم عنه وانت تشتهيه . وقيل لطبيب : كم آكل ؟ فقال : خوف الجوع ودون الشبع .

مضرة الشبع فوق مضرة الجوع :

بقراط : الاكثار من المنافع شر من الاقلال من المضار . وقال ارسطوطاليس : المطعم والمشرب

اذا كثرا على المعدة اطفآ نارها ، فجرت الاغذية في البدن غير نصيحة ، فصار ذلك نقصاناً للبدن يورث الفترة ، كالشجرة اذا كثر ماؤها عفنت وان قل جفت ، وكالسراج اذا قل دهنه أو كثر انطفأ وقال محمد بن عبدالله بن جعفر : من تغدى وتعشى ولم يأكل فيما بينهما سلم من الاوجاع ، لقول الله تعالى : ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا . وقال بعض الاطباء : احب الناس الينا الرغيب البطن لكثرة حاجاتهم الينا . وقد ذكر بعض هذا الباب في كتاب الاكلة .

ما تستدام به الصحة من الاكل والشرب والصوم والجماع :

قال طبيب الحجاج : لا يحفظ الصحة كالاكل بالنهار ، وتقليل الشرب بالليل ، وان لا يحبس البول والنجو والرياح التي تعرض في البطن . من اراد حفظ الصحة فليقل الغذاء وغشيان النساء وشرب الماء . ولما احتضر الحارث بن كلدة اجتمع اليه شبان قريش فقالوا : أوصنا فقال : لا يتزوجن احدكم الا شابة ، ولا يأكل الا لحم فتى ، ولا يتناولن احدكم الدواء ما احتملت نفسه الداء ، ولا تأكلوا الفاكهة الا في ابان نضجها ، واذا تغدى احدكم فلينم عليه نومة ، واذا تعشى فليتخط على اثر عشائه اربعين خطوة ، وعليكم بالنورة في كل شهر فانها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة . وقال أبقراط لما حضرته الوفاة : خذوا جامع العلم مني ، مَن كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته طال عمره . وقال اسكندر : اجمعوا الي الطب في كلمات أتصورها فقالوا : لا تدخل الفضل على المعدة ، ولا تمنع نفسك شهوتها ، فان النفس تقوى على هضم المشتهي ، ولا تنكحن عجوزاً ، ولا تخرج الدم وانت مستغن عن اخراجه ، فانك لا تعل الا علة الموت . وقيل : راع غذاءك فانت تحكم به بناءك . اخبر حاتم بن زيد بن المهلب بشيخ قد اتت له مائة وخمسون سنة في اعتدال جسم ونضارة لون فاستدعاه وسأله فقال : ان كان لما ارى من هذه الموهبة الجميلة سبب بعد تقدير الله تعالى فما أصفه ما احتملت مهما تبعد على مدافعته ، ولا رأيت من زوجة مكروهاً ، ولا اجتمع في بطني طعامان ، واذا شربت شراباً تناولته رقيقاً طيباً لا أمَل منه ، ولا استدعي الطبيعة من غير عارض ، وما استدعيت للباه حركة إلا أن يهيج بالطبيعة على القلب ، واذا فعلت ذلك أقللت الحركة بقية يومي . وكان جالينوس يقول : اجتنبوا ثلاثة وعليكم بأربعة ولا حاجة لكم بالطبيب : اجتنبوا الغشيان والغبيراء والنتن ، وعليكم بالدسم والطيب والحلواء والحمام .

نفع النوم ومضرة السهر :

قال المأمون : قد أصبت دواء يبرىء ولا يؤكل ولا يشرب . فقيل : ما هو ؟ قال : النوم أثر الغداء . وقيل : اذا أكلت فاضطجع على جنبك الايسر ، فإن الكبد يقع على المعدة فينضج الطعام فيهضمه .

ما تتولد منه العلل :

قيل : أضر الاشياء طعام بين شرابين وشراب بين طعامين . وقيل : أضر الاشياء للبدن الفكرة والسهر ، وأنهك الاشياء للبدن الخوف . وقيل : ثلاثة تورث الهزال شرب الماء على الريق ، والنوم على غير وطاء ، وكثرة الكلام برفع صوت . وقيل : أربع يهدمن الجسم وربما قتلنه : أكل القديد الجاف ، والجماع على الامتلاء ، ومجامعة العجوز ، وادخال الطعام على الطعام ، وشرب الماء في ثلاثة مواضع متلف : عقيب الخروج من الحمام ، وأثر الجماع ، وعلى الاعياء . وقيل : من أدوأ الداء الشرب على اللقمة في الفم . وقال طبيب الهند : اجتنبوا ما اخرج الضرع والبحر والنخل تسلموا . وقال الحارث بن كلدة لانوشروان : الاكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ، وغشيان المرأة المولية يضعف القوة ويسقم البدن ، لأنها كالشن البالي ماؤها سم قاتل ونفسها موت عاجل ، تأخذ منك ولا تعطيك واجمع علماء الطب على مضرة اللحم الجاف والسمك والبيض البارد ، واجمعوا على منفعة النبيذ والسويق والسكنجبين . وقيل : من حم يوماً فلا يأكل الكشك سنة . وقيل : كثير الرّمان ضار كما ان قليله نافع.

من تناول طعاماً وتحقق تولد علة منه :

اجتاز رجل بصديق له محموم فسأله عن سبب علته فقال : أكلت في هذا الصيف فراخاً وعسلاً وشربت خمراً صلباً ونمت في الشمس فقال له : عليّ كل يمين لو كانت الحمى من حملة الشمس ورأتك بهذه الحالة لتركت عملها ووافتك . وقال بعضهم : أكل رجل سمكاً وخبز ارز ولبناً وشرب عليه ماء كثيراً بجليد ، ودخل سرداباً فجامع ونام هناك ، فأتى الموت حيه ودق عليهم الباب وقال : تعالوا وانظروا إلى هذا المتخلف وفعله ، فان هذا يموت فيقال اختطفته المنية ، ولا يعرفون سوء تدبيره وقبح صنيعه . نظر طبيب إلى دهقان يغرس شجرة مشمش فقال له : ما تصنع ؟ قال : اعمل لي ولك . يعني أن الطبيب ينتفع بالمشمش لسوء أثره على آكليه ، وحاجتهم إلى الطبيب لما يتولد عليهم من الادواء لاكل الطري منه . وفي هذا المعنى يقول ابن الرومي :

إذا ما رأيتَ الدهرَ بستانَ مشمشٍ ... فأيقنْ يقيناً أنـهُ لطبيبِ
يغـلُّ له ما لا يغلُّ لغيرِهِ ... يغل مريضا حمل كل قضيبِ

هيجان الدم ونقصانه :

قال النبي ﷺ : اذا تبيغ بأحدكم الدم فليحتجم لئلا يقتله . قال ابن ماسويه : في الفصد ثلاث منافع وثلاث مضار ، أما منافعه فانه يحد البصر ويصفر اللون ويزيد في اللحم ، ومضاره انه يضعف البدن ويجلب الضعف ويقطع الباه . قال جالينوس : الدم في الجسد كالزيت في السراج اذا نفد الدهن طفىء السراج . وقال بختيشوع للمأمون : البدن الى الدم أحوج منه الى اخراجه ، ألا ترى الى الطباخ الحاذق يجيء الى القدر وهي تفور ، فيأخذ رغوتها ويسكنها بشيء من الماء أو غيره وهي

ممتلئة ؟ فكذلك يفعل بالدم . وافتصد المأمون يوماً فأراد أن يشرح وكان قد أتخم ، فشدوا الرباط عليه فلم يخرج الدم ، فقال المأمون : قد عقرعوني فحلوا الرباط واعتزلوا وتشاوروا بظهر الغيب عني ، فالهيبة أدهشتكم فاعتزلوا يتشاورون ، فدعا فراشاً وأمره بمصه فمصه فخرج الدم . فقال : ادع هؤلاء الحاكة : فلما رأوه أخبرهم بذلك فقالوا : لو فعل جالينوس هذا كان عجيباً .

تهنئة بالفصد :

ابن رزين الواسطي :

أراقَ الفصدُ خيرَ دمٍ دمِ الاذهانِ والفهم
لقد أخطأ الطبيب غدا ة فصدكَ طيب النسم
وراح وفي حديدته دم المعروف والكرم

ابن الرومي :

يا فاصداً من يد جلَّتْ أياديها وذاقطعمَ الردىوالبؤسشانيها
يدالندى هي فارفقْ لا تُرقْدِها فان أرزاقَ طلابِ النَّدى فيها

وافتصد جعفر بن يحيى فكتب اليه الفضل :

إذا أنت أسبلت للباسليق عيوناً من اجفانه الواهِيَه
رأيتَ اعتدالَك يبكي دماً وتضحكُ مِن جنبك العافِيَه

جملة التداوي :

قال بقراط : جملة المعالجة خمسة أضرب ، يعالج ما في الرأس بالغرغرة ، وما في المعدة بالقيء ، وما في اسفل المعدة بالاسهال ، وما بين الجلد بالعرق ، وما في داخل الجلد باخراج الدم . وقال جالينوس : يعالج ما في قعر الكبد والطحال والكليتين باخراج البول ، وما في المعدة من ضعف او تغير مزاج او فضول زائدة يرقق بالادوية ، ان كانت حرارة بردت ، وان كانت رطوبة جففت .

من امتنع في مرضه من التداوي وذكر قلة غنائه :

قيل لابي بكر رضي الله عنه : ألا ندعو لك طبيباً ؟ فقال : قد رآني الطبيب وقال : انا فعال لما اريد . ودخل عثمان على بن مسعود رضي الله عنهما في مرضه فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : ما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي . قال : ألا ندعو لك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : ألا نأمر لك بشيء ؟ قال : فما منعتني قبل اليوم فلا حاجة لي فيه اليوم . قال : ندعه لعيالك ؟

قال : اني علمتهم شيئاً اذا راعوه لم يفتقروا ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قرأ في كل يوم وليلة سورة الواقعة لم يفتقر ابداً . وقيل لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ذلك فقال : لو علمت ان دوائي في مسح اذني ما مسحتها ، نعم المذهوب اليه ربي . وقيل للربيع بن خيثم في مرضه : ألا ندعو لك طبيباً ؟ فقرأ : وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً ؛ قد كان فيهم مرضى واطباء فلا المداوي بقي ولا المداوى . واستحسن قول الشاعر :

إن الطبيبَ بطبِّهِ ودوائِه — لا يستطيعُ دفاعَ مقدورٍ أتى
ما للطبيبِ يموت بالداء الذي — قد كان يبرىء مثله فيما مضى ؟
هلك المداوي والمداوى والذي — جلب الدواء وباعه ومن اشترى

المتنبي : يموت راعي الضأن في جهلِه — ميتةَ جالينوس في طبِّه

وروي أن موسى عليه السلام قال : يا رب من اين الداء ؟ قال : من عندي . قال : الدواء ؟ قال : من عندي . قال : فالاطباء ما يصنعون ؟ قال : يطيبون قلوب عبادي حتى تحل عافيتي أو بلائي .

ابن نباتة : نعلِّلُ بالدواء اذا مرضْنا — وهل يشفي من الموت الدواء ؟
ونختار الطبيبَ وهل طبيبٌ — يؤخِّر ما يقدِّمه القضاء ؟
وما أنفاسُنا إلا حسابٌ — ولا حركاتنا إلا فناء

وقال مسلمة : ما وعظني شيء بعد القرآن كما وعظني بيتان لعمران بن حطان :

لنا كلَّ عام مرضةٌ ثم نقهةٌ — ونبغي ولا نبغي متى وإلى متى
فيوشك يومٌ أن يوافقَ ليلةً — يسوقان حتفاً راحَ نحوكَ أو غدا

وصف الحمى :

دخل بختيشوع على يحيى بن خالد بعقب حمى فقال له : توقَّ فان حمى ليلة يبقى في البدن تأثيره سنة . وعنده وكيع فقال : صدق ! فقال يحيى : ما أقرب تصديقك اياه ! قال : لأن النبي ﷺ قال : حمى ليلة كفارة سنة . فعلمت أن هذا كما قال . وقال النبي ﷺ : ان الله تعالى يقول الحمى ناري أسلطها على عبدي ، فان لم يشكني الى عوّاده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ، وأخرجته من ذنوبه كهيئة يوم ولد . وقال ﷺ : الحمى من فيح جهنم فأطفؤها بالماء . ويستجاد قول المتنبي :

وزائرتي كأنَّ بها حياءً — فليس تزورُ إلا في الظلام
بذلتُ لها المطارفَ والحشايا — فعافتها وباتَتْ في عظامي

اذا مــا فارقتني غسلتني ... كأنا عاكفانِ عــلى حرامِ
أراقبُ وقتها من غير شوقٍ ... مراقبةَ المشوقِ المستهامِ

حم أعرابي في أيام القيظ بمكة ، فاتى الأبطح وقت الظهيرة فتعرى وطلى بدنه بالزيت ونام في الشمس ، وجعل يتقلب فيها ويقول مخاطباً للحمى : لتعلمن ما نزل بك يا حمى ، عدلت عن الامراء وأهل الثراء ، وجئتني ؟ فعرق وذهبت حماه وقام ، فسمع قائلًا يقول : حم الامير ! فقال : أنا والله بعثها . فلعن الله من وشى به عليّ ! وقيل : التقى حمتان فسألت احداهما الاخرى فقالت : آتي كل يوم رجلًا خرِماً ناعماً فيضجعني على فراش وطيء فأُضاجعه في ارغد عيش ، فأنصرف عنه بأطيب حال . فقالت الاخرى : ويحك إني وقعت الى كساح قذر متى قصدته يأت بي سبخة فيعركني في التراب فأرجع عنه متربة ، فقالت : ويحك تعالي الى صاحبي لاغاديه أنا وتراوحيه أنت .

الرمد :

كتب علي بن القاسم رحمه الله : بلغني عن حال رمد عرض له ما أرمد خاطري وأظلم ناظري ، وأذهلني عن كل مهم وخفف في عيني وقلبي كل ملم . ويستحسن في عين محبوب رمداء قول ابن المعتز :

قالوا : شكت عينُه ! فقلتُ لهم : ... من شدةِ الفتكِ نالها الوصبُ
حمرتُها من دماء مَن قتلَتْ ... والدمُ في النصل شاهدٌ عَجَبُ

ابن الحجاج :

أنا الفـداء لعينٍ بعضُ أسهمِها ... مسكونةٌ بين أحشائي وفي كبدي
فيها فتورُ سقامٍ لا خفـاء به ... يجردُ السقم في قلبي وفي جسدي
كانت تعلّ فؤادي وهي سالمةٌ ... فكيف بي وهي تشكو علة الرمد ؟

النقرس :

كان أبو الفضل بن العميد يكثر برجله النقرس فقيل له : لا تغتم فان ذلك يؤذن بطول العمر ! فقال : طول العمر هو أن من به النقرس يسهر ، فيصير ليله نهاراً فكأنما يتضاعف عمره .

شاعر : ألا فاعجبوا من مفلسٍ حلفَ نقرسٍ ... أما نقرس في مفلسٍ بعجيبِ

وقال المبرد : ذكر اعرابي رجلًا قد أثرى فقال تنقرس ، كأنه سمع ان النقرس يكون مع النعمة . ومنه قول اعرابي :

فصرت بعد الفقر والتفلُّس ... يخشى على الحي داء النقرس

وقال ماسرجوية : لا ينقرس الناطفي في رجله والشطرنجي في يده .

الحبون :

دخل شبيب بن شبة الى ابن هبيرة فقال : ما حبسك عنا ؟ فقال : علة منعت الحركة ولم توجب العيادة حتى خرج علي ، فقال ابن هبيرة : ان لحماً شديداً عاد قيحاً وصديداً لأهلٌ أن يعاد صاحبه . وقيل : حبنك يؤذن بمالك . وقال بعض الادباء : انما يؤذن بما لك بفتح اللام أي يقتضي أن يقال أي شيء لك ؟

شاعر : وبي دمّل في كل يوم يزورُني فيقلقُ احشائي ويسهرُ مقلتي
يقول لي العوّاد : مال وصحّة فيا ليتهم آبوا بمالي وصحتي

أبو حكيمة :
أيحسدني ابليسُ داءين أصبحا برأسي ورجلي : دمّلًا وزكاما
فليتهما كانا به ، وأزيدُه زمانَة أيرٍ لا يُطيقُ قِياما

الجوب :

في الخبر ان النبي ﷺ قال : لا عدوى . فقيل : ان البعير يجرب في القطيع فيجرب بجربه الابل كلها . قال : فمن أجرب الاول ؟ ويسمى الجرب حبيبات الطرب . وقيل : صاحب الجرب شاكر لانه أبداً يقول قد ذهب .

الصنوبري :
الشيبُ عنديَ والافلاسُ والجربُ هذا هلاكُ وذا شؤمٌ وذا عطبُ

عبدان : ومستخبرٍ حالتي اذ رأى اقض على جنبي المضجع
فقلت مجيباً له : إنني لضري كما قال لي اسجع
اذا الليل ألبسني ثوبَه يقلب فيه فتى موجعُ

الزكام :

روي انه قيل : ثلاثة لا يعدن، المزكوم والرمد والجرب . وقالت عائشة رضي الله عنها : من لا يعودني في الزكام لا أبالي ان لا يعودني في مرض آخر . وقيل : مؤنة أنف المزكوم أعظم من مؤنة استين . ودعا عيسى بن علي ابن المقفع الى الغداء فقال : لست اليوم بمؤاكل للكرام لانني مزكوم ، والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار . ويقال : ان الشيطان قال ما حسدت ابن آدم الا على شيئين الطشاة والحقوة اي الزكام والهيضة .

الوزير الرئيس الكافي الأوحد :

ونزلةٍ كنت أحمي وجهَ موردها ... ففاجأتني على ضرب ٍمنَ الحمر
سدت علي طريقَ الروحِ منتشقاً ... وأسلمتني لأيدي الروعِ والخدرِ
وأنشأتْ مزنة في الرأس مضرمةً ... ينعق بارقُها في السمعِ والبصرِ
حتى إذا مخضتها مـدة قدرت ... مدت بصفو حميم غير ذي كدرِ
ففي شؤني حريق من تلهبه ... وفي الخياشيم ضيق محصد المررِ
لا الفصدُ يغني ولا ماء الشعيرِ ولا ... طولُ احتماء اذا ما همّ بالدرر
فالحمد لله حمـداً لا كفاء له ... على السلامة ، وقاها ٍمنَ الغيرِ

شرب الادوية المسهلة :

سئل طبيب كسرى عن دواء المشي فقال : سهم ترمي به في جوفك أخطأ أم أصاب . وقيل : الدواء مثل عدو الى جانبه صديق ، ترمي العدو فلا تأمن من ان يصيب الصديق . وقيل : الدواء في البطن كالصابون في الثوب ، ينقيه لكن يخلقه . وقيل لبقراط : ما بال الانسان أثور ما يكون بدنا اذا شرب الدواء ؟ فقال : مثل ذلك مثل البيت أكثر ما يكون غباراً اذا كنس . وقيل : لا تستعمل الأدوية في ما تنفع فيه الاغذية . وقيل : النفس اذا ألفت الدواء فسدت ، لأن الدواء يجب ان يطرأ عليها غريباً فتحتشم .

الكناية عن الادوية المسهلة :

كان ظرفاء البصرة يقولون لشارب الدواء : لم لبست النعل ؟ ويقال : شربت فما انجاني ؛ كناية عنه . وكتب الصنوبري الى صديق له شرب الدواء :

نَبِّني كيف تخطيك إلى دار الكرامه ... كم جدار هدّ من رعدٍ وكم سحَّت غمامه ؟

فلم يجبه . فكتب اليه ثانياً :

ابن لي كيفَ أصبحتَ ... وما كان من الحـال ؟
وكم سارت بك الناقةُ ... نحو المنزلِ الخالي ؟

فاجابه : كتبت اليك والنعلان ما ان ... أغبهما من السيرِ العنيفِ
فان رمتَ الكتاب إليّ فاكتب ... على العنوان يوصل في الكنيف

الحقنة :

كان كرتكين امير بغداد امره الطبيب بالحقنة قال : يوضع في استه كذا ! فقال : في است من ؟ فخاف الطبيب فقال : في استي ايد الله الأمير ! وكان عين الدولة أصابه مغص فاشير عليه بالحقنة فأبى وتفادى منها . فلما اشتد به الوجع قال : يا قوم ادخلوا هذا الجذع في استي وأريحوني ! فحقن وبرأ . واعتل اعرابي فاشير عليه بالحقنة . فقال صديق له :

كفى سوءةً أنا نراك محبساً   على شكوة قبحاء وفي استك عودها

الحث على التداوي بالادوية :

روي في الخبر : تداووا فإن الله ما وضع داء الا وضع له دواء الا الهرم . وقال طبيب لرجل: بم تداوي من حماك ؟ قال : بالنشرة . فقال : ان رأيت ان تغسلها بماء الشعير وتشربه فافعل . وقال رجل لآخر وكان معه ابل جرب : هلا داويتها ؟ فقال : ان لنا عجوزاً صالحة نتكل على دعائها ونستغني به عن الدواء ! فقال : اجعل مع دعائها شيئاً من القطران .

التداوي بالقرآن والادعية :

وجد ابن أسقع يشكو حلقه فقال له النبي ﷺ : عليك بقراءة القرآن . ووجد بعض الصحابة شكوى في بعض بدنه فقال ﷺ : ضع يدك اليمنى عليه وقل : بسم الله اعوذ بالله وبقدرته من شر ما اجده ، سبع مرات .

ذكر التأني في المداواة والمبادرة :

قيل : حق الطبيب ان يتأنى في المداواة فعثرته لا تقال . وقيل : المتأني في علاج الداء بعد معرفة الدواء كالمتأني في اطفاء النار ، وقد اخذت بحواشي ثيابه .

نوادر الاطباء :

جاءت امرأة الى طبيب بقارورة فقال : ما يجد صاحبها ؟ قالت : به حرارة وضيق ويبوسة . فقال : ليت ذاك في حر امرأتي ! وجاءت أخرى ببستوقة فيها ماء فقال : لو جاز في البستوقة لجاز ان تحمليه في حرك ! وشكا رجل الى طبيب سوء الهضم فقال : كله مهضوماً . وجاء آخر الى طبيب فقال : أكلت الشعير والرطبة فأصابني مغص فقال : هذا طعم الحمار فاذهب الى يحيى البيطار يعالجك. واعتل رستاقي فجاء إلى الطبيب فقال له : كل الرائب . فقال : والله إني لو عصرت ما انعصر مني لا الرائب . وقال طبيب لمريض : لا تأكل السمك واللحم . فقال : لو كانا عندي ما اعتللت . شكا عبدالله بن جعفر ضرسه فقال له عبدالله بن صفوان : ان ابليس يقول دواء الضرس قلعه ؛ فقال : انما

بطمع ابليس أولياؤه . شكا رجل الى أبي السائب وجع رجله فقال له : لا تأكل القديد . فقال : أنا أحبه . قال : فالوجع أيضاً يحب رجلك . وظن خادم ان بشراً المريسي طبيب ، فعرض عليه ماءه فقال : أنا طبيب الاديان لا طبيب الأبدان .

سخفيات في الطب :

نظر عبادة إلى رجل في عينه جرب فقال : اعطني مائة درهم أصف لك دواء . قال : افعل . فقال : خذ ورق المدر وعروق الحجر واسحقها واكتحل بها سبع سنين ، فإن لم تذهب عينك فخذني به ! فرفع رجله وضرط عليه ضرطتين فقال : خذ هذين الدرهمين فان نفع دواؤك زدناك ! وركب بختيشوع يوماً مع المأمون فتعلق به مجنون وقال : أيها الطبيب خذ نبضي . فأخذه وقال : ما تشتكي ؟ فقال المجنون : اشتكي الشبق ! فقال بختيشوع : خذ مسواك أراك وادخله من وراك فانه صالح لذاك ! فضرط المجنون وقال : خذ هذا لذاك حتى نجرب دواك ، فإن كان صالحاً زدناك ولا يكون لنا طبيب سواك ! فضحك المأمون .

شهوة المريض للطعام :

قيل للخليل في علته : أتشتهي شيئاً ؟ قال : لا وبودي ان أشتهي . وقيل ذلك لآخر فقال : أشتهي ما لا اجد واجد ما لا أشتهي . وقيل ذلك لآخر فقال : اشتهي ان لا اموت . قال بقراط: المريض الذي يشتهي أرجى عندي من الصحيح الذي لا يشتهي .

المتنبي : ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ   يجد مرّاً به الماءَ الزُّلالا

من شكا علته :

أبو نواس وقيل هو آخر شعر قاله :

دب فيَّ السقامُ سفلًا وعلوا   وأراني أموت عضواً فعضوا
ليس يمضي من ساعة بي الا   نقصتني بمرها بي جزوا
لهف نفسي على ليال وأيا   م تمتعتهن لعبا ولهوا

قيل لعمرو بن العاص في مرضه : كيف تجدك ؟ قال : أجدني اذوب ولا اثوب ، واجد نجوي اكثر من رزي فما بقاء للشيخ على ذلك . وقيل : ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبرُ .

حد شكوى العلة :

قال بعضهم : دخلت على سفيان وهو عليل فقال : اشتكي كذا وبت البارحة بكذا . فقلت : اما تخشى ان تكون هذه شكاية من الله ؟ فقال : أنا اذكر قدرته علي . ولما مرض امير المؤمنين

دخل اليه الناس فقالوا : كيف تجدك ؟ قال : بشر . قالوا : اهذا كلام مثلك ؟ قال : اجل إن الله تعالى يقول : ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، فالخير الصحة والشر المرض . وقيل : الشكوى تخفف الهم وتزيل الالم . وقيل لآخر : ما تشكو ؟ فقال : تمام العدة وانقضاء المدة . ووجه المتوكل الى الجاحظ يدعوه فقال : ما يصنع امير المؤمنين بشخص ليس بطائل ذي شق مائل ، ولعاب سائل وفرج مائل وعقل حائل ؟

شكوى العلة :

قال المأمون لابنه العباس وقد شكا اليه وجعاً في بطنه : يا بني إنك لا تجد مواساة في عرض ما تجده في بدنك ولا يشركك فيه صديقك فلا تشمتن به عدوك . وقال بعضهم لمن يشكو : أتشكو من يرحمك الى من لا يرحمك ؟ وقيل لسعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وهو مريض : ان المريض يتفرج الى الانين والى أن يصف ما به الى الطبيب . فقال : أما الانين فوالله انه لجزع وعار ولا يسمع الله مني أنيناً فاكون عنده جزوعاً ، وأما الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ، فان شاء قبضها اليه وان شاء منّ بها علي .

فضل الصحة والعافية :

قيل : شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما : الشباب والعافية . وقيل : لا يعرف طعم العافية إلا من نالته يد العلة ولا طعم الرخاء الا من مسته يد البلاء . وقيل : الدنيا بحذافيرها الامن والعافية. لا تزال غنياً ما دمت سويا .

نفع المرض :

اعتل الفضل بن سهل بخراسان ثم برأ ، فجلس للناس فهنؤه بالعافية وتصرفوا في فنون الكلام ، فلما فرغوا اقبل على الناس فقال : ان في العلل نعماً ينبغي للعاقل ان يعرفها : تمحيص الذنب والتعرض للثواب ، والايقاظ من الغفلة والاذكار بالنعمة في حال الصحة والاستدعاء للتوبة والحض على الصدقة، وفي قضاء الله وقدره الخيار . ودخل الحسن بن علي رضي الله عنهما على عليل فقال : ان الله قد أقالك فاشكره ، وذكرك فاذكره . واعتـــل جعفر بن محمد عليهما الرضوان فقال : اللهم اجعله ادباً لا غضباً . وقال عليه السلام : ان المريض تتحات عنه خطاياه كما يتحات ورق الشجر . وذكرت الأدواء عند أبي الدرداء فقال رجل : ما اشتكيت قط ! فقال : لا جرم ان ذنوبك لم تحط عنك .

وجوب عيادة المريض :

قال النبي ﷺ : حق المسلم على المسلم ثلاث : عيادة المريض ، وتشميت العاطس ، وتشييع الجنازة . وقال ﷺ : من عاد مريضاً خاض الرحمة ، فاذا قعد عنده استنقع فيها ، واذا خرج من عنده خاض الرحمة، وقيل : عيادة المريض بعد ثلاث . وفي الخبر : عودوا مرضاها وشيعوا هلكاها وعزوا ثكلاها .

ادب عيادة المريض :

قيل : سوء العيادة تلقيح العلة . وقال الفضل بن الربيع : لا تقولوا كيف امير المؤمنين ولا تسألوه عن حاله فتكلفوه الجواب ولعله يثقل عليه الكلام ، ولكن اجعلوا مسألتكم الدعاء له ، وقولوا بدل كيف يجد امير المؤمنين نفسه : أنزل الله عليه الشفاء والرحمة .

شاعر : حق العيــادة يومٌ بعد يومين وجلسةٌ لَكَ مثل اللحظ بالعينِ
لا تُبرِمَنّ مريضاً في مساءلةٍ يكفيك من ذاكَ تسآلٌ بحرفينِ

ودخل قوم على السري السقطي رحمه الله وهو عليل فأطالوا الجلوس وقالوا : ادع لنا فقال : ارفعوا ايديكم وقولوا اللهم اجعلنا ممن علمتهم عيادة المرضى ! ودخـــل قوم على مريض فأطالوا ثم قالوا : أوصنا . فقال : أوصيكم أن لا تطيلوا الجلوس عند المريض اذا عدتموه . ودخل ثقيل على مريض فأطال الجلوس ثم قال : ما تشتكي ؟ قال قعودك عندي !

شكاية من لا يعوده اخوانه :

جحظة البرمكي :

مرضتُ فلم يكن في الارض حرٌّ يشرفني ببرٍّ او سلام
وضنُّوا بالعيادة وهي أجرٌ كأن عيادتي بذلُ الطعامِ

الاعتذار من ترك العيادة :

شاعر : إن كنتَ في تركِ العيادةِ تاركاً حظي فإني في الدعاء لجاهدُ
ولربما تركَ العيادةَ مشفقٌ وأتى على غلِّ الضميرِ الحاسدُ

من عاده بمرضه :

عبد بني الحسحاس :

يعدْنَ مريضاً هنّ هيّجْنَ داءه ألا إنما بعضُ العوائدِ دائيــا

آخر : وخُبّرت ليلى بالعراق مريضةٌ فأقبلتُ من أهلي بمصر أعودُها
فوالله ما أدري إذا انا عدتُها أأبرئُها من دائها أم أزيدُها ؟

مريض عاد صحيحاً :

شاعر : إذا مرضنا أتيناكم نعودُكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذرُ

العباس بن الاحنف :

قالت: مرضت! فعدتُها فتبرمَتْ　　وهي الصحيحة والمريضُ العائدُ
والله لو أنَّ القلوبَ كقلبِها　　ما رقَّ للولدِ الضعيف الوالدُ

وصف العلة بأنها تنال الاماثل :

روي ان الله تعالى يجعل العلة تمحيصاً لذنوب اوليائه . وقال النبي ﷺ : مثل المؤمن مثل الخزمة من الزرع تفيؤها الريح مرة هكذا ومرة هكذا ، ومثل المنافق مثل الارزة المجدبة على الارض يكون انجعافها مرة .

أبو تمام : فإن يكنْ وصبٌ قاسيت صورته　　فالورد حلفٌ لليثِ الغابةِ الاضم
إنّ الرياحَ إذا ما اعصفَتْ قصفَتْ　　عيدان نجدٍ ولم يعرضن للرتمِ

البحتري : وما الكلبُ محموماً وإن طال عمرُه　　ألا إنما الحمى على الاسد الورد

ذكر تباطؤ زوال العلة :

دخل سفيان على جار له مخنث فقال له : كيف تجدك ؟ قال : جاءتني العلة باقات والعافية تأتيني طاقات . وقيل : العلة تحمل على الجمال وتنقل على النمال .

حث العائد على تنشيط المريض :

قال يوحنا : بشروا المريض بالبرء ونشطوه لشرب الدواء ، ولا تصعبوا عليه العلة فتخاف نفسه ويموت حسه . وقال بقراط : حدثوا المريض حال من كان في أصعب من علته فبرأ ، ولا تحدثوه عمن كان في مثل علته فمات . وقيل : أدب العيادة تشجيع العليل بلطيف اللطف وحسن الفأل .

الحث على تخويفه ليتجنب المضار :

قيل : خوفوا المريض ليجتنب المضار ، فمن خوفك لتلقى الأمن خير لك ممن أمنك لتلقى الخوف . وقيل : من أوجرك المر لتبرأ خير ممن أوجرك الحلو لتسقم . ودخل طبيب على مريض قد اصاب اصبعه ريح فشمها فقال : إن أكلت اليوم شيئاً مت . فلما كان من الغد برأ فقيل له في ذلك فقال : لو لم اخوفه لتجاسر على الأكل فكان يطول عليه .

رقيع خوّف مريضاً برقاعته :

عاد رجل مريضاً لم يكن به بأس فقال : لا ضير اذا رأيتم المريض هكذا فاغسلوا ايديكم منه ،

فقد كان ابي به هذا الداء فمات . وعاد آخر عليلًا فقال : ما علتك ؟ قال : وجع الركبة . فقال : ان جريراً يقول بيتاً ذهب عني صدره وآخره :

وليس لداء الركبتين دواء

فقال : ليتما ذهب عنك عجزه مع نفسك ! ودخل آخر على مريض فقال : آجركم الله . فقيل : إنه لم يمت ! فقال : يموت ان شاء الله ! وقال رجل لمريض : كيف انت جعلني الله فداءك ؟ فقال : على الموت . فقال : اذاً لا جعلني الله فداءك فاني قدرت أن في الامر فسحة .

تهنئة من برأ من مرض والدعاء له :

أشجع : لئن جرحَتْ شكاتُك كلَّ قلبٍ لقد قرتْ بصحتِكَ العيونُ

وله : لقد أمسى صلاح أبي علي الأرضِ كلّهمُ صلاحا

قيل لاعرابي برأ من علته : الحمد لله الذي سلمك . فقال : أو يسلم من الموت في عقبه ؟ كتب عبدالله بن المعتز : أذن الله بشفائك وتلقى داءك بدوائك ، ومسحك بيد العافية ووجه اليك وافد السلامة ، وجعل علتك ماحية لذنوبك مضاعفة لثوابك .

ابن المعتز :

يا رب أمسك رمقَ الدنيا به واغسلهُ بالصحةِ من أوصابهِ

أبو تمام : سقمٌ أتيح له برءٌ فزعزعهُ والرمح ينآدُ طوراً ثم يعتدلُ

قد حال لون فردَّ اللهُ نضرتَهُ والنجمُ يخمد حيناً ثم يشتعلُ

المتنبي صحَّت بصحتِك الغاراتُ وابتهجَت بها المكارمُ وانهلّتْ بها الديمُ

وراجعَ الشمسَ نورٌ كان فارقَها كانما فقدهُ في جسمها سقَمُ

تفدية المريض :

شاعر : فديناكَ لو نُعطى المنى فيكَ والهوى لكانَ بنا الشكوى وكان لك الأجرُ

البحتري : بأنفسِنا لا بالطوارفِ والتلد نقيكَ الذي تخفي من السقم أو تبدي

بناء معشر العافين، ما بكَ من أذى فإن أشفقوا مما أقول فبي وحدي

آخر : يا ليت علّته بي غير أنَّ له أجرَ العليلِ وأني غيرُ مأجورِ

ديك الجن :

يا ليت حمّاه بي كانت مضاعفةً يوماً بشهرٍ وأن الله عافاهُ
فيصبحُ السقمُ منقولاً الى جسدي ويجعلُ الله منهُ البرء عقباهُ

من ذكر شدة ما قاساه بعد ما صح :

عبدالله بن المعتز :

أتاني ببرء لم أكنْ فيهِ طامعاً كمثل أسيرٍ حلّ بعد وثاقِه
فان كنتُ لم أجزعْ من الموتِ جزعةً فإني مجحتُ الموتَ بعد مذاقِه

تغير اللون :

قال الصولي : لم يسمع أحسن من قول البحتري في صفرة اللون .

بدت صفرةٌ في لونه ان حمدهم من الدرّ ما اصفرّتْ حواشيه في العقدِ

أبو تمام : لم يشن وجههُ البهيجَ ولكن جعلتْ وردَ وجنتَيهِ بهارا

أنواع مختلفة في الطب :

اشتكى رجل بطنه فقال النبي ﷺ : اذهب الى امرأتك واستوهب منها درهمين ، واشتر بها عسلاً واقرأ عليه القرآن وتناوله ففعل فبرأ فقيل له في ذلك فقال عليه الصلاة والسلام : ان الله تعالى يقول : فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً . وقال في العسل : فيه شفاء للناس . وقيل في الطعام : اذا خرج من الجوف قبل سبع ساعات فهو مذموم غير محمود ، واذا بقي بعد أربعة وعشرين ساعة يضر . وقيل : كل شيء ينام من الانسان الا أربعة : الوريد والسحر والمثانة والمعدة . وقال جعفر ابن محمد : قيل الطبائع اربع ، الدم وهو عبد وربما قتل صاحبه ، والبلغم وهو خصم ألدّ ان خصمته من جانب احتج عليك من جانب ، والصفراء وهي مرة كالصبى ومرة كالملك تداوى في الحالين ، والسوداء وهي كالارض اذا رجفت رجف ما فوقها . وقيل : اذا كان الطبيب حاذقاً والعليل عاقلاً والقيم فهما فأجدر بالداء ان يزول . لسعت عقرب مرم اعرابي فقيل : اين لسعتك ؟ فقال : حيث لا يضع الراقي أنفه . ولسعت آخر فقال اعرابي : عندي دواؤه ، فقيل له : ما هو ؟ قال : الصياح الى الصباح . قيل : فرط الغم والسرور يقتلان ، اما الغم فانه يجمد الدم والسرور يلهبه حتى تعلو حرارته على الحرارة الغريزية . ولما دخل الرشيد طوس اشتدت علته وطبيبه بختيشوع يغدو ويروح عليه ويعطيه الأباطيل ويمنيه الاماني ويقول : ان علتك من حدة السفر . فدعا الفضل يوماً وقال : أبغني رجلاً عاقلاً من التجار أشاوره في أمري وافضي اليه بسر ، فجاءه

برجل من اهل طوس فاستنطقه فرآه عاقلاً ، فقال : أتحفظ السر ؟ قال : نعم . فخلا به وقال : خذ هذه القارورة فأت بها جبريل بن بختيشوع فقل له : هذه قارورة أبي فتأمله فان كان له دواء فعرفني، وان لم يكن له دواء فعرفني ليتجهز ويصلح امره . فذهب إليه بالقارورة فلما نظر اليها جبريل أقبل على ابيه وقال : ما أشبه ماءه بماء ذلك الرجل إن هذا ميت لا محالة ! فرجع الرجل واخبر الرشيد بما قاله فقال : ويلي على ابن الزانية ! يا فضل اذهب فاضرب عنقه يعني الطبيب ، فاخذه الفضل وحبسه فقال : اتركني محبوساً عندك ثلاثة ايام ، فإن عاش فاقتلني والا فلا تتقلد دمي . ففعل فمات الرشيد ليله الثالث . قال أنوشروان لوزيريه يوماً : اي الفراش ألذ ؟ فقال أحدهما : ألذ الفراش الخز محشواً وقال الآخر : ألذ الفراش الحرير محشواً ، وكان بين يديه غلام في عدد الحجاب فقال : أيها الملك أتأذن لي في الكلام ؟ فقال : نعم . قال : ألذ الفراش الأمن . قال : صدقت . قال : فما ألذ الطعام؟ قال : ما لا يهيج على طبيعة علة ولا يعقد في عنق آكله منّه . فقال : أحسنت ! فما ألذ الشراب ؟ فقال : ما لا يزيل عقلاً عن محله ولا يهيج على طبيعة شيئاً من علله . قال : أحسنت ! فما ألذ الريحان؟ قال : الولد السار ريحان أبيه في حياته وخلف له بعد وفاته . فرفع محله وألحقه بأكابر حشمه . وكان بعض الأصبهانيين أصابه صداع فضمد رأسه بدار صيني وفلفل ، فقال له الطبيب : هذا يعمل لرأس يوضع في التنور .

الحد السابع

في الهمم والجد والآمال

فيما جاء في الهمم الرفيعة والوضيعة

مدح رفع الهمة والحث عليه :

قيل : الهمة تلقح الجد العقيم . وقيل : الهمة جناح الحظ . وقيل : لا تدور رحى الجد الا بقطب الهمة وقيمة كل امرىء همته . وقال عمرو بن العاص : عليك بكل أمر فيه مزلقة ومهلكة أي بجسام الامور . قال عمر رضي الله عنه : لا تصغرن همتك فاني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته . وقال: أحسن ما قال لبيد :

أكذبُ النفسَ إذا حدثتُها ... ان صدق النفس يزري بالأَمل

وقيل : ثلاثة لا تدرك الا برفع الهمة : عمل السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدو .

ابن نباتة : حاول جسيمات الأمورِ ولا تقل: ... إن المحامدَ والعلى أرزاقُ
وارغَبْ بنفسِك أن تكونَ مقصّرا ... عن غاية فيها الطلابُ سباقُ

المرء تابع لهمته :

المرء حيث يجعل نفسه ، إن رفعها ارتفعت وان قصر بها اتضعت . نظر رجل الى برذون يستقى عليه فقال : ما المرء الا حيث يجعل نفسه لو هملج في سيره ما استقي عليه .

شاعر : وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسَه ... ففي صالحِ الاخلاقِ نفسَك فاجعلِ

لبعض بني عامر :

إذا لم يكن للفتى هِمَّةٌ ... تبوئه في العلا مصعدا
ونفسٌ يعوّدها المكرما ... تِ ، والمرء يلزم ما عوّدا
ولم تعدُ همته نفسه ... فليس ينالُ بها السوددا

من عظمت همته وقصرت موجدته :

قيل : ذو الهمة وان حط نفسه تأبى الا العلو ، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا. وقيل : اسوأ الناس من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعدت همته ؛ أخذ ذلك المتنبي فقال :

وأتعبُ خلقِ الله من زاد ِهمَّةً ويقصر عما تشتهي النفسُ وجدُه

ابن نباتة :

أرى همم المرء اكتئاباً وحسرةً عليهِ إذا لم يسعدِ اللهُ جـدّه

الحث على طلب الجسام والاعتزال عن الانام :

قال في كليلة : ينبغي لذي المروءة أن يكون اما مع الملوك مبجلًا أو مع النساك متبتلًا ، كالفيل إما ان يكون مركباً نبيلًا أو في البرية مهيباً جليلًا . وقال حكيم : الناس رجلان دنياوي وأخري، فالدنياوي صاحب سلطان وذو لسان أو سنان لا يفضي على هوان ، والأخري المتباعد من الناس الجاعل بينه وبينهم سداً ، ولا واسطة بينهما . وقال معاوية لابنه : كن مترفعاً عن الناس ومستتراً عنهم.

الممدوح بعظم الهمة :

قال اعرابي : فلان يومي بهمته حيث يشير اليه الكرم ، يتحسى مرارة الاخوان ويسقيهم عذبه ، له همة تناطح النجوم وكرم يشامخ الغيوم .

أبو الغمر : وهمةٍ نَبُلَتْ عن أن يقال لهـا كأنها وتعالت عن مدى الهمَمِ

آخر : ولي همم بيني وبين بلوغها بحورٌ من الآمال ليسَ لها جِسْرُ

المتنبي : له هِمَم لا منتهى لكبارِها وهمتُه الصغرى أجلُّ مِن الدهرِ

وله : فتى أصاب منَ الدنيا نهايتَهـا وهمه في ابتداءات وتشتيتِ

آخر : صدرٌ رحيبٌ لما يأتي الزمانُ به وهمةٌ تسعُ الدنيا وما تسعُ

من ضاق به الزمان لعظم همته :

المتنبي : فتى يشتهي طول البلادِ، ووقتُه تضيق به أوقاتُه والمقاصدُ

وله : تجمعَتْ في فؤادِهِ هِممٌ ملء فؤادِ الزمانِ إحداهـا

الموسوي :

ضاقَ الزمانُ فضاق فيه تقلُّبي والماء يجعلُ نفسَه في جَدْولِ

تحمل المكاره في نيل المكارم :

قيل : المكارم موصولة بالمكاره . وقيل : من سما لمكرمة فليتحمل مكروهها .

الخبزاورزي :

فقل لمرجي معالي الأمور بغير اجتهادٍ : رجوت المحالا !

أبو تمام :

ما ابيضّ وجهُ المرءِ في طلبِ العلا حتى يسودَّ وجهُهُ في البيـدِ

وقيل : اذا لم تتعن لم تتودع ، واذا لم تتفجع لم تتمتع . دون نيل المعالي هول العوالي . وقيل للربيع بن خيثم : أتعبت نفسك في العبادة واصلاح أمر الناس . فقال : راحتها اريد ، فان أفره العبيد أكسبهم لمولاه . وقيل لروح بن حاتم : طال وقوفك في الشمس ! فقال : ليطول وقوفي في الظل . وقد اجمع حكماء العرب والعجم انه لم يدرك نعيم بنعيم قط ، وما أدرك نعيم إلا ببؤس قبله .

شاعر : وتحمُّل المكروهِ ليس بضائرٍ ما خلتـه سبباً إلى محمودِ

امرؤالقيس :

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفاني ، ولم أطلبْ قليلاً من المالِ

المتنبي : اذا غامرت في شرفٍ مرومِ فلا تقنع بمـا دون النجوم

فطعمُ الموت في أمرٍ صغيرٍ كطعم الموتِ في أمرٍ عظيمِ

وله : على قَدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائم

الصاحب : وقائلةٍ : لِم عرتك الهموم وأمركَ ممتَثلٌ في الأمم ؟

فقلت : دعيني على غصتي بقدر الهمومِ تكون الهِمَم !

وكتب بليغ : فلان تعب في طلب المكارم غير ضال في طرقها ولا متشاغل عنها .

استطابة تحمل الشدة للوصول الى الرفعة :

المتنبي : تلذ له المروءةُ وهي تؤذي ومن يعشَقْ يلذ له الغرامُ

أبو فراس :

تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ومن يخطبِ الحسناءَ لم يغله المهرُ

أبو دلف :

وليسَ فراغُ القلبِ مجداً ورفعةً ولكنَّ شغلَ القلبِ لِلْهَمّ رافعُ
وذو المجدِ محمولٌ على كلّ آلة وكل قصير الهمّ في الحيّ وادعُ

ذم من همته نفسه :

لما قال الحطيئة في الزبرقان :

دعِ المكارمِ لا ترحلْ لبُغيَتِها واقعدْ فإنكَ أنتَ الطاعِمُ الكاسي

شكاه الزبرقان الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر : ما في ذلك هجاء ! فقال : يا امير المؤمنين إنه عراني عما ابتنيته من المعالي ، فدعا حساناً وسأله فقال : ما هجاه ولكنه سلح عليه .

حاتم : لحى الله صعلوكاً مُناهُ وهمُّه منَ العيشِ أن يلقى لبوساً ومطعما

آخر : إني رأيتُ منَ المكارمِ حسبكم أن تلبسوا خزّ الثيابِ وتشبعوا
فإذا تُذوكِرَتِ المكارمُ مرةً في مجلسٍ أنتم به فتقنَّعوا

ابن سوادة : همّهم من هذه كله في الأكلِ والشربِ وفي الباهِ

أخذ ذلك من قول الاعرابي الذي قال : فلان كالبهيمة تأكل ما جمعت وتنكح ما وجدت . وقال :

إذا الفتى لم يركبِ الأهوالا فاسعَ له وعدّه عِيالا

ذم من قصرت همته عن طلب المعالي :

ذم اعرابيّ رجلًا فقال : هو عبد البدن حر الثياب ، عظيم الرواق صغير الاخلاق ، الدهر يرفعه وهمته تضعه .

أبو تمام : بنوا لِهِمَمِ الهوامدِ والنفوسِ الخوامدِ والمروءاتِ النيام

وكان لاعرابية ابن تحرضه على الاقامة والاقتصار على المطعم والمشرب فأنشدها :

إذا ما الفتى لم يبغ إلا لباسَه ومطعمَه فالخيرُ منه بعيدُ

وقيل : فلان بطر الدعة بخيل السعة سيء الرعة . قال ابن الاعرابي : فلان يشبعه كراع الارنب . اذا كان دنيء الهمة . ويقرب من هذا الباب ما قاله المنصور للمهدي : اشبع العباس بن محمد فإنك إن لم تشبعه يأكلك ، وأما محمد بن ابراهيم فإنه اذا قدر على فرج امرأته لم يفارقه ، واياك ان تولي محمد بن سليمان صعود منبر فإنه إن صعده همّ بالخلافة .

تذمم من قصر في طلب المعالي :

المتنبي : الى كم ذا التخلفُ والتواني وكم هذا التمادي في التمادي ؟
وشغلُ النفس عن طلب المعالي ببيعُ الشعر في سوقِ الكسادِ

ذم ايثار الدعة والنهي عنه :

قال : ما لزم أحد الدعة الاَّ ذل ، وحب الهوينا يكسب الذل ، وحب الكفاية مفتاح العجز . وقال الصاحب : ان الراحة حيث تعب الكرام أودع لكنها أوضع ، والقعود حيث قام الكرام أسهل لكنه أسفل .

آخر : فتى بهمته يلتــذ في دعــة وراحة ، ويولي غيرَه التعبــا

أبو دلف :

ليس المروءةُ أن تبيت منعَّماً وتظلُّ معتكفاً على الأَقداحِ
ما للرجالِ وللتنعم ؟ إنمــا خلقوا ليومِ كريهةٍ وكفاحِ !

قال يزيد بن المهلب : ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود العجز .

ذم الكسل وتدرع العجز :

قال الأحنف : اياك والكسل والضجر ، فإنك إن كسلت لم تؤد حقاً ، وإن ضجرت لم تصبر على حق .

شاعر : لا تضجرنّ ولا تدخلك معجزةٌ فالنجحُ يهلكُ بين العجزِ والضجرِ

وقيل : زوج العجز التواني فنتج بينهما الحرمان .

ابن المعافي :

كأن التواني أنكحَ العجزَ بنتَه وساق إليها حين أنكحَها مهرا
فراشاً وَطيئاً ثم قال له : اتكىءْ فقصراكما لا شكّ أن تلدا فقرا

آخر : خاطِرْ بنفسِك لا تنقع بمعجزةٍ فليس حرٌ على عجزٍ بمعذورِ

مدح ايثار الدعة وقصر الهمة :

قيل لابن المقفع : لِمَ لا تطلب الامور العظام ؟ فقال : رأيت المعالي مشوبة بالمكاره ، فاقتصرت على الخمول ضناً بالعافية ؛ ومنه اخذ العتابي قوله :

دعيني تجُني منيتي مطمئنةً ولم اتجشم هولَ تلك الموارِدِ
فإن جسيات الامورِ مشوبةٌ بمستودعاتٍ في بطون الأَساودِ

مدح الخمول مع الغنى :

قيل لحكيم : من أنعم الناس عيشاً ؟ فقال : من اتسعت مقدرته وقصرت همته . وقال عبدالملك لاعرابي : تمن . فقال : العافية والخمول فاني رأيت الشرّ الى ذي النباهة أسرع . فقال : ليتني كنت سمعت هذه الكلمة قبل الخلافة . وقيل لسعد : أرضيت أن تكون مشغولاً بأغنامك والناس يتنازعون الملك ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان الله يحب الغني التقي الخفي .

قال البريدي :

وما العيش الا في الخمول مع الغنى وعافية تغدو بها وتروحُ

بعضهم : جربنا العيش فوجدنا أهنأه ادناه . وقال محمد بن زبيدة : أتروني لا اعرف الإيراد والاصدار ؟ ولكن شرب كاس وشم آس واستلقاء من غير نعاس أحب إلي من مداراة الناس .

مدح التوسط في الامور :

مدح الله تعالى التوسط في كل الامور فقال تعالى : وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس . وقال النبي ﷺ : خير الامور اوسطها . وقيل : الغلو في العلو مؤدٍّ الى وضع الضعة . وقيل : أكثر الخير في الاوساط .

ابو العتاهية :

عليك بأوساطِ كلِّ الأُمورِ وعد عن الجانبِ المشتبه

ذم التوسط :

كشاجم :

وقالوا : عليك وسيط الامور فقلت لهم : أكره الأَوسطا
إذا لم أكن في ذُرا شاهقٍ ولا في حضيضٍ وطيء المطا
وحاولت في مرتقى هائلٍ توسطَه خفتُ أن أسقطا

وقيل : مما يستقبح معنى وسط ومغن وسط ونادرة وسط ، وحقيقة الوسط ما لم يكن سنياً ولا دنيئاً كما قال أبو مهدية الاعرابي وقد سئل عن طعام فقال : ليس بخسيس ولا نفيس . وقيل لاسحاق الموصلي : قد خبرت فلاناً فكيف هو ؟ فقال : ليس في الكمال كما تهوى ولا في التخلف كما تخشى .

ذم بلوغ النهاية :

عند التمام يكون النقصان وبقدر السموّ في الرفعة تكون وجبة الوقعة .

شاعر : إذا تم أمرٌ بـدا نقصُه توقّعْ زوالاً إذا قيـل : تم

وفي بعض الأدعية : صرف الله عنك التمام . وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد وهو يخلف الحسن ابن سهل : رأيت أن استوزرك . فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني ويجعل بيني وبين الغاية منزلة يرجوني اليها المولى ، ويخشاني لها العدو ، فما بعد الغايات إلا الآفات . ومما يضاد هذا الباب ما كتب القاسم بن عبدالله الكرخي : ولي فيما جدده الله من هذه النعمة للوزير من بلوغ النهاية ما استديمها به قال : انتزعته من كتاب الله تعالى في قوله : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي . وقد علم ان دين الله بعد نزول هذه الآية لم يزل نامياً عالياً على كل دين ، وأنه انما ضرب بجرانه وقهر الامم شرقاً وغرباً بعد كماله .

• • •

ومما جاء في الجد

تفضيل الجد على الجد :

قيل : جدك لا كدك عارك بجد اودع . وقيل : لا جد الا ما أقعص عنك . الجد أجدى الجد أكدى . وقيل : مد من حظ خير من صاع من عقل وجد .

البديهي : ليس يجدي عليك سعي بجدٍ لم تيسر له ملاقاةُ جـد

وقيل : الحظ يأتي من لا يؤمه :

ليس بالكد بلوغُ الراغبِ

آخر : الجدُّ أنهضُ بالفتى من سعيهِ فانهضْ بجدٍّ في الحوادثِ أودعِ

آخر : هل نافعي جدّي وفرطُ تيقظي ان كان جدّي يا أمامةُ جاهدا

وأنشد محمد بن عمر الوراق البلخي :

إن السعادةَ أمرٌ ليس يدركُه أهلُ السعادةِ إلا بالمقاديرِ

مخزونةٌ عن أناسٍ طالبين لها وقد تساق إلى قوم بتيسيرِ

وقال عمر للنبي ﷺ : لما ذكر من اسعده الله من أهل الجنة وأشقاه من أهل النار : ففيم العمل يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : يا ابن الخطاب ، اعمل فكل ميسر لما خلق له ، أما اهل السعادة فميسرون لعمل اهل السعادة ، وأما اهل الشقاوة فميسرون لعمل اهل الشقاوة .

تفضيل الجد على العقل :

تقدم اخوة الى سوار في ميراث لهم فقال سوار : خيروا الأكبر منكم فانه خلف أبيكم ، والمنظور اليه دونكم . قالوا : قد فعلنا فأبى الأكبر أن يقبل ذلك ، فقال سوار : ما يمنعك ؟ فقال : إني بحظي أوثق مني بعقلي ، فأقرع بينهم فخرج سهمه خيراً من سهامهم فقال : كيف رأيت ؟ فقال سوار : استأذن العقل على الحظ فحجبه . وقد تقدم في باب العقل أمثلة لذلك .

كون العاقل محدوداً والجاهل مجدوداً :

من زيد في عقله نقص من حظه . وقيل : ما جعل الله لأحد عقلاً وافراً الا احتسب عليه من رزقه .

شاعر : وخصلةٍ قلَّ فيها من يخالفُني الرزقُ والحمقُ ملزومانِ في قرن

آخر : خاب امرؤٌ ظلَّ يرجو أن ينالَ غنى بالعقلِ ما عاش في دهرِ المجانين

المتنبي : وما الجمعُ بين الماء والنار في يدي بأبعدَ مِن أن أجمَع الحظَّ والفَهْما

معارضة دنيء ساعده القدر :

ألا ليتَ المقادرَ لم تقدّر ولم تكن الأحظَى والجدود

فننظر أينا يضحي ويمسي له هذي المراكبُ والعبيدُ

وقيل لرجل : كيف فلان ؟ فقال : أحمق مرزوق . وقيل لآخر فقال : عي غني حظي .

الجد يحسن القبيح ويقرب البعيد :

قيل : اذا اقبلت الدنيا على انسان أعارته محاسن غيره ، واذا أدبرت سلبته محاسن نفسه .

شاعر : إن المقاديرَ إذا ساعدَتْ ألحقتِ العاجزَ بالحازِم

وقيل : السبب الذي يتقدم به المجدود هو السبب الذي يتأخر به المحدود .

أبو الشيص :

يخيبُ الفتى مِن حيثُ يرزقُ غيرُه ويُعطَى الفتى من حيثُ يحرَمُ صاحِبُه

الموسوي :

لا تحدثنْ طمعاً وجدُّكَ مدبرٌ واطلبْ مدى الدّنيا وجدُّكَ مقبلُ

تعسر الامر على من خذله جده :

قيل : اذا لم يساعد الجد فالحركة خذلان . وقيل : اذا ولت الدول صارت الحيل وبالاً .

شاعر : اذا كان جدّ المرء في الشيء مقبلًا تأتت له الاشياءُ مِن كل جانبِ
وإنْ أدبرتْ دنياهُ يوماً توعّرَتْ عليهِ فأعيَتْهُ وجوهُ المطالبِ

قال ثمامة : لما اخبر يحيى بن خالد بتغير الرشيد له كان يحتال في تخليص روحه ، فأمرني يوماً بالحضور معه فاجتمعنا على الرأي ، فكلما أتى الرأي نقض عليه آخر حتى اعيانا الأمر ، فقام وقال: أف لهذه الدنيا كان الرأي يجيئنا على البديهة والامر مقبل ، فصار لا يأتينا على الروية والامر مدبر، ليصنع الدهر ما شاء ! وقيل : اذا أراد الله تعالى ان يزيل عن عبده نعمة فأول ما يزيل عنه عقله.

البديهي : إذا المقادير لم تقبَلْ مساعدةً على بلوغ المنى لم تنفعِ الهِمَمُ

وقال مخنث : اذا جاء البخت توقف البيضة على أعلى الوتد ، واذا أدبر البخت أسق الهاون في الشمس.

تأسف من جد جده ولم يساعده جده :

أبو تمام : ماذا علي اذا ما لم يزل وتري إن نالَ في الرمي اغراضي فلم أصبِ
آخر : لم أوتَ ويحكَ مِنْ سعيٍ فلا تلمِ المنعُ من جانبِ الاقدارِ والقسمِ
آخر : تكاملَ فيّ آلة كلّ حرّ ولكن لا يساعدُني الزمانُ

الموسوي :

غرستُ غروساً كنت أرجو لحاقها وآملُ يوماً ان تطيبَ جناتها
فإن أثمرَتْ لي غيرها كنتُ آملا ولا ذنب لي إن حنظَلَتْ نخلاتُها

المجدود :

قال معاوية لما أتاه خبر موت أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : لا جد الا ما اقعص عنك .

شاعر : وكانت قريشٌ يفلق الصخرَ جدّها اذا أقاق الناسَ الجدودُ العواثرُ

أبو تمام : ورثوا الأبوةَ والحظوظَ فاصبحوا جمعوا جدوداً في العلا وجدودا

وقيل أنه لما قال ذلك اجمع الادباء انه اشعر اهل زمانه .

عابدة المهلبية :

ولو أرسلتَ نبلكَ ناصلاتٍ لصارت في الطريقِ لها نُصول

التوفيق :

قال عمر رضي الله عنه : توفيق قليل خير من مال كثير . وقيل لبزرجمهر : أي الناس أفضل ؟ فقال : مجتهد في الخير ساعده القدر . وقيل لحكيم : ما الشيء الذي لا يستغني عنه المرء في كل حال؟ فقال : التوفيق من حرم التوفيق ، فأقطع ما يكون اذا اجتهد . وقام إلى الشبلي رجل فقال : بم يبعد المرء من ربه ويخذل عن أمره ؟ فزعق زعقة ثم أنشد :

مَنْ لم يكن للوصالِ أهلا فكلّ إحسانِه ذنوبُ

وقال بعض الصوفية : إن العنايات لا تضر معها الجنايات . وأنشد الشبلي :

ويقبُح مِن سواكَ الشيءُ عِندي وتفعله فيحسُنُ مِنْك ذاكا

سنة التوفيق أجدى من يقظة الرؤية ، وقليل النجح خير من كثير من الجهد .

بطلان الجد والتدبير مع القضاء والقدر :

قيل : اذا جاء الحين حار العين ، واذا جاء القدر عمى البصر . المرء طالب والقضاء غالب . اذا انقضت المدة لم تنفع العدة . اذا نزل البلاء ذهبت الآراء . اذا حلت المقادير ضلت التقادير . اذا حل القدر بطل الحذر . لما حج أبو مسلم قيل له : ان بالحيرة نصرانياً أتت عليه مائتا سنة ، وعنده علم من علوم الاوائل ، فقصده فلما نظر إلى أبي مسلم قال له : قمت بالكفاية ولم تأل في العناية حتى بلغت النهاية ، أحرقت نفسك لمن لا يرحم حسك ، وكأني بك وقد عاينت رمسك . فبكى أبو مسلم فقال : لا تبك فإنك لم تؤت من حزم وثيق ولا من رأي دقيق ، ولا من تدبير بارع ولا من سبب قاطع ، ولكن ما استجمع لاحد امله الا اسرع في تفريقه اجله . قال : فمتى يكون ؟ قال : اذا تواطأ الخليفتان على أمر والتقدير في يدي من يبطل معه التدبير ، واذا صرت الى خراسان فقد سلمت وهيهات ، فلولا أن البصر يعمى اذا نزل القدر لكان في ذلك ما يبعث على الاحتيال . انتهى اعرابي الى أرض فقيل له : انها مفعاة . فبات على ظهر راحلته فتعلقت حية بنسعة كانت في يده فلسعته، فقال وهو يجود بنفسه :

لعمرُكَ ما يدري امروءٌ كيف يتقي اذا هو لم يجعلْ له اللهَ واقيـا

ولامير المؤمنين رضي الله عنه :

إذا لم يكنْ عونٌ من اللهِ للفتى فاكثر ما يجني عليهِ اجتهادهُ

آخر : سبق القضاء بكل ما هو كائنٌ فليجهدِ المتقلبُ المحتالُ

ابن نباتة : واني اذا ما حاجةٌ حالَ دونها نهارٌ وليلٌ ليس يعتورانِ

حملتُ على سوء القضاء ملاَمها ولم ألزمِ الاخوانَ ذنبَ زماني

إذا الله لم يأذنْ بما أنتَ طالبٌ أعانك في الحاجاتِ غير معان

قيل : القضاء يقرب البعيد ويبعد القريب . قال شاعر :

وقد يجلب الشيء البعيد الجوالب

وقيل : اذا كان المقدور كائناً فالهم فضل . وكان نقش خاتم أبي العتاهية : سيكون الذي قضي سخط العبد أم رضي .

• • •

ومما جاء في الاماني والامال

ما يدل على جواز التمني :

قال الله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام : قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . فدل ان تمني ما لا يكون محظوراً مباح . وقال تعالى : هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . وسمع ذلك رجل من الصالحين فقال : ياليت ذلك تم .

طيب الاماني والآمال :

قيل لبعض من كان يخطب عملا : ما تصنع ؟ قال : أخدم الرجاء حتى ينزل القضاء . قيل : ليس سرور النفس بالجدة والمقدرة انما هو بالاماني والآمال . وقيل لحكيم : أي شيء أدوم امتناعاً ؟ فقال: الاماني . وقال رجل من بني الحارث :

منىً إن تكنْ حقاً تكنْ أحسنَ المنى والا فقد عِشنا بها زمناً رغْدا

أماني من سعدٍ حساناً كأنما سقتك بها سعدى على ظمأ بردا

آخر : اذا ازدحمَتْ همومي في فؤادي طلبتُ لها المخارجَ بالتمني

آخر : في المنى راحةٌ وان علّلتنا من هواها ببعض ما لا يكونِ

ذم الاماني وبطلانها :

قيل : اياك والمنى فانها بضاعة النوكى . الامل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين . الخذلان مسامرة الاماني ، والتوفيق رفض التواني . ابن المقفع : كثرة المنى تخلق العقل وتطرد القناعة وتفسد الحس. وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه : تجنبوا المنى فانها تذهب ببهجة ما خولتم وتصغر مواهب الله التي رزقتم . ثلاث تخلق العقل وفيها دليل على الضعف : سرعة الجواب ، وطول التمني ، والاستغراب في الضحك ، قال رجل لابن سيرين : رأيتني كأني أسبح في غير ماء ، واطير بغير جناح . فقال : انت رجل تكثر الاماني . وقيل : المنى والحلم اخوان . ان المنى طرق الضلال .

إن ليتاً وإن لوًّا عناء

كثير : وددت وما تغنى الودادة انني

البيتين محمد بن أمية :

أقطع الدهر بظنٍّ حسنٍ   وأجلي كربةً لا تنجلي
كلما أمّلتُ وجهاً صالحاً   عرض المكروهُ دونَ الأمَلِ
وكذا الايامُ لا تدني الذي   أرتجي منك وتدني أجلي

البسامي : أعللُ نفسي بما لا يكونُ   كما يفعلُ المائقُ الاحمقُ

المتنبي : تمنٍّ يلذ المستهامُ بمثلِه   وان كان لايغني فتيلًا ولايجدي

أبو تمام : من كان مرعى عزمه وهمومِه   روضُ الاماني لم يزل مهزولا

آخر : إنّ المنى رأسُ أموالِ المفاليسِ

افنون التغلبي :

ولا خير في أن يكذبَ المرءُ نفسَه   وتقواله للشيء : يا ليت ذاليا !

أماني من تمنى أمراً فأدركه :

اجتمع ابن عمر وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة فقال مصعب : هلموا نتمن . فتمنى عروة الفقه وأن يحمل عنه الفقه ، وتمنى عبد الملك الخلافة ، وتمنى مصعب ولاية العراق وتزويجه سكينة بنت الحسين بن علي وعائشة بنت طلحة ، وعبد الله ابن عمر الجنة ؛ فنال مصعب وعبد الملك وعروة ما تمنوا ، وشهد ابن عمر رضى الله عنهما بمدرك ما تمناه وطلبه . وروي ان كعب بن ربيعة بن عامر اتاه آت في المنام فقال : اجمع

بنيك ومرهم بالتمني فانهم يعطون . فجمعهم فقال لعقيل تمن فقال : العدد والرمي ، فليس في بني كعب أكثر عدداً منهم ولا أرمى . وقال لجعدة تمن فقال : المال ؛ فهم اكثر بني كعب خيلاً وإبلاً وهم أهل رضاخ وضرية والفلج . وقال لقشير تمن فقال : البقاء والجمال ؛ فهم أجمل بني كعب ويكثر فيهم ذو السن ، وذو الرقبة منهم أدرك الاسلام وله مائة وعشرون سنة وله ألف من ولده ، هذا يقول يا أبتاه وذا يقول يا جداه . وقال لحريش تمن فقال : النعظ ؛ فهم انكح بني كعب . وقال لحبيب تمن فقال : المودة من اخوتي فيما بينهم وأن لا يؤثروا بهم . قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله نسأل الله أن يعطينا منانا بعد ان يوفقنا لتمني ما فيه مصالحنا .

من ذكر قلة مبالاته بالمنية لادراكه قاصية الأمنية :

قال الله تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام : رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين .

قيس بن الحطيم :

متى يأتِ هذا الموتُ لا تلفَ حاجةً   لنفسي ، الا قد قضيتُ قضاءها

ونحوه : أدركتُ في الدهرِ أياماً بلغتُ بها   رضا الشبابِ الذي قد كان عاصاني

وقال منصور بن طلحة بن عامر : رأيت عبدالله بن طاهر في المنام بعد موته فقلت له : ما خبرك أيها الامير ؟ فقال :

من كلّ شيءٍ قضتْ نفسي لبانَتها   فإذ أتاني رآني قاضياً أجلي

زهير بن خباب الكلبي وكان من المعمرين :

من كلّ ما نال الفتى   قد نِلتُهُ الا التَّحيَّة

طيب ادراك المنى :

في المثل : أطيب من نيل المنى وادراك الأمل . وقيل : ليس بعد بلوغ المنى الا نزول المنية ، قال الله تعالى : حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة .

أبو الفتح بن العميد :

إذا المرءُ أدركَ آمالَه   فليس له بعدَ ذا مقتَرَحْ

اماني قوم بحسب احوالهم :

قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر : ما تتمنى ؟ فقال : لواء منشور وجلوس على السرير وسلام عليك ايها الامير . وقيل لعبدالله بن الاهتم ذلك فقال : رفع الاولياء وقمع الاعداء وطول البقاء

مع القدرة والنماء . وقيل ذلك للفضل بن سهل فقال : توقيع نافذ وأمر جائز . وقيل لحكيم تمن فقال : محادثة الاخوان وكفافاً من عيش والانتقال من ظل الى ظل . وقيل ذلك لمطرف فقال : مركب وطي ومطعم شهي وملبس دفي . وقيل لآخر فقال : شواء مستنشل وغناء مسترسل ونكاح مستعجل . وقال بعضهم : العيش كله في صحة البدن وكثرة المال وخمول الذكر . وقيل لحكيم فقال : هوى وافق حقاً . وقيل لرجل فقال : أن تعطي جوارحك لذاتها . وقيل لاعرابي فقال : خباء في ارض خلاء وكلب إذا أصابه المطر زاحمني فيه . وقيل لابن سنان فقال : ليل طويل الطرفين أقرن بينهما بذكر الله تعالى . وقيل لمأبون فقال : لذة الابنة وحك الجرب فمن حرمها فقد حرم لذات الدنيا ! نعوذ بالله من بعض الاماني .

أماني البله :

شاعر : إذا تمنى مائقٌ أمنيةً   تحسبُها كائنةً مقضيَّة

قال الاصمعي : قال شيخ من بني العجيف إني تمنيت أن أبني داراً فمكثت أربعة أشهر للدرجة أين أضعها . ومر الحجاج ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها لبن وهو يتمنى يقول : أنا أبيع هذا اللبن بكذا درهماً واشتري به كذا ثم أبيعه ثم يكثر مالي ويحسن حالي واخطب الى الحجاج ابنته فأتزوج بها ، فتلد لي ابناً فأدخل عليها يوماً فتخاصمني فأضربها برجلي هكذا ، ومد رجله فكسر البستوقة ، فقرع الحجاج بابه واستفتحه فضربه خمسين وقال : أليس لو ضربت بنتي بوكزة هكذا لفجعتني بها !

نوع من الاماني :

قال الوليد بن عبدالملك لبديع المغني : خذ بنا في الاماني فلأغلبنك . فقال : والله لا تغلبني فيها أبداً إني اتمنى كفلين من العذاب ، وان يلعنني الله لعناً يشن على من خلفي ومن قدامي أتتمنى مثله ؟ فقال : غلبتني لعنك الله ! وقيل لرجل : أيسرك ان يكون لك ألف درهم ؟ فقال : نعم وأضرب مائة . فقال : وضرب المائة لمه ؟ فقال : لانه لا يكون شيء الا بشيء . وقيل : كان رجل يطلبه الحجاج فمر بساباط فيه كلب فقال : ليتني كنت هذا الكلب فاستريح من الغم والخوف ، فما لبث ان جيء بذلك الكلب وفي عنقه حبل . وقيل : ورد كتاب الحجاج يأمر فيه بقتل الكلاب . وقعد ابن أبي عتيق فقال : ليت لنا لحماً فنطبخ سكباجا . فما لبث ان جاء جار له بصحفة فقال : اعطونا قليل مرق ! فقال : إن جيراننا يشمون رائحة الاماني .

التحذير من طول الامل :

قال النبي ﷺ : أخوف ما اخاف على امتي الهوى وبعد الامل ، اما الهوى فيعدل عن الحق ، واما طول الامل فينسي الآخرة . ما اطال عبد الأمل الا اساء العمل . من جرى في عنان أمله

فعاثر لا شك بأجله . الآمال مصائد الرجال . ووجد على حجر مكتوب : يا ابن آدم لو رأيت ما بقي من اجلك لزهدت في طول ما ترجوه من املك .

تبكيت من أطال الامل :

اقام معروف الكرخي الصلاة فقال لمحمد بن ثوابة : تقدم . فقال : ان صليت بكم الصلاة لم أتقدم بعده . فقال : وانت تحدث نفسك بصلاة أخرى ؟ نعوذ بالله من طول الامل فإنه يمنع من خير العمل ، من عد غداً من أجله فقد اساء .

نفع طول الامل في الورى :

قال النبي ﷺ : الأمل رحمة لأمتي ، ولولا الامل ما أرضعت ام ولداً ولا غرس غارس شجراً. ومن هذا اخذ الحسين رضي الله تعالى عنه : لو عقل الناس وتصوروا الموت بصورته لخربت الدنيا. وقال مطرف : هذه الغفلة رحمة فلو دخل الناس الخوف من الموت ما انتفعوا بدنياهم .

مضرة انقطاع الامل :

قيل : اعظم المصائب انقطاع الرجاء . وقيل لبزرجمهر : ما الذي يشدد البلاء على الناس ؟ فقال : القنوط والاستبسال ؛ قيل : فما الذي يهونه عليهم ؟ قال : الرجاء وحسن الظن . قال النظام : كنا نلهوا بالاماني وتطيب انفسنا بها فذهبت من بعد وانقطع الامل .

بقاء الامل والمنى ببقاء الحياة :

قيل : لا ينقطع رجاء المرء ما لم تنقطع حياته . وقيل : الأمل يساوق الأجل . قال علقمة :

والعيش شحٌّ واشفاقٌ وتأميلُ

ومثله : العيشُ إن تجلُ عنه كلُّه تعبٌ والمرءُ إن قَرَّ عيناً كلُّه أملُ

قال بشار : الانسان لا ينفك من أمل ، فإن فاته عول على الاماني ، فالأمل نفع نسيب والهوى لا يكون نسيباً ، وبابه مفتوح لمن يكلف الدخول فيه .

تضمن الرجاء للخوف :

قيل : خوف وقوع المكروه مقرون برجاء السلامة . كل رجاء متضمن للخوف ، ولذلك استعمل كل واحد منهما موضع الآخر . وقول الهذلي :

إذا لسعَتْهُ النحلُ لم يرجُ لَسْعَها

أي لم يخف . وقيل : لا ينبغي للعاقل أن يسرّ بالرجاء فانه مشوب بالذعر ، والسرور به غرور، وان خاب أضعف الاكداء عليه الغم .

الحد الثامن

في الصناعات والمكاسب والتقلب والغنى والفقر

فمما جاء في الحرفة

مدح الحرفة وفضلها :

قال النبي ﷺ لوفد عبدالقيس : ما المروءة فيكم ؟ قالوا : العفة والحرفة . وقال النبي ﷺ : خير الكسب كسب اليد لمن نصح . وكان عمر رضي الله عنه اذا نظر الى رجل سأله : أله حرفة ؟ فاذا قال لا سقط من عينه . ونظر عمر رضي الله عنه الى أبي رافع وهو يقرأ ويصوغ فقال : يا أبا رافع انت خير مني ، تؤدي حق الله تعالى وحق مواليك . وقيل لأعرابي ينسج : ألا تستحي ان تكون نساجاً ؟ قال : إنما أستحي ان أكون أخرق لا أنفع اهلي ، وحرفة يقال فيها خير من مسألة الناس . وقال ﷺ : ان الله يحب التاجر الصدوق والصانع الناصح لانه حكيم .

أبو العتاهية : ولا تدع مكسباً حلالاً   تكونُ منه على بيانِ

ذم السرقة :

قيل : لا ترج الخير ممن يكون رزقه من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل ، يؤتى يوم القيامة بسوقي فيوزن عمله فتميل به الميزان ، فيقول : حولوا الى الكفة الاخرى ففي الميزان عيب .

أصناف الصناع وتفضيل بعضها على بعض :

قيل : الناس اربعة ذو صناعة وزراعة وتجارة وامارة ، وما سوى ذلك فانهم يغلون الاسعار ويكدرون المياه . وقال المأمون : السوقيون سفل ، والصناع انذال ، والتجار بخلاء ، والكتاب ملوك على الناس . كتب الوليد الى صاحب الساحل : اجعل الحائك والاسكاف في مرتبة ، والحجام والبيطار في مرتبة ، والبزاز والصيرفي في مرتبة ، والمعلم والخصي في مرتبة ، والنخاس والشيطان في مرتبة . وقيل : ثلاثة أعمال لم تزل في سفلة الناس : الحياكة والحجامة والدباغة . وقال حبيب بن محمد لمالك بن دينار : لو خيرت في الصناعات ما كنت تختار ؟ فقال : أكون حداداً فأرى لفح النار لعلي اتقيها . فقال حبيب : كنت اختار لن اكون حفاراً للقبور .

المتولي صناعة تنافيه :

قال شريك بن عبدالله : خمسة من الكبائر ، عمياء مكتحلة ، وسوداء مختضبة ، وخصي له امرأة ، ومخنث يؤم قوماً ، واعرابي اشقر . ومن العجائب : منجم اعمى ، وأطروش صاحب خبر ، وعطار اخشم ، ومناد اخرس ، ومؤاجر اصلع ، وجندي محفوف الشارب ، وكناس متعزز ، وفيج منقرس ولحياني ينتف لحية كوسج ، وديدبان اعمش ، وحجام قليل الفضول ، وامام امي ، وكحال ارمد . وضرب عبدالله بن ابي بكر ملاحاً لم يحسن السباحة وقال : من العجائب ملاح غير سابح !

المتولي صناعة تليق به :

من تمام آلة القاضي ان يكون لحيانياً ، والقاص ان يكون اعمى شيخاً بعيد الصوت ، والزامر ان يكون اسود ، والمغني فاره الدابة براق الثوب عظيم الكبر سيء الخلق ، والشاعر ان يكون اعرابياً ، والدعي الى الله ان يكون صوفياً . من عمل عمل ابيه كفي نصف المعاش .

انذال من الصناع متبجح بعضهم على بعض :

دعا حجام كناسين يكنسان له كنيفاً فقال احدهما للآخر : أتدري عند من نعمل ؟ قال : لا . قال : نعمل عند حجام . فقال : الحمد لله الذي اعلمنا ذلك قبل ان نشرب من كوزهم ، أردت والله ان ارمي بكل ما في جوفي أطلب لي شيئاً أشرب به ، فضرب يده الى كوز معه في جوف جرة ينقلون فيها الخرء فمسحه بيده وناوله فشرب منه . اجتمع كناسان على كنيف فقال احدهما : فيه من الخرء قامة . وقال الآخر : قامة وبسطة فنزع ثوبه وقفز فيه وغاص ، ثم اخرج رأسه وقال : تظنني حائكاً . وقع شر بين حجام وحذاء . فقال : أنت تمشط وتسرح ، وأنا احذو ، وانت تشق ببضع ، وانا اشق بمخصف فما فضلك علي ؟

ذكر من تولى صناعة دنيئة من الاكابر :

قيل : كان طالوت دباغاً فآتاه الله الملك على رغم من ذكره ، وكان داود ﷺ راعي غنم وآتاه الله الملك والحكمة ، وموسى راعياً أجيراً لشعيب صلوات الله عليهما ، وعيسى عليه السلام صياد سمك ، وهذا باب يكثر أن يتبع .

ذم الحاكة :

قيل : الحمق عشرة اجزاء تسعة في الحاكة . مر على امير المؤمنين كرم الله وجهه رجل فقال له : الى اين ؟ قال : الى البصرة في طلب العلم . فقال : أتترك علياً وتطلب العلم بالبصرة ؟ ثم قال له : ما صناعتك ؟ فقال : نساج . فقال رضي الله عنه من مشى مع حائك في طريق ارتفع رزقه ، ومن كلم حائكاً لحقه شؤمه ، ومن اطلع في دكانه اصفر لونه . فقال قائل : لم يا امير المؤمنين

وهم أخواننا ؟ فقال : انهم سرقوا نعل النبي ﷺ ، وبالوا في فناء الكعبة ، وهم تبع الشيطان وشيعة الدجال ، وسراق عمامة يحيى بن زكريا وجراب الخضر ، وعصا موسى وغزل سارة وسمكة عائشة من التنور ، واستدلتهم مريم عليها السلام فدلوها على غير طريق ، فدعت عليهم ان يجعلهم الله سخرية وان لا يبارك في كسبهم . وقال حائك لعالم : دلني على عمل أتواضع به . فقال له : ما عمل اوضع من عملك فالزمه . وقال : شهادة الحائك تجوز مع عدلين . وكان النظام يسمي العروضي اخضر البطن ، فيكشف عن بطنه وقال : ما ههنا خضرة . فقال : انه يريد انه حائك . ويقال : فلان اخضر النواجذ والبراجم للاكار ، بمعنى انه يأكل الكراث ويتناول الخضروات .

في مدحه :

لولا الحياكة والذين يلونها ... بدت الفروجُ ولاحتِ الأَدبارُ

وفي ذم صناعة قليلة النفع يتمثل بقول الشاعر :

ومن يحترث حرثي وحرثك يهزلِ

مدح الحجام :

قال النبي ﷺ : نعم العبد يقل الدم ويخف الصلب ويجلو البصر ! ومن فضلاء الحجامين أبو ظبية حجام رسول الله ﷺ ، حجم النبي ﷺ وشرب دمه فاختلط دمه بدمه ، فخطب الى الاشراف وزوج من الكرام . ومنهم أبو هبة ؛ قال النبي ﷺ : يا بني هند انما أبو هبة رجل منكم ، فانكحوه وانكحوا اليه . ومنهم عبيد الحجام بالبصرة وكان اديباً قيل له : كم يعطيك فلان ؟ قال : سدوسي ؛ عنى قول الشاعر :

فان تبخلْ سدوسُ بدرهَميها ... فان الريحَ طيِّبـة قبولُ

ابن طباطبا :

أبو سليمانَ داودُ بن بنكلةٍ ... قد فات في الحجم حذقاً كل حجام
وزان ذالك بصوتٍ لا يجاوزُه ... الى الفضول سوى نطقٍ بإبهامِ
لطفاً ورفقاً وحِذقاً في صناعَتِه ... وخفةٍ لم تشن منه بإبرامِ
لولا مواقعُ موساه ومشرطِهِ ... لخلتني منه في أضغاثِ أحلامِ

محمد بن مسافر :

مزينٌ حـذفني حـاذق ... ليس له في الناس من شبهِ
ظننت إذ حـذفني أنه ... أحدثَ لي وجهاً سوى وجهي

أبو ذر البلخي :

يأخذُ من مجروحه أرشه فيا له من جارح

كثرة فضول الحجامين :

استحضر عبدالله بن سليمان حجاماً شيخاً يقال له أبو دلمة وقال : أنا متبرم بحجامي لكثرة فضوله . فأخذ آلة التحذيف وطفق يشحذ الموسى ، فنظر الوزير الى بعض اصحابه فقال : اعط القوس باريها ! فقال أبو دلمة : ما اول هذا البيت ايها الوزير ؟ فقال الوزير : الله اكبر هربت من فضول فوقعت فيما فوقه . وقال : ما هو يا ابا دلمة ؟ فقال : انشدني الرياشي بمكة :

يا باريَ القوسِ برياً ليسَ يُحسِنُه أفسدتَ قوسَكَ أعطِ القوسَ باريها

وكان ابو دلمة من الشعراء والفضلاء . وقال الفضل بن الربيع : قال لي الرشيد اطلب لي حجاماً اصمت من الحجر ! فقلت : نعم لي غلام سكيت . فقال : ابعثه الي فدعوت به وأخذت عليه الوصية ان لا ينبس ولا ينبض عرقه اذا خدم امير المؤمنين ، وأوصيته بأن يتأهب ، ثم دخلت الى الرشيد فرأيته يضحك وقال لي : ان لذلك الحجام شأناً ولا نراه بعد . ثم سألت فراشاً مختصاً بالرشيد عن خبره فقال : إنه لما بدأ بالمحجمة قال : يا امير المؤمنين إني أريد أن اسألك عن شيء فقال له : ما هو ؟ قال : لم قدمت الامين على المأمون ، والمأمون أسن منه ؟ قال : اخبرك بالجواب اذا فرغت فلم يلبث غير قليل حتى قال : وأسألك عن شيء آخر . قال الرشيد : هات . قال : لم قتلت جعفر بن يحيى ؟ قال : وهذا ايضاً أُخبرك به اذا فرغت . قال : واسألك لم اخترت الرقة على بغداد ، وبغداد أطيب منها ؟ قال : نعم اخبرك اذا فرغت . فلما فرغ دعا مسرور الخادم فقال له : لا تشرب عليه الماء البارد إنه سألني عن ثلاث ، لو سألني المنصور عنها ما اجبته . ومر المأمون متنكراً بحجام فسمعه يقول لآخر : سقط هذا المأمون من عيني منذ قتل اخاه ! فبعث اليه ببدرة وقال : ان رأيت ان ترضى عني فعلت . وكان كسرى يستصفي الحجامين في كل سبع سنين ويقول : إنهم يبطرون اذا اثروا !

ذم التكسب به :

قيل : انما يقال للحجام قبيس لأن المسان تحمل اليهم من جبل ابي قبيس . ويقال : ان الحجامين بقم في بعض الاوقات غضبوا ، فاجتمعوا وخرجوا من البلد حتى طالت شعور اهلها ، واضطروا الى ان خرجوا اليهم ، وقبلوا الارض بين ايديهم وحلفوا لهم ان لا يؤذوهم ولا يلقبوهم ، فرجعوا . وقيل : ان الفرزدق حضر مجلساً فيه بلال ابن ابي بردة ، فجعل بلال يذكره مناقب جده ، فقال الفرزدق : لو لم يكن له من المنقبة الا انه حجم النبي ﷺ . فقال : انه ما حجم قبله ولا بعده . فقال الفرزدق : جدك والله كان افضل من ان يجرب الحجم على رسول الله ﷺ .

شاعر : أبوكَ أوهى النجاد عاتقه   كم من كميّ أدمى ومن بطلِ
يأخذُ من مالِهِ ومن دمِهِ   لم يمس من ثاره على وجلِ

منصور بن باذان :

كم من رقابٍ جرحتَ طائعةٍ   من غير كفيك لا ترام حمى

ونهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام وقال : هو خبيث ! وهذا على التنزيه . وروي أنه عليه الصلاة والسلام احتجم وأعطى الحجام أجره فلو كان حراماً لم يعطه . وروي أنه حجمه عبد لبني بياضة فأعطاه أجره صاعاً من تمر ، وسأل مواليه أن يخففوا عنه من ضريبته .

ذم الاسكاف :

قيل لمجنون : ما تقول في اسكاف مات وترك أختاً وأماً ؟ فقال : ميراثه للكلاب ، ونفقته على الدباغين ، وليس لامه ولا لاخته إلا نثر التراب وتخريق الثياب . وقيل : وقع كليب في كنيف فدعا اسكافاً فقال : ادفع يدك عن أخيك واخرج ! فقال : ذرني في الكنيف ولا تصحح علي بذلك اخوتك . وقال الشاعر يعرض به :

انفذ في الطعنِ من كليب ومن   عمرو الزبيدي فارسِ اليمنِ

الخياط :

قال النبي ﷺ : عمل الأبرار من الرجال الخياطة ، وعمل الأبرار من النساء الغزل . وقال ابن عباس كان ادريس عليه السلام خياطاً ، وكذلك هود ولقمان عليهما السلام ، وكان نوح نجاراً . وأتى اعرابي الى خياط بثوب ليخيطه قميصاً فقطعه ، فعلاه الاعرابي بالهراوة ؛ وقال :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثلِه   فيما مضى في سالفِ الاحقابِ
من فعلِ علجٍ جئتُه ليخيط لي   ثوباً فخرّقه كفعلِ مصابِ
فعلوته بهراوةٍ كانت معي   ضرباً فولّى هارباً للبابِ
أيشقُّ ثوبي ثم يقعدُ آمناً   كلا ومُنزلِ سورةِ الأَحزابِ

ذم النداف :

قال رجل لنداف : لو وضعت احدى رجليك على حراء ، والاخرى على طورسيناء ، ثم اخذت قوس قزح تندف به قطن الغمام في جياب الملائكة ما كنت الا ندافاً .

الصاحب: قـل لابنِ ماسوية الفقيهِ   يا آنفَ الناسِ من أبيه
جمعت ضدّينِ في مكان :   صنعةَ حلجٍ وفرطَ تيـهِ !

المخاطر بنفسه من الصناع :

في كتاب كليلة خمس نفر المال أحب اليهم من أنفسهم : المقاتل بالأجرة ، وراكب البحر للتجارة، وفاحر البئر والاسراب ، والمدل بالسباحة والمخاطر على السم . وقد تقدم مدح الطبيب وذمه .

القين :

جرير : هوالقين يدني الكير من صدر استه   ويعرف مد الكلبتين أنامله

آخر : القين لا يصلح الا ما جلس   للكلبتين والعلاة والقبس

الراعي :

ذم قوم الرعاة فنسبوهم الى الحمق وقالوا : أحمق من راعي ثمانين . وقالوا : لا تشاور راعي الضأن . ومما يدل على فضيلتهم قول النبي ﷺ : ما من نبي الا وقد رعى ، وقد رعيت . وقال النبي ﷺ : ما بعث الله نبياً الا راعياً ، بعث موسى وهارون راعيين ، وبعثت وأنا أرعى لأهلي . وشرط صاحب الابل على الراعي فقال : عليك أن تهنأ جرباها ، وتلوط حوضها ، وتنشد ضالتها ، وترد نادتها، وتستقصي في الرسل ما تنهكها حلباً أو تضر بنسل ؛ فقال الراعي : نعم على ان يدي مع ايديكم في الحار والقار ، ولا تذكر أمي بشر ، ولي مقعد موسع من النار ! فقال : هذا لك فان خنت فما عليك ؟ قال : حذفة بالعصا أخطأت أم أصبت . وتفاخر راعيان فقال احدهما : والله ما اتخذت عصا فيها غير هذه منذ شبت وما انكسرت ! فقال الآخر : تعست إن اتخذت فيها عصا غير يدي ! ويوصف الراعي بأنه ضعيف العصا أي قليل الضرب بها . قال شاعر :

ضعيفُ العصا بادي العروقِ ترى له   عليها اذا ما أجدَب الناسُ إصبعا

الكناس :

قال رجل من الكناسين لآخر : ويحك ألا تعجب من فلان يزعم انه كناس ابن كناس ! قال: قل له يا ابن الخبيثة ما لك والكنس ، قد والله بغضوا الينا هذا العمل ، أف وتف من النوكى ! وجاء أمس ويقول : أنا كناس أما والله لو شهدنا ونحن نكنس المطابق والسجون فلا نخطىء ، ما قدرنا بزنبيل واحد ، ولا نتحاشى من الدخول في كنفها علم من الكناس ابن الكناس ! وكان أبو ابراهيم الكساح رئيس الكساحين ؛ قال له أحمد بن سليمان : احمل مائة سفينة مع المائة التي كنت حملتها قبل ، وخذ ثمنها . فقال : تلك المائة كنت قد جعلتها طعمة للامير .

باب مختلف من الصناعات :

قيل : من حذق في صناعته احتسب حذقه في رزقه ، ولذلك ترى أكثر الحاذقين محرومين . وسمعت بعض العلماء يقول : انما نرى أكثر الحذاق في صناعتهم يضيق رزقهم لاتكالهم على حذقهم ، لا يبذلون جهدهم فيما يعملونه وغير الحاذق يبذل جهده ويفرغ نصحه خشية أن تسترذل صنعته ، فيبارك الله فيه بجده وجهده واستفراغ نصحه . وقال الحسن بن سهل : لا يكسد رئيس صناعة الا في شر زمان ومملكة أنذل سلطان . وقيل : من انتكاس الدهر أن يولى امتحان الصناع من ليس بحاذق في صناعتهم . روي في الخبر : لا بد للناس من عريف والعرفاء في النار . كأنه أخبر عن علم الله تعالى في أكثرهم أنهم يعملون بالمعاصي . فاما العرافة والنقابة فقد كانتا في قوم صالحين . يقال : عريف ونقيب ومنكب والعريف فوق النقيب . نظر حمال الى راكب فقال : سبحان من حملك وحمّلني . وعطس حمال فقال رجل راكب مخمور : يرحمك من أخرج العطسة من المضيق ! فقال : يغفر لك من حملك وجعل على قفاي هذه الكارة الدقيق .

• • •

ومما جاء في المبايعات

مدح السوق :

كان النبي ﷺ اذا دخل السوق يقول : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اللهم إني أسألك من خير هذه السوق وأعوذ بك من الكفر والفسوق . وقيل : السوق موائد الله فمن أتاها أصاب منها . وقال ﷺ لرجل : الزم سوقك .

ذم السوق :

قيل للحسن رضي الله عنه : هلا تصلي فان أهل السوق قد صلوا ؟ قال : من يأخذ دينه من أهل السوق ؟ ان نفقت سوقهم أخروا الصلاة ، وان كسدت عجلوها ! وقال : أهل السوق ذئاب تحت ثياب . وقال ابن السماك : يا أهل السوق سوقكم كاسد وبيعكم فاسد وجاركم حاسد ومأواكم النار !

ذكر أسواق العرب :

كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية ، فلما جاء الاسلام تأثموا أن يتجروا في الحج، فأنزل الله : ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ؛ يعني في مواسم الحج .

مدح التجارة وذمها :

قال مجاهد في قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم : انها التجارة . وأشراف قريش كانوا تجاراً . قال النبي ﷺ : لا خير في التجارة الا لستة : تاجر ان باع لم يمدح ، وان اشترى لم يذم ، وان كان

عليه دين أيسر القضاء ، وان كان له أيسر الاقتضاء وتجنب الحلف والكذب . وقال عليه الصلاة والسلام : بعثت مرحمة ومرغمة ولم أبعث تاجراً ولا زراعاً ، وان شرار هذه الامة التجار والزراعون الا من شح على دينه . وقال ﷺ : ما أوحى الله الي أن أجمع المال واكون من التاجرين ، ولكن أوحى الي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين . وقال تعالى: واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها ؛ فقرن التجارة باللهو وهو مذموم .

الحث على التجارة في جنس دون جنس :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب منه شيئاً فليتحول الى غيره . ودخل ناس على عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما فسألهم عن صناعتهم فقالوا : بيع الرقيق؛ فقال : بئست التجارة ضمان نفس ومؤنة ضرس ! وقال ابن المبارك : اياك والتجارة في الابل فانها غنم وغرم ، وأحب التجارة الي ما كان بين غنمها وغرمها حجاز من السلامة . وقال بطليموس : لا يكاد الانسان ينحس في جميع الاشياء ولا يسعد في جميعها ، فينبغي ان يعرف وجوه منافعه في وجوه شتى ، فمتى دخلت المنحسة في شيء كانت السعادة في شيء . وقيل : شر الناس من باع الناس ! يعني النخاسين. وقيل : بيع الرجل صاحبه بالطفيف من الامر . وقد قال ﷺ : التجارة في الرقيق ممحقة . وقال محمد ابن واسع رحمه الله : أفضل التجارات لدي بيع العطر والجوهر والحصر والساج ، وكل شيء لا يشتريه الا من في أمواله فضل عن القوت ، لأن ظلم أصحاب الفضل أهون ، وأبغض التجارة الي القطن وشراء الغزل ، فإن ظلم هؤلاء صعب اذا كان داخلا على أقواتهم .

فضل الصدق في البيع :

قال النبي ﷺ : ما أفلس تاجر صدوق . وقال رسول الله ﷺ : التجار فجار ، قيل : يارسول الله ولم وقد احل الله البيع . فقال : إنهم يحلفون ويكذبون . وقال الجاحظ : رحم الله الاحنف حيث يقول ، الزم الصحة يلزمك العمل . وقال الاشج الصيدلاني : مر بي رجل فرأى قلة النـاس عندي وكثرتهم عند غيري فقال : أتريدن" أن تكثر مبايعتك ويحسن حالك ؟ قلت : نعم . فقال : أصدق واصبر سنة ، فان الصدق يستحي لنفسه أن يبطىء عنك أكثر من سنة . ففعلت فكثر زحام الناس عند حانوتي ، ثم مر بي فرأى كثرة الناس عندي فقال : احذر ولا تتكل على ما وهمتهم من الصدق ، فتدعوك نفسك الى ضعف ربحك اليوم ، فإنك ان عدت الى الكذب عاد عليك الكساد ، فلم ازل قابلًا لوصيته . ثم مر بي بعد سنيات فقال : قليل الربح مع كثرة الحرفاء أربح من كثيره مع قلة الحرفاء . وقد قالوا : الزم الصحة يلزمك العمل ، ولو حلفت انها كلمة نبي لرجوت ان لا أحنث ، ثم لم اره بعد ذلك فرحمه الله حياً وميتاً فقد نصح . وقيل : التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين .

ذم الحكرة :

قال النبي ﷺ : من احتكر على المسلمين طعامهم ضرب الله ماله بالافلاس . وعنه ﷺ : من احتكر طعاماً اربعين يوماً فقد برىء من الله ورسوله . وقال ﷺ : الجالب مرزوق والمحتكر ملعون . وفي عهد ازدشير : لا تحبوا الاحتكار فيعمكم القحط . وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : قلت يا رسول الله ما الحكرة ؟ فقال : الذي اذا سمع بالغلاء فرح ، واذا سمع بالرخص اغتم . وقال علي رضي الله عنه : لا أسمع بالكوفة برجل احتكر الا أحرقت طعامه بالنار أو انهبته . وكتب الوليد بن مصعب الى صاحبه بالساحل : تفقد امر الحناطين فان زادوا في السعر من غير علة فأنهبهم عوامك ، فالغلاء من اسباب الفتن ، مع الغلاء تكون الشكوى ثم الجلاء ثم الوباء !

تحليل البيع وذم الربا :

قال الله تعالى : أحل الله البيع وحرم الربا . وقال : يمحق الله الربا ويربي الصدقات . وقال : ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل . ولعن النبي ﷺ آكل الربا ومؤاكله وكاتبه وشاهديه . وقال ﷺ : الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ستة وثلاثين زنية زناها زان . وقال ﷺ : يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا . فمن لم يأكله اصابه من غباره . وروي : كل قرض جر منفعة فهو الربا .

الحث على مراعاة العلم في المبايعة :

قال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه : من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا . وقال الضحاك : ما من تاجر ليس بفقيه الا أكل الربا شاء ام ابى .

المكروه من البيوع :

قال النبي ﷺ : لا يبيع أحدكم على بيع اخيه ، ولا يخطب على خطبة اخيه . وقال ﷺ : لا تناجشوا . والنجش : الزيادة في السلعة من غير حاجة ، ونهى عن تلقى الركبان وبيع حاضر لباد . وقال ﷺ : لا يحل شراء المغنيات ولا بيعهن ولا تعليمهن ، وتلا قول الله تعالى : ومن الناس من يشتري لهو الحديث . ونهى عن بيع فضل الماء فقال : من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ ، منعه الله فضل رحمته يوم القيامة . وقال ﷺ : لا يحل منع الملح . وكل ذلك مكروه ، واذا فعله انسان صح بيعه وشراؤه .

المحرم بيعه :

نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب إلا كلب الصيد . وفي خبر آخر : نهى عن ثمن الكلب والهر وعن مهر البغي . وقال جابر : سمعت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يقول : ألا ان الله حرم بيع الخمرة وبيع الخنازير وبيع الاصنام فقيل له : أرأيت شحوم الميتة فانه يدهن به السفن والجلود ؟

فقال ﷺ : قاتل الله اليهود ! إن الله حرم عليهم الشحوم فحملوها وباعوها . وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ان الله اذا حرم شيئاً حرم ثمنه . وقال ﷺ : الورق بالورق والذهب بالذهب ، والبر بالبر والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر والملح بالملح ربا إلا هاء وهاء مثل بمثل ، ومن زاد او ازداد فقد أربى . وأهل الظاهر قصروا الحكم على هذه المذكورات وغيرهم تعداها ؛ فجعل الشافعي رضي الله عنه العلة فيه الأكل فحرم بيع كل مأكول بجنسه الا مثلاً بمثل . ونهى النبي ﷺ عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة ، وعن بيعين في بيعة ، وعن بيع وسلف ، وعن ربح ما لم يضمن وبيع ما لم يقبض ، وعن المحاقلة والمزابنة . فالمحاقلة : بيع البر الموضوع بالارض ، والمزابنة : بيع ثمر النخل بالتمر يابساً . ورخص في العرايا ، والعرية : بيع ثمر النخل بالتمر يابساً اذا كان دون خمسة اوسق . ونهى عن الثنيا وعن المنابذة وبيع الغنيمة قبل القسمة ، وعن بيع المجر ؛ وهو ان يباع الشيء بما في بطن الشاة ، وعن حبل الحبلة وعن بيع الغرر ، وعن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها . وفي الحديث انه عليه السلام نهى عن الكالىء بالكالىء ، وهو بيع الدين بالدين ، ونهى عن بيع امهات الاولاد ؛ وقال : لا يبعن ولا يوهبن ولا يورثن يستمتع بها سيدها ما بدا له ، فاذا مات فهي حرة .

السلف :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قدم النبي ﷺ المدينة وهم يسلفون في التمر العام والعامين ، فقال ﷺ : من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم . وكان ﷺ استسلف بكراً فجاءته إبل من إبل الصدقة . قال ابو رافع : فأمرني النبي ﷺ ان أقضي الرجل بكره فلم أجد الا رباعياً ، فقال ﷺ : اعطه اياه إن خير الناس أحسنهم قضاء .

السهل البيع :

مر النبي ﷺ برجل يبيع شيئاً فقال : عليك بالسماح اول السوق ، فالرباح في السماح . وعن ابي هريرة رضي الله عنه : أحب الله عبداً سهلاً اذا باع او ابتاع سمحاً اذا قضى او اقتضى . وقال ابن عون : ما ارسلني الحسن رضي الله عنه في ابتياع شيء له الا قال لما عدت : بارك الله فيك ولم يسألني عن ثمنه ، وما ارسلني ابن سيرين إلا قال حين عدت : كيف اشتريت ؟ وقيل لعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه : بم بلغ يسارك ؟ فقال : لم أرد ربحاً ولم أشتر عيباً ولم أبع بنسيئة .

جواز المماكسة :

قيل : المماكسة في البيع مكايسة . وكان عبدالله بن جعفر يماكس في درهم ويجود بمال ، فقيل له في ذلك فقال : الغبن في البيع بله ، وفي الجود كرم . وقيل لآخر مثل ذلك فقال : الغبن في البيع جود بالعقل ، وفي السخاء جود بالمال ، ولا اسخى بالعقل . وقيل : الحر يتغابن في ابتياع

الحمد ، ولا يتغابن في الشراء والبيع . وقيل : من الغباوة السخاء في التجارة . وكان ابن عمر رضي الله عنه لا يرى بأساً بالمماكسة والمكايسة ، والهند لا تستحل غرارة الجاهل وتستحل غبن البائع .

ذم المبالغة في المماكسة :

قيل : كثرة المكاس من افعال الخساس . ورأى رجل ابنه يماكس في ابتياع لحم فقال : يا بني تساهل فما تضيعه من عرضك اكثر مما تناله من غرضك . وكان الاصمعي مضيقاً في معيشته مستقصياً في مبايعته فقال العتبي : لو بذلت الجنة للاصمعي بدرهم لما رضي واستنقص شيئاً . وقال رجل لخياط : خط لي هذا الثواب وسامحني في الاجرة . فقال : أخيطه لك مجاناً . فقال : زدني . قال : اذا تخرق رقعته لك . ونحو ذلك ان رجلاً كان يستأجر غلاماً فقال : كم تطلب ؟ فقال : أخدمك بملء بطني . فقال : سامحني . فقال : لا اعرف مسامحة في ذلك إلا ان اصوم لك الاثنين والخميس في الاسابيع لتربح غداءهما . وكان ابن بالة ببغداد قد اكترى غلاماً كوفياً فاستحضره المزين فحلق رأسه ، فلما فرغ وتنحى جاء الغلام الكوفي الى المزين فقعد بين يديه ليحلقه ، فخرج ابن بالة وقد حلق المزين بعض رأسه فناداه وقال له : هذا من حسابي او من حسابك يحلق ؟ فقام الغلام على حالته محلوق بعض الرأس واخذ المنديل وعدا من بين يدي المزين ، وحلف بالطلاق انه لا يحلق رأسه حتى يعود الى الكوفة .

عذر مبتاع مرغوب فيه بفضل ثمن :

اشترت سكينة شيئاً بفضل ثمن فقيل : غبنت ! فقالت : ما غبن من بلغ شهوته . وقيل : استكرمت فاربط واشدد يديك بغرزه ولا تنظر الى كثرة ثمنه .

شاعر : أشدد يديك به وحزه فإنه علقٌ مضنه

الحث على استجادة ما تشتريه : قال عمر رضي الله عنه : اذا اشتريت بعيراً فاشتره سميناً ، فان اخطأك الخبر لم يخطئك النظر . وقيل : الغبن غبنان غبن الغلاء وغبن الرداءة ، فاذا اشتريت فاستجد تربح احد الغبنين . وقيل لبعضهم : بم كثر مالك ؟ فقال : لم اشتر قط غبناً ولا شيناً .

مدح متظلف عن المبايعة وعن التفكر في الطفيف :

شاعر : يبيعُ ويشتري لهمُ سواهمْ ولكن بالسيوفِ هُمُ تجارُ

وقال العباس بن المأمون لغلامه : ان رأيت نقلاً حسناً فاشتر بنصف درهم . فقال المأمون : لا تفلح اذا عرفت للدرهم نصفاً . وطلب الحسن رضي الله عنه ثوباً فقيل : بثلاثة عشر ونصف . فقال : خذ أربعة عشر : فالمسلم لا يشاطر اخاه الدرهم .

المتغالي ببيع شيء :

ساوم مديني نعلاً فقال صاحبها : بعشرة . فقال المديني : لو كانت من جلد بقرة بني اسرائيل ما أخذتها بأكثر من درهم . فقال الحذاء : لو كانت دراهمك من دراهم أصحاب الكهف ما اعطيتكها ! باع رجل شيئاً بعد مماكسة فقال البائع لما باعه : لو صبرت لبعت منك بدرهم . فقال المشتري : لو صبرت لاشتريت منك بأضعاف ما اشتريت دنانير . سام أشعب رجلاً بقوس فقال : بدينارين . فقال: لو أنها اذا رمي بها الطير في الهواء يسقط مشوياً بين رغيفين ما اشتريتها بدينارين . كان رجل ضل له بعير فحلف ان وجده ليبيعنه بدرهم ، فوجده فلم تسمح نفسه ان يبيعه بدرهم ، فعمد الى سنور فعلقه في عنقه وجعل ينادي عليه : الجمل بدرهم والسنور بخمسمائة ولا أبيعهما الا معاً ! فقال رجل: ما أرخص الجمل لولا قلادته .

ترك مبيع لغلائه :

كان الفضيل رضي الله عنه اذا أرسل غلامه ليشتري له شيئاً فرجع اليه فقال : وجدته غالياً ، قال : الحمد لله اذا غلا علينا شيء تركناه . وقال بعضهم : اذا غلا علي شيء تركته فيكون حينئذ أرخص ما يكون .

شاعر : واذا غلا شيء عليّ تركتهُ فيكونُ أرخصَ ما يكونُ إذا غلا

وأنشد جحظة هذا البيت مجيزاً له :

إلا الدقيقَ فإنه قوتٌ لنا فاذا غلا يوماً فقد نَزَلَ البَلا

واشتهت امرأة مزيد يوماً عليه جراداً فقالت : اشتر لي فان مداً منه بدرهم . فقال : لو جاء الدجال بزلزلة المدينة وأنت ماخض بالمسيح ، تنتظرين أن تأكلي الجراد وتضعي الحمل ما اشتريته بهذا السعر .

من باع نفيساً واشترى خسيساً :

قال الله تعالى : ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب . باع رجل دابة واشترى بها بازياً فقال له أبوه : يا أحمق بعت ما تركبه واشتريت ما يركبك . وباع رجل بستاناً واشترى به دابة فقال له رجل : بعت ما كنت تعلفه السرجين فيعوضك الشعير بما يأكل الشعير ويعوضك السرجين . في المثل : كالمشترى النافقاء باليربوع ، وما كل مبتاع من رابح . ابن معروف القاضي :

يا خاسرَ الصفقةِ في سعيهِ وبائعاً بالخزفِ الدرَّه

كان يباع زرياب بدينار فقال اعرابي : لماذا يصلح هذا ؟ فقيل : انه يضغب ضغيب السنور . فقال : اشتر سنوراً بنصف درهم يضغب لك أجود من هذا ويصطاد الفأر زيادة .

بيع نفيس للحاجة اليه :

دخل اعرابي بفرس يبيعه فقيل له : صف فرسك . فقال : ما طلبت عليه قط الا لحقت ، ولا سبقت . فقيل له : فلم تبيعه ؟ فقال :

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أمَّ مالكٍ كرائمَ من ربٍّ بهنّ ضنينِ

ذم البيع والابتياع نسيئة :

قيل : اياك أن تتكلم على وجهك في سوقك دون رأس مالك أو تشتري شيئاً بجميع مالك ، وخير التجارة ما لا يعرف أهلها النسيئة . باع رجل داراً من تركي نسيئة ، فجاءه يوماً متقاضياً فأخذه وصفعه صفعات ، فلما انصرف قيل له : ما استوفيت من ثمن الدار ؟ فقال : صفعات في قفاي . عرضت جارية على عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فأحب شراءها ولم يكن عنده تمام ثمنها فقال البائع: أنا أؤخرك الى العطاء . فقال : لا أريد لذة عاجلة بذلة آجلة . وعرض على رجل شيء ليشتريه فقال: ما عندي ثمنه ، فقال البائع : أنا أؤخرك . فقال : أنا أؤخر نفسي .

بيع موغوب عنه :

أبو حكيمة في عبد باعه :

بعنا تعيساً ولم يحزنْ له أحدٌ قد غاب عنَّا فغابَ الهمُّ والنكدُ
أحسِنْ به خارجاً من بين أظهرنا لم نفتقدْه وكلبُ الدار يُفتقدُ

وباع عبيدالله ضيعة له فقال :

قيل لي: كيف أنتم؟ قلت: بعنا ضيعة عدة بشيء قليلِ
فيهِ أدنى صونٍ وأدنى نوالٍ واسترحنا من طولِ غمّ الوكيلِ

وله : ومبتاع بعض الملك مني يقول لي وما باعهُ إلا نوائب تعتري :
متى صرت مضطراً لبيع ذخائرٍ ؟ فقلت له: مذ صار مثلك يشتري

المغالاة بما لا يقل وجوده :

عاتب محمد بن عبدالملك الزيات أبا تمام في انه يمدح غيره من السوقة فقال :

رأيتك سمحَ البيعِ سهلًا وإنما يغالي إذا ما ضنّ بالشيء بائعُه
فاما اذا هانَتْ بضائعُ مالهِ فيوشكُ أن تبقى عليهِ بضائعُه
هو الماءُ إن أجممته طابَ وِردُه ويفسدُ منه ان تباحَ شرائعُه

ربيب النصراني :

وكلُّ شيء غلا أو عزَّ مطلبُه   مسترخصٌ ومهانُ القدرِ إن رَخُصا

آخر :   أحبُّ شيء الى الانسانِ ما مُنِعا

قيل : كل مبذول مملول وكل ممنوع متبوع .

الوزن والكيل :

قال الله تعالى : ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون (الآية) وقال ابن عمر رضي الله عنهما : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : يا معشر المهاجرين لا ينقص قوم المكيال والميزان الا أخذهم الله بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم . قال عكرمة : أشهد لكل كيال ووزان بالنار الا القليل منهم . فقيل له : سبحان الله وكيف ؟ قال : لانه لا يزن كما يتزن ولا يكيل كما يكتال . وقال ﷺ لقوم شكوا اليه سرعة فناء طعامهم : كيلوا ولا تهيلوا . وقال ﷺ لرجل ابتاع منه شيئاً : زن وأرجح .

مدح الاقالة في البيع والحث عليها :

قال ﷺ : من أقال مسلماً أقال الله عثرته يوم القيامة .

الشريك في البيع :

قال السائب : كان رسول الله ﷺ شريكي وكان خير شريك لا يشاري ولا يماري . وقال ﷺ: لا تزال يد الله على الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فاذا خان أحدهما صاحبه رفع البركة عنهما .

الشفعة في البيع :

قال النبي ﷺ : الجار أحق بصفقته . وقال ﷺ : الجار أحق بشفعة جاره ينتظر بها ان كان غائباً اذا كان طريقهما واحداً . وقال ﷺ : من كان له شريك في زرع او نخل فليس له ان يبيع حتى يأذن شريكه ، فإن رضي أخذ ، وان كره ترك . وقال ﷺ : اذا أرفت الحدود فلا شفعة . يعني ميزت وبينت . وقال : الشفعة فيما لم يقسم .

الخيار في البيع :

قال النبي ﷺ : البيعان بالخيار ما لم يتفرقا الا بيع الخيار . وشكا رجل الى رسول الله ﷺ أنه يغبن في البيع فقال ﷺ : اذا ما بعت فقل لا خلابة ، ثم أنت بالخيار الى ثلاثة أيام . وقال ﷺ : من اشترى شاة مصرّاة فهو بالخيار إن شاء أمسك ، وان شاء ردها ومعها صاعاً من تمر .

ما هو في حكم المستثنى من البيع :

قال النبي ﷺ : من باع عبداً وله مال فماله للبائع الا ان يشترطه المبتاع ، ومن باع نخلاً مؤبراً فثمرته للبائع الا ان يشترطه المبتاع .

مدح الدلالين وذمهم :

قال بعضهم : نعم المعين على البيع والابتياع ، وعلى الالفة والاجتماع الدلالون ، ولو أمكن الاستعانة بهم في الفراش لانتفع بمكانهم . وقيل : آذى بعض الدلالين الاصمعي في شيء فقال : شر الناس الدلالون ، لان أول من دل ابليس حيث قال لآدم : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟

نوادر لانذال الباعة :

جاءت عجوز الى لحام بالمدينة ومعها درهمان فقالت : أعطني بهما اطيب لحم واخبرني باسمك أدعو لك . فأعطاها اخبث لحم وقال : اسمي من يمد . فجعلت العجوز عند الأكل تمد اللحم فلا تقدر على أكله ، فجعلت تقول : لعن الله من يمد فتلعن نفسها وهي لا تعلم . وقال جحظة : رأيت سوقياً ينادي على جدي علقه يقول : هذا مانع نفسه . فقلت له : ما معنى مانع نفسه ؟ فقال : يا سيدي لا يقدر أحد ان يأكل منه لقمتين لسمنه . قال : ورأيت آخر وهو يقول زبد في أديم . وقال جراب الدولة : ورأيت ثلاثة من الهراسين على بقعة وهم يتكايدون في مدح هرائسهم ، فواحد أخرج قطعة هريسة علقها بالمغرفة وهو يقول انزل ولك الامان ، وآخر يقول يا قوم الحقوني أدركوني أجذبها وتجذبني والغلبة لها ، والثالث يقول انا لا ادري من أكل من هريستي لقمتين أسرج ببوله شهرين . وقال رجل للحام : ليس لحمك بسمين . فقال : ان فلاناً جالسني ووضع راحته على هذا اللحم وانصرف إلى منزله ، فجعل ما علق بها في قدر واتخذ منها دعوة . وكان بائع رمان قشر رماناً وهو يقول: نزع الامير قميصه وخرج في غلالة .

الكفالة :

قال النبي ﷺ : الزعيم غارم . وكلم رجل آخر في ان يؤخر شيئاً على غيره فقال : اضمن انت عنه . فقال : اردنا منك سعة المهلة فكلفتنا ضيق الضمان . قال الخليل : في الكفالة ست خصال : الندامة والملامة والكفران والخسران والغرامة والقطيعة . وقيل : ان الفرس صورت كل شيء حتى الكفيل ينتف لحيته من الندامة .

الحوالة :

قال النبي ﷺ : اذا اتبع أحدكم على ملىء فليتبع . ومن غير هذا الباب احتيج أن يكتب على المعتضد كتاب ليشهد فيه العدول ، فكتب : في صحة من عقله وجواز أمر له وعليه ، فقال جعفر

بن محمد بن ثوابه : لا يجب ان يكتب هذا للخليفة . فضرب عليه وكتب : في سلامة من واصالة من رأيه .

الاجارة :

روي عن فاطمة رضي الله عنها انها قالت : دخل علي يوماً واخذ بيد الحسن والحسين فأخرجهما ، فجاء النبي ﷺ فقال : اين ابناي ؟ فقلت : اصبحنا وليس في بيتنا شيء نذوقه فدخل علي فأخرجهما حتى لا يبكيا . فخرج النبي ﷺ في اثرهما فوجدهم في حائط يهودي وعلي ينزع كل دلو بتمرة ، والحسن والحسين يلعبان في سربة لليهودي ، وبين ايديهما فضل من تمر فقال : يا علي الا تنقلب بابني قبل ان يشتد عليهما الحر ؟ فقال : اجلس فاني قد اشبعتهما . فجلس حتى اجتمع له شيء من تمر فجعله في حجره ، ثم حمل النبي ﷺ أحدهما وعلي الآخر . وروي : ما اكل احد طعاماً خيراً له من ان يأكل من عمل يده . وكان داود عليه السلام لا يأكل الاّ من كسب يده . ونهى النبي ﷺ ان يستعمل الرجل اجيراً حتى يعلمه أجرته . وقال : من استأجر أجيراً فليعلمه اجرته . وروي في الخبر : بينما نفر يتماشون فأخذهم المطر فآووا الى غار في جبل فانحطت صخرة على فم الغار فأطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا اعمالاً عملتموها صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها عنا . فقال احدهم : اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجيراً بقفيز ارز فلما قضى عمله سخطه فتركه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً ورعاء ، ثم جاء فقال : اتق الله ولا تظلمني حقي . فقلت له : انطلق الى هذه البقر ورعائها فخذها . فقال : أتهزأ بي ؟ فقلت : انا لا اهزأ خذها ، فأخذها فإن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا . ففرج لهم .

إعطاء أُجرة الأجير :

قال النبي ﷺ : ثلاثة أنا خصمهم ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى ثم غدر ، ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى عمله ولم يوفه أجره . وكان ابو بكر رضي الله عنه لما استخلف قال للناس : انكم شغلتموني عن تجارتي فافرضوا لي ، ففرضوا له كل يوم درهم . استأجر رجل حمالاً ليحمل قفصاً فيه قوارير على ان يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها ، فحمل الحمال القفص ، فلما بلغ ثلث الطرق قال : هات الخصلة الاولى . فقال : من قال لك ان الجوع خير من الشبع فلا تصدقه . فقال : نعم . فلما بلغ ثلثي الطريق قال : هات الثانية . فقال له : من قال لك ان المشي خير من الركوب فلا تصدقه . فقال : نعم فلما انتهى الى باب الدار قال : هات الثالثة : فقال : من قال لك انه وجد حمالاً ارخص منك فلا تصدقه ! فرمى الحمال القفص على الأرض وقال : من قال لك في هذا القفص قارورة صحيحة فلا تصدقه .

● ●

ومما جاء في الدين

ذم الدَّين والنهي عنه :

قيل : ان النبي ﷺ بعث الى رجل من اليهود يستسلفه الى الميسرة . فقال : ليس لمحمد زرع ولا ضرع فأي ميسرة له ؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : كذب عدو الله لو اعطانا لأدينا اليه ، ولأن يلبس احدكم الواناً شتى خير له من ان يستدين ما ليس عنده قضاؤه . وقال معاذ بن جبل : الدين شين . وقال النبي ﷺ : اعوذ بالله من الكفر والدين ! وقال بعض الحكماء : الدين رقك فلا تبذل رقك لمن لا يعرف حقك . وقيل : الدَّين هدم الدِّين . وقيل : ما استرق الكريم مالك افظ عليه من الدين . وقيل : الدين غل الله في ارضه ، فاذا اراد ان يذل عبداً جعله في عنقه . وسأل فيلسوف رجلًا ان يقرضه مالاً فرده ، وذمه بعض الناس الى الفيلسوف وقال : انه جبهك بالرد . فقال : ما زاد علي ان حمَّر وجهي بالخجل مرة واحدة ، ولو أقرضنيه لصفر وجهي مرات كثيرة .

من مات وعليه دين :

قال النبي ﷺ : من داين الناس بدين في نفسه وفاؤه ثم مات وليس عنده وفاؤه ، تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ، ومن داين الناس بدين ليس في نفسه وفاؤه ثم مات وليس عنده وفاؤه ، اقتص الله لغريمه منه . وقال النبي ﷺ : نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه . وقال ابو هريرة رضي الله عنه : جيء بجنازة يوماً فوضعت بين يدي النبي ﷺ فقام ليصلي عليه فقيل : ان عليه ديناً . فقال : صلوا على صاحبكم . فقال ابو قتادة رضي الله عنه : علي دينه يا رسول الله ثم خطب فقال : أنا اولى بالمؤمنين من انفسهم ، من مات وعليه دين او ضياع فعلي ، ومن ترك مالاً فلورثته .

مدح الدين والرخصة فيه :

قال النبي ﷺ : من اعياه الرزق فليستدن على الله ورسوله . دخل عتبة بن هشام على خالد بن عبدالله القسري فقال خالد معرضاً به : ان رجالاً يدانون في اموالهم ، فاذا فنيت اموالهم ادانوا في اعراضهم . فقال عتبة : اصلح الله الامير ! ان رجالاً تكون اموالهم اكثر من مروآتهم فلا يدانون ، ورجالاً مروآتهم اكثر من اموالهم ، فاذا نفدت اموالهم ادانوا على سعة ما عند الله ، فخجل خالد وقال : انك منهم فيما علمت . وقيل : تعرف مروءة الرجل بكثرة ديونه . وقيل : الدين من مواسم الاشر.

المقنع الكندي :

يعاتبني في الدينِ قومي وإنمـا ديوني في أشياءَ تكسبُهم حمْدا

أبو شراعة :

والدين طوق مكارم لا تلتقي طرفاه في عنق البخيلِ الحازمِ

وذلك من قول عمر لزنباع حين قال له : ما اقدمك المدينة ؟ قال : دين علي . فقال : الدين ميسم الكرام . وسأل عمرو بن عبيد عن رجل فقالوا : انه استتر لدين حصل عليه . فقال : طالما وفد به الكرام .

مدح من ادنت عليه :

سعدان :

ولو كنتَ مولى قيسِ غيلانَ لم تجدْ عليّ لإنسانٍ من الناس درهما

ولكنني مولى قضاعة كلِّها فلست ابالي أن أدينَ وتغرما

وهذا اجمع شعر جمع فيه بين مديح وهجاء . وقال ابن الرومي :

علي دين نبيلٌ أنت قاضيه يا من يحملني ديناً رجائيه

من قضى ديناً بدين :

شاعر : اذا ما قضيتَ الدينَ بالدينِ لم يكن قضاءً ولكن كان غرماً على غرمِ

آخر : أخذت الدّين ادفع عَن تلادي وكان الدّين ادفعَ للتلادِ

وقيل لمحمد بن واسع : فلان قد قضى دينه مما كسبه . فقال : ما كان اكثر ديناً قط منه الساعة :

من اعطى ديناً على ان لا يستر على ان لا يسترجع :

ابو الاصبع : أيها المسترفدون القرضَ في بردِ الشتاء

ليس قرضي لكم الدهر بقرضٍ ذي اقتضاءْ

أنت عندي منه في حل إلى جن الظَّباء

فاستعن بالواحدِ الفردِ وأخلصْ في الدعاء

فلعل الدهرَ يأتي عن قريبٍ بامتلاءْ

من تقاضى ديناً قديماً :

البحتري : من أماراتِ مفلسٍ أن تراه موجفاً في اقتضاء دينٍ قديمِ

وطلب رجل ديناً عتيقاً فقال : دعني من هذا فهذا دين عتيق . فقال : لعن الله من اعتقه !

من احسن التقاضي :

قال النبي ﷺ : خيركم أحسنكم قضاء . وقال ﷺ : خيركم الذي إذا كان عليه دين احسن القضاء ، واذا كان له أحسن الاقتضاء . وقال ﷺ : من ادان ديناً وهو ينوي أن لا يؤديه الى صاحبه فهو سارق .

ابن الرومي :

هو دينٌ وأحسن الأمر فيه   أن يكون القضاء قبل التقاضي

الحث عليه :

قال النبي ﷺ : رحم الله امرءً سهل البيع سهل الشراء سهل التقاضي . وقال ﷺ : من طلب أخاه فليطلبه في عفاف وافياً او غير واف . وقال ﷺ : كفى بالمرء من الشح ان يقول آخذ حقي لا أترك منه شيئاً . قال :

إني وجدتُك من قوم إذا طلبوا   بعد النسيئةِ ديناً أحسنوا الطلبا

آخر : وحسبك من تقاضِ المرء يوماً   لحاجته الزيارةُ والحديثُ

الرخصة في التقاضي :

استسلف النبي ﷺ : من رجل تمراً ، فلما جاء يتقاضاه قيل له في ذلك فقال رسول الله ﷺ : دعه فإن لصاحب الحق مقالاً ، انطلق الى خولة بنت حكيم فالتمسوا عندها تمراً فقالت : والله ما عندي الاَّ تمر ذخيرة . فقال : خذوه فاقضوه ، فلما استوفى قال له : استوفيت ؟ قال : نعم قد اوفيت وأطيبت ، فقال ﷺ : ان خيار هذه الأمة الموفون المطيبون .

ذم ماطل ديناً :

قال النبي ﷺ : مطل الغنى ظلم . وقال ﷺ لي : الواجد يحل عرضه وعقوبته . فقيل : عقوبته حبسه وعرضه شكواه . قال :

فما بال ديني اذ يحلّ عليكمُ   أرى الناسَ يقضون الديونَ ولا أقضي ؟

يقال : حل الدين يحل وجب محله ، وحل يحل حصل . وكتب رجل الى غريم له :

أماطلك العصرين حتى تملَّني   وترضى بنصف الدينِ والانفُ راغمُ

فأجابه : ستعطي برغمٍ منك في السجن نادماً   وتشقى بطولِ الحبسِ والحقّ لازمُ

وقيل : الاكل سلجان والقضاء ليان . وقيل : الاكل سريطي والقضاء ضريطي . مر بائع زيتون بامرأة فطلبت منه نسيئة فقال : ذوقي لتعرفي جودته . فقالت : أنا صائمة قضاء عن رمضان العام الماضي. فقال : يا فاعلة انت تمطلين ربك هـذا المطل وتطلبين مني الزيتون بنسيئة متى تقضين ؟ قال : ومما يتمثل به في هذا الموضع قول كثير :

قضى كلّ ذي دين فوّفى غريمَه　　وعزةُ ممطول معنىً غريمُهـا

وقال آخر :

مِن الناس انسانانِ ديني عليهما　　مليانِ لو شاآ القضا قضياني
خليلي أمـا أم عمرو فمنهما　　وأما عن الأخرى فلا تسلاني
إلى الله أشكو ما ألاقي واشتكي　　غريماً لو ان الدين منذ زمانِ

الحث على انظار المعسر :

قال الله تعالى : وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة . وروي عن النبي ﷺ ان رجلا فيما مضى لم يعمل خيراً قط ، وكان يداين الناس فيقول لرسوله : خذ ما تيسر ودع ما تعسر ، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا ، فلما هلك قال الله تعالى له : هل عملت خيراً قط ؟ قال : لا الا انه كان لي غلام أقول له خذ ما تيسر ودع ما تعسر لعل الله يتجاوز عنا . فقال الله تعالى : لقد تجاوزت عنك. وقال ﷺ : من أنظر معسراً ووضع عنه أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل الا ظله . وقال ﷺ : من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . لزم رجل غريماً له وهو يقرأ عليه : ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، والغريم يقرأ : وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة. وسئل ابن الزيات في رجل له عليه دين ان يصالحه على بعض وينظره به ، فقال : إما توفير وتأجيل وإما صلح وتعجيل .

المتبجح بمطل الدين والناوي الذهاب به :

بعضهم : أماطله العصرينِ حتى يملني　　ويرضى بنصفِ الدين والانفُ راغمُ

عباس السليطي :

إني وجدك ما أقضي الغريمُ وإن　　حانَ القضاءُ ولا رقّتْ له كبدي
إلاّ عصار زنت طالت برايتها　　تنوء ضربتُها بالكفِّ والعضُدِ

وقال وقد نظر الى غريم له يحسب ربحه :

يلوي بنانَ الكفّ يحسبُ ربحَه　　ولا يحسبُ المطلَ الذي أنا ماطلُه
ومن دون ما يرجو عناء مبرح　　أواخرُه مـا تنقضي وأوائلُهُ

وذهب رجل إلى صديق له فقال : اقرضني مائة درهم لاشتري بها شيئاً عسى أربح فيه عشرين درهماً . فقال : اني أعطيك عشرين درهماً وأتخلص . فقال : لا أريد الا المائة . فقال : حديث من لا يريد ان يرد الدين .

العارية :

قال النبي ﷺ : العارية مؤاداة .

بشر : أحق الخيل بالركضِ المعارُ

جلس بعض اصحاب الحديث فقال واحد لآخر : تفضل وأعرني قلماً . فأعطاه فقال : وأولني ورقاً فدفعه اليه فقال : ومحبرة . فأعطاه وقال : يا فتى أتنشط للتزوج ؟ فإن أمي فارغة . وفي ذم من لا يعير . قال الله تعالى : ويمنعون الماعون .

الافلاس :

قال رسول الله ﷺ : أيما رجل أفلس وعنده مال امرىء بعينه لم يقبض منه شيئاً ، فهو أحق بعين ماله ، فان قبض منه شيئاً فهو أسوة الغرماء . وقال الحجاج : لا تجعلوا مالي عند من لا يمكنني استرجاعه منه فقيل : ومن الذي لا يمكنك استرجاعه منه ؟ قال : المفلس . وقيل لمفلس : يا مرابي ! فقال : فأل حسن . وفي المثل : أفلس من طنبور بلا وتر . وقيل لمفلس : هل في كفك مال ؟ فقال: هو افرغ من فؤاد ام موسى . وفلس القاضي رجلا فاركبه حماراً وطوف به ونودي عليه ان لا يبايع فانه مفلس ، فلما انزل قال له صاحب الحمار : هات الكراء . فقال له : فيم كنا من اول النهار يا أبله ؟

الحث على أخذ الرهن :

قال الله تعالى : فرهان مقبوضة . وقيل : ان الله تعالى لا يسمع دعاء من له على غيره حق ولا رهن لديه ولا قبالة له عليه فيقول : قد أمرتك بالاستيثاق فخالفت . ورهن ﷺ درعه بثلاثين صاعاً من شعير كان أخذها رزقاً لاهله .

حكم غلق الرهن وتلفه :

روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : لا يغلق الرهن ؛ الرهن : من راهنه الذي رهنه له غنمه وعليه غرمه . وروي : الرهن بما فيه . وروي عنه ﷺ : الرهن مركوب ومحلوب . وقال بعض الشعراء في السخف :

أمسى غلامُك رهناً لا انفكاكَ له   والرهنُ في الحكم مركوبٌ ومحلوبُ
فالدرّ منه حرامٌ مـا نطيفُ به   والظهر منه على الأحوالِ مركوبُ

الراهن آلات داره لفقره :

زياد الاعجم يشكو فقراً :

لقد لجّ هذا الدهرُ في نكباتهِ   علي الى أن ليس في الكيس درهمُ
وأمست جواليقي برغمِ طبيعتي   رهاناً على ما في الجواليقِ يعلمُ

وأخذ ذلك ابو زرعة الكناني فقال :

وسفرتي في السوق مرهونةٌ   على الذي يؤكل في السفره

الرهون الظريفة من السخفاء :

قيل : تقدم رجل إلى بقال يسأله شيئاً ، فامتنع فدنا منه فساره فدفع اليه ، فقيل له : ما قال لك ؟ قال : رهنني طلاق امرأته . وذلك انه حلف بالطلاق أنه يرده غداً . فقال : ما رأيت رهناً مثله قط ! وتقدم فتيان إلى فقاعي فشربوا فقاعاً وقالوا : ما معنا شيء فخذ من كل واحد منا صفعة رهناً ، فصفع كل واحد صفعة فجاؤه في اليوم الثاني فقالوا : خذ حقك ورد الرهن . فقال : حلال لكم ! فأبوا إلاّ رد الرهن واخذ الحق ، فأعطوه حقه وصفعه كل واحد صفعة .

• • •

ومما جاء في الايمان

النهي عن الايمان وذم من يكثرها :

قال الله تعالى : ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً . وقال الله تعالى : ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم . قال سعيد بن جبير : هو ان يقول الرجل فيما شك على يمين . وقال النبي : اليمين الغموس تدع الديار بلاقع . وقال : اليمين حنث او مندمة . واخذه بعض الشعراء فقال :

يا أُيها المولى على جهدِ القسَمْ   بعضَ التأني لا تسفهْ أو تلمْ

وقال النبي : الايمان الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب . وقال امير المؤمنين رضي الله عنه: الحلف ينفق السلعة ويمحق البركة ، والتاجر فاجر الا من اخذ الحق وأعطاه . قيل : العاقل اذا تكلم بكلمة اتبعها مثلاً ، والفاجر اذا تكلم اتبع كلامه حلفاً . قيل : فلان لو سكن الفالج في لسانه لما نقص حرفاً من ايمانه .

النهي عن الحلف بغير الله :

قال النبي ﷺ : من كان حالفاً فليحلف بالله . وكانت قريش تحلف بآبائهم فقال ﷺ : لا تحلفوا بآبائكم .

الرخصة في لغو اليمين :

قال الله تعالى : لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . وقيل : لغو اليمين ان يقول كان كذا والله ولا والله ونحو ذلك . وروي ان رجلاً قال للحسن وعنده الفرزدق : ما تقول فيمن يقول بلى والله ونعم والله ؟ فقال الفرزدق : اما سمعت قولي في ذلك ؟ فقال الحسن : ما قلت ؟ فقال :

فلستُ بمأخوذٍ بلغو تقولهُ ... إذا لم تعمد عاقداتِ العزائمِ

فقال الحسن : أصبت . ثم قيل له : ما تقول في امرأة لها حليل ؟ فقال الفرزدق : ألم تسمع قولي:

وذاتِ حليلٍ أنكحتنا رماحنا ... جهاراً بأيدينا ولما تطلق

فقال الحسن : أصبت . فقال الفرزدق : كنت أراني اشعر منك فاذا انا افقه منك ايضاً .

وصف الكاذب بكثرة الحلف :

قيل : علامة الكاذب جوده بيمينه لغير مستحلف ؛ ومنه اخذ المتنبي :

وفي اليمين على ما أنت فاعلُه ... ما دل انك في الميعادِ متَّهم

وقال المنصور لعمرو بن عبيد : بلغني ان كتاب محمد بن عبدالله الدارمي ورد عليك . فقال : قد ورد له كتاب وما قرأته وأنت تعلم رأيي في الخوارج . فقال له : طيب نفسي بحلعة . فقال : لا تسمني فاني ان كذبتك تقية لأحلفن تقية .

القليل المبالاة بالحلف :

قال النبي ﷺ : من لم يحلف على ماله فلا مال له . وادعى رجل على المأمون مالاً فاستحضر قاضيه يحيي بن أكثم فاستحلفه فحلف ، ثم أمر للمدعي بما ادعى عليه فقيل له في ذلك ، فقال : حلفت له لئلا يجعل اتقاي ذريعة الى أن يدعو علي ، وبذلت المال لئلا يظن احد أني حلفت لمبالاتي بهذا المال . وادعى رجل على عمر ما لم يلزمه فحلف له . واستحلف أُبي بن كعب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحلف كراهة أن يجعل الناس ترك الايمان مع معرفتهم بالبراءة سنة ، فدخل ذلك في شدة الورع . واستحلف عمرو بن عبيد على درهم ادعاه عليه بعض من أراد عنته ، فقال حفص بن سالم : نعطيه نحن ونعفيك منه ونرفع قدرك عن مطالبة مثله . فقال : ما أكره ان احلف على حق ،

وما كنت لاعينه على معصية . وادعى رجل على عثمان رضي الله عنه مالاً واستحلفه فأبى واتقاه بدعواه . فقيل له : هلاّ حلفت اذا كان مبطلًا ! فقال : خشيت ان يوافق حلفي قضاء فيقال : ان ذلك أصابه لجراءته على الحلف .

المتنبي : وفاعل ما اشتهى يغنيهِ عن حلفٍ   على الفعال حضورُ العقلِ والكرمِ

من لم يتحاش من اليمين ولم يبال به :

حلف مديني على حق كان قبله فقيل له في ذلك فقال : بالله ادفع ما لا أطيق . وأخذ ذلك ابن الرومي فقال :

واني لذو حلفٍ كاذبٍ   اذا ما اضطررتُ وفي المالِ ضيقْ
وهل مِن جناحٍ على مُعسرٍ   يدافعُ باللهِ ما لا يطيقْ

ويقال في المثل : جذها جذ العير الصليانة اذا أسرع في اليمين ، كأنه اقتلعها اقتلاع العير هذا النبت . جاءت امرأة بزوجها الى ابن شبرمة فحلف لها فلما ولى أنشد :

ألم تعلمي أني جموحٌ عنانهُ   وإني لا أعدي علي أميرُ
محوتُ الذي في الصكِ عني بحلفةٍ   سيغفرُها الرحمنُ وهو غفورُ

فسمعها الحاكم فرده ، فعلم الاعرابي انه أخطأ فقال : أيها الحاكم أنت افضل من ان ترجع في قضيتك . فقال صدقت ولكنني أقضي عنك ، وقضى عنه .

البحتري : سألوني اليمينَ فارتعتُ منها   ليغروا بذلك الارتياع
ثم أرسلتها كمنحدرِ السيل   تهاوى من المكانِ اليفاع

وكان الشماخ عليه دين فقعد به ، فقيل له : انك تحضر القاضي وتحلف فتروع لذلك . فقال : حاش الله ان احلف ولو سيم مني باطل ، فكيف وعلي حق لازم ؟ فاغتر خصمه فأحضره وحلفه فحلف ، وخرج من عند الحاكم فقال :

وجاءت سليمٌ قضها بقضيضِها   تنفّض حولي بالبقيع سبالها
يقولون لي احلفْ قلت لستُ بحالفٍ   أخادُعهم عنها لكيما أنالها
ففرجت همّ النفسِ عني بحلفةٍ   كما قدت الشقراء يوماً جلالها

أعرابي : اذا حلّفوني بالغموسِ منحتهُم   يميناً كسحقِ الاتحمي المحرق
وإن حلّفوني بالعتاقِ فقد درى   سحيمٌ غلامي انني غير معتقِ

قال ابن المعتز : بودي لو أن لي بيت الخثعمي بألف بيت :

وآلت يميناً كالزجاج رقيقة   وما حلفتْ الا لتحنثَ من أجلي

الحث على الحنث وكفارة اليمين :

قال النبي ﷺ : اذا حلف احدكم على يمين فرأى غيرها خيراً له منها ، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه . وقال ابو العيناء : اتي بابن أبي خالد الذي كان بالسند بين يدي المتوكل فقال : والله لأضربنه بالسياط ، ووالله لا يشفع فيه احد الأ ضربت ظهره وبطنه ! وكان ابن أبي دؤاد حاضراً فتركه حتى ضربه عشرين سوطاً ثم قال : يا امير المؤمنين في هذا ادب وان تجاوزت فسرف . فقال له : أما سمعت يميني فقال : بلى ولكن ما كان امير المؤمنين ليؤثر غيظه على ما قال نبيه وابن عمه صلوات الله عليه وعلى آله ، قال : من حلف على شيء فرأى خيراً منه فليأت الذي هو خير ، وليكفر عن يمينه ، وكفارة امير المؤمنين مع العلو أقرب الى الله وافضل : فعفا عنه وكفر عن يمينه . سأل بعض الناس بعض الخلفاء حاجة فقال : حلفت ان لا افعل . فقال : يا امير المؤمنين إن لم تكن حلفت بيمين إلأ بررتها ، فما أحب ان اكون اوّل من يؤثمك ، وان كنت ربما حلفت فرأيت ما هو خير منها فكفرتها فلست احب ان اكون أهون إخوانك عليك . فقال : سحرتني ! وقضى حاجته .

الاستثناء في اليمين :

قال بعضهم لرجل يحلف : قل ان شاء الله فانه يدفع الحبث ويذهب الحنث ، وينجز الحاجة ويدرأ اللجاجة . كانت العرب تسمي الاستثناء في اليمين التحليل والمثنوية على ذلك . قال الشاعر :

تحلّلْ أبيتَ اللعن في قولِ آثم

وقال : واذا حلفتَ ممارياً فتحلّلِ

وقال تعالى : تحلة أيمانكم .

النابغة : حلفت يميناً غير ذي مثنويةٍ

وكان عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يقول : ان الاستثناء بعد تراخي الازمان يصح . وكان المنصور دعا أبا حنيفة يوماً فقال الربيع وكان يعاديه : هذا أبو حنيفة يخالف جدك حيث يقول : اذا استثنى الرجل في يمين بعد يوم جاز استثناؤه . فقال ابو حنيفة : يا امير المؤمنين هذا الربيع يزعم أنه ليس لك بيعة في رقبة جندك . قال : كيف ? قال : يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم . فضحك المنصور وقال : يا ربيع اياك وأبا حنيفة ! فلما خرجا قال الربيع : كدت تشيط بدمي . فقال ابو حنيفة : أنت اردت ان تشيط بدمي فحصنت نفسي واياك .

المعاريض في الايمان :

قيل : في المعاريض مندوحة على الكذب . وقال عمر رضي الله عنه : إن في المعاريض ما يكفي ان يعف الرجل عن الكذب . وقال ابو الحسن اللؤلؤي : واللاه لا افعل كذا ، ويعني فاعل اللهو ، ومالي صدقة ، يعني ليس لي صدقة . وفي كتاب المنقذ للمفجع الشاعر ما فيه مقنع من معاريض الايمان .

الايمان بالله :

من حلف امير المؤمنين رضي الله عنه : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لا والذي أمن من آمن به بالله جهد المقسم ، وبالله الذي لا شيء اعظم منه ، وكل يمين بعد دونه ، وانا اعلم علم اليقين وأحلف إن دعيت الى اليمين الصابي والله العظيم مالك يوم الدين ، وأنا غني عن اليمين اني اعلم ذلك علم اليقين بالله يميناً حلوة مرة . ومن أقسام النبي ﷺ : لا ومقلب القلوب ، لا والذي نفسي بيده .

شاعر : وأقسمتُ بالرحمن لا شيء غيره يمينَ امرىء برٍّ ولا أتحلَّلُ

قال ابو بكر الصولي : لا أعرف في الايمان شعراً أعذب من قول البحتري :

حلفتُ بربّ زمزمَ والمصلّى وربّ الحجرِ والحجرِ اليماني
وبالسبع الطوال ومَن تولّى تلاوتهنّ والسبعِ المثاني

اليمين بالبيت والهدى :

تقول العرب : وحق هذه البنية .

عويف بن الاحوص :

واني والذي حجّتْ قريشٌ محارمَه وما جمعَتْ حراءُ
وشهر بني أميـةَ والهدايا اذا حبست تضرُجها الدماءُ

الفرزدق :

حلفتُ بما إليـه يؤمُّ ناسٌ منَ الآفاقِ من يمَنٍ ومصرِ

اليمين بالطلاق :

أول من استحلف بالطلاق ابن مسلمة ، وكان والياً على كرمان ، استحلف جنده بالطلاق فقال بعضهم :

رأيت هذيلًا أحدثتْ في طلاقِهم طلاقَ نساء لم يسوقوا لها مَهْرا

وقيل : أول من استحلف بالطلاق العباس بن عبدالمطلب ، استحلف الانصار ليلة العقبة حين اخذ عليهم البيعة لرسول الله ﷺ ، طلق رجل امرأته عدد نجوم السماء فجاء الى ابن عباس واستفتاه

فقال : يكفيك من ذلك المقعة ، وهي رأس الجوزاء ثلاثة أنجم . قيل لمزيد المديني : لم تكثر الحلف بالطلاق ؟ فقال : لأني لما تزوجت امرأتي حلفت بالطلاق أني احلف بالطلاق في كل حق وباطل كل يوم ، فيميني بالطلاق امساك لها ، وإلا بانت . حلف رجل بالطلاق فقدمته امرأته إلى القاضي ، فسأله عن اليمين فأخبره ، فجعل القاضي يتفكر فقال له الرجل : فيم تتفكر ؟ قال : أطلب لك مخرجاً من اليمين . قال قد هون الله عليك أشهدك انها طالق سبعين . قال الاصمعي : كان على بعض الاعراب دين ثقيل فتعلق به غرماؤه ، وكان معدماً ، فساموه ان يحلف لهم بالطلاق ان لا يهرب ، فحلف لهم بطلاق امرأتين كانتا له . ثم هرب ، وأنشأ يقول :

لو يعلمُ الغرماءُ ما مقتي لهم ما حلّفوني بالطلاقِ العاجلِ
قد ملّتا ومللتُ مِنْ وجهَيهما عجفاء مرضعةٍ وأخرى حاملِ

ابن الرومي : إذا ما حلفَ النغلُ ففي أيمـانِه رخصَه

منصور بن باذان :

يا ذا الذي جعَـلَ الطلا قَ سلاَحهُ عندَ الحقيقَهْ
لا تحلفَنْ بطـلاقِ مَن أمسَتْ حوافرُه رقيقَه
هيهاتَ قـد علِم الانا مُ بأنهـا صارَتْ صَديقَه

الايمان بأهل البيت :

كان حماد بن موسى يترفض ، وكان له صديق يثق اليه ويوافقه في مذهبه ، فاودعه حماد دراهم وطالبه بها بعد مدة فجحده ، فاضطر الى ان مضى لمحمد بن سليمان وسأله ان يحضره ، ويحلف له بحق علي ابن أبي طالب فانه يتحرج من ذلك ، فقال : اعز الله الامير هذا الرجل أجلّ عندي من ان احلف له بالبراءة من مختلف في ولايته وايمانه ، ولكني احلف له بالمتفق على ايمانها وخلافتها أبي بكر وعمر ، فضحك محمد بن سليمان والتزم بعض ما ادعى عليه وصالحه على بعض . اعترضت امرأة المأمون وكان قد غصبها ضيعة فقالت :

ألا أيّهـا الملِكُ المرتجى لريبِ المنونِ وصرفِ الزمن
بحقّ النبي وحقِّ الوصي وحقِّ الحسينِ وحقِّ الحسَن
وحقّ التي غصبت حقهـا ووالدها بعد ذا ما اندفَنْ
شفعتُ إليكَ بأهلِ الكساء فإنْ لم تشفّعْ شفيعي فمن ؟

وكان اهل الكوفة إذا حلفوا يقولون : وحق الثلاثة ، يعنون النبي وأبا بكر وعمر . فرفع رجل الى الحسن بن زيد وهو أمير المدينة في ذنب ، فأمر ان يضرب فقال له : بحق الثلاثة عليك الا ما عفوت عني . فقال : وحق أحد الثلاثة علي وحقي على الاثنين إلا اوجعتك ! فبلغ قوله المنصور فقال: قاتله الله فما أمر نفسه !

أيمان الاعراب :

اختصم اعرابيان في حق فاقبلا الى والٍ ، فوجبت اليمين على احدهما فقال المدعي : كله إلي ايها الحاكم أحلفه . فقال له : انت وذاك . فدور له دائرة في الارض وقال : اجلس فيها . فجلس فقال له : جعل الله نومك نغصاً ، واكلك غصصاً ومشيك رقصاً ، ومسحك برصاً ، وقطعك حصصاً ، فأدخلك قفصاً ، وأدخل في استك هذا العصا ! فأبى ان يحلف واتقاه بحقه . واستحلف اعرابي خصماً فقال : قل لا أصحبني الله عصمة ولا سد عني خلة ، وأحضرني كل نقمة وأثكلني كل نعمة ، وصرد لي المشرب وسلبني الاقرب فالاقرب ، ان كان ما ادعيت حقاً ، فاتقاه بحقه . اختصم اعرابيان إلى أمير اليمامة فقال احدهما : ان لي قبل صاحبي حقاً فمره يخرج منه . فأنكر فقال الوالي : أحالف انت؟ قال : نعم . فقال خصمه : دعني من يمينك حتى احلفه . فقال : قل . لا ترك الله لي خفاً يتبع خفاً ، ولا ظلفاً يتبع ظلفاً ، وحتني من أهلي ومالي حت الورق ، وخلعني من أهلي ومالي خلع الخضاب ، واحوجني الى شر خلق الله ان كان لهذا قبلي حق ! فقال : لا احلف ! واتقاه بما ادعى عليه . وحلف اعرابي آخر فقال : قل لا استثبت الله من خطيئة ولا استنجدته لبلية ، ولا وفيت له بعهد ولا استجرته أوان جهد . فاتقاه بحقه . وقال اعرابي لآخر في حق : أتحلف ؟ فقال : نعم . فقال : قل ألزمني الله الزلل ولا سد عني الخلل ، وألبسني القل والملل وألصق بي الغم والعلل ، وقطع عني سببه وأصحبني غضبه ، وأحضرني نقمه وأعدمني نعمه ، وكدر لي المشرب وأفقدني الاقرب فالأقرب ان كان لك عندي حق ! فاتقاه ولم يحلف .

أيمان الاسخياء وذوي العلاء :

كان من يمين يحيى بن خالد : لا وعزة الوفاء وحرمة السخاء .

الاشتر: بقّيتُ وفري وانحرفتُ عن العلا ولقيتُ أضيافي بوجهِ عبوسِ

أبو علي البصير :

أكذبت أحسنَ ما يظنُّ مؤملي وهدمتُ ما شادته لي أسلافي
وعدمتُ عاداتي التي عودتها قدماً من الاخلافِ والاتلافِ
وغضضتُ من ناري ليخفى ضوؤها وقريت عذراً كاذباً أضيافي
إن لم أصبَّ على عليّ حلةً أضحت قذًى في أعينِ الأشراف

أبو مسلم الرستمي :

إذاً فلا رفَعَتْ كاساً بنانُ يدي ‏ ‏ ولا سعت بي لتطلابِ العلى قدمي

وأثكلتني القوافي رقتي وغَدَتْ ‏ ‏ في نسجِها كلمي غفلا بلا علمِ

الاستاذ الرئيس :

عققتُ العلى إن كنتُ خنتُك بالقلا ‏ ‏ وعفتُ الندى إن لم أكنْ ذا جوًى يذوى

التنوخي : ‏ ‏ إذاً فرأيتُ العرفَ في صورةِ النكْر

آخر : ‏ ‏ إذاً فلا بلغَتْ نفسي أمانيها

آخر : ‏ ‏ إذاً فثكلتُ سابغتي وسيفي ‏ ‏ غداةُ وغى وراحلتي وزادي

الموسوي : والا فلا أمني النازلون ‏ ‏ ولا جاءني الطارقُ المجتدي

أيمان الشرب ومتعاطي اللهو :

وهب الهمداني : لا والذي سنّ للمدامة والماء نكاحاً بغير طلاق .

المخزومي: لا والذي قسَمَ الصهباء من ذَهَبٍ ‏ ‏ والماء من فضةٍ ما ساد من بخِلا

علي الاحول :

كفرتُ إذاً بحقوقِ الصَّديقِ ‏ ‏ وعربدتُ في الشربِ عندَ المدام

أيمان الكهنة وأهل الجاهلية :

أقسمُ بالضياء والحلك والنجوم والفلك والشروق والدلك ، لقد خبأت ثدين فرخ في اعليط مرخ.
كانت العرب تتحالف على النار وتتعاقد على الملح ، ولذلك قال الشاعر :

حلفتُ لهم بالملحِ والقومُ شهدٌ ‏ ‏ وبالنارِ واللاتِ التي هي أعظمُ

الكميت: بهولة ما أوقد المخلفون ‏ ‏ لدى الخائفين وما هوّلوا

والهولة : نار كانوا يوقدونها ويلقون عليها الكبريت ليستعظم مرآها ، ويهابها من اقدم على اليمين ويخشاها .

أيمان النوكة والسفل :

من ايمان اهل بغداد : أعطيت الله ألف جوالق عهود . ويقولون : أعطيت الله مائة ألف كر مواثيق . كانت ايمان مزبد : وإلا فسلحت في القبلة وحشرت في صورة قرد . بعض أعقاب الانبياء:

ادّعى رجل على آخر طنبوراً عند بعض القضاة فقال : حلفه . فقال القاضي : ان كان عندك الطنبور فأيري في حجرك ! فقال : أي يمين هذا ؟ فقال : يمين الطنابيريين . وادعى رجل على امرأة فقال الرجل: ان كنت كاذبة فأير القاضي في حرك فتوقفت المرأة فقال لها القاضي : قولي والا اخرجي من حقه . وادعى ريحاني شيئاً على آخر عند قاض فقال القاضي له : قل والله الذي لا اله غيره فقال : ليس هذا من يمين الريحانيين ، أمي بظراء ان كان له عندي شيء ! فقال القاضي : قم فما أراك الا صادقا. وحلف مزبد فقال : ان كان كذا فعلي ان اصعد السماء في حزيران على سلم من الزبد .

أيمان الظرفاء :

الرصافي : أما وتفتير طرفك الوسن   وحسنِ خالٍ بخدك الحسَن

الخبزارزي :   بمجاري فلك الحسن التي في وجناتك

ابن المعتز : وحياةِ عاذلتي لقد صارمتُه   وكذبت بل واصلتُه وحياتهِ

البحتري : وحياةِ من أهوى فإني لم أكن   أبــداً لأُحلف كاذباً بحياتهِ

أيمان أهل الذمة :

قال اسحق الموصلي : وجبت على عون العبادي يمين بحضرة الفضل بن الربيع ، وكانت بيننا وحشة، فقلت : ولني استحلافه . فقال : قد فعلت . فقلت : قل بالذي لا يعبد غيره ولا ندين الاله ، وإلا فخلعت النصرانية وبرئت من المعمودية ، وطرحت على المذبح حيض يهودية ، وقلت في المسيح ما يقول المسلمون ان الله خلقه من غير أب كمن خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، ولعنك البطريق الاكبر والبطارقة والقمامسة والاساقفة والديرانيون ، وأصحاب الصوامع عند مجمع الخنازير وتقريب القربان ، وعليك لعنة الثمانية عشر أسقفاً الذين خرجوا من رومية حتى اقاموا عهود النصرانية ، والا فشققت الناقوس وطبخت به لحم الجمل يوم الاثنين عند مدخل الصوم ، وهدمت كنيسة لد وبنيت بحجارتها مستراحاً لليهود ، وهتكت دوع داود وإلاّ فسقط عليك قربانك من يدك واخذته من يد يهودي وانت حنيف مسلم ، وهذه اليمين لازمة لك ولعقبك من بعدك ! فقال : والله ما اجوز ان اسمعها فكيف احلف بها ؟

ومن أيمان اليهود :

والله الذي لا اله الا هو منزل التوراة على موسى ، وإلا فأنت بريء من اليهودية داخل في الحنفية ، وبرئت من الآيات العشر التي انزلت على موسى بطور سيناء ، وبرأك الله من الاربعة الاخياط التي في كساء هارون أخي موسى ، وبرئت من شمعون وشمعي ، ومن يوم السبت وحقه ،

القطير في وقته، وخرقت توراة موسى باسنانك، ومحوت كل آية بلسانك، وعليك المشي الى بيت المقدس .

/ أنواع من ذلك :

حلف اعرابي بالمشي الى بيت الله أن لا يكلم ابنه فحضرته الوفاة فقيل له : كلمه قبل مفارقة الدنيا . فقال : ما كنت قط أعجز عن المشي الى بيت الله مني الساعة . كان قوم عليهم دين لاعرابي فقدموا على ان يحلفوا فقال الاعرابي :

يا ربَّ إن كانَ بنو عميرَه   قد أجمعوا بحلفةٍ مشهورَه
فابعَثْ اليهم سَنَةً قاشورَه   تحتلقُ المالَ احتلاقَ النورَه

• • •

ومما جاء في الاكتساب والاقتناء

الحث على تثمير المال في الصغر والكبر :

حكي ان كسرى مرَّ بشيخ كبير يغرس فسيلًا فقال له : يا هذا كم اتى عليك من العمر ؟ قال : ثمانون سنة قال : أفتغرس فسيلًا بعد الثمانين ؟ فقال : أيها الملك لو اتكل الآباء على هذا لضاع الابناء قال كسرى : زه يأخذ اربعة آلاف درهم . فقال : ايها الملك الفسيل يطعم بعد سنين من غرسه، وهذا قد اطعمني في سنته . فقال : زه يأخذ اربعة آلاف درهم . فقال : ايها الملك الفسيل يطعم في السنة مرة وهذا قد أطعمني في اوّل السنة مرتين . فقال : زه يأخذ اربعة آلاف درهم . فقال الوزير : إن لم ينهض الملك اردى هذا بحكمته بيت المال .

تثمير ذي مال كثير لمال حقير :

قال سعيد : ولأني عتبة بن أبي سفيان ماله بالحجاز فقال : تعهد صغير مالي يكبر ولا تجف كبيره فيصغر، فانه ليس يمنعني كثير ما في يدي من اصلاح قليل مالي ولا يشغلني قليل ما في يدي عن الصبر على كثير ما ينوبني . وأتى قوم قيس بن عبادة يسألونه حمالة فصادفوه في حائط له يتبع ما يسقط من الثمر فيعزل جيده ورديئه، فقاموا حتى فرغ فكلموه في ذلك فبذل لهم ما ارادوا، فقال بعضهم : صنيعك هذا مناف لترفيح عيشك . فقال : بما رأيتم من فعلي أمكنني ان اقضي حاجتكم . وقال زياد : لو أن لي ألف ألف درهم ولي بعير اجرب لقمت به قيام من لا يملك غيره، ولو ان عندي درهماً واحداً فلزمني حق لوضعته فيه . قال الوليد بن يزيد : لأجمعن جمع من يعيش ابداً ولأنفقنه انفاق من يموت غداً .

التمدح بالتكسب والحث على ذلك :

قال الله تعالى : وابتغوا من فضل الله . فدل على وجوب الطلب او فضيلته . قال الموصلي : عليكم بالتكسب فأوّل ما يبدأ به الفقر دين الانسان . ولما اقبل النبي ﷺ من غزوة تبوك استقبله معاذ فصافحه فقال : كبنت يداك . قال : نعم احترث بالمسحاة وأنفقه على عيالي . فقبله وقال : لا تمسها النار . وقال بعض الحكماء : لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان ، فالكريم محتال والدنيء عيال .

عروة بن الورد :

إذا المرءُ لم يطلب معاشاً لنفسه   شكى الفقرَ أو لام الصديقَ فأكثرا
فسرْ في بلاد الله والتمسِ الغنى   تعشْ ذا يسار أو تموتَ فتعـذرا

وقيل : هو أكسب من الذر والنمل ومن الذئب . وقيل : فلان يسعى سعي الام الـــبره ، ويجمع بجهده جمع الذرّه .

تفضيل الكسب على السؤال :

كان عمر رضي الله تعالى عنه اذا نظر الى فتى وأعجبه سأل : هل له حرفة ؟ فاذا قالوا لا سقط من عينه . وكان يقول : مكسبة فيها دناءة خير من مسألة الناس . وقال ابن عباس رضي الله عنه : قدم قوم على النبي ﷺ فقالوا : ان فلاناً يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر . فقال : ايكم كان يكفي طعامه وشرابه ؟ فقالوا : كلنا . فقال : كلكم خير منه . وروى أنس ان رجلاً من الانصار جاء الى النبي ﷺ وقال : أتيتك من اهل بيت لا اراني ارجع اليهم من الجوع . فقال : أما عندك شيء ؟ قال : لا . فأعطاه درهمين وقال له : اذهب فابتع بأحدهما طعاماً وبالآخر فأساً واحتطب وبع . فغاب خمسة عشر يوماً ثم جاء فقال : بارك الله لي فيما امرتني به ، أصبت عشرة دراهم فابتعت لأهلي بخمسة طعاماً وبخمسة كسوة . فقال النبي ﷺ : هذا خير لك من المسألة ، ان المسألة لا تحل الا لأحد ثلاثة : دم موجع ، او غرم مفظع ، او عدم مدقع . وقال ابراهيم عليه السلام : يا رب استحييت من كثرة تصرفي في طلب الرزق ، فأوحى الله اليه : ليس طلب المعيشة من طلب الدنيا .

شاعر :   ولا تدع مكسباً حلالاً   تكونُ منهُ على بيانِ

تفضيل التكسب على التوكل :

قال حكيم لرجل يجلس اليه : ما حرفتك ؟ قال : التوكل على ربي والثقة بما عنده : فقال الحكيم : الثقة بربك تحرم عليك اصلاح معيشتك ، او ما علمت ان طلب ما تعف به عن المسألة حزم ،

والعجز عنه فشل ، والفقر مفسد للتقى ، متهم للبريء ولا يرضى به الا الدنيء . وأنشد :

فإن قلت : يكفيني التوكل والاسى فقد يطلب الرزقَ الذي يتوكّلُ

وقيل لحكيم : إحذر كل الحذر ان يخدعك الشيطان فيمثل لك التواني في التوكل ويورثك الهوينا باحالتك على القدر ، فان الله امرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل والتسليم للقضاء بعد الاعذار ، فقال : خذوا حذركم . وقال : ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . وقال النبي ﷺ : اعقلها وتوكل . وقال عمر لرجل : ما معيشتك ؟ قال : رزق الله . فقال : لكل رزق سبب فما سبب رزقك ؟

أبو تمام :

وصدقت أن الرزق يطلبُ أهلَه لكن بسيرة متعبٍ مكدودِ

وقال الموسوي وقد أحسن في معناه :

اعزمْ فليسَ عليكَ إلا عزمةٌ والعجزُ عنوانٌ لمن يتوكّلُ
أو حمل اللوم القضاء فإنهُ عودٌ لأحمـال الملامِ مذللُ

الترغيب في طلب المعاش مع مراعاة المعاد :

قال النبي ﷺ : خيركم من لم يدع دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه . وقال ابو الدرداء رضي الله عنه : احرث لآخرتك كأنك تعيش ابداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً . ينبغي للعاقل ان يكون ظاعناً إلا في ثلاث : تزود لمعاد ، ومرمة لمعاش ، ولذة في غير محرم .

جرير : فلا هوَ في الدنيا مضيعٌ نصيبُه ولا غرضُ الدنيا عن الدينِ شاغِلُه

وقال خالد . يا بني خصلتان لا تبال ما صنعت بعدهما : دينك لمعادك ، ودرهمك لمعاشك .

الترغيب في اكتساب الحلال :

قال ابن المبارك : لقيت رجلا بمكة يبيع الخرز ، وكان أبوه خزازاً فسألته عن ذلك فقال : ان الله لا يسألني هلا كنت خزازاً وإنما يسألني من اين اكتسبت وفيم انفقت ؟ وقال ﷺ : لا يكتسب عبد درهماً من حرام فيتصدق به او ينفقه او يتركه الا كان زاده في النار . وقال سفيان : عليكم بعمل الابطال الاكتساب من الحلال والانفاق على العيال . واستأذن رجل النبي ﷺ في الجهاد فقال : ألك من تعوله ؟ قال : نعم . قال : كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعوله .

النهي عن التواني في التكسب :

قال هرم : من التوفيق رفض التواني ، ومن الخذلان مسامرة الاماني .

شاعر : وإن وطاءَ العجزِ أورثَ خلّةً واصلد ما أورى الاكفّ القوادح

وقال : وما طلبُ المعيشةِ بالتمنّي ولكِن القِ دلوكَ في الدلاء

وقيل : حبّ الهوينا يكسبُ النصبا

مدح الشغل وذم الفراغ :

قال بزرجمهر : ان يكن الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة ، الراحة للرجال غفلة وللنساء غلمة . واستشار رجل في عمل يتولاه آخر فقال : اعلم ان الفراغ من شأن الأموات ، والاشتغال من شأن الأحياء ، فان قدرت ان تكون حياً فافعل . وقال حكيم : لا تفرغ قلبك من ذكر ، ولا ولدك من شغل ، فالقلب الفارغ يبحث عن السوء ، واليد الفارغة تنازع الى الإثم ، وقال آخر : أُحذركم عاقبة الفراغ فإنه شر من السكر . وقال الفضل بن مروان : الكاتب كالدولاب اذا تعطل انكسر .

الامر بالاقتصاد في الطلب :

قال النبي ﷺ : اقتصدوا في الطلب ، فان ما رزقتموه أشد طلباً منكم له ، وما حرمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم . وقيل : لا يدرك بالحذق هارب الرزق .

المرقش الاصغر :

اجملُ العيشِ أنّ رزقك آتٍ لا يرد الترقيحُ شروى فتيلِ

أبو الشيص :

لكلّ امرىء رزقٌ وللرزقِ جالبٌ وليسَ يفوتُ المرء ما خط كاتبُه

يُساق إلى ذا رزقُه وهو وادعٌ ويحرمُ هذا الرزقَ وهو يطالبُه

وقال ابو تمام :

والحظ يعطاه غيرُ طالبه ويحرزُ الدرّ غيرُ مجتلبهِ

تلك بناتُ المخاضِ راتعةٌ والعود في كوره وفي قتبهِ

آخر : حظك يأتيك وإن لم ترم

راشد الكاتب :

إذا كانتِ الأرزاقُ في القربِ والنوى عليك سواء فاغتنمْ لذّة الدّعه

وإن ضاق أمرٌ يفرجُ الله ما ترى ألا رُبّ ضيقٍ في عواقبِهِ سعَه

العطوي : لا تحسبن طول الرّحل يزيد في رزقِ الأجلْ

ولا مقاماً وادعاً يدفعُ رزقاً قد نَزَلْ

وقيل لبعض من تقاعد به الزمان : الق الدلاء واجذبها ملاء . فقال : كيف أنزع دلواً خان رشاؤها ، وأسدد سهماً زالت أغراضها .

الحث على السفر في طلب المال :

قال الله تعالى : هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور . وقال النبي ﷺ : سافروا تغنموا . وسئل ضمرة بن ضمرة عن الفقر الحاضر والعجز الظاهر ، فقال : اما الفقر الحاضر فمن لا تشبع نفسه ، وأما العجز الظاهر فالشاب القليل الحيلة اللازم الحليلة، إن غضبت ترضاها ، وإن رضيت فداها ، يحوم حولها ويطيع قولها . قيل : رأس العجز ان تقيم فلا تريم ، وان تخيم فلا تظعن ، فمن طلب جلب ، ومن تبغل تبقل ، ومن نام رأى الاحلام . وقيل : الحركة لقاح الجد العقيم .

أبو تمام :

أرادَ بأن يحوي الغنى وهو وادعٌ   وهل يفرسُ الليث الطلا وهو رابضُ ؟

قال بزرجمهر : السعيد يتبع الغنى ، والشقي يتبع مسقط رأسه .

شاعر : ذو اللبِّ تنزع للرفاهةِ نفسُه   وترى الشقيَّ نزوعُه للموطنِ

أخذه المبرد :

الفقر في أوطاننـا غربةٌ   والمالُ في الغربةِ أوطانُ

آخر : وكل بلادٍ أخصبَتْ فبلادي

المتنبي : وما بلدُ الانسانِ غير الموافقِ   ولا أهلهُ الادنونَ غير الاصادقِ

اقامة العذر في الطلب :

عروة بن الورد :

لتبلغَ عذراً او تصيبَ رغيبةً   ومبلغ نفس عذرُها مثلُ مُنجِحِ

كشاجم : وعليَّ ان أسعى وليس علي ادراكُ النجاحْ

آخر : قد قضى ما عليه َمن بلغَ الجهدَ وإن لم يصل إلى ما أرادا

المتكسب بسلاحه :

دخل رجل على أبي دلف فاستماحه وانتسب له ، فقال له : أتستميح وجدك القائل :

ومن يفتقرْ منا يعشْ بحسامِه   ومن يفتقرْ من سائر الناس يسألِ

فخرج الرجل وجرد سيفه فاستقبله وكيل لابي دلف معه مال ، فاستلبه وقتله ، فاتصل الخبر بأبي دلف فقال : دعوه فاني علمته . وقال بعض الشجعان : التظلل ضرر والاتكال غرر ، ولا يكسب الاموال الا منازلة الابطال ومصاولة الرجال ، وتجريد السيوف ومباشرة الحتوف .

الأعشى : فتى لا يحبّ الزادَ الا مِن التقى ولا المالَ الا من قَناً وسيوفِ

ابن نباتة: شرابُهُم في الحربِ ما تمطرُ القنا وأكلهمُ ما تجتنيهِ الصوارمُ

وصف الناس بأن تصرفهم في طلب المعاش :

أبو العتاهية :

المرء يغلط في تصرفِ حالِه فلربما اختارَ الغناء على الدعَهْ

كلٌّ يحاولُ حيلةً يرجو بها دفْعَ المضرةِ واجتلابَ المنفَعَهْ

وقيل لفارسي : فيم تقلب الناس ؟ فقال بالفارسية : أش نيازواز أي من الفقر والحرص .

آخر : كل امرىء مشتغلٌ بنفسِه يطلبُ ما يطحنُه بضرسِهِ

النهي عن الاغترار بما في يد الغير :

قيل : غثك خير من ثمين غيرك .

شاعر : وإن حدثَتْك النفسُ أنك قادرٌ على ماحوتْ أيدي الرجالِ فجربِ

أبو العتاهية : لا تغضبَنّ على امرئٍ لك مانعٌ ما في يَديه

واغضبْ على الطمعِ الذي استدعاكَ تطلبُ ما لَديه

تفضيل الحاضر على المنتظر :

في المثل : عش ولا تغتر . وقيل : لقمة في فمك أحضر منفعة من فخذ في تنور . معاطاة الموجود خير من انتظار المفقود .

الحث على حفظ المكتسب :

قال سقراط : لتكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته كعنايتك باكتسابه .

شاعر : لحفظِك مالاً قد عنيت بجمعِه أشد من ادراكِ الذي أنتَ طالبُه

آخر : لحفظ المالِ خيرٌ من ضياعٍ وطوفٌ في البلادِ بغير زادِ

وقيل : حفظ الموجود أيسر من طلب المفقود . وقيل : احذر نفاد النعم فما كل شارد مردود .

الحث على حفظ المال لنوب الايام :

محمد بن غالب :

إنما الدنيا ضبابُ قذًى ... تكفُ الأَحزان عن مطَرِه

فاتخذْ للدهرِ في يُسُرٍ ... عُدّةً تبقى على عُسُرِه

البديهي : لا تحسبَنّ ادخارَ المرء قنيتَه ... لصونِه وجهَه بل لا هو الكرمُ

عزّ القناعةِ بالموجود يمنع من ... ذلّ القنوع وحفظُ العِرض مغتنمُ

حفظ المال بالختم عليه :

قيل : من ختم البضاعة امن الضياعة . من الكيس ختم الكيس . طينة خير من ظنة . وقيل : اربعة اشياء لا يستحيا من الختم عليها : المال لنفي التهمة ، والجوهر لنفاسته ، والطيب للابدال ، والدواء للاحتياط .

الحث على حسن التدبير والنهي عن التبذير :

قيل : حسن التدبير نصف الكسب ، وسوء التدبير داعية البؤس . الافلاس سوء التدبير . كن مقدراً لا مقتراً . وقال النبي ﷺ : الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة . قال الله تعالى : ولا تبذر تبذيراً ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين . وقيل : التبذير انفاق المال في غير الحق . وسئل سعيد بن جبير رضي الله عنه عن التبذير فقال : هو ان تنفق الطيب في الخبيث . وقال تعالى : ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو . ولم يأذن في الفضول وقال عز من قائل : والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا . وقال ﷺ : انهاكم عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال . وقال : ليس في السرف شرف . وقال معاوية : ما رأيت تبذيراً الا وإلى جنبه حق مضيع . وقال ﷺ : ما عال امرؤ عن اقتصاد . وقال ابو بكر رضي الله عنه : إني لأبغض اهل بيت ينفقون رزق ايام في يوم واحد . وقيل : ما وقع تبذير في كثير الا هدمه ، ولا دخل تدبير في قليل الا ثمره . وقيل : إنك ان اعطيت مالك في غير الحق يوشك ان يجيء الحق وليس عندك ما تعطى منه .

التهكم على مبذر :

قيل في المثل : خرقاء وجدت صوفاً . وقيل : من يطل ذيله ينتطق به . وقيل : يطأ فيه ومن وجد دهناً دهن استه . وقيل : عبد خلى في يديه وعبد ملك عبداً . وكان بعض المتخلفين ورث مالا فكان يحمل الدنانير ويأتي الشط فيقذف واحداً واحداً في الماء ، فقيل له في ذلك فقال : ما أصنع بالدراهم اذاً ؟

الحث على حفظ المال والاستغناء به عن الانذال :

كان لسفيان بن عيينة صرة دنانير يحفظها فقيل له : اتحفظ ذلك وأنت موصوف بالزهد ؟ فقال : لئلا أكون مناديل الغمر من الرجال . وقيل لافلاطون : لِمَ تُدخر المال فأنت شيخ ؟ فقال : لان يموت الانسان ويخلف مالاً لعدوه خير من أن يحتـــاج الى أصدقائه في حياته . وقيل : خلف للاعداء ولا تحتج الى الاصدقاء . وقيل لحكيم : لم حفظت الفلاسفة ما في أيديهم ؟ فقال : لئلا يقيموا أنفسهم المقام الذي لا يستحقونه ، فقد علموا ان لا اتكال على ما في يد الغير . وفي المثل : بق نعليك وابذل قدميك .

النهي عن انفاق جميع المال والرخصة في ذلك :

روي في الخبر أن كعب بن مالك اراد ان يتصدق بماله كله ، فنهاه النبي ﷺ وقال له : امسك عليك مالك ، فانك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس . وقال ابن عباس رضي الله عنه : حث النبي ﷺ ذات يوم على الصدقة ، فجاء ابو بكر بماله كله فقال له النبي ﷺ : ما اعددت لعيالك ؟ فقال : الله ورسوله ! وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فقال له : ما اعددت لعيالك ؟ فقال الله ورسوله ونصف مالي . فقال ﷺ : بين الرجلين ما بين الكلمتـــين . وسئل الشبلي عما يجب في مائتي درهم فقال : أما من جهة الشرع فخمسة دراهم ، واما من جهة الاخلاص فالكل . وقيل للمأمون : لا شرف في السرف . فقال : لا سرف في الشرف .

الانفاق على الاهل :

قال النبي ﷺ : نفقة الرجل على أهله صدقة . وقال : خيركم خيركم لأهله . وقال : ابدأ بمن تعول ولا تعجبن عن نفسك . وكان ايوب يقول لأصحابه : تعاهدوا اولادكم وأهليكم بالبر والمعروف ، ولا تدعوهم يطمحوا بأبصارهم الى ما في ايدي الناس . وقال زيد بن علي رضي الله عنه : ثلاث لا يسأل الانسان الانسان عنها : ما ينفقه في مرضه ، وما ينفقه في افطاره ، وما ينفقه على ضيفه .

مدح مفيد مبيد

مدح اعرابي رجلاً فقال : هو أكسبكم للمعدوم وآكلكم للمأدوم وأعطاكم للمحروم . وقال الوليد ابن يزيد : لأجمعن جمع من يعيش أبداً ، ولأنفقنه انفاق من يموت غداً .

ابو تمام :

إذا ما أغاروا فاحتَوَوا مالَ معشرٍ　　أغارت عليهمْ واحتوته الصنائعُ

آخر : إذا أسلفَتْهنَ الملاحمُ مغنماً　　دعاهنّ من كسبِ المكارمِ مغرمُ

المتنبي : السلم يكسر في جناحي ماله　　بنوالِه ما تجبرُ الهيجاءُ

النهي عن امساك المال :

قال النبي ﷺ : ينادي مناد كل ليلة فيقول : اللهم اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً . وقال ﷺ : أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالاً .

شاعر : وإنّ أشدّ الناس ِفي الحشر حسرةً لمورثُ مالِ غيرَه وهو كاسبُه

ولهذا باب في ابتداء فضل الجود .

الحث على الانفاق وقت السعة واظهار أثر النعمة :

قال الله تعالى : لينفق ذو سعة من سعته (الآية) . وبعث عمر رضي الله عنه إلى ابي عبيدة بن الجراح وهو امير الشام مالاً وقال للرسول : انظر ماذا يصنع ؟ فرآه يوسع على عياله ثم نقص من ارزاقه فقتر عليهم فقال عمر : رحم الله أبا عبيدة ، وسعنا عليه فوسع وقترنا عليه فقتر . وسئل الحسن رضي الله عنه عن رجل آتاه الله مالاً فأنفق على أهله ما لو أنفق دونه لكفى فقال : وسع على نفسك وعلى عيالك كما وسع الله عليك ، فان الله قد أدب عباده احسن تأديب فقال : لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله . وما عذب الله قوماً وسع عليهم فشكروه ، ولا غفر لقوم ضيق عليهم فكفروه . وقال ﷺ : ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده ، ويبغض البؤس والتباؤس . وقال ﷺ : من آتاه الله خيراً فلير أثره عليه .

ذهاب المال الحرام في الاباطيل :

قال الحسن رحمه الله : اذا اردت ان تعلم من اين اصاب الرجل المال فانظر في اي شيء ينفقه ، ان الخبيث ينفق في امراف . وقيل : من درى من اين اخذ درى اين ينفق .

التظلف والتذمم لمكسب دنيء :

قيل في المثل : نفع قليل وفضحت نفسي . تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها .

شاعر : أصبتُ صنوفَ المالِ من كلِ وجهةٍ فما نلته إلا بكفِّ كريمِ

واني لأَرجو أن أموتَ فتنقضي حياتي ، وما عندي يدٌ للئيمِ

حكم وجود الضالة :

سئل النبي ﷺ عن ضالة الابل فقال : مالك ولها معها سقاؤها وحذاؤها ، ترد المـاء وتأكل الشجر . قيل : فضالة الغنم . قال : هي لك او لأخيك او للذئب . وسئل عن اللقطة فقال : احفظ عفاصها ووكاءها وعرفها سنة ، فان جاء صاحبها والا فشأنك بها . وروى جارود بن المعلى عنه عليه

الصلاة والسلام انه قال: ضالة المؤمن حرق النار . وقيل: ما يوجد بمكة فلا يجوز الانتفاع به لقوله ﷺ: ان الله حرم مكة ما بين لابتيها، لا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها الا لمعرف . وقال عمر رضي الله عنه: اذا وجدتم تمرة ملقاة في الطريق فليلتقطها من هو احوج اليها . ووجد النبي ﷺ تمرة ساقطة فقال: لولا أني أخشى ان تكون من الصدقة لأكلتها .

• •

ومما جاء في مدح الغنى وذم الفقر

منفعة المال ديناً ودنيا :

كان النبي ﷺ يقول: اللهم اني اسألك الهدى والتقى والعفة والغنى . وقال ﷺ: نعم العون على تقوى الله المال . وقال ابو قلابة: الغنى من العافية . نظر اعرابي الى دينار فقال: ما أصغر مرآك وأكثر منافعك !

ابن الرومي: لم أر شيئاً صادقاً نفعُـه للمرء كالدرهمِ والسيفِ
يقضي له الدرهمُ حاجاتِه والسيفُ يحميهِ من الحَيْفِ

وقيل: نعم العون على الدين اليسار .

شاعر في معناه:

ما أرسلَ الانسانُ في حاجةٍ أقضى ـمن الدرهم في كِمّهِ

آخر: اذا ما خليلي صدَّ عني بنبوةٍ فدرهميَ المنقوشُ خيرُ خليلِ

احمد بن ابي طاهر:

ولا يساوي درهماً واحداً مَنْ ليسَ في منزله دِرهَم

آخر: ولا خيرَ في الدنيا لمن لم يكنْ لهُ دنانيرُ فيها جمّـةٌ ودراهِمُ

وقيل في قوله «فأرسل حكيماً ولا توصِه»: انه الدرهم . وقيل: الدرهم هو الاخرس النجيح . قال وهب بن منبه: الدرهم والدينار خواتيم رب العالمين أينما بعث قضى الحوائج .

محبة الناس للمال :

قال عمرو بن العاص لمعاوية: ما أشد حبك للمال ! قال: ولم لا أحبه وأنا اتعبد به مثلك، وأبتاع به مروءتك ودينك . وقال بعض الفرس: من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كاذب

حتى يثبت صدقه ، واذا ثبت صدقه فهو عندي احمق . وقيل لابن زياد : لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا ؟ فقال : هي وان ادنتني منها فقد اغنتني عنهــا . وقيل : تقليب الدرهم يوقف الشيب ويزيل الهم والتعب . وقيل : من نقر درهماً زرع في قلبه شهوة .

تشاحح الناس بالمال :

قال يونس : لو ان الدنيا مملوءة دراهم على كل درهم مكتوب من اخذه دخل النار ، لأمست وما على ظهرها درهم يوجد . وقيل : لما ضربت الدراهم والدنانير صرخ ابليس صرخة وجمع اصحابه فقال : قد وجدت ما استغنيت به عنكم في تضليل الناس ، فالاب يقتل ابنه ، والابن يقتل اباه بسببه .

وصف انواع المال وتفضيل بعضها على بعض :

سئل ابو كرب عن اصناف الاموال فقال : أما الماشية فانها تقبل مع السنة اذا اقبلت وتدبر معها اذا ادبرت ، وأما الرقيق فانه يغدو عليها ضرها ونفعها وقليل الضر يأتي على كثير النفع ، والصامت مال من لا مال له لأنه إن انفقه اتلفه ، وإن امسكه أهان به نفسه وكان كمن لا مال له . وقال : خير المال ما أطعمك ما لا تطعمه . وقال عبدالله بن الحسن : غــلة الدور مسألة ، وغلة النخل كفاف ، وغلة الحب غنى . وقيل للاحنف : أي المال ابقى وأوفى ؟ فقال : المساكن والأرضون . وقيل في قوله تعالى : وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً : ان له غلة شهر بشهر . قيل لمجنون : لم صار الدينار خيراً من الدرهم والدرهم خيراً من الفلس ؟ فقال : الفلس ثلاثة احرف ، والدرهم اربعة احرف ، والدينار خمسة . وقيل لآخر : لم صار لون الذهب اصفر ؟ فقال : لان طلابه كثير . وقيل لآخر فقال : لخوف الدفن . وقيل لرجل : لم فضل الدينار على الدرهم ؟ فقال : لأن الدينار يؤدي الى النار . والدرهم دار همّ وعذاب ، الهم عاجل وعذاب النار آجل ، والى ذلك محيا وممات . ودفع الى اعرابي دينار فحمله الى الصراف ، فملأ له يديه دراهم فقــال : ما اصغر منظرك واعظم مخبرك ! وقال انصاري لابن عبدالرحمن بن عوف : ما ترك لك ابوك من المال ؟ فقال : ترك اموالاً كثيرة . فقال : ألا أعلمك ما هو خير لك مما ترك ابوك ؟ قال : نعم . قال : اعلم انه لا مال لعاجز ولا ضياع على حازم والرقيق جمال وليس بمال ، فعليك من المال بما يعولك لا بما تعوله .

وصف الحيوان من بين المال :

قيل لابنة الحسن : ما تقولين في مائة من الماعز ؟ قالت : غنى . قيل : وفي مائة من الضأن ؟ قالت : قنى . قيل : وفي مائة من الابل ؟ قالت : منى . قيل : فما تقولين في الحمار ؟ قالت : اخزاه

الله مال لا يذكى ! وقيل لرجل : اي مركب اذا كان اكبر كان انذل ؟ فقال : الحمار ! وقيل لآخر : اي المال أحب اليك ؟ فقال : الذي يقيم بقيامي ويظعن بظعني ، ويحملني ومالي وداري، يعني الابل وعلى عكسه قول الآخر :

وإن اقتناءَ النوقِ موقٌ وحرفةٌ ... يبيت على يُسرٍ ويغدو على ثُكْلِ

قدر ما يحمد من المال :

قال النبي ﷺ : نعم المال الاربعون والكثير الستون ، وويل لاصحاب المائتين إلا من اعطى في نجدتها ونحر سمينها ومنح لبونها ، واطرق فحلها وأفقر ظهرها . قال خالد بن صفوان : من كان له مال كفافاً فليس بغني ولا فقير ، لأن النائبة اذا أتت اجحفت بكفافه ، ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ، ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني .

وصف درهم أو دينار ثقيل الوزن :

كان المتوكل ضرب دراهم وزن كل واحد عشرة ، وعلى جانب منه مكتوب :

أمازحُها فتغضبُ ثم ترضى ... وكل فعالِها حسنٌ جميلُ

وعلى الآخر :

فإنْ غضِبَتْ فاحسنُ ذي دلالٍ ... وان رضيَتْ فليسَ لها عديلُ

ووجد في خزانة جعفر بن يحيي دنانير في كل دينار مائة مثقال ومثقال نقشه :

وأصفرَ من ضربِ دارِ الملوكْ ... يلوحُ على وجههِ جعفرُ

يزيد على مائـةٍ واحداً ... إذا نالهُ معسِرٌ يوسرُ

وأهدى عضد الدولة الى ركن الدولة دنانير كل دينار منها مائة مثقال ونقشه :

بذكر اللهِ أكرم مستجارٍ ... ضربناهُ من الذَهبِ النضارِ

جعلنا وزنَه مائةً فأضحى ... عديمَ الندِّ مفقودَ النجارِ

لنهديه إلى الركنِ المرجّى ... بويه إلى علىٍّ ذي الفَخارِ

وأمر الصاحب ان يضرب دينار من ألف مثقال واهداه الى فخر الدولة وكتب عليه :

واحمرَ يحكي الشمسَ شكلاً وصورةً ... وأوصافُه مشتقَّة من صفاتِه

فان قيلَ دينارٌ فقد ذكرَ اسمُه ... وإن قيل ألفٌ كانَ بعضَ سماتِهِ

بديعٌ فلم يطبعْ على الدهرِ مثلُه وإن ضُربت اضرابُه ببراتِه
لقد أبرَزتْهُ دولةٌ فلكيةٌ أقام بها الأَفلاكَ صدر قَناتِه
وصار الى شاهانَ شاه انتسابهِ عـلى أنه مستصغرٌ لعفاتِه
تأنق فيه عبدُه وابنُ عبدِه وغرسُ أياديه وكافي كفاتِه

وصفهما اذا كانا خفيفين :

كان المتوكل أمر ان يضرب له ألف ألف درهم ، في كل درهم قيراط لينثره مكان الورد ، وامر بأن تصبغ صفرا وحمرا وخضرا ، وكان الدرهم يبقى في الهواء بقاء الورد . العباس في وصف دينارين خفيفين :

جـادَ بدينارينِ لي جعفرٌ أصلحَهُ اللهُ وأخزاهما !
وكادَ لا كانا ولا أفلحا عليهما يرجحُ ظِـلّاهما

ابن الرومي في دينار خفيف :

كأنه في الكف مِنْ خفّة مقدارُه مِنْ صُفرةِ الشَّمْسِ

وقيل لرجل : ما اولاك فلان ؟ فقال : درهماً كانا عناه الشاعر بقوله :

مرّ بنـا والعيونُ ترمقُه تجرحُ منه مواضعَ القبَلِ

وصف مال بالكثرة :

قيل : هو في خير لا يطير غرابه . ووجد فلان تمرة الغراب . وعنده عائرة عير . وله كحل وسواد . والنشب والعرض والطم والرم . وجاء بما صأى وصمت وبالضح والريح .

كون المال موفيا على الحسب والنسب :

قال النبي ﷺ : ان أحساب اهل الدنيا الذي يذهبون اليه هذا المال . وفي مثل : رب حسب دفنه الفقر .

شاعر : وأجهدَ الناسَ مَن بِعُنْصرِه يزهو على مَن يزينُه النشبُ

وقف اعرابي من بني فقعس يسأل وهو عريان :

كساني فقعسٌ وكسا بنيه عطافَ المجـدِ إنّ له عِطافا

فقال له بعض الحاضرين : لو كساك خرقة تواريك لكان اصلح لك .

من سوده ماله :

قيل : المال يسود غير السيد ويقوي غير الايد .

شاعر : الفقرُ يُزري بأقوامٍ ذوي حسَبٍ وقد يسود غيرَ السيدِ المالُ

عمارة : حياكَ مَن لم تكنْ ترجو تحيتَه لولا الدراهمُ ما حيَّاكَ إنسانُ

تعظيم الناس لذي المال :

قيل للحسن رضي الله عنه : ما بال الناس يكرمون ارباب المال ؟ فقال : لأن عشيقتهم عندهم. ومر موسر بالشعبي فتزعزع له فقيل له في ذلك فقال : رأيت ذا المال مهيباً ! وعوتب ابن ابي ليلى لتخفره لغني مر به فقال : ان تعظيم ذوي المال شيء جعله الله في القلوب لا يستطاع دفعه . وقال العطوي:

اقصد الى أيّ ودٍّ شئتَ معتصماً بحبلِ ودٍّ فلا ذئبٌ ولا ضبعُ

المالُ أعضبُ سيفٍ عند صولتِه من أن يعنّ له في منهلٍ سَبُعُ

وهذا كقول بعض اللصوص لبعض أصحابه : لا تنقبوا على غني وكونوا مع الله على المدبر .

مصادقة الناس للاغنياء ومعاداتهم للفقراء :

قيل لبعض العقلاء : كم لك من صديق ؟ فقال : لا أعلم ذلك لان الدنيا مقبلة علي والاموال موجودة عندي ، وانما اعرف ذلك اذا ولت ، الم تسمع قول طريح :

الناسُ أعداء لكلّ مدقعٍ صفرِ اليدينِ واخوةٌ للمكثرِ

ولما استوزر علي بن عيسى ورأى اجتماع الناس عليه تمثل بقول أبي العتاهية :

ما الناسُ الا معَ الدنيا وصاحِبها فكيفما انقلبَتْ يوماً بهِ انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

شاعر : اذا مالت الدنيا على المرء رغبت اليه ومال الناس حيث يميل

ومثله لابي العتاهية :

الناسُ اخوةُ نعمةٍ لله ما دامَتْ عَليكا

وقول الآخر : إن الحبيبَ إلى الاخوانِ ذو المالِ

آخر : الناسُ خلانُك ما لم تفتقِر

وقيل : اذا أيسرت فكل رحل رحلك ، واذا افتقرت أنكرك اهلك . وقيل : العسرة والعشرة لا يجتمعان .

زيارة الناس لذي المال :

قال بشار :

يزدحمُ الناسُ على بابهِ والمنهلُ العذبُ كثيرُ الزّحامْ

آخر : إن الغنى يهدي لكَ الزّوّارا

آخر : وأي الناس زوّارُ المقلّ ؟

الفقر مجمع العيوب :

قيل : الفقر مجمع العيوب . وقال بعضهم : وجدت خير الدنيا والآخرة في شيئين وشرهما في شيئين، خيرهما الغنى والتقى ، وشرهما الفقر والفجور .

جرير : ترادَفهم فقرٌ قديمٌ وذلةٌ وشرّ الرديفاتِ المذلةُ والفقرُ

وقيل : ما روي اجود من قول عروة في ذم الفقر :

ذريني للغِنى أسعى فإني رأيت الناسَ شرُّهم الفقيرُ

وما من خصلة تكون للغني مدحاً ولا تكون للفقير ذماً : اذا كان حليما قيل هو بليد ، واذا كان شجاعاً قيل هو أهوج ، واذا كان لسناً قيل مهذار . ولقد صدق من قال :

إن ضَرَطَ الموسرُ في مجلسٍ قالوا له : يرحمك الله !

أو عَطَسَ المفلِسُ في مجلسٍ سُبّ وقالوا فيه ما ساه

فضرط الموسِرُ عرنينُه ومعطَسُ المعسرِ مفساه

حسان : رُبّ حلمٍ أضاعَهُ عدمُ الما لِ وجهلٍ غطّى عليهِ النعيمُ

وكان الحسن رضي الله عنه إذا رأى المساكين قال : هؤلاء مناديل الخطأ وقيل : الخلة تقدح في الذهن وتغمز في العقل .

خفة الموت في جنب الفقر :

قيل : القبر ولا الفقر

ولا الموتُ خيرٌ للفتى من قعوده عديماً ومن مولى تدبّ عقاربه

آخر : خيرُ حالِ الفقيرِ عند ذوي الألبابِ ان تنطوي عليهِ القبورُ

ابن طباطبا :

قد يصبرُ الحرّ على السيفِ ويجزعُ الحرّ من الحيفِ
ويؤثر الموتَ على حالةٍ يعجزُ فيها عن قِرى الضيفِ

التعوذ من الفقر وكونه كالكفر :

كان النبي ﷺ يتعوذ من الكفر والفقر ، فقال له رجل : أيستويان ؟ فقال : نعم كاد الفقر ان يكون كفراً ! ودعا رجل لمسروق فقال : جنّبك الله الفقر وطول الامل . وقال سفيان : كان من دعائهم اللهم زهدنا في الدنيا ووسعها علينا ، ولا تزوها عنا وترغبنا فيها . وقالت المجوس : من لا مال له لا عقل له ، ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا دين .

عدم المجد حيث عدم المال :

كان طلحة رضي الله عنه يقول : اللهم ارزقني مجداً ومالاً ، فلا يصلح المجد الا بالمال ، ولا يصلح المال الا بالافعال . المتنبي وقد اخذ هذا المعنى :

فلا مجدَ في الدنيا لمن قلّ مالهُ ولا مالَ في الدنيا لمنْ قلّ مجدُه

هرم بن عمير التغلبي :

إني امرؤٌ هدّم الاقتار مأثرتي واجتاح ما بنت الأيامُ من خطري
أرومةٌ عطّلتني من مكارمها كالقوسِ عطّلها الرامي مِن الوترِ

ومما يناقض هذا الباب قول جرثومة بن مالك :

فتى إن تجدْهُ معوزاً من تلادِهِ فليس مِن الرأي الأَصيلِ بمعوزِ

الاحنف :

وإنّ المروءةَ لا تُستطاع لمن لم يكنْ مالُه فاضلا

صعوبة الفقر على ذي همة وجود :

قيل لحكيم : من أشقى الناس ؟ فقال : من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته . وقال اعرابي : لا تنظر الى هيئتي وانظر الى همتي .

الطرماح :

أرى نفسي تتوقُ الى أُمورٍ ويقصرُ دون مبلغهنّ مالي
فنفسي لا تطاوعني لبخلٍ ومالي لا يبلغني فعالي

المتنبي : إلى اللهِ أشكو لا إلى الناسِ إنني أرى صالحَ الأخلاقِ لا أستطيعُها
أرى خلة في اخوةٍ وقرابةٍ وذي رحمٍ ما كنتُ ممّن يضيعُها

آخر : أرى الدهرَ يجفوني ونفسي عزيزةٌ وليس معي زهدٌ فأسطو على الدهرِ

صعوبة الفقر على متعودي اليسر :

كان النبي ﷺ يتعوذ من الحور بعو الكور وقال : ارحموا ثلاثة ، عزيز قوم ذل ، وغني قوم افتقر ، وعالماً بين جهال . وقيل : جهد البلاء ان تزول النعمة وتبقى العالة ، ثم لا تعدم صديقاً مؤنباً وعدواً شامتاً ، وزوجة مختلفة وجارية مستبيعة ، وعبداً يحقرك وولداً ينتهرك . وأتى عبدالله بن معاوية بأسير فقال : هذا هو جهد البلاء . فقال الأسير : كلا جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع .

صعوبة مقاساة الجوع :

قتل رجل بصفين أبا امرأة وابنها وأخاها وعمها وعشرين من أهل بيتها ، ثم أتت تسأله فقال : ما أظن على ظهر الأرض ابغض اليك مني ! فقالت : بلى إن الذي ألجأني اليك أبغض اليّ منك وهو جوع بطني . واخذ رجل بلجام عبدالملك فقيل له : ما جرأك ؟ فقال : الجوع شجاع . وقيل : الجائع فقير ضيق النفس والشبعان واسع الصدر غني النفس .

ستر الحال في العسر واليسر :

قال عبدالملك للهيثم بن الاسود : كم مالك ؟ فلم يخبره به فقيل له في ذلك فقال : صاحب المال بأحدى منزلتين ان كان كثيراً حسد ، وان كان قليلًا حقر . وقيل : رضي بالذل من كشف ضره ، وبالحسد من كشف يسره .

شاك فقره :

الخارزكي : من كانتِ الدنيـا له شارةً فنحنُ من نظارةِ الدنيـا
نرمقُها من كثَبٍ حسرةً كأننا لفظٌ بلا معنى

العطوي : أنا طرح بين خـلا تٍ حـديداتِ النصال
بين دينٍ وشتـاء وعيـالٍ واختـلال

آخر : من رآني فقد رآني ورحلي

آخر : ومن عجب ان حلفَ الفسوق غنيّ وقد أعدمَ الاتقياء

وقال مخنث : أنا عظيم البلية أموت من حب رزقي ويموت هو من بغضي .

نادرة ماجن شاكٍ الفقر :

شكا بعضهم فقره فقيل له : احمد الله الذي رفع السماء بغير عمد . فقال : وددت انه وسع رزقي وجعل بين كل زواع اربع اسطوانات ، فليس لي دار يضيقها . سمع صبي فقير امرأة في جنازة تقول : يذهبون بك الى بيت ليس له غطاء ولا وطاء ولا عشاء ولا غـــداء ولا سراج . فقال الصبي : يا أبت انهم يذهبون به الى بيتنا . وقيل لمزبد : بع قطيعتك . فقال له : ما ملكت قط إلا قطيعة الرحم . قيل له : ما عندك من آلة الخبيص ؟ قال : الماء . وقيل له : ما أعددت للبرد ؟ قال : الرعدة .

متعذر لفقره بأن الجود فرق ماله :

طلب قوم ابن هرمة فلم يجدوه في منزله فقالوا لابنته : أقرينا قالت : ما لنا شيء . قالوا : فأين قول أبيك :

لا امتع العود بالفصالِ ولا أبتاعُ إلا قصيرةَ الأَجلِ

قالت : فذلكم الذي منعكم القرى !

دعبل : قالت سلامة : أين المال؟ قلت لها : المال ويحك لاقى الحمد فاصطحبا !
الحمد فرّق مالي في الحقوق فما أبقين ذمّاً ، ولا أبقت له نشبا

جحظة : جاء الشتاء وما عندي له ورقٌ مما وهبتُ ، ولاعندي له خِلعُ
كانت فبدّدها جودٌ ولعتُ به وللمساكينِ ايضاً بالندى ولعُ

من نسي فقره بعد زواله :

شاعر : يعيش الفتى بالفقر يوماً وبالغنى وكلٌّ كأن لم يلق حين يزايله

آخر : كأن الفتى لم يعرُ يوماً اذا اكتسى ولم يكُ صعلوكاً اذا ما تموّلا

تأسف من ضيع ماله ثم احتاج اليه :

شاعر : وكان المالُ يأتينا فكُنّا نبذرُه وليسَ لنا عقولُ
فلما أن تولّى المالُ عنّــا عقلنا حين ليسَ لنا فضولُ

تأسف من وجد خيراً لم ينتفع به :

قال القلابي : دخلت على الجاحظ في منصرفي من عند السلطان ، وقد حسنت حاله واشتدت علته ، فسألته فقال : كنا اذا اردنا لم نجد حتى اذا وجدنا لم نرد .

الموصوف بالفقر والجهل :

شاعر : يظلّ عديمَ أموالٍ ولبٍّ   يرق له المكاشحُ والمعادي

وسئل اعرابي عن رجل فقال : ما له حول ولا معقول ولا مال ولا حال .

ذم دنيء تموّل :

اذا أيسر الدنيء ابتلي به ثلاثة : صديقه القديم يفارقه ، وامرأته يتسرى عليها ، وباب داره يغيره . وقد نظم ذلك في قوله :

إذا استغنى الوضيعُ ونال جاهاً   وأنكر نخوةً في الناس نفسَه
حبا خلصان اخوتِهِ جفاءً   وغيّر بابه وأبان عرسَه

أخذه من ابن ابي البغل :

إذا ما ساقطٌ اثرى تعدّى   وأنكر قبلَ كلّ الناسِ نفسَه
وغيّر بابَ منزله وأربى   على جيرانه وأبان عرسَه

قال عمرو بن العاص : لان يسقط الف من العلية خير من ان يرتفع واحد من السفلة .

البحتري : محاريب الدنيا نباهةُ جاهلٍ   فلا ترتقبْ إلا خمول نبيه

النهي عن البطر عند الغنى وذم ذلك :

قال الله تعالى : ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى . وقيل : البطر يقتضي الفقر والنظر يقتضي العبر . وقيل : اكثر شكر الله على نعمه فالبطر من قلة الشكر .

شاعر : خلقان لا أرضى طريقَهُما   خلقُ الغنى ومذلّةَ الفقرِ
فاذا غنيتَ فلا تكن بطراً   واذا افتقرتَ فتِه على الدهرِ

وفي كتاب كليلة : لا ينظر العاقل لمنزلة أصابها كالجبل الذي لا تزلزله الرياح الشديدة ، والسخيف تبطره ادنى منزلة كالحشيش الذي تحركه ادنى الرياح . وقيل : سوء حمل الغنى ان يكون الفرح

مرحاً ، وسوء حمل الفقر ان يكون الطلب شرها . وقيل : حمل الغنى اشد من حمل الفقر ، ومؤنة الشكر اصعب من مشقة الصبر . وقال بعضهم فيمن لا يبطر ولا يمكنه ستر غناه :

تأبى الدراهمَ إلا كشفَ أرؤُسِها إن الغنيَّ طويلُ الذيلِ ميَّاسُ

المرقش : إن يُخصبوا يعيوا بخصبهم أو يجدبوا تجديهم الأم

الخبزارزي :

قد كان في حال محسودٍ فأبطرَه طغيانُه فاغتدى في حالِ مرحومِ

مسلم بن الوليد :

فالكلبُ إن جاع لم يعدمْك بصبصةً وإن ينل شبعةً ينبحْ على الأثرِ

مدح من لا يبطره اليسر ولا يدقعه الفقر :

هدبة : ولست بمفراحٍ اذا الدهرُ سرّني ولا جازعٍ من صرفه المتقلِّبِ

طرفة بن العبد :

إن تنل منفسة لا تلفنا ترف الخيل ولا نكبو لضرّ

الزبير بن الاسدي :

ولا يراني على ما ساء مكتئباً ولا يراني على ما سرّ مبتهجا

مثله : فتى إن هو استغنى تحذق في الغنى وإن قلّ مالا لم يضع سنة الفقرِ

اجتناب عرض الدنيا :

قيل : العاقل من لا يجزع من قعود الدهر به ، علماً بأن مراتب الأقسام توضع على قدر الافهام . وقيل : وكل الحرمان بالعقل ، والرزق بالجهل ، ليعلم العبد ان ليس له من امر الرزق شيء . وقيل : أبت الدنيا أن تعطي احداً ما يستحقه : اما محطوط عن درجته او مرفوع فوق قدره . وقيل لافلاطون : لم لا يجتمع العلم والمال ؟ فقال : لعزة الكمال . قال :

ومن الدليلِ على القضاء وكونهِ بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عيش الأحمقِ

وقيل : من أعطاه الله عقلًا احتسب عليه من الرزق . وقيل : لو جعل الله المال للعقلاء مات الجهال ، فلما جعله في ايدي الجهال استقلهم العقلاء ، واستنزلوهم عنه بلطفهم . وقد تقدم في باب العقل شيء من هذا .

علة ميل الدنيا الى الانذال :

سعيد بن المسيب رضي الله عنه : الدنيا نذلة تميل الى الأنذال . وقال حكيم : اذا أردت ان تزهد في الدنيا فانظر عند من هي . وقال النظام : مما يدل على لؤم الذهب والفضة كثرة كونها عند اللئام ، فالشيء يصير الى شكله ؛ ومن هنا اخذ المتنبي قوله :

وشبهُ الشيء منجذبٌ اليه   وأشبهُنا بدنيانا الطغامُ

حسان : المال يغشى رجالاً لا طباعَ لهم   كالسيل يغشى أصولَ الدندن البالي

أبو تمام : لا تنكري عطلَ الكريمِ من الغنى   فالسيلُ حربٌ للمكانِ العالي

ابن الرومي :

رأيت الدهرَ يرفعُ كلَّ وغدٍ   ويخفض كل ذي رتبٍ شريفَه
كمثلِ البحر يرسب فيه حيٌّ   ولا ينفك تطفو فيه جيفَه
وكالميزانِ يخفضُ كل وافٍ   ويرفعُ كل ذي زنةٍ خفيفَه

معاتبة الدهر لتقديم جاهل وتأخير فاضل :

جحظة البرمكي :

غلطَ الدهرُ بما أعطاكمُ   وفعالُ الدهرِ جهلٌ وغلطْ

الموسوي: ومما يحلّلُ ذمَّ الزما   نِ اقصاؤه الافضلين الخيارا

أبو حاتم : أظن الدهرَ قد آلى فبرا   بأن لا يكسبَ الأموالَ حرّا
لقد قعدَ الزمانُ بكل حرٍّ   ونقصٍ من قواه ما استمرّا

أبو تمام : لقد ساسَنا هذا الزمانُ سياسةً   سدى لم يسسْها قطُّ عبدٌ مجدعُ
حلت نطفٌ منها النكس وذو الحجى   يدافُ له سمٌّ من العيشِ منقعُ
فان نكُ أهملنا فأضعفْ بسعينا   وإن نكُ أجبرنا ففيمَ نتعتع ؟

وما أحسن ما قال :   ليس المقلّ على الزمانِ براضِ

ومن السخف قول التار :

أرى فقحةَ الدنيا على معشرٍ تخرى   فان أقبلت نحوي رأيت بها خضرا

ومن الجيد في هذا قول عابدة المهلبية ويروى للمهلبي :

ألستَ ترى استراقَ الدهر حظي وكيف يفيت في أدبِ الخمولِ
أأبغي العونَ منه وهو خصمي ؟ كما استبكت ضرائرَها الثكولُ

وقال رجل لمنجم : انظر في نجمي هل ترى لي غنى ? فقال : دع عنك هذا فان الدهر مشغول بالسفل ، فلا يتفرغ الى أحد . وقيل : الدهر لا يعطي أحداً ما يستحقه إما ان يزيده او ينقصه .

معاتبة القدر في ذلك :

قال ابو العيناء لرجل سأله : ما بال الركيك الأحمق يرزق والاديب يحرم ؟ فقال : لان هذه الدنيا دار اختبار ، وأحب الرازق أن يعلمهم أن الامور ليست لهم ، فان غلات السواد تباع بكف أنموذج فهلا اكتفى في ذلك بنقرة ؟

جحظة : يا ربِّ إن الشكوكَ قد علقت أوكارنا ، والشكوكُ تعترضُ
وغـدٌ له نعمةٌ مؤثلةٌ وسيِّدٌ لا يزالُ يعترضُ
فنحن من قبح ما نشاهدُه من معشرٍ في قلوبهم مرضُ

عبدان : لقولِهِ نحنُ قسمْنا بينهم زال المرا
ولو تولّى غيرُه قسمة أرزاقِ الورى
تْ حظوظٌ بيننا لكنَّنا تحت العرا

وقيل : اذا رأيت الجاهل مرزوقاً والعاقل منحوساً ، فاعلم ان بين السماء والارض اكراداً يقطعون الطرق . وقيل لمدني شكا الفقر : احمد الله فانه رزقك الاسلام والعافية . فقال : أجل لكن جعل بينهما جوعاً تتقلقل منه الاحشاء .

شاعر : يا حجةَ الله في الأَرزاقِ والقسمِ ومحنة لذوي الأَخطارِ والهممِ
تراكَ أصبحت في نعماء سابغةٍ ألا وربّك غضبان على النعمِ

آخر : عجباً للناسِ في أرزاقِهم ذاكَ عطشانٌ وهذا قد غرق !

سؤال الله تعالى الغنى بغلظة مقال :

قال الاصمعي رأيت بالموقف اعرابياً قد رفع يده الى السماء وهو يقول :

أما تستحي يا خالقَ الخلقِ كلهم أناجيك عرياناً وأنت كريم
أترزقُ أولادَ اللئامِ كما ترى وتتركُ شيخاً من سراة تميم

فقلت له : ما هذه المناجاة ؟ فقال : اليك عني فاني أعرف من أناجيه ، ان الكريم اذا هز اهتز! فرأيته بعد ايام عليه ثياب حسنة فقال لي : ألست ترى الكريم كيف أعتب ؟ ودعا اعرابي فقال: يا رب ان كنت تدع رزقي لهواني عليك فنمرود كان أهون مني ، وان كنت تدعه لكرامتي عليك فسليمان بن داود كان أكرم مني . فقيل له : اخذت الحبل بطرفيه .

• • •

ومما جاء في الزهد ومدح الفقر وذم الغنى

حقيقة الزهد والحرص واليقين :

قال النبي ﷺ : ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق مما في يدك . سئل حكيم عن الزهد فقال : أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود . وقيل : ظلف النفس عن الشهوة . وقال سفيان : هو قصر الامل لا أكل الغليظ ولبس العباء . وقال يونس بن حبيب هو ترك الراحة . وسئل الجنيد عنه فقال : خلو الأيدي من الاملاك وخلو القلب من التتبع . وسئل مرة فقال : ترك ما في الدار على من في الدار . وذكر الزهد عند الفضيل فقال : هو حرفان في كتاب الله تعالى : لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم . وهذا يوافقه قول من قيل له: من الزاهد ؟ فقال : من لم يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره . وسئل الجنيد رحمه الله عمن لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار مص نواة فقال : المكاتب عبد ما بقي عليه درهم . وقال يحيى : الزاهد هو الذي بلغ من حرصه في تركها حرص الحريص في طلبها . وقال ابراهيم ابن أدهم رحمه الله : الزهد ثلاثة زهد فرض وذلك في الحرام ، وزهد فضل وذلك في الحلال ، وزهد سلامة وذلك في الشهوات . وقيل : أصل القناعة والزهد اليقين فمن أيقن قنع وزهد . وقال ذو النون : الزهد الاستخفاف بثلاثة أشياء : بالنفس والشيء والخلق ، فاذا استخف بالنفس عزبه ، واذا استخف بالشيء ملكه ، واذا استخف بالخلق خدمه . أبوا الادنيان : اليقين ترك التدبير فيما لا تملك . الحرص طلب ما في يد الغير . وقيل : الحرص تضييع الكثير وطلب القليل .

حقيقة التوكل ووصفه :

قيل : التوكل هو الاعتماد على الحق والتخلي من الخلق . وقيل : الاستسلام لما قضى . وقيل : الثقة بالله فيما ضمن . وقيل : الاكتفاء بضمانه واسقاط التهم في قضائه . وقيل للحارث : ما علامة المتوكل ؟ فقال : أن لا يحركه ازعاج المستبطىء فيما ضمن له من رزقه . فقيل له : هل ينقص من توكله قصده من يسد جوعته . فقال : لا لأن النبي ﷺ خرج فلقيه أبو بكر وعمر فقال : ما الذي أخرجكما ؟ قالا : الجوع ! فقال : أخرجني الذي أخرجكما ، فدخلوا منزل أبي الهيثم فأكلوا وشربوا . وقيل : التوكل الانقطاع الى الله تعالى في ايصال النعماء ودفع البلاء . ثم تلا قوله تعالى : ومن يتوكل على الله فهو حسبه . وخير يوسف عليه السلام بين خصلتين فاختار احداهما ، فقيل له : اخترت فتركناك مع اختيارك . فبقي في السجن ما بقي .

ذم المال :

قال الله تعالى : انما أموالكم وأولادكم فتنة . وقال المسيح عليه السلام : لا خير في المال . فقيل: ولم يا روح الله ؟ فقال : لانه يجتمع من غير حل . قيل : فان جمع من حلال ؟ قال : لا يؤدي حقه . قيل : فان ادى حقه ؟ قال : لا يسلم صاحبه من الكبر والخيلاء . قيل : فان سلم ؟ قال : يشغل عن ذكر الله . قيل : فان لم يشغل ؟ قال : يطول عليه الحساب يوم القيامة . وذكر المال عند أفلاطون فقال : ما أصنع بما يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه الكرم . وقيل لآخر فقال : ما أصنع بشيء يجيء بالاتفاق لا الاستحقاق ، والزهد والجود يأمران باتلافه ، والشؤم والبخل يأمران بامساكه . وقال النبي ﷺ : تعس عبد الدينار ! تعس عبد الدراهم ! تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش ! وقال أبو الدرداء : أعوذ بالله من تفرقة القلب . قيل : وما تفرقة القلب ؟ قال : ان يكون للانسان مال في كل واد . وقال النبي ﷺ : من رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه باليسير من العمل .

كثرة المال سبب الهلاك :

ابن طباطبا :

إن في نيل المنى وشْكَ الردى   وقياس القصد ضد السرف
كسراجٍ دهنُه قوتٌ له   فاذا غرّقتَه فيه طفي

ابن الرومي :

ألم ترَ أن المال يهلكُ أهلَه   إذا جمّ آتيه وسُدّ طريقُه
ومن جاوزَ الماءَ الغزيرَ مجمّه   وسدّ طريقَ الماء فهو غريقُه

وقيل : صاحب الدنيا كدودة القز لم يزدد الابريسم على نفسه الا زاد من الخلاص بعداً .

عبدالله بن رؤبة :

يرى راحةً في كثرةِ المالِ ربّه　　وكثرة مالِ المرء للمرء مُتعبُ
اذا قلّ مالُ المرء قلّتْ همومُه　　وتشعبُه الأَموالُ حينَ تشعبُ

كون العدم نعمة وبسط الدنيا نقمة :

قال الله تعالى : ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض . وقال تعالى : ولقد أخذنا مترفيهم بالعذاب . وفي بعض المناجاة : يا من منعه عطاء . وقال رسول الله ﷺ : يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام .

ابن أبي عيينة :

لا تشعرنْ قلبَك حبَّ الغني　　إن من العصمةِ أن لا تَجِدْ
كم واحدٍ أطلقَ وجدانه　　عنانَه في بعض ما لم يُرِدْ

وقال الحسن رضي الله عنه : ما بسط الله على أحد دنياه الا اغتراراً ، ولا طواها عنه الا اختباراً.
وقال بعضهم : نعمة الله علينا فيما طواه عنا أعظم من نعمته علينا في ما بسطه لنا .

محمود الوراق :

من شرفِ الفقرِ ومِن فضلهِ　　على الغنى ، لو صحّ مِنكَ النظرْ
أنكَ تعصي لتنالَ الغِنى　　ولستَ تعصي اللهَ كي تفتقِرْ

وقال عبدان :

تبيّنَ فضلُ الفقرِ عندي على الغنى　　بواحدةٍ فيها عزاءٌ لذي حجرِ
متى متّ لم آسفْ على فقدِ نعمةٍ　　يود الفتى من أجلِها المدَّ في العمرِ

صنوف الفقر وما يحمد منه :

قيل : الفقر على ثلاثة أقسام : فقر الخلق الى الله وعدم الاملاك لعرض الدنيا والحرص ، وهو فقر الناس الى الناس ، وهو الذي استعاذ منه النبي ﷺ والمشار إلى فضله ما حكى عن الجنيد أنه قيل له : متى يكون الفقير مستوجباً لدخول الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام ؟ فقال : اذا كان موافقاً لله تعالى ، يعد فقره نعمة يخاف على زوالها مخافة الغني على زوال نعمته ، وغناه مستغنياً بربه كما قال تعالى للفقراء : الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الارض (الآية) .

نفي العار بالفقر :

كان النبي ﷺ يقول : اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين . وكان ﷺ يستنصر بصعاليك المهاجرين . وقال ﷺ : أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت اكثر اهلها النساء . وقال العطوي :

ما الفقر عارٌ إنما العارُ الثرا والبخلُ

وقال رجل من بني قريع :

وكائن رأينا من غني مذممٍ وصعلوكِ قومٍ ماتَ وهو حميدُ

أبو تمام : لا يحسبُ الإقلالَ عدماً بل يرى أنَّ المقل مِنَ المروءةِ معدمُ

طيب عيش مؤثر الفقر وعزته وفضله :

كان سقراط فقيراً فقال له بعض الملوك : ما أفقرك ؟ فقال : لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لي ، فالفقر ملك ليس عليه محاسبة . وقيل له : لم لا يرى أثر الحزن عليك ؟ فقال : لاني لم أتخذ ما ان فقدته أحزنني . وقال بعض الحكماء : من أحب ان تقل مصائبه فليقل قنيته للخارجات من يده ، لأن أسباب الهم فوت المطلوب وفقد المحبوب ، ولا يسلم منهما انسان لان الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد ، وبهذا ألم ابن الرومي فقال :

ومن سرّه أن لا يرى ما يسوؤه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فَقْدا

حكي انه لما غرقت البصرة أخذ الناس يستغيثون ، فخرج الحسن رضي الله عنه ومعه قصعة وعصا ، فقال : نجا المخفون . وقال بعض الزهاد وقد قيل له : أترضى من الدنيا بهذا ؟ فقال : ألا أدلك من رضي بدون هذا ، قال : نعم . قال من رضي بالدنيا بدلاً من الآخرة . وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله : أترضى بالدون ؟ فقال : انما رضي بالدون من رضي بالدنيا وترك الآخرة .

طيب عيش من قنع بما رزق :

سئل الفرغاني عن الفتوة فقال : هو ان يكون في كل وقت بشرطه . وقيل لبزرجمهر : أي الناس أقل هماً ؟ فقال : ليس في الدنيا الا مهموم ، ولكن أقلهم هماً أفضلهم رضا وأقنعهم بما قسم. وقيل لبعضهم : من انعم الناس عيشاً ؟ فقال : من رضي بحاله ما كانت . وقيل : من رضي بما قسم له كان دهره مسروراً . وقيل لابن عوف : ما تتمنى ؟ فقال : استحي ان اتمنى على الله ما ضمنه لي .

النقاد : دنيا تخادُعني كأني لستُ أعرفُ حالَها
حظر الإِله حرامَها وأنا احتميتُ حلالَها
ووجدتُها محتاجَةً فوهبتُ لذّتَها لها

كون الدنيا عبداً لمن زهد فيها :

قال زاهد لملك : أنت عبد عبدي لانك تعبد الدنيا لرغبتك فيها ، وأنا مولاها لرغبتي عنها وزهدي فيها . ويقوي ذلك ما روي عن النبي ﷺ : ان الله امر الدنيا فقال من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه . وقيل : من زهد في الدنيا ملكها ، ومن حرص عليها أملكها . وقال الحسن رضي الله عنه : اهينوا الدنيا فوالله لاهنأ ما تكون حين تهان .

أبو العتاهية :

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... عذاباً كلما كثُرَتْ لديهِ
تهين المكرمينَ لها بصغرٍ ... وتكرمُ كلَّ من هانت عليهِ
إذا استغنَيْت عن شيءٍ فدعْه ... وخذْ ما أنتَ محتاجٌ إليهِ

الحث على التوكل في أمر الرزق وترك الحرص :

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : ان في القرآن آية لو أن جميع الناس اخذوا بها لكفتهم في القناعة. قال الله تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب . وسئل بزرجمهر عن الرزق فقال : ان كان قد قسم فلا تعجل ، وان كان لم يقسم فلا تتعب . وقال الحسن رضي الله عنه : الحريص الجاهد والقنع الزاهد كلاهما مستوف حظه ، وأكله غير منتقص ما قدر له ، فعلام التهافت في النار ؟ وقال النبي ﷺ : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً . وقيل للحارث : كيف قال ذلك والطير تغدو في طلب الرزق وتروح ؟ فقال : مهلاً إن الطير يأخذ في الحوصلة وأنت لا تقنع بذلك ، مع ان الطير لم يخاطب بالضمان منه لرزق ، ولم ينزل عليه كتاب . وقال سهل بن وهبان : لا تكونوا للمضمون مهتمين . وقال اعرابي لآخر رآه حريصاً : يا اخي ، انت طالب ومطلوب ، يطلبك طالب ولن تفوته ، وتطلب ما كفيته كانك لم تر حريصاً محروماً ، ولا زاهداً مرزوقاً . وقال آخر : إنك لا تدرك أملك ، ولا تسبق اجلك ، ولا تغلب على رزقك ، ولا تعطى حظ غيرك ، فعلام تهلك نفسك ؟ لكل صباح صبوح ، ولكل عشاء عشاء ، وفي بعض كتب الله : يا ابن آدم لو ان لك الدنيا كلها لم تنل منها إلا القوت فاذا اعطيتك القوت وجعلت حسابه على غيرك الم أكن محسناً اليك ؟

من قل تفكره في أمر الارزاق وتوكل على الرزاق :

قيل لصوفي : من اين رزقك ؟ قال : الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين . وقيل لآخر فقال : من كدك على رغم انفك ، رب ساع لقاعد . وقيل لزاهد : من أين المطعم ؟ فقال : من عند المنعم . فقال : هل بالقرب من يأتيك برزق من قوم ؟ قال : يأتيني به من لا تأخذه سنة ولا نوم . وأتى رجل إلى شقيق البلخي يطلبه فقالت امرأته : قد خرج الى الجهاد . فقال : وما خلف عليكم ؟ فقالت:

أرزاق شقيق أو مرزوق؟ فقال: بل مرزوق. فقالت: ان المرزوق خلف علينا الرزاق، يا هذا لا تعد الينا فتفسد على الله قلوبنا. وسئل آخر فقال:

إنَّ الذي شق فمي ضامنٌ لي الرزقَ حتى يتوفّاني

وسئل احمد بن الجلاء عن قوم يدخلون البادية بلا زاد قال: هم رجال الحق. قيل: فان هلك احدهم؟ قال: الدية على العاقلة. وقال عبد الواحد بن زيد: اجتزت بجبل لكام فرأيت جارية سوداء عليها جبة صوف قلت: من أين؟ قالت: من عند من لا تخفى عليه خافية. فقلت: الى اين؟ قالت: الى من يعلم السر وأخفى. فقلت: ليس معك زاد! فنظرت الي شزراً وقالت:

من قصد الله لا يبالي بأي أرضٍ بها يموت
ولم يخامِرْه فسخُ عزمٍ إن هو أبطأ عليه قوتُ

روي عن النبي ﷺ انه ذكر عنده أن قوماً من اليمن يحجون بلا زاد، فقال: أليس قد قال الله تعالى: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى؟ وقيل: عجباً لمن آمن بكتاب الله تعالى ثم رفع بعد سماعه لقوله تعالى: «وان من شيءٍ الا عندنا خزائنه» حاجة الى غير الله تعالى.

تبكيت من يشفق لفقد القوت ويبكي لضر:

شكا رجل الى الحسن سوء الحال وجعل يبكي فقال الحسن: يا هذا كل هذا اهتماماً بأمر الدنيا، والله لو كانت الدنيا كلها لعبد فسلبها ما رأيتها أهلاً لأن يبكى عليها.

كشاجم: لا تغدُ كلاً واجتنبْ أمراً يخافُ العبدُ عارَه
وإذا عدمْت من المآ كِلِ كلّها فكلِ الحجاره

ذم المشتغل برزق مستقبل الزمان:

قال امير المؤمنين رضي الله عنه: لا تجعل هم يومك لغدك، فإن غدك ان كان من اجلك يأتي الله برزقك. وقيل: اذا طالبتك نفسك برزق غد فقل هاتي كفيلا بالغد.

شاعر: إن ربّاً كان يكفيكَ الذي كان بالامسِ سيكفيكَ غدَكَ!

آخر: ولا يكن همّكم في يومكم لغدِ

آخر: من كان لم يعط علماً في بقاء غدٍ ماذا تفكّرُهُ في رزقِ بعدَ غدِ

النهي عن النظر الى من هو فوقه :

روي في الخبر : انظر الى من هو دونك ولا تنظر الى من هو فوقك ، فانه اجدر ان لا تزدري بنعمة الله . وقال الضحاك : خصلة من وفق لها وفق لحظه ، من نظر في دنياه الى من هو دونه فاستكثر قليل ماله .

نهي ذي عيال عن الاهتمام برزقهم :

شكا رجل الى الشبلي عياله فقال له : ارجع الى بيتك ، ومن لم يكن منهم رزقه على الله فأخرجه من دارك . وقيل لرجل كان كثير الحاشية : لو اخرجت بعضهم لكان يكثر مالك ، فهم بذلك ، فرأى ليلة في المنام كأن العيال الذين همّ باخراجهم يدخلون بيته ويخرجون دقيقاً يحملونه ، فسألهم عن حمل ذاك فقالوا : هذا رزقنا نخرجه من دارك الى من يتكفل بنا . فانتبه وعلم خطأ عزمه ، فقارّهم وزاده لكل منهم .

مدح من لا يدخر :

أتى عمر رضي الله عنه بمال فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه : لو حبست من هذا المال في بيت المال شيئاً لنائبة . فقال : كلمة ما عرض بها الا شيطان ، لقنني الله حجتها ووقاني فتنتها ، أأعصي الله العام مخافة القابل ؟ أعد لهم تقوى الله قال تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب . ولتكونن فتنة على من بعدك .

النابغة : ولستُ بخابىءٍ لغدٍ طعامــاً حذارَ غدٍ ، لكل غدٍ طعامُ

أخذه الآخر فقال :

ان كانَ عندكَ رزقُ اليوم فاطّرحَنْ عنك الهمومَ فعندَ الله رِزْقُ غدِ

آخر : رزقُ غــدٍ يأتي مَعَــه

آخر : لأَصبرَنّ على عسري وميسرتي يوماً بيومٍ كما تجبي العصافيرُ

نهي من لا عيال له عن الاهتمام بالمعيشة :

قيل : لا تهمنك المعيشة ما كنت وحدك ، فان المرء يعيش بالبقلة كما يعيش بالكسرة ، ويروى بالمذقة كما يروى بالضرع . وقيل : قلة العيال احد اليسارين .

طيب عيش من لا مال له ولا عيال :

أبو حازم : فلا ولدٌ يروعني بسقمٍ ولا مالٌ على شرفِ الثواء
ولا لي صاحبٌ أبكي عليهِ ولا عقبٌ أخلِّفُ من ورائي

ابن عبدالقدوس :

الله أحمد شاكراً فبلاؤه حسنٌ جميلُ
أَصبحتُ مستوراً مُعا في بينَ أنعمِهِ أجولُ
خلواً مِن الأَحزان خفٌ الظهر يقنعني القليلُ
حرًّا فلا مَنٌّ لمخلوقٍ علي ولا سبيلُ
ونفيت باليأسِ المنى عني فطاب لي المقيلُ !

طيب عيش من عنده قوت يومه :

قال رسول الله ﷺ : من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها . وقال سفيان رضي الله عنه : من كان عنده قوت يومه فليس بفقير . وقيل : من أعطي القوت فطلب مالاً كمن أعطي السلامة فطلب المال ، فإن المال ألم .

شاعر : إذا ما أصبنا كلَّ يومٍ مذيقة وخمسَ تُميراتٍ صغارٍ جواترِ
فنحنُ ملوكُ الناسِ خصباًونعمةً ونحن اسودُالغيلِ عند المزاهزِ

آخر : اراني وقاروناً سويين في الغنى إذا كان عندي ما يزّجي به الوقتُ

ابو العتاهية : إذا القوتُ تأتّى لك والصحةُ والأَمنُ
وأصبحتَ أخا حزنٍ فلا فارقك الحزنُ !

آخر : إذا كان لي قوتٌ بيومي وصحةٌ فلا حالَ أَرجو بعدها أن أنالها
ولم أَتتبعْ رتبة إن بلغتها أخاف بعزلٍ او بموتٍ زوالَها

ذم النفس لخوف الفقر والطمع :

قيل : أهلك الناس حب الفخر وخوف الفقر .

أبو العتاهية :

رأيتُ النفسَ تحقرُ ما لديها وتطلبُ كلّ ممتنع عليها
فإن طاوعتَ حرصك كنتَ عبداً لكل دنيئة تدعو اليها

تبكيت شيخ يعمر دنياه :

محمود : يا عامرَ الدنيــا على شيبهِ　　فيك أعاجيبٌ لمن يعجَبُ
ما عذرُ من يعمرُ بنيانُه　　وعمره مستهدم يخرب ؟

آخر : عجبت لتغريسي نوى النخلِ بعدما　　طلعتُ على الستين او كدت أفعلُ
وأدركتُ ملء الارض ناساً فأصبحوا　　كأهلِ ديارٍ أدلجوا فتحمَّلوا
وما الناسُ إلا رفقةٌ قد تحمَّلت　　وأخرى تقضي حاجها ثم ترَحلُ

راحة القنع وعزته :

قال الحسن في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة : انها القناعة . وقال النبي ﷺ : الزهد في الدنيا يريح البدن ، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن . وقيل لمحمد بن واسع : أوصني . فقال : كن ملكاً في الدنيا ملكاً في الآخرة فقال : وكيف لي هذا؟ قال : ازهد في الدنيا واقنع . بزرجمهر : القنع عزيز في عاجله مثاب في آجله . محمد بن الحنفية رضي الله عنه : ما كرمت على احد نفسه إلا هانت عليه دنياه . من حصن شهوته صان قدره .

الموسوي :

من كان يرجو نعيماً لا زوالَ له　　فلا تكنْ هذه الدنيا له شَجَنَا

قال وهب : خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا .

شاعر : بلوغُ المنى أن لا تكاثرَ بالمنى　　ونَيلُ الغنى أن لا تنافِسَ في الغنى
ومَن كان للدنيا أشدَّ تصوراً　　تجدْه عن الدنيــا أشدَّ تصوّنا

ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة .

الموسوي :

وإني لألقى راحتي في تقنع　　وفي طلب الإثراء طولُ عنائيا

وله : حسبي غنى نفسي الباقي فكل غنى　　مِن المغـانم والاموالِ ينتقلُ

ابن نباتة : وإن المرء مــا استغنى غني　　وحاجتُه الى الشيء افتقارُه

غم الحريص وتعبه :

من لم يكن قنعاً لم يزل جزعاً . الرغبة مفتاح التعب وغاية النصب . وقيل : جعل الله الخير في بيت وجعل مفتاحه الزهد ، وجعل الشرّ في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا . وقال بزرجمهر :

الغنى قلة التمني والرضا بما يكفي . غم الدنيا الحرص عما لعلك لا تناله . اياك والحرص فانه يورد المشارب الكدرة ، ويسف للمطاعم القذرة . وقال عمر رضي الله عنه : ما كانت الدنيا همّ أحد إلا لزم قلبه أربع : فقر لا يدرك غناه ، وهمّ لا ينقضي مداه ، وشغل لا تنفد أولاه ، وأمل لا يدرك منتهاه .

لا تخدم الحرص تعش ذا سرور

اجتاز عبدالله الصفار بسجن فقال لصاحب له : بم حبس من في السجن ؟ فقال : لا ادري . فقال : غطى النعيم على قلبك في شيئين : التشفي والشره .

ذم الحرص وعزة القنع :

قال النبي ﷺ : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، ومن خطبها تأهب للذل . من قل قنوعه كثر خضوعه . الحر عبد إذا طمع والعبد حر اذا قنع . الطمع طبع . من صبر على الخل والبقل لم يستعبد .

ابو العتاهية :

إذا ما المرءُ لم يقنَعْ بعيشٍ　　تقنَّع بالمذلة والصَّغارِ

بينما فتح الموصلي في اصحابه اذا بصبيين معهما رغيفان : على رغيف احدهما كامخ ، وعلى رغيف الآخر عسل . فقال صاحب الكامخ لصاحب العسل : اطعمني من عسلك . فقال : اطعمك على ان تكون لي كلباً . فقال : أنا كلبك ! فجعل في فمه خرقة يجره بها ، فالتفت فتح الى أصحابه وقال : لو قنع هذا بكامخه لم يصر كلباً لصاحب العسل . ولقي صاحب سلطان فيلسوفاً يلتقط الحشيش ويأكله فقال له : لو خدمت الملوك لم تحتج الى اكل الحشيش . فقال : وأنت لو أكلت الحشيش لم تحتج الى خدمة الملوك ! وقيل : يا عجباً من مسكين بقناعته سري ومن غني بحرصه دنيء .
قال عبدالصمد لابي تمام :

لستَ تنفكّ طالباً لوصالٍ　　من حبيبٍ أو راغباً في نوالِ
أي أخي ما لحرّ وجهك يبقى　　بين ذلِّ الهوى وذلِّ السؤالِ ؟

آخر :　　أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

ابو العتاهية :　　الحرصُ داء قد أضرّ بمن ترى إلا قليلا

طالب الدنيا متحمل للذل :

علي بن الحسين رضي الله عنهما : انما الدنيا جيفة حولها كلاب ، فمن احبها فليصبر على معاشرة الكلاب ؛ ومن ذلك اخذ ابن حجاج :

تركتُ مطالبَ الدنيا لقومٍ دعتهم للمخازي فاستجابُوا
وليسَ الليثُ من جوعٍ بغادٍ على جيفٍ يطوفُ بها كلابُ

ومثله : إنما الدنيا ومن يصبو من النـاسِ اليها
جيفةٌ بين كلابٍ قاتلوا حرصاً عليها

الحرص على فقر حاضر :

قيل في قول الله تعالى « فان له معيشة ضنكاً انه الحرص » : الحرص فقر واليأس غنى .

قد يكثر المال والانسان مفتقر

وهذا مأخوذ من قول بعضهم وقد سئل : أفلان غني ؟ فقال : لا ادري غناه ولكنه كثير المال : سأل النعمان ضمرة بن ضمرة عن الفقير فقال : الذي لا تشبع نفسه وان كان من ذهب حلسه . وحمل رجل الى ابراهيم بن ادهم شيئاً فقال : ألك مال ؟ قال : نعم . قال : أتحب اكثر منه ؟ قال : شديداً . قال : انك فقير وأنا لا أقبل الصلة إلا من غني ؛ عنى بذلك ما روي : الغنى غنى النفس .

الحرص عماد كل شر :

قال الفضيل : جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا . وقيل : الحرص رأس كل خطيئة . وفي الحديث : ان الصفاة الزلاء التي لا يثبت عليها قدم العلماء الطمع .

الحرص يمنع صاحبه التمتع بما خوله :

قيل : الحريص يشغله طلب ما أمل عن التمتع بما خول ؛ ومن هذا أخذ كشاجم :

ومستزيدٍ في طلابِ الغنى يجمعُ لحماً ما له طابخُ
ضيَّعَ أموالاً بمـا يرتجي والنار قد يطفؤهـا النافخُ

الحرص سبب التلف :

الليث : يبعث حتفه كلبه . في كتاب كليلة : من لم يرض بما يكفيه وطلب الفضول كان كالذباب الذي لا يرضى حتى يطلب الماء السائل من آذان الفيلة ، فتضربه بآذانها فترديه .

المطامعَ تنصبُ الشبكا

ابن أبي الاسود :

قد دعاه الطمع الكا ذِبُ والحِرصُ اللجوجْ
صِـدَ بالحرصِ وقد يصطا دُ بالحرصِ الزنوجْ

قدح الحرص في العقل :

قيل : أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع . وقال عمر رضي الله عنه : ما الخمر صرفاً أذهب لعقول الرجال من الطمع ، ما أعمى النفس الطامعة عن العقبى الفاجعة . وقيل : الحرص والطمع إلهان معبودان .

عود حريص على نفسه باللائمة :

شاعر : ولو اني رضيت مقسومَ امري لكفاني من الكثيرِ القليلُ
آخر : نسعى وأيسرُ هذا السعي يكفينا لولا تطلُبنا ما ليس يعنينا
ابو العتاهية :
أطعت مطامعي فاستعبدَتْني ولو أني قنعت لكنتُ حرّا
آخر : رأيتُ مخيلةً فطمعتُ فيها وفي الطمعِ المذلةُ للرقابِ
الحارثي : حتى متى والى متى طول التمادي في اللعب ؟
لا تستفيقُ ولا تفيقُ ولا تملّ مِن الطلب
وقال سابق البربري :
النفسُ تكلفُ بالدنيا وقد علمَت أنّ السلامةَ منها تركُ ما فيها
أبو جرير السلمي :
كلفني حرصي على الدراهمِ خدَمةَ من لست له بخادمِ
أحمد بن بارس :
أجيء به من حلهِ وحرامِه إلى حامد لي فيه أو غير حامدِ
وأشقى به مِن بينِهم بحسابهِ وحظِّيَ في انفاقه حظُ واحدِ
وأنشد عبدالله الخازن لنفسه :
يا نفسُ يا نفسُ ثقي بالله رباً واتقي
لا تحسبي أنك إن لم تتعبي لم تُرزقي
واقتصدي واقتصري فما أقلّ ما بقي !

نعي المرء عن جمع ما عساه لا ينفعه :

قال النبي ﷺ : ان لك في مالك شريكين : الحارث والوارث : فلا تكن أخس الثلاثة نصيباً . وقال ﷺ : انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، او تصدقت فأمضيت ، او لبست فأبليت ، وما سوى ذلك فهو للوارث . وقيل لبخيل : لم تحبس المال وتقاسي الشدة ؟ فقال : خشية الفقر . فقيل : قد نزل بك الفقر بتضييقك على نفسك ، ومن هنا اخذ المتنبي :

ومَن ينفق الساعاتِ في جنبِ ماله مخافةَ فقرٍ فالذي فعل الفقر

وقال العطوي :

جمعتَ مالاً ففكِّر هل جمعتَ له يا جامعَ المالِ أياماً تفرِّقه

ابو العتاهية :

نرقّع دُنيانا بتمزيقِ ديننا فلا دينُنا يبقى ولا ما نرقّعُ

آخر : نرقّعُ بعضَ دنيانا ببعض ونترك ما نرقّعه ونمضي

آخر : وما تصنعُ بالدنيا وظلّ الميل يكفيكَ

التزهيد في الادخار للوارث والتحسر على ذلك :

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : يا بني لا تخلف وراءك شيئاً من الدنيا ، فإنك تخلفه على رجلين : رجل عمل بطاعة الله تعالى فسعد بما شقيت به ، ورجل عمل بمعصيته فكنت عوناً له على ذلك ، وليس أحد بحقيق على أن تؤثره على نفسك ، أغبن الغبن كدك فيما نفعه لغيرك . وقال أبي لاخيه وكان مثرياً بخيلا : يا اخي ان مالك إن لم يكن لك كنت له ، فلا تبق عليه فإنه لا يبقي عليك ، وكله قبل ان يأكلك . قال الخليل : لم يرَ الرجل يجمع المال الا لثلاثة أنفس ، وهم أبغض خلق الله اليه : لزوج امرأته ، وامرأة ابنه ، وزوج ابنته . وقيل : المأكول للبدن والموهوب للشكر ، والمدخر والمحفوظ للعدو . وقيل : لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ، ويوم حشره ميزانه . وقال جعفر بن يحيى : شر مالك ما لزمك مكسبه ، وحرمت اجر انفاقه .

ابو الشيص :

يقول الفتى : ثمّرت مالي ، وإنما لوارثه ما ثمّر المال كاسبُه
يحاسبُ فيه نفسَه بحياتِه ويتركه نهباً لمن لا يحاسبُه

آخر : بقّيتَ مالكَ ميراثاً لوارثه فليتَ شعري ما أبقى لك المال ؟
القومُ بعدكَ في حالٍ تسرّهم فكيف بعدهمُ حالتْ بك الحالُ ؟
ملوا البكاءَ فما يُبكيك مِن احدٍ واستحكم القيلُ في الميراثِ والقالُ

آخر : هالوا عليه الترابَ ثم انثنَوا عنــه وخلُّوه وأعمــالَهُ
لم ينقضِ النواحُ من دارهِ عليــهِ حتى اقتسموا مالَــه

آخر : إذا كنْتَ جمّاعاً لمالك ممسكاً فأنتَ عليه خازنٌ وأمينُ
تؤديهِ مذموماً الى غير حامدٍ فيأكله عفواً وأنتَ دفينُ

النمر بن تولب :

وذي ابلٍ يسعى ويحسبُها لهُ أخي نصبٍ في سقيها ودؤب
غدَتْ وغدا ربٌ سواه يسوقُها وبدّل أحجاراً وجال قليب

أبو العتاهية :

ومن الحزمِ أن أكونَ لنفسي قبلَ موتي فيما ملكتُ وصيًا

أوصى رجل اكتب : ترك فلان ما يسوؤه وبنوؤه مالاً يأكله وارثه ويبقي عليه وزره . وقيل لرجل أشرف وكان قد جمع مالاً ولم يكن له ولد فقال : حصلت لغير الولد حسرة الأبد . وكان هشام بن عبدالملك حبس عياض بن مسلم ، كاتب الوليد بن يزيد ، وضربه وألبسه المسوح ، فلم يزل محبوساً مدة ولاية هشام ، فلما ثقل هشام وصار في حد من لا يرجى أرسل عياض الى الخزان أن احفظوا ما في ايديكم ، فأفاق هشام وطلب شيئاً فلم يؤت به فقال : ترانا كنا خزاناً لغيرنا ، فخرج عياض من الحبس فختم الباب ، وأمر بهشام فأنزل عن فراشه ومنع أن يكفن من الخزانة ، فاستعير قمقم أغلي الماء فيه له فقال الناس : ان في هذا لعبرة لمن اعتبر .

الموسوي :

وما جمعي الأموالَ إلا غنيمةٌ لِمن عاشَ بعدي واتهامٌ لرازقي

وفي الحديث : ما اعطى عبد شيئاً من عرض الدنيا الا قيل له خذه وضعفيه حرصاً . وقال بعض الحكماء : الدنيا كالماء المالح كلما ازداد الانسان منه شرباً ازداد عطشاً .

محمود الوراق :

أراكَ يزيدُكَ الاثراء حرصاً على الدنيا كأنّك لا تموتُ
فهل لك غايةٌ ان صرت يوماً اليها قلت : حسبي قد غنيتُ !

وقيل : مريد الدنيا كشارب الخمر قليلها يدعو الى كثيرها . المستغني بالدنيا عن الدنيا كمطفىء النار بالتبن . وقال النبي ﷺ : لو ان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ، ولا يملأ جوف

ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب . وقال ايضاً : منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا . وقال بعضهم :

غنى النفس ما يكفيك من سدِّ حاجةٍ ... فإن زاد شيئاً عادَ ذاك الغنى فَقْرا

وقال ابن نباتة : كلما يفضل الكفاف فضول

التحذير من طول الامل وقرب الاجل :

كم من مستقبل يوماً ليس بستكمله ، ومنتظر غداً ليس من أجله ، ولو رأيتم الاجل ومروره لابغضتم الامل وغروره . وكان الحسن رضي الله عنه اذا نعي له دنيوي يقول : شقي والله ما بقيت له الدنيا ولا بقي لها . ولو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال . من جرى في عنان امله عثر لا شك في اجله . كم منية جلبت منيه .

بقاء الامل وازدياده مدة بقاء الاجل :

قيل : الآمال لا تنتهي والحي لا يكتفي ... المرء ما دام حيا خادم الامل

وفي الخبر : يهرم ابن آدم ويشب معه اثنان : الحرص والامل ؛ اخذه المتنبي فقال :

وفي الجسمِ نفسٌ لا تشيب لشيبهِ ... ولو أن ما في الوجهِ منه حرابُ

يغير مني الدهر ما شاء غيرها ... وأبلغ أقصى العمر وهي كعابُ

وقيل للمسيح : ما بال المشايخ احرص على الدنيا من الشبان ؟ فقال : لانهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشبان .

حاجة الحي لا تنقطع :

قال الله تعالى : لقد خلقنا الانسان في كبد ؛ قيل : معناه يكابد مضايق الدنيا ما دام حيا .

بعضهم : وحاجة مَن عاشَ لا تنقضي

عبدة بن الطبيب :

والمرء ساعٍ لأمرٍ ليس يدركه ... والعيشُ شحٌّ واشفاقٌ وتأميلُ

وأنشد ذلك عمر رضي الله عنه فاخذ يكرره ويعجب من صحة تقسيمه .

آخر : النفس لا تنقضي مآربها

آخر : والمرء تواقٌ إلى ما لم ينلْ

الموصلي: المرء مـا عاش لا يزال له   في نفسه حاجة يطالبها

لبيد: إذا المرءُ أسرى ليلَةً خالَ أنّه   قضى عملًا والمرء،ما عاش،عامل

قلة وجود الزهد:

سمع بعضهم رجلًا يقول: اين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فقال: اقلب وضع يدك على من شئت. قال:

وقلما تجد الراضين بالقسم

وقيل: لم يقسم الله شيئاً بين العباد اقل من الزهد واليقين:

التخويف من النفس والشهوة والاستعاذة منها:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الهوى اله معبود. الخائف من يخاف نفسه اكثر مما يخاف عدوه. ابن مسعود رضي الله عنهما: اللهم إني أستعيذك على نفسي عدوّي ولا عقوبة فيها. وقال اعرابي لرجل: كبت الله كل عدو لك الا نفسك! وقال صوفي: من توهم ان له عدوّاً أعدى من نفسه قلّ علمه بنفسه. وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: من سعادة المرء ان يكون خصمه عاقلًا وخصمي لا عقل له، فقيل له: ومن خصمك؟ فقال: نفسي فأي عقل لها وهي تبيع الخلود في الجنة بشهوة ساعة؟ من سامح نفسه فيما تحب اتعب جوارحه، وفقد من الراحة حظه. من كثرت شهوته دامت هفوته.

شاعر: ولم تتغالبْ شهوةٌ ومروءةٌ   فيفترقا إلا ولِلشهوةِ الغلب

آخر: شهواتُ الإنسانِ تُكسبُه الذلّ   وتلقيه في البلاء الطويلِ

الحث على قدع النفس:

ابن المقفع: اعظم الجهاد جهاد المرء نفسه لقول الله تعالى: ان النفس لأمارة بالسوء. قال عمر رضي الله عنه: جاهدوا أنفسكم كما تجاهدون أعداءكم. وكان الحجاج يقول على المنبر: اقدعوا هذه النفس فانها طلعة. وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها، فان لها خدائع، ومتى سكنت اليها فانت مخدوع. وسئل انوشروان: أي الاشياء احق بالاتقاء! قال: أعظمها مضرة. قال: فان جهل قدر المضرة؟ قال: اعظمها من الهوى نصيباً، فالهوى للنفس البهيمية والرأي للنفس الانسانية. قال بعض الحكماء: قبيح للرجل ان يركب الفرس فيكون الفرس هو الذي يدبر الفارس. وأقبح من ذلك ان تكون هذه النفس التي ألبسناها هي التي تدبرنا لا نحن ندبرها. قال شاعر:

إذا أنتَ لم تعصِ الهوى قادَكَ الهوى   إلى بعضِ ما فيه عليك مقالُ

ابو العتاهية :

إذا طاوعتَ نفسَك كنتَ عبداً لكلِّ دنيئةٍ تدعو اليها

عبيد العنبري :

يعد الفتى أعداءه وصديقَه ونفسُ الفتى أعدى عدوٍ يحاوله

آخر : إذا المرء لم يتركْ طعاماً يحبه ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما

قضى وطراً منه وغادر سبّة إذا ذُكرَتْ أمثالها تملأ الفَما

آخر : وأنتَ إذا أعطيتَ فرجك سؤله وبطنك نالا منتهى الذمِّ أجمعا

وقد مضى بعض ذلك في موضع آخر .

النفس تنبسط اذا بسطت وتنقدع اذا قدعت :

منصور بن عمار : عوّد نفسك الخير فان النفس عروف ألوف ، واعتبر انك اذا أصبحت مفطراً طمعت في الغداء ، واذا أصبحت صائماً يئست منه .

أبو ذؤيب :

والنفسُ راغبةٌ اذا رغبتها واذا تردّ إلى قليلٍ تقنعُ

بعضهم : لا تحدث نفسك بالفقر وطول البقاء ، ولكن حدثها بالكفاف والغناء .

ابو العتاهية :

اقنعْ لنفسِك ترضَهـا واملِك هواكَ وأنتَ حرُّ

آخر : وما النفسُ الا حيثُ يجعلها الفتى فإن طمعَتْ تاقت والا تسلّتِ

مدح قادع نفسه عن الشهوات :

قد مدح الله قادع نفسه عن الشهوات فقال : واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فان الجنة هي المأوى . قال ابو حازم : ما احتجت الى شيء مما يستقرض الا استقرضته من نفسي . وقال ملك لعابد : ما منعك أن تخدمني وأنت عبدي ؟ فقال : لو صدقت نفسك لعلمت انك عبد عبدي ! فقال : كيف ؟ قال : لأني ملكت الشهوة فهي عبدي ، وقد ملكتك فانت عبدها ! فقال : صدقت .

أشجع : تجافى عنِ الدنيا فقد فتقّتْ له خواصرَها واستقبلته أمورُها

آخر : وخلى عن الدنيا وقد فرشَتْ له محفلةً أخلافُها لم تصرّمِ

مدح متظلف عن مال غيره متبرع بماله :

وصف اعرابي رجلاً فقال : هو بماله متبرع وعن مال غيره متورع .

شاعر : أبو مالكٍ قاصرٌ فقرَه على نفسِه ومشيعٌ غناه

آخر : وإني لعفّ الفقرِ مشتركُ الغِنى

وقال ابراهيم بن العباس :

يعرفُ الأَبعدُ إن أثرى ولا يعرفُ الأَدنى إذا ما افتقرا

آخر : فتى إن هو استغنى تخرّق في الغنى وإن قل مالاً لم يُضِعْ سنَّةَ الفقرِ

قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة : أما ترى هذا الحائك لا نفتي في مسألة الا خالفنا فيها ؟ يعني ابا حنيفة رضي الله عنه . فقال : ابن شبرمة : لا ادري حياكته ، ولكني اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها ، وهربت منا فطلبناها .

ذم اظهار الفقر والنهي عنه :

قيل أشد الاشياء مؤنة الفاقة ، وأشد من ذلك الاستكانة الى من لا يجبرها . وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه : رضي بالذل من كشف ضره . وقال حكيم : استتر من الشامتين بحسن العزاء عند النوائب . وقال النبي ﷺ : من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الفقر بين عينيه الى يوم القيامة ، ثم تلا قوله تعالى : قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون . بزرجمهر : لم أر ظهيراً على تقلب الدول كالصبر : ولا مذلاً للحاسد كالتجمل . وسئل متى يفحش زوال النعمة ؟ فقال : اذا زال معها حسن التجمل .

زيد القوارس :

أَلم تعلمي أَني اذا الدهر مسني بنائبةٍ زلت ولم أتترّسِ

مدح صابر على فقره صائن لنفسه :

كثير : اذا قلّ مالي زاد عرضي كرامةً علي ولم أتبع دقاقَ المطامعِ

خليفة بن مر :

إنا اذا حطمة حتَّتْ لنا ورقاً نكابدُ العيشَ حتى ينبتُ الورقُ

آخر : وكم أزمةٍ للدهرِ ألقت جرانها عليَّ فلم تهتكْ مذلتُها ستري

ابن هرمة :

واصرفُ عن بعضِ المياهِ مطيّتي اذا أعجبت بعضَ الرجالِ المشارعِ

المتسلي عما يذهب له من المال :

أصيب اعرابي بزرع لم يكن له غيره وكان بقفر خلاء فقال : يا رب اصنع ما شئت فرزقي عليك . وقيل : اذا سلمت النفس فالمال هدر . ودخل على علي بن الجهم صديق له وقد أخذ كل ماله وهو يضحك فقال له في ذلك فقال : لأن يزول مالي وأبقى أحب الي من ان أزول ويبقى مالي .

شاعر : نعمةٌ كانت على قومٍ زماناً ثم زالَتْ
هكذا النعمةُ والإنسان مذ كانَ وكانَتْ
تسلبُ النعمةُ أو يخرجُ منها إن أقامت

البيت الاخير كالخبر المتقدم .

عف الفقر مشترك الغنى :

جرير : وإني لعفُّ الفقرِ مشتركُ الغنى سريعٌ إذا لم أرضَ داري انتقاليا

عمرو بن سراقة :

ولستُ بولاّجِ البيوتِ لفاقةٍ ولكِن اذا استغنيتُ عنها ولجتُها

ابن أبي فنن :

ليس لي في العلا شريكٌ ولا الفقر ولي في الثراء الفُ شريكِ

ولهذا باب في الاخوانيات :

مدح صابر على الجوع :

قيل لبعضهم : انك قد اطلت جوعك فكيف ترى ذلك ؟ فقال : نعم الغريم الجوع ، كلما أعطى رضي .

الخبزارزي :

يطوى إذا ما الشحُّ أبهم فعلَه بطناً مِن الزاد الخبيثِ خميصا

آخر : إذا مطعمي كان ذا غصَّةٍ غسلتُ يدي منه قبل اكتفائي

آخر : لأكلةٌ بجريش الملح تأكله ألذُّ من ثمرة تحشى بزنبورِ

وذكر بعض ذلك في فصل الاكل .

فقير عرض عليه مال فتزهد فيه :

لما رجع الرشيد عن الحج كان قد نذر أن يتصدق بألف دينار على احق من يجده ، فدفع يوماً ألف دينار إلى بعض ثقاته وأمره ان يطلب فقيراً مستحقاً فيعطيه ، فأخذ يطوف في الاسواق ، فاذا رأى فقيراً مستحقاً للاعطاء قال : لعلي اجد افقر منه ، فانتهى بالعشي الى عريان محلوق الرأس في خربة فقال في نفسه : لا اجد افقر من هذا . فقال : يا فتى خذ هذا المال واستغن به . فقال : لا حاجة لي فيه . قال : أحب ان تأخذه . قال : ان كان ولا بد فثم حجام حلق رأسي ، ولم يكن معي شيء فادفعه اليه . قال : فقصدت الحجام فامتنع من أخذه ، فقلت : هو ألف دينار ! فقال : ما حلقت رأسه إلا للثواب فلا آخذ عليه أجرة . قال : فعدت وما وجدت اكرم منهما وأهون مني ، فأخبرت الرشيد بأمرهما فبعثني في طلبهما ، فكأن الارض ابتلعتهما ولم أظفر بهما ، ولما حج الرشيد دخل على الفضيل فوعظه بما وعظه ، وأراد الخروج فقال : يا فضيل هل عليك دين ؟ فقال : نعم دين ربي لو يحاسبني عليه ، فالويل لي إن حاسبني عليه ، والويل لي ان ناقشني . فقال الرشيد : إني أسألك عن دين العباد . فقال : عندنا بحمد الله خير كثير لا نحتاج معه الى ما في أيدي الناس. قال : هذه ألف دينار فاستعن بها . فقال : يا حسن الوجه أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك ، اسأل الله التوفيق ! فلما خرج عاتبته بنيته فقالت : لو أخذتها فاستعنا بها . فقال : ان مثلي ومثلكم مثل قوم كان لهم بعير يكدونه ويأكلون من كسبه ، فلما كبر وسقط عن العمل نحروه فأكلوه . ومر الاسكندر ببلد كان ملكه سبعة ملوك من صلب واحد ففنوا ، فقال لاهله : هل بقي من نسل الاملاك السبعة أحد ؟ قالوا : نعم رجل يكون في المقابر . فقصده وقال : ما دعاك الى ملازمة المقابر؟ فقال : أردت ان أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم ، فوجدت عظامهم سواء . قال : فهل لك ان تتبعني فأحيي لك شرف آبائك ان كان لك همة ؟ قال : ان همتي عظيمة ان كانت بغيتي عندك. قال : وما بغيتك ؟ قال : حياة لا موت فيها ، وشباب لا هرم معه ، وغنى لا فقر بعده ، وسرور لا يغيره مكروه . فقال : لا أقدر على ذلك . فقال : امض لشأنك ودعني أطلب بغيتي ممن عنده ذلك . قال الاسكندر : هذا أحكم من رأيت . وقف اعرابي على محمد بن معمر وكان محمد جواداً ، فسأله فخلع خاتمه ودفعه اليه ، فلما ولى قال : يا اعرابي لا تخدعن عن هذا الفص فان شراءه علي مائة دينار . فمضغ الأعرابي الخاتم وقلع فصه وقال : دونكه فالفضة تكفيني أياماً . فقال : هذا والله أجود مني.

التحذير من مخالطة الاغنياء :

أبو الدرداء عن النبي عليه الصلاة والسلام : اياكم ومجالسة الاموات . قالوا : ومن الاموات ؟ قال : الاغنياء . وقال الثوري : اياكم وجيران الاغنياء وقراء الاسواق وعلماء الامراء . وقال خباب في قول الله تعالى ولا تعد عيناك عنهم : نزلت الى الفقراء . وقال عمر رضي الله عنه : لا تدخلوا بيوت الاغنياء فانها مسخطة للرزق . وقال سوار لاولاده : لا تعاشروا المهالبة ، فانكم اذا رأيتم

نعمتهم تسخطتم ما قسم لكم . وقيل : لا تصحب غنياً فانك ان ساويته في الانفاق أضرّ بك ، وان تفضل عليك استذلك . ووقف بعض المجانين على قوم لهم بعض يسر فقال :

سلامةُ الدينِ والدنيا فراقُكم   وحبّكم آفةُ الدنيا مع الدينِ

وجاء أبو محمد السمرقندي الى الفضيل ومعه أولاد البرامكة ، وعليهم قمص لها جربانات عراض، فسألوه ان يحدثهم فامتنع فقام مغضباً فقال الفضيل : ردوه . فردوه فقال : بلغنا أن عيسى صلوات الله عليه قال تحببوا الى الله ببغض أهـــل المعاصي ، وتقربوا اليه بالتباعد عنهم ، والتمسوا رضاه بسخطهم . فقيل : يا روح الله فمن نجالس ؟ فقال : من تذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه وترغبكم في الآخرة مجالسته ، قم فقد حدثتك .

متزهد اضطراراً لا اختياراً :

قيل لرجل : أزهدت ؟ فقال : زهدي اضطراري .

الموسوي :

زهدتُ وزهدي في الحياة لعلةٍ   وحجة من لا يبلغُ الاملَ الزهدُ

وله : قالوا: أتقنعُ بالدون الخسيس؟ وما   قنعتُ بالدون بل قنّعت بالدونِ

أخي من باعَ دنياهُ وزخرفَها   بصوفةٍ كان عندي غيرَ مغبونِ

ابن الرومي :

أنا الرجلُ المدعوّ عاشقَ فقرهِ   إذا لم تكارمني صروفُ زماني

بعضهم : إذا المرء لم يقدرْ له ما يريدُه   تحملَ ما يُقضى له ، شاء أم أبى

وهذا نحو : اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون .

اعتبار ديانة المرء بزهده في المال وحرصه عليه :

روي في الخبر : لا تنظروا الى صوم الرجل وصلاته ، وانظروا الى طمعه اذا أشرف . وفي عكس ذلك قيل لعمر بن عبدالعزيز : فلان عفيف عن الدراهم . فقال : الشيطان أعف منه ، لا يمس قط درهماً ولا ديناراً !

الحد التاسع

في الاستعطاء والعطاء

فمما جاء في قصد أولي الامال

المأمول مقصود . شكا الفضل بن سهل الى الزبير بن بكار كثرة من يقتفي بابه للحوائج فقال : لا عليك ان أحببت أن لا يلتقي ببابك اثنان ، فاعتزل ما أنت فيه من عمل السلطان ، فإن نعم الله جاءت بهم اليك ثم أنشده :

من لم يواسِ الناسَ من فضلِه   عرّضَ للادبارِ اقبالَه

فقال : صدقت وبررت . وسئل رجل عن فضل بعض الأكابر فقال : أما ترى ازدحام الناس على بابه وكثرة قصاده وطلابه ؟

أشجع : علـى باب أبي منصور   عـلاماتٌ مِن البذلِ
جمـاعاتٌ وحسبُ البا   بِ فضلا كثرةُ الاهلِ

بعضهم : يزدحم الناس عـلى بابِهِ   والمنهلُ العذبُ كثيرُ الزحامْ

الممدوح بكثرة القصاد :

زهير : قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هرم   والسائلون إلى أبوابه طرقا

ابو نواس: ترى الناس أفواجاً إلى باب داره   كانهم رِجلا دبى وجرادِ

حسان : يغشونَ حتى ما تهرّ كلابُهم   لا يسألونَ عن السوادِ المقبلِ

وقال أعرابي : قصدت فلاناً فوجدت بابه كعرصة المحشر ، يهوى اليه كل معشر ، فداره مجمع العفاة ومربع المكرمات ، حاضرة الجود والحسب .

وهب الهمداني :

فتى دارُه معمورةٌ بعفاتهِ ومجلسُه بالمكرماتِ منجدُ

قال الجاحظ : كان العلماء يستجيدون بيت الاعشى :

لَعمري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوء نارٍ في يفاعٍ تحرقُ

تشبّ لمقرورَين يصطليانِها وبات على النار الندى والمحلّقُ

حتى قال الحطيئة :

متى تأتِه تعشو الى ضوء ناره تجد خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ

فحينئذ فضلوا هذا وصار لحسنه ناسخاً لبيت الأعشى .

من دعا العفاة اليه كثرة الثناء عليه :

دخل رجل على أبان بن الوليد فقال : أصلح الله الامير أحفيت اليك الركاب ، وقطعت العقاب وأخلقت الثياب . فقال أبان : ما دعاك الى ذلك أقرابة أم جوار أم عشرة متقدمة أم وصلة متأكدة ؟ فقال : لم يكن من ذلك شيء ولكني سمعت الناس ينشدون بيتاً قلته فيك فعلمت فيك خيراً وهو :

وما شيم لي برقٌ وان كانَ نازحاً فيخلف إذ بعضُ البوارقِ خلّبُ

فأمر له بجمال ومال . ولما قصد ذو الرمة بلال بن أبي بردة وأنشده :

سمعتُ الناسَ ينتجعونَ غيثاً فقلت لصيدح: انتجعي بلالا !

وصيدح : اسم ناقته . قال : يا غلام اعلفها قتاً ونوى .

بشار : دعاني الى عمرٍ جودُهُ وقولُ العشيرة : بحر خضم !

ولولا الذي خبّروا لم يكُنْ لأحمد ريحانه قبلَ شمّ

الموسوي :

دعاني اليك العز حتى أجبتُه ومن طلبته جمّةُ الماء اوْردا

قصد من يتلقى زائره النجاح :

بعضهم : أتينك لم يزْجرْنَ دونك سانحاً ولا بارحاً الا وهنّ سعودُ

المتنبي : ولو سرنـا اليه في طريقٍ مِن النيران لم نخفِ احتراقا

القاضي علي بن عبدالعزيز :

كلّ الزمانِ إذا أفضَى تصرفهُ   اليك وقت نزول الشمس في الحملِ

إبن أبي طاهر :

بلغتُ مرادي واطمأنّتْ بي النَّوى   وقال لي الوراد : أعشبتَ فانزِلِ !

أعرابي : كلّ أيامه توالتْ علينا   بسعودٍ بلغننا ما نوَيْنا

لم يكنْ دهرُه كما قيل في الأمثال : يومٌ لنا ويومٌ علَيْنا

من اطمع مخلفيه في نوال من يعتفيه :

قال أبو عثمان المازني : أشخصني الواثق فلما دخلت عليه سألني عن اسمي فقلت : بكر بن محمد ، فقال : هل لك من ولد ؟ قلت : نعم بنية . قال : فما قالت لك حين فارقتها ؟ قال : أنشدتني بيت الاعشى :

فيا أبتا لا ترم عِندنا   فانّا بخيرٍ اذا لم ترم

أرانا اذا أضمرتكَ البلا   دُ نجفى ويقطعُ مِنا الرحمْ

قال : فبم أجبتها ؟ قلت : ببيت جرير :

ثقي باللهِ ليس له شريكُ   ومن عِنْد الخليفةِ بالنجاحِ

فقال : اعطوه الف دينار . وقال أبو نواس :

تقول التي من بيتها خفَّ مركبي :   عزيزٌ علينا ان نراكَ تسيرُ

أما دونَ مصرٍ للفتى متطابٍ ؟   بلى إن أسبابَ الغنى لكثيرُ

ذريني أكثِّر حاسديكِ برحلةٍ   إلى بلد فيه الخصيبُ أميرُ

فتى يشتري حسن الثناء بمالِه   ويعلمُ أنَّ الدائراتِ تدورُ

فما جازَهُ جودٌ ولا حلّ دونه   ولكن يسيرُ الجودُ حيثُ يسيرُ

من يهين أو يكرم مركوبه اذا بلغ مطلوبه :

الشماخ : اذا بلّغتني وحملت رحلي   عرابة فاشرقي بدمِ الوتين

قد استقبح الناس هذا المعنى وقالوا : بئسما جازاها . وهذا مثلما قال النبي ﷺ للمرأة التي ركبت بعير النبي ﷺ وتخلصت به فقالت : يا رسول الله اني نذرت ان خلصني الله به لأنحرنه . فقال ﷺ : بئسما جازيته لا نذر في مال غيرك ! وقال ابو نواس معارضاً للشماخ :

أقولُ لناقتي إذ بلّغتني : لقد أصبحت عندي بالثمين
فلم أجعلك للغربان نحلا ولا قلت اشرقي بدمِ الوتينِ

آخر : وإذا المطي بنا بَلغنَ محمّدا فظهورهنّ على الرجالِ حرامُ
قرّبننا مِن خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمةٌ وذِمامُ

من ذكر أنه تحمل تعباً في قصد معتفاه :

دخل رجل على معاوية فقال : هززت ذوائب الرحال اليك اذ لم أجد معولاً إلا عليك ، أمتطي اليك بعد النهار واسم المجاهل بالآثار ، يقودني نحوك رجاء ويسوقني اليك بلاء ، والنفس مستبطئة لي والاجتهاد عاذر اذا بلغتك فقط . فقال : احطط رحالك وقوّ آمالك وكن على ثقة بالانصاف والاسعاف . وقدم وفد بني تميم على عبدالملك وفيهم عمرو بن عتبة فقال : يا امير المؤمنين نحن من نعرف وحقنا لا ينكر ، وجئناك من بعيد ونمت بقريب ، وما تعطينا من خير فنحن أهله ، وما ترى من جميل فأنت اصله . فضحك عبد الملك وقال : يا أهل الشأم هؤلاء قومي وهذا كلامهم !

الراغب عن كل نعمة دون بلوغ مجتداه :

طريح : قصدتُك عارياً مِن كلّ منٍّ لكلّ الخلق في كلّ المعاني
فلو دنياي قابلني غناها بغيرِكَ ما ثنيتُ لها عِناني

سعد بن ضمضم :
أظلّ أدعو باسمِه ودونه قومٌ كرامٌ رغبة تركتهم
تخيروا فاخترتهُ عَليْهِم وما بهم بأس ولا ذممتهم

ابن الرومي :
جعلتَ على ملوكِ الأرضِ طرّاً محارَ مطيتي وعليه حبسي

المتنبي : قواصدُ كافور توارِكُ غيره ومن ورد البحرَ استقلّ السواقيا
فجاءتْ به انسان عينِ زمانِه وخلّتْ بياضاً خلفها وأماميا

فتأتى له اجود معنى بقوله إنسان عين زمانه لجودة المعنى ، ثم لموافقة كون ممدوحه اسود . وله يخاطب ناقته :

أمي أبا الفضلِ المبر أليّتي لأيمّمَنّ أجلّ بحر جوهرا
تركتْ دخانَ الرمثِ في أوطانِها طلباً لقوم يوقدون العنبرا

ومثله للأسدي :

اليك أميرَ المؤمنينَ رحلتها من الطلح نبغي منبتَ الزرجونِ

الموسوي :

أتيتُ وفي كفي خطامُ نجيبةٍ مدفعةٍ في كلّ قربٍ إلى بعد
فما خدعتها روضةٌ عن مسيرها ولا لمعَ معسولٍ تطلع من وردِ
اذا لحظت ماء جذبتُ زمامَها وقلتَ: ارغبي بالقلّ عن موردٍ ثمدِ

آخر : كرامٌ نقصتُ الناسَ لما بلغتُهم كأنهم ماجفّ من زادٍ قادمِ

قصد من طاب في فنائه الزمان والحياة :

ابن الرومي :

أريد مكاناً من كريمٍ يصونُني وإلا فلي رزقٌ بكل مكانِ

المتنبي : وما رغبتي في عسجدٍ استفيدُه ولكنها في مفخرٍ أستجدّه

وله : إذا نلتَ منك الجاه فالمالُ هينٌ وكل الذي فوقَ التراب ترابُ

من قصد سلطاناً سائلاً لقومه :

أتى عبدالعزيز بن زرارة باب معاوية ، فلما اذن له وقف بين يديه فقال : يا امير المؤمنين دخلت اليك بالأمل ، واحتملت جفوتك بالصبر ، ورأيت قوماً أدناهم منك الحظ ، وآخرين باعدهم منك الحرمان ، فليس للمقرب ان يأمن ولا للمبعد أن ييأس . وقال زياد بن أبيه : أشخصت قوماً اليك الرغبة ، وأقعدت آخرين عنك المعاذير ، وقد جعل الله في سعة فضلك ما يجبر المتخلف ويكافىء الشاخص ، والخبر دليل على أهله ، والخصب منتجع في مظانه . وقيل : أصاب القوم مجاعة في عهد هشام ، فدخل اليه وجوه الناس من الاحياء وفي جملتهم درواس بن حبيب العجلي ، وعليه جبة صوف مشتمل عليها بشملة ، قد اشتمل بها الصماء ، فنظر هشام الى حاجبه نظر لائم في دخول درواس اليه وقال : أيدخل علي كل من اراد الدخول ؟ وكان درواس مفوهاً ، فعلم أنه عناه فقال درواس : يا امير المؤمنين ما أخل بك دخولي عليك ، ولقد شرفني ورفع من قدري تمكني من مجلسك ، وقد رأيت الناس دخلوا لأمر أعجموا عنه ، فإن أذنت في الكلام تكلمت . فقال : هشام : لله أبوك ! تكلم فما أرى صاحب القوم غيرك . فقال : يا امير المومنين تتابعت علينا سنون ثلاث : أما الاولى فأذابت الشحم ، وأما الثانية فأكلت اللحم ، وأما الثالثة فانتقت المخ ومصت العظم ، ولله في ايديكم اموال ، فان تكن لله فاعطفوا بها على عباد الله ، وإن تكن لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن تكن

لكم فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ولا يضيع اجر المحسنين . فقال هشام : لله ابوك ! ما تركت واحدة من ثلاث . وأمر بمائة الف دينار فقسمت في الناس ، وأمر لدرواس بمائة الف درهم فقال : يا أمير المؤمنين ألكل رجل من المسلمين مثلها ؟ قال : لا ولا يقوم بذلك بيت المال. فقال : لا حاجة لي فيما يبعث على ذمك . فلما عاد الى داره أمر بذلك فبعث إليه فقسم تسعين ألف درهم في تسعة من احياء العرب ، وحبس عشرة آلاف درهم ، فبلغ ذلك هشاماً فقال : لله دره ان صنيعة مثله تبعث على الاصطناع !

من رغب في الايناس والبسط منه :

قال العتابي : دخلت على المأمون فسلمت فاجلسني وقال لي : تكلم . فقلت : يا أمير المؤمنين الايناس قبل الابساس . قال : ان ذلك من اقل ما نوجبه . قال : ثم اقبل على احمد بن هشام يحدثه ، فلما اطمأن بي المجلس ذهبت لأتكلم ، فقال المأمون : ان احب شيء الينا اليوم ان نبسطك بالحديث النادر ، والكلام الطيب والعشرة الرضية ، فوالله لقد اعطاني من نفسه ما لم يعط احد ممن شاهدت وعاشرت .

من قصد سلطاناً فحثه على اصطناعه:

ابن الرومي :

زِني القوم حتى تعرفي عند وزنهم   إذا رُفع الميزانُ كيف أميلُ

جرير ، وهو من أبياته الرائقة وأشعاره الجيدة :

إذا سرّكم ان تمسحوا وجهَ سابقٍ   جوادٍ فمدوا وابسطوا من عنانيا

الا لا تخافا نبوتي في ملمةٍ   وخافا المنايا ان تفوتكما بيا

المتنبي : فكن في اصطناعي محسناً ومجرباً   يبنْ لك تقريبُ الجوادِ وشدّه

إذا كنت في شك من السيفِ فابلُه   فإما تنفيه وإما تعدّه

وما الصارم الهندي الا كغيرِهِ   إذا لم يفارقْه النجادُ وغمدُه

من عاتب صاحبه في قلة معرفته بفضله :

ابن الرومي :

قومتني غير قيمتي غلطاً   شاور ذوي الرأي تعرفِ القيَما

ابن نباتة: اشدُدْ يديكَ بي الغدا   ةُ فانني علقُ المضنّه

آخر : ليسَ له ناقـدٌ فينقُده وآفة التبر ضعفُ منتقده

آخر : ومثلكَ ليسَ يجهلُ حقّ مثلي ومثلي لا تضيّعُه الكرامُ

• • •

ومما جاء في السؤال

الاستغناء بالله عن الناس :

قال اعرابي : اطلب الرزق من حيث كفل لك ، فالمتكفل به امين ، ولا تطلبه من طالب مثلك لا ضمان لك عليه . وشكا رجل ضيقاً فقال له الحسن : شكوت من يرحمك الى من لا يرحمك . وقال هشام لرجل في بيت الله : سلني . فقال : لا أسأل في بيت الله غيره .

شاعر : لا تسل الناسَ وسَلْ من أنتَ له

وسأل بعض الزهاد صديقاً له شيئاً لشدة الأمر به ، فأعطاه صديقه وقال : يا اخي في ثقتك بحسن عائدة الله عليهم كفاية لهم . فقال : لا حاجة لي بالمال فقد استغنيت بهذا المآل .

التحذير من سؤال الناس :

قال النبي ﷺ : المسألة كدوح او خدوش او خموش في وجه صاحبها . وقال ﷺ : ان احدكم يخرج بمسئلته من عندي متأبطاً وما هي الا النار . فقال عمر رضي الله عنه : ولم تعطيه وهي له نار فقال : يأبون الا ان يسألوا ويأبى الله لي البخل . وقيل : اياك وطلب ما في ايدي الناس ، فانه فقر حاضر . ابن المقفع : السخاء سخاآن سخاؤك بما في يدك ، وسخاؤك بما في يد غيرك ، وهو امحض في الكرم وابعد من الدنس ، ومن جمعها فقد استكمل الفضل . وقيل : من لم يستوحش من ذل السؤال لم يأنف من ذل الرد . وقيل : جل في عينك من استغنى عنك . قال :

متى ترغبْ إلى الناس تكنْ للناسِ مملوكاً

آخر : إنّ الغني عن لِئام الناس مكرمةٌ وعن كرامهمُ أدنى إلى الكرمِ

عابدة المهلبية :

لا تسألنّ المرءَ ذاتَ يدَيهِ فيحقرنكَ مَن رغبتَ إليه

المرءُ ما لم ترزه لَكَ مكرمٌ فاذا رزأت المرءَ هنتَ عليهِ

آخر : استغن ما استطعتَ عن أخيك ولو   أعشبَ كلّ البلادِ عن مطره

وقيل : اياك والمسألة فانها آخر كسب المرء . قال :

وذقت مرارةَ الاشياء جمعا   فما طعم أمرُّ مِنَ السؤالِ !

آخر : ذلّ السؤالِ وثقلُ الشكرِ ما اجتمعا   إلا أضرّا بماء الوجهِ والبدَنِ

المخزومي: ما أبعدَ المكرماتِ عن رجلٍ   على نوالِ الرجالِ يتّكلُ

آخر : إن السؤال يريدُ وجهَ حديدِ

ومما يدخل في هذا الباب قول النبي ﷺ : ما أتاك من هذا المال وانت غير مشرف عليه ولا سائل فخذه ، ومالا فلا تتبعه نفسك .

النعي عن سؤال من تعوده :

شاعر : فان كنت لا بدّ مستطعماً   فمن غير من كان يستطعمُ ؟

آخر : ولا تطلبَنّ المالَ ممن أفادَه   حديثاً، ومن لم يورثِ المالَ وارثه

وقيل : ادخالك اليد في فم التنين أسهل من سؤال دنيء تعود المسألة . ولعابدة المهلبية :

اذا ما طلبتَ نوالَ الفتى   وقد نالكَ الدهرُ من شده

فلا تسألنّ فتى كالحاً   أصابَ الرياسة من كدّهِ

عذر من سأل سائلاً :

قال ابن بابك :

إني إذا شئت أن أكدّى   حوشيت ، كدّيت من مكدِّ

تشفعَتْ حرمةُ التساوي   وكان ردّي مِنَ التعدّي

أصبحتُ لا عندَ لي ، ولكن   ما عندُ مولاي فهو عندي

آخر : شاعر يطلبُ رزقاً   من أخي شعر مكدِ

جعل الريح إلى الريحِ   فتى يطلب رفدي

إن ذا عندي بديـع   خاض فيه الناسُ بعدي

أبو تمام :   ومفحم يأخذُ من شاعرِ

التحذير من سؤال اللئام :

قال اعرابي : أشد الاشياء مؤنة اخفاء الفاقة ، واشد من ذلك ، السؤال الى من لا يجبرها . قال اعرابي لصاحبه : نهيتك عن مسألة قوم ٍارزاقهم في ألسنة الموازين وروس المكاييل ، فمن جعل صرماله من الدوانيق فعطيته لا تكون فوق القراريط . وقال آخر : نهيتك ان تريق ماء وجهك بسؤال من لا ماء في وجهه . لا شيء أوجع للأحرار من الاضطرار إلى مسألة الاشرار . وقيل لحبي المدينية: ما الداء العياء ؟ فقالت : حاجة الكريم الى لئيم لا يجدي عليه . وقال خالد بن صفوان : أشد من فوت الحاجة طلبها الى غير اهلها .

الأعشى : حسبُ الكريمِ مذلةٌ ونقيصةٌ   أن لا يزالَ إلى لئيمٍ يرغبُ

آخر :   واني لارثي للكريم إذا غـدا   على حاجةٍ عند اللئيمِ يطالبُه

البديهي : ومن الذلِّ والبلاء اذا اضطرَّ كريمٌ الى سؤالِ لَئيمِ

آخر :   ومَنْ طلبَ الحاجاتِ في دونِ أهلها   يجدْدونها باباً مِن اللومِ مُغلَقا

وقيل : اذا سألت بخيلًا مؤنة أدركت الحرمان والعداوة .

تحمل المكاره تفادياً من السؤال :

قال ابو عمرو بن العلاء : اجتزت بكناس ينشد :

إذا أنتَ لم تعرفْ لنفسك قدرَها   هواناً لها كانَتْ على الناسِ أهونا

فلا تسكُنَنَّ الدهرَ مسكنَ ذلةٍ   تعدّ مسيئاً فيهِ ان كنتَ مُحسنا

فقلت : سبحان الله أتنشد مثل هذا وتتعاطى مثل هذا الفعل ؟ فقال : إن انشادي لمثله اصارني الى هذا فراراً من ذل السؤال . وقال الاصمعي : مررت بكناس وهو ينشد :

جنباني ديارَ سعدى وليلى   ليس مثلي يحل دارَ الهوانِ

فقلت : وأي هوان فوق هذا ؟ فقال : مه ذل سؤال مثلك إنّ كنس ألف كنيف أهون من وقوف على مثلك . وقيل لرجل كان يعمل في المعادن : ما أشد عملك ! فقال : استخراج الماء من الجبال أهون من اخراجه من ايدي الانذال .

ذم قوم يجب تجنب سؤالهم :

قال سلم : لا تطلب حاجتك إلى كذاب ، فلعل حاجتك قريبة فيبعدها او بعيدة فيقربها ، ولا الى رجل له الى صاحبك حاجة ، فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته ، ولا الى احمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك . وقال ابو عباس الكاتب : لا تنزل حوائجك مجيد اللسان ولا بالمتسرع الى الضمان، فالعجز مقصور على المتسرع ، ومن وثق بجودة لسانه ظن ان فضل بيانه مما ينوب عن افضاله . وقيل : اياك ومسألة الموقح الممرن وذي اللسان البين ، وعليك بالحصر البكي وبذي الحياء الرضي ، فمثقال من شدة الحياء والعي أنفع في الحاجة من قنطار من سليط ، وعليك بالشمم الذي اذا عجز أيأس ، وان قدر أطمع . وقال عمر رضي الله عنه : لا تستعن على حاجتك الا بمن يحب نجاحها لك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا تسألن حاجة بالليل ولا تسألن أعمى ، فان الحياء في العينين .

الحث على الاجمال في الطلب :

قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه : لم يعد المرء ما قسم له ، فأجملوا في الطلب فان في القناعة سعة وكفا عن كلفة لا تحل . وقيل : اطلبوا الحاجات بعزة الانفس فان بيد الله قضاءها .

التزهيد في نوال يتوصل اليه بسؤال :

قيل : السؤال وان قل ثمن لكل نوال وان جل .

شاعر : ما اعتاض باذل وجههِ بسؤالهِ عوضاً وإن نال الغنى بسؤالِ
واذا السؤالُ مع النوالِ قرنتَه رجحَ السؤالُ وخفّ كلُّ نوالِ

التزهيد في احسان يتوصل اليه بهوان :

ابن الرومي :

إذا أنا نالتني فواضلُ مفضلٍ فأهلًا بها ما لم تكن بهوانِ
فأما اذا كان الهوانُ قرينَهـا فبعداً لها ما ينقضي لأوانِ !
ومَن ذا الذي يلتذُّ شهداً بعلقمٍ أبت لهواتي ذاكَ والشفتانِ
أريدُ مكاناً من كريمٍ يصونُني والا فلي رزقٌ بكلّ مكانِ

وكان يجري على أبي العيناء رزق فتأخر عنه فتقاضاه مراراً ثم تركه وقال. لا حاجة لي فيه فهو رق لا رزق ، وبلاء لا عطاء ، ومحنة لا منحة .

ذم الالحاح :

قال النبي ﷺ : ان الله يبغض من عباده البذي الفاحش السائل الملحف . وفي كتاب الهند : لا يكثرن الرجل على اخيه المسألة ، فإن العجل اذا أفرط من مص امه نطحته ونحته . وقيل : كل الحاف شين إلا مسألة رب العالمين ودخل علوي على أبي السائب ، فنظر الى إبريق فقال : هبه لي . فقال : لست استغني عنه . فقال : هب لي هذا الآخر . فقال : هو من جهاز امي أتبرك به . فقال : هب لي تلك المنارة فقال أبو السائب : صلى الله على المسيح حيث لم يترك على أمته ولداً يؤذيهم . جلس بعض أصحاب الحديث الى رجل فقال : تفضل بقلم ، فناوله . قال : وورقة ، فأعطاه . فقال : قدم لي المحبرة ، فأولاه فقال : يا فتى أتنشط للتزوج فان امي فارغة ؟

الحث على رد الملح :

من ثقل عليك بنفسه وعمل بسؤاله فولّه اذناً صماء وعيناً عمياء . من ألح في السؤال رزق الحرمان .

بشار : وليس للملحف مثل الرد

ووقع بعض الكبار في قصة ملحّ مكثر للسؤال : دع هذا الضرع يدر لغيرك كما درّ لك .

اعطاء الملحّ للتبرم به :

قال اعرابي لمعاوية وقد أضجره : قد تحلب الناقة العلبة وهي ضجور ، فقال معاوية : وقد تكسر الإناء وتدق أنف حالبها ؛ فقال الأعرابي : وقد تثني أهلها رقبتها فتدر لبنها . فضحك وأعطاه . استماح أعرابي خالد بن عبدالله فألحف وأبرم فقال خالد : أعطوه بدرة يدخلها في حر أمه ! فقال : وأخرى لأستها يا سيدي لا تبقى فارغة ! فضحك وقال : أخرى لأستها . وسأل الأصمعي حاجة ألح فيها ، فقال :

أرحني واسترح مني فإني ثقيلٌ محملي ذربٌ لساني

أبو سعيد الموسوي في معناه :

أزحْ علتي واصرفْ الى النارِ طلعتي فما كلّ وقت رؤيتي بمري

الحث على ترك تجاوز الحد في السؤال :

من سأل فوق قدره فقد استوجب الرد ، ومن لم يرج الا ما هو مستحق له فإلى الرفد . قيل : اذا اردت ان تطاع فاسأل ما يستطاع . قال الشاعر :

إنك ان كلفتني ما لم أطقْ ساءكَ ما سرّكَ مني من خلق

الترغيب في سؤال السلاطين :

قيل : مسألة الرجل السلطان ، ومسألة الإبن أباه لا تنقصه ولا تشينه . وقال شاعر :

وإذا ابتليتَ ببذلِ وجهك سائلًا فابذلهُ للمتكرّمِ المفضالِ

الترغيب في سؤال الصباح دون القباح :

قال النبي ﷺ : اعتمد لحوائجك الصباح الوجوه ، فإن حسن الصورة أول نعمة تلقاك من الرجل . ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام : اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه . وسئل ابن عائشة عن هذا الحديث فقال : معناه اطلبوها من الوجوه التي تحسن بالانسان أن يطلب منها . ونظر ابن عباس الى رجل حسن الوجه فقال :

أنتَ شرطُ النبي اذ قالَ يوماً : اطلبوا الخيرَ من حسانِ الوجوهِ

البحتري : من حسَّن اللهُ وجهَه وسجا ياهُ وأعطاهُ كلفَ الكلفا

سؤال الشبان دون الشيوخ :

قال حكيم : طلب الحوائج عند الشبان أسهل منها عند الشيوخ ، ألا ترى ان يعقوب عليه السلام لما سأله بنوه أن يستغفر لهم قال : سوف أستغفر لكم ربي . وقال يوسف عليه السلام : لا تثريب عليكم اليوم . قال يحيى بن خالد : اذا كرهتم الرجل من غير سوء أتاه اليكم فاحذروه ، واذا أحببتموه من غير خير سبق منه اليكم فارجوه :

تفضيل سؤال كريم فقير على غني لئيم :

الرفاء : صرفتُ عن الكثيرِ الوفرِ طرفي وها أنا للقليلِ الوفر راج

وكم من نطفةٍ عذبَتْ وكانت أحبَّ إلي من بحرٍ أجاجِ

عي من سأل لنفسه شيئاً :

كلم أعرابي خالد بن عبدالله وتلجلج في كلامه فقال : لا تلمني على الاختلاط فان معي ذل الحاجة ومعك عز الاستغناء . وقال سعيد بن العاص : موطنان لا أعتذر من العي فيهما : اذا سألت حاجة لنفسي ، واذا كلمت جاهلًا . وقيل : سار الفضيل بن الربيع الى أبي عباد في نكبته يسأله حاجة فارتج عليه فقال له : يا أبا العباس بهذا اللسان خدمت خليفتين . فقال : إنا تعودنا ان نُسأل لا ان نَسأل .

الحث على ترك الاستنكاف من السؤال :

قال رجل لآخر : قد وضع منك سؤلك . فقال : لقد سأل موسى والخضر عليهما السلام أهل قرية فأبوا ان يضيفوهما ، فوالله ما وضع هذا من نبي الله وعالمه ، فكيف يضع مني ؟ قيل لزرعة : متى تعلمت الكدية والسؤال ؟ قال : يوم ولدت منعت الثدي ، فصحت وبكيت ، فأعطيت الثدي فسكت .

الحث على استعمال الوقاحة :

قال بعض المكدين : مكتوب على باب الجنة : من صبر عبر . وقيل : الهيبة خيبة .

شاعر : هيبة الاخوانِ مقطعة لأخي الحاجاتِ عن طلبِه
فاذا ما هبتَ ذا أمـلٍ ماتَ ما أمّلت من سببِه

وكان مكتوباً على عصى ساسان : الكسل شؤم والمتميز مذموم ، والحركة بركة والتواني هلكة ، وكلب طائف خير من أسد رابض .

أشجع : ليسَ للحاجـات إلاَّ من لهُ وجهٌ وقاح
سلم الخاسر : منْ راقبَ الناسَ ماتَ غماً وفازَ باللذةِ الجسور

الحث على المطالبة :

أبو تمام : وخذهم بالرقى إن المهـاري يهيّجُها على السيرِ الحداءُ
آخر : حركةُ فالاشجار في تحريكِها تجني جناها والقلوبُ تقلبُ

وقال ابن الرومي :

نذكر بالرقاع إذا نسينا ونذكر حين تمطلُنا الكرامُ
فإنّ الأم لم ترضعْ صبياً مع الاشفاقِ لو سكتَ الغلامُ

الحث على معاودة السؤال :

قال عمر رضي الله عنه : اذا سألتمونا حاجة فعاودونا فيها ، فانما سميت القلوب لتقلبها . وقال عبدالملك في خطبته : لا يمنعن رجلا سأل اليوم شيئاً فمنعته أن يسأل غداً ، فان الأمور بيد الله لا بيدي . ودخل بعض الطالبيين على اسحاق بن ابراهيم فسأله حاجة فمنعه . فأنشد الطالبي :

لا ييئسنَّكَ من كريمٍ نبوةٌ ينبو الفتى وهو الجوادُ الخضرمُ
فاذا نبا فاستبقِه وتأنّه حتى يفيء بها الطباعُ الأكرمُ

وقيل : اذا سألت كريماً حاجة فدعه وسوم نفسه ، فانه لا يفكر الا في خير ، واذا سألت لئيماً حاجة فعافصه ولا تدعه يتفكر فيتغير . وقال بعضهم في ضد ذلك : اذا سألت لئيماً حاجة فاجله حتى يروض نفسه ويطابق ما قاله قول الشاعر :

يعالجُ نفساً بين جنبَيهِ كزّةً اذا همّ بالمعروفِ قالت له: مهلا !

الاعتذار لتأكيد السؤال :

أبو تمام : لو رأينا التوكيدَ خطةَ عجزٍ ما شفعنا الأذانَ بالتثويبِ

ابن الرومي : قد يحثّ الجواد غير بطيءٍ ويهزّ الحسام غير كهامِ

بشار : هززتك لا أني وجدتُك ناسياً لأمري ولا أني أردتُ التقاضِيا
ولكن رأيتُ السيفَ من بعد سلِّهِ الى الهز محتاجاً وإن كان ماضِيا

عذر من سأل لئيا وأخذ منه :

قيل للاعمش : كيف تصنع اذا كان لك الى لئيم حاجة ؟ قال : آتيه كما آتي الحش ؛ ومنه قال الشاعر :

وعند الضرورةِ آتي الكنيفا

المتنبي : غير اختيار قبلت جرك بي والجوعُ يُرضي الاسودَ بالجيفِ

أبو تمام : وخذِ القليلَ مِنَ اللئيمِ اذا أبى أهلُ الكرَم
فالليث يفترسُ الكِلا ب اذا تعذرتِ الغَنَمْ

قال ابن شادان : دخلت مع جماعة من الصوفية على الشبلي رحمه الله فبعث إلى بعض المياسير يسأله ما ينفقه عليهم ، فقال للرسول : قل له يا أبا بكر أنت تعرف الحق ، فلم لا تطلب منه ؟ فقال الشبلي: عد اليه وقل له : الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك ، وأطلب من الحق الحق ، فوجه اليه بمائة دينار.
وفي المثل : خذ من جذع ما أعطاك .

اللطافة في المسألة :

قيل : اللطافة في المسألة أجدى من الوسيلة . قال :

احلبْ لبونَك ابساساً وتمريةً　　لا يقطعُ الدَّر الا عنفُ محتلبهِ

مثله :　وإذاجفوتَ قطعتُ عنكَ وسائلي　　والدر يقطعه جفـاء الحالبِ

تواطأ ابو دلامة مع أم دلامة على ان يأتي هو المهدي فينعيها ، وتأتي على الخيزران فتنعيه . فأتى ابو دلامة المهدي وهو يبكي وأنشد :

وكنّا كزوجٍ من قطاً في مفازةٍ　　لدى خفض عيشٍ مورقٍ ناضرٍ رغدِ
فافردَنا ريبُ الزمانِ بطرفهِ　　ولم نرَ شيئاً قطُّ أوحشَ من فرْدِ

فقال له : ما بالك ؟ فقال : ماتت أم دلامة وإني لأحتاج الى تجهيزها ، فأطلق له مالاً . وأتت أم دلامة الخيزران وقالت : ان أبا دلامة مضى لسبيله . فاغتمت وامرت لها بمال ، واعطتها ثياباً وطيباً . ثم لما دخل المهدي على الخيزران قالت له : ياأمير المؤمنين إن ابا دلامة مضى لسبيله أبقى الله أمير المؤمنين ، وأم دلامة كانت عندي الساعة فأعطيتها التجهيز لزوجها . فقال المهدي : إن أم دلامة مضت لسبيلها ، وكان عندي ابو دلامة الساعة وأعطيته نفقة تجهيزها . فعلما انهما احتالا فضحكا واستدعياهما وخولاهما شيئاً وضحكا منهما . وقال رجل لآخر : لو مت أنا ما كنت تفعل ؟ قال : كنت أكفنك وأدفنك . قال : فاكسني الساعة ما تكفنني به ، واذا مت فادفني عرياناً .

من عرض بسؤاله أو تلطف فيه :

أكل شعبة مع زياد وهو يتأمله ، وكان يأكل أكلا ذريعاً فقال له زياد : كم لك من الولد ؟ فقال : تسع بنات أنا اجمل منهن وهن آكل مني فقال : ما احسن ما استعطيت لهن ، فاثبتهن في العطاء. ساير رجل بعض الولاة فقال له الوالي : ما أهزل برذونك ! فقال : يده مع أيدينا فوصله . عرض عمرو بن الليث عسكره ، فمر به رجل تحته دابة مهزولة فقال : أتأخذون المال وتسمنون به فقاح نسائكم ؟ فقال : ايها الامير لو نظرت الى فقحة امرأتي لوجدتها اهزل من كفل دابتي ! فضحك منه وامر له بزيادة عطائه . وكان لابي الاسود جبة خز قد تقطعت فقال له معاوية : ما مَل لبسها ؟ فقال : رب مملولٍ لا يستطاع فراقه ! فأمر له بمال . قال ابو جعفر الوراق للصاحب : ان جرذان داري يمشين بالعصا هزالاً فقال : بشرهن بمجيء الحنطة : وكان ابو الحسن الوراق قصد سيف الدولة في جملة الشعراء فناوله درجاً يوهم انه شعر له ، فنشره سيف الدولة فقال : ليس فيه شيء مكتوب . فقال : سيدنا يكتب فيه لعبده ! فضحك وأمر له بمال . وقسم عبدالله بن عبيد مالاً بين بنيه فقال له

عبد صغير : فأعطني اوّلاً . فقال له : ولمه ؟ قال لان الله تعالى يقول : المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، فبدأ بالمال وأنا مالك . فأعطاه وقدمه . وسأل اعرابي عبدالملك فقال له : سل الله . فقال : سألته فأحالني عليك . فضحك منه وأعطاه .

المستغني بالسلام عن السؤال :

أمية بن أبي الصلت :

أأذكرُ حاجتي أم قد كفاني حياؤكَ ؟ إن شيمَتك الحياءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يوماً كفاه مِنْ تعرّضِه الثناءُ

ابن الرومي :

يا من اذا التعريضُ صافَحَ نفسَه أغنى العفاةَ به عن التَّصريحِ

آخر : واذا طلبتَ الى كريمٍ حاجةً فلقاؤهُ يكفيكَ والتسليمُ
واذا رآكَ مسلِّماً عرفَ الذي حملتَه وكأنه ملزومُ

الرياشي : وحسبك من تقاضي المرءِ يوماً لحاجتِهِ الزيارةُ والحديثُ

آخر : واذا المجدُ كان عوني على المر ء تقاضيتُه بتركِ التقاضي

المتنبي :

أخفّ سلامي حب ما خفّ عنكُمُ وأسكتُ كيما لا يكون جوابُ
وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانة سكوتي بيانٌ عندها وخطابُ

المتوصل بسؤال حاجة الى أخرى :

في المثل : أعن صبوح تفرقوا .

شاعر : وحاجة دون اخرى قد سجحتُ بها جعلتُها للذي أخفيتُ عنوانا

آخر : وأرضعُ حاجةً بلبان أخرى كذاكَ الحاجُ ترْضعُ باللبانِ

وقيل مرين في خريزة لحاجتين في حاجة . وخيّر رجل بين شيئين فقال : كلاهما وتمرا . وقال بعض الخلفاء لابي دلامة : سل . فقال : كلباً اصيد به . فقال : أعطوه . قال : ودابة اركبها اذا خرجت اصطاد . فقال : اعطوه . قال : وغلاماً يخرج معي اذا ركبت يمسك كلبي . قال : اعطوه .

قال : وجارية تصلح ما اصيده . قال : اعطوه . فقال : كلب ودابة وغلام وجارية لا بد لهم من دار تؤويهم ، ولا بد لهم مما يمونهم . فقال : تقطع له ضيعة . فقال : يا امير المؤمنين اعطني يدك أُقبلها . فقال : دع هذا . فقال : ما منعت عيالي شيئاً أشد فقداً عليهم من هذا .

النهي عن رد الراغب اليك :

قال شريح : من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق ، فان قضاها المسؤول استعبده بها ، وان رده رجع حراً ، وهما ذليلان ، هذا بذل اللؤم وهذا بذل السؤال . وقال سعيد بن العاص : ما رددت احداً عن حاجة الا تبينت العز في قفاه ، والذل في وجهي . وقيل : من قضى حاجة سائله اجتمع معه في العز ، وان حرمه اجتمع معه في الذل .

النهي عن خيبة من اراق ماء وجهه لسؤالك :

من انتجعك مؤملًا فقد أسلفك حسن الظن بك . وأدخل ابن السماك رجلًا الى الفضل بن الربيع فقال : ان هذا بذل لك ماء وجهه فأكرم وجهك عن رده .

أبو تمام :

ما ماء كفّك إن جادت وان بخلتْ من ماء وجهي اذا أفنيته عوض

الحث على استرقاق الأحرار :

العجب لمن يشتري العبيد بالأموال ، ولا يشتري الأحرار بالنوال والافضال . وقيل : ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام ، فأكرمهم تملكهم .

الحث على اصطناع المعروف وان لم يشكر :

ابن عباس رضي الله عنهما : لا يزهدنك في المعروف كفر من كفر فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه .

الحث على اصطناع المعروف وان لم يُسأل :

قيل : لا تلجىء الآمل الى كد المسألة ولا تكلفه خشوع التضرع . وسئل خالد بن يزيد : ما الجود؟ قال : أن تعطي من سألك . فقال ابنه : يا أبت هذا هو الكد إنما الجود أن تعطي من سألك ومن لم يسألك . وقيل لرجل : سل . فقال : إني أكره ان أعطى ثمن السؤال .

محمد بن ابي عمران :

أجرني من ذلّ السؤالِ واعفني فكلّ عزيزٍ في السؤال ذليلُ

العماني : أنت تسقي والربيع ينتظر وخيرُ أنوار الربيعِ ما ابتكر

الحث على تعجيل السؤل :

بعضهم : جعلتُ فداكَ لم أسألك ذاكَ الثوبَ للكفنِ
سألتكه لأَلبسَه وروحي بعدُ في البدنِ

وقيل : أهنأ المعروف أعجله . وقال بعض الناس : اذا أوليتني نعمة فعجلها ، فان النفس مولعة بحب العاجل ، وان الله تعالى قد أخبر عما في نفوسنا ، فقال : كلا بل تحبون العاجلة . وقال مروان ابن ابي حفصة :

فما نحنُ نخشى أن يخيبَ دعاؤُنا لديكَ ولكن أهنأ العرفِ عاجلُه

الحث على تعجيل الرفد أو الرد :

قيل : من الظفر تعجيل اليأس من الحاجة اذا اخطأك قضاؤها . وقيل : السراح من النجاح . وقال بعضهم : أنت ذو أناة أعجز عن الصبر عليها ، فوعد نجيح او يأس مريح . وسأل رجل طائيا فمنعه فقال له : لم تجد جواداً حاتمياً . فقال : ان لم أجد جوده فقد منعت منعه حيث يقول :

أماري فإمّا مانعٌ فمبين واما عطاءٌ لا ينهنهُه الزجرُ

آخر : أرحني بيأسٍ أو بتعجيلِ حاجةٍ فكلتاهما للمرء روحٌ منعمُ
ولا تكُ كالعذراء يومَ نكاحِها اذا استُؤذنت في نفسِها لم تكلَّمِ

وقيل : إن بعض الناس اقام بباب بعض الملوك مدة فلم يحظ منه بشيء ، فكتب أربعة اسطر في رقعة . الاول : الاملُ والضرورةُ أقدماني عليك . الثاني : ليس على العدم صبر . الثالث : الرجوع بلا فائدة شماتة الأعداء . والرابع : إما نعم مثمرة وآمالاً ميئسة ، فكتب تحت كل سطر : زه ! يعطى لكل منها أربعة آلاف درهم .

من سأل وذكر ان النعمة لا تغني في غير وقتها :

البحتري : واعلم بأن الغيثَ ليسَ بنافعٍ للمرء ما لم يأتِ في ابانِهِ

وله : واذا العليلُ أبلَّ مما يشتكي لم يرجُ منه مثوبةَ العوّادِ

وله : يُرجى الطبيبُ لساعةِ الأَوصابِ

سؤال من بعدت داره عن مسؤله :

ابن الرومي :

لا تجشمنَ أهلي إليكَ وفادةً ليعدْ اليهم برّكَ الوفادُ
يسري السحابُ إلى البعيدِ بغيثِه فيظل منهُ وادعاً ويجادُ
ولأنت أولى ان تجودَ لمجدبٍ عفواً ، ولم تشدد له اقتادُ

سؤال من قرب ارتحاله :

بعضهم : جُعلتُ فداكَ قد وجبَ الذمامُ وطال بيَ التلبثُ والمقامُ
وقد أزفَ الرحيلُ الى بلادي فرأيك لا عدمتُك والسلامُ

وقال المتنبي :

لقد نظرتُك حتى حانَ مرتحلي وذا الوداع، فكن أهلاً لما شيتا

من استزاد :

المتنبي : أبا المسك هل في الكأسِ فضلٌ أنالهُ فاني أغني منذ حينٍ وتشربُ ؟
وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسي على مقدار كفّيك تطلبُ
إذا لم تنط بي ضيعةً أو ولايةً فجودكَ يكسوني وشغلك يسلبُ

من سأل وذكر أن مسؤله أهل لذلك :

أحمد بن أبي طاهر :

أتيتُكَ لم أطمع إلى غير مطمعٍ كريم ولم أفزعْ الى غير مفزعِ

علقمة : وفي كلّ شيء قد خبطت بنعمةٍ فحق لناسٍ من نداكَ ذنوب

الحث على اتمام النعمة :

العرف اذا لم يستتم كالبرد ما لم يعلم ، ولا يحسن العرف الا بتمامه ، ولا يروق الهلال الا بتمامه وقيل : اتبع الدلو الرشاء والفرس لجامه . وقيل : تمام الربيع الصيف .

أبو تمام : إن ابتداء العرف مجدٌ سابقٌ والمجدُ كلّ المجدِ في استتمامهِ
هذا الهلالُ يروقُ أبصارَ الورى حُسناً وليس كحسنهِ لتمامه

ابن الرومي :

لا تصنُعَنّ صنيعةً مبتورةً   فإذا اصطنعت إلى الرجالِ فتَمم

لا تطعِمَنّهمُ فتقطعَ عنهمُ   أشبعْ إذا أطعمتَ أو لا تطعمِ

وامر المنتصر وهو أمير الحجاز بشيء فهم الوكيل بمصارفته فقال : والله لصرفي أحسن من مصارفتي. فلم يصارفه . واستحسن في المطالبة بأمر تأخر فاختلت به الحال قول المتنبي :

فان فارقتني أمطارُه   فأكثر غدرانها قد نضبْ

تربية النعمة عند المصطنع اليه :

قال حكيم : ما ربيت غير رجلين : رجل له عندي يد فأخاف كفرانه ، ورجل لي عنده يد فأخاف افساده . وقيل : رب المعروف أشد من ابتدائه . وقيل : الابتداء بالصنيعة نافلة ، وربها فريضة. وقيل : من لم يرب معروفه فكأنما لم يصطنعه .

من رغب الى مسؤله في الجري على العادة في اعطائه :

ابن الحجاج :

نفسي تقي نفسَك ما تشتكي   لمثلِ هـذا اليومِ أعددتُكا

فاجرِ على العادةِ في برّ من   يجري على العادةِ في شكركا

وقال أحمد بن أبي طاهر :

جعلتُ فداَكَ قد أُنسيتَ ذِكري   وقد أسقطتُ من ديوانِ برّك

قال عبيد الله بن عبدالله بن عتبة : ما أحسن الحسنة في أثر السيئة ، وأقبح السيئة في اثر الحسنة ! وأحسن من هذا وأقبح من ذاك الحسنة في اثر الحسنة ، والسيئة في اثر السيئة .

من سأل وذكر أنه يعذر مسؤله ان لم يعطه :

وقف قيس بن خفاف البرجمي على حاتم فقال : إني حملت دماء وعولت فيها على مال وآمال ، فقدمت مالي وكنت من أكبر آمالي ، فكم من حق قضيت وكم من همٍّ كفيت ، وان حال دونك حائل لم أذمم يومك ولم أيأس من غدك . وكتب أبو العيناء إلى ابن أبي دؤاد : مسنا وأهلنا الضر وبضاعتنا المودة والشكر ، فان تعطنا فأنت أهل لذلك ، وان لم تعطنا فلسنا ممن يلمزك في الصدقات، فان أعطوا منها رضوا ، وان لم يعطوا منها اذاً هم يسخطون .

أبو نواس :

فإن تولني منك الجميلَ فأهلُه   وإلا فاني عاذرٌ وشكورُ

ابن الرومي :

وإن عاق القضاء نداكَ عني   فلستُ أراكَ في منعي مليما
وما غيثٌ إذا يجتاز أرضاً   إلى أخرى بمعتدٍ لئيما

من سأل وذكر أنه غير عاذل :

لما دخل الحجاج مكة قال لاهلها : أتيناكم وقد غاض الماء لكثرة النوائب فاعذرونا . فقال رجل: لا عذر الله من عذرك ، وانت أمير المصرين وابن عظيم القريتين . فقال : صدقت ؟ واستقرض مالاً من التجار ففرقه فيهم .

أبو تمام : فلو حاردَت شول عذرتُ لقاحها   ولكن حرمت الدرّ والضرعُ حافلُ

ابن الرومي :

أنى يكون ربيعي ممرعاً غدقاً   إن لم يكن هكذا، والشمسُ في الحمل ؟

البسامي : ولستُ أقول إن قصرتَ فيما   أؤمله : عذرت ، فذاكَ كذبُ !
فكم من مرةٍ قد ضاقَ رزقي   فأنكبني المنى والربُّ ربُّ ؟

النهي عن الاعتذار بالشغل :

اعتذر رئيس الى سائل بقلة فراغه فقال : لابلغني الله يوم فراغك ! فقضى حاجته في الوقت .

أبو علي البصير : لا تصيّر شغلَكَ اليو   مَ اعتذاراً لمطالِك
إنما يحمد ان تفرغ في وقت اشتغالك
لو تفرغتَ مِن الشغل استوينا في المسالِك

من سأل وذكر أن اعطاءه ومنعه يظهران في الورى :

شاعر : بأي الخصلتين عليك أثني ؟ فاني عند منصرفي سؤولُ
أبا الحسنى وليسَ لها ضياءٌ   عليّ فمن يُصدِّق ما أقول ؟
أم السوآى ولستُ لها بأهلٍ   وأنتَ لكلّ مكرمةٍ فعولُ

آخر : ماذا أقول إذا انصرفتُ وقيل لي: ماذا أفدتَ مِن الجوادِ المفضل ؟
فاخترْ لنفسِكَ ما أقولُ فإنني   لا بدَّ مخبرُهم وإن لم أسألِ

الراضي باخذ الطفيف بعد سؤال الكثير :

قال اعرابي لمعاوية : استعملني على البصرة . قال : ما أريد بعاملها بدلا . قال : اقطعني البحرين. قال : ما لي الى ذلك سبيل . قال : فمر لي بألف درهم . فأمر له ، فقيل له : قد أشططت أولاً ثم انحططت آخراً . فقال : لولا طلبي كثيراً ما أعطاني قليلاً . وقال خالد بن عبدالله لاعرابي قال فيه :

أخالدُ بين الحمدِ والأجرِ حاجتي فأيهما تأتي وأنت جواد ؟

سل ما بدا لك . فقال : مائة ألف درهم . قال : أسرفت . قال : ألف درهم . قال خالد ما ادري أمن اسرافك اتعجب أم من حطك ؟ فقال : إني سألتك على قدرك ، فلما أبيت سألت على قدري . فقال : اذاً والله لا تغلبني على معروفي .

ذم طالب كثيراً بعد ان حرم صغيراً :

سأل رجل معاوية شيئاً فمنعه فسأله ما هو اكبر منه فقال معاوية : طلب الابلق العقوق ، فلما لم ينله اراد بيض الانوق وقال :

شر ما رام امرؤ ما لم ينل

ويقاربه : تسألني برامتين سلجما

الحث على أخذ القليل عند تعذر الكثير :

خذ ما طف لك واستطف . خذ ما قطع البطحاء . خذ من جذع ما اعطاك . صيدك لا تحرمه الجحش لما بذل الاعيار .

الحث على اعطاء القليل :

قال الله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . وقال النبي ﷺ : لا يمنعكم من معروف صغره. قال ابن عباس : من حقر حرم . قال :

ما استغربَ الناسُ افضالاً ولا شهروا من حاتم غير جودٍ بالذي يجدُ

وقال عبدالله بن جعفر : لا تستحي من اعطاء القليل فإن المنع اقل منه .

لا تحقرنَّ صغيرَ الخير تفعله فقد يروي غليلَ الحائم الثمدُ

وقيل : زوج من عود خير من قعود .

من حير فتلطف في الاختيار :

مدح مطيع بن اياس معن بن زائدة فقال له : ان اجزناك وان مدحناك . فاستحيا أن يختار الثواب وكره العدول الى المدح فقال :

ثناءٌ من أميرٍ خيرُ كسْب لصا ِ مغنمٍ وأخي ثراء
لٰـكنَّ الزمانَ أطال دائي وما مثلُ الدراهم مِن دواء

وقال بعض الخلفاء لعاف : احتكم فقال : يد امير المؤمنين ابسط من لساني بالمسألة . فاجزل له العطية.

المتنبي : ما لنا في الندى عليكَ اختيارٌ كل ما يمنحُ الشريفُ شريفُ

ودخل اشعري على الرشيد وسأله فقال : احتكم . فقال : اشعري يحتكم بعد أبي موسى . فضحك منه وأجازه .

من سأل وذكر أنه أمر بذلك في المنام :

كتب بعضهم الى أبي سليمان :

رأيتُ في النومِ أني مالكٌ فرساً ولي وصيفٌ وفي كمي دنانيرُ
فقال قومٌ لهم فهمٌ ومعرفةٌ : خيراً رأيتَ وللهال التيـاسير
اقصُصْ منامكَ في دارالامير تجدْ تفسيرَ ذاكَ ، وللأحلام تفسير !

فوقع أبو سليمان : أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ! ودخل اعرابي على ة بالكوفة فقال :

رأيتك في النومِ أطعمتَني قواصرَ من تمرِكَ البـارحه
فقلتُ لصبياننا : أبشروا برؤيا رأيتُ لكم صالحـه !
قواصر تأتيـكم بـكرةً وإلا فتأتيـكم رائحَه
فقل لي : نعم إنهـا حلوة ودع عنك لا أنها مالحه

فأعطاه قوصرة تمر وقال : أ ب أن تتركني من هذه الرؤيا ، فإن رؤيا يوسف صدقت بعد اربعين سنة .

السائل حاجة زعمها صغيرة :

قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما : أتيتك في حاجة صغيرة . فقال : فالحر لا يصغر عن كبير أخيه ولا يكبر عن صغيره . وقال رجل لعمارة : اتيتك في حويجة فقال : اطلب لها رجيلًا . وقال آخر مثله فقال : دعها حتى تكبر .

تأسف من حرمه رزاق :

البحتري : سحابٌ خطاني جوده وهو مسبلٌ وبحرٌ عداني فيضُه وهو مفعمُ
وبدر أضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضعُ رجلي منه أغبرُ مظلمُ
أأشكو نداه بعد أن وسّع الورى ومن ذا يذمُّ الغيثَ إلا مذممُ ؟

منقذ الهلالي :
علامَ أرى من ضروب الغيو ث حولي وأحرم امطارَها ؟

الحسين الخليع :
أنا في ذمّـةِ السحابِ وأظما إنَّ هذا لوصمةٌ في السحابِ

آخر: أيا عجباً لبحر ظل يسقي جميعَ الناسِ لم يبلل لهاتي

من سأل أن لا يؤذى إن لم يعط :

العجاج : يا ليت حظي من نداك الصافي والحظ ان تتركني كفافي

آخر : فان زوى عني الجارُ طلعتَه فلا تصبني بحدي شوكة السعفِ

المتنبي : ليت العهادَ الذي عندي صواعقُه يزيلهنّ الى من عنده الديَم

معاتبة من يقول نذرت أو حلفت أن لا اعطي :

بعضهم :
فقل لأبي عمرو : متى تبلغ العلا ؟ وفي كل معروفٍ عليك يمين

البحتري :
فإن قلت نذر أو يمين تقدمَتْ فأي جوادٍ حلّ في مالِهِ النذرُ ؟

تعريض السائل بمن خيبه :

كتب أبو السائب الى صديق يستميحه ، فاعتل بأنه فقير : ان كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، ان كنت محجوجاً فجعلك الله معذوراً . وتعرضت امرأة للمنصور في طريق مكة فحرمها فأنشدت :

إذا لم يكن فيكنّ ظلٌ ولا جنىً فأبعدَكن اللهُ من سمراتِ

وسأل اعرابي على باب فقال له صبي من الدار : بورك فيك ! فقال له : قبح الله هذا الفم فقد تعلم الشر صغيراً ! ووقف سائل على قوم فقال احدهم : صناعتنا واحدة . فقال القائل : فأنا قواد فهل أنتم قوادون ؟ وكان ابو الاسود يأكل على باب داره تمراً فوقف عليه اعرابي فقال : شيخ هم غابر ماضين ووافد محتاجين ، أكله الفقر وتداوله الدهر . فناوله تمرة فزج بها الاعرابي في وجهه وقال : جعلها الله حظك عنده ، وألجأك الي كما ألجأني اليك ليبلوك بي كما بلاني بك ! وقف فقير على باب المافروحي بالاهواز فأعطوه لقمة صغيرة فقال : هذا الدواء كيف يشرب ؟ وأعطي سائل مبطنة صغيرة فقال : رحم الله من تممها جبة . وينشد في من ينسى حاجتك قول الشاعر :

إذا لم تكنْ حاجاتنا في نفوسنا لاخوانِنـا لم تغنِ عنها الرتائمُ

ونحوه : اذ الموصوفون بنو سهوان . اجتمع يحيى بن زياد وحماد وبشار على طعام ، فوقف سائل بالباب فقال : يا مسلمين . فقال يحيى : فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فقال : ارحموني . فقال حماد : قد رحمناك ! فقال : اسمعوا كلامي . فقال بشار :

لقد أسمَعتَ لو ناديتَ حياً ولكن لا حياةَ لمن تُنادي

سأل متكفف الأصمعي فقال : لا أرتضي لك ما يحضرني . فقال : أنا أرتضيه . فقال : هو بورك فيك . قال :

ألم ترني أبغضتُ ليلى وذكرَها كما أبغضَ المسكينُ: بوركَ فيكا ؟

وقال سائل لعبادة : ارحمني . فقال : قد رحمتك . فقال : تصدق علي . فقال : حاجتين في حاجة لا يكون . سأل رجل متكففاً فقال : الصنعة واحدة . فقال : انا اقود على بنتي وأحمل الكلاب على امي لا شك ان الصنعة واحدة .

حكايات عن متكفف فصيح :

قال المازني : وقف علينا اعرابي فقال : رحم الله امرأ يمج أذنه كلامي ، وقدم معذرة لسوء مقامي ، فان الفقر يدعوني الى اخباركم ، والحياء يمنعني من سؤالكم . فقلت له : ممن الفتى ؟ فقال : ان سوء الاكتساب يمنع من الانتساب . وقف اعرابي على حلقة الحسن البصري فقال : رحم الله امرأ اعطى من سعة وواسى من كفاف وآثر من قوت . فقال الحسن : ما ترك أحداً منكم حتى سأله . وقال الأصمعي : وقفت علينا اعرابية فقالت أتأذنون في الكلام ، فإنه فرج من وساوس الهموم ودليل على ضمائر القلوب ؟ فقال بعضنا : أما بما يحسن به الاستماع في العاجل وتخف به المؤنة في الآجل فنعم . فقالت : اللهم غفراً فإن هذه شريطة لا يتعلق بها الوفاء . قال : فناولتها درهماً . فرفعته الى السماء بين انملها وقالت : اللهم انه قد كان في كيسه متمهداً وفي معاشه متصرفاً فاتجر به اليك ، اللهم فلا تجزه على قدر البضاعة ، ولكن على قدر الصبر على مكروه السؤال . وقالت

اعرابية تتكفف : يا قوم طرائد زمان وفرائد حدثان ولمان وضم ، بذتنا الرجال وانتشر منا الحال ، فهل من مكتسب للأجر او راغب في الذخر ؟ وقالت اعرابية : سنة جردت وحال اجهدت وأيد جمدت ، فرحم الله من رحم . وكان آخر يقول : من حملني على نعلين فكأنما حملني على ناقة .

• • •

ومما جاء في الوعد والانجاز والمطل

ما يحد به الوعد والوعيد والانجاز والخلف :

قيل : الوعد قول الرجل افعل كذا . ويقال في الخير والشر . يقال وعدته خيراً وشراً . واطلاقه بالخير اولى والا يعاد في الشر لا غير . وقيل : يقال أوعدت فلاناً . ومتى ذكرت الشر معه قلت وعدته بلا ألف . والانجاز مطابقة الفعل ما سبق منك من القول ، والخلف هو أن تعد بخير ثم لا تفعل . وقال محمد بن الحسين رضي الله عنه : الخلف ان تعدو من نيتك ان لا تفعل ، فاما اذا وعدت ومن نيتك ان تفعل فليس بخلف . وقال عمر بن عبدالعزيز : اربع اذا قلتها متى وعدت ثم لا تفعل لم تكن مخلفاً : ان شاء الله ولعل وانظر وارجو .

النهي عن التسرع الى الوعد :

قال المهلب : يا بني اياك والسرعة عند المسألة بنعم ، فمدخلها سهل ومخرجها وعر ، واعلم ان لا وان قبحت فربما اروحت ، فاذا سئلت ما قدرت عليه فاطمع ولا توجب ، واذا علمت معذرة فاعتذر، فالاتيان بالعذر الجميل خير من المطل الطويل . وسأل رجل الفضل بن الربيع فقال : اكره ان اقول نعم فأكون ضامناً ، وان اقول لا فأكون ميئساً ، ولكن ننظر فسيسهل الله تعالى .

النهي عن تكثير الوعد :

قيل : من كثر وعده ووعيده اجترأ عليه صديقه وعدوه . وقيل للمهلب : بم سدت ؟ فقال : بايثاري فعل ما أحمد به على بذل الوعد .

الحث على الانجاز أو ترك الوعد :

المثقب : لا تقولَنَّ إذا ما لم ترد أن تتمَّ الوعدَ في شيء : نعم
فاذا قلتَ نعم فاصبرْ لها بنجاحِ الوعدِ إنَّ الخلفَ ذمّ
إنَّ لا بعدَ نعم فاحشةٌ فبِلا فابدأ ، اذا خِفْتَ النَّدمْ
الموسوي: إيّاك ان تسخو بوعدٍ ليس عزمُك أن تفي به

عتب من يعد ويمطل :

لا خير في وعد مبسوط وانجاز مربوط ، وفي وعد يقظان وانجاز وسنان . ذكر اعرابي رجلاً فقال : اوله طمع وآخره يأس ، وما هو إلا كالسراب يخلف من رجاه ويغم من رآه . وقال حكيم : مطل السائل اقبح من مطل الغريم ، لأن الغريم انما يسلف بفضل والكريم لا يسأل الا من جهد . الحر يتقاضى بالوعد نفسه واللئيم يجتهد ان يطيل حبسه .

ابو تمام : إني أخافُ وأرتجي عقباكَ أن   تدعى بموعدِكَ المطولِ الملحفا
هبت رياُحك لي جنوباً سهوة   حتى اذا أورقْتَ صارت خرفا
ما عذرُ من كان النوالُ طبيعةً   في راحتيهِ ان يجودَ تكلُّفا ؟

ابو مسهر الرملي :
فيّ احتشامٌ وفيك تقصيرُ   والصبرُ ما بين ذاكَ تعذيرُ
تقدّمُ القولَ حين تُسأل في الحا   جةِ والفعلُ فيه تأخيرُ

العتابي : لَحسن اعتذار المرء أوقى لعرضه   من الذمّ من توكيدِ وعدٍ يماطله

ذم من يماطل ثم يخلف :

اعرابي : يفتح مواعده بالمطل ثم يختمها بالخلف .

ابو تمام : عداة كريعان السراب إذا بدت   تبشر عن مينٍ وتطوي على مطلِ
آخر : وقد كانَ منّاني ثلاثةَ أشهرٍ   بوعدٍ ووافت بعد ذاكَ معاذِرُهْ

من يحلف على وعده ثم يخلف :

قال بعضهم : فلان يحلف على وعده ثم يخلف ، ويؤلي لك ثم لا يوليك أي يحلف لك ثم لا يعطيك.

شاعر : وليتك لم تحلف لنا حينَ تخلفُ

عبدالرحمن بن معاوية :
ألا لا تحلفَنَّ لنا يميناً   فاكذبُ ما تكون إذا حلفتا

المتنبي : وفي اليمين على ما أنتَ واعدُه   ما دلّ أنك في الميعادِ متهمُ

مطل يتبعه هبة خسيسة :

ابن الرومي :

فلا يك ما تجديه كالبقل خسةً ‏ وكالنخل تأخيراً فما ذاك بالعدلِ

آخر : من الحيفِ تخفيفُ النوالِ ومطله ‏ فعجلْ خسيساً أو فأجلْ موَفرا

وكنْ نخلةً تلوي وتسني عطاءها ‏ وإلا فكن عفصاً أقلَّ وأيسرَا

من لا يتناهى مطله :

وعد ابو الصقر ابا العيناء بشيء فتقاضاه فقال : غداً . فقال له : ان الدهر كله غد فهل عندك وعد يخلو من المعاريض ؟ فقال رجل حاضر : قد استعمل المعاريض قوم صالحون حدثنا فلان عن فلان . فقال ابو العيناء : من هذا الذي يحدث في حرماننا بالاسانيد ؟

ابن الرومي :

أرفه ما أرفه في التقاضي ‏ وليس لديك غيرَ المطلِ نقدُ

إذا إنجاز وعدِك كان وعداً ‏ فيكفيني من الوعدينِ وعدُ

وله : فعلام أمنعُ واجباً ‏ وعلام أمطلُ سرمدا

ابن وهب : كانَ ميعادُه الخميسَ وقد مر خميسٌ لوعدِه وخميسُ

آخر : إلى كم تمنيني بعودٍ وإنما ‏ خرابُ بيوتِ المملقين بعودِ

ابن ابي فنن :

يقول لنا في الجمعة: السبت موعد ‏ وهل جمعةٌ إلا ومن بعدها سبتُ ؟

الخوارزمي :

إذا أضحى فموعدهُ مساءٌ ‏ وإن أمسى فموعدُه ضحاءُ

من خاف أن يموت قبل قضاء حاجته لفرط مطله :

قيل لمزبد : اصبر فالفرج قريب . فقال : اخاف ان يجيء الفرج فلا يراني .

معاوية ابن ابي ايوب :

أعلى الصراطِ تريدُ رعيةَ حرمتي ‏ أم في الحساب تمنّ بالإنعام ؟

ابن الرومي :

طالَ المطالُ متى الوفاء فلا خلو　　دَ فحاجةٌ أو بردُ يأسٍ ينقعُ
واعلم بأني لا أسرّ بحاجـةٍ　　الا وفي عمري بها متمتعُ

آخر : مواعِدٌ منك لا يقضي القضاءُ لها　　أخافُ ان ينقضي من قبلها أجلي

ووعد رجل ابا العيناء دابة فأخرها . فكتب اليه : ان كانت الدابة التي وعدتني بها دابة الأرض فقد مضى خبرها مع منسأة سليمان ، وان كانت دابة الصفا انتظرنا خبرها مع سابق الحاج ، وان كانت من دواب الدنيا فقد جاز عمر وعدك عمر الدواب ، فهيء لي غيرها ، وان كانت دابة تدفعها إلي في الآخرة فان الله تعالى يقول : لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه .

ذم من لا يعد ولا يفي :

قيل : من بذل لك حلو مقاله ومر نواله فهو العدو بعينه ، أحسن العدة واطال المدة . وقيل : لسانه عامر بالوعد وكفه غامر عن الرفد . وأنشد :

علامَ قلتَ نعم حتى إذا وجبت　　أتبعت لا بنعم؟ما هكذا الجود

وقيل لابي العيناء : كيف تركت فلاناً مع قومه ؟ قال : يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً . وقال اعرابي : اما الكلام فما اوسع له فمكم ، واما الفعال فرجلي معه في است أمكم .

ابو الشمقمق :

الصدقُ في أفواههم علقمٌ　　والإفك مثلُ العسل الماذي
وكلهم في بخلِه صادقٌ　　وفي النَّدى ليسَ بأستاذِ

وقال اعرابي ليزيد بن مزيد :

عداتك ريحٌ يا يزيدُ بن مزيدٍ　　وأنت على اسم الله فاختةُ البلد

آخر : بذل الوعـد للاخلاء سمحاً　　وأبى بعد ذاك بـذلَ العطاء
فغدا كالخلافِ يورق للعينِ　　ويأبى الإثمـار كل الاباء

آخر : يا من إذا ما سألناهُ استهلّ لنا　　وان سكتنا يخلي علّة الطلبِ
لولا الثمار التي تركو منافعُها　　ما فضَّل الناسُ تفاحاً على غربِ

آخر : يعدُ الوعـدَ ولكن　　دونـه لمـع السراب

آخر : يبـاري الرياحَ بمثـل الريا　　حِ من كاذباتِ مواعيدِه

تقبل الانجاز :

الصاحب : سأنجز الوعد حتى ترى الطل وابلًا والهلال بدراً كاملًا .

ولو علمت أبناء تغلبَ ما الذي أريد لها ما استعظَمت ما أنيلُها

الحث على انجاز الوعد السابق :

بعضهم : حقيق على من أزهر بقول ان يثمر بفعل . وقف بعضهم على ابي دؤاد فقال :

حتى متى أنا موقوفٌ على وجلٍ بين السبيلين لا وِرْدٌ ولا صدَر ؟

فقضى حاجته . اورقت نعمك فليثمر كرمك . ومما فيه جفوة وغلظة ما أنشده الصاحب عن بعض مجّان بغداد :

أبا أحمدٍ لستَ بالمنصفِ ومثلُك إن قال قولاً يفي

فانجز ، فديتك ، ما قد وعدْت والا هجوتُ وأدخلت في

النعمة المطولة في حكم الممنوعة :

الكندي : كل بر يشوبه كدر المطل حقيق بأن يكون عقوقا

آخر : لا تقضينْ حاجة أثخنتَ صاحبَها بالمطلِ منك فتضحى غيرَ محمودِ

آخر : ليس يستوجبُ شكراً رجلٌ نِلْتَ منه الخيرَ من بعدِ سنه

استقباح مطل قادر :

ابن الرومي :

ألا ليت شعري لمْ مطلتَ مثوبتي ولمْ تؤتَ من بخلٍ ولمْ تؤتَ من عسرٍ ؟

آخر : ما أقبحَ المطلَ من أخي كرمٍ وعيبُ من قلّ عيبُه شنعُ

جحظة البرمكي :

إذا كانت صلاتُكمُ رقاعاً تخطَّط بالانامل والاكفِ

ولم تكن الرقاعُ تجرّ نفعاً فها خطِّي خذوهُ بألفِ ألفِ

العطوي : هذي رقاعُكم بالرفدِ وافدةٌ وليسَ فيها بحمدِ الله توفيرُ

إن كانَ في تضييعِ حرمتنا فليس عندك في التقصير تقصيرُ

الحامد مطل واعده :

ابن الرومي :

ولم يمطِلْ جوادٌ قطْ الا　　أتاك جداؤه ضخمَ السواد
اذا ما حاملٌ جرت بحملٍ　　أجلّت شخصه عند الولادِ

المتنبي : ومن الخير بطء سيبك عني　　أسرعُ السحبِ في المسيرِ الجهامُ

وله : وإن تأخرَ عني بعضُ موعدِه　　فما تأخرُ آمالي ولا تهنُ
هو الوفي ولكني ذكرتُ له　　مودةً فهو يبلوهـا ويمتحنُ

الممدوح بانجاز الوعد :

فلان يعد وعد من يخلف ، وينجز انجاز من يحلف .

أبو تمام : يقول قول الذي ليس الوفاء له　　عزماً ويُنجزُ انجازَ الذي حلفا

وفي المثل : أنجز حر ما وعد . وعد لم يشنه مطل ، ورفد لم يشبه مَنّ ، وبر لم يمازجه ملق وودّ لم يخالطه مذق .

أعمارُ موعدِه قصارٌ تنقضي　　مثلَ العطايا في أكفِّ عداتِه

بشار : كأن حقوقَ الناسِ حين ضمنتَها　　قذى في حقوق العين مني أواربُه

آخر : أعمارُ اعدائِهم إذا قصدوا　　أقصرُ من وعدِهم إذا سُئلوا

الممدوح بانجاز الوعد دون الوعيد :

قيل : ان وعد وفى ، وان أوعد استثنى .

شاعر : واني وإن أوعدته أو وعدتُه　　لمخلفُ إيعادي ومنجزُ موعدي

آخر : وعيدٌ عقيمٌ ووعدٌ ولود

ابن الرومي :

إنَّ خَلْفَ الوعيدِ ليسَ بعارٍ　　إنما العارُ كلُّه خلفُ وعـدِكْ

الممدوح بانجازهما :

ابن هرمة :

إذا ما ابى شيئاً مضى كالذي ابى　　وما قال إني فاعلٌ فهْو فاعلُ

ابو تمام :

قومٌ اذا وعدوا أو أوعدوا غمروا　　صدقاً ذوائبَ ما قالوا بما فعلوا

وقيل : وعد الكريم نقد وتعجيل ، ووعد اللئيم مطل وتعليل .

الموفي بوعيده دون وعده :

يخلف الوعد ويوفي بالوعيد .

ابن طباطبا : وفى بما أوعدني　　وما وفى بما وَعَدْ

وقال آخر :

لها كلّ يومٍ موعدٌ غيرُ ناجزٍ　　ووعدٌ اذا ما رأس حولٍ تخرّما

فإن أوعدت شراً أتى دون وقته　　وإن وعدت خيراً اراثَ وأعتما

المظهر رضاه بالوعد وان لم يتبعه انجاز :

العباس : وإني ليرضيني الذي غيرُه الرضا　　وتقنعُ نفسي بالمواعيدِ والمطل

آخر : هلا تعللني بوعدٍ كاذبٍ

كشاجم: ألا لا أرى شيئاً ألذّ من الوعدِ　　ومن أمل فيه وان كان لايجدي

الموسوي :

وما ضرهم إن لم يجودوا بمقنع　　من النيل، لو منّوا قليلًا وسوفوا

وقال النظام : كنا نلهو بالأماني ونتمثل في هذا الباب بقول المتنبي :

أرِدْ لي جميلًا جدتَ او لم تجُدْ به　　فإنك ما أحببت فيّ أتاني

وقال بعضهم : كان الناس يفعلون ولا يقولون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، والآن ليسوا يقولون ولا يفعلون .

عذر من اخلف وعداً :

سأل رجل أباعمرو بن العلاء حاجة ، فوعده ثم لم ينجزه فقال : أخلفت ! فقال أبو عمرو : فمن اولى بالغم ؟ قال الرجل : أنا . فقال : بل انا لأني وعدتك فأبتَ بفرح الوعد ، وأبتُ بهم الإنجاز ، ثم عاق القدر عن بلوغ الارادة ، فلقيتني مدلا ولقيتك محتشماً .

أحمد بن ابي طاهر :

قد كنتُ انجز دهراً ما وعدت إلى ... أن أتلف الدهر ما جمّعتُ من نشبِ
فان أكن صرتُ في وعدي أخا كذبٍ ... فنصرةُ الصدقِ اوفت بي الى الكذبِ

الحث على المطل :

احمد بن علويه :

إذا شئت أن تُبلي امرأً ببليّةٍ ... وتحرمَه سيبَ العطايا السوابغِ
فعدْه وماطِله فإنـك بالغٌ ... به في الأذى والضرّ اقصى المبالغِ

سهل بن هارون :

إن الضمير اذا سألتك حاجة ... لابي الهذيل خلافَ ما أبدي
فامنحه روحَ اليأسِ ثم امدُدْ له ... حبل الرجاء بمخلفِ الوعـدِ
حتى إذا طالت شقاوة جدّهِ ... بتردّدٍ فاجبَهْهُ بالردِّ

المتبجح بالمطل وخلف الوعد :

ابو نواس :

واشمط ولاج اليّ ورائح ... رجاء نوالٍ لو أعان بجودِ
واني واياك القرينانِ نصطلي ... من المطلِ ناراً غيرَ ذاتِ خمودِ
فإن كنتَ لا عَنْ سوء رأيكِ مقلعاً ... فدونك فاستظهِرْ بنعلِ حديـدِ
فعنديَ مطلٌ لا يطيرُ غرابُه ... عتيدٌ ولا يدعى له بوليـدِ

الصاحب : واللهِ مـا وافى بحقّ قاضِياً ... بل جـاءني لمبرتي متقاضيا
والمالُ في يومي تعذّر وردهُ ... فليحضرنّي إن أرادَ القاضيا

كان محمد بن بشير ولي فارس فأتاه شاعر فمدحه فقال : أحسنت ! وأقبل على كاتبه وقال : أعطه عشرة آلاف درهم ، ففرح الشاعر فقال : اراك قد طار بك الفرح بما أمرت لك ، يا غلام اجعله عشرين الفاً . فلما خرج قال الكاتب : جُعلت فداك ، هذا كان يرضيه اليسير فكيف امرت له بهذا المال ؟ فقال : ويحك وتريد ان تعطيه ذلك ؟ انما قال لنا كذباً سرنا ، وقلنا له كذباً سره ، فما معنى بذل المال ؟ أما قول بقول فنعم واما بذل بقول فمحال .

كثرة مسالة مماطل :

العباس بن الاحنف :

ومتى لا تملّ مطلي فاني مغرمٌ لا أملّ طولَ التقاضي

محمد بن بشير :

اصبرْ لمرّ قضاء الحقِ معترفاً فقد صبرْنا لطولِ الحقّ مذ حين

آخر : أناجزٌ ليَ في ذا العام موعدكم أم موعدٌ هو منظور الى قابل

وقيل : أنفق ما يكون التعب اذا وعد كذاب حريصاً :

ان كانَ ينفعُ رقيةٌ او رقعةٌ فلسوفَ املؤكم رقى ورقاعا

ومن نوادر هذا الفصل : قيل لبعضهم : كيف حالك مع فلان؟ فقال : لا أحصل منه الا على دق الصدر والجبهة ! فقيل : كيف ؟ قال : اذا سألته دق صدره ويقول افعل ، واذا عاودته وتقاضيته دق جبهته ويقول لا قوة الا بالله نسيت ! ويقارب هذا ما حكي عن الفضل عن مرداس انه قيل له : قد تقطع صدر قميصك وركبته دون الباقي . قال : نعم إني اقعد بالباب فيمر بي المارّ فيقول : سل السلطان لي كذا وافعل كذا ، فأدق صدري ايجاباً . ويأتي آخر فيقول مات فلان أو حدث كذا ، فأدق ركبتي اغتماماً .

• • •

ومما جاء في الشفاعات

حث ذي الجاه على الشفاعة لذي الحاجة :

قال الله تعالى : من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها . وقال ﷺ : إن الله يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن ماله وعمره فيقول : جعلت لك جاهاً فهل نصرت به مظلوماً ، أو قمعت به ظالماً ، أو أغثت به مكروباً ؟ وقال ﷺ : افضل الصدقة ان تعين بجاهك من لا جاه له . وقال : الشفاعة زكاة ونصرة اللسان فوق نصرة السنان . وكان زياد يقول لاصحابه : اشفعوا لمن وراءكم فليس كل من اراد السلطان وصل اليه ، ولا كل من وصل استطاع ان يكلمه .

أبو تمام : واذا امرؤٌ اسدى اليَّ صنيعةً   من جاهِهِ فكأنها من ماله

آخر : فُرَضتْ عليَّ زكاةُ ما ملكتْ يدي   وزكاة جاهي أن اعينَ فأشفعا

من سأل غيره يشفع له :

سأل رجل آخر أن يشفع له فقال : صل جناحي فالشفيع جناح الطالب :

ابن الرومي :

ليسَ من كنت ربَّه ببعيدٍ   من سماء يبله ببلالِ

وكذاكَ الكريمُ سائل حاجا   ت سواه ، وليس بالتسآل

ن الحجاج :

يا سيدي كم منيةٍ نلتها   منكَ كما اهوى ، وأخرى بِكا ؟

لولاهما أصبحتُ مستضعفاً   في قبضة الدهرِ ومستهلكا

فامنن بإصلاح اختلالي الذي   اليك مِن شدته المشتَكى

وقال أحمد بن المعدل : قلت لبعض اصدقائي كن شفيعي الى فلان . فقال : أنت لا تحتاج الى شفيع ، معك من الحذاء والسقاء ما تروى بهما الماء ، وتأكل من لب الشجر .

مدح متشفع معط :

مدح اعرابي رجلًا فقال : تهب لي من مالك ، وتستوهب لي بجاهك ، فأنت قليب مرة ورشاء مرة . ومنه اخذ ابو تمام فقال :

ممطولي بالمال والجـاهِ لا ألقاك إلا مستوهباً أو وهوبا
فاذا ما أردتَ كنتَ رشاءً وإذا ما أردتَ كنتَ قليبا

وقيل لشعبة : أفنيت مالك وأخلفت جاهك في حوائج الناس ! فقال : أصونها للتراب

الخبزارزي :

خرقٌ يجودُ بمـالِهِ وبجاهِه والجودُ كلّ الجودِ بذلُ الجاهِ

شفيع مشفع :

الخبزارزي :

شفيعك لو في الروحِ والمال كلِهِ يشفعُ لم يكبرْ له أن يُشفِّعا

آخر : ما تبالي وذا شفيعك لو كنتَ كعـاد في غيّها وثمودِ
ذاك لو كانَ في المعاد شفيعاً رضيَ اللهُ عن جميعِ العبيدِ

مدح شفيع لم يشفع :

اذا الشافعُ استقصى لكَ الجهدَ كله وان لم ينل نجحاً فقد وجبَ الشكرُ

نفي العار عن يعطي بشفاعة :

ابن الرومي :

لن يعيب السحابَ أن تتولّى منه أيدي الرياحِ حلّ العزالى

المتشفع بكرم مسؤله :

قال عبدالله بن جعفر : ان احق من تشفعه من توسل اليك بالأمل .

شاعر : ما لي سواكَ شفيعٌ أستعينُ به الا رجائي وافراديكَ بالأملِ

آخر : ولو ان لي في حاجةٍ ألفَ شافعٍ لما كان فيهم مثلَ جودِكَ شافعُ

جحظة: وما ليَ حقّ واجبٌ غيرَ انني إليكم بكم في حاجتي أتوسّلُ

ابو سعيد الاصبهاني :

قصدتك عارياً من كل منٍّ لكلّ الخلقِ في كلّ المعاني

وقال رجل لجعفر بن يحيى : أمتّ اليك بذمام الامل وحسن الظن ، وادل بقرابة العلم . فقال: ما ذكرت موجب حقاً وعاقد فرضاً ، ورحم العلم أمسّ قرابة والطف ظؤرة .

المتشفع بامرأة :

كان لعبدالله بن الزبير حاجة الى معاوية فلم يجبه ، فاستعان ببعض نسائه فقضى حاجته ، فعير بذلك فقال : اذا تعذرت الامور من اعاليها طلبناها من اسافلها .

البحتري : إذا ما أعالي الامر لم تعطك المنى ... فلا بأسَ باستنجاحِها بالأسافلِ

الهذلي : إذا جئته في حاجةٍ فارْشُ عرسَه ... وأرضِ ابنهَ تستغنِ عن كلّ شافعِ

الفرزدق : أما البنون فقد رُدّتْ شفاعتُهم ... وشفَّعت بنتُ منظور بن زبّانا

ليسَ الشفيعُ الذي يأتيكَ مؤتزِراً ... مثلَ الشفيعِ الذي يأتيكَ عُريانا

كون المحسن محبباً الى المحسن اليه :

فزارى : ولم أرَ كالمعروفِ أما مذاقُه ... فحلوٌ ، وأما وجهه فجميلُ

المتنبي : واحسنُ وجهٍ في الورى وجهُ محسنٍ ... وأيمنُ كفٍّ في الورى كفُّ منعمِ

الموصلي : أرى الناسَ خلانَ الجوادِ ولا أرى ... بخيلًا له في العالمين خليلُ

كون المحسن اليه محبباً الى المحسن :

قيل لبعضهم : أي الناس احب اليك ؟ قال : من اولاني معروفاً . قيل : فان لم يكن ؟ قال : من أوليته معروفاً . وقيل : اكرم الناس من كثرت اياديّ اليه . وقام رجل من مجلس خالد بن عبدالله فقال خالد : إني لابغض هذا الرجل وما له إليّ ذنب . فقال رجل : أوْلهِ خيراً تحببه . فأولاه معروفاً ، فما لبث ان كان من المحظيين عنده . وقال رجل لهشام : ان الله تعالى جعل العطاء محبة والمنع مبغضة فاعنّي على حبك . وقيل للفرزدق : انك لتمدح آل المهلب وتحبهم بعد ان لم تكن على ذلك . فقال : أما علمت ان اعطاء اللها يفتح اللها ويغرس الهوى ؟

حث من آتاه الله نعمة على حفظها باسداء الصنيعة :

قال النبي ﷺ : من اتصلت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه ، فمن لم يحتمل تلك المؤن عرض لزوال تلك النعم ؛ اخذه الشاعر فقال :

من لم يواسِ الناسَ من فضلِه ... عرّضَ للادبارِ اقبالَه

وقيل : اجعل معروفك حرزاً من بداية الغرر وبوادر الغيرَ . وقال خالد بن عبدالله : حوائج الناس اليكم نعم من الله عليكم ، فلا تملوا النعم فتتحول نقماً ، وأفضل الاموال ما اكسب أجراً وأورث ذكراً .

دعبل : قال العواذل: أودى المال؟ قلت: نعم ما بين أجرٍ ألقّاه ومحمدةٍ
أرزاق ربّ لأقوام يقدّرها من حيثُ شاء فيجريهن في هبةٍ

صعوبة الجود في النفوس :

قيل لحاتم : كيف تجد الجود في قلبك ؟ فقال : اني لاجده كما يجده الناس ، ولكن أحمل نفسي على خطط الكرام .

البحتري : وأشقّ الافعالِ أن تهبَ الأنفسُ ما أغلقَتْ عليه الاكفُ
الجريمي : ودون النَّدى في كل قلب ثنيةٌ لها مصعد حُزنٌ ومنحدرٌ سهلُ

كون السماحة كالشجاعة :

قيل : من جاد بماله فقد جاد بنفسه ، وإن لم يجد بها فقد جاد بما لا قوام لها إلا به . ووصف رجل خالد بن عبدالله القسري بالشجاعة فقال بعض من حضره : ان خالداً لم يلق حرباً قط . فقال : الصبر على السخاء أشد من الصبر في الهيجاء . وقال ابن أبي خالد : لا تعدن نفسك شجاعاً حتى تكون جواداً ، فإنك ان لم تقو على ان تقاتل نفسك على البخل لا تقدر على عدوك بالقتل .

ان الجوادَ على بذلِ النَدى البطلُ

وقيل : السخي شجاع القلب ، والبخيل شجاع الوجه . وقال ابو تمام :

واذا رأيت أبا يزيدٍ في الوغا ويـداه تبدي غارةً وتعيدا (؟)
أيقنت ان من السماحِ شجاعةً تدمي، وإن مِن الشجاعةِ جودا
البديهي : واذا اختبرت علمت غير مدافع أنّ السماحَ سجيةُ الأبطالِ

كون البخل منافياً للخصال المحمودة :

قال النبي ﷺ : شر ما في الانسان شح هالع وجبن خالع . وروي عنه ﷺ : أي داء أدوى من البخل ؟ وسمع رجل يقول : الشحيح أغدر من الظالم . فقال : لعن الله الشحيح ولعن الظالم ، فان خصلتين خيرهما الظلم لخصلتا سوء . وقال كسرى لجلسائه : أي شيء اضر ؟ فأجمعوا على الفقر .

فقال : الشح اضر منه لأن الفقر قد ينفرج والشح لا يفارق . وقيل : من ايقن بالخلف جاد بالنشب؛ وذلك من قول النبي ﷺ : منع الموجود سوء الظن بالمعبود ؛ ومن هذا اخذ الفضل بن سهل فيما حكي عنه انه قال : رأيت جملة البخل سوء الظن بالله ، وجملة السخاء حسن الظن بالله . وقال بعضهم:

ذريني فإن البخلَ يا أمَّ هيثمٍ　　لصالحِ أخلاقِ الرجالِ سروقُ

حث القادر على مبادرة اصطناع المعروف :

شاعر : بادرْ بمعروفك آفـاتِه　　فبنية الدنيا عـلى القلعه
وازرعْ زروعاً ترتضي ريعَها　　يوماً فكلٌّ حاصدٌ زرعَه

أحمد بن أبي بكر صاحب خراسان :

أحسنْ فقد أحسنَ الزمان　　وصح منه لـك الضَّمان
بادر باحسانِك الليالي　　فليس من غدرِها أمانُ

محمد بن غالب :

وما اسْطَعْتَ من بذلِ أكرومةٍ　　فـلا يمنعنَّك عنها التواني
فإنكَ في زمنٍ دهرُه　　كيومٍ ودولتُه ساعتانِ

الحث على الاعطاء في العسر واليسر :

قالت امرأة لابنها : اذا رأيت المال مقبلًا فأنفق فانه يحتمل ، واذا رأيته مدبراً فانفق ، فذهابه فيما تريد اجدى من ذهابه في ما لا تريد . قال الشاعر :

لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلةٌ　　فليس ينقصُها التبذيرُ والسرفُ
فان تولّت فاحرى ان تجودَ بها　　فالشكرُ منها إذا ما أدبرَت خلفُ

آخر : لا ينفعُ البخلُ مع دنيا مولّيةٍ　　ولا يضر مع الإقبالِ انفاقُ

الحث على اعطاء فقير يرجى غناه :

عسى سائلٌ ذو حاجةٍ ان منعته　　من اليومِ سؤلاً أن يكونَ له غدُ

آخر : ارفَعْ ضعيفَك لا يسوؤكَ ضعفُه　　يوماً فتدركَه العواقب قد غني

وقال وهب بن منبه : اتخذوا عند المساكين يداً ، فان لهم دولة يوم القيامة .

الحث على سبق الوارث في اعطاء المال وانفاقه :

في الخبر : ان لك في مالك شريكين : الحارث والوارث ، فلا تكن أعجز الثلاثة ؛ أخذه الشاعر فقال :

مالُك للدهرِ غير شك إن لم تبادرْ به استكاثه
أو لنسيب قريب رحم إن متّ أضحى له وراثه
أنفقهُ من قبلِ ذين تغنم ولا تكن أعجزَ الثلاثه !

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : يا بني لا تخلف وراءك شيئاً ، فانما تخلفه لاحد رجلين : رجل عمل فيه بطاعة الله فيسعد بما شقيت به ، ورجل عمل بمعصيته فكنت عوناً له ، وليس احد هذين حقيقاً على ان تؤثره على نفسك .

ابو الشيص :

يقولُ الفتى ثمّرتُ مالي وإنما لوارثه ما ثمّر المالَ كاسبُه
يحاسِبُ فيه نفسَهُ في حياتِه ويتركه نهباً لمن لا يحاسبُه

آخر : إنما ماليَ ما انفقتهُ والذي أتركه للورثة

آخر : أبقيتَ مالكَ ميراثاً لوارثه فليت شعري ما أبقى لكَ المالُ ؟
القومُ بعدكَ في حالٍ تسرّهم فكيفَ بعدهمُ حالت بك الحال ؟

ابو العتاهية :

ومن الحزم أن اكونَ لنفسي قبل موتي فيما ملكتُ وصيًا

النهي عن ادخار المال للاعقاب :

قيل لعمر بن عبدالعزيز : اوص بابنك . فقال : اوصيت به الى من أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . وكان محمد بن كعب أصاب مالاً ، فقيل له : ادخره لولدك من بعدك . فقال : لا والله أدخره لنفسي ، وأدخر ربي لولدي ؛ أخذه محمود فقال :

وقالوا ادخر ما حزته وجمعته لعقبكَ إن الحزم أدنى منَ الرشدِ
فقلتُ سأمضيه لنفسي ذخيرةً وأجعل ربي الذخرَ للأهل والولدِ

الحث على انفاق المال وانه لا يبقى :

حاتم : أماوي إن المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المالِ الاقاويلُ والذكرُ

ثوبة : ومن يُبقِ مالاً عزة وصيانةً فلا الشحّ مبقيهِ ولا الدهرُ وافره

بشار : أخالدُ إن الجودَ يبقى لأهله جمالاً ولا تبقى الكنوزُ على الكدّ

آخر : رأى المال لا يبقى فأبقى بهِ حمدا

قلة الاعتداد بموت من لا ينتفع به :

قيل : من لا يعتد بحياته لم يتوجع لماته .

ابن مقبل :

وأيسرُ مفقودٍ وأهون هالكٍ على الحيّ من لا يبلغ الحي نائله

طيب عيش من عاش غيره في فنائه :

قيل للمغيرة بن شعبة : من أحسن الناس عيشاً ؟ فقال : من عاش غيره في خير عيشه . وقال آخر افضل الناس عيشاً من عاشت الرجال في فضله .

المال لا ينفع من خلفه :

ابو كدوا :

ليسَتْ بباكية ابلي اذا فَقَدَتْ صوتي، ولا وارثي في الحي يبكيني

ضمرة : هل تخمشنْ ابلي عليّ وجوهها أم تعصبنّ رؤسَها بسلابِ ؟

حاتم : أماوي ما يغني الثراءُ عن الفتى اذا حشرجَتْ يوماً وضاق بها الصدر

المال لا يقي من الموت :

حاتم : أعاذلُ إن الجودَ ليسَ بمهلكي ولا يخلد النفسَ الشحيحة لؤمُها

وقال سوادة :

ذريني فإن البخلَ لا يخلد الفتى ولا يهلك المعروف من هو فاعله

المخبل : إني وجدّكَ ما تخلّدني مائة يطير عفاؤها ادم

قلة نفع المال ما لم ينفق :

هبيرة السلولي :

وما الفرق بين المالِ لولا امتهانهُ وبين الحصى المجموعِ او كثب الرملِ ؟

المتبجح بانفاق ماله لتصور مماته :

بعضهم : ولقد علمتُ لتأتينّ عشيةٌ لا بعْدَها خوفٌ عليّ ولا عدمْ
وأزور بيتَ الحقّ زورةَ ماكثٍ فعلامَ أحفل ما تقوّضَ وانهدم ؟
فلأَتركنّ الساملين حياضَهم ولأَحبسنّ على مكارميَ النعمْ

وكتب روح الى خالد بن عبدالله القسري يحثه على الامساك ، فأجابه وقال : خوفتني مما يجوز كونه والسلامة منه ، ونهيتني عن فعل ما أوجب الحق ، وما أنا ممن يترك ما اوجبه الحق لما خوف منه ظن .

من لا يكفّه قول العذال عن انفاق المال :

أبو أسد :

أرادت لتثني الفيض عن عادةِ الندى ومن ذا الذي يثني السحابَ عن القطرِ ؟

المتنبي : وما ثناكَ كلامُ الناسِ عن كرمٍ ومن يسدُّ طريقَ العارضِ الهطلِ

آخر : فنفسَكِ ولّي اللومَ عاذلَ وانطحي برأسِك إن كان الصفا وذريني

من عادته البذل :

يقال انه لما مات حاتم تشبه به أخوه فقالت له امه : لا تتعبن فيما لا تناله . فقال : وما يمنعني وقد كان شقيقي واخي من امي وابي ؟ فقالت : اني لما ولدته كنت كلما ارضعته أبى ان يرضع حتى آتيه بمن يشاركه فيرضع الثدي الآخر ، وكنتَ اذا ارضعتك ودخل صبي بكيت حتى يخرج .

شاعر : يلام أبو الفضلِ في جودهِ وهل يملك البحرُ ان لا يفيضا

آخر : باتت تلومُ وتلحاني على خلقٍ عودته عادةً والخيرُ تعويدُ

آخر : وإني امرؤٌ عوّدت نفسي عـادةً وكل امرىء جارٍ على ما تعوّدا

الموسوي :

دعي عذلي فليس العذلُ يجنى به ما أثمرَت شيمي وعـادي

آخر : إذا كنتَ شمساً نورُها من طباعِها فكيف بأن نلقاكَ غيرَ منير ؟

من لا يترك عادته في الجود وان دفع الى ضيق :

كانت اخت حاتم سخية لا تبقي شيئاً ، فحظر عليها اخوتها وحبسوها حتى ذاقت طعم الجوع والفقر ، فظنوا أنها قد وجدت ألم الضيق والفقر ، فأطلقوها ودفعوا اليها صرمة ، فأتتها سائلة فقالت : دونك الصرمة لقد عضني من الجوع ما لا أمنع بعده سائلًا ابداً ثم أنشأت :

لعمري لقدماً عضني الدهرُ عضةً فآليتُ أن لا أمنع الدهر جائعا

آخر : وإن مسَّه الاقواء والجهدُ زاده سماحاً واتلافاً لما كان في اليد

ولما اسنّ ابن جذعان أخذ بنو تيم على يده ، فكان اذا أتاه سائل يقول : ادن مني ! فيلطمه ويقول : اطلب من قومي قصاص لطمتي ولا ترض بدون كذا . فيفعل فترضيه بنو تيم .

سلم : وكل فخرٍ اذا فاخرتَ مطرحٌ وكل جودٍ اذا ما جدتَ مغمورُ

المتنبي : يغمر ضحضاحه غمرات الاجواد وتستر نفحاته بحور الامجـاد

وله : وهبَ الملوكَ وسدتَهم بمواهبٍ درُ الملوكِ لدرّها اغبـارُ

وله : وإن جـادَ قبلَك قومٌ مضوا فإنك في الكرمِ الاولُ

من فضل في الجود على الورى :

قال الشاعر :

لو أدركَ العصرُ من كعبٍ ومن هرمٍ وحاتم جودَ كفيه لما ذُكروا

الغساني :

لو أن عينَ زهيرٍ أبصرت حسناً ، وكيف يصنع في أمواله الكرم ؟

إذاً لقال زهير حين يُبصرُه : هذا الجوادُ على العِلاّت لا هرم !

الفرزدق : لو أن كعباً او حاتماً نُشرا كانا جميعاً في بعض ما يهب !

من لو قسط جوده على الورى لجادوا :

منصور بن الفقيه :

لو أن ما فيه من جودٍ يوزُعــه   على الخلائقِ عادوا كلُّهم سمحا

ابن الرومي :

خلائقُ لو فضت على الناسِ كلهم   محاسنها لم يبق في الارض مشتمُ

من يحاكي بعطائه القطر والبحر :

كأن فيض يديه قبل مسألة   بابُ السماء اذا ما بالحيا انفتَحا

ابن الرومي :

وأنت كالبحر لا كفاء له   في بعد غورٍ وقرب مغترفِ

احر :   وما الغيث إلا مثلَ كفِّكَ في المحل

آخر :   أغنيتَ ما أغنى المطر

الغساني : مطرَتْ أناملُ راحتيه فوائداً   هانت علينا بعدها الأمطـار

بشار :   إذا القطر لم يغزر علينا سماؤه   بأرض وثقنا من سمائك بالغزر

من سماؤه تقطر المال :

ابو نواس :   كل يومٍ له عـليّ سماءٌ   ثرةٌ تستهلّ بالعقيانِ

سلم الخاسر :

وفي يديه سماء غير مقلعــةٍ   بالجودِ صوبُ عزاليها الدنانيرُ

من فضل على البحار والسحاب :

الغساني : قوم اذا مطرتْ سماءُ نوالِهم   ذم الأنامُ سحائبَ الأمطارِ

آخر :   البحرُ يغرقُ في بحور سخائه

علي بن الجهم :

ولو قرنتْ بالبحرِ سبعةُ أبحرٍ   لما بلغتْ جدوى أناملِه العشرِ

المتنبي : ولما تلقَّاكَ السحابُ بصوْبه تلقاه أعلى منه كعباً وأكرمُ

من يستحي منه السحاب ويحسده :

الاموي : يجود فتستحي السحابُ اذا رأت نداه ، وتخطيه الغيوثُ المواطرُ

التنوخي : اذا انبسطتْ بالمكرماتِ أكفُّهم رأيت الحيا من سيبهن قد استحيا

آخر : ويحسدُ كفيه ثقالُ الغمائمِ

المهين لماله :

ابن هرمة :

يداه يمينانِ لم تجمدا ولم تأخذا عادةَ الاشمل

آخر : انا الرجلُ الذي كلتا يديه يمينٌ في صروفِ النائبات

الباذل بكلتا يديه :

ابن الرومي :

ولم أرَ مالا جاره مثل عزهم يروح ويغدو وهو نهبٌ مقسَّمُ

آخر : وليسَ لمالي دون حقّ كريمة يعز وما فيه علي كريمُ

المتنبي : ويحتقرُ الدنيا احتقارَ مجربٍ يرى كل ما فيها وحاشاكَ فانيا

بكر بن النطاح :

فتىً شقيَتْ أموالُه بسماحةٍ كما شقيَتْ قيسٌ بارماحِ تغلبِ

من لا يرى الاعطاء حتما :

بشار : كأنَّ لهم ديناً عليه وما لهم سوى جودِ كفيهِ عليه حقوقُ

أبو تمام : ترى ماله نصب المعالي فاوجبت عليه زكاة الجودِ ما ليس واجبا

من يبسط الآمال :

أبو تمام : ألبستني حلَلَ الغنى فلبستُها وجعلتُ آمالي لهنّ ذيولا

وله : ويحكّمُ الآمالَ في الأموالِ

البحتري : ثنى أملي فاختاره عن معاشر يبيتون ، والآمالُ فيهم مطامعُ

المتلقي سؤاله بطلاقة وجهه :

قيل : بسط الوجه يقوم مقام البذل . وقال النبي ﷺ : انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق . وفي كتب الفرس : لأن تلقى الاحرار بالبشاشة وبحرموا أحسن من ان يلقوا بالفظاظة ويعطوا فانظر الى خلة أفسدت مثل الجود فاجتنبها ، والى خلة عفت عن مثل البخل فالزمها .

أحمد بن ابي فنن :

بسطتُ لهوجهاً طليقاً إلى الندى وشرُّ الوجوهِ ما يعبِّسه البخلُ

وقال كاتب : لما سألته تهلل واهتز هز المهند ، وابتسم ابتسام الروض عن زهره .

بشار : وتأخذُه عِند المكارمِ هزةٌ كما اهتز تحت البارحِ الغصنُ الرطبُ

آخر : وليس بسعَّالٍ اذا سيل حاجةً ولا بمكبٍّ في ثرى الأرض ينكثُ

وقال اعرابي : سألت فلاناً فما عبس ولا خنس ولا حبس . وقيل لآخر : أحسن من أريحية الباذل .

من آثار آلائه ظاهرة :

سلم الخاسر :

لنعمانَ آثارٌ علينـا مبينة كما بينت آثار غيبٍ مسائله

أبو تمام : وصنيعةٍ لك قد كتمتُ جزيلَها فابى تضوعها الذي لا يكتمُ

مثله لابي نواس: نحنُ نُخفيهـا ويأبى طيبُ ريح فيفوحُ

من اخذ مواهبه بزين :

بعضهم : لذا أعطى القليلَ فتى شريفٌ فإن قليلَ ما يعطيه زينُ
وان تكن العطيةُ من دنيء فإن كثيرها عارٌ وشينُ

احمد بن ثور :

فضع الزيارةَ حيثُ لا يزري بهـا كرمُ المزورِ ولا يخيبُ الزور

من هو هش العود :

وريّقٌ عودِهم أبداً رطيبٌ إذا ما اغبر عيدانُ اللئامِ

آخر : ألم يكُ رطباً يعصرُ القومُ ماءه وما عودُه للكاسرين بيابسِ

الخصيب الفناء :

قال بعضهم لعاف : نزلت بواد ممطور وفناء معمور ، فحط رحلك فقد صادفت اهلك .

الحطيئة : إذا نزلوا بمحلٍ روّضوه بآثارٍ كآثار الغيومِ

ابن الرومي : أنختُ بحيثُ تبيضّ الأيادي وتسودّ المطابخُ والبرامُ

من علم الناس الجود وأعداهم حسن صنيعه :

قال بعض الاعراب : قدم علينا الحكم بن المخزومي ولا مال لنا فأغنانا عن آخرنا فقلت له : كيف ؟ فقال : علمنا مكارم الاخلاق ، فعاد أغنياؤنا على فقرائنا ، فصرنا كلنا أجواداً . وكان عبدالله بن العباس يسمى معلم الجود لسخائه ، وحثه على ذلك قولاً وفعلاً قال شاعر متمثلاً معاتباً لصاحبه :

فلو كُنت تطلبُ شأوَ الكرام فعلتَ كفعل ابي البحتري

تتبعَ إخوانه في البلادِ فأغنى المقل عن المكثرِ

ابن الرومي :

حبّبَتْ كفُّه النوالَ إلى النا س جميعاً ، وكانَ غيرَ حبيبِ

وقصد ابو العريان بعض الأكابر فكساه وأولاه مالاً ، فخرج ووزع على اصحابه ، وقال :

لمستُ بكفِّي كفَّه أبتغِي الغنى ولم أدر أنّ الجودَ من كفِّه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأفسَدَ ما عِندي

من الجود عبده ورقيقه :

قصد اعرابي خالد بن يزيد فقال : اني امتدحتك ببيتين فهل تسمعها ؟ فقال : إن أحسنت فنعم ولك ثواب ، فأنشد :

سألتُ النَّدى والجودَ : حران أنتما ؟ فقالا جميعاً : إننـا لعبيـدُ

فقلت : ومن مولاكما ؟ فتطاولا جميعاً وقالا : خالد ويزيد !

فاهتز طرباً لهما وأمر له بصلة سنية .

دعبل : الجودُ يعلمُ اني منذ عاهدني ما خنتُ

من سكن الجود كفيه :

وصف رجل آخر فقال : الجود معتكف عليه ، والفضل مقترن بكفيه . وقال آخر :

كفه بالجودِ سائلة وبالمعروف شائلة

مسلم : هانتِ الدنيا عليــهِ فهي نهبي في يديه
يصبحُ الجودُ ويمسي عاكفاً في راحتيــهِ

من حل بحاوله الجود :

ابو نواس :

فما جازه جودٌ ولا حلّ دونه ولكنْ يسير الجودُ حيث يسيرُ

نصيب : وان خليلَيْك السماحةَ والندى مقيمان بالمعروف ما كنت توجدُ

أشجع :

وان وجودَ الجودِ في كل بلدةٍ إذا لم يكنْ يحيي بها لغريبُ

المعطي قبل أن يسأل :

قيل : أكرم الناس معطي من لا يرجوه ولا يعفوه . وقيل : فلان دواء الفقر ، ان سئل عطى وان لم يسأل ابتدأ . وقال خالد بن يزيد لابنه : السخاء أن تعطي كل من سأل . فقال : ما ت هذا هو الكد ، السخاء أن تعطي قبل ان تُسأل . وقال مسلم بن قتيبة : اني لأعجز عن مكافأة من رآني لحاجته أهلاً ، فقال ابو عطاء : أيها الامير فاجعل فضلك ابتداء حتى ترفع عن نفسك ثقل المكافأة .

مسلم : أعطاكَ قبلَ سؤالِهِ فكفاكَ مكروهَ السؤالِ

ابو علي البصير :

كفاني ولم استكفِه متبرعاً فتى غيرُ ممنونِ العطاء ولا نزرُ

البلادري : نالني معروفُه مبتدئــاً وكفاني جودُه أن أسأله

البحتري : مواهب ما تجشمنا السؤالَ لها إن الغمامَ قليب ليس يحتفرُ

أبو تمام : أعطى ونطفة وجهي في قرارتِها تصونُها الوجنات الغضةُ القشبُ
لا يكرم الظفر المعطى وان حصلت به الرغائبُ حتى يكرمَ الطلبُ

من يكتفي في سؤاله بالتعريض :

ابن الرومي :

يا من اذا التعريضُ صافحَ سمعَه   أغنى العفاةَ به عن التصريحِ

المتنبي : ومثلكَ من كان الوسيط فؤاده   فكلّمه عني ولم أتكلمِ

المغني سائله عن سؤال غيره :

سئل بعض الادباء عن جعفر بن يحيى بعد ما قتل فقال : تركني مقطوع الآمال ، زاهداً بعده في طلب الاموال .

ابن الرومي في معناه :

سألتك إغنائي عن الناسِ كلهم   فأغنيتَني عنهم وعنك جميعا

أبو تمام : لم يـدَعني وفي يميني فضلٌ   لندى غيره ولا في شمالي

ابن نباتة : لم يبقِ جودُكَ لي شيئاً أُؤملهُ   تركتني أصحبُ الدنيا بلا أملِ

عابدة المهلبية :

بحمدِكَ لا بحمد الناس أضحى   وكيلي ليس يقنعُه وكيلُ

وكانوا كلّما كالوا وَزَنّـا   فصاروا كلّما وزنوا نكيلُ

وكنت وناقص وزني فأضحى   مفاعيلن مفاعيلن فعول

من يصير سائله مسؤلا بما يعطيه :

مدح اعرابي رجلًا فقال : يعود عليه المجتدي مجدياً ، ومستعطي رفده معطياً ، والمنتجع منه منتجعاً .

أبو تمام : وكم لحظة أهديتها لابن نكبةٍ   فأصبح منها ذا عفاةٍ ونائلِ

وله : وما يلحظُ العافي جداكَ مؤمِّلًا   سوى لحظةٍ حتى يؤوب مؤمّلا

من لا يرد سائله :

قال اعرابي في مدح رجل : لم ينظر قط الى المحروم . قال ابن خارجة : لا ارد سائلًا فانما هو كريم أسد خلته او لئيم أشتري عرضي منه .

أبو علي البصير :

فتى لا يفيدُ المال إلا لبذله ولا يتلقى صفحةَ الحقّ بالعذرِ

حاتم : أماوي إني لا أقول لسائل اذا جاء يوماً : حل في ما لنا نذرُ

وقال النمر بن تولب :

ولا رحلي بمخزونٍ عليه إذا جاري استعار ، ولا ردائي

المحقق رجاء آمليه :

قضى رجل حاجة اعرابي فقال : وضعتني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك .

ابو تمام :

رجعت المنى خضراء تثني غصونَها علينا وأطلقْتَ الرجاء مكبّلا

وله : همّ سرى ثم أضحى همّه أمما راجت رجاء ، وباتت وهي في نشب

الخوارزمي :

كنا وردْنا وكلنا أملٌ ثم صدرْنا وكلنا نِعمُ

البحتري : ولئن كفيت مهمّها فلمثلها أعددتُ مِثلك

من لا يقطع نواله عمن غضب عليه :

كان العباس بن محمد يجري على رجل شيئاً فغضب عليه ، وكان ابنه كتب اطلاقات رفعت اليه ، فترك اسم المغضوب عليه فقال : فأين ذكر رزق فلان ؟ فقال : انك قد كنت غضبت عليه ! فقال : يا بني غضبي لا يسقط هبتي ، إن أباك لا يغضب في النوال . وسئل بعض الصوفيين : لم وصف الله تعالى بخير الرازقين ؟ فقال : لانه اذا كفر لا يقطع رزقه . وكان محمد بن سليمان يجري على رجل شيئاً فغضب عليه فقطعه ، ثم رضي عنه فرده فأبى الرجل أن يقبله ، وقال : إني كنت اظن ان اعطاءه مكرمة ، فأما وقد صار غضبه يقطعه فلا حاجة لي فيه .

من عطاؤه لا ينقطع :

الأعشى : وليس عطاء اليوم مانعَه غدا

ابن الرومي :

نوالك كالسيلِ المسهِّل بعضُه لبعضٍ طريقَ الجري في السهلِ والوعرِ

آخر : كلما عدنا لنائلهِ افترنا جودَه جذعا

آخر : وما كان نفعُك لي مرةً ولا مرتين، ولكن مرارا

الحطيئة :

وما أجم المعروف من طول كره وأمري بأفعال النَّدى وافتعالها

المتجنب لفظ المنع :

قال بعضهم : فلان خلقت نعم للسانه قبل ان خلق لسانه ، فاجتنب لا ولزم نعم !

لبيد : وبنو الديانِ أعداء لِلَا وعلى أَلسنهم ذلّتْ نعم

وأنشد عبدالرحمن الكندي :

لو قيل للعباس : يا ابن محمد قل لا وأنتَ مخلّد، ما قالها !

فقال : ليس يجب ان يقول الانسان في كل شيء نعم، وكان الوجه أن يستثنى ثم قال :

هجرت في القولِ لا ، إلا لنائبةٍ تكونُ أولى بلا في اللفظ لا بنعمِ

ويستحسن قول الآخر :

لا فرق في ناطقٍ بالشركِ عندهم وناطق في جواب السائلينَ بلا

العتبى : ما قالَ لا إلا لعُـذّالِهِ وهو بها عن سائلٍ أعجم

من هو مقصد العفاة :

قيل : أطيب الناس عيشاً من كثرت عفاته ، وعاش الناس في كنفه . وقيل : فلان داره مجمع عفاته ومربع عطياته .

ابو نواس :

ترى الناسَ أفواجاً على بابِ داره كأنّهما رجلا دبى وجرادِ

وهب الهمداني :

فتى دارُه معمورةٌ بعفاتِه ومجلسُه بالمكرماتِ منجدُ

أشجع : على بابِ ابن منصور علاماتٌ مِنَ البذلِ

جماعاتُ وحسبُ البـا ب فضلًا كثرةُ الأهلِ !

بشار : يطوفُ العفاةُ بأبوابه كطوف الحجيجِ ببيت الحرَم

البديهي : وللجود حسنٌ أيّ وقتٍ بذلتَه وأحسنُه ما كان في زَمنِ المحلِ

باعث رفده الى تارك قصده :

قال الحجاج يوماً : قل عفاتنا . فقال رجل : أصلح الله الامير ! إنك اكثرت خـير البيوت فاستغنى الناس بما يصل اليهم عن الترحال . فسر الحجاج وقال : بارك الله فيك ، وأحسن اليه . أنشد مروان بن أبي حفصة قول الشاعر :

إذا جئتُ أعطاني وإن أنا لم أجىء أتاني من جدواه ما كنتُ أرتجي

فقال مروان : قد قلت أحسن من هذا . بعث الي عبدالله بن طاهر عشرين الفاً فقلت فيه :

لعمري لنعمَ الغيثُ غيثٌ أصابَنا ببغداد من أرضِ الجزيرة وابلهُ

ونعمَ الفتى والبيدُ بيني وبينَه بعشرينَ ألفاً صبحَتْنا رسائلُه

ابن الرومي : ويشركُ أدنى الأَرض في صوبهِ القصوى

آخر : لا أشتكي البدرَ على بعدِه لقد أضاءَت ليَ آفاقُه

عمارة : لعمركَ ما النائي البعيدُ بنازح إذا قربتْ ألطافه ونوائِلُه

وما ضرّنا ان السماكَ محلّق بعيدٌ اذا جادت علينا هواطِلُه

من اعطى الغني والفقير :

روي في الخبر : أعطوا السائل ولو جاء على فرس . وقال ﷺ : كل معروف صدقة لغني او فقير . وقيل لبعضهم : ما الجود ؟ فقال : ان تعطي الغني والفقير ولا تخص . ولاحمد بن ابي طاهر :

ونداه مثلُ الغيثِ جادَ لمجدبٍ وعرٍ وحلّ على المحل الممرعِ

المتنبي : ويدلها كرمُ الغمام لأَنها تسقي العمارة والمكانَ البلقعا

المستشهد على فرط جوده بعفاته وزمانه :

الحطيم : وإن تلقَ ندماني تخبرْكَ أنني وكاء لكيسٍ لم أعد منه بالفقرِ

ديك الجن :

سلا، هل كمجدي او كفخري لفاخرٍ وعندكما من قبل ان تسألا خبر ؟

المتوكل الليثي :

فإن يسأل اللهُ الشهودَ شهادةً   تنبي جمادَى عنكمُ والمحرمُ
بأنكما خيرُ الحجازِ وأهله   اذا جعل المعطى يملّ ويسأمُ

من يباري الرياح :

عبدالله بن ابي السمط :

أعطى أبو دلفٍ والريحُ عاصفةٌ   حتى إذا وقفَتْ أعطى ولم يقفِ

آخر : يكلون الرياح إذا تبارت   ويمتثلونَ أفعالَ السحابِ

المعطي بلا شفاعة :

ابن الرومي :

النائلُ المعطي بغيرِ وسيلةٍ   كالماء مغترفاً بغير رشاء

آخر : أفردته برجائي أن يشاركَني   فيه الوسائل أو ألقاه بالكتبِ

من شارك في ماله عفاته :

ابن الرومي :

وامدحْ فتى حظُّه منٌّ ومأثرةٌ   كحظ ناظرنا من وجهِ الحسنِ

أبو تمام : لو كنت شاهدَ بذلِه لشهدتَه   لعداتِه أو شركة في مالِه

من لا يبقي مالاً :

كأنّ عليه أن يفرّقَ مالَه   أليّة مبرورِ الأليّةِ محترز

المتنبي : عجباً له حفظَ العنانَ بأنملٍ   ما حفظُها الاشياءَ من عادتها

وله : لو كان ضوءُ الشمسِ في يدهِ   أضاعهُ جودُه وأفناهُ

آخر : يقولُ أناسٌ : لو جمعت دراهماً   وكيفَ ولم أخلق لجمع الدراهمِ ؟
أبى الله إلا أن تكونَ دراهمي   مدى الدهر نهبى بين عافٍ وغانمِ

اعرابي : حسن الحديث ضعيف خيط الدرهم

من لا تجب عليه زكاة لانفاقه ماله :

قال بكر بن النطاح :

وما وجبَتْ علي زكاةُ مالٍ   وهل تجبُ الزكاةُ على الفقيرِ ؟

رجل من بني عذرة :

واللهِ ما بلغَتْ للجودِ ماشيتي   حدَّ الزكاةِ ولا إبلي ولا مالي

من ماله معد للبذل :

البحتري : فتىً لا يريدُ الوفر إلا ذخيرةً   لمأثرة تردادُ أو مغرمٍ يعرو

علي بن الجهم :

ولا يجمعُ الأموالَ إلا لبذلِها   كما لا يساقُ الهدي إلا الى النحرِ

من لا يبخل بروحه ولا ماله لو سئل :

مدح رجل آخر فقال : كيسه محلول وماله مبذول ، يطعمك نفسه ان أكلتها ، ويسقيك روحه ان شربتها ؛ ومنه اخذ بعض بني غطفان :

ولو لم أجـد لنزيلي قرى   قطعتُ له بعضَ أطرافيه

بكر بن النطاح :

ولو لم يكنْ في كفهِ غيرُ روحِه   لجادَ بهـا فليتقِ اللهَ سائلُه !

الكميت :

وتبتذلُ النفسَ المصونةَ نفسُه   إذا ما رأى حقاً عليهِ ابتذالَها

وقال أبو هفان في معناه وان كان في وصف الضيافة :

ولو نزلَ الأضيافُ ليلةَ لا قرى   لأطعمتُهم لحمي وأسقيتُهم دمي

ابن نباتة : وحكمني حتّى لو انّي سألتُه   شبابي، وقد ولّى به الشيبُ، ردّه

المنخدع المتباله في ابتذال ماله :

قيل : الكريم هو المنخدع عن ماله حتى يحكم فيه الطمع ، ويستعمل في ماله الخدع . وقيل لبعضهم : ما الشرف ؟ فقال : الانخداع عن المال . ولا تجد احداً يتغافل عن ماله الا وجدت له في قلبه فضيلة لا تقدر على دفعها ، وقد أدبنا نبينا ﷺ بقوله : رحم الله سهل البيع سهل الشراء .

وهذا خلاف قول الناس : المغبون غير محمود ولا مأجور . وقد قال ﷺ : ألا ادلكم على شيء يحبه الله ورسوله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : التغابن للضعيف .

شاعر : ممن يغر على الثناء فيمدحه

البحتري : وإذا خادعتَه عن مالِه عرفَ المسلكَ فيه فانخدع

وله : وقد يتغابى المرءُ في عظمِ مالِه ومن تحت برديه المغيرةُ أو عمرُو

وله : إذا معشرٌ صانوا السماحَ تعسفَتْ بهِ همةٌ مجنونةٌ في ابتـذالِه

وتخطى ابو تمام ذلك حتى استقبح قوله فقال :

ما زال يهذي بالمكارم والعلى حتى ظننّـا أنه محمومُ

والهذيان والحمى مستقبح ذكرهما في المدح . المنذر الغساني يوصي ابنه : آمرك بالذل في نفسك والانخداع في مالك .

من عيبه افراطه في الجود :

فتى كمُلت أخلاقُه غيرَ أنهُ جوادٌ فلا يبقي من المالِ باقيا

كشاجم : ما فيهمُ عيبٌ سوى الإفراط في الجودِ فقط

ابو هفان : عيبُ بني مخلدٍ سماحتهم وأنهم يتلفونَ ما ملكوا

وقيل للحسن بن سهل وقد كثر عطاؤه على اختلاف حاله : ليس في السرف خير . فقال : ليس في الخير سرف ! وقال المأمون لمحمد بن عباد : انك متلاف . فقال : منع الجود سوء الظن بالمعبود . وفي الزهد اخبار من ذلك .

الساتر عطيته :

روي ان علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ملك اربعة دراهم ، فتصدق بدرهم ليلًا ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سراً ، وبدرهم علانية ، فنزل فيه قوله تعالى : الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية (الآية) .

المتنبي : ستروا النَّدى سترَ الغرابِ سفاده فبدا ، وهل يخفى الربابُ الهاطلُ ؟

ووصف اعرابي رجلًا فقال : اذا أعطي شكر ، واذا اعطى ستر .

المسرور بما يعطيه :

لما دخل الفضل بن يحيى الرقة قال لوكلائه : أحصوا منزل من يغنيه الف درهم . فأحصوا ثلاثمائة منزل فوجه اليهم ثلاثمائة الف درهم ثم وضع له الطعام فقال : ما أكلت طعاماً أهنأ منه اليوم ، وقد علمت أني اغنيت ثلاثمائة بيت .

أبو تمام :

لو يعلمُ العافونَ كم لكَ في الندى   من لذةٍ وقريحـةٍ لم تحمدِ

زهير : تراه إذا مـا جئتَه متهلـلاً   كأنك تعطيه الذي أنتَ سائله

الأعشى :

يرى البخلَ مرًّا والعطاء كأنمـا   يلذّ به عذباً من الماء باردا

ابو تمام :

ونغمة معتفٍ يرجوه أحلى   على أذنيهِ من نغمِ السّماعِ

وقال معاوية يوماً لجلسائه : ما بقي من لذاتكم ؟ فقالوا : ضروب من القول . فقال ذلك لوردان مولى عمر . فقال : النظر في وجه كريم أصابته من دهره جائحة فاصطنعت اليه . فقال معاوية : أنا أحق بهذه منك . فقال : احق بها من سبق اليها وأنت اقدر عليها فافعل . ودخل هشام بن عروة على المنصور فشكا اليه ديناً فأعطاه عشرة آلاف درهم فقال : يا امير المؤمنين ، روي عن النبي ﷺ انه قال : من اعطى عطية وهو طيب النفس بورك للمعطي والمعطى منها ، أفنفسك طيبة بها ؟ قال : نعم .

من اشتغاله بالعطاء :

بعضهم: فتى لا تراه الدهرَ إلا ونفسه   تجودُ بخيرٍ أو تهُم بخيرِ

آخر : لا يعدّ المال إلا وهبـا

دعبل : يَعدّ ما أنفقَ مِن مالِه   غنماً وما وفّره غُرْماً

وله : فتى لا يرى المالَ إلا العطاء   ولا الكنزَ إلا اعتقالَ المِنن

من لا يعد ماله الا ما وهبه :

قال النبي ﷺ : افضل الصدقة جهد من مقل . وقال بعض الصوفية : ليس السخاء ان تعطي الواجد العادم ، انما السخاء ان تعطي العادم الواجد .

شاعر : إذا تكرمْتَ أن تعطي القليلَ ولم تقدرْ على سعةٍ لم يظهرِ الجودُ
بثَّ النوالَ ولا يمنعْك قلتُه فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمودُ

آخر : ليس العطاء من الفضول سماً حتى تجودَ وما لديكَ قليلُ

وقيل : لم يحرم من قصد له :

من يكثر العطاء وان قل ماله :

ابن هرمة :

وينالُ بالمالِ القليلِ تبرعي فخماً يضيقُ بها ذراعُ المكثرِ

العرندس :

ولم يكُ أكثر الفتيانِ مالاً ولكنْ كان أرحبَهم ذِراعا

آخر : ما كان عاراً اذ ضيفٌ تضيَّفني ما كان عندي اذا اعطيتُ مجهودي
جهدُ المقلِّ إذا أعطاكَ نائلهُ ومكثر من غنى سيانِ في الجودِ

وقال معن بن زائدة : طلبني المنصور فهربت منه متنكراً ، فلقيني أسود فتعلق بي وقال : انت طلبة أمير المؤمنين . فقلت : اتق الله فاني غريب . فقال : دعني من هذا . فقلت : إنك إن أتيته بي لا تنتفع منه بكثير نفع ، فدونك هذه الجواهر فقيمتها ألوف دنانير . فقال : دعني من ذا ، أنت موصوف بالجود هل أعطيت مالك كله او نصفه او ثلثه ؟ فقلت : لا . فقال : أنا مشاهرتي كل شهر عشرون درهماً ومالي على ظهر الارض ما قيمته مائة درهم ، وها أنا قد وهبت لك هذه الجواهر ، ووهبتك لنفسك لتعلم أن لله عباداً أسخى منك ! ففارقته وأنا بعد في طلبه .

من أعطى الكثير لمن يرضيه القليل :

سوى حجّام شارب الحسن فأعطاه درهمين ، فقيل : إنه كان يكتفي بدانق . فقال : لا تدنقوا يدنق عليكم . ومر يزيد بن المهلب بأعرابي في خروجه من السجن فسأله شيئاً فقال لغلامه : ما معك ؟ قال : مائة دينار . فقال : اعطه . فقال الغلام : هذا يرضيه اليسير . فقال : أنا لا يرضيني إلا الكثير . قال : انه لا يعرفك . قال : أنا أعرف نفسي . وأثنى اعرابي على رجل فقال : ما زال يعطيني حتى ظننت أنه يودعني ، وما ضاع مال أورث حمداً .

المحكم سائله في ماله :

التنوخي :

إن جاءهم سائلٌ يبغي نوالهمُ أعطَوه من مالِهم ما شاء واقترحا

ابن نباتة: وحكّمني حتى لو اني سألتُه   شبابي، وقد ولى به الشيب، رده

ودخل الغافري على الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال : اني عصيت رسول الله ﷺ . قال : بئس ما صنعت ! كيف ؟ قال : لأن النبي ﷺ قال : لا يفلح قوم ملكت امرهم امرأة ، وقد ملكت علي امرأتي ، امرتني ان اشتري عبداً فاشتريته فأبق مني . فقال : اختر احدى ثلاث ان شئت فثمن عبد فقال : قف ههنا ولا تتجاوزه فقد اخترته فأعطاه ذلك .

من جاد بالعرض دون العرض :

ابو سراعة :   عرض مصون وتراد

ابن الرومي :

قريب النوال بعيدُ المنال   ومسكنهُ شرفٌ ممتنعْ
كمثل السحاب نأى شخصُه   ولم ينأ منـه صبيب همعْ

يعقوب التمار :

حمى أعراَضه ضناً وشحّاً   وصيّر مالَهُ نهباً مُباحـا

الصائن عرضه بماله :

قيل : فلان منع الناس من عرضه بما نشر عليهم من فضله .

آخر :   خيرُ العروض وقايةُ الأعراضِ

آخر: ومن أنال المالَ صان الجاها

احمد بن ابي طاهر :

العرضُ ليس يصونُه مالٌ إذا   ما المالُ عند حقوقِه لم يبـذلِ

آخر : لا يقي بالاحسانِ مالاً ولكن   يجعلُ المالَ جُنَّةَ الإحسانِ

المبتاع الحمد بالمال :

ذهابُ المـالِ في حمدٍ وأجرٍ   ذهابٌ لا يقالُ له ذهابُ

مجنون : وما اشتريتُ بمالٍ قطُّ مكرَمةً   إلا تيقنتُ أني غيرُ مغبونِ

وفرق علي بن موسى الرضى ماله بخراسان كله في يوم عرفة فقال له الفضل بن سهل : ما هذا المغرم ؟ فقال : بل هو المغنم ، لا تعدن مغرماً ما ابتعت به أجراً وكرماً !

من يعطي طوعاً ويتأبى خسفاً :

خبر الدهقان الذي طالبه بالمال قد تقدم في خبر السلاطين . وقيل : فلان لا يسمح بالغلب ولا يدر على الغضب .

معن بن اوس :

ونأبى فلا نعطي على الخسف درةً مبساً ولكنْ بالتوددِ نختل

البحتري :

حرونٌ اذا عازرتَه في ملمةٍ وإن جئته من جانبِ الذلّ أصحبا

المتنبي : وأنتمُ فئةٌ تسخو نفوسكمُ بما يهونُ ولا تسخون بالسلبِ

اعطاء المستحق وغيره والشاكر والكافر :

قيل : لإن أخطىء باذلاً أحبّ الي من أن أصيب مانعاً . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره ؛ فانه يشكرك عليه من لم يصطنع اليه . قال بعضهم :

يدُ المعروفِ غنمٌ حيثُ كانت تضمَّنها كفورٌ أو شكورُ

فعِند الشاكرينَ له جزاءٌ وعند اللهِ ما كفرَ الكفورُ

محمود : سأمنحُ مالي كلّ من جاء عافِيا وأجعلُه فرضاً على الفرضِ والفرضِ

فإما كريمٌ صنتُ بالجودِ عرضَه وإما لئيم صنتُ عن لؤمِه عرضي

آخر : لا يذهب العرف بين الله والناس

الحث على منع اللئام ومن يستضر باعطائه :

قيل في التوراة مكتوب : من صنع معروفاً الى غير أهله كتب له خطيئة . وقال بزرجمهر : المصطنع الى اللئيم كمن طوق الخنزير تبراً ، وقرط الكلب دراً ، وألبس الحمار وشياً ؛ وألقم الحية شهداً . وقيل : من أشبع لئيماً فقد ضرى عدواً عاتياً وسبعاً عادياً . وقيل : اللئيم يزداد بالعرف خبالا كما يزداد المريض من كثرة الطعام وبالاً .

ابو بجيلة :

متى تَسْدُ معروفاً الى غيرِ أهلِه رُزئتَ ولم تظفرْ بحمدٍ ولا أجرِ

آخر : ومَنْ يصنعِ المعروفَ في غيرِ أهلِه يلاقي كما لاقى مجيرُ امّ عامرِ

آخر : هم سمّنوا كلباً فأتلف بعضَهم ولو أخذوا بالحزم ما سمَّنوا كلبا

آخر : ليس في منع غير ذي الحق بخل

من لا يبخل في حق يلزمه ولا يسرف فيا يخوله :

قيل للمنبوذ : انك بخيل . فقال : ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل . وقيل لفيلسوف : متى يكون قليل النوال موفياً على الكثير ؟ فقال : اذا كان قليله في الحقوق وكثيره في الاسراف . وقيل لمعاوية : ما الجود ؟ فقال : اصابة موضع البذل والمنع . وقيل : السخاء ان تأخذ الشيء من حل وتضعه في حق .

الراعي : فلست إن نابني حق بمنتكر فيه ولا برم يعيى به السبل

الممدوح بمنع العطاء غير مستحقه :

إذا المال لم يوجبْ عليك عطاؤه صنيعةَ تقوى أو خليل تخالقه
منعتَ، وبعضُ المنع عزمٌ وقوةٌ ولم يبتذلكَ المالَ إلا حقائقه

المشارك ذويه في ما يملكه ويحويه :

صادف رجل موسراً يصحبه معسر فسأل الموسر عن صاحبه فقال : هو اخي . فقال له : ولم أنت غني وهو فقير أما سمعت قول عبدالله بن معاوية :

وإذا أصبتَ من القوافلِ رغبةً فامنحْ عشيرتك الاداني فضلَها

وأحسن بقول الآخر :

بدا حين أثرى بإخوانه فقلّل منهم شياةَ العدَمْ
وعرّفه الحزمَ صرفُ الدهور فبادر بالعرفِ قبلَ الندَمْ

عمرو بن الاطنابة :

كريمٌ رأى الإقلال عاراً فلم يزل أخا طلبٍ للمال حتى تموّلا
فلما أفاد المال عادَ بفضلِه على كل مَنْ يرجو جداهُ مؤمّلا

ابو عمر القاضي :

وتركي مواساة الأخلاء بالذي تحوزُ يدي ظلمٌ لهم وعقوقُ

وقيل : لا تعدن غنياً من لم يكن غناه مشتركاً .

الاعطاء في حال السكر والصحو :

لما كان السكر قد يذر البخيل كريماً ، كرهوا مدح المرء بأنه يسخو في حال السكر فغضوا من قول عمرو :

إذا ما الماء خالطَها سخينا

واستجادوا قول امرىء القيس :

ينال جودكَ في صحوٍ وفي سكر

وقد استجيد قول زهير :

أخو ثقةٍ لا يهلكُ الخمرُ مالَه ولكنَّه قد يهلِكُ المال نائله

أي ليس ممن يعطي لسكره ولكن يعطي لسخائه . وقيل : ليس ينفق مـــاله في شرب الخمر ولكنه في البذل .

البحتري :

تكرمتَ من قبلِ الكؤوس عليهمُ فما اسطَعْنَ ان يحدثْنَ فيكَ تكرّما

المتنبي : لا تجد الخمر في مكارمه إذا انتشا خلةً تلافاها

عذر سخي بخل في بعض الاحوال :

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما لرجل سأله شيئاً فلم يمكنه : لو أمكنني لكان الحظ فيه لنا دونك ، فان حرمنا شكرك فلا تحرمنا سعة عذرك . قصد رجل الحسن بن سهل في حالة عسره ، فاستماحه فلم ينل منه مطلبه فعاتبه فقال الحسن :

الجود طبعي ولكنْ ليس لي مالُ وكيفَ يسمحُ مَن بالدّين يحتال ؟

وشيمتي في العطايا لا ترايلني وليسَ ما أشتهي يأتي به المالُ

واستبطأ دعبل أبا دلف فبعث اليه دنانير وكتب معها :

أعجلتَنا فأتاكَ عاجلُ برّنا قلاً ولو أمهلتَنا لم تقللِ

فخذ القليلَ وكنْ كأنك لم تسل ونكونُ نحن كأننا لم نسألِ

ومدح البحتري طاهر بن محمد فبعث اليه دنانير وكتب معها بأبيات منها :

والشريفُ الظريفُ يسمحُ بالعذ رِ اذا قصَّر الصديقُ المقلُّ

فكتب اليه البحتري :

وإذا ما جزيت شعراً بشعرٍ   يبلغ الحقّ فالدنـانيرُ فضلُ

دخل بعض الطالبيين على اسحق الموصلي فأطال الجلوس ، فلما خف الناس كلمه في حاجة فقال : ما الى ذلك سبيل . فسكت قليلاً ثم عاوده فقال له كذلك ، فقال :

لا ييئسنَّك من كريمٍ نبوةٌ   ينبو الفتى ، وهو الجواد الخضرمُ

فاذا أبى فاستبقِه وتأنَّـه   حتى يفيء به الطباعُ الاكرمُ

فاهتز لكلامه وقال : قد عاد الطباع الاكرم ، وخوله . وفي المثل : بيتي يبخل لا انا . وقال والٍ لرجل كان يكثر سؤاله : دع الضرع يدر لغيرك كما در لك . ووقع عبدالحميد في رقعـة مستميح كان قد بره مراراً : قد نفد ما عندنا لمثلك فارغب الى من لا ينفد ما عنده .

عذر من اعطى قليلاً :

أتى رجل زياد بن أبي سفيان سائلاً فأعطاه درهماً فقال : صاحب العراقين يعطيني درهماً ؟ فقال : ان من بيده خزائن السموات والأرض ربما رزق أخص عبيده التمرة واللقمة ، وما يكثر عندي ان أصل رجلاً بمائة الف درهم ، ولا يصغر ان اعطي سائلاً رغيفاً اذا كان رب العالمين يفعل ذلك . ورفع حشم جعفر بن يحيى اليه قصة يستزيدونه أرزاقهم ، فقال لعمرو بن مسعدة فكتب اليه : قليل دائم خير من كثير منقطع . فقال جعفر : أي وزير بين جنبيه ؟

عذر من افقره الجود :

قصد جماعة ابن هرمة فخرجت بنية له فاعتذرت فقالوا : أليس ابوك الذي يقول :

لا أمنع العود بالفصال ، ولا   أبتاعُ إلا قريبةَ الأجل

فقالت : نعم هذه العادة منه تركتكم بلا قرى .

جحظة : جاء الشتاء وما عندي له ورقٌ   فيما عددتُ ولا عندي له خِلعُ

كانت فبدّدها جودٌ ولعتُ به   وللمساكينِ أيضاً بالندى ولعُ

ابو الشمقمق :

الجودُ أفلسهم وغيّر حالَهم   واليومَ إن سُئِلوا النوالَ تمحَّلوا

وسأل رجل آخر شيئاً فاعتذر اليه فقال السائل : العذر الصادق مع النية الجميلة يقومان مقام النجح .

أنواع مختلفة من باب الجود :

ابن الرومي :

يعطي وينمي اللهُ أمواله   والبحرُ لا ينضبُـه النزح

ومما روي في الخبر : ان لله ملائكة تنادي كل صباح ومساء : اللهم اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً .

البحتري فيمن سامحه بخراجه :

وكنتُ اذا ما رمتُ عندكَ حاجةً   على كندِ الأيامِ هانَ علاجُها

فلِمْ لا أغـالي بالضياع وقد دنا   عليّ مداها واستقامَ اعوجاجُهـا

إذا كان لي تربيعُها واغتلالُها   وكان عليه عشرُها وخراجُهـا ؟

وقال شرحبيل للرشيد : أعطني عطية تشبهك أو تشبهني . فقال : فوقك ودوني ؛ فأولاه مالاً . والعطايا تختلف اسماؤها : فالحذياء للمبشر ، والحـــذية للعدل ، والبسلة للراقي ، والحلوان للكاهن ، والنشوع للساحر ، والزبد للدلال ، والشبو للنكاح ، والعزيو ثمن المرعى ، والجعل للشرط .

• • •

ومما جاء في البخل بالاموال

حقيقة البخل :

سئل الحسن رضي الله عنه عن البخل فقال : هو ان يرى الرجل ما انفقه سرفاً وما امسكه شرفاً . وقال آخر : البخل جلباب المسكنة . وقيل للاحنف : ما اللؤم ؟ فقال . الاستفضال على الملهوف . فقيل : وما الجود ؟ فقال : الاحتيال للمعروف .

ذم البخل وتعظيمه على كل الذنوب :

قيل لابليس : من احب الناس اليك ؟ فقال : عابد بخيل . قيل : فمن ابغض الناس اليك ؟ قال : فاسق سخي فينجيه سخاؤه . وقيل : من بخل بمال في واجب ذهب ضعفه في باطل . وقيل : السخي حر لانه يملك بماله ، والبخيل لا يستحق اسم الحرية لانه يملكه ماله . وقال بشر بن مروان : لو ان أهل البخل لم ينلهم من بخلهم إلا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عجيباً . وقيل : أعجب ما في البخيل انه يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء .

شاعر :   إن البخيلَ فقيرٌ غير مأجورِ

الديسق اليربوعي :

اذا ذو المالِ ضنّ بما لديهِ   وأشفقَ فهو محتاجٌ فقيرُ

كثرة البخل وقلة الجود في الناس :

لما قال أبو العتاهية :

اطرحْ بطرفك حيثُ شئت فلن ترى إلاّ بخيلا

قيل له : بخلت الناس كلهم . فقال : كذبوني بواحد !

كشاجم : اجتنب الناسُ طريقَ النَّدى   كأنّما قد أنبتَ العوسَجا

وهذا مأخوذ من قول بعضهم وقد سمع رجلا يقول : تجنب الناس طريق الندى ؛ فقال : ذاك طريق نبت فيه العوسج .

ببغا : أكلّ وميضِ بارقةٍ كذوبُ   أما في الدهر شيءٌ لا يريب ؟
وشاع البخلُ في الاشياء حتى   يكادُ يشحّ بالريحِ الهبوبُ
فكيف أخصّ باسمِ العيبِ شيئاً   وأكثرُ ما أشاهده معيبُ ؟

ابن نباتة : كيفَ السبيلُ إلى الغني   والبخلُ عند الناسِ فطنَة ؟

معاتبة من يرجو لئيماً :

قيل : من أمل فاجراً فأدنى عقوبته أن يحرمه . وسأل اعرابي رجلا فحرمه فقال له اخوه : نزلت بواد غير ممطور ورجل غير مسرور ، فارتحل بندم او أقم بعدم . ذم العباس بن الحسين بعض الوزراء فقال : الذليل من اعتز بك ، والخائف من اعتزى اليك ، والفقير من أمّلك ، وقيل : كدمت غير مكدم نفخت لو تنفخ في فحم ، هيهات تضرب في حديد بارد . وقال رجل : اني اقصد فلاناً راجياً نداه ، فقال له صاحبه :

ترجو النَّدى من اناء قلّما ارتشحا   كالمستذيبِ لشحمِ الكلبِ من ذَنبهِ

أبو العتاهية :

وان من يرتجي نَداك كمَن   يحلبُ تيساً من شهوةِ اللبنِ

بعضهم :

أمِن دارِ الكلابِ ترومُ عظماً ؟   لقد حدّثتَ نفسَك بالمحالِ

اسمعيل القراطيسي :

لقد أحللتُ حاجاتي بوادٍ غير ذي زرعِ

وقال ابو تمام :

ومالِيَ من ذنبٍ إلى الرزق حلتُه سوى أملي إياكمُ للعظائمِ

ونحوه : سجدْنا للقرودِ رجاء دنيا حوتْها دوننا أيدي القرود

فما بلَّتْ أناملُنا بشيءٍ علمناه سوى ذلِّ السجودِ

المتنبي : تظن ابتساماتي رجاءً وغبطةً وما أنا الا ضاحكٌ من رجائيا

من لا ينال خيره ولا يرجى فضله :

قال الصاحب بن زرارة في أخيه صاعد : هو والله ليس برطب فيعصر ولا بيابس فيكسر ، ما عنده خل ولا خمر ، سواء هو والعدم . وكان عبدالملك يقال له رشح الحجر لبخله . وشاتم اعرابي رجلًا فقال : انكم لتقصرون العطاء ، وتعيرون النساء ، وتبيعون الماء ! ما عنده فائدة ولا عائدة ولا رأي جميل ولا اكرام دخيل . وقالت امرأة لزوجها : والله ما يقيم الفأر في دارك إلا حب الوطن . وقيل في رجل : بئس منتجع المجدب .

شاعر : وبحر السرابِ يفوتُ الطلاب فقلْ في طلابك جئنا به

المتنبي : ولا يدرّ على مرعاكمُ اللبنُ

ابو هفان :

سواء اذا ما زرتهم في ملمةٍ أزرتهمُ أم زرت مَن في المقابر !

وقيل لأبي العيناء : كيف وجدت فلاناً لما قصدته ؟ قال : وجدته لا يعود اليه حر ! وقصد رجل سلطاناً فلما رجع قيل له : ما ولاك ؟ فقال : ولاني قفاه وأولاني منعه وحماني نفعه .

من تأبى نفسه السماحة :

شاعر : يعالج نفساً بينَ جنبيهِ كزةً اذا همّ بالمعروفِ قالت له: مهلا !

آخر : كأنما يعطيك مِن بصره

سعيد بن عبدالرحمن :

أبى لك فعلَ الخيرِ رأيٌ مقصرٌ ونفسٌ أضاق الله بالخير باعَها
اذا هي حثته على الخيرِ مرةً عصاها ، وإن همّتْ بشر أطاعها

المتلقي سائله بلفظ المنع :

قيل : فلان مشجب من اي النواحي أتيته وجدت لا . وقال عمرو بن عبيد لرجل قد اكثر من لا : أيها الرجل أقل من لا فليس في الجنة لا . قال اعرابي : وجدت فلاناً اخرس بنعم فصيحاً بلا .

بخيل متكبر :

قال النبي ﷺ : خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق . قال خلف الاحمر :

إناسٌ تائهون لهم رواءٌ تغيم سماؤهم من غيرِ وبْلِ

وقيل : رب صلف تحته راعدة .

وقال :

أتجمعُ بخلًا فاحشاً وتكبراً وما جرّ ذماً كالتكبرِ والبخلِ
فلو كان عفى البخلَ منك تواضعٌ أو الكبرَ جودٌ كنت مِن ذاك في وعلِ

وقد تقدم بعض ذلك في الكبر .

من عادته البخل :

قيل لثمامة : أي الناس ابخل ؟ فقال : لم أر الديكة في بلد إلا وتأخذ بمناقيرها ما تلتقطه فتلقيه قدام الدجاج إلا ديكة مرو ، فانها تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحبوب ، فعلمت ان البخل في طباعهم . وقال بعضهم : من لم يأت الخير صغيراً لم يأته كبيراً . أما سمعت قول الشاعر :

إذا المرءُ أعيَتــه المروءةُ ناشئاً فمطلبُها كهلًا عليهِ شديدُ

ابن العميد : البخل مستحسنٌ في شيمة الخوز

ذم من لا يعطي الا على الخسف :

قال أبو نعامة : جل الناس لا ترشح انامله إلا بعسف وعنف . هذا محمد بن علي بن عصمة صرت اليه أطواراً اقتضيه ، فكان بعد ويماطل ، فأتيته يوماً فقلت : أتسمع بيتاً حضر ؟ قال : هات

فقلت : محمد بن علي بن عصمة بن عصام

فقال : هذه نسبتنا . فقلت :

جليــل فضلٍ كريم من أهل بيتٍ كرامِ

فقال : أحسنت ! فقلت : أتسمع بيتاً أم تنجز الوعد ؟ فقال : غداً فقلت : فاسمع :

لكنه مستهـامٌ بأخذ أيرِ الغلامِ !

فقال : آه آه ! ويلك يا غلام ، أعطه وأرحنا منه .

بعضهم : العبد لا يطلبُ العلاء ولا يعطيك شيئا إلا إذا رَهبا

مثل الحمـارِ الموقع الظهرِ لا يحسنُ مشياً الا اذا ضُربا

آخر : رأيتك مثل الجوزِ يمنعُ خيره صحيحاً ويُعطي نفعَه حين يكسرُ

شاعر : صاحبٌ لي ليس فيــه خصلةٌ أشكرهـا له

سمجـاً شخصاً ومخبو راً وتفصيـلًا وجملَـة

ومريداً مَن جفـاه ومهينـاً مَن أذلّه !

بخيل أعطي عطية لطمع :

قيل لاعرابي : أعطاك فلان ؟ فقال : نعم أعطاني طلب الثواب ، وصانع المعروف لعاجل الجزاء كملقي الحب للطير ليصيده به لا لينفعه ، ومن هنا أخذ المتنبي تعريضاً بكافور :

ومَن قـد ظنّ نثر الحبِّ جوداً وينصبُ تحتَ ما نثر الشّباكا

المصطنع الى الارازل دون الافاضل :

ابن الرومي :

تنبهَ للانـذال يرفـعُ أمرهم وأصبح عن أهل المروءةِ ساهيا

آخر : صنائعهُ لدى الانذا لِ تنبي أنه سفلَه

آخر : وابن اللئيمةِ للئامِ وهوبُ

بخيل متشبه بالاسخياء :

كان لبعض الموسرين اخ لا يواسيه فقيل له : لو واسيت أخاك كان أشبه بك من هذا البخل الذي استشعرته ، فقال : والله ما أنا ببخيل ، لو ملكت ألف ألف لوهبت له الساعة خمسمائة درهم ، ثم التفت الى القوم فقال : يا قوم رجل يهب لأخيه في مجلس واحد خمسمائة درهم يقال له بخيل ؟ قالوا : لا والله أنت أجود من يمشي على قدم !

جحظة : ومخرق يصف السما ح ونفسُه نفسٌ بخيلَة

وقيل للماجشون : كيف رأيت أهل العراق ؟ فقال :

ما شئتَ من رجلٍ بخيلٍ يأوي الى عرضٍ دخيلِ
يأتي الجميـلَ بقولِهِ وفعالُه غيرُ الجميلِ

المتعجب من بخيل سمح وقتاً بطفيف :

تعجبتُ لما ابتدا بالجميـل وما كانَ يعرفُ فعلَ الجميلْ
فأطلع لي كوكباً كالسهى قليلَ الضياء سريعَ الأفول
وما كان إعطـاؤهُ سودداً ولكنها غلطةٌ من بخيل

قال الخليل بن أحمد في سليمان وقد ذكر له انسان أنه جاءه فأعطاه شيئاً :

وخصلةٍ يكثرُ الشيطانُ إن ذُكرت منها التعجبَ جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخيرٍ جاء من يدهِ فكوكبُ النحس يسقي الأرضَ أحيانا

أبو تمام : ربما أمكنت جناها السحوق

الموسوي: ومبخل أعطى القليلَ وربمـا سمحَت حروفُ التاء للتمتامِ

من اعطى للتهور :

شاعر :

لا تمدَحنْ حسناً في الجودِ ان مطرَت كفاهُ يوماً ولا تذممه إن رزمـا
فليسَ يبخلُ ابقـاءً على نشبٍ ولن يجود بفضل المالِ معتزمـا
لكنها خطراتٌ من وساوسه يعطي ويمنعُ لا بخلاً ولا كرماً

رد عطية خسيسة :

قصد اعرابي أبا الغمر فسأله ، فأعطاه درهمين فردهما اليه ثم قال :

رددتُ لبحرٍ درهميــه ولم يكن ... ليدفع عني فاقتي درهما عمرو
فقلت لبحر : خذهما واصطرفهما ... وأنفقهما في غير حمدٍ ولا أجر !
أتمنع سؤّالَ العشيرةِ بعدما ... تسميتَ بحراً، واكتنيت أبا الغمر

وكان ربيعة مدح العباس بن محمد بقوله :

لو قيلَ للعباس : يا ابن محمــد ... قل لا ، وأنت مخلد ، ما قالها

فأعطاه بعد مطل كثير دينارين ، فوهب ربيعة ذلك لصاحب دواته وقال : خذ هذه الرقعة وأوصلها وكتب فيها :

مدحتُكَ مدحةَ السيف المحلّى ... لتجري في الكلامِ كما جريتُ
فهبها مدحة ذهبَتْ ضياعــاً ... كذبتُ عليك فيها وافتريتُ

وصف غني لا يعطي ولا ينفق :

قيل : فلان سمين المال مهزول النوال . وقيل : بطر الدعة بخيل السعة . وقيل لجعفر بن محمد : ان منصوراً لا يلبس منذ صارت الخلافة اليه إلا الخشن ولا يأكل إلا الخشن . فقال : ويحه مع ما يكون له من السلطان وجبي له من الأموال ؟ قالوا انما يفعل ذلك بخلاً . فرفع يده الى السماء فقال : الحمد لله الذي حرمه من دنياه ما ترك من أجله دينه . وقيل : انه كان اعد اثني عشر الف عدل من الثياب ، فأخرج يوماً ثوب خز وقال : يا ربيع اقطع منه جبة لي وقلنسوة ، وبخل أن يأتي بثوب آخر . فلما أفضت الخلافة الى المهدي أنهبها الغلمان .

البسامي : لقد أوتيتَ من ملك عظيمٍ ... فما آتيتَ انساناً فقيرا
آخر : ولو يكون على الخزان يملكهُ ... لم يسق ذا غلةٍ من مائه الجاري
آخر : ألا ليت شعري آل خاقانَ هل لكم ... إذا ما سلبتم نعمةَ اللهِ ذاكرُ ؟
فأمّا وأنتم لابسونَ ثيابَها ... فما لكم ، والحمد لله ، شاكر !

المزداد بالثراء بخلاً :

أحسن ابن الرومي في قوله :

إذا غمر الماءُ البخيل وجدتَه   يزيد به يبساً ، وان ظن يرطبُ
وليسَ عجيباً ذاكَ منه فإنهُ   إذا غمر الماءُ الحجارةَ تصلبُ

وكان ذلك مما روي في الخبر ان الله اذا سأله عبد شيئاً يقول : خذه وضعفيه حرصاً .

ابن الحجاج :

أُناسٌ كلما ازدادُوا علاءً   تناهوا في نفوسِهم استفالا

فلان لا تندى أنامله ، ولا ترجى فواضله ، ألين من كفيه الحجر ، هو نزر العرف جامد الكف :

كأنما خلقَتْ كفاهُ من حجرٍ   فليس بين يديهِ والنَّدى عملُ

آخر :   وهل للصفا العادي ماء إذا عصر

هو نكد الحظيرة أي مانع لما في يديه .

شاعر : لو عبرَ البحرَ بأمواجِه   في ليلةٍ مظلمةٍ باردَه
وكفه مملوءةٌ خردلاً   ما سقطَت من كفِّه واحدَة

البحتري : جدة يدورُ البخلُ عن أطرافِها   كالبحرِ يدفعُ ملحَه عن مائِه

الفرزدق : فتى مالَه كالبحرِ يمنعُ صادياً   من الري منه وكدره أجاجه[1]

الزبرقان :

طوى كلَّ معروفٍ وأحضر دونه   عقاربَ أخشى لسعُها وأفاعِيا

الواجع في هبته والقاطع لصلته :

قال النبي ﷺ : الراجع في هبته كالعائد في قيئه . وهذا مما يستدل به على تحريم الرجوع في الهبة بأنه حرام ، كما ان أكل المتقيأ حرام .

ابن الرومي : لا تكنْ كالدهرِ في أفعاله   كلما أعطى عطاياه رَجعْ

البحتري : أعطى القليلَ وذاكَ مبلغُ قدرِه   ثم استردَّ وذاكَ مبلغُ رأيه

---

(١) عجز البيت مختل . ولم نعثر عليه في ديوان الفرزدق

وأجرى بعض الكبار على أعرابي شيئاً ثم قطعه عنه فقال فيه :

إن الذي شق فمي ضامن   لي الرزقَ حتى يتوفاني
حرمتَني نفعاً قليلًا فما   زادك في نفعك حرماني

ابن هرمة :

كممكنة من درّها كفَّ حالبٍ   ودافقةٍ من بعدِ ذلك ما حلَبْ

السالب

قيل في المثل : طلب القرن فجدعت أنفه .

بشار : فصرت كالهبتي غَدا يبتغي   قرناً فلم يرجعْ بأذنينِ

وقيل : سقط العشاء به على سرحان

آخر : كمبتغي الصيد في عريسَة الأَسد

الصائن ماله بعرضه والممنوع من سؤاله :

قيل : أبخل الناس بماله اجودهم بعرضه . من صان نفسه أهان فلسه . وقيل : كان جحا اذا جلس كشف استه ورفع عنه ثوبه ، فقيل له في ذلك فقال : جلدة الاست أبقى من الثوب . وهذا نحو المثل : ابق نعليك وابذل قدميك .

أبو تمام :

أَضحوا بمستن سبلِ الذمّ فارتفعت   أموالُهم في هضابِ المطلِ والعلَلِ

ابن الرومي :

لا تطالبْه بالثوابِ فما رز   ء ثوابٍ مِن مثلهِ بجلالِ

المقتر على نفسه والتارك لشهوته :

قال الشاعر :

ولو يستطيــعُ لتقتيرهِ   تنفَّسَ مِن منخرٍ واحدِ

آخر : يحبّ المديحَ أبو خـالدٍ   ويفزعُ من صلةِ المـادحِ
كبكر تودّ لذيذَ النكاحِ   وتخشعُ من صولةِ الناكحِ

الضنين بمال غيره والسمح به :

قيل فلان يمنع دره ودر غيره . الحر يعطي والنذل يألم قلبه . وقيل : البخيل يمنع ماله ويغضب على الجواد اذا رأى ابتذاله .

أبو تمام :

وإن أمرأ ضنَّت يداهُ على امرئ　　بنيل يدٍ من غيرِه لبخيلِ

آخر : سبطُ البنانِ بما في رحلِ صاحبِهِ　　جعدُ البنانِ بما في رحلِه قطَط

الموصوف بالسكوت عند السؤال :

قال بعضهم : فلان مرتٌّ نكد كز .

بعضهم :　　كأنهم عند السؤالِ جلامد

آخر : إن اللئيمَ إذا سألتَ بهرتَه　　عِند السؤالِ وقلَّ منه المنطقُ

وأتى بعض الشعراء رجلًا فسأله ، فما زاده على التنحنح والتحوقل فقال :

فلا حولَ إلا بالإله وقوةَ　　إذا قلتَها دلَّت على طرقِ البخلِ

واني لأرجو أن افوز بأجرِها　　كما قلتَها بعدَ التنحنحِ من أجلي

الحزين الهارب مخافة أن يسأل :

بعضهم :　　مخافةَ أن يرجى نداه حزينُ

جحظة :

إذا ذكرَ الناسُ التطوّلَ أرعدَتْ　　فرائصه خوفاً لذكرِ التطوّلِ

بشار : إذا سلم المسكينُ طار فؤاده　　مخافةَ سؤلٍ واعتراه جنونُ

قيل : فلان يبغض نعمة الله عليه مخافة ان يستماح .

المتلقي عافيَهُ بقطوب وجهه :

ذم اعرابي رجلًا فقال : رآني فخالني في نداه راغباً ولجدواه طالباً ، فقرب من حاجب حاجباً

كأنما وجهُه بالخلِّ منضوحُ

وقيل لامرأة : كيف وجدت فلاناً لما اعتفيته ؟ فقالت :

تلقّاني بوجهٍ مكفهرّ كأن عليهِ أرزاقَ العبادِ

آخر : وعنون لي اطراقه عن قطوبهِ

آخر : طعمُ الندى عندهمُ حامِضُ

شاعر : كالحُ الوجهِ كأنْ مص حماضاً وسما تعبيسةً ذوق حماض

أصل ذلك من قول الأعشى :

يزيدُ بغَضّ الطرفِ دوني كأنما زوى بين عينيهِ عليّ المحاجم

المتلقي عافيه ببشاشة من غير جدوى :

قيل لرجل : ما رأيت من فلان ؟ فقال : برقاً بلا مطر ، وورقاً بلا ثمر ، وجه كريم وفعل لئيم ! وقال أبو العيناء لعبيدالله بن سليمان : أيد الله الوزير ! لي منك قربُ الولي وحرمان العدو .

ابن الرومي في معاتبة بعض الرؤساء :

لولا الثمارُ التي تُرجى منافعُها ما فضلَ الناسُ تفاحاً على غربِ

ولجحظة : وبأحسنتَ لا يباعُ الدقيق

ابو العتاهية :

إن السلامَ وإن الردّ من رجلٍ في مثل ما أنتَ فيه ليس يكفيني

المعتذر الى سائله ببشاشة من غير جدوى :

سأل ابو العيناء رجلاً شيئاً فاعتذر اليه وحلف أنه صادق في اعتذاره ، فقال : من كان الصدق حرمان صديقه ماذا يكون كذبه ؟ وسأل رجل آخر فاعتذر بأحسن اعتذار فقال : يعبر عن اللئيم لسانه وعن الكريم فعاله . واعتذر آخر فقال السائل : ان كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وان كنت معتذراً فجعلك الله معذوراً ، وهذا مأخوذ من قول الآخر : لا جعل الله حظ السائل منك عذرة صادقة .

الجريمي : لا ينهضونَ الى مجدٍ ولا كرمٍ ولا يجودونَ إلاّ بالمعاذير

الملحف اذا سأل الحارم اذا سئل :

قال اعرابي : فلان اذا سأل الحف ، واذا سئل سوّف ، واذا حدّث حلف ، واذا وعد أخلف ،

ينظر نظرة الحقود ويعتذر اعتذار الحسود . وقيل : اذا سئل أقنط واذا سأل أفرط . آخر : لم أر أحصر يداً منه بالنوال ، ولا أطول لساناً منه بالسؤال ، إن سئل فجحد ، وان سأل فحرب ، ان سئل أرز وان سأل انتهز ، هو بالانجاح اذا سأل واثق ، وبالرد اذا سئل حاذق .

شاعر : وأخٍ ان جاءني في حاجة كان بالانجاح مني واثقا
واذا ما جئته في مثله كان بالردّ بصيراً حاذقا
يعمل الفكرة في ردي بها قبل أن أفرغ منها ناطقا

وممن تلطف لرد سائل : كان لسعيد بن خالد قصر بازاء قصر عبدالملك فقال له عبدالملك : ان لي اليك حاجة . فقال : مقضية . قال : اجعل لي قصرك . قال : هو لك . فقال عبدالملك : فلك خمس حاجات مقضية . فقال سعيد : أولها أن ترد علي قصري ! قال : فعلت فما بعد ذلك ؟ قال : أنت في حل من الأربع . وقال رجل لآخر : إن لي اليك حاجة . قال : بشرط أن تقضي قبلها لي حاجة . فقال : لك ذلك ! قال : حاجتي ان لا تسألني حاجة . قال : قد فعلت .

من رد سائله بشتم أو سفاهة :

سأل اعرابي شيخاً من بني امية وحوله مشايخ فقال : اصابتنا سنة ولي بضعة عشر بنتاً فقال الشيخ : وددت ان الله ضرب بينكم وبين السماء صفائح حديد ، فلا تقطر عليك قطرة وأضعف بناتك أضعافاً ، وجعلك بينهن مقطوع اليد والرجل ما لهن كاسب سواك ، ثم صفر بكلب له فشد عليه وقطع ثيابه فقال السائل : ما أدري ما اقول لك ! إنك لقبيح المنظر سخيف المخبر ، فأعضك الله ببظور أمهات من حولك . ودخل رجل الى محمد بن عبدالملك فقال : لي بك سببان : الجوار وسوء الحال ، وذلك داع الى الرحمة . فقال : أما الجوار فبين الحيطان ، والرحمة من اخلاق الصبيان ، أخرج عني ! فما مضى عليه اسبوع حتى نكب .

ذم من ينسب بخل نفسه الى القدر :

خطب معاوية ذات يوم فقال : ان الله تعالى يقول : وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ، فلم نلام نحن ؟ فقام اليه الأحنف فقال : إنا والله ما نلومك على ما في خزائن الله تعالى ، ولكن نلومك على ما انزل الله علينا من خزائنه فأغلقت بابك دونه ، فسكت معاوية . وقال بعض الشعراء :

إذا أعطاك قصّر حين يُعطي وان لم يعطِ قال : أبى القضاء !
يبخّل ربّه سفهاً وجهلاً ويعذر نفسه فيما يشاء

المحسن للبخل المحتج له :

قيل لخالد بن صفوان : ما لك لا تنفق ومالك عريض ؟ قال : الدهر أعرض منه . قيل له : كأنك تؤمل أن تعيش ابداً . قال : لا ولا أخاف ان اموت في أوله . قال الجاحظ : قلت لبعض الأغنياء البخلاء أرضيت ان يقال لك انك بخيل ؟ قال : لا أعدمني الله هذا الاسم لأنه لا يقال بخيل إلا لذي مال ، وادعني بما شئت من الأسماء . من وهب ماله في عمله فهو احمق ، ومن وهبه في عزله فهو مجنون . وقيل لأبي الأسود : أنت ظرف علم ووعاء حلم غير أنك بخيل ! فقال : وما خير ظرف لا يمسك ما فيه ؟ وقيل : من لم يمنع لم يكن له ما يعطي . قال : ولَلْبخلُ خيرٌ من سؤال بخيلٍ . وقيل : الشحيح اعذر من الظالم . وقال المنصور : الناس يزعمون أني بخيل وما أنا ببخيل ، ولكني رأيت الناس عبيد المال ، فحظرت ذلك عليهم ليكونوا عبيدي . وعمل سهل ابن هارون كتاباً في مدح البخل وأهداه الى الحسن بن سهل ، وطلب منه ثواباً ، فوقع على ظهره : قد جعلنا ثوابك ما حسنته وأمرت به .

الموسوي في عذر فاضل بخيل :

لا غروَ إن كنتَ حرًّا لا تفيض ندى   فالبحرُ غمرٌ ولكن ليسَ بالجاري

ذم ممتن بالاعطاء :

قيل : المنة تهدم الصنيعة . وقيل لأعرابي : فلان يزعم أنه كساك . فقال : المعروف اذا منّ به كدر ، ومن ضاق قلبه اتسع لسانه . وقيل لآخر في المعروف اذا أحصى . قال :

إن الذينَ يسوغ في اعناقهم   طعمٌ يمنّ عليهم لَلِئَامُ

آخر : أفسدتَ بالمنّ ما قدّمتَ من حسنٍ   ليس الجوادُ اذا أسدى بمنّانِ

وقيل لرجل : هل لك في ندى فلان ؟ فقال : لا خير في تمرة مقترنة بزنبور :

ومن ذا الذي يلتذ شهداً بعلقمٍ   أبت لهواتي ذاك والشفتانِ

وقيل : شوى اخوك حتى اذا أنضج رمد . وقول الله تعالى : ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله . قال : فتقديره يقولون إنما نطعمكم ، قال مجاهد : لم يكن ذلك منهم مقالاً وإنما أخبر عما كان لهم اعتقاداً . دعا المنصور طبيباً للخيزران ، وكانت قد اشتكت عينها ، فقال : ان هذه في عينها شوكة سنبل ، فانتزع من عينها فاذا هو شيء طار من السنبل ولصق بعينها ، وتراكبت الا كحال التي تعالج بها فزال الالم في الوقت ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فلما دفعها اليه ندم فأوصاه فقال : احفظها فإنها مال له خطر . فقال : نعم وفارقه فاسترده وقال : اياك ان تنفق منها شيئاً حتى تنفق ضيعة تشتريها بها . فقال : نعم . وفارقه ثم استرده فأوصاه فقال : ان رأيت يا امير المؤمنين فاختمها بختمك حتى ألقاك بها يوم القيامة على الصراط بختمك . فضحك وخلاه .

النهي عن الامتنان :

قال النبي ﷺ : اياكم والامتنان بالمعروف ، فان ذلك يبطل الشكر ويمحق الأجر ، ثم تلا قول الله تعالى : لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى . وقيل : تمام البذل ترك المن . وقال بعضهم : لا تمنّ بالمعروف فالمعروف اذا ذكر كدر ، واذا أنسِيَ أمر . تعداد المنة من ضعف المنة . وقيل : المنة تهدم الصنيعة وتسترد النعمة ، فنزه منتك عن الامتنان . وسأل رجل آخر حاجة فجعل يؤنبه فقال : أترى ان تقيم ترك التأنيب مقام قضاء الحاجة ؟

أنواع منه :

المتنبي : وما كلٌّ بمعذورٍ ببخلٍ ولا كلّ على بخلٍ يُلامُ

نصيب الصغير :

متى يجتمع يوماً حريصٌ ومانعٌ فليس إلى حمدٍ هناك سبيلُ

آخر : ولو عليك اتكالي في الطعام إذاً لكنتُ أولَ مدفونٍ من الجوعِ !

أحقر الناس البخيل لكي يستغنوا عن ماله . وسأل ابن عباس انساناً حاجة فرده فقال : ابوك لم يرد حاجة أحد جوداً ، كان قد أتاه قوم يستعيرون كلباً لينزوه على كلبتهم فقال : لا ينزو عليها غيري ايجاباً لكم ! وقيل : اتاك ريان بلبنه اذا أعطى ما يفضل منه .

ابو علي المحمودي :

أعز عليَّ من أبويَّ عندي ومن نفسي أعزّ عليّ فلسي

فلولا الفلسُ هنتُ على صديقي ولم تكرمْ على الأطماع نفسي

وله : ومتّ على الدرهم المنقوشِ موتَ فتى يرى المماتَ عليهِ اكرَمَ الكرمِ

لولا غناكَ لكنتَ الكلبَ عندهمُ فان أبيتَ فجربْ وأشقَ بالندمِ

آخر : لا لومَ في القصد على ذي حبا يكرم ما يكرم مِن أجلِه

آخر : لا أحسبنّك بعد الموتِ تنفعْني وفي حياتيَ مازودتني زادي

ومن امثالهم : لأي يومٍ يخبأ المرء السعه

آخر : إذا فات في الدنيا الذي بك أرتجي فنفعُك عني في المعادِ قليلُ

محمد بن يزيد كتبه الى من استعان به في أمر فلم يجد عليه :

أترضى لي بأن أرضى بتقصيرك في أمري ؟
لعل اللهَ أن يصنعَ لي من حيثُ لا تدري
فالقاكَ بلا شكرٍ وتلقاني بلا أجرِ !

الحد العاشر

في الأطعمة

مما جاء في أوصاف الاطعمة

الخبز :

قيل : الخبز يسمى جابر او عاصم بن حبة . كما قيل : التمر بنت نخيلة . وقال اعرابي عُيِّرَ بعمل تعاطاه :

فلا تلوماني ولوما جابراً فجابر كلفني الهواجرا

وقيل لاعرابي : الخبز احب اليك أم التمر ؟ فقال : التمر طيب وما عن الخبز صبر . وقيل لبعضهم : ما طعم الخبز ؟ قال : طعم ادامة . وقال النبي ﷺ : اكرموا الخبز فان الله تعالى : سخر له ما في السموات والارض .

السويق :

عاب عائب السويق عند الطفاوية ، وكانت امرأة ادركت اصحاب النبي ﷺ فقالت : لا تفعل فان السويق طعام المسافر والعجلان والحزين والسمنة والنفساء والمريض . وقيل : هو يرفو الضعيف ويشد فؤاد السقيم وفقاره ، ويجلو البلغم ومسمونه يصفي الدم ، ان شئت كان ثريداً وان شئت كان خبيصاً .

حمد اللحم وذمه :

قيل : أطيب اللحم عوده أي ما عاد منه بالعظم . وقيل : اللحم اقل الطعام نجواً . وقيل : من لم يأكل اللحم اربعين يوماً نقص عقله . وقيل : من تركه اربعين يوماً ساء خلقه . وقال بعض الأطباء : عجباً لمن أكلُه الخبز واللحم وشرْبه ماء الكرم ثم اقتصد في تناولها كيف يموت ؟ واستقبل عمر رجلًا ثلاثة أيام على الولاء وقد اشترى لحماً فعلاه بالدرة وقال : ان الله تعالى يبغض

قوماً لحمين ، عاقب بين اللحم وغيره . وقيل : اياكم وهذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر . وقال المسيح : ألحم تأكل لحماً ؟ أف لهذا عملاً ! وسئل بعض الرهبان عن تركه أكل اللحم فقال : انا رأينا الغوائل تتولد من اكل اللحم ، ألا ترى ان أكلة اللحم من السباع هي اشد ضرراً من أكلة الحشيش ؟

السكباج والزيرباج :

يقال للسكباج الحلية والمخللة والشمقمقة ، والصفصاف لغة ثقيف ، وسموه أم القرى . ولم يكن يطلق السكباج ان يطبخ في ايام الفرس الا بخاتم من الملك . وسئل بعضهم عنه فقال : انه يشفي العرم ويفتق الشهوة ، ويقدم في الثرائد وتزين به الموائد ، تجيدها الخاصة ولا تغلط فيها العامة . قال الحجاج لطباخه : اتخذ لنا صفصافة وأكثر فيجنها . فلم يدر الطباخ ما عناه فسأل ابن القرية فقال : اتخذ سكباجة واكثر سدابها . وقال المنصور يوماً لحظية له : الى كم نأكل السكباج ؟ يعرض بها . فقالت : يا امير المؤمنين هو مخ الاطعمة لا يمل حارها ولا يكره باردها . فاستحيا منها .

عبدالملك بن محمد بن اسمعيل :

وسكباجةٍ تشفي السقامَ بطيبها على انها جاءت بلونِ سقيمِ
إذا زارها أيدي الرجال تزاحمت كأيدي نساء في ظلال نعيمِ

بعضهم : فتنتنا بريحها السكباجه فتركنا من أجلها الفَ حاجه

وأكل أعرابي القريش فقيل له : ما أكلت : قال : الفالوذج الا انكم هضمتموه بعد .

بعضهم : قدم طاهيك زيرباجه وهي على الدهر خيرُ باجه
صبيغةُ الزعفرانِ تحوي أطايبَ الفرخِ والدجاجه

وقدم الى طفيلي سكباجة بلا زعفران فقال : ما لها خرجت متفضلة بلا لباس .

الثريد :

قيل لاعرابي : اي الطعام أطيب ؟ فقال : ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات حفافين من الصبغ لها جناحان من العراق ، اضرب فيها ضرب الولي السوء في مال اليتيم !

حسان : ثريد كأن السمن في جنباتِه نجومُ الثريّا أو عيونُ الضياون

قال الأصمعي : قلت لاعرابي هل لك في ثريدة ؟ قال : نعم .

ثريدةٌ محمومةٌ في صحفة مكمومَه
قد ألحفتْ رقاقا وكللتْ عراقا

المرق :

قيل : المرق أحد اللحمين . وقال النبي ﷺ : اذا طبخ احدكم اللحم فليستكثر من المرق ، فمن عدم اللحم أكل المرق فهو أحد اللحمين . قال : وأكثر الشرب ان لم يكثر اللبن .

وأهدى صالح بن عميرة الى سعيد بن سلم جوذابة فكتب اليه :

بعثت إلي بجوذابة فأين التي جاء جوذابها ؟

فقال لابن أخيه : أجبه فكتب اليه :

بعثنا إليك بجوذابة وحاز الإوزّة أصحابُها

الشواء :

ابن الرومي :

وسميطةٍ صفراء دينارية ثمناً ولوناً زفها لك حزْوَرُ
ظلْنا نقشّرِ جلدها عن لحمها فكأن تبراً عن لجينٍ يقشرُ

ويقاربه في صفته :

شديد اصفرارِ الكشيتين كأنما يطلى بورسٍ بطنهُ وشواكِله

ابن طباطبا :

إن أنسَ لم أنسَ قبل الحشرِ مائدةً ظلنا لديك بها في أشغل الشغُلِ
إذ أقبلَ الجدي مكشوفاً ترائبه كأنه متمطٍ دائم الكسلِ
قد مد كلتا يديه لي فأذكرني بيتاً تمثلتُه من أحسن المثلِ
كأنه عاشق قد مدَّ بسطتَه يومَ الفراق الى توديعِ مرتحلِ

وقدم الى بعضهم جدي خشب لم ينضج فقال : كأنه شريحة من قصب .

ابن طباطبا يذمه :

قد أتينا به عواري ضلوعٍ هي في الوصفِ والمدارِ سواءُ ؟
حار فهمي فلستُ أدري أمدرا ةٌ بدت أم شريحةٌ أم شواءُ ؟

وقدم لابي علي القسري مرة شواء غير نضيج فقال : هذا لا تعمل فيه العوامل . وقال بعض القدماء في سفود عليه لحم :

وذي شعبٍ شتَّى كسوتُ فروَجه بغاشيةٍ يومـاً مقطعةٍ حمرا

وينشد في غير النضيج عبدة بن الطيب :

لما نزلنا رفعنا ظلّ أخبيـةٍ وفاز للحم بالقومِ المراجيلُ
ورداً وأشقر لم ينهبه طالبُـه ما غير القلي منه فهو مأكولُ

القديد :

حمل الى اعرابي لحم مقدد صلب فقال : ما هذا لحم مقدد بل حبل ممدد .

البيض والعجة :

ابن ابي البغل :

وصُفَّ على الكانون بيضٌ كأنه فرائدُ درٍّ سُلَّ من صدفِ البحرِ
كما اصطفَّ أرجاء الندي وصائفٌ على دستبيد قد تملى من الخمرِ

أكل بعضهم بيضاً مع سلطان يأكل الصفرة ويؤثره بالبياض فقال الرجل : سقى الله العجة ما اعدلها . وكتب منصور الفقيه الى جار له يستدعي منه بيضاً لابنه :

لأبي الفضل اذا همَّ بما يهوَى لجاَجـه
فله عندكَ مطلو بٌ ومأمولٌ وحاجه
درة ليست من البحر ولكن مِن دجاَجـه

البزماورد :

قيل : البزماورد نرجس الموائد . وقد احدثته الفرس في بعض الحروب واستخفوا حمله في المعازل وسموه رزماورداي . هو طعام افاده الحرب ثم قيل بزم أورد، وقيـــل سمي زماورد، وسمي المهيأ والميسر . قال الشاعر :

كلِ الميسرَ من راسين ياسكني لا يستطاعُ ولا سيفان في غمد

البقل :

قال ابونواس : مائدة بلا بقل كشيخ بلا عقل، ومجلس بلا ريحان كشجرة بلا اغصان .

الخل :

قال النبي ﷺ : نعم الادام الخل . وقال : ما أقفر بيت فيه خل .

الارز :

كان الحسن بن سويد يأكل مع المأمون ، فقدم الارز فقال : الارز يزيد في العمر . فقال : المأمون : كيف ؟ فقال : ذكر اطباء الهند ان الارز يري المنامات الحسنة ، ومن رأى مناماً حسناً كان في نهارين ، فاستحسن المأمون منه ذلك ، وجرى ذكر البهطة في مجلس ابراهيم التيمي القاضي فقال رجل حضر لاقامة شهادة : ما هو ؟ فقيل : الارز باللبن . فقال : لا اشتهيه . فسكت ثم قال : وما أظن عاقلًا يشتهيه . فقال ابراهيم : اما الاولى فقد احتملناها ، واما الثانية فلا محتمل عليها ، فأخر شهادته . وكان بعض شعراء الزمان عند عضد الدولة فقدم البهطة فقال : صفها . فعجز عن ذلك فقال عضد الدولة :

وبهطةٍ تعجزُ عن وصفِها يا مدعي الأَوصاف بالزورِ
كأنها في الجام مجلوة لآلىء في ماء كافور

آخر : ولستُ أحبُّ الرز إن قلَّ طبخه فكَيفَ أحبّ الرز وهو مسخن ؟

الطباهجة :

ابن الرومي :

طباهجةٌ كأعرافِ الديوك تروق العينَ من شرطِ الملوك
إلى مساعدتي عليها فلست لمثل ذلك بالتروك

الهريسة :

روي عن النبي ﷺ : ان نبيا من انبياء الله تعالى شكا ضعفاً في بدنه ، ووجعاً في صلبه ، فأوحى الله تعالى اليه ان اطبخ اللحم بالبر وكل ، فاني قد جعلت القوة فيهما .

ابن الرومي :

هلم الى مَن عُذّبَتْ طولَ ليلها بأضيقِ حبسٍ في تنور تعذب
وقد ضُربَتْ حدّين وهي بريئةٌ فقوموا إلى دفن الشهيدة تؤجروا

وقيل : الهريسة اوطأ فراش هيىء لنبيذ .

وللخوارزمي :

هل تنشطون لتنُّورية خنقتْ من أولِ الليل حتى قلبُها يجفُ

كأنها وهي فوقَ الجام قد غرقت في دفنها قمرٌ بالشمسِ ملتحفُ

أو درهمٌ فوقه الدينارُ منطبقٌ أو لوحُ عاجٍ على الزدياب مكتنفُ

ابو طاهر المأموني :

در نثير اسلاكه قطع في ماء ورد وصندل نقعـا

الرؤس :

كان الثوري يعجب بالرؤس ، ويسميها مرة عرساً لما تجمع من الالوان المختلفة الطيبة ، ومرة الجامع ومرة الكامل ويقول : هو شيء واحد ذو الوان عجيبة وأطعمة مختلفة . وقيل لاعرابي : تحسن أكل الرؤس ؟ فقال : نعم أبخص عينيه وأقلع اذنيه ، وأفك لحييه ، وأشج شدقيه ، وأرمي بالعظم الى من هو أحوج اليه مني . ودعا بعضهم آخر الى دعوته وقال : عنـــدي رغف خوارة ورؤس فوارة . ودعي رجل الى أكل الرؤوس فلما قام قال : اطعمكم الله من رؤس أهل الجنة .

وقال ابن الرومي :

هامٌ وارغفةٌ وضاءٌ ضخمةٌ قد أخرجا من فاحمٍ فوارِ

كوجوه أهلِ الجنةِ ابتسمَتْ لنا مقرونةً بوجوهِ أهلِ النارِ

الدماغ والمخ :

قيل : أضر الاطعمة للبدن الدماغ ، فانه يعلق بالمعدة ويتغرى ما بين غضونها ، فلا يدخلها غذاء ولا دواء الا زلق عنها ، والعرب تكره أكل المخ وتتعير به ، وذلك قول الشاعر :

ولا ننتقي المخَّ الذي في الجماجمِ

قال الاصمعي : كان اعرابي في يده عظم وعنده ثلاثة بنين فقال للأكبر : ان اعطيتك هذا العظم ما تصنع به ؟ قال : اتعرقه حتى لا ادع لذر فيه مقيلًا . قال الاوسط : اتعرقه حتى لا يدري اهو لعامنا ام لعام اول . فقال الأصغر : اتعرقه ثم اتمششه ثم ادقه فاستفه . فقال : خذه فأنت صاحبه ! وقال في صفة جدب : وبات شيخ العيال يصلب : اي يطبخ العظم فيخرج الدسم ، ويسمى ذلك الصلب .

المضيرة :

قيل : شكا نبي من الانبياء الى الله تعالى ضعفه ، فأوحى اليه ان اطبخ اللحم باللبن وكله تقو .

بعض الشعراء :

مضيرةٌ تنتمي في طيب نكهتِها ... وفي الصفاء الى مسكٍ وكافورِ
كأنما البصلُ الثاوي بصفحتِها ... فرائدٌ فُرِشتْ في صحن بلورِ

المصلية :

ابن ابي البغل :

ومصليةٍ أما مجالُ وشاحِها ... فقرعٌ وأما خصرُها فثريدُ
كأنَّ هبيرَ اللحمِ في جنباتها ... قطا جُثَّمٌ وسط الفلاة ركودُ

الشيراز :

لا احمد المر أقصى ما يبيض به ... إذا اعتصرناه أصناف الشواريز
ما متعةُ العين في خدٍ تورده ... يزهي اليك بخال فيه مركوز
أشهى اليكَ من الشيراز قد وضحت ... في صحن وجنتهِ خيلان شونيز

الكشك :

بعضهم : أمّ ذا الكشكِ زانيَه ... إن طبخناه ثانيَه

وقيل من حم يوماً واحداً فلا يأكلنّ الكشك سنة . ونزل رجل بأعرابي فكان كل يوم يقول لامرأته : قومي ائتيني بخبز وما رزق الله . فكانت تأتيه بالخبز والكشك ؛ فقال يوماً ذلك فقال لها الضيف : هاتي الخبز ودعي ما رزق الله .

الكامخ :

دفع الى اعرابيين رغيفان بينهما كامخ فقال احدهما : خرء ورب الكعبة ! فذاقه الآخر واستطابه فقال : نعم ولكنه خرء الامير . وقال الآخر : لا يفرق بين الكامخ والخرء الا بالذوق . وأضيف اعرابي فأطعم الكوامخ مراراً ، فاستفتح الصلاة خلف الامام فقرأ الامام : حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، فقال الاعرابي : والكوامخ فلا تنسها .

النيختي : أتتني سكرجةٌ لونُها ... يرفّ كبلورةٍ صافيَه
مضمنةً من وضيء الطعامِ ... لما يذكرُ العيشةَ الراضيَه
فلم أدرِ هل ضمنَت كامخاً ... من الطيبِ أم ضمنت غاليَه

آخر ضده :

شيَّبَ رأسي وحنا أَعظمي　طول ائتدامي الخبزَ بالكامخِ
فهو إلى نفسي من بغضِه　يعدلُ سمَّ الاسود السالخِ

اللبن :

قال الله تعالى : وأنهار من لبن لم يتغير طعمه . وقال : من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . وقيل : اللبن احد اللحمين ، وسموه شحماً لما كان من الشحم يتولد . وقيل لرجل : الحل أحب اليك ام الرائب ؟ فقال : الرائب فانه على كل حال بات مع اللحم ليلة . وقيل : ما غص احد باللبن قط لقوله تعالى : لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . وفي الحديث ان البقر لحومها داء والبانها شفاء . وقال ﷺ : عليكم بألبان البقر فانها ترم من كل الشجر . وقيل : ما رغي من اللبن أطيب من المصرح . وقيل : ان الرثيثة مما يغثا الغضب . قال ذو الرمة : كان اذا نزل بنا نزيل قلنا له الحليب أحب اليك ام المحيض ! فان قال المحيض . قلنا : عبد من انت ؟ وان قال الحليب . قلنا : ابن من انت ؟

شاعر :　اذا شئت عناني على رحل فتيةٍ　حضجر يداوي بالبدور كبير

يعني انه يمخض له . وقيل لبعضهم : الحليب احب اليك ام الرائب ؟ فقال : هو اكرم واطيب من ان ينفى له حال .

الجبن :

قال خالد بن صفوان لجاريته : أطعمينا جبناً فانه يشهي الطعام ويدبغ المعدة ويهيج الشهوة . فقالت : ما عندنا . فقال : ما عليك فانه يقدح في الاسنان ويلين البطن ، وهو من طعام اهل الذمة . فقال بعض اصحابه : بأي القولين نأخذ ؟ فقال : اذا حضر فبالاول ، واذا غاب فبالثاني . وكتب كسرى الى واليه : ابعث الي بشرّ انسان على شر دابة مع شر طعام ! فبعث اليه بخوذي على خنزير معه جبن

شاعر :　إنمـا الجبنُ آفةُ الجسمِ سقما　وعلى القلبِ كربةُ الاوهام
بدلوها بلقمتي سكباج　أو شواء مفصل من عِظام

السمك :

قال أعرابي : كل من السمك القذال ودع منه المبال . وقال آخر : كل ما تفلس ودع ما

قلس . وقدم الى جعفر بن يحيي سمك فقال : هذا ان لم يكفن بخبيص ويقبر بنبيذ فالحذر منه . وقال طبيب الهند : اجتنبوا ما يخرج من الضرع والبحر .

ابو طالب المأموني :

ماويةٌ فضيةٌ لحمها الذّ ما يأكله الآكلُ
يضمُّها من جلدِها جوشن مدبل فهو لها شاملُ
تعيشها اللجة ما خيمَتْ بها كما يتلفُها الساحلُ
لو نلت من فضتِها عسجداً بقليها ما ضافني نازلُ

الباذنجان :

في الخبر : كلوا القرع واجتنبوا الباذنجان . قيل لاعرابي : ما تقول في الباذنجان ؟ قال : لونه لون بطون العقارب ، وأذنابه كأذناب المحاجم ، وطعمه طعم الزقوم ! فقيل : انه يحشى باللحم ويقلى بالزيت فيكون طيباً . فقال : لو حشي بالتقوى ، وقلي بالمغفرة ، وطبخته الحور العين ، وحملته الملائكة ما كان الا بغيضي . وقيل لآخر : ما تقول في باذنجان عملته بوران ؟ فقال : ان شققته مريم وطبخته سارة وقدمته فاطمة ، لا رغبة لي فيه ! وحكي أن الشبلي رئي يوماً على الجسر ، وكان يوماً مطيراً ، فقيل له : الى اين ؟ فقال : بلغني ان فلاناً يعيب الباذنجان فأريد ان امر عليه فأخاصمه .

الوأواء الدمشقي :

أتانا بمقلي بورانه وشيرازُه من لبانِ الغنم
وقد شَنَجَ القليُ منهُ الجلود كتشنيج أوجه سودِ الخدَم

آخر : كرةٌ من المسكِ الذكي تضمنَت من تحتِ مسكٍ لؤلؤاً مقشورا

عبدالعزيز :

وسودٍ تروّت بالدهانِ فأبدلت بتوريدها لوناً من النار أكلفا
كأفواه زنجٍ تبصر الجلدَ أسوداً وتبصر إن فرت لجيناً مؤلفا
كخلقِ حبيبٍ خافَ اكثارَ حاسد فأظهر صرماً وهو يعتقدُ الوفا

المزور :

قال أحمد بن حمدون :

قلت : الطعام ! فقالوا : من مزورة ! فقلت : زور وليس الزور من وطري
هاتوا أطايبَ ثورٍ فائقٍ سمناً كالفيل قدّاً وإن عدوه في البقر

وسكبجوها ووفّوها توابلها وزعفروها وصفُّوها عن الغيرِ
وقدموها على بيضاء صافيةٍ كأنما خرطت من دارة القمر
فمَن نجا فدفاع الله سلّمه ومن مضى فإلى الفردوس أو سقر !

وقال ابن سكرة :

قد صرت كالزور في أكلي مزورةً فانها كاسمِها بين الورى زورُ
خذِ الحقائقَ واترك ما تزوّره فالحقّ متبعٌ والزورُ مهجورُ
ولا تؤخر لذيذ الأكل خوفَ أذى فليس في الموت تقديمٌ وتأخيرُ

طعام يعاد على مائدة واحدة :

ابن طباطبا :

أرزٌ جاء يتبعه أَرَزٌ هو الايطاء يتخذُ اتخاذا
فإيطاء القريضِ كما علمنا وايطاء الطعامِ كمثلِ هذا

الملح :

قال امير المؤمنين رضي الله عنه : من ابتدأ غداءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعاً من الداء ، منها الجذام والبرص .

الخوارزمي :

فهو بقلٌ وروضةٌ وجوارشن وادمٌ وزاد حامل زاد

المأموني : لا تدن مني الملح ان شبتهُ من الابازيرِ بألوانِ
فوجهُه ابرصُ ذو نمشةٍ بين ثآليلٍ وخيلانِ
وهاتِه من غير خلطٍ له أدام زهارٍ ورهبانِ

العسل :

قيل : أجود العسل الذهبي الذي اذا قطرت منه على الارض قطرة استدارت استدارة الزئبق ، ولم يتغبش ولم يختلط بالتراب . وقيل : أجوده ما يلطخ على الفتيلة ثم توقد فيها النار فتعلق . وكتب هشام الى عامله أن ابعث إلي بعسل من عسل خدار ، من النحل الابكار من المستشار الذي

لم تقربه نار . وقيل لرجل : ما تشتهي ؟ فقال : جنى النحل وجنى النخل . فقيل له : أيهما أحب اليك ؟ قال : أشفاهما وأنقاهما ، وأبعدهما من الداء وأدناهما من الشفاء . وجعله الله تعالى في الجنان اللطيف بلا تفل، الخفيف بلا ثقل . وقال ديمقراطيس وقد سئل عما يزيد في العمر فقال : من أدام أكل العسل ودهن جسمه زاد الله في عمره .

الحلواء :

قال بختيشوع : الحلواء كلها حقها ان تؤكل بعد الطعام ، لأن للمعدة ثوراناً عقيب الامتـــلاء كثوران الفقاع ، فاذا صادفت الحلاوة سكنت . وقول الناس : ان في المعدة زاوية لا يسدها الا الحلاوة على أصله . قال : والآكل اذا اشتهى الحلاوة ثم فقدها وجد في حواسه نقصاً .

الفالوذج والخبيص :

قال سفيان : لا بد للعاقل في كل اربعين يوماً من خبيصة تحفظ عليه قوته . كل طعام بلا حلو فهو خداج . وقال رجل في مجلس الاحنف : ما شيء أبغض الي من الحلواء . فقال : رب ملوم لا ذنب له ، وسمع الحسن قائلًا يعيب الفالوذج فقال : لباب البر بلعاب النحل بسمن الماعز ، ما عاب هذا مسلم قط . وقال اعرابي : وددت ان الموت والفالوذج اعتلجا في صدري ! وبعث رجل الى مزبد فالوذجاً قليل الحلاوة فقال : ينبغي ان يكون هذا عمل قبل ان يوحي ربك الى النحل . وقيل : ذهبت بهجة الخبيص منذ عمل من عسل . واتي يزيد بن الوليد بفالوذج ، فجعل الغاضري يأكل ويسرع فقال يزيد : ارفق فالاكثار منه يقتل . فقال الغاضري : منزلي على طريق المقابر ، وما رأيت جنازة قيل ان صاحبها مات من أكل الفالوذج .

اللوذينج :

قيل لبعض الناس : ان التمر يسبح في البطن ! فقال : اذا كان التمر يسبح في البطن فان اللوزينج يصلي فيها التراويح ! وقيل : اللوزينج قاضي قضاة الحلاوات . شاعر في وصفه :

مستكثفُ الحشوِ ولكنَّه أرقّ جسماً من نسيم الصبا
يخال من رقةِ خرشائِه شاركَ في الاجنحة الجندبا
لو انه صُوّر من خبزِه ثغرٌ لكان الباردَ الأشنبا

وقيل لآخر : ما تقول في لوزينجة قد رق قشرها وغرقت في سكرها ودهن لوزها ؟ فقال : فما أشد الوصف اذا عدم الموصوف .

العصيدة :

بعض الاغفال :

وقُدِّمَ من قبل الخبيص عصيدةٌ   مغشَّى أعاليها بمنثورِ سكرِ
ترى الجمرَ أثناء العصيدة كامناً   فتحسبُ مسكاً بين اقطاعِ عنبرِ

ورؤي مخارق وهو يدور حول قدر يتخذ فيها عصيدة ويقول بلحن عجيب :

أنت يا ذات الاثافي   أسمعينا غليانك
فبنشِّك ونشيشك   طاب عنبرك وبابك
انما قتلي لنفسي   واجتهادي لمكانك

القطائف :

كشاجم :

قطائفُ مثلَ أضابيرِ الكُتُب   كأنها اذا تبدَّت من كَثَب
كوائرُ النحلِ بياضاً وثقب

آخر : ألذّ شيء على الصيامِ   من الحلاوات في الطعامِ
قطائفٌ نضدت فحاكتْ   فرائدَ الدرّ في النظامِ
منومات على جنوبٍ   في الجامِ كالصِبْيَةِ النيام

التمر :

قال النبي ﷺ : من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يصبه يومه ذلك سم ولا سحر . وقال ﷺ : اول ما يفطر به الرطب والتمر ، وأول ما تأكل النفساء الرطب والتمر ، لأن الله سبحانه وتعالى قال لمريم : وهزي اليــك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . وقال شيخ : ما وضع الناس في افواههم شيئاً اطيب من عجوة . وصف اعرابي تمراً فقال : تمرات جرد فطس ، يغيب فيهن الضرس ، كأن نواها ألسن الطير ، تضع التمرة في فمك فتجد حلاوتها في كعبك . وقال اعرابي : ضفنا فلاناً فأتى بتمر كأعنان الوردان ، يوحل فيه الضرس ! وقيل : خير التمر ما غلظ لحاه ورق سحاه ودق نواه . قال النابغة يصفه .

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليسَ قشرُها   اذا طار قشرُ التمرِ عنها بطائرِ

آخر :

وكنتُ اذا ما قُرّبَ الزادُ مولعاً   بكل كميتٍ جلدهُ لم يؤّسفِ
مداخله الاقراب غيرُ ضئيلةٍ   كميت إذا خفت مزادة مخلفِ

آخر : يا حبذا التمرةُ ما أحلاها !   تدمن الفقحة مِن ذكراها

وقال الحجاج يوماً لجلسائه : ليكتب كل واحد منكم أطيب طعام وليدفعه إلي . فكتب كلهم التمر والزبد . وقال سوار لرجل حضر لشهادة : بم تشهد ؟ فقال :

شهدتُ بأن التمرَ بالزبدِ طيبٌ   وأن الحبارى خالةُ الكروانِ

فقال : أما الاول فاني أشهد به أيضاً .

أكل التمر :

قال بعضهم : لم أنتفع باكل التمر الا مع الزنج وأهل اصفهان ، فالزنج لا تختار وأنا أختار ، وأهل أصفهان يأخذون قبضة فإلى ان يفرغوا من أكلها لم يأخذوا من غيرها ، وأنا أختاركما أحب. وقيل : فلان برم قرون أي لا يخرج مع أصحابه ويأكل تمرتين تمرتين .

الرطب :

قال ابن هبيرة : أي لقمة مخلوقة غير مصنوعة وصرف غير ممزوجة أطيب ؟ فقال بعضهم : البيضة ، وقال بعضهم : التمرة . فقال : هلا قلتم رطبة ؟ قال المتوكل يوماً للفتح : الحلواء أطيب أم الرطب ؟ فقال : يد الله أصنع . وقال الثوري : ما أعنف رجلًا يبيع ثيابه أيام الرطب فيشتريه بها . ذاكر الرشيد عيسى بن جعفر : أي الرطب أطيب ؟ فقال الرشيد : القريثا . وقال عيسى : السكر . فارسلوا الى الاصمعي ، فسأل الاصمعي الرسول عما دعي له ، فقال الرسول : كان كذا ، فلما دخل سألاه فقال : هذا لا يخفى أن القريثا أجود ، إنا كنا بالبصرة صبياناً نلعب بالنوى ، فنجعل نوى القريثا دنانير ، ونوى السكر دراهم ، فنعطي نواة من قريثا ونأخذ عشرين من سائر النوى ! فضحك الرشيد وأمر له بصلة .

العنب :

قيل : أجود العنب ما غلظ أعمده وأخضر عوده وسبط عنقوده . وقال أبو حنيفة الدينوري عن بعض أهل دمشق : انه وزن حبة عنب مجلوبة من قرية يقال لها قرية العنب ، فكان وزنها عشرة دراهم ، وان العنقود منها يملأ السلة .

ابن الرومي :

ورازقيٍّ مخطف الخصورِ كأنهُ مخازنُ البلورِ
قد ضمنت مسكاً الى السطورِ وفي الاعالي ماء ورد جوري
لم يبقِ منه وهجُ الحرورِ الا ضياء في ظروفِ نور
لو أنه يبقى على الدهورِ قرط آذان الحسانِ الحورِ

الصاحب : وحبةٍ من العنب مِن المنى متخذَه
كأنها لؤلؤة في وسطها زمردة

وله : حسبتها من بعد تمييزي لها لؤلؤةً قد ثقبت من جانبِ

الخوخ :

الطيلساني :

وخوخةٍ أعطيتُها هشةٍ بيضاء مثل اللبنِ المخضِ
كأنها كفُّ امرىء شدها قبضاً لضربٍ منه أو عضِ

آخر : كانه الزبد اذا ما التوى بالعسل الماذيِّ في صحنه

الصنوبري :

كوجنة ألبست خلوقا فزال عن بعضها الخلوق

الرمان :

قال النبي ﷺ : نعم الشيء الرمان ! ما من رمانة الا وفيها حبة من الجنة ، من أكلها نورت قلبه وأذهبت عنه الوسواس . وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه : كلوا الرمان بشحمه فانه دباغ المعدة . وقال الواسطي :

رأيت رمانةً من فوقِ دوحتِها ولونُها ببديعِ الحسنِ منعوتُ
فالقشرُ حقّ لماضٍ ضمّ رائحةً والشحمُ قطنٌ له والحبُّ ياقوتُ

أبو طالب المأموني :

حقّ خليع ناصعٌ دهنُه مستودعٌ حمرَ اليواقيتِ

وله في وصفه عند تفتيته :

الجـام أرضٌ وبناني حيا　　تمطر منـه برداً أحمرا

ابن شاه : ورمانةٍ شبهتُها إذ رأيتهـا　　بثدي كعابٍ أو بحقَّةِ مرمرِ
منمنمةٍ صفراءَ نُضِّدَ حولَها　　يواقيتُ حمرٌ في ملاءِ معصفرِ
لها قشرُ عقيانٍ ورأسٌ مشرقٌ　　وأغصانُ خيريٍ وأوراقُ عبهري

التين :

كشاجم : أهلًا بتينٍ جاءنا　　مبتسماً على طبق
كسفرةٍ مضمومةٍ　　قد جُمعت بلا حلَق

البحتري : وتين كأطراف الثدي معسل

كشاجم : سفر جمعنَ مِن الحريرِ الأَصفرِ

الزبيب :

خطب اعرابي امرأة ، فطلب سكراً للنثار فرآه غالياً ، فاشترى زبيباً فنثره وقال

ولما رأيتُ السكَّر العامَ قد غلا　　وأيقنتُ أني لا محالة ناكحُ
نثرتُ على رأسي زبيباً وصحبتي　　وقلتُ كلوا كلُّ الحلاواتِ صالحُ

بعضهم : حوى زقينِ من عسلٍ مصفًّى　　نسينا عند طيبِته الرّضابا
وهابَ الاغتصابَ عليهِ منا　　فانشأ فيه تدبـيراً عجابا
أرانا فوقَ عاتقِهِ سناناً　　وأودع بينهـا خشباً صلابا

وله : خذْ عسلًا في زبرجدٍ جعلوا　　له صماخاً يصونُ مـا فيه

المأموني : وذاتِ احمرارٍ صادقِ اللونِ خلتها　　أرتنا بأعكانٍ لها شطبَ النصلِ
قد انتحلتْ لوناً من النحل ناصعاً　　ليعلم ما تحويه من عسلِ النحلِ

القشمش :

المأموني : وقشمشٍ كخرزٍ للنظمِ لم
تتلى بها الكاس لما بينَهما من نسبِ
كأنهُ أوعيةٌ يحملنَ ذوبَ الضربِ
أو لؤلؤ حُلِّي أعلاهُ بماء الذهبِ

الطين :

سئل بعض الفقهاء عن أكل الطين فقال : لا يجوز لان الله تعالى قال : كلوا مما في الارض حلالاً ، ولم يقل كلوا الارض . وقيل لرجل : كل من هذا الطين . فقال : أو بلغك ان في بطني ركناً أو ثلمة يجب سدها ؟ وكان المأمون مولعاً باكله فسأل ابن بختيشوع عن دوائه فقال : عزمة من عزمات الرجل ! فآلى على نفسه ان لا يعاود تناوله .

الموز :

ابن الرومي :

انما الموزُ حين يمكنُ منه كاسمهِ مبدلاً من الميم فاء
وكذا فقدهُ العزيزُ علينا كاسمِه مبدلاً من الزاي تاء
فلهذا التأويل سمَّاه موزاً من أفاد المعاني الاسماء

وله مثله في طيب الطعم :

يكادُ من موقعِه المحبوبِ يدفعُه البلعُ الى القلوبِ

الجوز واللوز :

ابن الواسطي في وصفه :

قطعُ العاجِ لِفّفت في حريرٍ أحمرٍ في مداهنٍ من ساجِ

المأموني : ومحقق التدوير يبعدُ نفعهُ من كف من يجنيه ما لم يكسرِ
درعٌ يسوغُ لآكليه بضمّه صدفٌ تكوّن جسمُه من عرعرِ
متدرعٌ في السلم فوقَ غلالةٍ درعا مظاهرة بثوب أخضرِ

وله في اللوز :

ومستجنٍّ عن الجانينَ ممتنعٍ بجنةٍ لم يحكْها كفُّ نسَّاجِ
درٌّ تكوّن من عاجٍ تضمنه في البرّ لا البحر أصدافٌ من العاجِ

الفستق :

الصنوبري :

من الفستقِ الشاميّ كلّ مصونةٍ تصان عن الاحداثِ في بطن تابوتِ
زبرجدةٌ ملفوفةٌ في حريرة مضمَّنة درًّا مغشًّى بياقوتِ

ابن الواسطي :

مثل الزمردِ في حريرٍ أخضرٍ قد ضمَّه صدفٌ من العاجِ الحسَن

الشاهبلوط :

ببغا : وشاهبلوطٍ تناهى واستتمْ كخرز من سُبَح لم ينتظم
كانه لما تراءى من أمم في صحة التشبيهِ أظلافُ الغنم

العناب :

بعضهم : بنادقٌ قد خرطتْ من العقيق الأحمرِ

الاجاص :

بندار : اجاصة تحكي إذا حدّ النظرْ في شكلها سودٌ صغيراتُ الأكرْ
محزوزة ولا يرى فيها أثر

المشمش :

قال رجل طبيب لرجل يغرس مشمشاً : ما تصنع ؟ فقال : أغرس شجرة تثمر لي ولك . فأخذ هذا المعنى ابن الرومي فقال :

إذا ما رأيت الدهر بستانَ مشمشٍ تعلم يقيناً انهُ لطبيب
يغلّ له ما لا يغلّ لأهلهِ يغل مريضاً حمل كل قضيب

آخر : كانها بوتقةٌ أحميَتْ يجولُ فيها ذهبٌ ذائبُ

الفرصاد :

بعضهم : وجني فرصاد كأن متونه برشٌ على ياقوتةٍ حمراء

السفرجل :

ابو علي بن ابي العلاء في وصفه :

نصفُ السفرجلِ ثديٌ والنصفُ يُحسَبُ سره
فمن أحبَّ رآه فما يغادرُ ذرّه

آخر : إنّ السفرجلَ ريحانٌ وفاكهةٌ يحظى المشمّ بها والذوقُ والنظرُ
يحكي وديكةَ تبر بل لهيبَ لظىً شبّتْضحىوشعاعُالشمسِمنتشرُ

ابن طباطبا : سفرجلَةٌ حذفوا راءها تجمّ الفؤادَ لقولِ النبي

وقد ذكر ما يضارع ذلك مع ذكر الاشجار والنبات في حده .

جهل العرب بطيبات الاطعمة :

كانت العرب لا تعرف طيبات الأطعمة ، انما كان طعامهم اللحم يطبخ بماء وملح ، حتى ادرك معاوية رضي الله عنه الامارة فاتخذ ألوان الأطعمة . قال ابو بردة : كانوا يقولون من أكل الخبز الحواري سمن ، فلما فتحنا خيبر أجهضناهم عن خبزهم ، فقعدت عليه آكل وأنظر في اعطافي هل سمنت ؟ وقال خالد بن عمير العطوي : شهدت فتح الايلة فوجدنا سفينة مملوءة جوزاً فقال رجل : ما هذه الحجارة ؟ ثم كسروا واحدة فقالوا : طعام طيب . وقال بعضهم : أصابوا أجربة من الكافور فقالوا هاء الملح ، فذاقوه وقالوا لا ملوحة لهذا الملح ، ففطن ناس من اهل الخبرة ، فجعلوا يعطونهم جراباً من الملح ويأخذون جراباً من الكافور . وقدم الى اعرابي خبز عليه لحم ، فأكل اللحم وترك الخبز وقال : خذوا الطبق . وقدم فالوذج الى اعرابي فقيل له : ما هذا ؟ قال : الرمان المعلق .

قاذورات أطعمة العرب :

كانت بنو أسد يأكلون الكلاب ، ولذلك قال الفرزدق :

إذا أسديّ جاعَ يوماً ببلدةٍ وكان سميناً كلبُه فهو آكله

ويأكلون الهبيد ، وهو الحنظل المالح . وقال بعضهم : نزلت برجل فأضافني فأتى بحية فشواها فأطعمنيها ، ثم أتى بماء منتن فسقانيه ، فلما أردت الارتحال قال : ألا أقمت ؟ طعام طيب وماء نمير!

وكانوا يأكلون في الجدب العلهز ، وهو الحلم الكبار يدقّ مع الوبر . وقيل : هو العلهز بالفتح . وكان أحدهم يتناول الشعر المحلوق فيجعله في حفنة من الدقيق ثم يأكله مع ما فيه من القمل ، ولذلك قال شاعرهم :

بني أسدٍ جاءت بكم قملية ... بها باطن من داء سوء وظاهرِ

ومن طعامهم الفظ ، وهو ماء الكرش . وقيل لاعرابي : ما تأكلون ؟ فقال : نأكل ما دبّ ودرج الا أم حبين . فقال : لتهن أم حبين العافية .

أبو نواس :

ولا تأخذْ عنِ الأعرابِ طعماً ... ولا عيشاً فعيشُهمُ جديبُ

وكان رؤبة يأكل الفأر فقيل له : ألا تستقذره ؟ فقال : هو والله ما يأكل الا فاخرات متاعنا. وبنو تميم يعيرون بأكل الضب ؛ قال أبو نواس :

اذا مـا تميميٌّ أتاك مفاخراً ... فقل: عدعن ذا كيف أكلك للضبِّ ؟

أكل قاذورات على غلط :

قال الاصمعي : دنوت من بعض الاخبية في البادية فسقيت لبناً في اناء ، فلما شربته قلت هل كان هذا الاناء نظيفاً ؟ فقيل : نعم انا نأكل منه بالنهار ، ونبول فيه بالليل ، فاذا أصبحنا سقينا الكلب فيه فلحسه ونقاه ! فقلت : لعن الله هذه النظافة ولعنكم من قوم متقذرين ! قال : ونزلت على امرأة فنظرت الى قطع من القديد منظومة في خيط ، فامعنت في أكله ، فأقبلت المرأة فقالت : يا هذا ليس ما أكلت مما يؤكل ! فقلت : ما هو ؟ قالت : إني امرأة خاتنة أختن جواري الحي ، فكلما خفضت واحدة نظمت خافضتها في هذا الخيط لاعرف عددهن ، فتقيأت استبشاعاً . وقعد رجل في سفينة ، وركب معه يهودي قد احتضن سلة قديد ، فاستولى عليها الرجل وأخذ يأكلها حتى لم يبق الا عظيمات ، فلما أراد الخروج إلى البر رأى اليهودي السلة فارغة ، فسأل عنها فقيل : ان هذا الرجل أكل ما فيها . فولول وقال : أكلت أبي ! فسئل عن ذلك فقال : كان أبي أوصى أن يدفن ببيت المقدس ، فلما مات قددناه ليسهل حمله فأكله هذا .

الموصوف بالطيب :

يقال ألذ من زبد بنرسيان ، وأحلى من الشهد ، وأزكى من الورد ، وأشهى من انجاز الوعد . أحلى من المن والسلوى . ألذ من نظر المعشوق في وجه عاشق بابتسام .

آخر : والذّ من أنعام خلة عاشقٍ ... زارتــه بعد تمنع وشماسِ

أعذب من الماء الزلال . أطيب من قبلة الحبيب على غفلة الرقيب . طعام تضن به العين عن الفم . وقال رقبة بن مصقلة في صفة دعوة : جاؤنا بخوان كالقاع في بياض الفضة ، عليه رقاق كقباطي مصر ، ورغف كدارة القمر وبقول كوشي السندس ، وخل كذوب العقيق ، ثم جاؤا بفالوذج كأن الزئبق الجاري ينبع من خلله للجريان على وجهه ، ترى نقش الدرهم من تحته ظاهراً ، يذوب قبل التطعم ، ويبتلع قبل التبنع .

الموصوف بالنتن :

أنتن من الجيفة ومن ريح الجورب ومن العذراء ، ومن مرقات النعجة أي ما تمرق من شعرها أي ما ينتف .

كنى الاطعمة وأسماؤها الاعلام عند الصوفية :

قد أكثر الناس من ذلك وذكرت منه طرفاً هو اقرب : الخبز أبو جابر ، والسكباج أم القدور ، والقلية زلزل المغني ، والطباهج الزرزر الصناج ، والمضيرة الشيخ اليهودي ، ابو الزئبق البقل ، ابو زحام بلا منفعة الخل ، ابو عامر الغضبان . الخيار ابو الاخضر . البندق القثاء . ابو القرون البصل . ابو قمصان الدجاج . ام حفص الفروج . بنات المؤذن السكر . ابو شيبة الجوزي .

أنواع من ذكر الاطعمة :

كان النظام اذا خلط كلامه في ذكر الاطعمة ببعض الفاكهة يقول : الزيت نصراني والخل يهودي، واللبن والزيبيان نصرانيان راهبان ، وعلى لون صبغهما صبغوا ثيابهم . وقيل : الصحناة والتفشيل يهوديان والسمن مسلم ، من تعود أكل الطعام وان كان ضاراً لم يضره بل ينفعه ، حتى ان السم من تعود أكله لم يضره ، والطعام الجيد النافع للعامة اذا أكله من كان مستغرباً له غير عاهده يضره . وقد ذم الاطباء ما يخرج من الضرع ، وقريش تعودت أكلها . وانظر كيف كرمها وسخاؤها وعقولها ودهاؤها . ومرجالينوس مع تلامذته ببقلة فسألوه عنها فقال : هي سم ساعة . فاذا رجل يأكلها ولا تضره ، فسألوه فقال : هذا غذاء لنا فقال جالينوس : هل لك في مصاحبتي فاحسن اليك ؟ فقال الرجل : بلى . فصاحبه زماناً يأكل ما يأكلونه ، ثم عرض عليه ذلك البقل فأكله فمات لوقته . ابو طالب المأموني في السكنجبين .

ومستنتج ما بين خلّ وسكّرٍ   دوائيَ من دائي به وشفائي
رأيتُ به في الكاسِ أعجبَ منظرٍ   مذاب عقيقٍ فيه جامدُ ماء

• • •

ومما جاء في أحوال الاكل والاكلة والتطفل

الرخصة في تناول المباحات :

قال الله تعالى : لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا . وقال : وكلوا واشربوا ولا تسرفوا . وقال : قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . وقال تعالى : كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله . وقال النبي ﷺ : اعمل صالحاً وكل طيباً والبس ليّناً . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطاك اسراف ومخيلة . ورغب الله تعالى آدم في الخلود في الجنة فقال : ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فبدأ باشتراط الشبع . ومر عمر رضي الله عنه بشاب فاستسقاه ماء فخاض له عسلاً فلم يشرب وقال : إني سمعت الله تعالى يقول : اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا . فقال الفتى : إنها والله ليست لك اقرأ ما قبلها : ويوم يعرض الذين كفروا على النار . فشربها عمر رضي الله عنه وقال : كل الناس أفقه من عمر . واجتمع فرقد السنجي والحسن على مائدة ، فأُتي بجام خبيص فأبى فرقد ان يأكل وقال : اخاف ان لا أؤدي شكر الله تعالى عليه . فقال الحسن : كل فلنعمة الله عليك في الماء البارد أعظم منها في الخبيص . قال الشيخ ابو القاسم رحمه الله : فانظر الى فقه الحسن وفهمه وإلى ضعف رأي فرقد مع اسلامه . واعتبر بهما قول النبي ﷺ : فضل العلم احب الي من فضل العبادة ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد .

غسل اليدين قبل الطعام :

دعي سلمان رضي الله عنه الى طعام ، فلما دخل توضأ للصلاة فصلى ، ثم قدم الطعام فاستدعى الماء وغسل يده فقيل : ألم تغسلها آنفاً ؟ فقال : نعم ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من غسل يده قبل الطعام وبعده أكل في سعة من رزقه . وقال الحسن رضي الله عنه : غسل اليد قبل الطعام ينفي الفقر ، وبعده ينفي اللمم . وامتنع رجل من غسل اليد للطعام عند موسى الرضا فقال : اغسلها فالغسلة الاولى لنا ، والثانية لك ، فإن شئت فاتركها . وغسل رجل يده عند المأمون ومد يده الى رأسه ، فأمر باعادة غسلها ثم مدها الى لحيته ، فأمره باعادته وقال : لا يلي غسل اليد للطعام الا الطعام . وقدم الى مالك بن أنس رضي الله عنه حيث يراه المهدي الماء ليغسل يده للطعام فقال : هذا بدعة . فقال المهدي : يا أبا عبدالله البدعة تعتبر في الشر ، فأما أبواب الخيرات فاحداثها سنة ، وغسل رجل يده مراراً فلم تذهب عنها الدسومة . فقال : كاد هذا الدسم ان يكون لنا نسباً وصهراً . وامتنع اعرابي من غسل اليد بعد الطعام فسئل عنه فقال : فقد رائحته كفقده . وكان اعرابي عند سعيد

ابن مسلم فقعد للطعام فقتل قملة فقيل له : اغسل يدك . فقال : لا ضير ما بقي على يـــدي الا خرشاؤها . وكان اعرابي يفلي ثوبه ويأكل ويحبق فقيل له : أما تستحي ويحك ! فقال : وما انكرت ؟ أدخل حديثاً وأخرج عتيقاً وأقتل عدواً . وكان عبدالله بن سلمان يبطىء في غسل اليدين ويقول : يجب ان تكون مدته مدة زمان الأكل .

ذكر الله على الطعام :

قيل : اذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل اذا كان حلالاً وكثرت عليه الايدي وسمى الله في اوله وحمد في آخره . وقال طاوس : من سمى الله على طعامه لم يسأله عن نعيمه . وقيل : ذكر الله على الطعام شفاء يبرىء من الداء ، وذكر الناس داء لا يقبل الشفاء . وقيل : اذا أكلتم فسموا وأدنوا أي اذكروا الله وكلوا مما بين ايديكم . وكان ابن عباس اذا وضع الطعام يقول : بسم الله عني وعن كل آكل معي . وكان سعيد بن جبير اذا فرغ من الطعـــام يقول : اللهم قد أشبعت وأرويت وطيبت فهنئنا برحمتك . وقال بعض القصاد : يا معشر الناس ان الشيطان اذا سمى الانسان على الطعام والشراب لم يأكل معه ، فكلوا خبز الذرة والمالح ولا تسموا ليأكل معكم ، ثم اشربوا الماء وسموا الله حتى تقتلوه عطشاً .

حد الأكل من جانب الصحفة وعذر ذلك :

قال النبي ﷺ : ان البركة تنزل في وسط الصحفة فكلوا من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها . وقال انس بن مالك : كل بيمينك وتناول مما يليك . وأكل اعرابي مع بعض السلاطين فقال : كل مما يليك . فقال : رأيت جانبك أمرع ، ومن أجدب انتجع . وأكل اعرابيان على مائدة فمد احدهما يده فقال له الآخر : كف يدك ! فإن لك في ما بين يديك مقنعاً . فقال : اني من قوم اذا اجدبوا انتجعوا . فقال له : ويلك ! وهل على مائدة امير المؤمنين جدب ؟ ثم مد الآخر يده فقال له كف يدك ! فقال : اني من قوم اذا اخصبوا تخيروا فاستحسن عبدالملك كلامه ، وأمر له بصلة . وأكل اعرابي من بني عذرة مع معاوية فمد يده الى ثريدة بين يدي معاوية فقال معاوية : أخرقتها لتغرق أهلها ؟ فقال الاعرابي : ولكن سقناه الى بلد ميت . فضحك معاوية وأمر له بجائزة . وكان ابو علي بن حمدون في مجلس وعند القوم نقل ، فمد يده الى ما بين يدي صديق له فقيل له : ما تفعل ؟ فأنشد :

وأحياناً على بكر أخينا ... اذا ما لم نجد الا أخانا

وكان الهائم الشاعر على مائدة عليها جدي ، فجعل يجر الجدي الذي كان يليه ولم ينجر ، وكان الجانب الذي عليه اللحم يلي قوماً آخرين فقال :

ففينا غواشيها وفيهم صدورها

أوقات الطعام المحمودة والمذمومة :

سئل طبيب : اي اوقات الطعام أحمد ؟ قال : أما من قدر فاذا جاع ، ومن لم يقدر فاذا وجد .

الغداء والعشاء :

قيل : العشاء منخمة وتركه مهرمة . وقال بقراط : من تعود العشاء ثم تركه التبس عليه طبعه . وقال عمر رضي الله عنه لابنه : لا تخرج يا بني من منزلك حتى تأخذ حلمك . يعني حتى تتغدى . دعا الحجاج رجلاً الى غدائه فقال : قد أكلت . فقال له الحجاج : انك لتباكر الغداء . فقال الرجل : لخلال ثلاث : ان نوجيت لم يوجد من فمي خلوف ، وان شربت شربت على ثقل ، وان حضرت قوماً أكلت ومعي بقية من عرضي . وقيل : خير الغداء بواكره . فقيل : أمحمود ذلك في كل وقت ؟ فقال : نعم اذا كان شتاء فلطول الليل ، واذا كان صيفاً فلبرد الماء وقلة الذباب . واستدعى رجل الغداء فقيل له : اصبر حتى تطلع الشمس . فقال : أنتظر بغدائي قادماً من وراء خراسان . وقيل : خير الغداء بواكره ، وخير العشاء بواصره . وقيل : خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره أي ان تأكل وعليك ضوء . وسأل رجل الحسن عمن يأكل مرة فقال : أكل الصالحين . فقيل : مرتين . فقال : غداء وعشاء أكل التجار ، فقيل : ثلاث مرات . فقال : ذاك حمار يبني له آريّ .

ذم الشبع والاكثار من الاكل وحمد الاقلال منه :

قال النبي ﷺ : إياكم والبطنة فانها مفسدة للبدن مورثة للسقم ، مكسلة عن العبادة . وقال ﷺ : الرغب شؤم . وقيل : الموت جوعاً خير من الحياة شبعاً . وقال ذو الرياستين : ما عجبت لاتفاق الاطباء على ثلاث كلمات . قال طبيب الروم : كل قليلاً ولا تكن عليلاً ، وقال طبيب فارس : كل قصداً لا تلق من الكظة جهداً ، وقال طبيب الهند كل قدراً لا تضيق به صدراً . وقيل : صحة الجسم قلة الطعم وصحة الروح اجتناب الاثم . وجاء رجل الى ابي مسلم فقال : أعطيك دواء تأكل معه ما شئت فلا يضرك . فقال : لا حاجة لي فيه فقبيح بالانسان ان يدخل المستراح في كل يوم أكثر من مرة ، وقبيح به ان يجن في الشهر أكثر من مرة . وقال الخليل : اثقل ساعاتي ساعة آكل فيها . وقال مالك بن دينار : وددت أن رزقي حصاة امصها فقد ضجرت من كثرة ترددي الى الخلاء . وقال تعالى : والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم . وقال ﷺ : ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان ولا بد فثلث للطعام ، وثلث للشراب ، وثلث للنفس . وفي كتاب كليلة ودمنة : ليعدّ من البهائم من همته بطنه وفرجه . وكانت العرب تسمي الشبع ابا الكفر . وقيل : اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة ، وقعدت الاعضاء عن العبادة . البطنة تذهب الفطنة . قيل : لا

تسكن الحكمة بطناً ملىء طعاماً . من الكرم تنزيه القرم . وقيل : الشبع داعية البشم ، والبشم داعية السقم ، والسقم داعية الموت ، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمـــة . قال الحسن : مسكين ابن آدم صريع الشبع أسير الجوع .

شاعر :

وإنّ امتلاءَ البطنِ في جسدِ الفتى قليلُ غناء وهو في الجسمِ صالحُ

وقال طرفة في عمرو بن هند :

ويشربُ حتى يغمرَ المحضُ قلبَه وان اعطِه اتركْ لقلبي مجثما

وباع مالك بن دينار جارية فزارته يوماً فقال : كيف ترين مواليك ؟ فقالت : ما أكثر خير بيوتهم ! فقال : اخبرتني عن عمران حشوشهم . وقال يحيى بن معاذ : من أكل حتى شبع عوقب بثلاث : يلقي الغطاء على قلبه ، والنعاس على عينيه ، والكسل على جسمه . وقال بشر الحافي : من ضبط بطنه فقد ضبط الاعمال الصالحة كلها . وقال بشر بن الحارث : لا تعود نفسك الشبع من الحلال فتدعوك الى الحرام . وسأله رجل عن غسل الجمعة فقال : اغسل بطنك يكفيك عن غسل بدنك . واشتهى ابو مسلم الهريسة فقال لطباخه : اشتهيت هريسة فاتخذها أجود ما يكون . فلما قدمت اليه أمر بأن ترفع ولم يأكل ، ثم قال له من بعد : اتخذ هريسة . فاتخذها وقدمها اليه فلم يأكل . وتقدم اليه ثالثاً فعملها وقدمها فلم يأكل فقال الطباخ : أيها الامير لقد أجدت حتى لا غاية فما الذي يحجزك عنها ؟ قال : رأيت نفسي قد شرهت الى تناولها فكرهت ان تغلبني شهوتي . وقيل : لا تجعلوا بطونكم خزائن الشيطان يضع فيها ما أحب .

حد الشبع :

قيل لاعرابي سأل ما حد الشبع : هو الامتلاء من الطعام حتى لا تشتهيه . فقال : وهل يكون ذلك الا في الجنة ؟ اعرابي : اللهم اني أسألك ميتة كميتة عرفجة . فقيل : كيف مات ؟ قال : أكل بزجاً وشرب مشعلاً والتف في كسائه ومات ، فلقي الله شبعان ريان دفآن .

حمد الطوى وذمه :

المغيرة بن شعبة : علموا اولادكم الخفاف ، احملوهم على الطوى لان من اتبع أمراً لزمه ، ومن اكثر من تركه أجمه . الحارث بن كلدة : خير الدواء الازم ، وشر الدواء ادخال الطعام على الطعام . قيل ليوسف عليه السلام : لم تجوع وأنت على خزائن الارض ؟ فقال : أخاف ان اشبع فأنسى الجائع . وقيل : ترك الأكل يضيق الامعاء .

الصابر على الجوع :

قال : ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظله حتى أنالَ به لذيــذَ المطعمِ

وخرج ابو خراش في سفر فعدم الطعام أياماً ، فمر بامرأة فقال : هل من طعام ، فأتته بعمروس فقالت : اذبحه ، فذبحه وسلخه ثم شواه ، فلما وجد رائحة الشواء قرقر بطنه فقال : اتقرقر من رائحة الشواء، يا ربة البيت هل من صبر ؟ فأتته بصبر فاقتحمه وأتبعه بماء ، ثم ارتحل ولم يأكل وقال :

وإني لأثوي الجوعَ حتى يملّني فيذهب لم تدنسْ ثيابي ولا عرضي

آخر : واغتبق الماءَ القراحَ وانتهي إذا الزاد أمسى للمزلّج ذا طعمِ

مخافةَ أن أحيا برغمٍ وذلةٍ وللموت خيرٌ من حياةٍ على رغمِ

الصائن بطنه عما يلزم عنه منة أو مذمة :

قيل : احسن بيت في هذا المعنى قول نهشل :

أغر كمصباح الدجنَّةِ يتقى قذى الزادِ حتى يستفاد أطايبه

وقال : إذا مطعمي كان ذا غصةٍ غسلتُ يدي منه قبل اكتفائي

آخر : ألبانُ ابل تعـلة بن مساور ما دام يملكُهـا علي حرامُ

وطعام عمران بن أوفى مِثلها ما دام يسلك في البطون طعام

إن الذينَ يسوغُ في أعنـاقهم زادٌ يمنّ عليهمُ لَلِئـامُ

قال بعضهم : اكتريت من جمال فكان يحدو بنا بقول الشاعر :

أبلج بين حاجبيه نوره

فلما بلغ قوله : اذا تغدى رفعت ستوره

أمسك حتى بلغنا المنزل فقلنا : لمَ لم تكن تنشد قبل هذا ؟ فقال: تفادياً من ان تحسبوني اعرض بزادكم .

حمد الرضا بما يتسهل :

قال النبي ﷺ : كفى بالمرء عيباً ان يتسخط ما قرب اليه . وقيل : كل في شهوة أهلك .

قال الأصمعي : رأيت اعرابية تأكل قشور الرمان فقلت : ما هذا ؟ قالت : ادفع به الجوع فان الجوع اذا دفعته بشيء اندفع .

شاعر : تنافس في طيبِ الطعامِ وكلُّه سواءٌ اذا ما جاوزَ اللهواتِ

ابن الرومي :

ومتى شرهتَ فإنّ أيسر لَذمٍ لك ان نظرتَ مع السلامةِ كافيَه

آخر : وما هي الا جوعةٌ إن سددتَها فكلّ طعامٍ بين جنبيكَ واحدُ

آخر : وما أكلةٌ إن نلتَها بغنيمةٍ ولا جوعةٌ إن جعتَها بغرامِ

وقال بعضهم : لقيت اعرابياً فقلت من اين ؟ فقال : من البادية من جبـــل ضرية ، ارض لا نبتغي بها بدلاً ولا عنها حولاً ، في ارغد عيش وأنعم معيشة ، فالحمد لله على ما بسط من السعة ورزق من حسن الدعة ، أو ما سمعت قول قائلنا :

إذا ما أصبنا كلّ يومٍ مذيقةً وخمسَ تميراتٍ صغار هوامزِ

فنحنُ ملوكُ الناسِ خصباًونعمةً ونحنُ اسودُ الغابِ وقت الهزاهزِ

وكم متمنٍّ عيشةً لا ينالها ولو نالها أضحى بها جدّ فائزِ

الشاكي عدم المآكل :

قيل لرجل : بم تسحرت البارحة ؟ فقال : باليأس عن الفطور الليلة . وقيل لرجل : ما تأكل ؟ قال : الخبز والزيت . فقيل : أتصبر عليها ؟ فقال : ليتهما صبرا علي .

جرير : تكلفني معيشةَ آل زيدٍ ومَن لي بالمرّقق والصنابِ

وقال اعرابي لامرأته : لو كان عندنا تمر وسمن لطلبنا دقيقاً ، واستعرنا طنجيراً واتخذنا عصيدة. والعرب تسمي الجوع أباعمرة . قيل لأعرابي : أتعرف أباعمرة ؟ قال : كيف لا أعرفه وكبدي مخيمة على أمعائه والصفر . وقيل : هو حية في البطن تعض اذا جاعت صاحبها . قال اعرابي : ما لي عهد بعضاض ولا مضاغ ولا لماج ولا شماج منذ زمان . وقيل : نزل به أبو عمرة ؛ وهو كناية عن الجوع . وقال :

حل أبو عمرةَ وسْطَ حجرتي

استطابة الجائع الطعام :

قيل لابي العملس : أي طعام أطيب ؟ فقال : طعام لقي الجوع بطعم وافق الشهوة . قيل : فما ألذ الاشربة ؟ قال : شربة ماء تضيع بها غلتك . وقال محمد بن جعفر : العين طليعة المعدة . وكان مكتوباً على مائدة أنوشروان : ما طعمته وأنت تشتهيه فقد أكلته ، وما طعمته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك . وقيل : أحدّ شيء ضرس جائعة .

من جسمه ينبىء عن جودة أكله :

في المثل : افواهه هجاسة . قيل : يريك البشر ما اجاد مشفر . وقيل لرجل : ما أسمنك ! فقال: أكلي الحار وشربي القار والاتكاء على الشمال . وقيل لآخر فقال : قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة .

وصف الاكلة :

من الآكلة سعد القراقر الذي قيل فيه : أجوع من كلب حومل ، ودرواس الذي يقول : الغداء غذاء والغبوق دواء والقيل حمض والجاشرية خفض . وزهمان الذي قيل فيه : في بطن زهمان زاده . أكل سليمان بن عبدالملك أربعين دجاجة وثمانين كلية بشحومها ، وثمانين جردقة وأحضر الاجاص فاحصي له ثمانمائة نواة . وكان هلال بن مشعر التيمي أكل فصيلاً وأكلت امرأته فصيلاً فلما تضاجعا لم يصل اليها فقالت : تصل إلي وبيننا جملان ؟ وقال سالم بن قتيبة : عددت للحجاج أربعاً وثمانين لقمة في كل لقمة رغيف فيه ملء كف من سمك طري . وكان معاوية يأكل حتى يتربع ثم يقول : ارفع، ما شبعت حتى مللت .

ابن أبي الاسود :

كانما في فيه أحجارُ الرحا وكأنما في جوفه تنُّورُ

آخر : أقلُّ ما يأكله أقلُّه لا يحملُ النيلَ ولا يقلُّه

ووصف اعرابي رجلاً فقال : هو أكلة وكلة وتكلة .

آخر : كأنه برذونة رغوثُ

آخر : قرضابة طرفاه الدهر في تعبٍ ضرسٌ طحونٌ وفرجٌ يفسدُالدينا

آخر : خبٌّ جبانٌ، واذا جاع بكى ولا يواري فرجَه إذا اصطلى
ويأكل التمر ولا يلقي النوى كأنه غرارة ملأى خنا

آخر : أيا آكلُ مِن نارٍ ويا أشربُ مِن رمْلِ

وكان بلال بن أبي بردة أكولاً ، وفيه يقول الحسن رضي الله عنه · يتكي على شماله ويأكل غير ماله حتى اذا كظه الطعام يقول ابغو الي هاضوماً . وقيل : وهل تهضم الا دينك ؟ وقيل لرجل : كيف أكل فلان ؟ فقال : كما لا يحبه لبخيل . ويتمثل في هذا الباب بقول جرير :

كالحوتِ لا يلهيه شيءٌ يلهمُه يصبحُ ظمآنَ وفي البحر فمُه

وفي الجشاء لابن عيينة :

وتصبحُ تقلس عن تخمةٍ ... كان جشاءكَ عن فجله

المسرع اللقم :

شاعر : ما بينَ لقمتهِ الاولى اذا ازدردَتْ ... وبين أخرى تليها قيسُ أظفورِ

آخر : يداركُ اللقم ولا يخشى الغصَص ... تلَقُّماً يقطعُ أزرارَ القمصْ

وقال آخر : فلان اذا أكل شدق وعلق وحملق أي لقمة في فمه ، وأخرى في يده ، وأخرى يرمقها بعينه . وقيل : فلان برم قرون لمن لا يدخل في الميسر ثم يأكل تمرتين تمرتين . وروي ان رسول الله ﷺ كان اذا أكل طعاماً ، فرفع الى فيه لقمة لم يأخذ غيرها حتى ينقي فاه منها .

المعظم اللقم :

شاعر : أعددت للقمِ بنانا مجرفـا ... وضرس نابٍ كالرحا محرّفا

ومعدة تغلي وبطناً أكنفا ... حولاً دكيكاً ما يذوقُ علَفا

اعرابي : يحشو زوايا بطنِه إذا اضطرَمْ ... لقماً كامثال جلاميد الأَكم

البحتري : وكأن الفتى يطمّ ركاباً ... قد تهورْنَ أو يسُدّ بثوقا

آخر : يلقم لقماً ويغدى زاده ... يرمي بامثال القطا فؤادَه

آخر : ترى كلّ محلولِ الازارِ كأنما ... يطينُ سطحا أو يلقّمُ ناضِحا

وقيل : فلان ان أكل لف وان شرب اشتف .

شاعر : وكأنما صوتُ التطعمِ منهمُ ... قُبَلٌ يفوهُ بهنّ صوتُ شفاهِ

آخر : كأن دويّه في الحلقِ لمّا ... يهمهمُ صوتُ رعدٍ في سحابِ

الاكل بالملعقة :

أكل اعرابي بملعقة شيئاً فاحترق فمه فقال : أبعدني الله ان احكم على فمي غير يدي ، فانها رائد حق ونذير صدق . وكره الاكل بالملعقة مع الغير فإن ادخالها في الفم واعادتها الى الصحفة مستقبح. وكان بعض اهل المروآت يضع بين يديه ملاعق ، فاذا التقم بواحدة لم يعد اليها .

المملوء فمه من الطعام :

سلم رجل على اعرابي وكان في فمه لقمة ، فلما بلعها قال : حياك من خلا فوه ! وقال حميد الارقط:

أتانا وما داناه سحبانُ وائلٍ بياناً وعلماً بالذي هو قائـلُ
فما زال عنه اللقم حتى كأنه من العي لما أنْ تـكلّم باقلُ

من أكل ما اشتهاه ولم يخف عقباه :

حضر أعرابي طعام امير فأكل معه ، فاحضر الفالوذج فقال الأمير : ان أكلت هذا حززت رأسك ! فنظر ملياً ثم رأى تركه خسراناً فمد اليه يده وقال : أوصيك بصبيتي خيراً ! مر أعرابي بقوم وعندهم طعام فقال : ما هذا ؟ قالوا : زقوم . قال : طيب والله لاساعدنّـكم على أكله .

استدعاء الطعام :

قال الاصمعي : اضفت اعرابياً فلما اكلنا قلت يا جارية اطعمينا تيناً ، فنسيته ، فقلت له بعد ساعة: أتحسن شيئاً من القرآن ؟ قال : نعم . فقلت : اقرأ فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم والزيتون وطورسينين. فقلت واين التين ؟ فقال : نسيته انت وجاريتك من ذلك الوقت . دخل رجل على قوم يشربون ، فناولوه اقداحاً وكان جائعاً فقال للمغني غنّ :

خليليّ داويتما ظـاهراً فمن ذا يداوي جوًى باطِنا

فعلم صاحب الدار انه جائع فقال غن له :

من يسأل الناسَ يحرموه وسائلُ اللهِ مـا يخيبُ

ودخل آخر على قوم فقالوا له : اي صوت احب اليك ؟ فقال : صوت المقلي ! ودعي ابن حجاج الى دعوة مع جماعة فتأخر عنهم الطعام فقال لصاحب الدعوة :

يا ذاهباً في دارهِ آتياً من غيرِ ما معنى ولا فائده
قد جُنّ أضيافُكَ من جوعِهم فاقرأ عليهم سُورةَ المائده

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما في دعوة ، فاستبطأ الطعام فقال : ائتونا بالخوان نأنس به الى ان يحضر الطعام . وقال النبي ﷺ : ان الملائكة لا تزال تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة . ودخل اعرابي على رجل بين يديه سلة فيها طعام فقال : ما هذا ؟ قال : بظرامك . فقال : اعضضنّ به . ودخل الشعبي على ابي عمرو فتطاولا ثم قال الشعبي : أعندك تحفة ؟ فقال : نعم أي

التحفتين أحب اليك أتحفة ابراهيم أم تحفة مريم ؟ فقال : تحفة ابراهيم عهدي بها الساعة ، يعني اللحم ، ولكن ائتني بتحفة مريم فأتاه بالرطب . وقيل لاعرابي : ما تشتهي ؟ فقال : حرف جردق وعرق مرق . وقال بعض أهل الكوفة : دخل علي جعيفران فقال : هل من طعام ؟ فقلت : سلق بخردل . فقال : فاشتر بطيخاً . فقلت للجارية : قدمي الطعام واذهبي فاشتري بطيخاً ، فقدمت الطعام وذهبت وتباطأت فقال جعيفران :

سلقتنـا وخردلت ثم ولت وهرولت
وأراهـا بواحـدٍ وافر الأير قد خلت

فخرجت في طلبها فاذا بالسائس قد خلا بها في الدهليز كما وصف .

الاحتجاج للتطفل والتبجح به :

عوتب طفيلي فقال : كلكم طفيليون لكنكم تجهلون انكم تؤدون الأعمال من غير أن تدعوا اليها ، وسواء تطفل على طعام او على تمنية . وقال طفيلي وقد عوتب : قد تطفل بنو اسرائيل على الله فقالوا : ربنا انزل علينا مائدة من السماء . وقيل لطفيلي : لا يحل لك ان تأكل من طعام لم تدع اليه ، فقال : هذا خلاف قول الله تعالى حيث قال : ليس على الاعمى حرج ، الى قوله : ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم ، او بيوت اخوانكم . وقد قال الله عز وجل : انما المؤمنون اخوة . وقال طفيلي : ان لم أدع ولم أجيء وقعت وحشة ، ثم انشد :

نزورُكم لا نكافئكم بجفوتكم   إنّ المحبَّ اذا لم يستزرْ زارا

آخر : لا أرى التطفيلَ إلاّ في فتى حرّ كريم

وقال علي البصري :

أحسنُ الاخوانِ إن خفتَ من الإخوانِ جفوَه
طرحُك الحشمةَ عنهم وتجي من غير دَعوَه

آخر : قد أتيناك زائرينَ خفافـاً وعلمنا بأنّ عندكَ فضْله
إن تجـدنا كما تُحب وإلا فاحتملنا ، فانما هي أكْله !

المهجو بالتطفل وذمه :

قيل : فلان أطفل من ليل على نهار ، وألزم للخوان من منديل الغمر ، يأكل لمّا ويوسع الحي ذما .

ابن طباطبا: ولو نشرَ النبيّ لكنت منه   مكان أبي هريرةَ غير مينِ
ألحّ زيارةً ليلفّ زاداً   معدًّا لابنِ فاطمةَ الحسينِ

آخر : لو يسمعونَ بأكلةٍ أو شربةٍ بعمانَ أمسى جمعهم بعُمَانِ

وقال النبي ﷺ : من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقاً وأكل حراماً . وكان ابو دلف العجلي كتب من الكرخ الى محمد بن فاخر بأصبهان : إني اريد ان ألم بك يوماً فأضيفك وأرى اصبهان . فهيأ ابن فاخر وانفق مالاً جماً ، وكان بأصبهان شويعر بينه وبين ابن فاخر عداوة ، فكتب رقعة ودفعها الى من تصدّى لابي دلف لما قرب من اصبهان فقرأها فاذا فيها :

جئت في ألف فارسٍ لغداءٍ من الكرَجْ

ما على المرء بعد ذا في دنا النفسِ مِن حَرَجْ

فانصرف أبو دلف راجعاً وأفسد على محمد ما كان هيأه .

ابن بشير فيمن أكل وحمل :

أكلوا حتى اذا شبعوا حملوا الفضل الذي تركوا

احتمال المشقة فيه :

قال ابو الجهم :

كم لطمةٍ في حرّ وجهكَ صلبةٍ من كف بوابٍ سفيهٍ ضابطِ

حتى وصلت فنلتَ أكلةَ ضيغمٍ متضمخٍ بدمٍ وأنفٍ ساقطِ

فسمعها طفيلي قال : نعم من طلب عظيماً خاطر بعظيم .

الشديد الطمع :

قيل : هو اطمع من اشعب . وكان قيل لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ فقال : ما زفت عروس إلا كنست بابي ورششته طمعاً أن تحمل الى داري ، وما سارر احد احداً إلا ظننته يأمر لي بشيء . وقيل لطفيلي : ما بلغ من طمعك ؟ فقال : ما سألتني عن هذا الا وفي نيتك ان تعطيني شيئاً .

حث المتطفل على الوقاحة :

رأى طفيلي آخر فقال له : هلاّ حضرت دعوة فلان ؟ فقال : لا يجتمع التطفيل والحياء أما سمعت قول الشاعر :

لا تستحين من القريبِ ولا منَ الفظِّ البعيدِ

ودع الحيـاءَ فإنمـا وجه المطفّل من حديدِ

نوادر المتطفلين :

سمع طفيلي خشخشة الابريق فأمسك عن الطعام فقيل له في ذلك فقال : حتى يسكن هذا الأرجاف . وقيل لآخر : ما بال وجهك اصفر ؟ فقال : للفترة بين القصعتين أخاف ان يكون الطعام انقطع . وقيل لآخر : ما تحفظ من القرآن ؟ قال قوله تعالى : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً . وقيل لآخر اشتر لنا لحماً فقال : لا أُحسن الشراء . فقيل له : اوقد النار . قال : أنا كسلان . فقيل له : اطبخ . قال : لا أحسن الطبخ . فلما غرف الطعام قيل له : تقدم فكل . فقال : اكره ان اكثر مخالفتكم . وحضر طفيلي باب دعوة فمنعه البواب فقام ينظر من صير الباب الى الاطعمة ، وأنشد :

وما لك منها غير أنك نائلٌ بعينيك عينيها ، وهل ذاك نافع ؟

وأكل اعرابي عند قوم ، فلما اراد الخروج قيل له : هل تعود الينا ؟ فقال : ليس مثل السوء لي ولكن الكلب لا يدع حائطاً شبع منه . وقال طفيلي لقوم يحضرون دعوة : اجعلوني لحقاً بين سطرين .

أكل فضالة المائدة :

روي عن النبي ﷺ : من أكل من فضالة ما يسقط من المائدة لم يزل في سعة من الرزق ما كان ، ووقي هو وولده وولد ولده الحمق . وقيل : مهور الحور العين أكل فتات المائدة .

الخلال :

قال جعفر بن سليمان : لا بد من الخلال وهو مخربة للاسنان ، ودخل رستاقي على قوم يأكلون فأطعموه ، فلما فرغوا اعطوه فأخذ يتأملهم ظناً منه انهم يريدون قلع أسنانهم ، فأخرج مسلة معه ، فقلع ضواحكه ، والتفت اليهم وقال : أنتم بعد في حفر أصل واحدة ، وها أنا قد نزعت أربعاً . وأكل طبري مع قوم ، فلما فرغوا دفعوا اليه خلالاً فظنه مما يؤكل فأكله ، فنظر الغلام اليه فلم ير الخلال معه ، فدفع اليه آخر فقال الطبري : قد أكلت واحداً ولا اشتهي غيره .

انواع من هذا الفصل :

قال النبي ﷺ : اذا صنع خادم احدكم طعاماً فليجلسه معه او يناوله . وقال : لا تأكلوا في غربال ولا منخل ، فانه يمحق البركة ولا يشبع . وأتي ﷺ بطعام شديد الحرارة فقال : ما كان الله ليطعمنا النار أقروه حتى يبرد ، فإن الطعام الحار ممحوق البركة وللشيطان فيه شرك .

البحتري : تنازعنا المدامة وهي صرفٌ وأعجلنا الطبائخَ وهي نارُ

• • •

ومما جاء في الدعاء الى الدعوات

اسماء الدعوات :

المأدبة والمأدبة : الدعوة والوليمة عند الاملاك ، والعرس عند البناء بالاهل ، والخرس للولادة ، والاعذار للختان ، والنقيعة للقدوم من سفر ، وكذلك السفرة والوكيرة والحيرة للبناء ، والوضيمة للمأتم ، والعقيقة لاول ما يؤخذ من شعر الولد ، والنقرى التخصيص في الدعوة ، والجفلى التعميم فيها . قال بعض الادباء العارفين بالفارسية : ليس في اللغة الفارسية شيء من اسماء هذه الدعوات .

الحث على اتخاذ الدعوة والاجابة اليها :

قال النبي ﷺ لعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه : أولم ولو بشاة . وقال ﷺ : لو دعيت الى كراع لاجبت ، ولو أهدي الي ذراع لقبلت . وروي ان اصحاب النبي ﷺ كانوا اذا اجتمعوا لم يتفرقوا الا عن ذواق . وقال ﷺ : اذا دعي احدكم الى طعام فليجب ، فان شاء طعم وان شاء ترك ، وفي حديث آخر : فان كان مفطراً فليأكل ، وإن كان صائماً فليصلّ اي ليدع لهم بالبركة . وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما اذا دعي الى طعام يحضر ، فإن كان مفطراً أكل ، والا قال : كلوا بسم الله . ويذكر أن النبي ﷺ قال : الصائم اذا أكل عنده سبحت اعضاؤه .

المستدعي صاحبه زاعماً ان به يتم السرور :

كتب أبو الفرج الدمشقي الى صديق له :

شهد اللهُ أنَّ كل سرورٍ　　غبتَ عنه فليسَ لي بسرورِ

آخر : نحن في أطيبِ الحبورِ ولكنْ　　ليس الا بكُم يتمّ السرورُ
عيبُ ما نحن فيهِ يا أهلَ ودّي　　أنكم غبتمُ ونحنُ حضورُ
فاعدّوا المسيرَ بل ان قدرتم　　أن تطيروا معَ الرياحِ فطيروا

الصولي : حضر السرورَ وعيبُه　　ان لستَ مسعدَنا عليهِ

آخر : ائتنا إن عندنا بعضَ مَن أنتَ له وامقٌ مِن الأَصحابِ
وأناس فيهم وفيهم ولكن　　ليس بدّ مِن القذى في الشرابِ

من دعا صديقه ووصف له طعامه وشرابه :

كتب جحظة إلى صديق له :

لنا يا اخي فرحةٌ وافرَه وقدرٌ موفّرةٌ حاضره
وراحٌ تريكَ إذا صُفّقت سنا البرقِ في الليلةِ الماطِره
ومسمعةٌ لم يخنْها الصواب وزامرةٌ أيما زامِره
وما شئتَ من خبرٍ نادرٍ ونادرةٍ بعدها نادِره
فوافِ وإن كنتَ يا ابنَ الكرامِ وحاشاكَ في الساعةِ الآخرة

وكتب الوزير العباس الى نديم له :

أيها الكوفي شيخي قم بنا نحو الدُّوَيْره
فلنا فضلةُ سكبا جٍ لدينا في قُدَيْره
ومدامٌ من دمِ الكر مةِ باتتْ في ذُكَيْره
واذا ما ارتاحتِ النفسُ من الراحِ قُطَيْره
فضجيعي ساعدا عمرو وشيخي مع عميرَه

ودعا رجل صديقاً له فقال : ما عندك ؟ قال : مرقة طيبة ونفس تستطيب أكلها فقال : مثلك يجاب ! وكتب ابو سعد بن نوقة إلى ابي مسلم بن بحر وراسله برسول يكنى أبا بكر :

إن كنتَ تأكلُ ما حضَر فاحضُرْ فإنك منتظَرْ
والساعةُ اقترَبتْ لفر طِ الجوعِ وانشَقّ القمرْ
ورسولُنا بكتابنا هذا الظريفُ أبو بكرْ
وبإذنهِ حركْتُ منه الكافَ كيلَا ينكسِر

محمد بن باج :

عندنا قدرٌ لذيذٌ ليسَ للقدرِ شريك
ونبيذٌ من زبيبٍ وغزالٌ يستَنيكْ
فائتِنا نأكلْ ونشربْ ثم نخلو فننيك !

آخر : وماذا ترى في برمةٍ بقريَّةٍ ... وأخذٍ باطرافِ الحديثِ المنمقِ

كتب ابن مكرم الى أبي العيناء : عندنا سكباج يوعف المجنون ، وحديث يطرب المحزون ، واخوانك الملحدون ، فلا تعلوا علي وائتون . فكتب اليه ابو العيناء : اخسؤا فيها ولا تكلمون .

من دعا أصحابه ووصف لهم من الاطعمة ما لم يفِ به :

قال الاعمش لجليس له : أتشتهي جدياً سميناً وأرغفة باردة وخلا حاذقاً ؟ فقال : إي والله . قال: فانهض معي . فحمله الى داره وقدم اليه خبزاً يابساً وبقلًا وخلًا قال : فأين الجدي والارغفة ؟ قال: لم أقل لك هما عندي وانما قلت تشتهيه . والمسمى بابن العباس الابله قال لبعض من استقبله : هل لك في قديدٍ هشٍّ وخبز لين وخبيص ملبق ؟ قال : إي والله ! قال : اذهب الى السوق فاشترها فاني قد اشتهيها ، وها انا اعود الى دارك لآكلها . قال العطوي : دخلت على ابي سعيد المخزومي وهو بين بابين وعلى احدهما :

نعمَ النديمُ نديمٌ لا يكلّفني ... ذبحَ الدجاجِ ولا ذبحَ الفراريجِ
يرضى بقدرين من برٍّ ومن عَدَسٍ ... وإن تشهّى فزيتون بطيبوجِ

فقلت : قد رضيت بزيتون واعفيتك من القدرين . فقال : اقرأ على الحائط الآخر ، فاذا عليه :

اشربْ علـى الخيرِ والريقِ ... لبعدِنا الآنَ مِن السوقِ
لا تطلبنّ الخـبزَ مِن بيتِنا ... فإنمـا تنفخُ في البوقِ

من دعا أخاه فاستعجله :

كشاجم في ابيات كتب بها الى صديق له يدعوه :

فكنْ جوابي ولا تركنْ الى عذُرٍ ... فإن ركنْتَ إلى شيءٍ أتيناهُ
فقد تيقنت اني ما التمست أخاً ... مساعداً قط إلا كنتَ إياهُ

كتب ابو مسلم بن بحر الى ابي سعيد بن نوقة :

تلقّاك يوُمك بالأسعدِ ... وأعطيتَ سؤلك في أحمـدِ
فبادر إليّ وُقيتَ الرّدى ... وهب لي صلاتَك في المسجدِ

آخر : جُعلتُ فداكَ قد حَضَر الطعامُ ... وصاَحتْ من تأخركَ المدامُ
فإمـا جئتَنا عجلًا وإلا ... أخذنا في اغتيابك والسلامُ

منصور : كتبتُ والكاسُ في يمناي مترعةٌ وأحسنُ الناس يُلهينا ويَسقينا
ونحنُ في مجلسٍ حلّ السرورُ بهِ خلوين من ثالثٍ حتى توافينا
فكن جوابَ كتابي والسلام فما أراكَ تدركُنا إلا مجانينا

آخر : كن جوابي اذا قرأتَ كتابي لا تردّنّ للكتابِ جوابا
اعفني مِنْ نعَمْ وسوفَ ولي شغلٌ وكنْ سيداً دُعي فأجابا

معاتبة متباطىء :

قال بعض الناس : دعاني رجل الى وليمة في يوم جمعة ، فمضيت الى الجامع وتشاغلت ، فجئته مع العتمة فقال لي : ياهذا عصيت الله في هذا اليوم ثلاث مرات : مضيت الى الصلاة قبل النداء وقد قال الله تعالى : اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وقال الله تعالى : فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض فأقمت الى العتمة ، وعصيت الرسول حيث قال : الداعي مستغيث فاغيثوه ، فأخجلني .

كشاجم : تأخرتَ حتى كدذتُ الرسولَ وحتى سئمتُ مِن الانتظار
وأوحشتَ اخوانَك المسعدين وفجعتهم بشبابِ النهَار
وأضرمْتَ بالجوعِ احشاءهم بنارٍ تزيدُ على كلّ نار
فان كنتَ تأملُ ان لا تُذمّ فانتَ وحقِّك عينُ الحمار

وكتب الصاحب إلى ابي الحسن العلوي في أبيات ، وكان قد عاد الى داره لشغل ووعد ان يعود اليه فلم يعد :

لِمْ مِلتَ في العوْدِ الى التقصير كما يقالُ : حوصلي وطيري

الحث على ترك من تباطأ أو تأخر :

ابن المعتز: اذا ما تأخّرَ مَن قد دعَوْت فدعْهُ وما اختارَ مِن أمرهِ
ولا تشربَنّ بتذكارِه ولكن تثاءبْ علـى ذِكْرِهِ

آخر : إنّ الفتوّةَ كلّها في أكل ما يتلهوج
فاذا تعجّل خمسةٌ مِن ستّة قد أزعجوا

فدع انتظارَك واحداً لجماعةٍ قَد زوّجوا
ان البطيء عن الدعا ء الى الاجاعَةِ أحوَجُ

المعتذر لتأخره عن من دعاه :

كتب المهلبي الى صديق دعاه فلم يمكنه الحضور :

لولا شغيلٌ عاقني بالقربِ حاول عن مزارك
لأتيت نحوك مسرعاً ولصرت من غلمان دارك
فبحقّ طرفِك وافتنا نِك والمهذّبِ من نجارِك
الا منَنْتَ وقلت لي : إني وهبتُك لاعتذارِك

بن طباطبا : ابسُطوا العذرَ في التأخرِ عنكم شغل الحلي أهلهُ أن يُعارا

فضل المجيب الدعوة على داعيه :

قال ناصر الدولة وقد دعاه انسان إلى دعوته :

من دَعانا فابينْـا فلهُ الفضْلُ عَلَيْنا
فاذا نحنُ أجبْنـا رَجعَ الفضلُ إلينـا

ودعا بعض الناس أديباً فامتنع فقيل له في ذلك فقال : إنه دعاني مرة فأجبته فلم يشكرني عليه.

شاعر : أتاني رسولُك يبغي الحضور فخليتُ من كنتُ في دعوتهِ
وجئتُك يا سيدي مسرعاً كأني نوالُك في سرعتِه

ابن الحجاج في أبيات له :

جئتُ بلا وعـدٍ لأني فتىً يُضجِرُني التسويفُ والوعدُ

معاتبة من شرب الدواء فلم يدعه :

أبو القاسم بن أبي سعد الاصبهاني :

أبا فرج عِشْ سعيداً لنا ودمْتَ وبُلِّغتَ أقصى المنى
أسأتَ اليـنا وأوحشْتَنا وكنتَ قديماً فتىً مُحسنا
وللبيتِ مصراعُه المستفيض ولولاكَ جئتُ بـه معلنا
فبيّنْ لنا العذرَ فيما أتيتَ وصِل جمعَنا واغتنِمْ شكرَنا

الداعي من لا يدعوه :

كان بدمشق شاعران يتعاشران ، وأحدهما مكثر عن الآخر ولا يدعوه الى منزله ، فكتب اليه:

أبــداً تحصُلُ عندي ثم لا أحصُل عندكْ
إن تناصفني والا أُبت يا طائي وحدَكْ

ذكر بعض الكتاب انه كان يعاشر سوقياً ، فاتفق ان دعاه يوماً قال : فلما تمكنت اشتغل عني صاحب الدعوة ، فعثرت برقعة بخطه فيها : فلان دعاني مرتين ، ودعوته ثلاث مرات ، فعليه دعوة ، وقد ذكرنا على هذا أسامي كل من يعاشرنا ، فلما انتهيت الى اسمي فرأيته قد حصل له علي دعوات فخرجت وقلت : علي ان لا اتناول طعامك حتى اردّ ما علي ، قال فقلت في ذلك :

أرى الدَعواتِ قد صارَت فروضاً ودَيْناً في البرية مستفيضا
فأكرَهُ أن أجيبَ فتىً دعاني ولا أدعو فيلقـاني بغيضا

آخر : إذا كنتَ تدعوني لأدعوكَ مثلهُ ففعلُك منحولٌ الى فعلِ تاجرِ

الحث على تجديد الارسال الى من دعوته والتعريض :

اذا ما كان بينك في عشيٍ وبين أخ من الاخوان وعدُ
فجدد بالغـداةِ له رسولاً فإن حوادثَ الأيامِ تغدو

مثله : إذا صاحبٌ لك واعَدْتهُ ليومِ اجتماعٍ من الجمعـة
فقوّ عزيمَتـه في الوفـا بتذكرةٍ لك في رقعـة

واجتمع قوم في دارٍ ليلة فأرادوا الصبوح فقال المغني : دعوا صاحب الدار لي فاني أحمله على ان يحتبسكم فغنى :

ومعرسٍ طلبَ الصبوحَ وإنني لفتىً يوافقني الصباحُ وحسنُه

فقال الرجل لجاريته : القوم ارادوا الاصطباح فما الحيلة ؟ فقالت الجارية : دعهم لي . وأخذت العود وغنت :

ودار ندامى عطّلوها وأدلجوا بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ

فانصرف القوم .

• • •

ومما جاء في الاجواد بالقرى

قيل لاعرابي : ما القرى ؟ فقال : نار يعلو شرفها وخيمة يوطأ كنفها . وقال آخر : تلقى النزيل بالوجه الجميل . وقيل : بذل القرى فوق بذل الندى .

الحث على الاضافة :

قال الله تعالى في مدح قوم : ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً . وقال النبي ﷺ : اطعموا الطعام ، وافشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام . وقال ﷺ : اذا نزل الضيف بقوم نزل برزقه ، واذا ارتحل عنهم ارتحل بذنوبهم . وقال : أيما مسلم أضاف فاصبح الضيف محروماً ، فحق على كل مسلم نصرته حتى يأخذ قرى ليلته من زرعه أو ماله . انس بن مالك : كل بيت لا يدخله ضيف سبعة ايام لم تدخله الملائكة . ومر قتيبة بعذرة فقال : ان من يبخل بما يصير حاله إلى هذا لبخيل . وقيل لبعضهم : ما الكرم ؟ فقال : طعام مبذول ونائل موصول ووفاء لا يحول . وقال امير المؤمنين رضي الله عنه : لأن اختبز صاعاً او صاعين فادعو اليه نفراً من اخواني احب الي من ان أعتق رقبة .

حث الشافع المشفوع اليه على الاصطناع :

كلم علي بن الحسين رضي الله عنهما عاملاً في رجل فقال : انا لا أكلمك في ما يوهي دينك ويوقع امانتك ، ولكن الحر القادر اذا اراد ان يحسن احسن . وقال الواثق يوماً لاحمد بن ابي داود تضجراً بكثرة حوائجه : قد اختلت بيوت المال بطلباتك للائذين بك والمتوسلين اليك . فقال : يا امير المؤمنين هي نتائج شكرها متصل بك وذخائر اجرها مكتوب لك ، وما لي من ذلك الا ان أخلد المدح فيك . فقال : احسنت ! وشفعه . وكتب الصاحب في فصل :

والفتى إن أرادَ نفعَ أخيه فهو يدري في أمره كيفَ يسعى

• • •

ومما جاء في الجود والاجود

ما حد به الجود والاجواد :

قيل للاحنف : ما السخاء ؟ قال : الاستقصاء على الملهوف . وقيل : السخي من كان بماله متبرعاً وعن مال غيره متورعاً وقيل لصوفي : مَن الجواد من الناس ؟ فقال : الذي يؤدي ما افترض عليه. وقيل للحسن رضي الله عنه : من السخي ؟ فقال : الذي لو كانت الدنيا له فانفقها لرأى عليه بعد ذلك حقوقاً . وقال بعضهم : الناس اربعة، جواد وهو الذي يعطي حظ دنياه وآخرته ، وبخيل وهو الذي لا يعطي واحداً منهما ، ومسرف وهو الذي جعل ماله لدنياه ، ومقتصد وهو الذي أعطى كلاً بقدره .

كون السخاء واقياً من النقم :

قال الله تعالى : وما تفعلوا من خير يعلمه الله . وقال تعالى : وما تفعلوا من خير فلن تكفروه. وقال النبي ﷺ : اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الآخرة . وقال : عليكم باصطناع المعروف فانه يقي مصارع السوء . وقال ﷺ : السخاء شجرة من اشجار الجنة أغصانها متدلية في الدنيا . فمن اخذ بغصن من اغصانها اداه الى الجنة ، والبخل شجرة من اشجار النار ، فمن اخذ بغصن من اغصانها اداه الى النار . وقال امير المؤمنين رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : انما أمهل فرعون مع ادعائه الربوبية لسهولة اذنه وبذل طعامه . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد متكا . وقيل لحكيم : ما الذي يشبه من أفعال العباد فعل الله ؟ فقال : الاحسان الى الناس .

كون المحسن محبوباً عند الله ورسوله :

قال النبي ﷺ : ألا أدلكم على شيء يحبه الله ورسوله ؟ قالوا : بلى . قال : التغابن للناس . وقال ﷺ : تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى آخذ بيده . وقال : السخي قريب من الله قريب من الناس ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس . وقال ﷺ : سادة الناس في الدنيا الاسخياء ، وفي الآخرة الاتقياء . وقال : الخلق كلهم عيال الله وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله . وقالت عائشة رضي الله عنها : جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها . وقيل : من بذل دراهمه أحبه الناس طوعاً أو كرهاً . وقيل : من غزر عوارفه كثر معارفه . وقيل لحكيم : هل شيء خير من الدراهم والدنانير ؟ قال : معطيها .

ابن علقمة :

ولا تسألِ الأضيافَ : من هم؟ فإنهم   همُ الناسُ مِن معروفِ وجه ومنكرِ

من لا يتعلل على معتفيه :

معاوية بن جعفر :

بل لا نقولُ إذا تبوأ منزلاً : إن المحلةَ شعبُها مكدودُ
إذ بعضهم يحمي مراصدَ بيتهِ عن جارِه وسبيلُنا موروِدُ

آخر : أضفتُ ولم أفحشْ عليهِ ولم أقلْ لأحرمه ان الفناء مضيق

من لا يغلق بابه على معتفيه :

قيل : امدح بيت قالته العرب قوله :

يُغشَوْنَ حتى ما تهرُّ كلابُهم لا يسألون عن السوادِ المقبلِ

الرستمي :

ولم يغلقوا أبوابَهم دونَ ضيفِهم ولا شتَموا خدَّامهم ساعةَ الأَكلِ

آخر : اذا تغدى رفعت ستوره

وقال آخر :

واذا حضرنا البابَ عند غدائِه أذن الغداء لنا برغمِ الحاجبِ

ولما عرس جعفر بن يحيي بابنة علي بن عيسى بن ماهان جعل الطعام في الشوارع ، فكل من شاء أكل ، وجعلت الغوالي في مراكن من ذهب ، فمن شاء تطيب ، ومن شاء أخذ وانصرف . وكان عبيدالله بن عباس رضي الله عنهما يسمى معلم الجود ، وهو اول من وضع الموائـــد على الطريق ، وكانت نفقته كل يوم خمسمائة دينار .

النازل الروابي والاطراف :

ابو فراس :

لنا بيتٌ عـلى عنُقِ الثريا رفيعُ مذاهبِ الاطناب سامي
تظلِّلهُ الفوارسُ بالعوالي وتفرُشه الولائدُ بالطعامِ

ابن هرمة :

أغشى الطريقَ بقبتي ورواقِهـا وأحلّ في نشز الربا فأقيمُ

قيل للحسن رضي الله عنه : كيف نزلت بالاطراف ؟ فقال : هي منازل الاشراف ، يتناولون من ارادوا بالقدرة عليه ، ويتناولهم من ارادهم بالحاجة اليهم .

المبادر الى حمل الضيف :

شاعر : وقمتُ اليهِ مسرعاً فغنمتُه مخافَةَ قومي أن يفوزوا به قبلُ
فأوسعني حمداً وأوسعتُه قِرى وأرخصْ بحمدٍ كان كاسبَهُ الأكلُ

المسرور بمجيء الضيف وشاكره عليه :

دعبل : الله يعلمُ انني ما سرّني شيءٌ كطارقةِ الضيوفِ النزّلِ
ما زلتُ بالترحيبِ حتى خلتني ضيفاً له والضيفُ ربّ المنزلِ

وله : نغماتُ الضيفِ أحلى عِندنا من ثغاء الشاء او تِلك الوغا

آخر :
لم يطيقوا أن يسمعوا فسمعنا فصبرنا على رحى الأسنانِ
صوتُ مضغِ الضيوفِ أحسنُ عندي من غناء القيانِ بالعيدانِ

الحرماري :
لضيفي عليّ الطولُ ما دام نازلاً عليّ وفوقَ الطول ما استوطَنَ الرحلا
أبادرُه بالشكر قبلَ حلولِه فان حلّ بي صيّرتُ خدي له نعلا

المحتشد لاضيافه :

بعضهم :
فتى لا تعد الرسل تقضي ذمامه إذا نَزلَ الأضيافُ أَو تنحر الجزرُ

وقال بعضهم : دعا فأحسن قرانا ، وبر حتى لم يبق في داره ما يتفقدنا به مرة اخرى . وقيل لبعض من اتخذ دعوة : أسرفت . فقال : ليس في الشرف سرف . وقال الحسن فيما ظن لرجل أولم : أسرف فليس في الطعام سرف .

كشاجم : كأنّ الزائرِينَ اذا أتَوْه مفاجأةً أتوهُ على تعادِ

الحث على ترك التكلف وتعجيل الحاضر :

قال النبي ﷺ : هلاك بالرجل ان يدخل عليه النفر من اصحابه فيحتقر ما في بيته ان يقدم اليهم . وقال : لا احب المتكلفين . دعي امير المؤمنين الى دعوة فقال : على ان لا تحتشد ما ليس عندك

ولا تحتبس ما عندك . بكر المزني : اذا اتاك ضيف فلا تنتظر به ما ليس عندك وتمنعه ما هو عندك ، قدم اليه ما حضر . وقيل : الضيف الى القليل العاجل أحوج منه الى الكثير الآجل ، اما سمعت قول الله تعالى : فما لبث ان جاء بعجل حنيذ . وقال تعالى : الى طعام غير ناظرين اناه ، وقال بعض العلوية :

اذا طُرِقْتَ فما حَضر واذا دَعوْتَ فلا تَذَرْ

عذر من قدم ما حضر :

نزل ضيف بأعرابية فقدمت له خبزاً يابساً ولبناً حامضاً فذمها وقال :

أَلم ترَ أن المرءَ مِن ضيقِ عيشِه يلام على أخلاقِه وهْوَ معذرُ

وما ذاكَ منِ لؤمٍ ولا من ضراعةٍ ولكنه إن يطبل الدهر يزمرُ

آخر :

إذا أنتَ لم تشركْ رفيقَك في الذي يكونُ قليلًا لم تشاركْه في الفضلِ

آخر : لقل عاراً اذا ضيْفٌ تضيَّفني ما كان عندي اذا أعطيْتُ مجهودي

جهدُ المقلّ اذا أعطاكَ نائله ومكثرٌ منِ غنى سيانِ في الجودِ

عذر من لم يقدر :

استضاف قوم ابن هرمة فخرجت بنية له فصرفتهم واعتذرت اليهم فقالوا لها أليس ابوك القائل :

لا امنَع العودَ بالفصالِ ولا أبتاعُ إلا قريبةَ الأَجلِ

قالت : هذا الفعل هو الذي تركـكم بلا قرى . وقال رجل لمن سأله فلم يعطه فعاتبه : بيتي يبخل لا أنا !

عتب من لم يرض بما حضر :

قال شقيق : دخلنا على سلمان فقدم لنا شيئاً وقال : لولا أن النبي ﷺ نهانا أن نتكلف للضيف لتكلفت لكم ، فجاءنا بخبز وملح ، فاقترحنا عليه السعتر فذهب بمطهرته ، فلما أكلنا قال احدنا : الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا . فقال سلمان : لو قنعكم لم تكن مطهرتي مرهونة . وقيل : ليس بكريم من لم يقنع بما حضر .

مدح من آثر على نفسه أو أهله :

نزل ضيف على انصاري ، وكان عنده شيء طفيف فأحضره ، وأطفأ السراج ليأكل الضيف فلا

يشاركه فيه . فلما أصبح قال النبي ﷺ : عجب ربكم تعالى البارحة منكم فانزل الله عز وجل : ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . وقال صوفي لآخر : كيف يعمل فقراؤكم ؟ قال : اذا وجدوا أكلوا واذا عدموا صبروا . فقال : هذا فعل الكلاب إن الفقير منا اذا عدم صبر ، واذا وجد طعاماً آثر به غيره ! وقال مالك بن دينار يوماً : ما أكلت العام رطبة ، وكان حوله سبعمائة في تلك السنة لحطمة نالتهم .

شاعر: وزادٍ رفعتُ الكفّ عنه تكرُّماً   اذا ابتدأ القومُ القليلُ من العقلِ

آخر : كريم مكانِ الكفِّ من ذي انائه   إذا قلَّ زاد القوم من جانب اليدِ

آخر : سأقدح من قدري نصيباً لجارتي   وإن كان ما فيها كفافاً على أهلي

المساعد ضيفه في مؤاكلته :

قال النبي ﷺ لبعض نسائه : آكلي ضيفك فالضيف يستحي أن يأكل وحده . وكان ملوك الهند يؤاكلون أضيافهم ، وملوك الفرس يأكلون بعدهم .

بعضهم : حُسْنُ أكلِ الفتى يدلّ على ايناسِه ضيفَهُ وبسطِ أكيلِه
وتراه يقل منـه ويدعو   ذاك أضيافَه إلى تبخيلِه

آخر :

وزادٍ وضعتُ الكفّ فيه تأنساً   وما فيَّ لولا أنسة الضيف من أكل

المساعد رفقاءه بذات يده :

بعضهم :

واني اذا ما ضمني السيرُ والسُّرى   جعلتُ مطايا الرحلِ مِنَّا تعاقبا
فأوسع ركبان الفيافي مزاودي   وما زال مأدومي لصحبي تناهبا
أأوب وقد نفضت ما في حقائبي   جميعاً إذا رد اللئامُ الحقائبـا

ارطاة بن سهية :

وما دون ضيفي من تلادٍ تحوزُه   لي النفس الا أن تصانَ الحلائلُ

الحث على اكرام الضيف :

قال النبي ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . وقال ﷺ : ليس مني من بات شبعان وضيفه بطنه طاو .

عمرو بن الاهتم :

وجاري لا يهينه وضيفي　　اذا أمسى وراء البيتِ كورُ

آخر : والضيفَ أكرِمْهُ فإن مبيتَه　　حقٌّ ولا تَكُ لعنــةً للنزلِ

مدح القائم بخدمة الضيف :

قال الله تعالى : هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ؛ قيل : وصفهم بذلك لانه قام بخدمتهم بنفسه .

المقنع : وإني لعبدُ الضيفِ ما دامَ نازلا　　ولا فيَّ الا تلك مِن شيمةِ العبدِ

قال :　　وعبدٌ للصحابَةِ غيرُ عبدِ

جحظة البرمكي :

يا أمَّ طارق ليلٍ قد ألَمَّ بنــا　　استغنمي أجرَه فالأجر مغتنمُ

كوني له أمةً فيما يحلُ لهُ　　ورفهيهِ ففي ترفيههِ كرمُ

ونزل ضيف بجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فتخفف هو وغلمانه عند نزوله وعاونوه في حاوله، فلما أراد الارتحال عنهم لم يعنه غلام ، فشكاهم فقال : إن غلماننا لا يعينون على الارتحال عنا .

الاستقصاء على الاكيل مدحاً وذماً :

قال ابن عون : ما رأيت أسخى بالطعام من الحسن وابن سيرين . وكان الحسن رضي الله عنه يقول : الطعام اهون من ان يحلف عليه . وكان ابن سيرين يحلف يقول : أقسمت لتأكلن .

دعبل : كيف احتيالي لبسطِ الضيفِ من حصر　عندَ الطعام ، فقد ضاقَتْ بِهِ حيلي ؟

وقدم رجل الى الشعبي طعاماً فقصر في أكله فقال : قصرت . فقال : يا هذا إما ان تحلف علينا أو تدعنا . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما من داخل الا وله حيرة فابدؤه بالسلام ، وما من مدعو الى طعام الا وله حشمة فابدؤه باليمين .

محادثة الاكيل :

كره قوم الحديث على المائدة ، واستحبه قوم ، ومن صاحب الدعوة أحسن ولذلك قال الشاعر :

صادفَ أنساً وحديثاً ما اشتهى　　إن الحديثَ طرفٌ مِن القرى

وقيل: محادثة الاخوان تزيد في لذة الطعام.

أحمد بن أبي طاهر:

وأكثرُ ما ألذّ بـه وألهو   محادثةُ الضيوفِ على الطعامِ

وقيل: من اكثر الكلام على طعامه غشّ بطنه وثقل على اخوانه.

مضاحكة الاضياف:

شاعر: أضاحكُ ضيفي قبلَ إنزالِ رحلهِ   ويخصبُ عندي والمحلّ جديبُ

وما الخصبُ للأضيافِ أن يكثرَ القِرى   ولكنما وجْهُ الكريمِ خصيبُ

أعرابي: نقريهمُ الوجْهَ ثم البذل يتبعُه   لا نتركُ الجهد مِنّا قلّ أو كثرا

آخر: أبسطُ وجهي للضيوفِ النزّلِ   والوجهُ عنوانُ الكريمِ المفضلِ

فضل الاجتماع على الاكل:

شكا رجل الى النبي ﷺ قلة البركة في طعامهم فقال: لعلكم تتفرقون على طعامكم. قال. نعم. قال: اجتمعوا عليه واذكروا اسم الله لديه. وقال ﷺ: الا أخبركم بشراركم؟ من اكل وحده وضرب عبده ومنع رفده. وكانت العرب تعد التفرد بالأكل احتقاب وزر حتى انزل الله تعالى: ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً او أشتاتاً. وقال ابو امامة في قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود: انه الذي يأكل وحده!

شاعر: اذا ما صنعتِ الزاد فالتمسي له   أكيلًا فاني لستُ آكله وحدي!

وقال عبدالله بن المعتز في اجتماع الايدي على الطعام:

كأن أكفّ القومِ في جفناتِهِ   قطاً لم ينفِّرهُ عنِ الماء صارخُ

من نحر سمان الابل للضيف:

وصف اعرابي رجلًا فقال: نحر لنا ذا سديف مسرهد ونيء غير مصرد، فقدمه في جفان كالجوابي وقدور كالجياني.

العجير السلولي:

وإنّ ابنَ عمي لابنُ زيدٍ وإنه   لبلّالُ أيدي جلةِ الشولِ بالدمِ

ابن المعتز: والسيفُ راعي ابلي في المحلِ يسلمُها إلى قـدورٍ تغلي
يرقلُ فيها بالوقودِ الجزْلِ ارقالها في السيرِ تحتَ الرحْلِ

المتنبي: تفري صوارمه الساعات عبط دمٍ كأنما الساع قفالٌ ونزالُ

من نحرها له لما قل لبنها:

لبيد: إذا ما درّها لم يقرِ ضيفاً ضمنٌ له قراه مِن الشحومِ

عوف بن الاحوص:
إذا الشولُ راحَتْ ثم لم يغدُ حملها بألبانها ذاقَ السنان عقيرها

الخائف ابله النحر:

ابو هرمة: وكانت تطير الشول عرفان صوته ولم تمسِ إلّا وهي خائفةُ العقرِ

ابو فراس:
وتصبحُ الكومُ أشتاتاً مروعةً لا تأمن الدهرَ إلا مِن أعاديها

من لا يبقي ابله لحسنها عن النحر:

بعضهم: اذا أخذَتْ بزل المخاضِ سلاحها تجرّد فيها متلف المالِ كاسبه

البسامي: ترى إبل البخيلِ لها سلاحٌ تُهابُ، وما لإبلي مِن سلاحِ
تناوِحُ ان رأت شخصاً غريباً يوافي عند هبّاتِ الرياحِ

الموقد ناره للاضياف:

قيل لاعرابي: ممن انت؟ قال: ممن لا يزجر وفودهم ولا يسر وقودهم. وقيل لآخر مثله فقال: ممن يهتدي برأيه الصحب، ويستدل بناره الركب. وقال آخر: لهم نار وارية الزناد قديمة الولاد، تضيء لها البلاد ويجي بها العباد.

مضرس: واني لأدعو الضيفَ بالضرِّ بعدما كسا الارضَ نضاحُ الجليدِ وجامدُه

آخر: له نارٌ تشبّ بكلّ قاعٍ اذا النيرانُ ألبستِ القناعا

ابن مطرود :

أوقدَ النار بالفضا حين لم ير ضَ نباح الكلابِ للأضياف

كعب الاشعري :

رفعوا الوقودَ على الجبالِ ترفّعا أن يُستَدلّ عليهمُ بنباحِ

ابن ميادة :

وناراه نارٌ يجذبُ الضيفَ ضوؤُها وأخرى يصيبُ المجرمين سعيرُها

واما قول الآخر :

متى تأتِنا تلممْ بنا في ديارِنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

فلم يتبجح إلا بوجود الحطب والنار في اللفظ ، وقد أحسن القائل :

متى تأتِه تعشو الى ضوء نارِهِ تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقِد

المتبجح بأن كلابه تسر بمجيء الضيف :

قال جرير :

حبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ مناخُه يفيضُ إلى الكوماء والكلبُ أبصرُ

آخر : وكلبُك أبصرُ بالمعتفين من الامّ بابنتِها الزاهده

عبد الاعلى العبدي :

فللكلبِ لمّا أن هداه الى القِرى نصيبٌ وللنورِ الدليلِ نصيبُ

ابن هرمة :

ويدلُّ ضيفي في الظلام على القِرى إشرافُ ناري أو نباحُ كلابي

حتى اذا واجهتُهُ وعرفتُه فدّيته ببصابصِ الاذنابِ

آخر : يبصبصُ كلبُنا إن جاءَ ضيفٌ ويقتل إن ترمرمَ بالهريرِ

المتبجح بأن كلابه لا تهر على الضيف :

حسان بن ثابت :

يُغشَوْنَ حتى ما تهرّ كلابُهم لا يسألونَ عن السوادِ المقبلِ

آخر : وما يك فيّ من عيبٍ فاني جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

قال الاصمعي لبعض الاعراب : ما تعرفون من مكارم الاخلاق ؟ قال : تضيء نارنا للضيف ولا تنبح كلابنا ، ونقريه وجوهنا قبل طعامنا .

الفرزدق: وإني سفيهُ النار للمبتغي القِرى ··· واني حليمُ الكلبِ للضيفِ يطرقُ

فجمع بين سفه النار وهو فرط التهابها وحلم الكلب ، وذلك بديع .

البارز قدره :

بعض بني غطفان :

قُدوري بصحراء منصوبةٌ ··· ولا تمنعُ الضيف اسجافيه

حاتم : لا ان تستري قدري إذا ماطبختها ··· علـيَّ اذاً ما تطبخين حرامُ

الراعي : إني أقسم قدري وهي بارزةٌ ··· إذ كلّ قدرِ عروسٌ ذاتُ جلبابِ

العظيم قدره :

حسان : رأيتُ قدورَ الصادِ حولَ بيوتِنا ··· قنابلَ دهماً في المباءةِ صيما

آخر : نصبنا لهُ جوفاءَ ذاتَ ضبابةٍ ··· من الدهمِ مبطاناً طويلًا ركودُها

ولما قال مضرس :

وقدر كحيزوم ِ النعامة أحمشت ··· باجذال خشم زالَ عنها هشيمُها

سمع ذلك زياد الاعجم فقال : وما حيزوم النعامة ؟ لعن الله هذه من قدر ! فما أحسبها تشبع آلِ مضرس ، فقيل له : فكيف تقول أنت ؟ قال أقول :

وقدرٍ كجوف الليل أحمشتُ غليَها ··· ترى الفيلَ فيها طافياً لم يفصلِ

لو انَّ بني حواءَ حولَ رمادِها ··· لما كانَ منهم واحدٌ غيرُ مصطلي

غليان القدر :

الفرزدق : كأنَّ المجالَ الغرّ في حجراتِها ··· عذارى بدَتْ لمَّا أصيبَ حميمُها

دعبل : وباتت قـدرنا طرباً تغني ··· عـلانيةً بأعضاء الجزورِ

الكميت: كأنَّ هرير الغلي في جنباتِها ··· تغيظ غيرا عند بعضِ الضرائرِ

وقال شاعر :

وقدورٍ عـلى اليفاع ينادي الضيفَ منها تغيُّظُ الغليانِ

وقد زاد هذا الشاعر حيث زعم ان غليان قدره يدعو أضيافه ، وان كان فيه غلو معن بن زائدة في وصفه :

إذا اختلفَتْ أوصالُها فكأنما يزعزعُها مِن شدةِ القلي افكلُ

آخر : كأنَّ صياحَ الغلي في سجراتها بغايا عليهن الحـليّ يقعقعُ

عامر بن الصلتان :

كأن تتابعَ الغليانِ فيهـا فوارسُ عامرٍ تبغي قِراعا

العظيم الجفان :

الأعشى : يروح على آلِ المحلقِ جفنةٌ كجابيةِ الشيخِ العراقيّ تفهقُ

السفاح بن بكيرة :

المـالىء الشّيزي لأَضيافهِ كأنها أعضادُ حوضٍ بقاعِ

أبو خراش :

نقاتلُ جوعَهم بمكَلّلاتٍ من الفرني يرعبُهـا الجميلُ

المكثر مرقه لما قل لحمه :

زيد الفوارس :

وسعْ بمِدِّكَ ماءَ اللحمِ تقسمُه وأكثرِ الشربَ إن لم يكثرِ اللبنُ

وقيل : أكثروا المرق فانه احد اللحمين .

المرخص لحمه مطبوخاً :

شبيب بن البرصاء :

وإني لاغـلي اللحمَ نيئاً وانني لممن يهين اللحمَ وهو نضيجُ

بعض بني ضبة :

أرى ذاكَ في عيني قبيحاً وللفتى سوى الجارِ ربحٌ في التجارة واسعُ

• • •

ومما جاء في البخلاء بالقرى

بخيل بالطعام متجوز :

ابن الحسن العصفوري :

لا تكارمْ تشبُّهاً بالكرامِ ليس تخفى الوجوهُ عندَ الطعامِ

من لا يحتشد لضيفه الا بعد حضوره :

شاعر : خافَ الضياعَ على شيء يعجّله ﴿مِنَ المآكلِ إنْ أصحابُهُ ثقلوا

فما يقلُّ على العجلانِ برمته حتى يرى أنهم في الدارِ قد حَصَلوا

وحكي عن بعض البخلاء انه رؤي في داره جمل قد نبر وجعل سميطاً ، وهو يجول في داره ، قال فسألته عنه فقال : انا دعونا قوماً فخفنا ان يتأخروا ، فجعلنا الجمل على هذا الكي ان حضروا سهل اصلاحه ، وان تأخروا لم يلحقنا ضرر بذبحه .

من قل في دعوته الطعام :

أكل رجل مع بعض الهاشميين فكان على مائدته ارغفة متبددة ، فلما فرغ من رغيفه قال : يا غلام فرسي ! فقال الهاشمي : وما تصنع به ؟ قال : اركبه الى ذلك الرغيف . وهب بن شاذان :

مات في عرس سليما نَ من الجوعِ جماعه

مات أقوامٌ وقومٌ علموا فيهِ القَناعه

لم يكن ذلك عرساً إنما كانَ مجاعَه

وقال بعضهم : من ضاف فلاناً استغنى عن الكنيف وامن التخمة .

محمد بن يوسف :

أبني سعيدٍ إنكم من معشرٍ لا يعرفونَ كرامةَ الأَضيافِ

قرنوا الغداء الى العشاء وقرّبوا زاداً لعمر أبيكَ ليس بكافِ

بينا كذلك جاءهم كبراؤُهم يلحون في التبذير والإسراف

وأضاف رجل أعرابياً فلم يأتــه بشيء يأكله حتى غشي عليه من الجوع ، فأخذ يقرأ عليه القرآن فقال :

لخبز يا أخيّ عليهِ لحمٌ أحبُّ إليّ من حسنِ القرانِ
تظلّ تدهدهُ القرآنَ حولي كأني من عفاريتِ الزمانِ

من لا تمس يد ضيفه طعامه :

شاعر : أمـا الرغيفُ لدى الخوا نِ فكالحمـامِ لدى الحرَمْ
ما ان يحسّ ولا يمسّ ولا يذاقُ ولا يشمّ

المصيصي : يضعُ الطعامَ وليس إلا شمَّه علقَتْ روائحُه بأنفِ الزائرِ
فعلى جليسِك غسلُ عينيهِ إذا رفعَ الخوانُ مع الهجاء السائرِ !

جحظة : طوبى لمن يشبعُ مِن خبزِكمْ فهو عـلى مهجتِه آمنُ

من شبع وضيفه جائع :

فضالة : وحسبُ الفتى لؤماً إذا باتَ طاعماً بطيناً وأمسى ضيفه غيرَ طاعِم

آخر : وشبعُ الفتى لؤمٌ اذا جاع صاحبُه

قال الاعشى في علقمة :

تبيتون في المشتى ملاء بطونُكم وجاراتُكم غرثى يبتنَ خمائصا

فقال علقمة : فضحني والله ! اللهم اخزه ان لم يكن صادقاً !

من يؤذي ولا يقري :

بعضهم : إن يوقِدوا يوسِعونا من دخانِهمْ وليسَ يدركنا ما تنضجُ النَّارُ

آخر : لا يرتجي الجارُ خيراً في بيوتهمُ ولا محالةَ من شتمٍ والغابِ

المنفرد عن أصحابه بالاكل :

بعضهم : يروغُ ويأكلُ في جفنةٍ وأكبادُ ضيفانِه جائِعَه

وقيل للجماز : من يحضر مائدة المبيرا ، فقال : أكرم خلق الله ، الكرام الكاتبون . واصطحب

رجلان فقال احدهما للآخر : تعال حتى نأكل معاً . فقال : معي خبز ومعك خبز ، فلولا انك تريد الشر لأكلت وحدك ! وقيل لآخر : ألا تأكل معنا ؟ فقال : الجماعة مجاعة . قال الشاعر :

الآكلون خبيثُ الزادِ وحدَهُمُ والسائلون بظهرِ الغيبِ: ما الخبرُ ؟

ومر رجل بآخر يأكل فسلم عليه فقال له : هلم ، فهم الرجل ان يقعد معه فقال الآكل : رفقا ! أما عرفت هذا ما هو ؟ فقال : ما هو ؟ قال : علي ان أقول هلم ، وعليك أن تقول هنيئاً ، حتى يكون كلاماً بكلام ! فقام الرجل فقال : قد أعفيتك من التسليم ومن تكليف الرد . فقال : قد أعفيت نفسي إذاً من هلم .

شاعر : وجيرةٍ لا ترى في الناسِ مثلهمُ إذا يكونُ لهم عيدٌ وإفطارُ

إن يوقدوا يوسعونا مِن دخانِهمُ وليس يدركُنا ما تنضجُ النارُ

المستأثر بسني الطعام على الضيف :

قيل : كان مالك بن المنذر يقدم اليه ثريدة بلقاء ما يليه منها حواري ، وما يلي الناس خشكار ، فقال شاعر :

أميرٌ يأكلُ الفالوذَ فرداً ويطعمُ ضيفَهُ خبزَ الشعيرِ

وقال أبو بكر بن أبي سعيد لابي الفضل بن العميد ، وقد استبد بأكل طعام دون ندمائه : ايها الاستاذ ، هذا من الصفايا ؛ أراد به قول الشاعد :

لك المرباعُ مِنها والصفايا

وقال وقد قدم طعام فمد أبو الفضل سبط العميد يده ، فتناوله فقال انت كما قال :

أبوكَ لنا غيثٌ نعيشُ بسيبهِ وأنت جرادٌ لستَ تُبقي ولا تذَر !

من حود لتناول أكيله ما بين يده :

أكل اعرابي مع سليمان بن عبدالملك ، فتناول الاعرابي من بين يديه شيئاً فأكله ، ثم مد يده فتناول شيئاً آخر فقال سليمان : كل مما يليك . فقال : أو ههنا حمى ؟ فقال : خذها لا هنأ لك المرتع ! وأكل صعصعة مع معاوية ، فأخذ شيئاً من بين يديه فقال معاوية : انتجعت . فقال : من اجدب انتجع ، ومن لم يعد الجواب انقطع . وأكل آخر مع معاوية فجعل يمزق جدياً على المائدة ويمعن في أكله ، فقال معاوية : انك تحرد عليه كأن امه نطحتك ! فقال الرجل : وانك لمشفق عليه كأن امه أرضعتك !

ذم من لا يظفر بخبزه :

قيل لرجل : كيف وجدت فلاناً ؟ قال : كان بي الجوع فانتظرت الطعام فأبطأ حتى درسته بمضغ اللبان مخافة النسيان .

ابن باذان : قد علمْنا ان في دا رِك ما يكفي قبيلَه
ورأينا عَرْضَ بستا نِك والفرشَ النبيلَه
غير ان الجنّ لا تقدر في خبزِك حيله

شاعر : لو دخلتْ منزلَهُ ذرّةٌ لم تجدِ الذرةُ ما تأكلُ

آخر : قد فرَّ مِن منزلِهِ فأرُه وعاذ بالجيرانِ مسترزِقا

هو مأخوذ من قول امرأة لزوجها : والله ما تقيم الفأرة في دارك الا لحب الوطن ! وقال أبو نواس:

وما خبزهُ الا كعنقاء مغربٍ تصوّر في بسطِ الملوكِ وفي المثل

آخر : وخبزك غير منقطع التراب

وقال بعضهم : خبزه في الهواء لا يوصل اليه الا بسلم من زبد في يوم صائف .

الصغير الاواني :

ذم رجل اخر فقال : غضائره مساق وألوانه أواق . وقال اخر : فلان دعواته ولائم ، وأقداحه محاجم ، وكؤسه محابر ، ونوادره بوادر .

أبو نواس :

رأيت قدورَ الناسِ سوداً من الصَّلى وقدرُ الرقاشيين زهراء كالبدرِ
يبينها للمعتفي بفنائِهم ثلاثٌ كخط الثاء من نقطة الحبرِ
ولو جئتَها ملأى عبيطاً مجزلاً لأخرجتَ ما فيها على طرفِ الظفرِ

معن بن زائدة :

وقدرٍ ككفّ القردِ لا مستعيرُها يُعارُ ، ولا مَن ذاقَها يتدسَّمُ !

الصغير الرغفان :

الخوارزمي :

كأن رغفانَهُ إذا وُضِعتْ عشور نقط كتين في ورق

البسامي : أتانا بخبزٍ له حامضٍ شبيه الدراهم في حليته
يضرّس آكله طعمُه وينشب في الحلق من خشنته
فلما تَنَفَّستُ عِند الخوانِ تطايرَ في الجوّ مِن خفته !

من يصعب عليه كسر رغفانه :

قال اليزيدي : سيان كسر رغيفه او كسر عظم من عظامه
ونحوه : كانما كلُّ لقمةٍ أكِلَتْ منزوعةٌ من يديهِ مختلسَه
جحظة : ولما كسرتُ له جردقاً ومن ذا يطيقُ له كسر جردق ؟
تغير لي عن جميع الوداد فصارَ جريراً وصِرتُ الفرزدق

الصائن طعامه الباذل عرضه وأهله :

قال شاعر :
وبات رخيصاً عنده صونُ عرضِه ورغفانُه في الناسِ جد نوال
وهب : قد كان يعجبُني لو أن غيرتهُ على جرادقهِ كانت على حرمهِ
عبدان : رغيفُك في الامن يا رستمي يحلّ محلَ حمامِ الحرمْ
فللهِ دركَ يا سيدي حرامُ الرغيفِ حلالُ الحرمْ

وقيل لبخيل : انك تكرم خبزك وتهين لاكرامه نفسك ! فقال : كيف لا أفعل ذلك ، والخبز هو الذي اخرج حواء وادم وابليس والطاوس من الجنة بسببه ؟

المعير ضيفه بكثرة أكله والمانع :

قال رجل لبعض الكبار : لمَ لا تدعوني لدعوتك ؟ فقال : لأنك جيد المضغ شديد البلع ، اذا أكلت لقمة هيأت اخرى . فقال : اتريدني اذا أكلت لقمة ان اصلي ركعتين بين كل لقمتين ؟ وصنع اعرابي طعاماً ودعا اليه صديقاً ، فلما أراد ان يمد يده قال له : مهلًا لا تصفعها ولا تشرمها ولا تقعرها ! أي لا تأكل من اعلاها ولا تخرقها ولا تأكل من أسفلها . وقال بعضهم لآخر : لم لا تدعوني ؟ فقال : لانك تعلق وتشدق وتحدق أي تحمل واحدة في يدك ، وأخرى في شدقك ، وتنظر الى أخرى بعينك .

مرق قليل الدسم وا

تغذى الجماز عند هاشمي ، فمر الغلام بصحفة فقطر منها قطرة على ثوب الجماز ، فقال الهاشمي : ائته بطست يغسلها . فقال الجماز : دعه فمرقتكم لا تغير الثياب أي لا دسم لها .

جحظة : قدَّمَ سكباجةً مزوَّرة   أحمضَ من وجهِه اذا أُكلت

ابن سكرة : أكلتُ بالامسِ جزوريّةً   تخبر عن خسّةِ أربابِها
للَّحم فيها أثرٌ دارسٌ   كأنما مرَّ على بابِها

وكان رجل في دعوة ، فأخذ عراقاً فلم يجد عليه لحماً ، فوضعه وأخذ آخر فقال صاحب الدار : ألعب بعسك . ووجد آخر قدراً كثيرة العظام فقال : اطبخت الشطرنج او اسنان الزنج ؟ وقال آخر : أقدر هذه أم قبر ؟

من يصعب عليه أكل طعامه :

عباد : كأنما الآكل مِن خبزِهِ   يقلعُ منه شحمةَ العينِ

آخر : يرى أنه من بعضِ أعضائِه أكْلي

أحمد بن ابي طاهر :

لو لم تكن حركاتُ المضغِ تؤلِمه   لكانَ أكثرَ خلقِ اللهِ إخوانا

وأكل أشعب عند زياد الحارثي مضيرة فأمعن فيها ، فقال : ليس لأهل السجن من يصلي بهم التراويح في رمضان ، فليحمل أشعب ليصلي بهم . فقال أشعب : الطلاق لي لازم لا اذوق المضيرة ، فاستحيا زياد وتركه . بعث رجل الى امرأته بلحم طفيف فطبخته لوناً ، فلما جاء قدمته اليه فقال : كم طبخت ؟ قالت : لوناً واحداً . فقال : أنت طالق ! قد كانت لي امرأة قبلك ابعث اليها بجرادة ، فتطبخ منها سبعة ألوان غير القديد !

ذم المتأمل أكيله :

أكل اعرابي مع معاوية ، فرأى معاوية في لقمته شعراً فقال : خذ الشعرة من لقمتك . فقال : وانك لتراعيني مراعاة من يبصر معها الشعر ، والله لا آكلتك بعدها ! وقال بعضهم : فلان عينه دولاب لقمة أكيله .

حاتم : وللموتُ خيرٌ مِن زيارة باخلٍ   يلاحظُ أطرافَ الأكيلِ على عمدِ

الشاتم غلمانه على الطعام :

ابو نواس : رأيتُك عند حضور الطَّعام سريعاً إلى العبدِ والعبده
وتحشدُ حتى يخافَ الاكيلُ شراكَ عليه من الجعده

جحظة : إن كنت تهوى أن أزو رَكَ أو حننتَ إلى الزيارَة
فـدع الشتيمة للغلا مِ اذا دنوتُ مِن الغضارَة

المغلق بابه عند الاكل :

قال بعض المبخلين لغلامه : هات الطعام واغلق الباب . فقال : يا مولاي هذا خطأ ، أغلق الباب اولاً ثم أقدم الطعام ! فقال : اذهب فأنت حر لعلمك بأسباب الحزم .

بعضهم :
قومٌ إذا أكلوا أخفَوا كلاَمهمُ واستوثَقوا من رتاجِ البابِ والدارِ

جحظه : القاطعين مخافةَ الإنفاقِ أسبابَ الصديق

الرقاشي : تراهم خشيةَ الأَضيافِ خرساً يقيمونَ الصلاةَ بـلا اذانِ

المعتذر الى أضيافه لبخله :

قيل : المعذرة طرف من البخل . وقال زيد الارانب لما سئل عن خزاعة قال : جوع وأحاديث .

جرير : والتغلبيّ اذا تنحْنَحَ للقِرى حكَّ استَه وتمَثَّل الأَمثـالا

وقال : رميت الأخطل ببيت لو نهشته الأفعى في استه ما حكه .

المانع كلبه والدافن ناره خشية الطراق :

الحطيئة : دفعت اليهِ وهو يكعمُ كلبَه ألا كل كلبٍ لا أبا لك نابحُ

زياد الأعجم :
وما تركَ الكلبُ النباحَ مخافةً على زادِهم لكن على النفسِ يحذَرُ

عقبة بن مرداس :
نيرانُهم محجوبةٌ ونساؤهم مبذولةٌ وصحيحُهم مكلومُ

آخر : كأنَّ كلابهم والليلُ داجٍ كهولٌ لا يجبُّون السّفاهـا

آخر : قوم إذا النيرانُ شبَّتْ للقرى بالت بناتُهم على النيرانِ

اخر : قومٌ اذا استنبَح الاضيافُ كلبَهم قالوا لأُمهم : بولي على النار !

الاكل في وقت يأمن فيه الزوار :

قال رجل : انا لا نأكل الا نصف الليل . فقيل : لم ؟ قال : يبرد الماء وينقمع الذباب ونأمن فجأة الداخل وصرخة السائل .

النظيف المطبخ والطباخ :

شاعر : مطبخُ داودَ من نظافته أشبهُ شيء بصرحِ بلقيسِ
ثيابُ طباخِهِ اذا اتّسَخَتْ أنقى بياضاً من القراطيسِ

البسامي : مطبخهُ قفرٌ وطباخُـه أفرغُ من حجَّام ساباطِ

البخيل بالماء :

ابو الشيص : شرابُك في السماء اذا عطشنا وخبزُكَ عند منقطع الترابِ
وما روّحتنا لتذبَّ عنّـا ولكن خفتَ مرزية الذبابِ

اخر : المـاء في منزلِهِ طرفةٌ يشربُه الضيفُ بمقدارِ

المقتر على نفسه بخلاً :

قال بعض البخلاء : ترك الغداء للعشاء ربح العشرة عشرة .

ابن الرومي : يقتّرُ عيسى على نفسِه وليسَ بباقٍ ولا خالدِ
ولو يستطيعُ لتقتيرِهِ تنفَّسَ من منخرٍ واحدِ

وقيل : أهل الكوفة اذا عتق عندهم التنور وتكثر ، دققوه وجعلوه في الفتيت لما تشرب من الخبز . وقيل : ان بعض البخلاء حقن ، فلما حركه الطبع دعا بطست فقعد عليه وقال للغلام : ضف هذا الدهن للسراج . وقال رجل لغلامه : اشتر من لحم واطبخه سكباجاً لاعتقك . ففعل فأكل المرق وترك اللحم ، فلما كان اليوم الثاني قال : اطبخه مضيرة . ففعل فأكل المرق وترك

اللحم ، فلما كان اليوم الثالث قال : اطبخه قلية . ففعل فقال له العبد : يا سيدي اعتق هذا اللحم واتركني رقيقاً ، فلقد آذيتني من كثرة ما اعذبه بالنار ! وكان بعض الكبار توضع على مائدته كل يوم دجاجة ، فلا تؤكل بل ترفع ثم تسخن في اليوم الثاني وتقدم ، فتترك بحالها فقال بعض الحاضرين ، دجاجتنا هذه من آل فرعون ، تعرض على النار غدواً وعشياً !

المتبجح بجفائه للضيف :

شاعر : وأَجْبَهُ ضيفي حين يحتلّ ساحتي　　بسيفي ولا أرضى بما يفعل الكلبُ

آخر :

وانّا لنجفو الضيفَ من غير عشرةٍ　　مخافة أن يضري بنا فيعودا

آخر : أعدَدْتُ للضيفانِ كلباً ضارياً　　عندي وفضلَ هراوةٍ من ارزنِ

ومعاذراً كذْباً ووجهاً باسراً　　وتشكّياً عضّ الزمانِ الالزنِ !

الحد الحادي

في الشرب والشم

مما جاء في الشرب

سبب تحريم الخمر :

أصل ذلك ان رجلاً من جلة المهاجرين سكر ، فصلى بالناس وغلط في القراءة ، فأنزل الله تعالى : لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون . فشربوها بعد ذلك في غير وقت الصلاة ، ثم شرب انصاري فشج رأس صاحب له بلحيي جمل فنزل : انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء ، الى قوله : فهل أنتم منتهون ؟ فقالوا : انتهينا يا ربنا وتركوا شربها في كل وقت . وقيل : انما حرمت لأن حمزة رضي الله عنه كان في شرب فسكر ، فاجتب سنام شارفين لامير المؤمنين علي ، أناخهما الى جانب حجرته ، فدخل عليه النبي ﷺ فلامه ، فقام ثملاً محمر العينين وقال : هل انتم الا عبيدنا وأبناء عبيدنا ؟ فعرف النبي ﷺ فكر على عقبيه .

ما يدل على تحريم الخمر :

قال الله تعالى : يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس . وهذا اول ما نزل في تحريم الخمر ثم قال : لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون . ثم قال : انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . وقال النبي ﷺ : حرمت الخمرة بعينها والسكر من كل شراب . وقيل للنبي ﷺ : ألا نبيعها ؟ فقال : ألا ان الله لعن الخمر وغارسها وشاربها وعاصرها ومعتصرها ، وساقيها وحاملها وبائعها وآكل ثمنها ! وقد أجمع المسلمون على تحريمها .

تحريم النبيذ :

قال النبي ﷺ : كل مسكر حرام . وقال : كل مسكر خمر . وقال : ما أسكر كثيره فقليله حرام . وروى ان ابليس لما لعن قال : يا رب اجعل لي شراباً . فقال : شرابك كل مسكر .

وروي انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والبر والشعير والعسل ، ونهى عن الفضيخ وقال : ما خمرته فهو خمر .

تحليله :

قال النبي ﷺ : حرمت الخمرة بعينها والمسكر من كل شراب . وسمعت بعض العلماء يحتج في ذلك بقوله تعالى : تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً . فأخبر على سبيل الامتنان علينا باتخاذ السكر منه وأخبار لا يصح فيها النسخ . ورفع الى النبي ﷺ رجل شرب مسكراً ، فأمر به فضرب فقال:

ألا أبلغْ رسولَ الله عني بأني ما سرقْتُ ولا زَنَيْتُ
شربتُ شريبةً لم تبقِ عرضاً ولا أنا لذةً منهـا قضيتُ

فقال ﷺ : لو علمت ما ضربته . استحضر عيسى بن موسى ابن عياش وابن ادريس فسألهما عن النبيذ فقال ابن عياش : حلال ، وقال ابن ادريس : حرام . فقال ابن عياش : أدركنا ابناء الصحابة والتابعين بهذه المدة يشربونها في الولائم حلالاً كانت او حراماً ، وبكاؤنا على أصل الدين أشد من بكائنا على النبيذ . سئل بعض القدماء عن نبيذ العسل فقال : حرام ! فقيل : لم ؟ قال : لأنكم لا تؤدون شكرها . وقال بعضهم : سقاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه نبيذاً شديداً وقال : انا نأكل لحوم هذه الابل فنشرب عليها النبيذ الشديد ليقطعها في بطوننا . وأتى النبي ﷺ بنبيذ فشمه وقطب وجهه ثم ضربه بالماء وقال : ان هذا الشراب سيغتلم ويشتد فما عليكم فافعلوا به هكذا . وقال حفص بن غياث : كنت عند الاعمش وعنده نبيذ ، فاستأذن قوم من أصحاب الحديث فسترته بمنديل ، فكرهت ان اقول لئلا يراه الداخلون فقلت : لئلا يقع فيه الذباب ، فقال : هيهات هو أمنع جانباً من ذلك ! قال النخعي : كانت الرواية كل سكر حرام فزادوا فيه الميم ، وليس ما قاله بصحيح .

نوادر في تحليله :

قال ابن أبي ليلى لابي حنيفة : أيحل النبيذ وبيعه وشراؤه ؟ قال : نعم . قال : أفيسرك ان أمك نباذة ؟ فقال ابو حنيفة : أيحل الغناء وسماعه . قال : نعم . قال : أفيسرك ان أمك مغنية ؟ ووضع رجل بالكوفة على باب المسجد نبيذاً بين يديه وجعل ينادي : من يشتري رطلًا بدرهم بتحليل ابي حنيفة ؟ فقال له ابو حنيفة : يا رجل انك فعلت قبيحاً ! فقال : ألست حللته ؟ قال : صدقت ومن الحلال أنك تجامع امرأتك ، ولو استحضرتها الجامع وجامعتها لاستقبح ذلك . ولقي أبو حنيفة سكران فقال له السكران : يا أبا حنيفة ، يا ابن الزانية ، إني شربت النبيذ ! فقال : ما أحسنت حيث أحللت النبيذ حتى شربه مثلك .

شاعر : رأيه في السماعِ رأيُ حجازيّ وفي الشرب رأيُ أهلِ العراقِ

وقال بعضهم : أباح اهل الحرمين الغناء وحرموا النبيذ ، وأباح اهل العراق النبيذ وحرموا الغناء، فأوجدونا السبيل الى الرخصة فيهما عند اختلافهما إلى ان يقع الاتفاق .

قال بعضهم :

من ذا يحرّمُ ماء المزنِ خالطه   في جوف باطيةٍ ماءُ العناقيدِ ؟
إني لأبغض تحريمَ الرواةِ لها   فيها، ويعجبني قولُ ابنِ مسعودِ

يعنى ما رواه من قول النبي ﷺ : ثمرة طيبة وماء طهور . وقال ابراهيم بن محمد بن اسماعيل : النبيذ من المستضعفين في الارض ، يتركه من يتركه ويأتي ما هو أعظم منه .

استباحة الخمر :

مر عمرو بن معدي كرب بعيينة بن حصن فاطعمه تمراً ثم قال : أسقيك لبناً أو ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية ؟ فقال : أليس قد أمرنا بتحريمها ؟ فقال عيينة : كلا ان الله تعالى قال : فهل انتم منتهون ؟ فقلنا : لا . فسكت وسكتنا فقال عمرو : هاتها فأنت أفقه مني ! قال بعضهم : الخمر من الجنة لان الله تعالى يقول في صفة اهل الجنة : انهم يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن . والخمر تذهب الحزن . قيل لاياس بن معاوية : ما تقول في الكرم والتمر والماء ، هي حلال او حرام ؟ فقال : حلال . فقيل : لم حرم الخمر ، وانما يتخذ من ذلك ؟ فقال : أرأيت لو صب عليك ماء وتراب وتبن أكان يوجعك ؟ قال : لا . قال فلو جمع ذلك كله وجعل لبنة وضرب به رأسك أليس يوجعك؟ وقال ابن الرومي :

أباحَ العراقيّ النبيذَ وشربَهُ   وقال:حرامانِ المدامةُ والسكرُ
وقال الحجازيُ الشرابانِ واحدٌ   فحلّ لنا من بين قوليهما الخمرُ
سآخذُ مِن قوليهما طرفيهما   واشربها، لا فارق الوازرَ الوزرُ !

تعظيم السكر واختلاف الناس فيه :

قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : ما ذنب اعظم من السكر ! وذلك ان العبد يذنب فيتصور له ذنبه ، ويعلم ان الله ربه ، واذا سكر نسي ذنبه ولم يعرف ربه ، وشر الذنوب ما فرق بين العبد وبين معرفة ربه . وروى ان ابليس قال : مهما اعجزني ابن ادم فلن يعجزني اذا سكر ان آخذ بزمامه ، فأقوده حيث أشاء وأحمله على ما اريد .

شاعر : وان امرأ يبتاع سُكراً بصحةٍ   لفي سكرةٍ تغنيه عن ذلك السكرِ

حد السكر :

قيل لبعضهم : ما حد السكر ؟ قال : هو ان تعزب عنه الهموم ، ويظهر سره المكتوم . وقيل : حده ان يحسن عندك ما كان قبيحاً ؛ واخذ ذلك أبو نواس فقال :

اسقني حتى تراني حسناً عندي القبيحُ

وله : لا تلمني على التي فتنتني وأرتني القبيحَ غيرَ القبيحِ

وصف سكران :

انتهى المأمون الى يحيى بن اكثم ، فرآه ثملًا نائماً في الرياحين فقال له : قم . فقال : رجلي لا تطاوعني . فقال : خذ . فقال : كفي لا تواتيني . فقال فيه :

وصاحبٍ ونديمٍ ذي محافظةٍ سبطِ البنانِ بشربِ الراحِ مفتونِ
ناديته ورواقُ الليل منسدلٌ تحتَ الظلامِ دفينٌ في الرياحينِ
فقلت : قم قال : رجلي لا تُطاوعني ! فقلت : خذ. قال : كفي لا تواتيني
إني غفلتُ عن الساقي فصيرني كما تراني سليبَ العقلِ والدينِ

ابن المعتز :

إلى الراحِ مشي الراحِ وانصرفوا والراحُ تمشي بهم مشي الفرازينِ

ابو الوفاء : حتى يروحَ السكرُ فينا وقد قام مقامَ الشكلِ والعقلِ

آخر : مزةٌ تتركُ عقلي ذاهباً في الترّهات

ابن طباطبا :

جُعلتُ أسيراً في يدِ الراحِ موثقاً فأقبلتُ أمشي مشيةَ المتقاعسِ
تماكسُ رجلي في خطا استزيدُها ولم ألكُ في اتراعها بالمماكسِ

وقيل لسكران : نبعث معك من يحفظك ؟ فقال : لا أُريد فما مضى من عقلي في خفارة ما بقي :

لو يرى الناسُ في المدامةِ رأيي لم يبيعوا ببدرةٍ عنقودا

ابو محجن .

اذا متُّ فادفني الى جنبِ كرمةٍ تروّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفِنَنّي بالفلاةِ فإنني أخافُ اذا ما متُّ أن لا أذوقَها

وقال عبدالعزيز بن مسلم العقيلي : رأيت قبره بأرمينية تحت شجرات كرم ، فذكرت قوله فتعجبت من الاتفاق الواقع له .

اسحق الموصلي :

اشرَبْ هُديتَ علانِيَه أمُّ المروءةِ زانيه
اشرب فديتُك واسقني حتى أنامَ مكانِيه
ودعِ التسترّ والريا ء فما هما مِن شانِيَه

ابو الهندي :

يا خليليَّ اجعلا لي كفَناً ورقَ الكَرمِ وقبري المعصرَه
إنني أرجو غداً من خالقي بعد شُربِ الراحِ حسنَ المغفِره

وله : أنا الشيخُ الخليعُ فسيبوني لكم إسلامكم وعليَّ كُفري

من شرب مع اقراره بتحريمها :

قيل لبعضهم : لم لا تترك النبيذ ؟ قال : لا أدعه حتى يكون أسوأ عملي . قال ابو العيناء : جمعني ورسول ملك الروم مجلس المتوكل ، وقد أحضر الشراب ، فقال الرسول : ما لكم بحرم عليكم الخمر ولحم الخنزير فشربتم الخمر وتركتم لحم الخنزير ؟ فقلت ان لحم الخنزير لما حرم وجد خير منه الحملان والجدي فاستغني به عنه . والخمر لم يوجد خير منها فكان يستغنى به عنها .

عبيدالله بن عبدالله بن سلام :

وقد يشربُ الانسانُ ما لا يحلُّه وتحسنُ أحياناً لهُ الشبُهاتُ

ابو نواس: فخذها إن أردتَ لذيذَ عيشٍ ولا تعدِلْ خليلي بالمدامِ
فان قالوا : حرام ! قل : حرام ولكنَّ اللذاذةَ في الحرام

وله : لا تسقني الدهرَ ما كنت لي سكنا الا التي نصّ بالتحريمِ جبريلُ
إن كان حرّمها الفرقانُ بعد فقد أحلّها قبلُ توراةٌ وانجيلُ

الحث على الكناية عن ذكرها :

ابن باذان :

ألا فاسقني صهباءَ من حلب الكرمِ ولا تسقني خمراً بعلمك أو علمي

ابو نواس : اثن على الخمر بآلائها وسمّها أحسنَ اسمائها

الاستغناء بها عن مباشرة الاعمال ومصاحبة السلطان :

عبدالصمد : يبيتُ ونفسهُ من كل شيء سوى تدبير لهوٍ مستريحَهْ

يعقوب بن الربيع :

اذا كان عندي قوت يومٍ وليلةٍ من الراحِ ينفي الهمَّ عني اذا اتّسعْ
فلستَ تراني سائلًا عن خليفةٍ ولا عن وزيرٍ للخليفةِ ما صنَعْ

حفظ المدام عن اللئام :

قال بعضهم : وددت ان الكاس بألف والحر في وجه الأسد حتى لا يشرب الا كريم ، ولا ينكح الا شجاع .

ابو نواس :

أجلُّ عن اللئامِ الراحَ حتّى كأنَّ الراحَ يُعصرُ من عظامي

وله : ووقّرِ الكاسَ عن سفيهٍ فانَّ حقًّا لهُ الوقارُ

وكان ابن الرومي في مجلس فيه ثقيل بغيض ، فعرض الكاس عليه فامتنع ولام ابن الرومي ، فقال له ابن الرومي :

يا لائمي في الراحِ غير مقصرٍ لا زال رأيك سيئاً في الراحِ
فأقلّ ما في تركِ مثلِك شربَها توفيرُها وطهارةُ الاقداحِ

ابن باذان :

صرَفَ الكاسَ عن دُناةٍ لئامٍ همّهم للشقاء جمعُ الكنوزِ

الحث على مسابقة الزمان بتناول المدام وتعاطي اللذات :

العتابي : بادرْ إلى اللذاتِ مهما أمكنَتْ بورودِهن بوادرُ الآفاتِ
كم من مؤخّرِ لذةٍ قد أمكنَتْ لغدٍ وليس غَدٌ له بمواتِ
حتى إذا فاتَتْ وفاتَ طلابُها ذهبَتْ عليها نفسُه حسراتِ
تأتي المكارهُ حينَ تأتي جملةً وترى السرورَ يجيء في الفلتاتِ

وقد أحسن المتنبي في هذا المعنى حيث يقول :

ذرِ النفسَ تأخذ وسعَها قبل بينها فمفترقٌ جاران دارُهما عمر

آخر : بادِرْ فإن الزمـانَ غرٌّ من قبل أن يفطنَ الزمانُ

آخر : وبادِرْ فإنا للخطوبِ فرائسُ

ديك الجن :

خذ مِن زمانِك ما صفا ودعِ الذي فيه الكدَرْ

فالعمرُ أقصرُ مـدةً مِن أن يمحق بالغِيَر

أبو الفرج الدمشقي :

وتغنم الغفلاتُ مِن دهرٍ يجودُ على الكرامِ

الخبزارزي : وذر الهمومَ نسيئةً وتعجلِ اللذّات نقدا

وليزيد بن معاوية :

ومن عَرَفَ الأيامَ معرفتي بها يبادِرُ باللذاتِ قبل العَوائقِ

آخر : وخـذْ مِنَ الدنيا ولذاتِها فإنمـا نحنُ بها عاريه

قال الصاحب : حضرت الوزير المهلبي يوماً ، وقد جاءه خادم عمر المطيع ، وفي يده رقعة وفيها غنى لنا بيتان وهما :

عرّج عـلى الخمرِ وحاناتِها وأسقِنا في وسْط جنّاتِها

وعلل النفسَ ولو ساعةً فانمـا الدنيا بساعاتِهـا

فاجعلها اربعة ابيات فقال لي تفضل فقلت :

والروحُ في الراح إذا اتبعك بها كهايا خِشْفُ أوهاتِها

وقينةٍ تسبي بأصواتِهـا نأخذُ من أطيبِ أوقاتِها

الحث على اعتبار الوقت في المسرات دون ماضيه ومؤتنفه :

أبو العتاهية :

ليسَ فيما مضى ولا في الذي لم يأتِ من لذةٍ لمستجلبيها

انما أنتَ طول عمركَ ، ما عمر ت ، في الساعة التي أنتَ فيها

يزيد المهلبي :

أعجزُ الناسِ مضيع يومــه   وهو لا يعلمُ ما يأتي غدُه

ابن الحجاج :

خذِالوقتَأخذَاللصّ واسرقهواختلِسْ   فوائدَه بالطيبِ أو بالتطايبِ
ولا تتعلّلْ بالامــاني فانها   مطاياأحاديثِالنفوسِالكواذبِ

الحث على مبادرة الشيب بتناول المسرات والخمور :

عبدالله بن السمط :

بادرْ شبابك أن يغتالهُ الزَمَنُ   واقضِ ماأنتقاضٍ والصَّباحَسَنُ

ابن الجهم: فبادِرْ بأيامِ الشبابِ فانها   تفوتُ وتقضي والغوايةُ تنجلي

أبو علي : أعطِ الشبابَ نصيبَه   ما دمْتَ تُعذرُ بالشبابِ

المتنبي : أنعم ولذّ فللامورِ أواخرٌ   أبداً إذا كانتْ لهنّ أوائلُ
ما دمتَ من اربِ الحسان فانما   روقُ الشبابِ عليك ظلٌّ زائلُ
للّهوِ آونةٌ تمرّ كأنهــا   قُبَلٌ يزوّدها حبيبٌ راحِلُ

ولهذا باب في الشيب والشباب :

من شرب على الكبر :

كان اسمعيل بن حمدون يصطبح ويغتبق خمسين سنة ثم ترك النبيذ فعمي ، فعاود عادته في الشرب فقيل له فقال : لا يجتمع عمى وظمأ .

ابو نواس :

قالوا: كبرتَافقلتماقصُرتْيدي   عن أن تخبّ الى فمي بالكاسِ

اليعقوبي : هل لك في عذل ابنِستين درك   شيخ إذا ما غمّه العذلُ فتكْ
فهو خليعٌ في الضلال منهمِك

استقباح الشرب بالمشائخ :

بعضهم : ابعد ستين قد ناهزتُها حججاً أحكِّم الراحَ في عقلي وجثماني ؟
يا قبحَ معتجرٍ بالشيبِ من كبرٍ راحت تميل بهِ أعطافُ سكرانِ !

آخر : أمِن بعدِ ستينَ ناهزتُها أعللُ قلبي بإطرابهِ ؟

ترك الشرب قبل الكبر :

بعضهم : لا أجمعُ الحلمَ والصهباءَ قد سكنت نفسي الى الماء من ماء العناقيدِ
لم تنهني كبرةٌ عنها ولا فندٌ لكن صحوتُ وغصني غير مخضودِ

مخالفة اللوام في تناول المدام :

أحمد بن أبي طاهر :

اسقنيها برغمِ مَنْ لامَ فيها من نصيحٍ وعاذلٍ وحسودِ

ابن المعتز: خليليَّ طوفا بالمدامِ وبادِرا بقيةَ عمري والسلام على مثلي
ألا إنما جسمي لروحي مطيةٌ ولابدّ يوماً أن تعرّى من الرّحلِ
أيا عاذلي هلا اشتغلتَ بسامعٍ كما أنا مشغولٌ بكاسي عنِ العذلِ ؟

البسامي : خلِّ عني لستَ من أربي أربي في الكاسِ والطربِ
دونكَ العذبَ الزلالَ ولي سعةٌ في صفوةِ العنبِ

آدم بن عبدالله بن مروان :

قلْ لِمن يلحاكَ فيها من فقيهٍ أو خليلٍ :
أنتَ دعْها وارجُ أخرى مِن شرابٍ سلسبيلِ

الحث على مدافعة الهموم بالشراب والتبجح بذلك :

ابن المعتز: خلِّ الزمانَ اذا تقاعسَ او جَمحْ واشكُ الهمومَ إلى المدامةِ والقدَحْ
ودعِ الزمانَ فكم لبيبٍ حاذقٍ قد رامَ اصلاحَ الزمان فما صَلُحْ

ابن الرومي :

سأعرضُ عمّا أعرض الدهرُ دونه وأشربُها صِرفاً وإن لامَ لائمُ

نوادر السكارى :

سقط سكران فجاء كلب يلحس فاه ، فجعل يقول :

أخوكم ومولاكم وصاحبُ سرِّكم   ومن قد نشافيكم وعاشرَكم دَهْرا

وسقط آخر في مستراح مملوء فجعل يقول :

أأصحابَنا ما للقعودِ هنا معنى !

وقال العتابي : كان في دارنا سكران فقعد على مصلى وسلح فيه ، فأخذت بيده الى المستراح فنام فيه ، فقالت جاريتي : يا عجباً كل شيء منه مقلوب ، خرأ حيث ينام الناس ونام حيث يخرأ الناس !

الخمار :

الخمار يداوى بالخمرة ولذلك قال ابو نواس :

وداوِني بالتي كانت هي الداءُ

وذلك من قول الاعشى :

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ   وأخرى تداويتُ منها بها

ومات الأعشى في بيت خمارة فارسية فقيل لها : ما كان سبب موته ؟ فقالت : منها بها يكشتش اي قتله قوله في هذا البيت . وكان المتنبي ينادم أبا الفوارس بن فهد ، فانصرف من عنده ليلة وقد أثخن سكراً ، فلما اصبح أتاه الرسول يدعوه فقال :

وقد مُت أمس بها موتةً   ولا يشتهي الموتُ مَن ذاقَهُ

آخر : كصريع الخمرِ داوى ما بهِ   من خمارٍ بعقارٍ فانتشى

من ذمها بأنها تزيل العقل :

حضر نصيب عند عبدالملك بن مروان فدعاه الى الشراب فقال : إني لم اصل اليك بنفسي ولا بحسن صورتي ، وانما قربت منك بعقلي ، فان رأى الامير ان لا يحول بيني وبينه فعل . وقيل لاعرابي : لم لا تشرب ؟ فقال : لا اشرب من يشرب عقلي . وروي أن ابن ابي شيبة مر بغلام يلعب بالتراب فقال : لا تفعل يا أحمق ! فقال الغلام : الأحمق من يشتري الحمق بماله فيدخله رأسه . ويقيء في جيبه ويسلح في ذيله ، ويصبح محمرّاً ويمسي مصفرّاً ! وقيل للعباس بن مرداس : لو شربت النبيذ لازددت جرأة ؟ فقال : ما كنت لأصبح سيد قومي وامسي سفيههم ، وأدخل جوفي ما يحول بيني وبين عقلي . وقيل لاعرابي : لم لا تشرب ؟ فقال لانه يفني مالي ويغير عقلي . وعلى هذا الحديث وان لم يكن من صريح المعنى قال بشر المريسي : دخلت على بعض اصدقائي فقلت : مر

جاريتك تسقيني نبيذاً . فقال : اخاف ان تأتمر . ثم قال : اسقيه . فلما شربت قال : تفكرت في امرك فرأيت النبيذ يزيل العقل ولم أجد لك عقلاً أخاف أن يزيله !

شاعر : سآلةٌ للفتى ما ليسَ في يـدِهِ ذهابةٌ بعقول القومِ والمـالِ

وقال الحكم بن هشام لابنه وكان مولعاً بالشراب : يا بني دع الشراب ، فانما هو قيء في شدقك ، وسلح على عقبك أو حدٌ في ظهرك .

من تركها تفادياً من ذم الناس :

قال بعضهم : تركت كثيره لله تعالى اجلالاً ، وقليله للناس جمالاً . وعوتب بعضهم على تركه فقال : لو علمت ان الماء ينقص من مروءتي ما ذقته . قال الوليد للحجاج : هل لك في الشراب ؟ قال : لا يا امير المؤمنين ، وليس بحرام ما أحللته ، ولكني أمنع اهل عملي منه وأخاف ان اخالف قول العبد الصالح : وما اريد أن اخالفكم الى ما انهاكم عنه ؛ فأعفاه . وسأل المنصور ابا بكر الهذلي عن النبيذ فقال : تمادت فيه السفهاء حتى كرهته العلماء .

ذمها بأنها تدعو الى الفسق :

قال الله تعالى : انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون . مرت اعرابية بقوم يشربون نبيذاً فسقوها ، فلما شربت اقداحاً اعترتها اريحية فقالت : أيشرب هذا نساؤكم ؟ قالوا : نعم . قالت : اذاً زنين وربِّ الكعبة فما يدري أحدكم من أبوه !

جحظة : لم يبلغ الشيخ ابليس ارادته حتى تكاثف في عنقوده العنبُ

سئل عبدالله بن ادريس عن الشرب فقال : اشرب ما لا يشربك .

قدر الشرب وزمنه :

قال المأمون : اشرب النبيذ ما استبشعته ، فاذا استطبته فدعه . سئل ابو محمد بن عبدالله عن شرب الربيع فقال : ربيع اهل المروآت وميدان اللذات ، وفي ادمانه ذهاب الفطنة وفي تركه فقد السرور . قيل : فما تقول في محادثة الرجال ؟ قال : روضة لا يجف نورها وغدير لا ينضب ماؤه وجوهر لا يصلح الا للملوك .

شاعر : شرب النبيذ على الطعام ثلاثة فيها الشفاءُ وصحّةُ الأبدانِ

وقيل : القدح الاول يكسر العطش ، والثاني يمرىء الطعام ، والثالث يفرح النفس وما زاد على ذلك فضل . وقال قتيبة لقاضي مرو : بلغني انك تشرب . قال : اجل . قال : فكم تشرب ؟

قال : ما بل الثقل وطيب النفس وأغنى عن الماء . قال : فما ابقيت منه ؟ قال : اكثره واخبثه التكاءة على الشمال ومنادمة الرجال والاختلاف الى المبال . وقال بعض الظرفاء : للنبيذ حدان ، حدٌّ لا هم فيه ، وحد لا عقل فيه ، فعليك بالاول واتق الثاني .

ابن المقفع :

سأشربُ ما شربتُ على طعامي ثلاثاً ثم أتركهُ صحيحا
فلستُ بقارفٍ منه اثاماً ولستُ براكبٍ منه قبيحا

ذم ادمانها :

قال بعض الظرفاء : اربعة اشياء ان افرط فيها الرجل اهلكته واستهوته : ادمان الخمر ، وحب النساء ، وشهوة الصيد ، والمماراة . وفي الخبر : لا يدخل الجنة مدمن خمر .

الحث على استيفاء شربها أو تركها :

قال ابن شبرمة لكاتبه : أتشرب النبيذ ؟ قال : القدحين والثلاثة . فقال : والله ما شربته شرب من يلتذ به ولا تركته ترك من يتحرج منه . وقيل في جواب هذا المثل : اشرب شرب فتوة او اترك ترك مروءة . وقيل لبعضهم : كم تشرب ؟ قال : مقدار ما افسد به ديني ! وقيل ذلك لآخر فقال : مقدار ما اقوى به على ترك الصلاة .

من اظهر رغبته فيها وقلة صبره عنها :

روي ان الحسن بن زيد رضي الله عنه لما ولي المدينة قال لابن هرمة : لست كمن باع دينه رجاء مدحك او خوف ذمك ، فقد رزقني الله بولادة نبيه ﷺ المادح ، وجنبني المقابح ، وان من حقه علي ان لا اغضي على تقصير في حق ربه ، وأنا أقسم لئن أتيت بك سكران لاضربنك حداً للخمرة وحداً للسكر ، ولازيدن لموضع حرمتك بي ، فليكن تركك ذلك لله تعن عليها ، ولا تدعها للناس فتوكل اليهم . فقال ابن هرمة :

نهاني ابنُ الرسولِ عن المدامِ وأدّبني بآدابِ الكرامِ
وقال لي : اصطبر عنها ودعها لخوفِ اللهِ لا خوفِ الأنامِ
وكيف تصبّري عنها وحبّي لها حبٌّ تمكّن في عظامي
أرى طيبَ الحَلالِ علي خبثاً وطيبُ النفْس في خبثِ الحرامِ

كان ابو الهندي مولعاً بالخمر فقال له ابوه : انها تورث السقم وتقل الطعم وتنحف الجسم . فقال : كلا انها جوهرة قد امتزج فيها عرضان حمرة البهرمان وصفرة العقيان ، قد وصفها الله تعالى باللذة

لشاربيها في القرآن فرسخ بذلك محبتها في الابدان ، تجمع ما شت من شمل الاخوان . وكان حارثة ابن بدر مشتهراً بالشراب وكان غلب على زياد فقيل لزياد : انك تتهم لمصاحبته . فقال : كيف لي باطراح من يسايرني مذ دخلت العراق ، يصطك ركابه في ركابي ، ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي له ، ولا أخذ الشمس علي في الشتاء ولا الظل في الصيف ، ولا سألته عن علم الا ظننت انه لا يحسن غيره ؟ فلما مات زياد جفاه ابنه عبيدالله فقال له : ايها الامير ما هذا الجفاء وقد عرفت مكاني من ابي المغيرة ؟ فقال : ان ابا المغيرة لم يكن ليلحقه عيب وأنا حدث ، ولا آمن أن تشم منك رائحة الخمرة ان جالستني فأتهم ، فاتركها وكن اول داخل وآخر خارج . فقال : انا لا اتركها لمن يملك ضري ونفعي ، أفأتركها لك ؟ قال : فاختر اذاً ما شئت من عملي فاختار رامهرمز وقال : ان شرابها موصوف . فلما توجه اليها استقبله جماعة فيهم اياس بن اياس فأنشده :

احار بن بدر قد وليت ولاية

(الأبيات) وتقدمت .

من رغب فيها غير مفكر في دين ولا مروءة :

قيل للفرزدق : أي الأشربة احب اليك ؟ قال : أقربها من الثمانين ! يعني الخمر . وقال عبيدالله ابن زياد للأحنف : اي الاشربة اطيب ؟ فقال : الخمر . قال : وما يدريك ولست من اصحابها ؟ قال : رأيت من أحلت له لا يتعداها ، ومن حرمت عليه يتناولها فلذلك عرفت طيبها . دخل ابو العيناء على المتوكل فقال : هل لك في الشراب ؟ فقال : ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ؟ وكان ابو نواس يقول : خمر الدنيا اجود من خمر الآخرة ، والله قد وصفها بأنها لذة للشاربين . فقيل : كيف هي اجود ؟ قال : لان الله تعالى جعلها نموذجاً والنموذج ابداً اجود . وقيل له : أتشرب الخمر ؟ قال : نعم اذا اشتري بثمن خنزير قد سرق حتى يحرم ثلاث مرات . قيل لثمامة : لا تشرب الخمر فانه يزيل العقل . فقال : انه ان زال اليوم لا يزول غداً . باع بعض الاشراف ضيعة فقيل له : احضر العشية للاشهاد ، فقال : لو كنت ممن يصان بالعشيات لما بعت الضيعة . وقال رجل لاخر : وجهت اليك رسولاً عشية امس فلم يجدك . فقال : هذا وقت لا أكاد اجد فيـــه نفسي ! سئل بعضهم عن استطابة الشراب فقال : وددت اني كنت بعوضة فأموت تحت قربة نبيذ حتى يكون موتي في خلال نعيم .

شاعر : ورفضُ امرىءٍ لهواً يواتيه طائعاً   لآخر ان عاصاه رأي موهمُ
ومن صارمَ اللذاتِ أو خانَ بعضَها   ليرغم دهراً ساءه فهو أرغمُ

وقد وصف ذلك في وصف المدام بازالته الغموم .

الشارب بعد توبته والممتنع من التوبة عنه :

كتب بعضهم الى صديق قد تاب من شرب النبيذ :

إن كنت تبتَ مِن الصهباء تتركها نسكاً فما تبتَ من برٍّ واحسانِ

تُبْ راشداً واسقنا منها وإن عذلوا فيما فعلت فقل : ما تاب إخواني !

كشاجم : يقولون : تب والكاس في كف أغيد وصوت المثاني والمثالث عالي

فقلت لهم : لو كنت أضمرت توبة وعاينت هذا في المنام بدا لي

وحكي بعضهم قال : كان لنا صديق يكثر التوبة من الشرب والعود اليه ، ففارقنا يوماً على انه قد تاب فجاءنا صبيحة غداة وقد انمحت من أحد عارضيه لحيته فقال : رأيت ابليس في منامي وهو يستعرض أصحابه ، فأتي بي إليه بعض أعوانه وقال : قد آذاني هذا المتخلف من كثرة ما يتوب ثم يرجع ، حلفوه على ان لا يتوب فحلفت ثم قال : الحسوا لحيته من جانب يكون ذلك تذكرة معه ، فأصبحت على تلك الحالة .

الشرب سراً :

مر الفرزدق على الحكم بن المنذر بن الجارود ، فاستسقى لبناً فامر غلامه ان يجعل في العقب خمراً ويحلب عليها لبناً ويسقيه ، فلما كرع فيه جعل الخمر ينبع من تحت اللبن فشرب فقال له : بأبي أنت ممن يخفي الصدقات . ودخل الغضبان الأسدي على قوم يشربون فاحتشموه ورفعوا نبيذهم ، فجعلوه تحت السرير ، ورمقت السنور فأرة فطفرت فكسرت الآنية وفاح ريح الشراب فقال الغضبان : اني لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون . فقالوا له : تالله انك لفي ضلالك القديم ! ثم اخرجوا النبيذ فساعدهم عليه .

الشرب جهراً :

لما وقع الخلاف بين الامين والمأمون كان المأمون يخطب بخراسان بمساوي الامين ويقول في جملة مساويه : وما ظنكم بخليفة يقتني شاعراً ينشد بحضرته جهاراً نهاراً في مجلسه هذا القول :

ألا فاسقِني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً إذا أمكَنَ الجهرُ

فما الغبنُ الا أن تراني صاحياً وما الغنمُ الا أن يتعتعني السكر

وقال المكتفي للصولي : أتعرف اهتك بيت قالته العرب ؟ قال : قول ابي نواس :

ألا فاسقني خمراً وقل لي : هي الخمر !

فقال : بل قول الحسين بن الضحاك :

أتبَعْتُ سكراً بسكرٍ فابتعت خمراً بعمر

الضعيف الشرب :

قيل لبعضهم : كيف شربك ؟ قال : لو وطئت زبيباً لسكرت شهراً .

الخبزارزي :

اصرفْ سفاتجَ هذا الشربِ عن رجلٍ له بضيعته في الشربِ مزجاةُ

آخر : ولو علم الاكارمُ ضعفَ شربي لأُعفوني عن النجبِ العظامِ

خالد الكاتب :

لا أسقينْ ما ليس لي طاقةٌ بـه فإني ضيّقُ الحوصَله

الخباز البلدي يعاتب من كثر سقيه :

يسارقني في كل دورين حبةً ألا إن قيراطَ النبيذِ كثيرُ

من ترك الشرب بخلاً ورياء :

شاعر : مـا حرّمَ الخمرَ ولكنهُ يتركُها بقيا عـلى حالهِ

يشربها في بيتِ إخوانه ويُظهرُ التوبة مِن مالهِ

آخر : وما إن حرّموا المطبوخَ نسكاً ولكن دقّقوا فيهِ المعيشه

وفاحت رائحة الشراب عند والٍ فامسك قوم بانوفهم فقال الوالي : ما أطيب ريحها وإني لأشتهيها لولا تحريمها ! فنظر فاذا الذي أمسك على أنفه كل متهم . وحدثني أبو بكر الكرجي قال : كان بالكرج قاض ظريف فدخل عليه نصراني يوماً يعبق منه طيب ورائحة خمر ، وكان عنده جماعة من العدول ، فضم أحدهم على أنفه وكان متهماً بالشراب ، فلما خرج النصراني قال : أخزى الله هذا الخبيث ، دخل وكأنه جيفة ! فقال القاضي : ردوه فردوه فقال لعدلين عنده : تشمّما هل تجدان رائحة كريهة ؟ فقالا : لا انا لنجد منه رائحة كرائحة الجنة طيباً . فقال : اشهدا أني قد جرحت هذا البارد ، فما يعدو حاله كذباً أو حمقاً وجهلاً ، وكلتا الحالتين تنافيان العدالة . وما أصدق القائل :

قد يشتم الخمرَ قومٌ يكلفون بها وقد يسُبّ بنيهِ الوالدُ الحدْبُ

بعضهم : تركوا النبيذَ وشمّروا أثوابَهم ومشوا رويداً لاختلاسِ الدرهمِ

من ترك الشرب خوفاً من السلطان :

قال ابو نواس لما نهاه الامين عن الشرب :

أعاذلُ بعتُ الجهلَ حيثُ يباعُ وأبرزتُ رأساً ما عليهِ قناعُ
نهاني أمير المؤمنين عن الصِّبا وأمرُ أميرِ المؤمنينَ مطـاعُ
ولهوٍ لتأنيبِ الامينِ تركتُه وفيه للاهٍ منظرٌ وسماعُ

من حد في شربها :

سمع أبو خرابة رجلًا يقول وهو مجلود : من رآني فلا يشرب النبيذ . فقال : في استك واست من حملك على هذه المشورة واست من يقبلها منك ! ثم قال :

ستعصى وتقصى ثم تمنى بشربها وإدمانِها إن كنت حرًّا مهذّباً

ومر النخاسي بابي السماك في شهر رمضان فقال : هل لك في رؤس وشراب كالورس يطيب النفس، ويهضم الطعام ويسهل للفدم الكلام ؟ فنزل وتغديا . فاخبر أمير المؤمنين بذلك فافلت ابو السماك واخذ النخاسي فاتي به فضربه ثمانين ، وزاده عشرين . فقال : يا أمير المؤمنين وما هذه العلاوة ؟ فقال : لجراءتك على ربك في شهر رمضان !

من تخلص من الحد في شرب الخمر :

دخل عمر رضي الله عنه على قوم يشربون فقال : ألم أنهكم عن الشرب فشربتم ؟ فقال احدهم : ألم ينهك الله عن التجسس . فلم تجسست ؟ فقال : صدقت ! فتجافى عنهم . وقال العبدلي للواثق : ما قمرتني الا لكوني سكران . فقال : قد وجب عليك الحد لأنك أقررت . فقال : هذا افتخار لا اقرار اعتراف

التعريض بمن تفرس فيه بانه شارب :

دخل أمية بن عبدالله على عبدالملك وبوجهه أثر فقال : ما هذا ؟ قال : قمت في بعض الليل فاصابني الحائط ؛ فتمثل عبدالملك بقول الشاعر :

رأتني صريعَ الخمرِ يوماً فرعتُها وللشاربيها المدمنيها مصارعُ

فقال أمية : لا آخذك الله يا أمير المؤمنين بسوء ظنك ، ولا يؤاخذك بسوء مصرعك . وكان البراء بن قبيصة صاحب شراب ، فدخل على الوليد بن عبدالملك وبوجهه أثر فقال : ما هذا ؟ قال : ركبت فرساً اشقر فكبا بي . فقال : لو ركبت الاشهب لم يعثر بك . فعرض بانه شرب الخمر ولو شرب اللبن لما سقط . وأنشد ابن الرقاع عبدالملك قصيدة وذكر فيها الخمر فأجاد وصفها ، فقال عبدالملك: لقد ارتبت بك في اجادة وصفك الشراب . فقال : وانا ارتبت بك يا أمير المؤمنين لمعرفتك بجودته.

وصف خصائص جميع الاشربة :

قيل لبعض الحكماء : صف لنا خصائص الاشربة فقال : اما الماء فيعظم خطره عند الحاجة اليه بحسب تعذره عند العدم ، وأما اللبن فشبع الغرثان وري الظمآن وزاد العجلان ، وأما الماذي فكالمروزي في الدثار ، والتوسي في الشعار ، وأما الزبيبي فنبيل المنظر سخيف المخبر ، وأما الخمر فمزاج الروح وصفية النفس . وقيل لآخر : ما تقول في الماء ؟ فقال : هو الحياة ويشركني فيه الحمار. فقيل : فاللبن ؟ قال : ما رأيته إلا ذكرت أمي واستحييت . قيل : فالخمر ؟ قال : تلك السارة البارة شراب اهل الجنة . ودعا الوليد بن يزيد شراعة من الكوفة وهو من فتيانها ، فلما قدم عليه قال : إني والله لم أدعك لاسألك عن قرآن ولا استفتيك في سنة . فقال : لو سألتني عنها لاصبتني فيها ثوراً فلم دعوتني ؟ قال : لاسألك عن الفتوة . فقال : أنا دهقانها الخبير وعالمها الطبيب فسل . فقال : ما تقول في نبيذ التمر ؟ قال : اشربه حتى تحر . قال : فنبيذ الدن ؟ قال : اشربه حتى تجن . قال: فالدادي ؟ قال : أحلى من الماذي . قال : فنبيذ الذبيب ؟ فستر وجهه وقال : العظمة لله . قال : فالخمر؟ قال لا أرى شربها . قال : ولم ؟ قال : لاني أؤدي شكرها . قال أبو العيناء : النبيذ مكسود الخمر.

أبو نواس: ولا تأخذْ عنِ الإخوانِ لهواً ولا عيشاً ، فعيشهمُ جديبُ
دع الالبانَ يشربها رجالٌ رقيقُ العيشِ بينهمُ غريبُ
بأرضٍ نبتها عشبٌ وطلحٌ واكثر صيدِها ضبعٌ وذيبُ
إذا راب الحليب فبلْ عليهِ ولا تحرجْ فما في ذاكَ حوبُ
فأطيبُ منه صافية شمولٌ يطوفُ بكأسها ساقٍ أديبُ
يمدّ لكَ القنان إذا حساها ويفسخُ عقدَ تكّتِه الدبيبُ
فذاكَ العيشُ لا خيمُ البوادي وذاكَ العيشُ لا اللبنُ الحليبُ

آخر : الاشربات سوى ما كانَ من عنبٍ داءٌ وأيُّ لبيبٍ يشربُ الداء ؟

وصف الشراب بازالة الغم :

قيل لاعرابي : اتحب الخمر ! فقال : اي والله فانها تسرح في بدني بنورها ، وفي قلبي بسرورها . وقيل : لذة الدنيا في الغناء والطلاء والنساء والبناء ، وجماع ذلك العافية والشباب والبقاء . ونحوه لابي نواس :

إنما العيشُ سماعٌ ومدامٌ وغلامْ
فإذا فاتك هذا فعلى العيشِ السلامْ

سأل معاوية الأحنف عن اطيب الاشربة فقال : الخمر . قال : وما يدريك ولست من اصحابها ؟ قال : رأيت من أحلت له لا يبتغي غيرها ، ومن حرمت عليه يتناولها ، فعرفت طيبها وفضيلتها . وقيل : النبيذ صابون الغم . وقيل لبعضهم : فلان ترك النبيذ . فقال : طلق الدنيا . وقيل لدهقان : ما اصباك بالخمر ؟ فقال : لاني رأيت لها افعالاً لم ارها لغيرها ، اذا رأيت الهم تمكن في قلبي فقرب الكأس من الباب خرج الهم ؛ وأخذ ذلك ابو نواس فقال :

إذا ما أَتَتْ دونَ اللهاة مِن الفتى   دعا همّه من صدرِه برحيلِ

وقيل لشيخ : لم تشرب النبيذ ؟ فقال : لان فيه شيئاً يحمده اهل الجنة . قيل : وما هو ؟ قال : ما تقول اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ، والنبيذ هو ذاهب بالحزن . وقال ابو نواس : فيها الراح صديقة الروح ، قيد اللذات ومفتاح المسرات . وقال :

ما استقرّت في فؤادِ فتى   فدرى ما لوعة الحزنِ

وله : كاسٌ اذا ما الشيخُ والى بها   خمساً تردّى برداء الغلام

وذم بعضهم الخمر فقال : أولها دوار وآخرها خمار ، فرد عليه آخر فقال :

إن يكنْ اولُ المدام دواراً   أو يكنْ آخرُ المدامِ صُداعا

فلها بينَ ذا وذاكَ هناتٌ   وصفُها بالسرورِ لن يُستَطاعا

ابن المعتز : يبول همّاً ويحسو اللهوَ والطربا

وله في وصفه :

واصلحْ بيني وبينَ الزمانِ   وابدلني بالهموم الطرَبْ

وصفها بأنها تدوع الكبر وتورث اليسر :

لقيط بن زرارة :

شربتُ الخمرَ حتى خلتُ اني   أبو قابوسَ او عبدُ المدان

أمشي في بني عدسِ بن زيدِ   رخيّ البالِ منطلقَ اللسانِ

المنخل : واذا سكرتُ فإنني ربّ الخورنقِ والسديرِ

واذا صحوتُ فإنني ربُّ الشويهةِ والبعيرِ

وصفها بالصفاء والرقة :

قال الحسن بن الضحاك : كنت مع أبي نواس بمكة فسمع صبياً يقرأ : يكاد البرق يخطف ابصارهم فلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا . فقال : هذا يجب ان يكون صفة الخمر ثم انشدني :

وسيارة ضلّت عن القصد بعدما بدا دونهم أفقٌ من الليلِ مظلمُ
فلاَحتْ لهم منا على النارِ قهوةٌ كأن سناها ضوءُ نارٍ تضرّمُ
اذا ما حسوناها أقاموا مكانهم وإن أظهرتْحثوا الركابَ ويمّموا

قال ابن الاعرابي : جميع ما قاله ابو نواس حسن وأحسنه قوله :

لا يسكنُ الليلُ حيثُ حلّتْ فليل شرّابها نهارُ

آخر : واهتدى ساري الظلام به كاهتداء السّفرِ بالعلمِ

قيل : رق وصفا حتى كاد يخفى . وقيل : أصفى من الشراب وأخفى من السراب :

كمعنى دقّ في لفظٍ بديع

ابن المعتز : كأن بكاسها ناراً تلظّى فلولا الماءُ كان لها حريقُ

رقة الاناء والخمر معاً :

البحتري : يخفي الزجاجةَ لونُها فكأنها في الكفِّ قائمةٌ بغيرِ إناء

الصاحب وقيل هما لابي نواس :

رقّ الزجاجُ وراقتِ الخمرُ وتقاربا فتشابَه الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

وصفها بأنها تخضب الكف :

شاعر : تحسبُ الظبيَ اذا طافَ بها قبل أن يسقيكَها مختضبا

الخباز البلدي :

وهي تكسو كفّ شاربِها دستبانات من الذهبِ

ابن المعتز : كأنهمُ الهبوا بينهم حريقاً وأيديهمُ تستعرْ

وصف حمرتها :

ابو نواس :

أقول لما تحاكيا شبهاً : أيهما للتشابه الذهب
هما سواءٌ وفرق بينهما انهما جامدٌ ومنسكبُ

اخذه ابن المعتز فقال :

وخمارةٍ من بناتِ المجوس ترى الزقّ في بيتها شائلا
وزنّا لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائِلا

وصف الخمر وشاربها :

قال الحسين بن الضحاك : انشدت أبانواس :

كأنما نصب كاسه قمر يكرعُ في بعض انجمِ الفلكِ

فأنشدني :

اذا عب فيها شاربُ القومِ خلتَه يقبّل في داجٍ من الليل كَوكبا

فقلت : يا ابا علي هذه مثل ما أنشدتكه . فقال : اتظن ان يروى لك بيت حسن ؟ وقد أحسن القائل :

وكأنه والكأسُ في يدِه قمرٌ يقبّلُ عارِضَ الشمسِ

وصفها بالصلابة :

أبو تمام :

اذا اليدُ نالتْها بوترٍ توفّرت على ضغنِها ثم استقادت من الرجلِ

أخذه من عطاء :

أسروها وجهَ النهار من الدّنّ فأمسوا وهم لها أسراءُ

ونحوه لديك الجن :

فظلْنا بأيدينا نتعتعُ روحَها وتأخذُ من اقدامِنا الراحُ ثأرها

آخر : قهوةٌ تتركُ الحليمَ سفيها

احمد بن طاهر :

ما تمّ منها ثلاثاً قطُّ شاربُها إلا رأى عقلَهُ منه على سَفَرِ

وصف لذاذاتها :

وصف الله تعالى خمر الجنة فقال : لا يصدعون عنها ولا ينزفون . فنفى عنها جميع عيوبها بالكلمتين كما وصف فاكهتها فقال : لا مقطوعة ولا ممنوعة .

ابن ابي فنن : أطيبُ في الكأسِ إذا جاءتك من ريحِ الوَلَد

وله : أطيبُ من قبلةِ الحبيبِ وقد جادَ بها مسرعاً على

وقال ابو نواس : كنت يوماً في الحمام فقلت قصيدة وفيها :

فتمشَّتْ في مفاصلهم كتمشي النار في الفحمِ

ولم يك معي أحد فتراءى لي شيخ فقال : قطع الله لسانك فانك لا تفلح ! أتقول مثل يقول العوام ، ألا قلتَ :

فتمشَّت في مفاصِلهم كتمشي البرء في السَّقمِ

فقلت : هكذا قلت . فقال : أتكابر ابليس ؟

ألذّ من غفلة الرقيبِ شكوى محبٍ الى حبيبِ

الحسين بن السري :

وإذا احتساها شاربٌ فكأنما ماءُ المنى في فيه يحلبُ قاطره

ابن الرومي :

والله ما أدري بأيةِ علـةٍ يدعونها في الراحِ باسم الراحِ ؟
ألريحها ولروحهـا تحتَ الحشا أم لارتيـاحِ نديمها المرتاحِ ؟
إن حرمت فبحقِّها من حرمةٍ ما كان مثل حريمِها بمباحِ
او حللتْ فبحَقِّها من نشوةٍ تنفي سقامَ قلوبِنا بصحاحِ

وصفها بالعتق :

قال ابو نواس : اسقنيها سلافةً سبقَتْ خلقَ آدما

آخر : عاصرها آدمٌ أبو البشر

شاعر : عتقتْ حتى لو اتصلَتْ بلسانٍ نـاطقٍ وفمِ
لاحتبَتْ في البيتِ ماثلةً ثم قصَّتْ قصةَ الأممِ

آخر : قهوةٌ تذكر نوحاً حين شادَ الفلكَ نوح

آخر : قهوة أبرزَتْ بخاتم كسرى

ابن حجاج :

قوما اسقياني قهوةً روميةً من عهدِ كسرى دنُّها لم يمْسَسِ

وصفها بأنها تورث السخاء والشجاعة :

ابو نواس : وخذها من مشعشعةٍ كميتٍ تنزّلُ درةَ الرجلِ الشحيحِ

أخذه من عمرو بن كلثوم :

ترى اللّحزَ الشحيحَ اذا أمرّت عليهِ لمالِه فيها مُهينـا

آخر : اذا سُقي الفتى منها ثلاثاً تسربل ثوبَ مكرمةٍ وجودِ

آخر : ونشربُها فتتركنـا ملوكاً وأسوداً ما ينهنهنا اللقـاء

وصف النيء والمطبوخ :

سئل ابو نواس عن نبيذ طبخ فقال :

وما طبخوها غيرَ أنَّ غلامَهم سعى في نواحي كرمِها بشهابِ

فقال بعضهم : احرقوه فاحرقهم الله .

الاقيشر : صفراء صافيةُ الاقذاء حَلّلَها طبخُ السراجِ ولم يجمع لهاحطبُ

ابو نواس : طبختهُ الشمسُ لماً بخـلَ العلجُ بنارِه

قال المطوق . قال لنا جحظة يوماً قد عملت بيتاً زدت فيه على أبي نواس في وصفه وأنشد :

فظلّ يسقينـا جنانيَّةً ضنّت بها الشمسُ عن النارِ

وقد احسن فان الخمر التي في الجنة لم تطبخ بنار ثم قوله ضنت بها الشمس عن النار ، مع صحة معناه ، ظريف اللفظ . عمرو بن الاهتم :

من كميتٍ أجادَها طابخاها لم تمت كلّ موتِها في القدورِ

وصفها بانها تحمر الوجنة :

الاعشى : وسبيئةٍ مما تعتقُ بابلٌ كدمِ الذبيحِ سلبتها جريالَها

يروى ان الاعشى سئل عن معناه فقال : شربتها حمراء وبلتها بيضاء . روي ان أبا نواس قال انما عنى به ما قلت :

كأسٌ اذا انحدرتْ عن حلقِ شاربها رأيتَ حمرتَها في العينِ والخدِّ

الناجم : تنازُعنا الخدّ جريالَها وتهديه للعينِ يومَ الخمار

الناشي : نفضَتْ على الأجسامِ ناصعَ لونِها وسرَتْ بلذّتِها إلى الارواحِ

وصفها عند المزاج :

ابو نواس :

من قهوةٍ جاءتك قبلَ مزاجِها عُطلًا فالبسَها المزاجُ وشاحا

الزاهي : كانما الماء حينَ خالطَها أهدى إليها غلائلَ الشفقِ

ابو نواس :

كأن صغرى وكبرى مِنْ فواقعِها حصباء درّ على أرضٍ مِنَ الذهبِ

ابن المعتز: راحٌ كأن حبابَها درٌّ يجولُ مجوّفا

آخر : تنزو إذا مسَّها قرعُ المزاجِ كما تنزو الجنادبُ أوقاتَ الظهيراتِ

ابن طباطبا: إذا ما الماء مازجها تراءتْ كما زوجت بالتبرِ اللجينا

هما ذوبانِ لو جُمدا جميعاً إذا صارا معاً ورقاً وعينا

الصنوبري :

ناهيك من فضةٍ تجري على ذهبٍ ماءٌ من النورِ في ماء من اللهبِ

طيب رائحتها :

الاخطل : واذا تعاورَتِ الاكفُّ زجاجَها نفحَتْ ونالَ رياحها المزكومُ

الرفاء : فضَّ النديمُ ختامَها فكأنما فضَّ الختامَ عَنِ العبيرِ ففاحا

نبيذ رديء أو أسود :

قال الصوفي وفي يده قدح روشاب : هذا الليل اذ عسعس ، وأومأ الى قدح صاف وقال : وذاك الصبح اذا تنفس .

أبو تمام : وكأن الاناملَ اعتصرَتْها بعد كدٍّ من ماء وجهِ البخيلِ

البحتري : فجاء نبيذٌ لهُ حامضٌ يشقُّ على الكبدِ المقفِرة

اذا صبَّ مسودّه في الزجا جِ كأن النديمَ به محبرَه

ابن المعتز: كأن بأيدي شاربيها إذا اتكَوا محابرَ وراقينَ قد مُلئَتْ حِبرا

ودفع الى رجل شراب غليظ وقيل له : كيف تراه ؟ فانشد :

هو في الجوعِ طعامٌ وهو في الظمء شرابْ

سقى بعضهم ضيفاً له نبيذاً رديئاً وقال : هذا نبيذ من عانة . فقال الضيف : بل من العانة على أربع أصابع .

استيهاب الشراب للاضياف :

كتب أبو تمام الى صديق له يستوهب منه مشروباً لصديق يزعم انه نزل به :

جُعِلتُ فِداكَ عبدالله عندي بعقب الصد منه والبعاد

فأحسن يومنا إن لم تجدنا مصادف دعوة منا جماد

فكم نوء مِن الصهباء سارٍ وآخر مِنك بالمعروفِ غاد

فهذا يستهلُّ على غليلي وهذا يستهلُّ على بلادي

وكتب ابن الحجاج الى صديق له :

يا سيدي قد جاء زُوّاري فظلتُ في نارٍ وفي عارِ

فامنن بخمرٍ أو فوّجه بمن يخرجْهم بالصفعِ من داري

السري الرفاء مستدعياً شراباً :

الراحُ قد أعوزَتنا في صبيحتِنا بيعاً ولو وزنُ دينارٍ بدينارِ

فامنن بما شِئتَ مِن راح يكون لنا ناراً ، فإنا بلا راحٍ ولا نارِ

من استوهبه ورام اكبار الظرف أو ترك المزاج :

الرفاء : عندي ضيفٌ لم يزلْ مضيفا فأهد لي خلوقَك المذوفا
تحوي له الشكرَ له صنوفاً وكبّر الظرفَ تكنْ ظريفا

آخر : واعلم بأن ظروفَ الراحِ ان كبرت عند الهديةِ أبدت ظرفَ مُهديها

جحظة : ومُرِ الغلامَ بتركهِ من مزجه إنَّ النوالَ يطيبُ غيرَ مكدرِ

الزاهي : أرى المشروبَ عزّ وذاك شيءٌ إذا حصَّلتهُ حصات حمدي
فمُرهم يبعثوه بغير مزجٍ فإنَّ الماءَ ليس يضيقُ عندي

معاتبة من بخل بالنبيذ :

كتب الكتنجي الى بعض اخوانه يستهديه نبيذاً ، فتباطأ عليه ثم عاد الرسول فقال : هو يستدعي ظرفاً يجعله فيه ، فكتب اليه :

مطلتَنا بالنبيذِ دهرا ما بينَ مطلٍ وبين خلفِ
وبعد دهرٍ طلبتَ ظرفاً كأن قارورة بالفِ
فمن يرّجيك بعد هـذا ولست ممن يفي بظرفِ ؟

فدعا الرجل سقاءين فملأ قربتيهما وبعثهما اليه .

● ●

ومما جاء في الندام والندماء والسقاة

وجوب حق المنادمة وذكر من عظم نديمه :

روي ان النبي ﷺ لم يرَ مادّاً رجليه بين يدي جليس له قط ، ولا أخذ بيد احد فانتزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لجليسي علي ثلاث : أرميه بنظري اذا أقبل ، وأوسع له اذا جلس ، واصغي اليه اذا حدث .

شاعر : أرى للكاسِ حقاً لا أراه لغيرِ الكاسِ إلا للنديمِ

قال الجاحظ : رويت هـذا البيت دهراً لا أعرف له ثانياً ، فسمعت يوماً حمامياً يوقد أتونه وينشد معه :

هوَ القطبُ الذي دارَتْ عليهِ رحى اللذّاتِ في الزمنِ القديمِ

سعيد بن حميد : الكأسُ حرمتُها أدلى من النسبِ

حصابة الجرجراي : إن المنادمــة الرضاع الثاني

وكان القعقاع اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه ، جعل له نصيباً من ماله وأعانه على عدوه ، وشفع له في حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكراً له ؛ وفيه يقول :

وكنتُ جليسَ قعقاعِ بن شورٍ ولا يشقى بقعقاعٍ جليسُ

قال يحيي بن أكثم : ما رأيت أكرم من المأمون ، بت عنده ليلة فعطش فكره ان يصيح بالغلمان ، وكنت منتبهاً فرأيته قد قام فمشى قليلاً الى البرادة حتى شرب ورجع . ورأيته ليلة وانا عنده وحدي ، وقد اخذه سعال ، يسد فاه بكمه كيلا انتبه .

الانخراط في سلك الشرب والصحب :

جلس المتوكل مع جماعة وفيهم يحيي بن أكثم ، فلما شرب الناس ثلاثة أوطال أمر يحيي بالانصراف فقال له : ولم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لأننّا قد خلطنا . فقال : أحوج ما يكون الى قاض اذا خلطتم. فاستظرفه المتوكل وأمر ان تغلف لحيته بالغالية ففعل فقال : ضاعت الغالية وكان هذا يكفيني دهراً فأمر بزورق من الغالية ودرج بخور فجعلا في كمه .

طيب المدام بطيب الندام :

قيل لاعرابي : كم تشرب من النبيذ ؟ فقال : مقدار النديم .

أبو نواس: الراحُ طيبةٌ وليسَ تمامُها إلا بطيبِ خلائقِ الجلّاسِ

آخر : إنمـا تُستعذب الرا حُ بأخلاقِ النديمِ

العطوي : تصفو الزجاجةُ بالنديمِ اذا صفا ويكدّر الندمانُ صفوَ الراحِ

آخر : يقولون: قبلَ الدارِ جارٌ موافقٌ وقبلَ الطريقِ النهجِ أنسُ رفيقِ

فقلت: وندمانُ الفتى قبلَ كاسهِ وما حث كاسَ اللهوِ مثلُ صديقِ

آخر في صديق استطاب مجالسته :

يا ليلةً لستُ أنسى طيبَها أبداً كأن كلَّ سرور حاضرٌ فيها

باتت وبتُّ وبات الزقُّ ثالثَنا حتى الصباحِ تسقيني واسقيها

كأنّ سودَ عناقيدٍ بلمتها أهدت سلافَتها صِرفا إلى فيها

اختيار عدد الندمان :

منصور الفقيه : فليدعُ منها خمسةً متخيرينَ ولا يزِد
فدُوَينَ هـذا وحشةٌ وفويقَه سوقُ الأَحد

آخر في المعنى :

اذا ما جاوزَ الندمانُ خمساً بربِّ البيتِ والساقي اللبيبِ
فأيرٌ في حرِ أمِّ فتىً دعـانا وايرٌ في حرِ أمِّ فتى مجيبِ

طرح الحشمة في المنادمة ومراعاتها :

جاء محمد بن حماد الى ابن الجنيد فقال : يقول لك امير المؤمنين المعتصم تهيأ لمزاملتي . قال : كيف أتهيأ ؟ قال : اذا زاملته فاياك ان تبزق أو تمخط او تتثاءب او تسعل او تعطس ! فقال ابن الجنيد: ارجع اليه وقل له : في حر أم من يزاملك على هذا الشرط ! فلما رجع اليه ضحك واستدعاه فقال: آمرك بزاملتي فتراسلني بذلك ؟ فقال : ان هذا الاحمق شرط علي شروطاً يهرب منها الشيطان ، فان رضيت ان تفسو علي وأفسو عليك والا فلست بصاحبك ! وقيل لبعضهم : ما العيش ؟ فقال : طرح الحشمة وترك الطب . قال اسحاق الموصلي : كانت الخلفاء من بني أمية لا يظهرون للندماء والمغنين، وكان بينهم وبين ندمائهم ستارة ، وكان بنو العباس يظهرون ثم احتجبوا عنهم ، ولم يرَ أبو جعفر قط يشرب إلاَّ الماء ، وكان المهدي في أول امره يحتجب متشبهاً بمن قبله ثم ظهر لهم وقال : اللذة في مشاهدة السرور والدنو من الاحباب .

الوصية بطي حديث الشرب :

قال المأمون رحمه الله : أطووا خبر امس مع ذهاب امس فهو أدوم للسرور وأسلم للصدور . وقال : النبيذ بساط اذا رفع لم ينشر .

علي بن صالح :

حكْم العقارِ اذا قصدتَ لشربِها في لذةٍ مِن مسمعٍ وقيانِ
أن لا تعودَ لذكرِ ما أبصرتَ من أحدوثةٍ من شاربٍ سكرانِ

آخر : إذا ذكر النبيذُ فليس حقًّا اعادةُ ما يكونُ مع النبيذِ
إعادةُ ما يكون مِن السُّكارى يكدرُ صفوةَ العيشِ اللذيذِ

الممدوح بترك اعادة الحديث ومعاتبة النديم :

شاعر : ولستُ بـلاحٍ لي نديماً بزلةٍ ولا هفوةٍ كانت ونحن على خمرِ
عركتُ بجنبي قولَ خذني وصاحبي ونحنُ على صهباءَ طيبةِ النشر
وأيقنتُ أن السكرَ طارَ بلبهِ وأعرقَ في شتمي وقالَ ومايدري

ابن الجهم: تنازعوا لذةَ الصهباء بينهمُ وأوجبوا لرضيع الكاسِ ما يجبُ
لا يحفظون على السكرانِ زلتَهُ ولا يريبُك مِن أخلاقهم ريبُ

استقالة من بدر منه في السكر بادرة :

شاعر : إذا حكمت كؤوسك في الندامى فحقُّهمُ الإقالةُ للعثـارِ
آخر : ما على مثقلٍ من النومِ والسكران فيما أتى مِن الآثام
آخر : ومَن يقرعِ الكاسَ اللئيمةَ سنَّه فلا بدّ يوماً ان يسيء ويجهلا

الممدوح بمساعحة رفيقه في الشرب :

بعضهم : هلمّ اسقني كاساً ودع عنك من أبى وروّ عظاماً قصرهنّ الى بلا
فإن نديمي غير شك مكرمٌ لدي وعندي من هواه الذي ارتضى
ولست له في فضلةِ الكاسِ قائلًا لأصرعَهُ سكراً تحسّ وقد أبى
ولكن افديهِ واكرمُ وجهَهُ واشربُ ما يسقي وأسقيه ما اشتهي

ابو نواس : ولست بقائلٍ لنديمِ صدقٍ وقد أخذ الشرابُ بوجنتيهِ
تناولها وإلّا لم اذقها فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولكني أداري الشرب عنه واصرفُها بغمزةِ حاجبيهِ
فان مدّ الوسادَ لنومِ سكر دفعت وسادتي أيضاً اليه

من لا يعتد بمجالسته ومن يعوض بمذهبه :

بعض المحدثين :
خرجنا جميعاً إلى نزهـةٍ وفينا زيادُ أبو صَعْصَعَه
وسته يهطِ بـه خمسة وخمسه يهطِ بـه آربعه

آخر : عندي جعلت لـك الفدا سهلٌ وسهلٌ ليس يجدي
إن لم تكنْ لي ثانيا فكأنني في البيتِ وحدي

وأصله لابي حبة :

أصمّ اذا ناديت جهراً، وان تشر فأعمى، وإن تفعل جميلًا فجاحدُ
واقسمُ برّا ان لولا خيالُه لما كنتُ إلا مثلَ مَن هو واحدُ

وقال صاحب وفي يده كاس :

تطيبُ كؤوسنا لولا قذاها ويحتمل الجليسُ عـلى أذاها

فقال النابغة :

قذاها أن صاحبَها لئيمٌ يحاسبُ نفسَه بكم اشتراها ؟

طيب مجالسة الاخوان ومحادثتهم :

قال شبيب بن شبة : لم يبق من لذات الدنيا الا أربعة : مجالسة الاخوان ، ومناسمة الولدان ، وملامسة النسوان ، ومداولة الكاس مع الندمان . قيل لبعضهم : ما بقي من لذتك ؟ فقال : محادثة الاخوان في الليالي القمر ، على الكثبان العفر . وقيل لبعضهم : تمن . فقال : وجه حبيب ومغن مصيب وساق أريب ونديم لبيب . وقيل لآخر : ما العيش ؟ فقال : لون مشبع ومغن ممتع وكاس مترع ونديم مقنع . وقيل : مجالسة اهل الفضل ذكاء العقل .

ايثار محادثة الاخوان على غناء القيان :

علي بن الجهم : شهدتُها وفتية أخيار لهوهم الأسمارُ والأشعارُ
وملح تقدحُ منها النارُ بمثلهم يعاقرُ العقار

ابن المعتز في مدح ذلك :

بين أقداحِهم كلامٌ قصيرٌ هو سحرٌ وما سواهُ كلامُ

ايثار التفرد بالشراب وذمه :

ابو نواس في ذلك :

خلوتُ بالراحِ أناجيهـا آخـذُ منهـا وأعاطِيها
شربتُها صرفاً عـلى وجهِها وكـنتُ حاسيها وساقيها

العطوي : أخطبْ لكاسك ندماناً تسرُّ به أولا فنادمْ عليهِ حكمةَ العنبِ

آخر : يئستُ من الالى أقبلتُ أسعى إليهم انني رجل يؤس

التناهد :

شاعر : ما العيشُ إلا للمناهدينا مؤنة قضت على عشرينا
ولو تفردنا بها خرينا

وقال بعضهم في متناهدين :

وقال حفصٌ لزيدٍ حين ناهده : منكَ النبيذُ ومني الدنُّ والكوزُ
واللحمُ منكَ ومني النارُ أنضجه والماء مني ، ومنكَ الخبزُ مخبوزُ

وتناهد قوم وفيهم مفلس فقال أحدهم : علي كذا . وقال الآخر : وانا علي كذا ، الى ان قالوا للمفلس : وانت ما عليك ؟ فقال : لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . قال الحسن بن سهل في جماعة من القواد يتناهدون :

كنا ندم إلى التناهدِ بيننا حتى رأيتُ تناهدَ القوّادِ
لا خير في القوّادِ الا هكذا يتناهدونَ تناهدَ الأوغادِ
ترضى لنفسِك أن تصاحبَ معشراً يتناهدون على خسيسِ الزادِ

التعفف عن التعرض لاخدان الندماء :

كان بعض الفضلاء ينادم صديقاً له ، فعشقته امرأته فتعرضت له ، فامتنع عليها وقال :

ربَّ حسناء كالمهاةِ تهادى قد دعتني لوصلِها فأبيتُ
لم يكنْ بي تحرّجٌ غيرَ أني كنت ندمانَ زوجِها فاستحيتُ

آخر : إني على ما فيّ مِن عهدِ الشبيبة والغضارَه
لأغضُّ مِن طرفي فيأ مني النديمُ على الستارَه

وكفى بعيب ذلك ما حكى الله تعالى : قالت ما جزاء من أراد باهلك سوأ الا ان يسجن أو عذاب أليم .

المعيب بتعوضه لحرم نديه :

قال بعضهم لنديم رآه يرمق بعض حرمه :

كلْ هنيئاً وما شربتَ مريئاً ثم قم صاغراً وغيرَ كريمِ
لا أحبُّ النديمَ يرمقُ بالعينِ اذا ما انتشى لعرسِ النديمِ

المتبجح بالتعوض للندماء :

قال المهدي لعمارة بن حمزة : من أرق الناس شعراً ؟ قال : والبة بن الحباب . قال : صدقت . قال عمارة : وما يمنع أمير المؤمنين من منادمته وهو شاعر ظريف ؟ قال : يمنعني منه قوله :

قلتُ لساقينا عـلى خلوةٍ : ادن كذا راسك من راسي
وادنُ وضع صدرَك لي ساعةً إنّي امرؤٌ أنكحُ جلاسي

أفتريد أن تكون جليسه ؟ ولبعض الخاسرين :

لا أبغضنّ منادمي إن نكتُه إني لنيكِ منادمي معتادُ
وكذاك لستُ ألومُه إن نا كني فلقد علمْتُ كما أكيدُ أكاد

العربدة :

قال الأصمعي : العربدة حية تنفخ ولا تؤذي . ومنه قيل لمعربد بوجهه خموش : ما هذه الكلوم ؟ قال : آثار الكلام . وكان رجل معربد له يسار ، وكان اذا عربد على واحد أعطاه خمسمائة درهم ، فقال لانسان : هل لك ان تنادمني ؟ قال : على ان تعربد علي عربدة نحو مائتين فإني لا أقوى على عربدة خمسمائة . وقال الحسين بن خليع : نادمت يوماً ابراهيم بن المهدي فسكر وعربد علي ، فدعا بالنطع والسيف فتكلم في اصحابه ، فتجافى عني ثم تأخرت عنه فدعاني ، فكتبت اليه :

أميرٌ غيرُ منسوبِ الى شيءٍ من الحيفِ
سقاني مثـلَ ما يشـ ربُ فعلَ الحرّ بالضيفِ
فلما دارت الكاسُ دعا بالنطعِ والسيفِ
كذا من يشرب الراحَ مع التنينِ في الصيفِ

فدعاني وأرضاني . ثم كان المأمون يضاحك ابراهيم بهذه الابيات ويولع بها . وسئل عبيدالله بن محمد عن طنبوري له فقال : هو بليد حديد عربيد ، إن حث عثر وان أمسك قصر ، وان ابتدأ

غلط وان اقترح عليه سخط ، وان دعي مطل وان ترك تطفل . وقيل : صاحب السكر يصير اما الى قردية ، وهو الذي يضحك ويرقص ويحاكي ، أو الى كلبية ، وهو الذي يهارش ، أو الى خنزيرية ، وهو الذي يتقيأ ويخرأ ويتلوث فيه ، او الى انسانية وهو الذي يحسن خلقه . ولبعضهم يصف معربداً :

إذا انتشى خاصمَ في الدين وان صادفَ إنساناً يماريه
ويدّعي الشربَ ويهذي به والقدحُ الواحدُ يكفيه
يحبس كاسَ القومِ في كفِّه حتى إذا قالوا له : ايه ا
أفضلَ ثلثَ الكاسِ في قعرها ومج ثلثَ الكاسِ من فيه

ابو نواس : ومعربدٍ أبرزتُه للريح اذ سبّ النَّدامى
أغلقتُ بابي دونه وتركتُه يرعى الخزامى

ويضاد ذلك ما حكي انه أتي العريان بشارب فقال : من انت ؟ قال : أنا القائل :

إذا صدمتني الكاسُ أبدت محاسني ولم يخش ندماني على صدمِها جهلي

فقال العريان : أنعم الله بك عيناً . وقال لصاحبه : احمله على دابتك وبلغه منزله .

مدح الصفع واحتجاج الصفعان لذلك :

الصفع غلة ولكنه مذلة ، ويذهب بالعلة الغليظة من العينين . اذا اردت أن يكثر نفع دارك فاصبر على الصفع المتدارك . الصفع في هذا الزمان خير من غلة بستان . الصفع على الريق انفع من شرب السويق . وقيل لصفعان : ما المعنى في الصفع ؟ قال : هو اول منزلة من التواضع ، وهو يحسن الخلق ويذهب بالصغار ، ويخفف من الخمار ، ويؤمن البدن من الاقشعرار ، ومن فضائله انه يؤنس المستوحش ويبسط المنقبض ، ويضحك الحزين وينشط الكسلان ، ويزيل النعاس ويقوي الراس . صفع رجل آخر فغضب المصفوع فطأطأ رأسه وقال له : حقك في يدك خذه ولا تغضب .

معارضة صفعان لمن صفعه :

كان صفعان من قوم ، فصفعه بعض من لم يكن يؤبه به من بينهم فقال الصفعان : يا كشحان هذا يفعله من كان له قصر وفي داره طاوس ، وعلى بابه نعامة لا من في داره ديك وعلى بابه كلب ، وحجرته بالكراء . وصفع رجل آخر فالتفت اليه وقال : صفع بصفع أو صفع بنفع .

المهجو بأنه صفعان :

شاعر : قفاه على أكفّ الشربِ وقفٌ وجلدةُ وجههِ ميدانُ ريقِ

وصفع احمد بن اسمعيل الكاتب صاحباً له فقال :

سائل طلول القفا ومصفعها كيف ترى راحتي وموقعها ؟
كم صائنٍ هامـةً ممنعةً ذللها صافع بِطبّعها

ولابن حجاج في المتنبي :

يا ديمةَ الصفا هبّي على قفـا المتنبيّ
وأنت يا ريحُ بطـني على عذاريه هبّي
يا قفـاه تدانى واقعد قريباً بجنبي
وان صفعتَك الفا فلا تقولنَّ حسبي

وله في بعض الكتاب :

رأيتُ شيخاً رقيعاً للصفع فيه بقيَّه
تعربـا نبطيـاً ويشتهي العجميَّه
فقلت : ذقنُك في اسْتي هـذا من العربيـه
وريشك بباب كوني هـذا من العجَميه
أو لافد عنج بوطئي هذا من النّبطيـه
هذي لغاتٌ ثلاثٌ صحيحـةٌ مستويه

وقال ابن الرومي :

وصفعانٍ يجودُ بأخـدعيهِ ويصفعُ نفسَه في الصافعينـا
كهدمِ المشركينَ بيوتَ سوء بأيديهم وأيدي المؤمنينـا

ومما يدخل في باب الصفع : خاطر رجل على ان يصفع المطلب الهاشمي بباب الطاق ، فيشكره المطلب على ذلك ، فوقف يوماً على طريقه وصفعه من خلفه في النقرة وقال : العقرب العقرب وكان معه عقرب منزوع الحمة ، فلما رأى المطلب العقرب شكره وقال : جزيت خيراً فلولا انت لدغتني !

وصف ثقيل :

ما الحمام على الاصرار ، وحلول الدين مع الاقتار ، وشدة السقم على الأسفار بأثقل من لقاء فلان . وقال رجل لابيه : يا ابت حدثني مستملي أبي حنيفة ان أبا حنيفة قال : اني ثقيل ؟ فقال : يا بني أنت ثقيل بالاسناد ! ووصف آخر ثقيلًا فقال : هو ثقيل جاهل بثقله ، والثقيل اذا علم أنه ثقيل فليس بثقيل .

شاعر : أثقلُ من طلعةِ يومِ سبْتِ   على ابن كتّاب بليد هبت

وفسر سعيد بن المسيب قول الله تعالى «عتل بعد ذلك زنيم» انه ثقيل لغير رشده . وقال انسان لأحمد بن ابي خالد : لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله ﷺ . فقال له : لئن لم تخرج من ذلك لاقتلنك . فقال : ان الله تعالى قال لنبيه : ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . وانت فظ وما يبرحون حولك فضحك منه .

رؤيتُه أثقلُ مِن رضوى   أثقلُ من واشٍ على عاشقِ

قال ابو العتاهية لابنه : أنت ثقيل الظل ، مظلم الهواء ، جامد النسيم .

وقال شاعر :

كمثلِ غريمٍ مقتضٍ أو كأنه   طلوعُ رقيبٍ أو نهوضُ حبيبِ

ابو نواس : لطلعتِه وخزةٌ في الحشا   كوخزِ المشارط في المحتجم

احمد بن حمدون :

صلفٌ مائقٌ ضعيفٌ مقيتٌ   أحمقٌ ساذجٌ ضعيفُ الكتابه

آخر : وبغيضٍ لو أنه كان صوتاً   كان ايقاعُه ثقيلَ الثقيلِ

للصاحب : ثقيلٌ قد تربّع في الطنافس   ينافسُ في لجاجتِه الخنافِس

الحث على مصابرة الثقيل :

سأل رجل صديقاً له ان يمشي معه الى انسان في حاجة فقال : أحب أن تعفيني فانه ثقيل بغيض غث . فقال صاحبه : يا سيدي أحسبه الكنيف الذي تأتيه كل يوم مرتين .

صعوبة ملاقاة الثقلاء :

قال الأعمش : ما نظرت الى ثقيل الا اشتكت عيني . وقال : ربما سألني ثقيل عن مسألة فأنساها في الوقت لما ينالني منه . وقال ابن عمر رضي الله عنه . اتقوا من تبغضه قلوبكم . وقال مالك لطبيبه : انظر مجسي ، فجسه ؛ وقال : مزاجك معتدل الا ان فيه كدراً فهل وصل اليك اليوم بغيض ؟ قال : نعم . قال : فهذا من ذاك . وقيل : مجالسة الثقيل حمى الروح ؛ ومنه أخذ أبو هفان :

أورثتَني بجلوسٍ إليك حمّى مليله

وقيل لانوشروان : ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل فلا يعييه ولا يحمل مجالسة الثقيل ؟ فقال : لان الحمل تشترك فيه الاعضاء والثقيل تنفرد به الروح .

الاحوال المفضية للثقل :

قال ابن سيرين : مكتوب في كتاب سوء الأدب : اذا اتيت منزل قوم فلم ترض بما يأكلون ، وسألتهم ما لا يجدون ، وكلفتهم ما لا يطيقون ، وأسمعتهم ما يكرهون ، فان لم يخرجوك فهم لذلك مستأهلون . وقيل : من مقتضيات الثقل ان يكون الانسان يتتايس وهو يقدر ان يتكايس . ودخل ثقيل على ابن أبي البغل فأطال الجلوس فلما خرج الناس قال : هل من حاجة ؟ قال : لا ، فأنظره ساعة ثم قال : ما اسمك : قال : أبو عبدالله محمد بن عبدالله . فقال لحاجبه : خذ بيد أبي عبدالله محمد ابن عبدالله ، واطرده الى لعنة الله !

التعريض بثقيل :

ابن عائشة : ذكر الله تعالى الثقلاء فقال : فاذا طعمتم فانتشروا . وشرب بغيض عند رجل فلما أمسى لم يأته بسراج فقال : اين السراج ؟ قال : ان الله يقول : واذا أظلم عليهم قاموا . قال ثعلب لرجل استثقله : خاتم طاوس . فلم يعلم الرجل ما عناه فقال له ثعلب : ان طاوساً نقش على خاتمه : أبرمت فقم ، فاذا استثقل رجلًا دفعه اليه وقال : اقرأه . وعاد الشعبي ثقيل فأطال الجلوس ثم قال : ما أشد ما مر عليك في مرضك ؟ قال : قعودك عندي ! ودخل ثقيل الى الصاحب فأطال الجلوس وتبرم به ، فكتب رقعة ودفعها اليه فيها :

إن كنتَ تزعمُ أن الدارَ تملكُها حتى نقوم فنبغي غيرها دارا
أو كنتَ تعلم أن الدارَ أملكُها فقم لكي تُذهبَ الأحزانَ والعارا

ودخل على ابن مكرم اخوان من أولاد ينار ، فاستثقل احدهما واستطاب الآخر فانزعج الثقيل وبقي الآخر فقال له : ما مثلك ومثل أخيك الا ما قال الله تعالى . فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

اغتياب الثقلاء والوقيعة فيهم :

قال معمر : لا غيبة للثقلاء ، والوقيعة فيهم من اللذات ، وفي مجالسات أبي بكر بن دريد لم يبق من لذة الدنيا الا أكل القديد وحك الجرب ، والوقيعة في الثقلاء . وفي وصف بارد : هو جبل همدان وماء سيدان .

يوسف بن المغيرة :

ومَن يقتل الابطالَ بأساً ونجدةً فإن أبا يعقوبَ يقتلهمْ بَرْدا

آخر : إنما ظرفُ أبي العيناء في المجلس لحظه فاذا طاولتَه استبردْتَ معناهُ ولفظَه

وصف ساق يشغف الشرب بحسنه ويلهيهم بغنجه :

لابي فراس ، وقد حضر مجلساً فثمل ، فقيل له : سكرت ! فأنشأ يقول :

سكرتُ من لحظِه لا مِن مدامتِه ... ومالَ بالنومِ عن عيني تمايلُه
وما السلافُ دهتني بل سوالفُه ... وما الشُّمول دهتْني بل شمائلُه
لوى بعقليَ اصداغٌ لوينَ له ... وغالَ صبري ما تحوي غلائلُه

آخر : ساعٍ على صحبي بصهباء ... كالغصنِ المغتصِّ بالماء
أغارُ من وقفتِه كلما ... قال لحاسي الكاسِ : مولائي
حتّى لقد صارُوا وَهُمْ إخوتي ... من شدةِ الغيرةِ أعدائي

وصف ساق تشبه وجنته خمرة :

قال ديك الجن :

فقام بخمرٍ يخضبُ الكفَّ كأسُها ... وتحسبُه من وجنتيهِ استعارَه

أخذه ابن المعتز وزاد عليه فقال :

تدورُ علينا الراحُ من كفِّ شادنٍ ... له لحظُ عينٍ يشتكي السقمَ مدنفُ
كأنَّ سلافَ الخمرِ من ماء خدِّه ... وعنقودها من شعرهِ الجعدِ يُقطفُ

جحظة : وخمارةٍ مِن بناتِ القسوس ... تبيعُ المدامةَ في دارِها
وجاءت تهادَى كقدِّ القضيبِ ... سقتْه الغوادي بأمطارِها
وفي كفِّها قهوةٌ في الإناء ... وكالنارِ لم تغل في نارِها
كوجنةِ مَن هي في كفِّها ... ونكهتِها وقت أسحارِها
فمن قارص وردتي خدِّها ... ومن جاذب فضلَ زُنّارِها

الفرح الصالحي :

ثملٌ من خمر ريقتِه ... عطرٌ من وردِ وجنتِه
قامَ والأردافُ تقعدهُ ... والدجا من لونِ طرتِه
فسقاني الخمرَ من يدِه ... وحللنا عقدَ تكتِه

ساق يطيب من يده المدام :

قال شاعر :

ولم يكنِ الشرابُ كذا لذيذاً ولكن طابَ حاملُه فطابا

ابن المعتز :

اشربْ عقاراً كأنها قبسٌ قد سبك الدهرُ تبرَها فصَفا
يبدي لثام الابريقِ من دمها كأنه راعفٌ وما رَعفا
بكف ساق حلو شمائله مكرّ لحظ عينه صلفا

وصف الشراب والساقي :

السري الرفاء وقد أحسن في وصف الساقي :

وكأنما أبدى لنا بمدامه وجماله صاح العزيزَ ويوسفا

ابو نضلة : قامَ الغلامُ يديرها في كاسه فكأنَّ بدرَ التمِّ يحملُ كوكبا

الخوارزمي :

يدورُ بها ظبيٌ تدورُ عيونُنا على عينِه من شرطِ يحيي بن أكثمِ
ينزهنا من ثغرِه ومدامه وخدّيه في شمسٍ وبدرٍ وأنجمِ

حث الساقي على السقي :

شاعر : أيها الساقي أجدْ حثّ القَدَح واسقني ويحَكَ مفتاحَ الفرَحْ

ابو نواس: أيها الساقي علاما تحبسُ الكاسَ علاما ؟
بعدَ ما لذتْ وطابت ونفت عنّا اهتماما
سُمّي الخمر مداما فأدم هذا المداما
وصلِ الكاسَ بكاسٍ تدعِ الشيخَ غلاما

حث القوم على الشرب :

كان رجل يشرب مع قوم ، فاذا أخذ القدح أطال امساكه فقال ساقيهم : اشرب وهبه في كفك من يوم مولدك . وقال آخر لمن يحبس الكاس : أليس لو بقي في كفك أياماً وقد مزجته كان

يتغير ؟ قال : نعم . قال : فلا أرى ساعة تمضي الا ولها قسط من التغير فاشربه . وكتب بعضهم على كاس :

قالت الكاسُ لساقيها إلى كم تحبسوني ؟
إن جسمي من زجاجٍ فاحذروا لا تكسروني
واجعلوا الساقي خشفاً ومع الخشف ذروني
واذا أنتم ثقلتم فخذوني في سكوني

الحث على المزج والمنع منه :

ابو نواس : فقوما فامزجا خمراً بمـاء فإن نتاج بينهما السرورُ

وكان رجل يسقي آخر صرفاً ويغني له :

يديرونني عن سالمٍ وأديرُهم وجلدة بين العينِ والأنفِ سالمُ

فكان ينشد : وجلدة ما بين العين والانف سالم فيكسر البيت ويزيد فيه لفظة ما ، فقال صاحبه: الاولى أن تجعل ما التي في بيتك في قدحك . وقال حسان في المنع من المزج :

إنّ التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتِها لم تقتلِ
كلتاهما حلبُ العصيرِ فعاطني بزجاجةٍ ارخاهما للمفصل

ابو نواس : اثنِ على الخمرِ بآلائها وسمِّها أحسنَ أسمائِها
لا تجعل الماء لها قاهراً ولا تسلطْها على مائِها

وأنكر بعض الشرب على الساقي كثرة المزج فقال : تريدون في مائكم نبيذاً .

ث الساقي على العدل بين القوم :

قال علي بن داود في كتاب الزهرة : ليتحرّ الساقي العدل ، فانه والي العقول ، والا ناله من خجلة الاستعفاء ما ينال الوالي من خجلة العزل .

● ● ●

ومما جاء في وصف المجالس وأمكنة الشرب

اختيار المجلس الفسيح :

قيل للاحنف : أي المجالس أحب اليك ؟ قال : ما سافر فيه البصر واتدع فيه البدن . وقيل : المنازل الضيقة العمى الاصغر . وسئل بعضهم عن الغنى فقال : سعة البيوت ودوام القوت . وقيل لبعضهم : ما السرور ؟ فقال : دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مربوطة بالفناء . وقيل لبعضهم : أي المجالس اطيب ؟ فقال : لولا ان الشمس تحرق والمطر يغرق ، لما كان في الدنيا احسن من شرب في الفضاء على وجه السماء . وحدثني ابو سعيد بن مرداس انه قعد مع جماعة فيهم ابن بابك تحت عريش كرم يشربون فأصابهم مطر ، فقال ابن بابك :

وشى بريّا إليّ طيفٌ ألمّ فحيّا
ونبّهتني شمولٌ تموت فيّ وأحيا
يا صخرةَ الرعد رشّي دمع الغمام عليّا
فحبذا الروحُ ورداً ومنحنى النور فيا !
هـذي سماء مدامٍ لم تمشِ فيها الحُميّا
فكلُّ كرمٍ سماءٌ وكلُّ نجمٍ ثريّا

حديث كل مجلس :

قال ارسطاطاليس للاسكندر : احفظ ما اقول لك ، اذا كنت في مجلس الشرب فليكن مذاكرتك الغزل ، فإنهم يأنسون الى ذلك ، واذا جلست الى خاصتك فاذكر الحكمة ، فانهم لها افهم ، واذا خلوت للنوم فاذكر العفة فانها تمنعك ان تضع النطفة في ما لا معنى له .

مدح القعود في طرف المجلس والاعتذار لذلك :

دخل بعض الصوفية على الجنيد وقعد في طرف المجلس وقال : حسبي يا سيدي من مجلسك مكاني من قلبك . وقيل : الأطراف مجالس الاشراف . ودخل رجل على بعض الكبار فصدره ثم دخل آخر فقال له : تنح قليلًا فرفعه الى جنبه ، ثم دخل آخر فقال له مثل قوله ، فلم يزل الداخل الاول يتنحى حتى صار في طرف البساط ، فقال لصاحب المنزل : قد تفرزنت اقوم فارجع الى موضعي ! فضحك منه ورفعه الى موضعه الاول .

الجلوس على الطرق وفي المساجد :

مر رسول الله ﷺ على رهط فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : اياكم والجلوس بهذه ، فانها سبيل من سبل النار ، أو قال : من سبل الشيطان ، ثم التفت فقال : فان أبيتم فأدوا حق الطريق . قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : رد السلام وغض البصر وكف الاذى ، وهداية الضال واغاثة الملهوف . وقال الشعبي : من أراد ان يكثر علمه فليجتنب مجالس قومه . وقيل : المساجد مجالس الكرام .

ذم الجلوس في الشمس وحده :

روي عن أمير المؤمنين رضي الله عنه انه رأى رجلًا جالساً في الشمس فقال : قم عنها فإنها مبخرة مجفرة ، تنغل الريح وتظهر الداء الدفين ، وتذهب شهوة الشتاء .

ابو تمام :

وإن صريحَ الحزمِ والرأي لامرئٍ ... إذا أدركته الشمسُ أن يتحوّلا

ضيق المجلس :

ما ضاق مجلس على محبين ولا اتسع لمتباغضين . وقال الصاحب في معناه وقد نقله من أبيات خراسانية :

كنا وأسبابُ الهوى متَّفقه ... نغدو من الوردِ معاً في ورَقه

واليومَ اذ أسبابُه مفترَقه ... قد صارتِ الدنيا علينـا غلقَه

وكثر تمثل الناس بقول الشاعر :

لعمركَ ما ضاقت بلادٌ بأهلِها ... ولكن أخلاقَ الرجالِ تضيقُ

وقال ابن المعتز وقد حضر قوماً ضاق بهم المجلس :

لا تحسبنّ الدهرَ يجمعُ حبـه ... في قشره إلا كما نحنُ هنا

وقال آخر يعتذر من ضيق داره وقلة زاده :

إن يضقْ منزلي فإني كريمٌ ... واسعُ الخلق واسعُ الآدابِ

لستُ آسى على الكثيرِ من الزا ... دِ إذا كان فيه قوتُ صحابي

الحث على التوسع لمن حضر المجلس :

قال النبي ﷺ : لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا . وقال الله تعالى : اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم (الآية) . حضر بعض الناس

مجلس الحسن بن سهل ، وكان المجلس ضيقاً ، فقال : تحفزوا فان في التحفز توسعة الجالس المستوفز . قيل : اثنان ظالمان رجل وسع له في مكان ضيق فقعد فيه متربعاً منتفخاً ،وآخر أهديت له نصيحة فاتخذها ذنباً .

تفقد الجلسة :

قال عبدالملك : إني لأعرف عزة الرجل في جلسته . وقيل : اختلاف صور جلوس الناس على اختلاف أحوالهم . وقيل : للملوك جلسة وللراغب جلسة ، وللندام جلسة وللملاعب جلسة ، وللمطرب جلسة وللضيف جلسة .

الانتقال من مجلس الى مجلس :

قال الصولي : شرب عندي ابن أبي فنن يوماً فقلت له : قم بنا ننتقل الى مجلس اخر . فقال : النقلة من الاسلام كفر ، ومن النسب لؤم ، ومن المجلس سخف . وقيل لبعضهم : انتقل . فقال : النقلة مثلة . وكان المأمون كثير التنقل في مجالسه ويتمثل بقول أبي العتاهية :

لا بد للنفس إن كانت مدبرةً   من التنقلِ من حالٍ إلى حالِ

حمد الراضي بالقعود دون ما يستحق :

قال الاحنف رحمه الله : ما جلست مجلساً خفت ان أقام منه لغيري . وقال الشعبي : لأن ادعى من بعيد احب إلي من ان ادفع من قريب .

مجلس أو وقت مستطاب :

ابن ابي البغل :

جلسنا مجلساً حسناً نظيفاً   خلا من كل ذي صلفٍ وبغضِ

آخر : ومجلسٍ غـابَ عنه عاذُله   تُبدَلُ فيه الهمومُ بالطربِ

ابن المعتز : كأنا من بشاشتنا ظللنا   بيومٍ ليس من هذا الزمان

إيثار الشرب واللهو بالليل :

كان ابن المعتز لا يشرب الا ليلاً ، ويقول : الليل أمتع لا يطرقك فيه خبر فاظع ، ولا سبب مانع ، والنهار أبرص لا يتم فيه سرور ؛ أخذ ذلك كشاجم فقال :

اتخذ الليلَ جمل ما حمل الليل حمل
آمنُ فيـه زائراً يشغلني عن الشغُلْ

آخر : ولم أر مِثلَ الليلِ جنة فاتكٍ اذا هم امضى أو غنيمة ناسك

بشار : قد نامَ واشٍ وغابَ ذو حسدٍ فاشربْ هنيئاً خلا لكَ الجوُّ

يروى لمحمد بن بشير ويقال : كتب معاوية الى ابنه يزيد بهذه الابيات :

شمِّرْ نهاراً في طلابِ العُلا واصبرْ على هجرِ الحبيبِ القريب
حتى إذا الليلُ أتى مقبلًا واكتحلَت بالغمضِ عينُ الرقيب
فقابلِ الليلَ بما تشتهي فإنما الليلُ نهارُ الأريب
كم فاسقٍ تحسبُه ناسكاً يستقبلُ الليلَ بأمرٍ عجيب

ويروى ان يحيى بن خالد كتب الى الفضل ابنه وهو بخراسان ، وقد بلغه اشتغاله باللهو : أما بعد فقد بلغني عنك ما كنت جديراً بغيره ، وقد يهفو الحكيم ويزل الحليم ثم يرجع الى ما هو به أولى ، حتى كأن أهل دهره لم يعرفوه إلا به ، وقد كتبت اليك بأبيات إن أنت خالفتها هجرتك وعزلتك ، وكتب اليه بالابيات المتقدمة ، فلما قرأها آلى على نفسه أن لا يشرب النبيذ بخراسان .

الحث على مبادرة الصباح في تناول الراح :

جحظه : قد بدا لي الصبحُ يا مو لايَ يحدو بالظلام
فانتبه نقض لبانا تِ اعتناقٍ والتزام
قبل ان تفضحنا عو رةُ أنفاسِ النِّيامْ

ابو نواس: بادرصباحَك بالصبوحِ ولاتكنْ كمسوِّفين غدَوا عليك شِحاحا
وخدينِ لذاتٍ معللِ صاحبٍ يقتاتُ منه فكاهةً ومزاحا
نبهتُه والليلُ ملتبسٌ بهِ وأزحتُ منه نعاسَه فانزاحا
قال: ابغني المصباح، قلت له: اتّئد حسبي وحسبُك ضوؤها مصباحا

ايثار الشرب بالنهار والصبوح :

العطوي : إن شربَ النبيذِ سيرٌ إلى اللهوِ وخيرُ المسيرِ صدرُ النهارِ

آخر : ومِن العجائبِ أن يكونَ نبيذُه كدمِ الذبيحِ وأمرهُ متظاهرُ
فتراهُ ينتظر العشيّ بشربه واليوم منهمل السحائب ماطرُ

كشاجم : وأحبُّ أوقاتِ النعيمِ إليّ في وقتِ السَّحر

أوقات الشرب في الاسبوع :

كان الوليد يشرب يوماً ويدع يوماً ، وسليان يشرب في كل ليلة ، وهشام يسكر في كل جمعة، ويزيد بن الوليد يدمن الشرب فكان دهره بين سكر وخمار . وكان المنصور يشرب عشية الثلاثاوات، وكان المأمون يشرب الثلاثاء ، والمعتصم لا يشرب الخميس ولا الجمعة .

قصد الحانات :

من عادتهم التبجح بقصد الحانات وابتياع الخمر ؛ ولذلك قال طرفة :

متى تبغني في حلقةِ القوم ِتلْقَني　　　وان تلتمسْني في الحوانيتِ تصطدِ

وبكر أبو الهندي على خمار فاصطبح وسكر ونام ، ودخل على الخمار فتيان فرأوه فسألوا عنه الخمار فأخبرهم بمكانه ، فقالوا : ألحقنا به فسقاهم حتى ناموا ، فلما استيقظ أبو الهندي رآهم فسأله عنهم فاخبره بهم ، فقال : ألحقني بهم فأقاموا على ذلك عشرة ايام ، فقال ابو الهندي يصف ذلك :

نُدامى بعد عاشرةٍ تلاقَوا　　　تضمُّهم بكوذبان راحُ
رأوني في الشروقِ على وسادٍ　　　يفيضْ بهجتي ورد وراح
فقالوا : أيها الخمار من ذا ؟　　　فقال : أخ تخوَّنه صلاح !
فقالوا : قم فألحقنا وعجل　　　به ، إنا لمصرعهِ نراح
وحانَ تنبهي فسألتُ عنهم　　　فقال : أتاحهم قدر متاح
فقلت له : فسرحني اليهم　　　حثيثاً والسراحُ هو النجاحُ
فما إن زال ذاك الدأبُ مِنا　　　إلى عشر نفيقُ ونستباحُ

وله :　وصاحبِ حانوتٍ عشوتُ لناره　　　وقد مالتِ الجوزاءُ نحو المغاربِ
فقال : ألا عجِّلْ لنا النقدَ إننا　　　أناسٌ أخذنا بالكرا والضرائبِ
نثرت له عشرينَ بيضاً كأنها　　　على كفةِ الميزانِ زهرُ الكواكبِ
فصبَّ لنا حمراءَ ينزو حبابُها　　　إذا شعشعَتْ بالدنِّ نزوَ الجنادبِ

وقال ابن المعتز ، وهي ابيات مستحسنة ولذلك ذكرت جملتها :

وفتيانِ صدقٍ قد بعثتُ بسحرةٍ　　　إلى بيتِ خمارٍ فحطُّوا به رحلا
وقامَ الي مخزونةٍ بابليةٍ　　　كست دنَّها أيدي عناكِبها غَزْلا

مسندة قامت ثلاثين حجةً　　كواضعةٍ رجلًا وقد رفعت رجلا
وأخرجَ بالميزانِ منها سبيكةً　　كما فتل الصواغُ خلخالَهُ فتلا
إذا قرعت بالماء خلت بكأسها　　مدب دباً تعلو أكارعه رملا
فلما رأوها في الزجاجةِ سبّحوا　　وكبّر إجلالاً لها العلجُ أو صلّى
وظل يناجي شحّ نفسٍ وجودها　　فطوراً بها صعباً وطوراً بها سهلا
فما زالَ حتّى زالَ بالمالِ حكمُه　　ولم ندخرْ عنها السماحةَ والبذلا
وجاؤا بها كالشمس يأكلُ نُورها　　زجاجتَها في كف شاربها أكلا
عروسٌ جعلنا مهرَها بعضَ دينِنا　　فما رضيَتْ حتى وهبْنا لها الكُلّا

وله :
لاعلم لي أين يثوي الخضر من بلد　　لكنّ ابليسَ في قُطْرُبُلٍ ثاوي
بحيث لا لوم في سكرٍ ولا طربٍ　　ولا يقصِّرُ في أفعاله غاوي

• • •

ومما جاء في وصف آلات الشرب والمجالس

الاباريق المقدمة والطوال الاعناق :

ابو الهندي :
مقدمة قزا كأن رقابها　　رقاب بناتِ الماء أفزعَها الرعدُ

وقد زاد هذا على قول علقمة :
كأن ابريقَهم ظبيٌ على شرفٍ　　مقدمٌ لبسَ الكتانَ ملثومُ

آخر : كأن أباريقَ الشمولِ عشية　　اوزٌ بأعلى الطفِّ عوجُ الحناجرِ

ابن المعتز في ابريق في فمه قطرة :
كأنّ ابريقنا والراحُ في فمِهِ　　طيرٌ تناول ياقوتاً بمنقارِ

قرقرة الابريق :

ابن المعتز: وكأنَّ ابريقَ المدامةِ بيننا　　ظبيٌ على شرفٍ أناف مدلّها
لما استحثّتها السقاةُ حنا لها　　فبكى على قدحِ النديمِ وقهقها

الزاهي : كأن ابريقّها فينا مطوقةٌ　　مدّتْ جناحاً وقد غَنّت بتغريدِ

أبو نواس: كأن قهقهةَ الإبريق اذ سكبَت　　رجعُ المزاميرِ او تغريدُ فأفاء

آخر : والكونُ يضحك كالغزّالِ مسبّحاً　　عندَ الركوعِ بلفظةِ الفأفاء

ابن ابي البغل :

نادمتُ ابريقّها فتمتم لي　　في ليلةٍ طرمساء ظلماء
حتى اذا عادَ في فصاحتِه　　صارَ لساني لسانَ فأفاء

علي بن عاصم الاصفهاني :

متى بكى الابريقُ في كفّه　　أغربَتِ الارطالُ في الضحكِ

ابريق مبذول العروة :

البسامي في وصفه :

إبريقُ صفرٍ كأنه قبسٌ　　يشبهُ لوني بفرطِ صفرتهِ
يُمناه ممدودةٌ لمسألةٍ　　منه ، ويسراهُ فوقَ هامتِه

ولبعض المحدثين ، ويعرف بالمخزومي البصري ، في صفة ابريق فضة وقد استطرد اليه من مدح:

لقد ظلم الفضة المقتناة　　يدلك فيها سريعٌ حثيث
فأقبل ابريقُها يشتكيه　　مستعدياً لك فيا تعيث
فإحدى يديهِ على رأسه　　وأخرى ممددةٌ تستغيث

آخر : كأنه مسترفدٌ مدّ يدا　　وألصقَ الأخرى بأعلى رأسه

كؤوس مصورة :

ابو نواس: تدارُ علينا الراحُ في عسجديةٍ حبَتْها بأنواعِ التصاويرِ فارسُ
قرارتُها كِسرى وفي جنباتِها مهاً تدَّريها بالقسي الفوارسُ
فللخمرِ ما زرَّتْ عليهِ جيوبها وللماء ما حازَتْ عليه القلانسُ

السري الرفاء :
وموسومةٍ كاساتها بفوارس من الفرس تطفو في المدامِ وتغرقُ
اقبلُ منه كل شاكٍ سلاَحه وفي يدهِ سهمٌ إليّ مفوّق

كأس ونحو :

ابو تمام : نار ونور قيّدا بوِعاء

ابن اسباط :
وكأسٍ من الشمسِ مخلوقةٍ بدت لك في قدحٍ من نهار
هواءٌ ولكنهُ جامدٌ وماءٌ ولكنه غير جار

ابن المعتز: كأن الكاسَ في يده عروسٌ لها من لؤلؤ رطبٍ وشاحُ

الصنوبري :
عقارٌ إذا رديت بالزجاج تردّى الزجاج رداء البهاء
فيأتي الوعاءُ لها حاملًا وتحسبُ حاملة للوعاء

ونحوها قول الصاحب : رق الزجاجُ ورأقت الخمرُ

البيتين وقد تقدما :

الاخطل : أناخوا فجرّوا شاصياتٍ كأنها رجالٌ من السودانِ لم يتسربلوا

بشار : وكأن الزقَّ زنجيّ سرق

ابو المندي يصفه : حبشيّ قطعتْ منه الركَبْ

الأعشى : حبشيّ كبّ عمداً فانبطح

والأول احسن .

معصره :

ببغاء يصفها : ومعصرةٍ أنخت بها وقرنُ الشمس لم يغبِ
فخلت قرارَها بالرا حِ بعضَ معادنِ الذهبِ
وقد ذرفت لفقد الكر مِ فيها أعينُ العنب

الراووق :

كشاجم: كأنما الراووقُ وانتصابُه خرطومُ فيلٍ قلعتْ أنيابُه

الدن :

ابن المعتز: ودنانٍ كمثل صفِّ الرجالِ قد أقيموا ليرقصوا دستبندا
آخر : قهوة بنت دنانٍ عتقَتْ خمسينَ عاما
خلتها في البيتِ جنداً صفُّوا حولي قياما
السري في دنان خاليات :
• شعث دنانٍ خاليات كأنها صدورُ رجالٍ فارقتها قلوبُها

كيزان الفقاع :

الخوارزمي :
وضيقة الفمِ دحداحة عليها قميصُ ندى أخضرُ
ابو طالب المأموني :
تثور إذا كشفوا رأسها وإن قبَّلوا فمها تهدُر
آخر : وربَّ فقَّاعةٍ رأيت بها ثديَ كعابٍ مسود الحلَمه
حللتُ زنارَها فاظهر لي شهبَ بزاةٍ تطير من أكمه

• • •

ومما جاء في الغناء والمغنين والملاهي وآلاتها

الرخصة في الغناء :

قيل لابي حنيفة وسفيان رحمها الله : ما تقولان في الغناء ؟ فقالا : ليس من الكبائر ولا من أسوأ الصغائر . وقيل للعتابي فقال : حلال من الفائق حرام من غير الحاذق . وسئل بعضهم فقال : هو من ارتياح الكرم وامتياح النعم ، من قال هو مباح والا قال ليس فيه جناح ، قد يعفو الله عما فوقه ويأخذ بما دونه . وقال ابن الراوندي : اختلفوا في جواز الغناء وأنا أخالف الفريقين فأقول : هو واجب . مر عمر رضي الله عنه بدار قوم فسمع ضجة فقال : ما هو ؟ فقيل : عرس . فقال : وما يمنعهم أن يخرجوا غرابيلهم فانها من أمارة العرس ؟ وحضر الشعبي وليمة فقال : كانكم في نائحة ، أين الدف ؟ وقال عبد الملك لعبدالله بن جعفر : من أين استجزتم معشر اهل المدينة الغناء الذي استقبحناه ؟ فقال له ابن جعفر : أنت تأتي ما هو أقبح من هذا وأنت في غفلة عنه ، يأتيك اعرابي جلف مهلب العجان منتن الابطين ، فيقذف عندك المحصنات ويشبب بربات الحجال ويقول فيهن الزور، ثم يشبهك مرة بحجر ومرة بشجر ، ومرة بالاسد والسيل والبحر ، فتصغي اليه وتخلع عليه . قال بعض الفقهاء بحضرة الرشيد لابن جامع : الغناء يفطر الصائم فقال : ما تقول في بيت عمر بن ابي ربيعة اذ انشد :

أمن آل نعمٍ انت غادٍ فمبكر ، ايفطر الصائم ؟

قال : لا . قال : انما هو ان أمد به صوتي وأحرك به رأسي .

فضل الغناء :

قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي : مدار الدنيا على أربع : البناء والنساء والطلاء والغناء . وقيل : اللذات أربع : أكل وشرب وسماع ونكاح ، وكل يوصل اليه بتعب الا الغناء . لا يكره الغناء الا من عرضت له آفة في حاسته ، كما لا يكره الطيب الا من في شمه آفة . وحكى أهل الهند ان الزنديبل اذا أخذ امتنع من العلف ، فيغنى له بالالحان الشجية حتى تطيب نفسه . من سمع الغناء فلم يرتح له كان عديم الحس أو سقيم النفس . وكان حكماء الهند يسمعون المريض الغناء ، ويزعمون انه يخفف العلة ويقوي الطبيعة . وبالاصوات الطيبة ينوم الطفل ، وتحدى الابل ، وتجمع السمك في حظائرها ، وتصطاد الظباء والاسود من مرابضها . وقيل : الغناء غذاء الارواح كما ان الطعام غذاء الاشباح . وهو يصفي الفهم ويرقق الذهن ويلين العريكة ، ويثني الاعطاف ويشجع الجبان ويسخي البخيل .

ذم الغناء :

قال يزيد بن الوليد لاهله : اياكم والغناء فانه يسقط المروءة وينقص الحياء ، ويبدي العورة ويزيد

في الشهوة ، وانه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنعه السكر ، فان كان ولا بد فجنبوه النساء فانه داع الى الزنا . سئل صالح بن عبدالجليل عن السماع فقال : ما وجدت قلبك يصلح له فافعله . مر مسلمة بن عبدالملك يوماً بقصر أخيه سليمان فسمع صوت مغن فغدا الى سليمان وقال : يا امير المؤمنين مررت امس بالقصر الذي فيه حرمك فسمعت فيه غناء ، أما علمت ان الفرس يصهل فتشال الحجر ، والحمار ينهق فتستودق له الاتان ، والثور يخور فتستخرم له البقر ، والتيس ينب فيثغو له المعز ، والكلب يعوي فتصرف له الكلبة ، والمغني يغني فترتاح له النساء ؟ فقال سليمان : قد وعظت واحسنت والله عليّ راع وكفيل ، لا يدخل داوي مغن ذكر ولا انثى ! ونزل قوم بالكميت فأضافهم فتغنى رجل منهم وكان حسن الصوت فقال : حق على الرجل ان يحصن سمع امرأته كما يحصن فرجها.

كيفية جودة الغناء :

قيل لبعضهم : ما اجود الغناء ؟ فقال : ما أطربك وألهاك او أحزنك وأشجاك . وقال اسحق : قال لي المأمون ليلًا ما ألذ الغناء عندك ؟ فقلت : ما وافق شهوة النفس . فقال : زد فيه وطرب له السامع خطأ كان او صواباً .

مشاهير المغنين وواضعي الغناء :

ابن شريح ومعبد واسحق . وقيل : كل ما صنعه اسحق من الغناء سبعة وثمانون صوتاً . ومخارق وعلوية وزلزل وابن بانة ، وابراهيم بن المهدي كان من حذاق المغنين ، ولذلك قال فيه دعبل لما ولي الخلافة .

إن كان ابراهيمُ مضطلعاً لها   فلتصلحن من بعدِه لمخارقِ
ولتصلحَن من بعدِ ذاكَ لزلزلٍ   ولتصلحن من بعدِه للمارقِ

منهم ابن محرز والغريض ومالك بن ابي السمح .

كراهية غناء بلا شرب وشرب بلا غناء :

قيل : غناء بلا شراب كنحلة بلا عطية ، وهدية بلا نية ، ورعد بلا مطر ، وشجر بلا ثمر ، وحداء بلا بعير ، وروضة بلا غدير . قال الرشيد : النكس الذي يشرب على غير سماع .

ابو نواس : وليسَ الشربُ إلا بالملاهي   وبالحركات من بمّ وزيرِ

قال صاحب الموسيقا : السماع كالروح والخمر كالجسد ، فباجتماعهما يتولد السرور . وقيل لابي العطوف : هل ترى في الغناء ؟ فقال : أما قبل الاكل ومع غير الشراب فلا .

الاقتراح على المغني :

قيل لمغن : غنّ لنا كذا ثم بعده كذا . فقال : يا ابن الفاعلة لا تقترح صوتاً إلا بولي عهد . قال الحسن بن علي العلوي : قلت لمغن غنني . قال : هذا أمر . قلت : أسألك . قال : هذا حاجة . قلت : إن رأيت . قال : هذا ابرام . فقلت : فلا تغن . قال : هذا عربدة . كان هرمس اذا قعد للشرب يقول للموسيقي : أطلق النفس من رباطها ، من هنا اخذ كشاجم قوله :

أطلقْ عقالَ الروح بالراحِ　　اني اليها جد مرتاحِ
قد كدّت الحكمةُ روحي　　فَرَوِّحها بأوتار وأقداحِ

وكان مروان يقول : أطعمتنا طيباً فأطعم أرواحنا حسناً . قال ابو العتاهية لمغن : صب في هذه الآذان ما تطعم به القلوب في الابدان ، فلو كان الكلام طعاماً كان كلامك اذا ما قال رجل لمغنية : غنيني . قالت : ليس معي عود . قال : فاضربي على حرك ! قالت : قطعت اوتاره بالمخيط وحياتك . وقيل لآخر : غن بغير عود . فقال : انا فارس لا اقاتل راجلا . وقال آخر لمغن في دعوته : انعم علينا بما لا يتعب ضرساً ولا يسقم نفساً .

استعادة الغناء :

حق الصوت الحسن ان يعاد اربع مرات : الاول بديهة ، والثاني تفهم ، والثالث للشرب ، والرابع للشبع .

التزهزه للمغني :

قيل : اول صلة المغني ان يقال له أحسنت . وحضر جحظة مجلس بعض الكبار مراراً ، وكان اذا تغنى يقول له احسنت ، ولم يكن يخوله شيئاً فقال فيه :

إن تغنيتُ قالَ أحسنْتَ زدني　　وبأحسنتَ لا يُباعُ الدقيقُ !

استطابة الغناء والمغنى :

سمع رجل غناء طيباً فقيل له : كيف تسمعه ؟ فقال : وددت ان جميع اعضائي مسامع اسمعه بها ؛ فأخذ ذلك الشاعر فقال :

غنّتْ فلم تبقَ فيّ جارحةٌ　　الا تمّنتْ بأنها أذنُ

عبدالرحمن المعروف بقس :

كأن حماماً راغبياً مؤدباً　　اذا نطقت في صوتها يتغشمرُ

آخر : إذا هي غنّتْ أبهتَ الناس حسنها　　وأطرقَ إجلالاً لها كلُّ حاذقِ

وصف ابن شريح مغنياً فقال : كأنما خلق من كل قلب فيغني لكل ما احب . وقيل لابن جامع : إنك حسن الايقاع ! فقال : برئت من الاسلام ان كنت ضرطت منذ ثلاثين سنة الا بالايقاع ، فكيف اخرج منه في الغناء ؟ وقال الواثق : غناء علوية مثل نقر الطست ، يبقى في السمع بعد سكوته . قال ابراهيم الموصلي : عشقتُ جارية فهجرت اللذات من اجلها ، فبينا انا جالس اذ استؤذن علي لشيخ معه جارية فأذنت له ، فدخل فاذا هي صاحبتي فجلس الشيخ وقال : أشرب . فدعوت بالنبيذ فشرب ثلاثة اقداح وقال لي : غن يا ابا اسحق فتعجبت من جرأته علي ، وذلك ان الخليفة كان ينزهني عن ذلك ، ثم غنيت فأخذ العود واندفع يغني :

سرى يخبِط الظلماءَ والليلُ عاكفٌ غزالٌ بأوقاتِ الزيارةِ عارفُ
فما راعني إلا سلامٌ عليكمُ أأدخل؟ قلت : ادخل لما أنت واقف ؟

فتزعزعت الحيطان وأغمي علي وعلى الحاضرين من الغلمان ، فلما افقت اذا بجارية جالسة والشيخ لم أره ، فسألت البواب فقال : لم اره . وسألت الجارية فقالت : لا ادري الا انه جاءني على لسانك فلم اجسر على مخالفته ، فعلمت انه ابو مرة . وسمع ابراهيم الموصلي غناء مخارق وعلوية فقال : نعم الفسيلتان أنتما لابليس في الارض . وقيل : لم يكن في الاسلام أحسن صوتاً من مخارق ، غنى يوماً في متنزه وقد سنحت ظباء فجاءت اعجاباً بغنائه . وتوسط دجلة يوماً وغنى فلم يبق احد الا بكى ، وكان ابوه جزاراً ، فكان ينادي على اللحم في صغره فيفتن الناس بحسن صوته ، وكان اذا تنفس يطرب من سمع تنفسه .

من يستطاب سماع الغنا

سئل حكيم عن فرق ما بين غناء النساء والرجال فقال : ما خلقت الاغاني الا للغواني . وقيل : نعيم الدنيا أن تسمع الغناء من فم تشتهي تقبيله . قال الجاحظ : كم بين أن تسمع الغناء من فم تشتهي ان تقبله وبين ان تسمعه من فمٍ تشتهي ان تصرف بصرك عنه ، وأيهما أملح أن يغنيك فحل ملتف اللحية وشيخ منخلع الاسنان متغضن الوجه ، او تغنيك جارية كطاقة نرجس او آس ؟ وأنشد :

مِن كفّ جاريةٍ كأن بنانَها مِن فضَّةٍ قد طرفت عنَّابا

وقيل : أطيب الغناء ما اشجاك وابكاك واطربك والهاك . قال يحيى بن خالد لابن جامع : من احسن الناس غناء ؟ فقال : من اطرب الخاشع وافهم السامع . قال الموصلي : اذا تغنيت بالمديح ففخم او بالنسيب فأخضع ، او بالمراثي فأحزن او بالهجاء فشدد .

غناء يستطاب له الشراب :

سمع رجل غناء حسناً فقال : السكر على هذا شهادة .

كشاجم : فلست آبى وان سقوني على اغانيه نيلَ مصرِ

الخبزارزي : ولو ان البحورَ خمرٌ لدينا وتغنيت لارتشفتُ البحورا

غناء غير مفهوم المعنى :

ابو تمام في وصف جارية :

ومسمعةٍ يحارُ السمعُ فيها طربتُ لحسنها بصدى غناها
ولم أفهم معانيها ولكنْ ورت كبدي ولم أجهل شجاها
فكنتُ كأنني أعمى معنّى بحبِّ الغانيات وما رآها

اقتراح الفارسي :

بعض الاصفهانيين :

غنّنا يا غلاَمنا وأهنا وتنكبْ غناءك العربيّا
اننا معشرٌ مِن العربِ الغرّ كرامٌ فغنّنا الفارسيا
واسقناها مدامةً نازعتها وبس دامين بكرةً وعشياً

مغن قبيح الغناء :

قال بعضهم : كأنه مكوك يتدحرج على درجة . وغنى مغنٍّ فقيل لبعض الندماء : كيف ترى ؟ فقال :

ويحسِّن الندمان في خلقه دجاجـة يخنقُهـا ثعلبُ

واقترح على مغنٍ فامتنع فقال بعض الحاضرين : غن لهم صوتاً فانهم يقترحون عليك حينئذ بالسكوت ! قال :

كلما قلتُ : اقترح قا ل : اقتراحي أن تكفا

وقيل لهارون : فلان اذا غنى غمض عينيه فقال : أظنه يفعل ذلك استحياء لقبح غنائه . وقيل لآخر فقال : نائحة تندب في مأتم ! وقيل لآخر فقال :

نحمدُ اللهَ فإنا قد سمعنا ما كرهْنا

وقيل لآخر فقال :

فاحسن بحالِك ان لو خرِسْت وأحسنْ بنا لو رزقنا الصمَمْ

ابن الرومي : وكأنّ جرذانَ المحلةِ كلها في حلقِه يقرضْنَ خبزاً يابسا

وله : وإنّ سكوتَها عندي لبُشرى وإنّ غناءها عندي لمقعى
فقرّظهـا بعقربِ شهر زور إذا غنّت ، وطوّقها بأفعى

جحظة : وانصرفنا لمّا تغنّت عطاشا والقناني كما دخلنا مـلاء

قيل : غناني فلان فعناني . ابن الحجاج :

وعوّادةٍ من جواري القيان سرار البطونِ عليهـا نحل
اذا مـا تغنّت بثاني الثقيل طرحْنا عليها خفيفَ الرَمل

وقال جحظة وقد دعاه صديق له كان يعده بجارية حاذقة فائقة ، فلما حضره أخرج جارية قبيحة فقال:

قـد دعانا فأرانا خنفساةً خلفَ عودِ
وتغنّت من قيـامٍ كالمغني من قعودِ

وقال الجماز لابي العيناء : كيف ترى غنائي ؟ فقال : كما قال الله تعالى : إن أنكر الاصوات لصوت الحمير !

مغن موصوف بالشؤم والقبح :

كشاجم : ومغنٍّ بارد النغمةِ مختلّ اليدين
ما رآه أحـدٌ في دارِ قومٍ مرتـين

آخر : إنّ سمعي في نعيم وعيوني في جحيم

ابو الفضل بن العميد :

إذا غنى لنا أمـا حشوتُ مسامعي صما
وان أبصرتُ طلعتَه كحلتُ نواظري بعمى

تأثير الغناء والصوت وان لم يفهم :

قال اسحق الموصلي : أمر الصوت عجيب ، منه ما يسر سروراً يوقص ، ومنه ما يبكي ، ومنه ما يكمد ، ومنه ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه ، وليس يعتري ذلك من قبل المعاني لانهم في كثير من الأحوال لا يفهمون . وقد بكى ماسرجويه من قراءة أبي رضي الله عنه فقيل له : كيف تبكي لكتاب لا تصدق به ؟ فقال : أبكاني الشجا وقد تسكن النفوس اليه ، وذلك موجود في أكثر البهائم ، والدواب اذا غنى المكاري صرت آذانها .

اختلاف الاصوات :

قال الموصلي : سألني المعتصم عن معرفة النغم فقال بيّنها لي ، فقلت : ان من الاشياء ما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة . وسألني عن شعرين متقاربين ففضلت أحدهما على الآخر فقال : من أين؟ فقلت : لو تفاوتا لامكنني التبيين ، ولكن تقاربا ففضل أحدهما على الآخر بما يشهد به الطبع ولا يعبر عنه اللسان .

• • •

ومما جاء في آلات الملاهي

العود :

أتي عبدالملك بعود فقال للوليد بن مسعدة : ما هذا ؟ فقال : خشبة تشقق ثم ترقق ثم يعلق عليها أوتار ثم تنطق فتضرب الكرام رؤوسها بالحيطان سروراً به ، وامرأته طالق ان كان في المجلس أحد الا وهو يعلم ما أعلمه ، وأنت أولهم يا أمير المؤمنين ! فضحك . وقالت الفرس : نغمات العود من صرير باب الجنة ، ولهذا سموه بربط معناه باب النجاة .

كشاجم في أبيات له :

خلخالُه في نحرِه ولسانُه ... في أذنهِ وجبينُه من أسفلِ
مزح يكفّ على الاكفِ ولفظُه ... يعلوا بتأليفِ الثقيلِ الأولِ
فكأنما شخصُ القريض ممثلٌ ... في العودِ أو سكنته روحُ الموصلي

رأى أعرابي عوداً فلما عاد الى البادية نعته لاصحابه فقال : رأيت شيئاً محدودب الظهر أرسخ البطن أكلف الجلد ، اجوف اسقف احنف ، جبينه في استه وعيناه في صدره ، وامعاؤه من خارج بطنه ، بها يتكلم ومنها يترجم ، معروك الآذان مشوق المعلق . كان ابو محصن الاعرابي عند أبي اسحق وعنده من يضرب بالعود والطنبور فقال : أيهما أحب اليك ؟ قال : ابعدهما صوتاً وأكثرهما جلبة وأحسنهما حلية ، وأشار الى الطنبور بأن صوته كطنين ذباب بروضة .

الزامر :

قال اسحق : الزمر رفو الغناء . وقيل : الزمر يستر من حسن الغناء كما يستر من قبحه . قال المتوكل لزنام الزامر : تأهب للخروج معي . فقال : الناي في كمي والريح في فمي فاعزم اذا شئت .

ابن المعتز يصف زامرة :

كأنما تلثمُ طفلًا لها أتت بهِ من ولدِ الزنجِ

الناجم يذم زامرة : ناي قتولٌ قاتلُ بالنتن منه الرهج
يشبه عندي مخرجا مركبا في المخرج

وقال الصنوبري :

وكانما المزمار في أشداقِها غرمولُ عير في حياء أتانٍ !
وترى أناملَها على مزمارِها كخنافسٍ دبّتْ على ثعبانِ

تخاصم رجلان عند ابن المدبر وحلف أحدهما بالطلاق ان صاحبه أحمق ، ولا يبرح حتى يشهد القاضي بذلك ، فذكر ان عنده زامرتين بلا مغنية فقال القاضي : أشهد انه أحمق !

الرقاص .

المصعب الهندي :

عجبتُ من رجلين يتبعانه يعلوهما طوراً وتعلوانـهِ
كأن أفعيين يلسعانه

وقيل لجارية رقاصة : أفي يدك عمل ؟ قالت : لا انما هو في رجلي !

وجوب الاستماع :

بعضهم : إذا حضر الغناء فليس إلا سكوتٌ واستماعٌ للمغني

أحمد بن علوية :

حكم الغناء تسمعٌ وندامُ ما للحديثِ مع الغناء نظامُ
لو كان لي أمرٌ قضيتُ قضيةَ إنّ الحديثَ مع الغناء حرامُ

غناء يمزق له الثوب :

سئل ابراهيم الصوفي المارستاني عن تمزيق الثوب في السماع فقال : ان موسى عليه السلام قرأ على بني اسرائيل ، فمزق واحد منهم قميصه ، فقال الله تعالى لموسى : قل له مزق قلبك لا ثوبك . كان

لبعض الظرفاء مغنيتان : محسنة اذا غنت خرق قميصه ، ومسيئة اذا غنت قعد يخيطه . طرب بعض الكبار على غناء فشق قميصه وقال لنديمه : بحياتي شق قميصك . فقال : اذاً أبقى عرياناً ! فقال : أنا أخلفه غداً قال : فأشقه غداً . قال ابو مالك الأعرج :

إذا غنَّتْ قديماً أو حديثاً ... فما للجيبِ من كفَّيكَ واقي

أنواع مختلفة من الغناء :

اجتمع على شراب في بعض الحانات أعمى ومفلوج واقطع ، فقيل للاعمى : غن فغنى :

إني رأيت عشيَّةَ النفرِ ... حوراً نفينَ عزيمةَ الصبرِ

فقيل : ويلك كيف رأيت وأنت أعمى ؟ وقيل للمفلوج : غن . فقال :

إذا اشتدَّ شوقي وهاج الألم ... عدوت على بابكم في الظُّلَمَ

فقيل مفلوج يعدو ! لا تكذب . وقيل للاقطع : هات غن . فقال :

شبكتُ كفّي على رأسي وقلتُ له : ... يا راهبَ الدير، هل مرّتْ بكَ الإبل ؟

فقالوا : أنت أكذبنا وأجودنا غناء . غنى مغن صوتاً فقال له بعض الحاضرين : أين الصيحة ؟ فقال : أخذتها لثالثك . كان ابو العينين يعشق جارية يقال لها مكنونة ، فغنى صوتاً فقالت له : ألقه علي . قال : بما اشتريته . قالت : بكم ؟ قال : برأس مالي ، ناكني فلان وعلمنيه . فقالت : اجعل الصرف على الاست صوتاً آخر ؟ وتقدم . ولام رجل آخر في مغنية فقال : والله لو غنتك لما ادركتنا ذكاتك. وقال المأمون : الطبل لهو غليظ . وهذا على ما قال علوية القمي لابنه المخنث : قد تأذيت بصوت طبلك يا ابن الفاعلة ! فقال : ان كنت تريد أن لا يكون لصناعتي صوت فسلمني لمن يرفو الثوب، فالغناء لا يكون بلا صوت !

• • •

ومما جاء في آلات القمر

أسماء القداح :

تسمى القداح الازلام والاقلام ، وهي عشرة ، سبعة منها ذات خطوط قد نظم أساميها الصا في قوله :

إن القداحَ أمرُها عجيبُ : ... الفذّ والتوأمُ والرقيبُ
والحلسُ ثم النافسُ المصيبُ ... والمصفحُ المشهرُ العجيبُ
ثم المعلي خطُّها الرغيبُ ... هاكَ فقد جادَ بها الترتيبُ

والمصفح يسمى المسبل ، والرقيب يقال له الضريب ، والاغفال التي لا خطوط لها المنيح والفسيح والوغد . قال ابن قتيبة : والمنيح له موضعان أحدهما لا خط له ، والثاني له خط . قال : وعلى ذلك قول عمرو بن قمئة :

بأيديهمُ مقرونةٌ ومغالقٌ   يعودُ بأرزاقِ العيالِ منيحُها

وقال عروة بن الورد في أسمائها :

أتتْ بالمعلّى عند أولِ سورةٍ   وبالمسبل الثاني وبالحلسِ والتوَمْ
وجاءت بفذٍ والضريب يليها   وبالنافس المغلوبِ في الرأس والقدمْ
فراحَ بها غنم وتغرم ما جنت   وقد يغرَمُ المرء الكريم اذا اجترم
وأنت منيحٌ باليدينِ متى تعدْ   تعدْ صاغر الآمال نالَ ولا عزم

وقال تميم بن مقبل في صفة القدح :

خروج من العمى اذا صك صكة   بدا والعيونُ المستكنة تلمحُ
مفدى مؤدى باليدين ملعنٌ   خليعُ لجام فائزٌ متمنحُ

طفيل : واصفر مسهوم الفؤادِ كأنه   عداه الندى بالزعفرانِ مطيبُ

والياسر الصائب بها ، والبرم الذي لا يدخل معهم وفي صفته :

به علمان من عقب وضرس

ويسمى ذلك مقرونة وأما مثنى الأيادي قيل هو ما تفضل عنه . وقيل : هو ان تعود بعد خروج الفوز على الخط الاول ، والربابة ما يجمع فيه القداح ، وأفاض بالقداح ضرب بها ، والرقيب من يحفظهم .

الممدوح بضرب القداح :

عنترة : زيد يداه بالقداحِ اذا شتا   هتّاك غاياتِ النجومِ ملومُ

آخر : هينونَ لينونَ ايسارٌ ذوو يسرٍ   سوّاسُ مكرمةٍ ابناء أنباء

وقال متمم بن نويرة في مرثية أخيه :

ولا برماً تهدى النساء لعرسهِ   اذا القشع من حسن النساء تقعقعا

يقال : فلان برم قرون اذا لم يدخل في الميسر ، ثم يأكل تمرتين تمرتين .

المرقش : إذا أيسروا لم يورثِ اليسرُ بينهم فواحشَ يبقى ذكرُها بالمصائفِ

تحريم ضرب القداح :

قال الله تعالى : انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان (الآية) وقال تعالى : يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس . وقد أبيح القرعة وهي من جنس ذلك . قال تعالى : وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم . وكذلك يونس عليه السلام حين جنحت بهم السفينة وبمن معهم ساهمَ القوم أيهم يلقى في البحر : فكان من المدحضين اي من المقمورين .

وضع الشطرنج :

قيل : وضعها فيلسوف لملك رام أن يرى الحرب وتدبيرها في خفض ودعة ، فلما وضعه له أعجب الملك به فقال له : اقترح ما شئت وسل كلما تمنيت . فقال : أولني لاوّل بيت من بيوته درهماً ، ثم اضعف في الثاني فالثالث ، الى ان تنتهي الى آخر البيوت . فاستقل الملك ذلك وقال : رأيتك حكيماً في وضعك ذلك واستحقرتك في مقترحك ! فقال : إني يقنعني ما سألت ان وفيت لي . فقام رأس وزرائه وقال : أيها الملك انه لا يفي ملكك ولا مالك بما سأل . فقال : كيف ؟ فعملوا به حسباناً فاذا هو عشرة آلاف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ، وأربعمائة ألف وستة وأربعون ألف ألف ألف ألف ، وسبعمائة ألف ألف ألف وستة آلاف ألف ، وخمسمائة ألف وخمسون ألفاً وستمائة وستة عشر ألفاً . فقال الملك : لا أدري أيما أعجب الشطرنج أم الامنية !

الرخصة في الشطرنج :

مر امير المؤمنين رضي الله عنه بقوم يلعبون بالشطرنج فقال : ما هذه التماثيـــل التي انتم لها عاكفون ؟ ولم يأمرهم ان يرفضوه . قيل : إنما قال لهم ذلك لانها كانت على صورة الافراس والفيلة . وسأل الرشيد معن بن عيسى عنه فقال : ما فقدناه من مجالس قريش التي كنا نهاب ان نمر بها . وكان الشعبي يلعب مستدبر الحذقة . وسئل عنه الحسن رضي الله عنه فقال : لا بأس به ما لم يكن قماراً ، فانه احتيال . وسئل ابو العباس بن شريح عنه فقال : اذا سلمت ايديهما من الطغيان ولسانهما من العدوان وصلواتهما من النسيان ، فهو مباح بين الاخوان غير محرم على الخلان .

كراهية الشطرنج وذمه :

قال امير المؤمنين رضي الله عنه فيه : ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ؟ فسمّاها تماثيل . ومر عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بقوم يلعبون فقال : قد وضعت الحرب اوزارها ثم خلطه .

وروي عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه أنه كره اللعب . وكان المأمون يستهزىء بالشطرنج مع جودة لعبه به ويقول : لا يفوق المرء فيه إلا باستفراغ الذهن كله له ، ولا يبلغ قدر ذلك . وكان الفضل بن يحيي يجيد اللعب به وكان يذمه ويقول : لا يقمر اللاعب به الا بكد الجوارح ولا يبلغ قدره ذلك .

المتنبي وغيرُ فؤادي للغواني رميةٌ وغيرُ بناني للرخاخِ رِكابُ

شاعر : لعِبُ الشطرنجِ شؤمٌ فاجتنبها يا مشومُ
إنما عدت لقومٍ شأنهم شأنٌ عظيمُ
ملكٌ يجبى إليه أو وزيرٌ أو نديمُ
هبك فيها ألعب الناسِ فماذا يا حكيمُ ؟

وكان أهل المدينة اذا خطب اليهم من يلعب الشطرنج لم يزوجوه ، ويزعمون انه احدى الضرتين . وقيل : إنما وضع للعجم الذين لا علم لهم : فاذا اجتمعوا تلاحظوا تلاحظ البقر فجعلوا لعبهم به مشغلة .

وصف الشطرنج :

شاعر : أرضٌ مربّعةٌ حمراءُ من أدمٍ ما بين خلّين موصوفين بالكرمِ
تذكرا الحربَ فاختار لها شبهاً من غير ان عفيا فيها بسفك دمِ
انظر الى فطنٍ جاشت بكرّهما في عسكرين بلا طبلٍ ولا علمِ
هذا يغيرُ على هـذا فيغلبُه وذا يغيرُ وعين الحزمِ لم تنمِ

السري الرفاء

وكتيبتا زنج وروم أذكيا حرباً يظلّ بها الذكاءُ مناضِلا
في معركٍ قسم الزمانُ بقاعه بين الكماة المعلمين منازلا
لم يسفحا فيه دماً وكأنما رشح الدماء أعالياً وأسافلا
وكأن ذا صاحٍ يسير مقوماً وكأن ذا نشوان يخطر مائلا
أعجبْ بها حرباً تثيرُ اذا التظت فضل الرجالِ ولا تثير قساطِلا

الماهر بالشطرنج والرديء اللعب :

ليس لاجادة اللعب بالشطرنج نهاية ولا غاية ، ومن معجزاته انه لا يكاد يتفق فيه دستان ، ومن مجيديهم الصولي .

ولبعضهم : ولربما مهر السخيفُ بهـا وتراهُ يمضغ لفظَه حُمقا

مر بعضهم بقوم يلعبون بالشطرنج وكان وسخاً فقال : ما اوسخ شطرنجهم ! فقـال بعضهم : اللعب اوسخ .

النوادر في الشطرنج :

قيل : النوادر في الشطرنج عدة للاعب كالحداء للاغب . وقال شاعر :

نوادرُ الشطرنجِ في وقتهـا احرّ من ملتهبِ الجمرِ
كم من ضعيفِ اللعبِ كانت له عوناً على مستحسنِ القمرِ

وروي ان ابا مسلم كان يلعب بالشطرنج فوقع له شاه مات فتمثل بقول الشاعر :

ذروني ذروني ما كففتُ فانني إذا ما تهيجوني تميدُ بكم أرضي
وأنهضُ في رد الحديث إليكمُ كتائب سوداً طالما انتظرتْ نهضي

كان المأمون عند قدومه من خراسان اشتهى الشطرنج ، فاستحضر كبار اهله زيوب وجـابر الكوفي وعبدالقادر الانصاري ، وكانوا يتوقرون بين يديه ، فقال : ان الشطرنج لا يطيب مع الهيبة ، قولوا ما تقولون اذا خلوتم .

النرد :

قال بعض الحكماء : شبهت رقعة النرد بالأرض الممهدة لساكنها ، ومنازل الرقعة وهي اربعة وعشرون بساعات النهار والليل ، وبيادقها وهي ثلاثون بعدد ايام الشهر ، واختلاف الوانها باختلاف بياض النهار وسواد الليل ، ثم أقيمت المنازل على اربع مراتب كعدد الطبائع الاربع : الارض والماء والهواء والنار ، والفصول الاربعة : الشتاء والصيف والربيع والخريف ، وجوانب الفص وهي ستة بالجهات الست : فوق وأسفل ويمين ويسار وامام وخلف ، والفصان المحيطان بالجوانب الاثني عشر كشهور السنة ، والشهور محيطة بالايام احاطة ما يخرج بالفصين ، وبالبيادق الثلاثين او الايام محيطة بالساعات احاطة البيادق بالمنازل الاربعة وعشرين ، ثم جعل نكت الفصين كلها اثنين واربعين ، ولست تجد شيئاً من عدد جوانب الفص الا اذا ضممت اليه عدد مقابله وجدته سبعة ، وهو عدد

الايام السبعة ، وشبه النكت السبعة التي يكون بعضها فوق الارض وبعضها تحتها في كل حال وتقلبها بأفعال العباد ، وما يخرج بالقضاء الجاري عليهم ، وشبه فعل اللاعب في اتباعه لما يخرج بفعل العباد في اتباع القضاء ، وشبه اخراج اللاعبين بالمعاد ، وفلج المقامر بما حصل للمجتهد من الثواب ، وكذا ما يلحق المقصر بتقصيره من الحسرة . وكان رؤبة في قوم يلعبون بالنرد فأتي بالخوان فقال :

يا إخوتي جاء الخوانُ فارفعوا حتانة كعابها تقعقع
لم أدر ما ثلاثها وأربع

سأل الزبيري أبا بكر بن فريعة في مجلس المهلبي عن النرد فقال : ما ادري غير اني أرى لبداً مخططاً وخشباً مخرطاً ، وعظماً منقطاً وايدياً تضرب ميطاً ، وكل يطلب بصاحبه شططا .

فضل الشطرنج على النرد :

قال بعض المتكلمين : الشطرنج معتزلي والنرد مجبر . وذلك ان اللاعب بالشطرنج موكول الى اختياره ومتروك مع ايثاره ، واللاعب بالنرد مجبر على ما يخرج به الفصان . وقيل لرجل : كيف معرفة فلان بالشطرنج ؟ فقال : ما احسن ما يلعب . قيل : فكيف يلعب بالنرد ؟ فقال : ما احسن ما يخرج له الفصان . فلم ينسب الفعل في النرد اليه كما نسبه اليه في الشطرنج .

الملاعبة بها على القمر :

قال يزيد بن أبي خالد : دخلت على ابن أبي أوفى وهو يلاعب امرأته بالفصين . وقال اسحق قال لي محمد الامين : كيف لعبك بالشطرنج ؟ فقلت : فوق المنصفين ودون البالغين ، ليس من اللعاب أحد يلقي لي فرزاناً لا انتصف منه . فقال : لاعبني . فلاعبته بخلعة فقمرني فقمت اخلع ثوبي فقال: ما تصنع ؟ فقلت : أنزعه لتلبس . فقال : ألبس خلعة مملوءة قملاً ؛ فقلت : دعني من ذا ، تلبس أو تفادي ؟ فقال : بماذا ؟ قلت : بثيابك . فقال : ما رأيت قامراً مقموراً فنزع ثوبه وأولانيه ، وكان أبو أيوب يلاعب مدنياً بالشطرنج فتأخر عنه المدني يوماً فاستدعاه فكتب اليه المدني :

لا تدعوني لشطرنج فيشغلَني دعني فإني عن الشطرنج مشغولُ
أنتَ امرؤٌ تدمِنُ الشطرنجَ مِن سِمَنٍ وانني يا أبا أيوبَ مهزولُ

فبعث اليه بعشرة آلاف درهم .

— تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث —

فهرس الجزء الثاني